

الْعَضَاءُ الْمَرْجُومَةُ لِلرُّقَا فِي شَرْحِ الْمَشْكَاةِ

هذه المقدسة تبحث عن حياة العلامة المحدث الفقيه المفسر
للغوى الأديب الملا على القاري وعن آثاره العلمية الخالدة
وعن الخدمات التي أداها العلماء المتأخرون لانتقاء
الأحاديث وتبويبها وحين ترتيبها وعن تعريف
كتاب مصابيح السنة ومشكاة المصابيح
وشروحها عامة ومرآة المفاتيح خاصة

لِلْعَلَّامِ الْفَهَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّجِيدِ الْحِشِّيِّ



مكتبه إمداديه ○ ملتان
(پاکستان)

فهرس البضاعة المزجاة لمن يطالع المرقاةة فى شرح المشكاة)

١	تحقيق اسم ابه
٢	كشبة على القارى و لقبه
٣-٢	و منشأه و مرابه
٣	هجرته الى الحجاز و اقامته بها
٣	اعتناؤه بالقرآت و شهرته بالقارى
٤	اشتغاله بساع الحديث
٢٧-٤	مشاغفه الاعلام
٢٨	اخذه الطريقة عن مشائخ عصره
٣٠-٢٨	تعلمه الخط و امتنانه الكتابة
٣١-٣٠	حذاته فى العلوم و ثناء العلماء عليه
٣٧-٣١	اختلافه مع الائمة و ابتلاءه بمعاصريه
٣٨	تجاوزه عن الحد فى مسألة خاصة عفا الله عنه
٤٠	مقامه لمجدد
٤٢	الفرق بين عمل المتقدمين و المتأخرين
٤٢	كونه فقيهاً محدثاً
٤٨-٤٣	اسماء عمدة المؤلفات فى شرح الحديث و فقهه
٤٩	بيان مساعى العلماء المتأخرين فى انتقاء الاحاديث و تبويبها
٥٩	تعريف كتاب مصابيح السنة و شروحها
٦١	“ “ مشكاة المصابيح “
٦٥	خدمات على القارى فى شرح الحديث
٦٥	الحديث المرسل و اختلاف الائمة فى قبوله
٦٦	الضبط فى عصور مختلفة و اعتناء على القارى بضبط متون الاحاديث و تصحيح الكتاب
٦٩	اعتناؤه بشرح الحديث
٧٥	قيامه بالذب عن المذهب الحنفى و اثباته من الحديث و السنة
٨٥	ثناء العلماء على شرحه
٨٦	انتشار مؤلفاته فى العالم الاسلامى و سلسلة روايتها عنه
٨٧	اسماء مؤلفاته
٩١	وفاته

فهرس الحواشى

٤	ترجمة محمد ابى الحسن البكرى
٥	” اساعيل بن عبد الله الشروانى
٦	” الخواجة عبيد الله السمرقندى الاحرارى
٧	” بهاء الدين النقشبندى
٨	اسماء الكتب التى افرد الائمة فى ترجمة الشيخ على المتقى
٨	ترجمة الحافظ ابن حجر الهيتمى المكي
٩	” المحدث الشيخ عبد الله السندى
٩	” قطب الدين محمد بن احمد النهروالى
	المسكى
١١	التعريف بكتاب ارشاد السارى وضبط كلمة “القسطلانى”
١٥	ترجمة مير كلان
١٦	” سيرك شاه المحدث
١٧	” جبال الدين المحدث و الرد على من رماه بالرفض
١٧	ترجمة محمد بن الجزرى
٢٠	” محمد الدين الفيروزآبادى
٢١	” السيد الشريف الجرجانى
٢١	” العارف الجامى
٢٢	” عبد الرحيم الجزهى
٢٣	” على بن مبارك شاه الساوى
٢٤	” الخطيب العمري التبريزى ونسخة المشكاة بخط مؤلفه
٢٥	ترجمة حمد الله الاماسى
٢٨	المحدث الدهلوى المذكور
٣٤	نقد الفاضل اللكهنوى و السنبلى على المولى على القارى
٣٤	المسائل التى فيها السكوت احرى
٤٠	تحفة المهتدين باخبار المجددين للسيوطى
	مشارك الانوار للقاضى عياض و جامع الاصول للجزرى و المنهاج للنووى و شرح السنة لبغوى و معالم السنن للخطابى و ثناء العلماء عليها
٤٥-٤٣	
٤٥	الامام الطحاوى و كتابه شرح معانى الآثار
٤٨	كتاب الاستذكار و التمهيد لابن عبد البر
٤٩	شاه ولى الله الدهلوى و تفرداته
٥٦	شهرة كتاب البغوى باسم المصاييح اصطلاح البغوى الخاص فى الصحاح و الحسان
٥٧	نسخة شيخ الاسلام الهروى
٦٧	ترجمة فضل الله التوريشتى و خصائص كتابه المسر
٧٠	ترجمة الطبيعى
٧٣	بعد الحنفية عن الراى
٧٦	تلخيص رسالة الاصولى النظار محب الله البهارى
٧٦	رسالة فريدة موجزة فى بيان مأخذ المذاهب الائمة الاربعة لشاه عبد العزيز الدهلوى
٧٦	رسالة رائفة فى اصول مذهب ابى حنيفة
٧٨	

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الملا علی القاری

اسمه علی واسم ابيه سلطان محمد (۱) قال الشيخ ابواسحاق ابراهيم بن عبدالله الساقزي الروسي في مقدمة فيض الارحم وفتح الاكرم في شرح الحزب الاعظم والورد الافخم لعلي القاري ما نصه :
"علي بن سلطان محمد القاري" وهو من المجاورين هجر من بلدة هراة في المعجم و دأب العجم ان يسموا اولادهم اسماً زوجاً مثل فاضل محمد و صادق محمد و اسم ابيه سلطان محمد من

(۱) وقد اكتفى المؤرخ عبد الملك العصامي الشافعي المتوفى ۱۱۱۱هـ في "سبط النجوم العوالي و التوالی" ج ۴ ص ۳۹۴ بذكر اسم ابيه علی لفظ "سلطان" فقط و اكتفى عليه العلامة الحافظ محب الدين ابو الفيض محمد مرتضى البلگرامي ثم الزبيدي الحنفي المتوفى ۱۲۰۵هـ في مقدمة كتابه تاج العروس من جواهر القاموس (ج ۱ ص ۳) و الشيخ محمد عبد الحی السكهتوی في كتابه طرب الاسائل بترجم الافاضل (ص ۲۲۵) جريا علی دأب العرب. في تسميتهم الاسماء المفردة و لكن تمدى من ادخل لفظ ابن بين سلطان و محمد حيث ذكر "سلطان بن محمد".

و الصحيح ما ذكرنا و كذا رأينا اسم ابيه في المصحف بخطه عند العالم الكبير الشيخ محمد هاشم جان المجددی بنشدو سائين داد بالسند و جميع مؤلفاته المطبوعة في الآستانة و الهند و مصر.

هذا القبيل على ما سمع و اما كونه من الملوك فلم يسمع (۲)“
 و كنية على القارى ”ابو الحسن“ حسبما ذكره الحافظ السيد عبد الحى الكنانى القاسمى
 المتوفى سنة ۱۳۸۱ھ فى مقدمة كتابه ”التراتييب الادارية و العائلات و الصناعات و المتاجر و الحاة
 العلمية التى كانت على عهد تاسيس المدينة المنورة“ حيث يقول :
 ”و شرح مسند ابى حنيفة رولية الحصفى لابي الحسين على القارى المعروف باين سلطان
 المكي (۳)“

و لقب على القارى ”نور الدين“
 ولد الملا على القارى بهراة (۴) (و لم اقف على سنة ميلاده الى الآن) و نشأ بها و حفظ
 القرآن و علم التجويد من ابن الخطيب فى جامع هراة الشيخ العالم العقرى معين الدين بن حافظ
 زين الدين الهروى كما صرح به فى رسالته سم القوارض فى ذم الرواض ما نصه حرفياً :
 ”استاذى المرحوم فى علم القراءة مولانا معين الدين بن حافظ زين الدين من اهل
 رمانكا، (۵) (كازرگاه) .“

(۲) و قال مؤلفه فى آخره !

”تم تأليف شرح هذا الكتاب بعون الملك الوهاب فى سادس شهر رجب من سنة اربع و ثلاثين
 و مائة و الف و قد وقع الشروع فى تسويده سادس شهر رمضان من سنة ثلاث و ثلاثين و مائة
 و الف الحمد لله اولاً و آخرأ على توفيق الامام و على اشرف خلقه ظاهراً و باطناً افضل الصلوات
 و اتم السلام.“

الحمد لله الموفق لتمام كتابه هذا الشرح على يدى الفقير اليه عز شانه مجد الحافظ العشاق
 مولداً و الحنفى مذهباً فى يوم الاثنين ببلدة قسطنطينة من سنة سبعين و مائة و الف فى شهر ربيع الآخر
 و صل وسلم على سيدنا محمد و آله آمين.“
 نسخة هذا الشرح محفوظة فى مكتبة صاحب العلم و هب الله شاه فى قرية پير جهنڈو بالسند
 و عنها نقلنا .

(۳) التراتيب الادارية (ج ۱ ص ۱۷). الرباط ۱۳۴۶ھ .

(۴) هى مدينة عظيمة مشهورة من اموات مدن خراسان التى خرج منها العلماء الكبار من
 المؤرخين و اللغويين و الفقهاء و النحاة راجع معجم البلدان لياقوت.

(۵) راجع سم القوارض فى ذم الرواض منها نسخة مخطوطة بخط نسخ واضح حديث
 مع مجموعة تتضمن اثنتين و خمسين رسائل للمولى على القارى فى مجلد واحد ، فى مكتبة الكلية الشرقية
 بيشاور اطعنى عليها الشيخ البجاة عبد القدوس القاسمى .

بعد اتمام البضاعة المزجة سافرت باكستان الغربية سافراً علمياً و لما بلغت بيشاور و رأيت =

وقرأ الكتب الدراسية و أخذ العلوم المتعارفة عن شيوخ عصره بهراة و بعد تغاب السلطان اساعيل بن حيدر الصفوى الموسوى اول ماوك الصفوية الرافضة على هراة و قتلہ المسلمین ظلماً و نهبه اياها و اشاعته شعائر الرافضة فيها ضاقت عليهم ارضها بما رحبت فخرج المسلمون منها و هاجر المولى على القارى منها الى حرم الله و طاب به المقام بمكة المكرمة و استوطنها و حمد الله على اقامته بها في رسالته سم القوارض حيث قال :

”وقد ورد لا تسبوا الشيطان و تعوذوا بالله من شره و فيه تنبيه على الترقى من التفرقة المعبر عنها الاثنية الى مقام التوحيد الصرف و الجمعية و الحمد لله على ما اعطاني من التوفيق و القدرة على الهجر من دار البدعة الى خير ديار السنة التي هي مهبط الوحي و ظهور النبوة و اثبتني على الاقامة من غير حول منى و لا قوة (٦)“

وقرأ القرآن العظيم بمكة المكرمة على القراء الاجلاء و اتقن العفظ ابداع اتقان و حفظ الشاطبية و قرأ السبعة من طريقها و اتقن القراءت بوجوهها و تلا و رتل القرآن العظيم احسن ترتيل حتى اشتهر بالقارى و ذكر سنده للقراءت في آخر كتابه ”المنح الفكرية على متن الجزرية“ و كذا في شرحه على الشاطبية حيث قال :

”اما سندی في تحقيق القراءت و تدقيق الروايات فعلى المشايخ العظام و القراء الكرام من اجلهم في هذا الفن الشريف و اكملهم شيخ القراء بمكة القراء وحيد عصره و فريد دهره العالم العابد الصالح الكلبل الشيخ سراج الدين عمر اليمنى الشواق بلغه الله سبحانه المقام العالى الوافى و جزاء عنى و عن سائر المسلمين الجزاء الكافى و قد قرأ على جماعة قرؤا على الامام العلامة محمد بن القطان خطيب المدينة المنورة و امامها و هو قرأ على الشيخ زين الدين عبد الفنى الهيئى المصرى و هو على خاتمة القراء و المحدثين الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزرى قدس سره السرى (٧)“

= مكتبة الذاخرة الكلية الشرقية بيشاور و زرت الشيخ العالم البجائة عبدالقدوس القاسمى استاذ الكلية الشرقية بها جرى بينى و بينه المحادثة بالبضاعة المزجاة فقال الشيخ البجائة القاسمى ان في مكتبة الكلية الشرقية مجموعة من اثنتين و خمسين رسائل للمولى على القارى هل ظالمته قلت لا قال ان المولى على القارى ذكر فيها بعض شيوخه و هى عندى الآن فاشتاقت نفسى اليها و قد تفضل الاستاذ بها على فاشكره شكراً جزيلاً و جزاء الله عنى خيراً .

(٦) راجع سم القوارض الورقة ٣٠٠ ضمن مجموعة رسائله المحظوظة في مكتبة الكلية الشرقية بيشاور.

(٧) راجع المنح الفكرية ص ٧٣ ، ٧٤ طبع مصر ١٣٦٧ هـ و شرح الشاطبية طبع مجتباى بدلى الهند ١٣٤٨ هـ .

و اشتغل بسماع الحديث بمكة فاخذ عن شيوخها منهم :
مفسر مكة و فقيها في عصره الشيخ زين الدين عطية بن علي بن حسن السلمي المكي المتوفى ٨٩٨٣ هـ
فقد قال في مقدمة كتابه "مرقاة المفاتيح" ما نصه :
"قرأت هذا الكتاب العظيم (المشكاة) على مشائخ الحرم المحترم فنعنا الله بهم و ببركات
عليهم منهم فريد عصره و وحيد ذهره مولانا العلامة الشيخ عطية السلمي تلميذ شيخ
الاسلام و مرشد الانام مولانا الشيخ ابى الحسن البكرى (٨)"
و المولى على البقارى ينقل عنه و عن تفسيره في كتابه "المعراة" الفوائد و يصفه تارة
"بشيخنا (٩)" و استاذنا (١٠)" و مولانا (١١)" و تارة "بعمدة المفسرين (١٢)" و قد وصفه في

(٨) قال على باشا مبارك المتوفى ١٨٩٣ م في ترجمة البكرى في كتابه الخطط الجديدة لمصر
القاهرة (ج ٣ ص ١٣٧) .

"السيد محمد ابو الحسن (بن جلال الدين محمد ابى البقاء بن عبد الرحمن بن احمد) البكرى
الصدىقى الشافعى المفسر تلميذ شيخ الاسلام زكريا كان عالما في جميع الفنون ملازما
للقوى فرغ من تاليف تفسيره في آخر جادى النانية سنة ٨٩٢٦ هـ و اذ ذاك ابن عثمان
و عشرين سنة و شهر و ثمانية عشر يوماً لان مولده سنة ٨٩٨ هـ ملخصاً من آخر نسخة
من ذلك التفسير بخط والد المترجم منقولة من خط ولده موجودة الآن بالكتبخانة
الخدوية المصرية . . . و ذكر ولده ابى الوجه في رسالته لسلطان المغرب السابق
ذكرها ان وفاة والده المذكور كانت سنة ٩٥٢ عن اربع و خمسين سنة و انه كان يقيم
سنة بمصر و سنة بمكة المكرمة"

و قال تلميذه الشيخ الحافظ نجم الدين محمد بن احمد الغيطى المصرى الشافعى المتوفى
٩٨١، ٨٨٢ هـ في "نبته" ما نصه :

"شيخنا مفرد العصر و نادرة الدهر و اعجوبة الزمان و وحيد الاوان ابى الحسن البكرى
الصدىقى الشافعى نفع الله ببركاته و رضى الله عنه اخذت عنه التفسير و الحديث و الفقه
و التصوف له مؤلفات كثيرة في التفسير و الفقه و غيرها وله رسائل الاحزاب في التصوف
توفى سنة اثنين و خمسين و تسعمائة"

و نسخة هذا التبت محفوظة في مكتبة صاحب العلم ، وهب الله شاء في قرية بير جهنثو بالسند
و ايضاً راجع مرقاة المفاتيح (ج ٢ ص ٥٧٥ و ج ٤ ص ٦٩٨ و ٧٠٢) .

(٩) راجع مرقاة المفاتيح (ج ١ ص ٤٦٢ و ج ٢ ص ٥٢ و ج ٣ ص ١١٦
و ج ٥ ص ٦٦١ طبع مصر الغزى ، الكواكب السائرة ج ٢ ص ١٩٤-١٩٧ ، العيدروسى ، السور
الساخر ص ٤٢٧-٤٢٩ و ابن العاد ، شذرات الذهب ج ٨ ص ٢٩٢ و كتابنا فوائد جامع بر عجاله
نافع ص ٣٤٩-٣٥٢ .

رسالته سم القوارض "يسيدى في علم التفسير الشيخ عطية المكي السلمى"
و منهم مسند مكة العلامة الشيخ زكريا الذي قال عنه المولى على القارى في مقدمة كتابه
"المرقاة" ما نصه :

"و منهم (اى من المشايخ الذين قرأت عليهم) زبدة الفضلاء و عمدة العلماء مولانا السيد
زكريا (١٣) تلميذ العالم الربانى مولانا اسماعيل (١٤) الشروانى من اصحاب قطب العارفين

(١٣) قال عنه الشيخ عبد الحق الدهلوى في كتابه زاد المتقين في سلوك طريق اليقين

بالفارسية :

"السيد زكريا كان ذوي مجد و شرف يتبرك به و نادرة عصره، كبير السن، عذب المشرب،
منعزلاً عن التكلف و كان موطنه الهند نشأ و ترعرع في بلاد اليمن و عند ما وصل
الى مكة المكرمة استوطنها و عكف بها على درس الحديث و الافادة و اكثر اهل العجم
ياخذون عنه و يتبركون به و كان الشيخ مع كبر سنه و ضعف بنيانه يجرى من داره
التي تقع بجبل ابي قبيس الى بيت الله الحرام و يصلى و يأكل من كسب يديه و يتفرد
بساير اعماله الشخصية و اعمال عياله متشدداً و مصراً عليها قبره في الجنة المعلاة يزار
ويتبرك به رحمة الله عليه و على جميع الصالحين" الورقة ١٢٣ معرباً عن الفارسية و ملخصاً

(١٤) قال نجم الدين محمد بن محمد الغزى المتوفى ١٠٦١ هـ في كتابه الكواكب السائرة

بأعيان ائمة العشرة (ج ٢ ص ١٢٣ بيروت ١٩٤٥ م) ما نصه :

الشيخ الامام العلامة المحقق المدقق الصالح الزاهد، العارف بالله تعالى المولى اسماعيل

(بن عبد الله) الشروانى الحنفى .

قرأ على علماء عصره منهم العلامة جلال الدين ثم خدم الشيخ العارف بالله تعالى خواجه
عبيد الله السمرقندى و تربى عنده و صار من كمل اصحابه و له مات خواجه عبيد الله ارتحل المولى
المذكور الى مكة المشرفة و توطنها و دخل الروم في ولاية ساغان ابى يزيد خان ثم عاد الى مكة
و اقام بها الى ان مات و ذكره شيخ الاسلام السجد فيمن صحبهم من اولياء الله تعالى بمكة من
الدجائرين بها و سمعت شيخنا يحكى عن والده انه كان يثنى عليه لانه تدم دمشق و نزل بالسنورية
و تردد اليه جمع من الافاضل و قرأ عليه في تفسير البيضاوى ثم انفرد بجامع التكية السلمية قال
ابن طولون !

و اجتمعت به ائمة و اخبرنى انه اخذ الحديث من الامير جمال الدين الخراسانى المحدث قال
ورأيته ينتصق الامام البغوى المشرف للقرآن فنفرت النفس منه بسبب ذلك فانه احد ائمة السنة انتهى .
قلت و لعل بغضه منه بسبب ان الاعاجم يميلون الى المباحث الدقيقة المعقدة بالعقليات
دون المأثورات و تفسير البغوى غالبه خال من مثل ذلك لا بسبب ما توهمه ابن طولون من ميل
الى بدعة و نحوها فقد كفاك تزكية الجد له .

غوث السالكين خواجه عبيد الله (١٥) السمرقندی احد اتباع خواجه بهاء الدين

= و ذكر صاحب الشقائق النعمانية قال :
وكان رجلاً معروفاً و قوراً مهيباً منقطعاً عن الناس مشتغلاً بنفسه طارحاً للتكلف العادي
وكان حسن المعاشرة للناس يستوى عنده صغيرهم و كبيرهم غنيهم و فقيرهم و كان له فضل عظيم
في العلوم الظاهرة و الف حاشية على تفسير البيضاوي و كان يدرس بمكة فيه و في البخاري و توفي
بها في عشر ذي الحجة سنة اثنتين و اربعين و تسعمائة .

و قال ابن طولون !

في عشر ذي القعدة عن نحو اربع و ثمانين سنة و صلى عليه غائبة بجامع دمشق يوم الجمعة
مستول ربيع الاول سنة ثلاث و اربعين و تسعمائة رحمه الله تعالى .

راجع ترجمة طاشكبرى زاده : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ج ١ ص ٣٩٧ ،
مطبوع على هاشم وفيات الاعيان ، طبعة مصر ١٣١٠ هـ و مرقاة المفاتيح ج ٣ ص ٤٤ طبع مصر
و ابن العماد : شذرات الذهب ج ٨ ص ٢٤٧ .

(١٥) قال ابو الخير احمد المعروف بطاش كبرى زاده المتوفى ٩٦٨ هـ في الشقائق النعمانية
في علماء الدولة العثمانية ما نصه :

”الشيخ العارف بالله خواجه عيد الله السمرقندی ولد رحمه الله تعالى في بلدة تاشقند
من ولاية شاش حكى عن بعض احفاده، و هو خواجه محمد قاسم بن خواجه عبد الهادي بن
خواجه محمد عيد الله بن خواجه عبيد الله انه ينتهي نسبه الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه“.

و قال ايضاً نقل عن جدي انه قال ما غفلت عن الله سبحانه و تعالى الا مرة و هو اني كنت
في سن عشر و كنت اذهب الى المعلم بتاشقند و الرحل في تلك البلاد كثير فوقع نعلي في الوحل
و اشتغلت باخراجه و وقعت الغفلة بمنى في ذلك الوقت و قال ايضاً اخذ جدي طريقة التصوف عن
المولى يعقوب الجرخي و هو لقنه الذكر قال و نقل عن جدي انه قال غلب على خاطري داعية تحصيل
العلم و كنت في سن العشرين فذهبت من تاشقند الى خدمة المولى نظام الدين خامرس و هو مدرس
في ذلك الزمان بمدرسة الخ بيك بسمرقند و كنت سمعت حاله و جذبته و استغراقه فوجدته في المدرسة
يدرس للطلبة فجلست في زاوية من المدرسة صامتاً و ساكتاً و لها فرغ من الدرس نظر الى و قال لاي
شيء اخترت الصمت و قيل ان انكلم اجاب هو و قال الصمت نوعان صمت المترقن من عالم البشرية
و انه مبارك لصاحبه و صمت الساكتين فيه و انه مكر لصاحبه و كان خواجه عبيد الله يقول علمت
جلالة قدر المولى المذكور من كلامه هذا .

و كانت طريقة الشيخ خواجه عبيد الله الاعتقاد على مذهب اهل السنة و الجماعة و الانقياد
لاحكام الشريعة و الاتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و دوام العبودية و هو ملاحظة جناب =

التشبدي (١٦) روح الله روحها و رزقنا فتوحها“

= الحق من غير شعور بما سواه ،
 وقال التوحيد تخليص القلب عن الشعور بما سواه و قال الوحدة خلاص القلب عن العالم
 بوجود ما سوى الله ، و قال الاتحاد الاستغراق في وجود الحق سبحانه و تعالى وقال السعادة خلاص
 السالك عن نفسه في مشاهدة الله تعالى و قال الشقاوة الالتفات الى النفس و الانقطاع عن الحق ،
 و قال ، الوصل نسيان العبد نفسه في شهود نور الحق ، و قال الفصل قطع السر عما سوى الله تعالى،
 و قال السكر غلبة حال على القلب لا يقدر معه على ستر ما يجب عليه ستر ،
 توفى قدس سره في سنة خمس و تسعين و ثمانمائة و قبره الشريف بظاهر سمرقند انتهى ملخصاً
 من الشقائق النعمانية ج ١ ص ٢٨٧-٢٩٣ .

(١٦) قال طاش كبرى زاده في كتابه الشقائق النعمانية :
 و اعلم ان الطريقة النقشبندية تنتهى الى الشيخ خواجه بهاء الدين النقشبدي و لنذكر
 بعضاً من مناقبه فنقول :

اصل هذه الطريقة خواجه بهاء الدين النقشبدي قدس سره العزيز و اسمه الشريف محمد بن
 محمد بن محمد البخاري كان نسبته في الطريق الى السيد اسير كلال و تلقن منه الذكر و تربى ايضاً من
 روحانية الشيخ عبد الخالق الفجدواني سئل هو عن طريقة و قيل انها مكتسبة او موروثه فقال شررت
 بمضمون جذبة من جذبات الحق نوازي عمل القليل .

و سئل هو ايضاً عن معنى طريقته فقال الخلوة في الكثرة و توجه الباطن الى الحق و الظاهر
 الى الخلق قال و اليه يشير قول الله عزوجل : ”رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله“
 و كان لا يذكر علانية و يعتذر في ذلك و يقول امرني عبد الخالق الفجدواني في الواقعة بالعدل
 بالعزيمة فلهدأ تركت الذكر في العلانية و لم يكن له غلام و لا جارية فقيل له في ذلك فقال العبد
 لا يليق ان يكون سيداً .

و كان يوصي باتهام النفس و معرفة كيدها و سكرها و كان يقول لا يصل احد الى هذه
 الطريقة الا بمعرفة مكاييد النفس و قال تعالى : ”يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله“ اشارة الى ان المؤمن
 ينبغي ان يفتني وجوده ، الباعى في كل طرفة عين و يثبت معبوده الحقيقي و كان يقول نفى الوجود اقرب
 الطرق عندي و لكن لا يحصل الا بترك الاختيار و رؤية تصور الاعمال و كان يقول التعلق بما سوى
 الله تعالى حجاب عظيم للسالك ، و كان يقول طريقتنا الصحيحة و الخير في الجمعية بشرط نفى الاصحاب
 بعضهم بعضاً و في الخلوة شهرة و الشهرة آفة و قال ايضاً طريقتنا هي العروة الوثقى لانها مبنية على
 المتابعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه و آتاهم و رضوا عنه و رضوا عنه و رضوا عنه
 و آدابهم و قال لا بد للطالب ان يعرف احواله اولا فاذا اصحب مع واحد من اهل الطريقة فان وجد =

و يصفه القارى في كتابه المرقاة "بشيخنا (١٧) السيد"
 ومنهم الامام العالم الكبير مسند الحرم الشيخ على بن حسام الدين المتنى العنقى المتوفى
 ٥٩٧٥ ذكره المولى على القارى في مقدمة كتابه "مرقاة المفاتيح" "بالعالم العامل والفاضل الكامل
 العارف بالله الولى مولانا على افاض الله علينا من مدده العلى" و يحكى عنه في شرحه حكايات عجيبة
 عن بعض عاداته الشريفة (١٨).

و منهم خاتمة المحققين و مسند الحرم و حافظها العلامة الشيخ ابو العباس شهاب الدين احمد
 ابن مجد المعروف بابن حجر (١٩) الهيمى السعدى الانصارى الشافعى المكي المتوفى ٥٩٧٣ ذكره في

= في حاله زيادة يلازمه يحكم قوله عليه السلام اصبت فالزم .
 مات قدس سره ليلة الاثنين الثالثة من شهر ربيع الاول سنة احدى و تسعين و سبعائة ،
 الشقائق النعمانية ج ١ ص ٢٨٤-٢٨٦ .

(١٧) راجع مرقاة المفاتيح ج ٣ ص ٢١١ طبع مصر .
 (١٨) راجع مرقاة المفاتيح ج ٢ ص ٤٧٠ حيث قال في شرح حديث "اذكر هاذم اللذات"
 "كان شيخنا العارف بالله تعالى رحمه الولى مولانا نور الدين على المتنى يعمل كيساً
 مكتوباً عليه لفظ الموت يعلق في رقبة المرید يستفيد منه انه قريب غير بعيد فيقتصر امله
 و يكثر عمله"

وقد افرد الائمة في ترجمته تأليف منهم العلامة الشيخ عبد القادر بن احمد الفاكهى المتوفى
 ٥٩٨٩ و ساه القول النقى في مناقب المتنى كما نقل عنه الشيخ عبد القادر العيدروسى المتوفى ١٠٣٨ هـ
 في ترجمته من كتابه النور السافر عن اخبار القرن العاشر و منهم الشيخ عبد الوهاب المتوفى ١٠٠١ هـ
 و ساه اتحاف النقى في فضل الشيخ على المتنى قال المؤرخ صديق حسن الفتوحى المتوفى ١٣٠٧ هـ في
 كتابه ايجد العلوم :

"ابان فيه عن فضائله الكيرة و هو حقيق بذلك"

و منهم المحدث الفقيه الشيخ عبد الحق بن سيف الدين البخارى الدهلوى قال الفتوحى
 "ذكر له الشيخ عبد الحق الدهلوى ترجمة حافلة في المقصد الاول من كتابه زاد المتقين
 في سلك طريق اليقين و اتى عليه كثيراً و حرر احواله الشريفة في ابواب خمسة تام"

راجع ترجمته ، الشعرائى ، لوائح الانوار في طبقات الاخبار ج ١ ص ١٨٥ مصر ١٣٧٣ هـ
 و الغزى ، الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة ج ٢ ص ٢٢١-٢٢٢ ، بيروت ١٩٥٨ م ،
 و غلام على آزاد ، سبحة المرجان في آثار هندوستان ص ٤٣ ، بمبئى بالهند ١٣٠٣ هـ و عبد الحى
 الحسنى ، نزهة الخواجا ج ٤ ص ٢٣٤-٢٤٤ حيدرآباد الدكن ١٣٧٤ هـ .

(١٩) قال المؤرخ محى الدين عبد القادر العيدروسى في ترجمة العلامة ابن حجر المكى من
 كتابه النور السافر عن اخبار القرن العاشر ما لفظه :

ولد في رجب سنة تسع و تسعائة ، و مات ابوه و هو صغير فكفله الامامان الكملان علما =

كتابه "مرقاة المفاتيح لمشكاة المصاييح" بشيخنا العالم العلامة و البحر الفهامة شيخ الاسلام و مفتى الانام صاحب التصانيف الكثيرة و التأليف الشهيرة مولانا و سيدنا و سندنا الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمي (٢٠٠) " و لكن المولى على القارى يتعقب عليه و يناقشه كثيراً في شرحه المذكور آنفاً .

و منهم العلامة المحدث و مسند الحجاز الشيخ عبدالله السندى (٢١) المتوفى ٨٩٩٦ هـ و قد ذكره على القارى في كتابه "فتح المغطا شرح المؤطا" للامام محمد "بإستاذى" حيث قال في مقدمته :

"وقد وجدت بخط استاذى المرحوم الشيخ عبدالله السندى في ظهر هذا الكتاب انه مؤطا
سالك بن انس برواية محمد بن الحسن و هو مشكل اذ يروى الامام محمد فيه عن غير الامام

= و عملا العارف بالله شمس الدين بن ابى الجمال وشمس الدين الشناوى ثم ان الشمس الشناوى نقله من بلده حملة ابى الهيثم الى مقام القطب الشريف سيدي احمد اليبودي نفع الله به فقرأ هناك على عالمين به في مبادئ العلوم ثم نقله في سنة اربع و عشرين و هو في سن نحو اربعة عشر سنة الى الجامع الازهر مسلماً له الى رجل صالح من تلامذة شيخه الشناوى و ابن ابى الجمال فحفظه حفظاً بليغاً و جمعه بعلمه بمصر في صغر سنه فأخذ عنوه و كان قد حفظ القرآن العظيم في صغره و من مشائخه الذين اخذ عنهم شيخ الاسلام القاضى زكريا الشافعى و الشيخ الاسام الحنبلى الزينى عبد الحق السباطى و الشهاب الرملى و الامام ابو الحسن البكرى وغيرهم و اذن له بعضهم بالافتاء و التدريس و عمره دون العشرين و برع في علوم كثيرة من التفسير و الحديث و علم الكلام و اصول الفقه و فروعها و غيرها و من محفوظاته في الفقه المنهاج للنووى و مقروآته كثيرة لا يمكن تعدادها و اما اجازات المشايخ له كثيرة جداً و قد استوعبها رحمه الله في معجم مشائخه ، و قدم الى مكة في آخر سنة ثلاث و ثلاثين فحج و جاور بها في السنة التى تليها ، ثم عاد الى مصر ، ثم حج بعيناه في آخر سنة سبع و ثلاثين ثم حج سنة اربعين و جاور من ذلك الوقت بمكة المشرفة و اقام بها يؤلف و يفتى ، و يدرس الى ان توفى فكانت مدة اقامته بها ثلاثاً و ثلاثين سنة مختصراً .

راجع ترجمته : الغزى ، الكواكب السائرة ج ٣ ص ١١١ الخفاجى : رحمانة الابا ص ٢١١، ٢١٢ و ابن العماد شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٧٠-٣٧٢ . و أيضاً راجع كتابنا "فوائد جامعہ برعجاله نافعة" و فيه فوائد حسنة ص ٣٣٣ .

(٢٠) راجع مرقاة المفاتيح ج ١ ص ٢٥ طبع مصر .

(٢١) قال الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوى المتوفى ١٠٥٢ هـ في ترجمته من كتابه اخبار الاحبار في اسرار الابرار بالفارسية (المطبعة المجتاثية ١٣٣٢ هـ ص ٢٨٠) .

الشيخ عبد الله و الشيخ رحمة الله ، رحمة الله عليها كانا قريبين وها من السنن ينتميان الى المدينة المنورة وكانا من الفقهاء الصوفية و قد انحدرتا من المدينة المطورة الى الديار الهندية و افادا =

= طلبہ الحدیث النبوی الشریف حتی دعاہا الطالبة و نعتوها بالشیخین و کان الخواجة عبد الشہید عبید اللہی رحمۃ اللہ علیہ یقول عنہا انہا یدکراننا بالشیخین ابی بکر الصدیق و عمر الفاروق رضی اللہ عنہما و کانا آیتین فی العلم و البعمل الصالح و التقوی لا یدانہما احد و کان الطالبة یعتقدون انہ لم یأت احد ملہما الی الہند من العربین الشریفین و کانا من رتقاء علی العقی و خائفانہ و التنت حولة الحكام الذین کانوا یمثلون السلطان العثماني فی المکة المکرمة و کان الشیخ علی العقی یتسایم لاجراء منح لبعض مریدیہ و خدامہ الفقراء الا انہ لم یقبل ہذہ المنح لاشیخین و السید عبد الوہاب لان ہذہ المنح لم تقل من رتبة والد الشیخ رحمۃ اللہ التامی عبد اللہ خرج من السند مدوناً ببعض الحوادث میما شطر المدينة المنورة مع الادل و العیال و اتام فی طریقہ بمدينة احمد آباد نترہ من الزمن حث التی بشیخ علی العقی و لازمہ و عند ما وصل الی العجاز استولن المدينة المنورة و تقي ربه بعد برهه و جیزه و الشیخ عبد اللہ ہذا کان رفیقاً و مصاحباً للقافی عبد اللہ و نشأ و ترعرع فی المدينة المنورة و اشتغل بہا بالافادة و العبادة ثم خرج منها مدوناً ببعض الحوادث فی سنة سبع و سبعین و تسع مائة من الهجرة الی ہذہ الدیار و بعد عودتہ اتام مدة بمدينة احمد آباد حث کانت موطن آبائہ و بعد مضي سنین اصاب الشیخ عبد اللہ و الشیخ رحمۃ اللہ مرض عضال الذی اقتدھا السيطرة علی تحريك اعضاء الجسم فخرجنا من احمد آباد الی العجاز و لندی وصولہا الی مکة المکرمة و انتہا العینة رحمہم اللہ علیہم و علی جمیع عباد اللہ الصالحین.

و ذکرہ الشیخ عبد الحق الدہاوی فی ترجمتہ من کتابہ زاد المتین فی ساوک طریق الیقین ما نصہ حرقياً بالفارسیة :

عبد اللہ سندی از اصحاب علی سنی ست و شاگرد ابن حجر مکی در علم عربیت استفادہ می کرد و اکثر احوال می گفت اعرابوا لنا هذا الکلام دانشمند بود و مرد خدا از ہیچ کس طمع و با ہیچ کس کارے نداشت برائے خدا درس و افادہ نمودے و تصحیح کتب حدیث کردے ، نسخہ مشکاتہ بدست خود بغایت تصحیح نموده و تحشہ کرده و ورق و ورق ساخته تا بسیار کس دریک مجلس ازان استفادہ می کردند و انتساخ می کرد و در حواشی اثبات مذہب حنفی نموده و دلائل آن آورده است می گفت من مشکاة را حنفی ساخته ام و می گفتم کہ در تمام عمر خود کارے کہ کرده ام ابن مشکاة ست امید دارم کہ خدائے تعالی مرا بدان ببخشد مات رحمہ اللہ فی ۹۹۶ھ .

(ترجمہ) کان عبد اللہ السندی من اصحاب الشیخ علی العقی ، اخذ عن ابن حجر الہکی و کان الہکی یراجع عنہ فی العربیة و یقول کثیراً اعرابوا لنا هذا الکلام و کان رجلاً عالماً من رجال اللہ منقطعاً عن الناس ، کان یدرس و یفید ابتغاء لوجه اللہ سبحانہ و یصحح کتب الحدیث ، کتب یدہ نسخة لمشکاة المصابیح بغایة الصحة و حشاشها و جعلہ ورقية ورقة یستفید منه الناس فی مجلس واحد و اورد فی حواشیہ دلائل باثبات مذہب الحنفیة و کان ینسخ و یقول انی جعلت بہا مشکاة المصابیح حنفياً و یقول العمل الذی عملتہ فی طول عمرہ ارجو اللہ بہ المغفرة هو هذا "المشکاة" =

مالك (٢٢) ايضاً كلاماً ابي حنيفة و اسأله و لعله نظر الى الاغاب
 و وصفه في شرحه على مسند الامام الاعظم برواية حصفي "بشيخنا و مولانا (٢٣)"
 و منهم العلامة الحافظ مسند عصره صاحب الطبقات الحنفية و مفتي مكة الشيخ قطب
 الدين (٢٤) المكي الحنفي المتوفى ٨٩٩٩ هـ حيث وصفه في رسالته "بيان فعل الخير اذا دخل مكة من
 حج عن الغير" "بعده المتأخرين و زبدة المتبحرين شيخنا مفتي المسلمين بحرم الله الامين مولانا

= توفي سنة ست و تسعين و تسع مائة بمكة المباركة .

و راجع تقصاريود الاحراز للنواب صديق حسن القنوجي ، المطبعة الشاهجهانية بهونال
 بالهند ١٢٩٨ هـ ص ١٠٠ .

(٢٢) راجع فتح المغطا شرح المؤطا و نسخته الخطية محفوظة في مكتبة صاحب العلم ،
 و هب الله شاه في قرية بئر جهنم بالسند وقد رأينا نسخة أخرى احسن منها عند العالم الكبير الشيخ
 محمد هاشم جان المجدي بقرية بُدُو سائين داد بالسند .

(٢٣) راجع مسند امام اعظم برواية حصفي مع شرح ملا علي قاري ص ٤ المطبع المجتباية
 دهل ١٣١٣ هـ .

(٢٤) قال الغزالي في ترجمته من كتابه الكواكب السائرة باعيان الائمة العاشرة (ج ٣ ص ٤٤)
 ما نصه :

محمد بن احمد علاء الدين بن محمد بن قاضي خان بن بهاء الدين بن يعقوب بن حسن بن علي
 النهرواني (النهر والى باللام نسبة لنهر واله بلدة في توابع كجرات بالهند) الشيخ الامام العلامة
 المحقق المدقق الفهامة ، الشيخ قطب ابن شيخ العلاء علاء الدين النهرواني (النهر والى) الاصل
 الهندي ثم المكي الحنفي و ما اورده في نسبه هو ما قرأته بخطه في استدعائه لشيخ الاسلام الوالد
 انه مشهور بالشيخ قطب الدين الهندي مولده سنة سبع عشرة و تسع مائة كما قرأته بخطه و اكبر
 من حدث عنه من المسنين الشيخ عبد الحق السنباطي و من اعظم مشائخه والده و الشيخ محمد ...
 التونسي و الشيخ ناصر الدين اللقاني و الشيخ احمد بن يونس ابن الشامي و الشيخ جمال الدين
 الحرباقي و اجتمع بشيخ الاسلام الوالد بمكة و بالشام ثم كتب اليه استدعاء في سنة سبع و سبعين
 و تسع مائة ليجهزه و يجهز اولاده فكتب اليه باجازه حافلة و ذكره ابن العنبري في تاريخه
 و اتى عليه قال و الم باللعتين التركية و الفارسية و من مؤلفاته طبقات الحنفية احترقت في جملة
 كتبه (قلت) و وقتت له على تاريخ كتبه لمكة المشرفة و كان بارعاً مفتناً في الفقه و التفسير و العربية
 و نظم الشعر و نظمه في غاية الرقة .

و قال عبد الحي الحسني في نزهة الخواطر ج ٤ ص ٢٨٦ ما نصه :

ولد بلاهور و اشتغل على والده بالعلم و رحل الى مكة المشرفة و اخذ عن الخطيب
 المعمر احمد محب الدين بن ابي القاسم محمد العقيلي النويري المكي و عن محدث اليمن و جبه الدين =

= عبد الرحمن بن علي الربيع الشيباني الزبيدي و عن الشيخ شهاب الدين احمد بن موسى بن عبد الغفار المغربي الاصل ثم المصري نزيل الحرمين عن والده و الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المالكي و والده الشيخ محمد بن عبد الرحمن و سار الى مصر سنة ثلاث و اربعين و تسع مائة و اجتمع بها بابي عبد الله محمد بن يعقوب العباسي المتوكل على الله المتوفى سنة خمسين و تسع مائة صرح به في تاريخ مكة ، قال و قد اجتمعت به و اخذت عنه في رحلتي الى مصر لطاب العلم الشريف في سنة ٥٩٤٣ هـ و كانت مصر اذ ذاك مشحونة بالعلماء العظام مملوءة بالفضلاء الفخام بمونة يمين بركات المشائخ الكرام كأنها عروس تتهادى بين اقبار و شمس .

ثم انقضت تلك السنون و اهلها فكأنها و كأنهم احلام .

و ذكر في تاريخ مكة انه اخذ الطريقة عن الشيخ علاء الدين الكرمانى القشندى المتوفى سنة تسع و ثلاثين و تسع مائة لعله كان قبل رحلته الى مصر .

و له سند عال لصحيح البخارى لا اعلم في الدنيا سندا اعلى من ذلك السند (و قد تكلم عليه الحافظ السيد عبد الحى الكتاني في ترجمته من كتابه فهرس الفهارس و الانبات حق التكلم بما لا مزيد عليه).

قلت و قد ترجم له القاضى محمد بن على الشوكاني في البدر الطالع قال و كان يكتب الانشاء لاشرف مكة و له فصاحة عظيمة يعرف ذلك من اطلع على مؤلفه البرق الباقى في الفتح العثماني و هو مؤلف الاعلام في اخبار بيت الله الحرام و كان عظيم الجاه عند الاتراك لا يبيع من كبرائهم الا و هو الذى يطوف به و لا يرتضون لغيره و كانوا يعطونه العطاء الواسع فكان يشتري بما يحصله منهم نفائس الكتب و يبذلها لمن يحتاجها و اجتمع عنده ما لم يجتمع عند غيره و كان كثير النزعات في البساتين و كثيراً ما يخرج الى الطائف و يصحب معه جماعة من العلماء و الادباء و يقوم بكفاية الجميع انتهى .

و اما مصنفاته فمن احسنها كتابه الاعلام باعلام بيت الله الحرام صنفه سنة خمسين و ثمانين و تسع مائة . . . و منها البرق الباقى في الفتح العثماني تاريخ اليمن من سنة تسع مائة عند اول الفتح العثماني على يد الوزير سليمان باشا الى ايام المؤلف الفه لوزير سنان باشا و يسمى ايضاً الفتوحات العثمانية للاقطار اليمنية و منها منتخب التاريخ في التراجم و منها بمشال الامثال النادرة و التمهيل و المحاضرة بالآيات الصفرية النادرة و منها الكنز الاسمي في فن المعنى .

و قال عيد القادر العيدروسى في النور السافر :

من افادات الشيخ قطب الدين رحمه الله تعالى ان لفظ "ابن خلكان" ضبط على صورة الفعلين خل امرأ من خلى اى ترك فعل ماض و كان الناقصة و سبب تسميته بذلك انه كان يكثر ان يقول كان والدى كذا ، و كان يجدى كذا فانه من البرامكة فقيل له خل كان قال : و رأيت من ضبطه =

قطب الدين (۲۵)“

فهؤلاء المعجزون المتقنون الذين اجازوه بمروياتهم و استفاد المولى على القارى منهم
و حصل له اجازة عامة عن غيرهم من السندين .
و منهم المعارف الفقيه الحديث الشيخ محمد بن ابى الحسن البكرى (۲۶) المصرى الشافعى
المتوفى ۹۹۴ هـ و قد ذكره المولى على القارى فى رسالته سم القوارض حيث قال :

= يسكون اللام و الباقى على حاله و الله اعلم“.

قال العصامى فى سط النجوم العوالى (ج ۴ ص ۳۳۷) .
فيها (سنة ۹۹۰) ايضاً كانت وفاة العلامة الشيخ قطب الدين النهروالى مفتى السادة الشافعية
يوم السبت السادس و العشرين من شهر ربيع الثانى منها وقت اذان حزورة عند الفجر الثانى“ .
(۲۵) راجع رسالته بيان فعل الخير اذا دخل مكة من حج عن الغير الورقة ۲۲۶ من
مجموعة رسائله المخطوطة فى مكتبة السكينة الشرقية ببشاور .

(۲۶) قال عنه المؤرخ عبد التادر العيدروسى المتوفى ۱۰۳۸ هـ فى كتابه النور السافر عن
اخبار القرن العاشر ما نصه :

و فى ربيع الثانى سنة ثلاث و تسعين توفى الاستاذ الاعظم قطب العارفين الشيخ محمد بن
الشيخ ابى الحسن محمد . . . ابن ابى بكر الصديق . . . البكرى البصيرى الشافعى الاشعرى
المصرى . . . كان هذا الشيخ من آيات الله فى الدرس و الابداء فكان اذا تكلم فيه تكلم بما يحير
العقول و يذهل الافكار بحيث لا يرتاب سامعه فى ان ما يتكلم به ليس من جنس ما ينال بالكسب ،
و ربما كان يتكلم فيه بكلام لا يفهمه احد من اهل مجاليه مع كون كثير منهم او اكثرهم على الغاية
من التمكن فى سائر مراتب العلوم الاسلامية و الاحاطة بفنونها فيذكر له ذلك بعد القيام من المجلس
فيقول : ليس ذلك يا عجب من حال المتكلم به فانى فيه منلهم ، و كان اليه النهاية فى العلم حتى كان
بعض ائمة العلوم و المعارف هناك ممن اتى عمره فى كسب العلوم الدينية و المعارف الربانية يقول :
و الله لا تدرى من اين هذا الكلام الذى نسمعه من هذا الاستاذ ؟ و لا تعلم له اصلاً يؤخذ منه ،
و لولا العلم بسد باب النبوة لاستدلنا بما نسمعه منه على نبوته ،

و اما مجالسه فى التفسير و ما يقرره فيها من المعانى الدقيقة و الابحاث الغامضة مع استيعاب
اقوال ائمة التفسير من السلف و الخلف ، و بيان اولها بالاعتدائه و ذكر المناجيات بين السور
و الآيات و بين اسماء الذات المقدسة و الصفات و مواضعها و ما قاله ائمة الطرق فى كل آية من
علوم الاشارة فان القرآن نزل بها ايضاً ، فذلك مما يحير العقول و يدهش الخواطر مع كون ما يلقبه
من ذلك كله فى الفاظ مختصرة بالغة فى الفصاحة و البلاغة و الجزالة و الايضاح الى الغاية التى ليس
وراءها غاية ، مع كون اكثرها اوجمها مسجماً مقفلاً معرباً موضوعاً فى محله الذى لا اولى منه به ، =

”شيخنا المبرور المغفور محمد بن ابي الحسن البكري“.

و منهم الشيخ العالم الفقيه بدر الدين الشهاوي الحنفي العنقي بالحرم المكي وقد وصفه في رسالته ”لسان الاهداء في بيان الاقتداء“.

”شيخنا بدرالدين الشهاوي الحنفي العنقي بالحرم المكي (٢٧)“.

و من ضمنهم الفقيه الواعظ الشيخ سنان الدين يوسف بن عبدالله الاساسي الروسي الحنفي ، نزيل مكة ، المعروف بسنان الواعظ صاحب قرة العين في المناسك الترتيبي في حدود الف وقد وصفه المولى علي القاري في رسالته ”بيان فعل الخير اذا دخل مكة من حج عن الغير“.

”بشيخنا فخر العلماء وذخر الصالحاء مولانا سنان الواعظ الروسي (٢٨)“.

و من جملتهم الشيخ المسند محمد بن علي بن احمد بن سالم الجنابي وقد ذكره في مقدسة كتابه مرآة المفاتيح حيث يقول :

”وقد حصل لي اجازة عامة و رخصة تامة من الشيخ العلامة علي (٢٩) بن احمد الجنابي

الاهري الشافعي الاشعري الانصاري و قد قال قرأت علي شيخ الاسلام و امام ائمة

= و لم يحفظ له احد هفوة في لفظ من الفاظه من جهة اعراب او تعريف او تقديم او تاخير او غير ذلك من هفوات الالسنه في تقرير العلوم ، و ما من درس من دروسه الا و هو مفتتح بخطبة بديهية او غير بديهية شاملة على الاشارة الى كل ما اشتمل عليه ذلك الدرس على طريق براعة الاستهلال، وهكذا كانت مجالسه في الحديث و الفقه ، و كل علم يتصدى لتقريره لا يفتن سامعه المتسكن في ذلك العلم الحافظ لاصوله وفروعه انه ترك في كل بحث كلمة لاحد من المتكلمين فيه مع ما يبديه هو من اختياريته الشريفة و كان الشعراء من فضلاء مصر المتمكنين في علوم اللغة و قواعد الشعر و مذاهب الانشاء يقصدون يوم ختمه فيكتبون القصائد البديعة في مدحه ، و بيان ما من الله به عليه من سائر النعم الظاهرة و الباطنة فتلى ، او المهم منها على رؤس الاشهاد في مجلسه الشريف و فيه خلائق من الخاصة و العامة ، و يجلس هو نفعنا الله ببركاته لاستماع ما يتلى منها بين يديه ، و يميز على كل منها و يظهر السرور بها لطفاً منه باصحابها و جبراً لخواطرم و مقابلة لحسن ظنهم و عقائدهم نفعنا الله ببركاته ، و قد اطال العيديرسي في ترجمته و افاد .

و انظر الغزوي : الكواكب السائرة ج ٣ ص ٦٧-٧٢ و كتابنا فوائد جامعه بر عجاله نافعه بالاردية و الشيخ عبد الحق الدهلوي : زاد المتقين في سلوك طريق اليقين بالفارسية .

(٢٧) راجع لسان الاهداء في بيان الاقتداء الورقة ٢٥٧ ضمن مجموعة رسائله المخطوطة في مكتبة الكلية الشرقية ببشار.

(٢٨) راجع رسالة بيان فعل الخير اذا دخل مكة من حج عن الغير الورقة ٢٢٦ ضمن مجموعة رسائله المخطوطة في مكتبة الكلية الشرقية ببشار .

(٢٩) اظن ان هنا قد سقط من المطبوعة بل من النسخ المخطوطة التي رأيتها في مكتبات =

الاعلام الشيخ جلال الدين (۳۰) السيوطي كتبنا من الحديث وغيره من العلوم
كالبخاري وسلم وغيرهما من الكتب الستة وغيرها البعض قراءة والبعض سماعاً وقد
اجازني بجميع مروياته وبما قرئني به وبما اجازته به خاتمة المحدثين مولانا الشيخ
ابن حجر (۳۱) العسقلاني قراءة وسماعاً ورواية و اجازة وعلى الشيخ القسطلاني
صاحب المواهب و شارح البخاري (۳۲) من اجلاء تلامذة العسقلاني و اجازني بمروياته

= باكستان الغربية اسم شيخ على القاري محد الذي اخذ عن السخاوي و السيوطي و الديلمي وغيرهم
وقد ثبت مكانه اسم ابيه و هو على بن احمد و لم يكن هو سناً معروفاً و شيخاً له و قد وقع
التصحيف في نسبه الجناني و الصحيح الجنابي كما ضبطه السخاوي في كتابه ضوء اللامع ج ۸ ص ۱۶۱،
و قال المؤرخ محي الدين عبد القادر العيدروسي في كتابه النور السافر عن اخبار اقرن العاشر
ص ۱۹۹ ما نصه :

و في شهر ربيع الثاني سنة خمس و ثلاثين (بعد التسعائة) توفي بن علي بن احمد بن سالم
الجنابي بيمين الأولى مضمومة بينها نون خفيفة ، نسبة لجناب قرية بين البحر اريية و سنهور من
الغربية ، ثم القاهري الازهرى الدي و ربما يعرف هناك بان و حشى بمكة و صلى عليه عند باب الكعبة
و دفن بالعلاء و كان مولده في سنة ستين او بعدها تقريباً ، و حفظ القرآن و نحو النصف الاول من مختصر
الشيخ و من الفية النحو ، و اشتغل عند داود القتاوي في الفقه و العربية بل و قرأ على السنهوري
النصف من توضيحها و سمع عليه غير ذلك و قرأ على الديلمي البخاري ، و سمع على السكك ابن
ابي شريف في سلم ، و على الشاوي في البخاري بحضرة الخيضرى كذا ذكر السخاوي قال : و حج
غير مرة و لقيني في سنة سبع و تسعين بمكة فقرأ على المؤطا ، و نحو النصف الاول من الشفاء بسباع
باقيه و لازمني في غير ذلك سماعاً و تفهماً و لديه استحضار و مشاركة و اختص بالشدس العلابي التاجر ،
ثم بابي الفتاح ابن كرمون و سافر معه الى اليمن فحصل بعض ما ارتفق به و عاد بعد اشهر في سنة
تسع و تسعين و استمر مقيماً بمكة بقرى ولد المشار اليه بعد رجوع الاب الى القاهرة ، و معه جارية
يقتنع بها و لا بأس به قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله اقول :

و قد رزق منها ذكران و بنت و انقطع بمنزله من وجع رجليه و تقرر في عدة وظائف ،
و ضرر نصار اولاده يباشرونها عنه بحيلة و اظهار فضيلة و استمر على ذلك حتى مات رحمه الله .

(۳۰) و قد ترجم السيوطي نفسه في كتابه حسن المحاضرة في اخبار مصر و القاهرة ج ۱
ص ۱۸۸-۱۹۰ ، القاهرة ۱۲۹۹ هـ و ايضاً راجع كتابنا "فوائد جامعته بر عجاله نافع" و فيه فوائد
حسنة ص ۳۵۰ طبع كراچي .

(۳۱) و قد ترجم ابن حجر لنفسه في كتابه رفع الاصر عن قضاة مصر ج ۱ ص ۸۵-۸۸
القاهرة ۱۹۵۷ م و مقدمة الكتاب (رفع الاصر) للدكتور حامد عبد المجيد و راجع كتابنا فوائد جامعته
بر عجاله نافع بالاردية ، فيه فوائد حسنة ص ۴۳-۴۴ .

(۳۲) اما كتابه ارشاد الساري بشرح صحيح البخاري هو من عمدة مؤلفاته قال الشيخ =

و مؤلفاته و هذا على ما يوجد من السند المعتمد في هذا الزمان المكرر المتكدر ثم اني
قرأت ايضاً بعض احاديث المشكاة على متبع بحر العرفان مولانا الشوير بميركلان (٣٣)

= عبد القادر العيدوروسى في ترجمته من كتابه النور السافر ما نصه :
"و من اجلها شرحه على صحيح البخارى مزجاً في عشرة اسفار لعله احسن شروحه
و اجمعها و الخصصها".

و قال الحافظ السيد عبد الحى الكتانى في كتابه فهرس الفهارس و الاثبات و معجم المعاجم
و المشيخات و المسلسلات (ج ٢ ص ٣١٨) ما نصه :

"قلت و كان بعض شيوخنا يفضله على جميع الشروح من حيث الجمع و سهولة الاخذ
و التكرار و الافادة بالجملة فهو للمدرس احسن و اقرب من فتح البارى فمن دونه".

اقول شرحه ارشاد السارى فاق فتح البارى من حيث شرح متون الحديث و حل مطاب
الكتاب و فتح البارى امتاز به في الخلافات و لذا كان شيخنا العالم الربانى و المجاهد الكبير
صاحب الآداب السنية و الاخلاق المرذية البهية السيد حسين احمد المدنى المتوفى ١٣٧٧ هـ رئيس
مشيخة دار العلوم بديوبند و شيخ الحديث بها يضعه امامه عند التدريس و كان رحمه الله جهورى
الصوت يقرأ و يسرد الحديث بصوت حسن فصيح بالتجويد حيث يعلم الطلبة ما يقرأه و القسطلانى
مزج المتن باشرح و مع ذلك حين يقرأ شيخنا لا يترك من متون الاحاديث لفظاً و لا حرفاً و لا يخلط
بين حرف من الشروح بالمتن حتى و لا سوياً و لا يترك التصليح و الترجمة و الترجم ابداً ، و الله
ما رأنا عيناى مثله في حسن قراءة الاحاديث مع آدابها قبله و لا بعده .

و قد سمعنا منه القسطلانى بتشديد اللام لا يتخفيفه و هذا هو الصحيح راجع تاج العروس
من جواهر القاموس مادة ق س ط ل و شرح الزرقانى على المواهب اللدنية للقسطلانى ج ١ ص ١٣١
مصر ١٣٢٥ هـ و تعليقات الكوثرى على ذبول تذكرة الحفاظ ص ٧٦ ، دمشق ١٣٤٧ هـ .

راجع ترجمته : ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٣ ص ١٠٥ مصر ١٣١١ هـ .

(٣٣) قال العلامة الشريف عبد الحى بن فخر الدين الحسى في كتابه "نزهة الخواطر و بهجة
المسامع و النواظر" (ج ٤ ص ٣٣١) ما نصه :

"الشيخ العالم المحدث محمد سعيد بن مولانا خواجة الحنفى الخراسانى المشهور بميركلان
كان من كبار العلماء ، ولد و نشأ و قرأ العلم على العلامة عصام الدين ابراهيم بن عرب شاه
الاسفرائينى و على غيره من العلماء ثم اخذ الحديث عن السيد نعيم الدين ميرك شاه بن
جمال الدين الحسى الهروى و لازمه مدة ثم سافر الى الحرمين الشريفين فجع و زار
و سكن بمكة المباركة مدة ، اخذ عنه الشيخ على بن سلطان القارى الهروى صاحب
العقاة و السيد غضنفر بن جعفر الحسى النوروالى و خلق كثير من العلماء .

و كان عالماً كبيراً محدثاً محققاً لما ينقله كثير الفوائد جيد المشاركة في العلوم له يد طولى في =

هو قرأ على زبدة المحققين و عمدة المدققين ميرك شاه (۳۴) و هو على والده السيد السنډ مولانا جمال الدين (۳۵) المحدث صاحب روضة الاحباب و هو على عمه

= الحديث ، درس و افاد مدة حياته مع الطريقة الظاهرة و الصلاح .

مات ببلدة آگره سنة احدى و ثمانين و تسع مائة و له ثمانون سنة ذكره البدايوني .

(۳۴) قال الميرزا محمد باقر الخوانساري في ترجمة الشيخ جمال الدين المحدث من كتابه

”روضات الجنات (ج ۱ ص ۴۵۰)“

”وكان ولده (جمال الدين المحدث) الانجد المشتهر بالامير نسم الدين محمد الملقب بميرك شاه ايضاً في تكديل العلوم و الفنون و لاسيما علم الحديث و حيد زمانه و فريد اقرانه قد قام مقام والده المعظم في المقبرة المنورة المذكورة مستغلاً بالافادة و التدريس بمقتضى تعيين الواقف المؤسس لهذا التأسيس“.

و لم يذكر المؤرخ ميرخاند سنة وفاته في كتابه روضة الصفا و لم اقف عليه .

(۳۵) قال الميرزا محمد باقر الخوانساري في ترجمته من كتاب روضات الجنات في احوال

العلماء و السادات (ج ۱ ص ۴۴۹) ما نصه :

”السيد الفاضل المحدث السنن جمال الدين ميرزا عطاء الله بن الامير فضل الله الشيرازي الدشكي الملقب بجمال الحسيني صاحب كتاب روضة الاحباب في سيرة النبي و الآل و الاصحاب ، ذكره صاحب مجاز المؤمنين بعد ترجمة عمه الاجل الاكمل الامير اصيل الدين عبد الله الحسيني الدشكي الشيرازي صاحب كتاب درج الدرر في احوال سيد البشر و رسالة مزارات هرات و غيرها و نقله عن كتب السير ان وفاته كان في سابع عشر شهر ربيع الاول من سنة ثلاث و ثمان مائة و اعترافه بان هذه السلسلة الرفيعة لم يزل كانوا يدرسون كتب احاديث اهل السنة من شدة مراعاتهم النقية الى ان رأى واحد من اكابرهم النبي صلى الله عليه وسلم في منابه انه اراه كتاب المشكاة و سأل عن صحة احاديثه و ضعفها فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم من يده و تصفحه ورقة ورقة و ضرب على موضوعات احاديثه انابل الرد و المجهود بحيث بقى على نسخة كتابه المذكور اثر نحو الحضرة النبوية الى هذا الزمان و هي بعينها موجودة يزورونها بعد تقديم مراسم الطهارة و الحمد و الصلاة و نحوها و اول من ترك مطالعة احاديث هذه الفرقة الغاوية من هذه السلسلة ببركة ذلك المنام و اشتغل بالحكمة و الكلام هر الامير صدر الدين محمد الحسيني الدشكي الشيرازي و والد الامير غياث الدين منصور كما سيأتي في ترجمته ان شاء الله و الآخرون كانوا يتوسلون بمباحثة اخبار هؤلاء عند اكابرهم و ينتعمون بهذه الوسيلة من عاجلهم فقال في ذيل ترجمته بالفارسية ما يؤدي هذا المعنى كان الامير جمال الدين عطاء الله المذكور من جملة مصاديق ”علماء امي كانبيا بني اسرائيل“ و من ورد في شأنه ”العلماء و رثة الانبياء“ على سبيل التعظيم و التبجيل حده التأييد و التوفيق الى تحقيق احوال الاخبار و الاحاديث مع كمال التنسيق فصرف عمره الشريف في تتبع اقوال النبي صلى الله عليه وسلم المصطفى و افعاله =

= الى ان صارت صحاح كلماته المنتشرة في العالم وحسانها تحفة الاصحاب ورياض سيره وشأنه المطبوعات روضة الاحباب واصبحت سدنة السنية كما ذكره صاحب السير .

ملاذ طوائف اشراف الانام وعتبة العلية فجمع اعظم السادات المنتخبين الاعلام وقد صار مثل عمه الهاجد الامير سيد اصيل الدين فريداً في علم الحديث بسعيه المتين و ساهرا في سائر اقسام العلوم الدينية و انواع الفنون اليقينية وكان اشتغاله بالتدريس و الافادة في المدرسة السلطانية في قبة فيها مقبرة الخاقان المنصور وكذا في الخانقاه الاخلاصية وكان يذهب في كل اسبوع مرة الى الجامع الاعظم من مدينة هراة و يقوم هناك بحق الارشاد و الهداية الى ما فيه النجاة و لكنه الآن على خلاف السابق معتكف في زاوية العزلة عن الخلائق و مشغول بادخار الثوبات الاخروية على الوجه اللائق و لذا ترى سلاطين الايام و سائر الاكابر و الحكام يظهرهم كمال الارادة اليه و يتبركون ببينل صحبة الهاجدة لادراك بعض ما وجدوه لديه من جملة مؤلفات حضرته العليا كتاب روضة الاحباب في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم و الآل و الاصحاب سار في الاشتهار بين جميع الاقطار كمثل الشمس في رابعة النهار و الانصاف ان الاتيان بمثله من قبل الادماء على الامر المحال انتهى .

اقول قوله مراعاتهم التقية الخ افتراء و كذب صريح لم يكن التقية من شعار افراد هذه العائلة الشريفة ولاهم من الرافضة و المترجمون المحققون ذكروه في عداد اهل السنة و الجماعة و هذا هو الصحيح .

و القاضي نور الله التستري المتوفى ١٠١٤ هـ كان من غلاة الرافضة و هو اول رافضى عد الجبال المحدث من الرافضة بل زاد على ذلك فعد اسلافه و اخلافه الكرام من الروافض و كان هذا دأب التستري لاسيما مع كبار اهل السنة و الجماعة و كان يهدف الى خلق تبليل الافكار في الناس في امورهم و تلبس شئونهم ثم الذين جاؤا بعد التستري من الشيعة حدوا حدوه و اوردوا ترجمته من كتابه "مجالس المؤمنين" و ذكروه من الرافضة .

و المؤرخون من اهل السنة كالفاضل غياث الدين بن هام الدين الهروي المتوفى ٩٤٤ هـ و غيره لم يذكره في ترجمته شيئاً يشير الى تشيعه او الى رفضه و لا يوجد تلميذ من تلامذة الجبال المحدث نسب اليه الرفض و التشيع و قد روى عنه اسجدثون المقتنون و هم يفتخرون بانقاذ شيخنا لهم و لا يذكرونه الا بخير و يعدونه من ائمتهم من اهل السنة و الجماعة .

و كتابه "روضة الاحباب في سير النبي و الآل و الاصحاب" فقد دس فيه بعد موته فانه صنعه في ايام حياة شيخه و عمه السيد اصيل الدين المتوفى ٨٨٣، ٨٨٤ هـ و عاش بعده ثمان و اربعين سنة و حصل له التداول و القبول و لكن لم يوجد في كتابه شيء من الرفض و لو كان فيه رفضاً لعرف في حياته و اشتهر ذلك عنه فذلك دليل قوي على ان الاشعار التي ذكرها مخدوم الملك (كما سييء ذكرها) دست في كتابه روضة الاحباب و هذا من المكالذ التي عرف الرافضة بها و قد نيه عليها =

السيد اميل الدين الشيرازي روى انه ادرك من اكابر العلماء احدا وثمانين منهم

= رئيس متكلمي الهند وفتحها العلامة الشيخ عبدالعزيز الدهلوي في كتابه التحفة الاثنا عشرية فقال: "و من مكالمهم انهم يزيدون بعض الابيات في شعر احد ائمة اهل السنة مما يوذن بتشييعه كما فعلوا في ديوان حافظ الشيرازي و ديوان مولانا الرومي و الشيخ شمس الدين تبريزي قدس سره".

و لدسهم بعض الاشعار في كتابه روضة الاحباب انكر مخدوم الملك على هذا الكتاب من تصنيفات السيد جمال الدين المحدث و علق عليه و نقل المؤرخ البدايوني عن الفقيه المحدث الشيخ عبد الله بن شمس الدين الاتصاري السلطانفوري المشهور بمخدوم الملك المتوفى ٩٩٠-٩٩١ هـ انه كان يقول ان روضة الاحباب ليست من مصنفات الامير جمال الدين المحدث كان يستشهد بشعر في متبقة سيدنا على رضی الله عنه اورده الجال في المجلد الثالث من ذلك الكتاب.

همين بس بود حق نمائی او كه كردند شك در خدائی او

ثم التفت الى و قال انظر كيف بالغ في بدحه حتى جاوز عن الرفض الى عقيدة السحلول ، اعاذنا الله سبحانه منها ، فقلت له هذا ماخوذ من قول الشافعي حيث قال :

لو ان المرتضى ايدا محله لصار الناس طرا سجد له
كفى في فضل مولانا على وقوع الشك فيه انه الله

فنظر الى شزرا و نازعني في صحة النقل فقلت له نقلها المير حسين الميبيدي في شرح ديوان الشعر لسيدنا على رضی الله عنه فقال ان الميبيدي ايضاً منهم فقلت له اني سمعت من بعض الثقات ان المجلد الثالث من روضة الاحباب ليس من مصنفات الامير جمال الدين المحدث بل لابنه ميرك شاه فقال اني وجدت في المجلد الثاني ايضاً بعض المناكير فعلقت عليها الحواشي انتهى .

هذا ايضاً دليل على ان مخدوم الملك كان متيقناً بان جمال الدين المحدث و ابنه ميرك شاه كانا من اهل السنة و الجماعة .

قال مير خواند المتوفى ٩٠٣ هـ في ترجمته من كتابه روضة الصفا في سيرة الانبياء و الملوك و الخلفاء بالفارسية (ج ٧ من ٧٢ طبع بمبئي ١٢٦٦ هـ) الامير السيد اميل الدين عبدالله بن عبد الرحمن ابن عبداللطيف بن جلال الدين محيي الحسيني استاز بالاصالة و الجلالة و النباهة و فاق الاقران و كان يفسر حقائق الصحف الالهية و اسرارها و يبين دقائقها و معارفها و لسانه ينثر الدرر كان رحمه الله عديم النظير في علم التفسير و الجدل و الانشاء و في عهد الملك خاقان سعيد غادر مسقط رأسه شيراز الى هراة و توطنها و كان يلقي الوعظ في الاسبوع مرة واحدة في مدرسة مهد عليا گوهر شاد آغا و يرشد الناس و كان مواظباً على ذكر سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم و سيره في الربيع الاول و يقيد الناس افادة تامة، توفي سابع عشر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين او اربع وثمانين وثمانمائة .

و من مؤلفاته درج الدرر في ميلاد سيد البشر ، و شرح الحصن الحصين . =

”مولانا محمد (٣٦) بن محمد بن الجزرى

(٣٦) قال الشيخ ابو الخير طاش كبرى زاده فى الشقائق النعمانية :

”الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن يوسف الجزرى يكنى بابى الخير ولد فيها حقه نفسه من لفظ والده فى ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة احدى وخمسين وسبع مائة بدشق وحفظ القرآن سنة اربع وستين وصلى به سنة خمس وستين وسمع الحديث من جماعة وافرد القراءت على بعض الشيوخ وجمع السبعة فى سنة ثمان وستين وحج فى هذه السنة ثم رحل الى الديار المصرية فى سنة تسع وجمع القراءت العشرة والائنتى عشرة ثم الملائث عشرة ثم رحل الى دمشق وسمع الحديث من اصحاب الديباجى والابرقوهى واخذ الفقه عن الأستوى وغيره ثم رحل الى الديار المصرية وقرا بها الاصول والمعانى والبيان ورحل الى اسكندرية وسمع من اصحاب ابن عبد السلام وغيرهم واذن له بالافتاء شيخ الاسلام ابو الفداء اسماعيل بن كثير سنة اربع وسبعين وسبع مائة وكذلك الشيخ ضياء الدين سنة ثمان وسبعين وكذلك شيخ الاسلام البلقينى سنة خمس وثمانين ثم جلس للاقراء وقرا عليه القراءت جماعة كتيرون وولى قضاء الشام سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة ثم دخل الروم لما ناله من الظلم من اخذ امواله وغيره بالديار المصرية فى سنة ثمان وتسعين وسبع مائة فنزل بمدينة بروسا دار الملك الكليل المجاهد بايزيد بن عثمان فأكمل عليه القراءت العشر بها جماعة كتيرون من اهل تلك الديار وغيرهم واما كانت الفتنة العظيمة المشهورة من قبل تيمور خان فى اول سنة خمس وثمان مائة فاخذ الامير تيمور معه الى ساوراء النهر وانزل بمدينة كاش ثم الى سمرقند وقرا عليه فى كل منها جماعة كتيرون واما توفى الامير تيمور خان فى شعبان سنة سبع وثمان مائة فخرج من بلاد ما وراء النهر فوصل الى خراسان ودخل هراة ثم الى مدينة يزد ثم الى اصبهان ثم الى شيراز فقرأ عليه فى كل منها جماعة بعضهم السبعة وبعضهم العشرة والزمه صاحب شيراز بير محمد قضاء شيراز ونواحيها فبقى فيها كرها حتى فتح الله عليه فخرج منها الى البصرة ثم فتح الله له المجاورة بمكة والمدينة سنة ثلاث وعشرين وحين اقامته بالمدينة قرأ عليه شيخ الحرم والف فى القراءت كتاب النشر فى القراءت العشر فى مجلدين ومختصره التريب وتعبير التيسير فى القراءت العشرة وطبقات القراء وتاريخهم كبرى وصغرى التى نقلت هذه الترجمة من صغرها واما اخذ الامير تيمور خان الى ماوراء النهر الف هناك شرح المصباح فى ثلاثة اسفار والف فى التفسير والحديث والفقه ونظم قديما غاية المهرة فى الزيادة على العشرة ونظم طيبة النشر فى القراءت العشر والجوهرة فى النحو والمقدمة فيها على قارئ القرآن ان يعلمه وغير ذلك فى فنون شتى هذا ما حكاه الجزرى عن نفسه فى طبقاته الصغرى نقلته عن خطه.

وقال بعض تلامذته بخطه قال الفقير المغترف من بماره توفى شيخنا رحمه الله ضجوة الجمعة لخمس خلون من اول الربيعين سنة ثلاث وثلاثين وثمان مائة بمدينة شيراز ودفن بدار القراء التى انشأها وكانت جنازته مشهورة. تبادل الاشراف والخواص الى حملها وتقبيلها وسها تبركا =

و الشيخ مجد الدين (۳۷) الفيروز آبادی صاحب القاموس والعلامة السيد الشريف (۳۸) الجرجاني

= بها ومن لم يمكنه الوصول الى ذلك كان يتبرك بمن يتبرك بها وقد ندرس بموته كثير من مهام الاسلام رضى الله عنه وعن اسلافه و اخلافه .

ومن جملة تصانيف الشيخ المذكور كتاب الحصن الحصين في الدعوات الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم و هو كتاب نفيس جدا ثم اختصره اختصارا غير محل انتهى الشقائق النعمانية ج ۱ ص ۳۹-۴۲ و راجع ابن الجزري: غاية النهاية ج ۲ ص ۲۴۸-۲۵۱ .

(۳۷) قال طاش كبرى زاده في كتابه الشقائق النعمانية :

المولى الفاضل صاحب القاموس و هو مجد الدين ابوطاهر مجد بن يعقوب بن مجد الشيرازي

الفيروزآبادي ،

وكان ينتسب الى الشيخ ابي اسحاق الشيرازي صاحب التنبيه وربما يرفع نسبه الى ابي بكر الصديق رضى الله عنه و كان يكتب بخطه الصديقي دخل بلاد الروم و اتصل بخدمة السلطان المذكور و نال عنده مرتبة و جاها و اعطاه السلطان مالا جزيلا و اعطاه الامير تيمور خان خمسة آلاف دينار ثم جال البلاد شرقاً و غرباً و اخذ من علمائها حتى برع في العارم كلها سيما الحديث و التفسير و اللغة و له تصانيف كثيرة تيف على اربعين مصنفاً و اجل مصنفاته اللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم و العباب و كان تمامه في ستين مجلدة ثم لخصها في مجلدين وسمى ذلك الملخص بالقاموس المحيط و له تفسير القرآن العظيم و شرح البخاري و المشارق .

و كان رحمه الله لا يدخل بلدة الا و اكرمه و اليها و كان سريع الحفظ و كان يقول لا انا و الا و احفظ ما تاتي سطر و كان كثير العلم و الاطلاع على المعارف العجيبة و بالجملة كان آية في الحفظ و الاطلاع و التصنيف .

ولد سنة تسع و عشرين و سبع مائة بكازرين و توفي قاضياً بيزيد من بلاد اليمن ليلة العشرين من شوال سنة ست او سبع عشرة و ثمان مائة و هو متع بحواسه و دفن بقرية الشيخ اساعيل الجبرقي و هو آخر من مات من الرؤساء الذين انفرد كل منهم بفن فاق فيه اقرانه على رأس القرن الثامن و هم الشيخ سراج الدين البلقيني في الفقه على مذهب الشافعي رحمه الله و الشيخ زين الدين العراقي في الحديث و الشيخ سراج الدين بن الملقن في كثرة التصانيف في فن الفقه و الحديث و الشيخ شمس الدين الفناري في الاطلاع على كل العلوم العقلية و النقلية و العربية و الشيخ ابو عبد الله بن عرفة في فقه المالكية و في سائر العلوم بالمغرب و الشيخ مجد الدين في اللغة رحمه الله تعالى رحمة واسعة انتهى ج ۱ ص ۳۲-۳۴ و راجع السخاوي : الضوء اللامع ج ۱ ص ۷۹-۸۶ ، السيوطي : بغية الوعاة ص ۱۱۷-۱۱۸ ، ابن العماد شذرات الذهب ج ۷ ص ۱۲۶ ، ۱۳۱ ، و مقدمة تاج العروس .

(۳۸) قال القاضي مجد بن علي الشوكاني العتوي ۱۲۵۰ هـ في البدر الطالع بمحاسن من بعد =

وسمع منه مولانا نور الدين (۳۹) الجاسمی قدس سره الساسی وغيره توفي سنة اربع وثمانين وثمانمائة

= القرن السابع (ج ۲ ص ۴۸۸-۴۹۰).

السيد على بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني عالم الشرق و يعرف بالسيد الشريف و هو من اولاد محمد بن زيد الداعي بينه وبينه ثلاثة عشر ابياً ولد سنة اربعين و سبعمائة اشتغل ببلاده و قرأ المفتاح على شارحه و كذا اخذ شرح المفتاح للقطب عن ابن مؤلفه محاض الدين ابن ابى الخير على و قدم القاهرة و اخذ بها عن اكمل الدين وغيره و اقام بسعيد السعداء اربع سنين ثم خرج الى بلاد الروم ثم لحق ببلاد العجم و صار بها في جميع العلوم العقلية و غيرها مشغولاً بها مصنفاً في جميع انواعها متبحراً في دقيقتها و جليلها و طار صيته في الآفاق و انتفع الناس بمصنفاته في جميع البلاد و هي مشهورة في كل فن يحتاج بها اكابر العلماء و يتقارن منها و يوردون و يصدرون عنها فن مصنفاته المشهورة شرح المفتاح و شرح المواضع العضدية و شرح الجعيني في علم الهيئة و شرح فرائض الجنية و له مصنفات غير هذه و تصدى للاقراء و الاقتاء و اخذ عنه الاكابر و بالفقوا في تعظيمه لاسيما علماء العجم و الروم فانهم جعلوه هو و السعد التفتازاني حجة في علمها و قد جرى بينها مباحثات في مجامع تمولك و اختلف الناس في عصرها و فيما بعده من العصور من المحقق منها و مازال الاختلاف بين العلماء في ذلك دائراً في جميع الأزمنة و لاسيما علماء الروم فانهم يجعلون من جملة اوصاف اكابر علمائهم انه كان يميل الى ترجيح جانب الشريف او الى ترجيح جانب السعد لما لهم بها و بما جرى بينهما من الشغلة و قد كان اهل عصر صاحب الترجمة يفتخرون بالاخذ عنه ثم صار من بعدهم يفتخرون بالاخذ عن تلامذته و مصنفاته نافعة كثيرة المعاني و افحجة الالفاظ قليلة التكلف و التعقيد الذي يوتغ فيه عجمة اللسان كما يقع في مصنفات كثير من العجم و توفي يوم الاربعاء سادس ربيع الآخر سنة ست عشرة و ثمانمائة بشيراز و قيل في اربع عشرة و ثمانمائة .

و زاجع السخاوي : الضوء اللامع ج ۵ ص ۳۲۸-۳۳۰ السيوطي : بقية الوعاة ص ۳۰۱ .

(۳۹) قال طاش كبرى زاده في كتابه الشقائق العانية (ج ۱ ص ۲۹۳)

الشيخ العارف بالله عبد الرحمن بن احمد الجاسمی ولد رحمه الله بجم من قرية خراسان و اشتغل اولاً بالعلم الشريف و صار من افضل عصره في العلم ثم صحب مشايخ الصوفية و تلقن كلمة التوحيد من الشيخ العارف بالله تعالى سعد الدين كاشغري و صحب مع خواجه عبيدالله السمرقندي و انتسب اليه اتم الانتساب و كان يذكر في كثير من تصانيفه اوصاف خواجه عبيد الله و يذكر بحبه له .

و كان مشتهراً بالعلم و الفضل و بلغ صيت فضله الى الآفاق حتى دعاه السلطان بابيزيد خان الى مملكته و ارسل اليه جوائز سنوية و كان يحكي من اوصلها اليه انه جهز آلات السفر و سافر من خراسان متوجهاً الى بلاد الروم و لما انتهى الى همدان قال للذي اوصله الجائزة اني امتثلت امره الشريف حتى وصلت الى همدان و بعد ذلك اتشيت بذيل الاعتذار و ارجو العفو منه اني لا اقدر =

قال اروى كتاب المشكاة عن مولانا شرف الدين (ع) الجرمي و هو يروى عن خواجه

= على الدخول الى بلاد الروم لما سمع فيها من مرض الطاعون .

وحكى المولى الاعظم سيدى محى الدين الفنارى عن والده المولى على الفنارى انه قال والده وكان هو قاضيا بالعسكر المنصور للسلطان محمد خان ان السلطان قال لى يوماً ان الباحثين عن علوم الحقيقة المتكلمون والصوفية والحكماء ولا بد من المحاكمة بين هؤلاء الطوائف قال والذى قات للسلطان محمد خان لا يقدر على المحاكمة بين هؤلاء الا المولى عبد الرحمن الجامى قال قال فارسل السلطان محمد خان اليه رسولا مع جوائز سنوية و التهنس منه المحاكمة المذكورة فكتب رسالة حاكم فيها بين هؤلاء الطوائف فى مسائل. ست منها مسئلة الوجود و ارسلها الى السلطان محمد خان و قال ان كانت الرسالة مقبولة يلحقها بياق بيان المسائل و الا فلا فائدة فى توضيح الاوقات فوصلت الرسالة الى الروم بعد وفاة السلطان محمد خان قال المولى محى الدين الفنارى و بقيت ذلك الرسالة عند والدى و اظن انه قال انها عندى الآن .

و له نظم بالفارسية يرجعونه على نظم بعض الساف و له منشآت لطيفة بالفارسية و هى فى غاية الحسن و القبول عند اهل الانشاء و له مصنفات آخر منظومة و منثورة منها شرح الكافية و قد لخص فيه ما فى شروح الكافية من القوائد على احسن الوجوه و اكملها مع زيادات من عنده و قد كتب على اوائل القرآن العظيم تفسيراً ابرز فيه بعضاً من بطون القرآن العظيم و له كتاب شواهد النبوة بالفارسية و له كتاب نجات الانس بالفارسية ايضاً و كتاب سلسلة الذهب و قد طعن فيها على طوائف الرفضية و له غير ذلك من التصانيف كرسالة المعنى و المعروف و القافية و كل تصانيفه مقبولة عند العلماء الفضلاء و توفى قدس سره بهرات سنة ثمان و تسعين و ثمانمائة و قال المؤرخ فى تاريخه (و من دخله كان آتياً) .

قبل لما توجه الطائفة الطاغية الاديبلية الى خراسان اخذ ابنه ميماً من قبره و دفنه فى ولاية اخرى و لما تسلط عليها الطائفة المذكورة نبشوا قبره فلم يجدوه و احرقوا ما فيه من الاخشاب انتهى و ارجع ابن الهادي: شذرات الذهب ج ۷ ص ۳۶۰-۳۶۱ الخوانسارى ج ۱ ص ۴۳۷-۴۳۸ .

(ع) قال السخولى فى ترجمته من كتابه الضوء اللامع : (ج ۴ ص ۱۸۱-۱۸۲)
 (الشيخ) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن نصر الله جمال الدين القرشى البكرى الصديقى
 الجرمي للمحقق الشيرازى المولد الشافعى (وجره بكسر الجيم و فتح الراء) .
 قال الجوهرىنى :

ولد فى ليلة الخميس ثالث صفر سنة اربع و اربعين و سبع مائة بشيراز و حفظ القرآن و هو ابن ست و اخذ عن ابيه رواية و دراية و تفقه باخيه الغياث ابى محمد عبدا لله و استاذه الفخر احمد ابن محمد السمرقندى وعبدا لله بن محمود بن نجم الشيرازى وسمع الكشاف على القاضى العضد =

امام الملة والدين علي (٤١) بن مبارك شاه الصديقي و هو يروى عن المؤلف (٤٢) و هذا الاستاد لا يوجد اعلى منه للاعتقاد

= و عليه و على القوام و المعمر امام الدين حمزة بن محمد التبريزي و سعد الدين محمد بن مسعود البلياني و فريد الدين عبد الودود بن داود و المجد اسماعيل الغالي الشيرازي سمع عليهم الحديث و في آخرين من اولئهم ابو الفتوح الطاوسي بل حج معه حجة الاسلام و سمع من امام الدين علي بن مبارك شاه الصديقي الساوي قديما في سنة خمسين الصحاح و غيره و ارتحل فاخذ بمكة عن العفيين يقال ان روايته عنه بالاجازة و المجد الفيروزآبادي و الشرف ابي الروح عيسى العجلي و ليس منه البخرة بلباسه لها من الشمس محمد الخابوري قال عن السهروردي وكذا ليس عن النور محمد بن عبدالله الكرماني عن المجد بن الشهاب فضل الله التوربشتي عن والده عن السهروردي .

و من شيوخه غازي بن عبد الله المزني احمد اصحاب الفخر بن البخاري و ممن اجاز له من اصهبان ابر الفتوح محمد بن محمد الايسى و هو مكتر سموعاً و شيوخاً بالنسبة لاهل ناحيته حتى انه سمع البخاري على نيف و سبعين شيخاً و صحيح مسام على عشرة فاكتر و كمل له سماع الكتب الستة و المؤطا و مسند الشافعي و الدارمي و غيرها و ذكرت شيئا منها في تاريخ المدينة و اكثر المجاورة بالحرمين حتى انه حج اكثر من ثلاثين مرة و حدث بها و ببلاذ فارس بالكثير حتى في مرض موته ، سمع منه الائمة و ممن سمع منه ولد العفيف محمد فقرأ عليه اشياء و ذكره في مشيخته و بانغ في مدحه فقال :

كان شيخاً كبيراً عالماً ناسكاً حج قريباً من خمسين حجة و اكثر المجاورة بالحرمين و سمع و اسمع سنين عديدة و قال ادركت من ثلاث مائة شيخ بالسماح و القراءة و الاجازة بشيراز و العراق و مصر و الشام و الحجاز قال و شهرته تفنى عن بسط القول فيه و ممن سمع عليه السني ابن فهد و ابناه و قرأ عليه ابو الفرج المراءغي سنة احدى و عشرين بالروضة النبوية في المصاييح و سمع عليه ذلك و كان كثير العبادة و التلاوة و الصيام مع كبر سنه حريصاً على ايقاع الخمس في الجاعات و مات في ليلة الاحد سابع عشرين سنة ثمان و عشرين ببلاذ لار .

(٤١) قال ابن حجر العسقلاني في ترجمة علي بن مبارك شاه الساوي من كتابه الدرر النكاسة في اعيان المائة الثامنة (ج ٣ ص ٨٥) حيدر آباد الدكن الهند ١٣٧٣ هـ ما نصه :

”علي بن مبارك شاه بن ابي بكر الساوي الشيرازي يلقب امام الدين و ولد سنة ٧٠٩ هـ و سمع من الحافظ المزني و غيره قال ابن الجزري في شيخة الجنيد البلياني : كان اماماً علامة جمع بين العلم و العمل و سمع بدمشق و مصر و القدس و غيرها و رجع الى شيراز بعلم كبير و شهر السنة بها و ام يؤرخ وفاته“.

(٤٢) هو ولي الدين، ابر عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب العمري التبريزي من رجال القرن =

الثامن للهجرة .

كان رحمه الله من العاملين والمجددين المتقين وعباد الله المخلصين اخذ العالم عن الفقيه المحدث المفسر المتكلم العلامة شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (الآتي ذكره) و لازمه فصل و وصل و كمل و لم نجد له فيما بين ايدينا من كتب التراجم ترجمة له الا من شرحوا المشكاة المصاييح ذكروا له ترجمة لاتزيد على جملة او جملتين ، قال شيخه الامام العالم الرباني و العارف بالاحكام و المعاني حسين بن محمد الطيبي اول شارحي المشكاة .

”بغية الاكباد ، قداب الصابغاء شرف الزهاد و العباد ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب“

و قال في حقه الحافظ ابن حجر الهيتمي الدي الشافعي في كتابه فتح الاله في شرح المشكاة ما لفظه :

”العلامة المحقق ولي الله (الدين) محمد بن عبد الله التبريزي الشافعي“

و قال عنه المولى على القاري :

مولانا الجبر العلامة ، و البحر الفهامة ، مظهر الحقائق ، و موضح الدقائق الشيخ التقي النبي

و قال المحدث الفقيه الشيخ عبد الحق الدهلوي في حقه في شرحه لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصاييح ما نصه حرفياً :

”للشيخ العالم العجل السالك الناسك الوارع البارع الفاضل الكامل ولي الدين

عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي طيب الله ثراه و جعل الجنة مثواه“

و قد وصلنا من مؤلفاته ”مشكاة المصاييح“ و ”الاکال في أسماء الرجال“ منذ كتب الطيبي حاشية الكشاف (نوح الغيب في الكشف عن تنازع الريب) و بذل جهده في تبين وجوه القرائت و تصحيح الاحاديث و الروايات و تحقيق لغاته و تدقيق كتابه و وقع في قلبه ان يجمع كلام رسول الله و يشرح كما شرح كلام الله . فذكر ذلك لتلميذه الخطيب التبريزي و استشاره فانفق هو و شيخه على تهذيب مصاييح السنة للبغي و استدراكه لكونه احسن ترتيباً من حيث الجمع فانه وضع دلائل الاحكام على نهج يستحسنه الفقيه و وضع الترهيب و الترغيب على ما يتضمه العام و يرتضيه و لو فكر احد في تغيير باب عن موضعه ام يبداه موضعاً انسب مما اقتضى رأيه رحمه الله ، فشر له عن ذراعه و حسر له عن تناعه و استفرع فيه الوسع و الطاقة و اصالح الخال و جمع الشتات و استدرك عليه و بلغ فيه النهاية و ساه مشكاة المصاييح فرغ من جمعه آخر يوم الجمعة من رمضان عند رؤية هلال شوال سنة سبع و ثلاثين و سبع مائة و عرضه تحفة للعيد على شيخه فاستحسنه و استجاده و بدأ =

= الطيبي في شرحه فشرح شرحاً حسناً .

و جعل الخطيب يدرس هذا الكتاب و يفيد فروى عنه تلميذه على بن مبارك شاه الصديقي
و من حيث الرواية المتصلة بالاسناد المتصل الى المؤلف هي سلسلة الوحيدة اشتهرت في انحاء العالم
الاسلامي و عمت .

ثم جمع الخطيب التبريزي في كتاب رجال المشكاة و ساء الاكمال في اسماء الرجال و هذا
الكتاب مشتمل على بابين :

الباب الاول في ذكر الصحابة ذكرهم و انسابهم و من بعدهم من التابعين و غيرهم من له
ذكر او رواية في كتاب المشكاة مراتب على حروف التهجي و اذكر الكنية من اشتهر بها في حروف
الكنية دون حروف اسماء في حروف الاسم مثل ابي هريرة اسمه عبد الله او عبد الرحمن اذكره في حرف
الهاء لا في حرف العين .

و الباب الثاني في ذكر من لهم الاصول من المذكورين في اول المشكاة و غيرهم و ان
لم تذكرهم في اولها رضوان الله عليهم اجمعين .

و قال في آخره :

فرحنا الله هذه تصنيفاً يوم الجمعة عشرين رجب الحرام الفرد سنة اربعين و سبعمائة (لم يأت
بعد ذلك خبر عن المؤلف و المظنون انه مات بعد ذلك و قد جزم اساعيل باشا في ترجمته من كتابه
هدية العارفين طبع استنبول ١١٩٥٥ ج ٢ ص ١٥٦ بان تاريخ وفاته سنة تسع و اربعين و سبع مائة
و هو خطأ منه حيث لم يذكره مؤرخو صاحب الترجمة سواه) من جمعه و تهذيبه و تشذيبه و انا
اضعف العباد الراجي الى عفوانه تعالى و غفرانه محمد بن عبيد الله (عبد الله) الخطيب بن محمد بمعاونة
شيخي و مولائي سلطان المفسرين امام المحققين شرف الملة و الدين حجة الله على المسلمين الحسين
ابن عبد الله بن محمد الطيبي متعهم الله بطول بقائه ثم عرضته عليه كما عرضت المشكاة فاستحسنه كما
استحسنها و استجادها و الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على محمد و آله و اصحابه اجمعين .
و الاكمال مختصر مفيد و قد فاتته اسماء و نبه عليها الملا على القاري في شرحه و قد طبع
الاكمال بالهند مع المشكاة مرة بعد اخرى .

و ان فيما الفه لدليلاً واضحاً على معرفته بصناعة الحديث و سعة علمه و وفور فضله و حسن
نيته .

اما نسخة المشكاة بخط مؤلفه كانت موجودة الى سنة خمس و خمسين و تسع مائة ثم تلفت
كما قال المؤرخ عبد الله محمد بن عمر الشهير بالحاج الديبر الاصفي الغفخاني المكي في ذكر مرييه
عبد العزيز آصف خان المتوفى ١١٩٦ هـ كتابه ظفر الواله بمظفر و آله (ج ٢ ص ٢٨٨-٢٨٩) ، لذن
(١٩١٠ م) ما نصه :

و قد استفاد من الشيخ العالم الكبير عبد الله الهندي الشهير بمخدوم الملك (۴۳)

"وفي سنة خمس وخمسين وصل الى گجرات ولي نعمتي و صاحب تربيتي بروكتي المسند العالي عبد العزيز آصف خان و به شكراً له بل و فخرآ ضمت الى اسمي في النسبة آصفي ،

و كان سبب قدومه من مكة المشرفة طلب السلطان له فسافر (آصف خان) الى الهند و كان البحر شديداً فتغير المركب على البذر المعروف بتكوروبين . . . فلما وضع قدمه على ساحل السلامة سجد شكراً لله و لو سكن البحر قليلاً خرج من الاسباب ما سام منه و ما اسف آصف خان الاعلى كتيبه و على سيف من حديد الصاعقة كان في جملة ذخائر صاحب مكة سلطان الحجاز ابي يحيى محمد بن بركت آثره به لمحبتة خلصت بينها و هكذا اسف على فرس من ذخائره كان من نتاج الخيل العتاق الطوبية الجائز راكبيها تصب الرهان على عادة العرب في المسابقة و مع اسفه على الكتب كان اشده اسفاً على كتاب المشكاة بخط جامعہ ولی الدین الخطیب التبریزی شکر الله سعیه في جمعه "

(۴۳) قال السيد عبد الحي الحسني في ترجمته من كتابه نزهة الخواطر ج ۴ ص ۲۰۶

ما نصه :

الشيخ العالم الكبير عبدالله بن شمس الدين الانصاري السلطانفوري المشهور بمخدوم الملك كان اصله من بلدة تنه من بلاد السند انتقل جده منها الى جالندهر و ولد عبد الله بسلطانفور من بلاد فنجاب و اشتغل بالعلم من صباه و سافر الى سرهند فقرأ الكتب الدراسية على العلامة عبد الله السرهندي ثم دخل دهلي و اخذ الحديث عن الشيخ ابراهيم بن السمعين الحسيني الايجي ثم رجع الى بلده و اشتغل بالتدريس و التصنيف و التذكير و حصل له القبول العظيم فولاه هايون شاه التيموري شيخا الاسلام فاستقل بها في ايامه و ايام فترته الى اوائل عهد ولده اكبر شاه ، و كان الملوك و السلاطين كلهم يكرمونه غاية الاكرام و يتلقون اشاراته بالقبول حتى ان شير شاه لقبه بصدر الاسلام و ابنه سليم شاه كان يجلسه على سريره و يعرض عليه النذور الثمينة و لما رجع هايون شاه من ايران و جلس على سرير الملك مرة ثانية لقبه بشيخ الاسلام و لقبه اكبر شاه بمخدوم الملك و جعل وظيفته مائة الف دام ،

و استمر على ذلك سنين ثم لما دس الشيخ مبارك بن خضر الناگوري في قلب اكبر شاه انه مجتهد في المذهب لا ينبغي له تقليد الصدور و القضاة امر باخراجه الى الحرمين الشريفين فسافر الى الحجاز سنة سبع و مئتين و تسع مائة فلما وصل الى مكة المباركة استقبله اكبر العلماء بمكة و تلقاه الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر المكي اجلالاً و تعظيماً فاقام بمكة مدة من الزمان ثم عاد الى الهند و لما وصل الى گجرات توفي بها مسموماً .

قال البدايوني انه كان من فحول العلماء رأسا في الفقه و الاصول و التاريخ و الحديث و سائر =

السلطان نوری حیث قال فی رسالته فی تحقیق احوال المهدي مانصه حرفياً:
 "انی سمعت الشیخ العلامة والمفید الفهامة الشیخ عبدالله الهندی الشهیر بمخدوم الملك
 بین الخاص والعام (۴۴)"

واخذ الطريقة العلیة النقشبندیة والقادریة والجشیتیة و غیرها عن مشائخ عصره و لازمه
 و اجتهد فی اداء حق خدمتهم و نال ما نال و اقر بولایته الخاص و العام و اشتهر فضله فی الانام
 قال الشیخ مستقیم زاده سلیمان سعد الدین افندی المتوفی ۱۲۰۲ھ فی کتابه تحفة خطاطین بالترکیة
 "كان المولى على حنفياً منہباً و نقشبندیاً مشرباً (۴۵)"
 و تعلم الخط عن الخطاط المشهور الشیخ حمد الله الاماسی (۴۶) و برع فی خط الثلث

= العلوم الثقلیة و كان شديد التعصب على اهل البدع و الاهواء لا سيما على الشيعة، قال وانه كان يقول
 ان روضة الاحباب ليست من مصنفات الامير جال الدين المحدث و كان يستشهد بشعر في متبة سيدنا على
 رضی الله عنه اورده الجال المجلد الثالث من ذلك الكتاب .

همین بس بود حق نمائی او کہ کردند شك در خدائی او
 ثم التفت الى و قال انظر كيف بالغ في مدحه حتى جاوز عن الرضى الى عقيدة الحلول، اعادنا
 الله سبحانه منها، فقلت له هذا ماخوذ من قول الشافعي حيث قال :

لو ان المرتضى ايدى عمله لصار الناس طراً سجداً له
 كفى في فضل مولانا على وقوع الشك فيه انه الله

فنظر الى شراً و نازعني في صحة النقل فقلت له نقلها المير حسين الميبيذى في شرح ديوان
 الشعر لسيدنا على رضی الله عنه فقال ان الميبيذى ايضاً متهم بالقرض فقلت له اني سمعت من بعض
 الثقات ان المجلد الثالث من روضة الاحباب ليس من مصنفات الامير جال الدين المحدث بل لايته
 ميرك شاه فقال اني وجدت في المجلد الثاني ايضاً بعض المناكير فعلقت عليها الحواشي انتهى .

و للشيخ عبد الله مصنفات عديدة منها : كشف الغمة و منهج الدين و عصمة الانبياء
 و شرح الحافظية و رسالة في تفضيل العقل على العلم و له غير ذلك من الرسائل .
 توفي بارض گجرات سميماً سموه باسم اكبر شاه، كما صرح به الخوافي في "مآثر الامراء"
 و كان ذلك سنة تسعين او احدى و تسعين و تسع مائة .

(۴۴) راجع رسالته في تحقيق احوال المهدي الورقة ۴۳ ضمن مجموعة رسائله المخطوطة
 في مكتبة الكلية الشرقية ببشاور .

(۴۵) تحفه خطاطين ص ۳۲۴ ، استنبول ۱۹۲۸ م .

(۴۶) هو الشیخ حمد الله بن الشیخ مصطفى وده الاماسی المعروف بابن الشیخ، هاجر =

و النسخ براءة تامة وكان يكتب خط النسخ و الثلث بغاية الجودة و الجلاوة و يعيش من كسب يديه و يأكل من شغل الكتابة قال الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي في كتابه "تاريخ الخط العربي و آدابه!"

"كان يكتب الخط الحسن و الغالب انه اخذ الخط عن الشيخ حمد الله الاساسي و كان يكتب في كل سنة مصحفاً واحداً و يبيعه و يصرف بمئه على نفسه طول السنة (٤٧)"

وقال الشيخ عبد الحق السحدي الدهلوي في ترجمة علي المتقي من كتابه "زاد المتقين":
 "كان رجلاً من اهل المعجم ، جميل الخط يقال له الملا علي القاري اشترى منه الشيخ علي المتقي نسخة من تفسير الجلالين التي كتبه بخطه الحسن بانتهى عشر جديدة اعترافاً بفضلته و اهليته و نظراً الى حاجته و هو يقول في حقه انه اتعب نفسه في الاجادة في الكتابة و هو احق ان تشتري باغلي مما دفعته مع انه كان يوجد في ذلك الايام نسخة واحدة من تفسير الجلالين بخط اهل مكة بمجديد واحد انتهى (٤٨) ما نقله السيد صديق حسن القزويني في ترجمة الشيخ علي المتقي من كتابه "تحصيف النبلاء المتقين عن زاد المتقين"

= والده المذكور من بخارى الى اماسية ووطن بها ولد الشيخ حمد الله سنة ٨٤٤ هـ فطلب العلم ثم رغب في الاشتغال بالخط فاخذ عن الاستاذ خير الدين المرعشي و كان في عهد السلطان سليم خان و عهد السلطان سليمان خان و كان غالب الخطاطين يتبعون قواعده و طريقتة في الخط فانه نبغ نبوغاً عظيماً فيه و له آثار خطية كثيرة فقد كتب سبعاً و اربعين مصحفاً بين كبير و صغير و كتب مشارق الانوار و كتب نحو الف نسخة من سورة الانعام و الكهف و جزء عم و كتب كثيراً من الرقعات و القطعات و كتب في محراب جامع السلطان بايزيد و علي قبة و علي الباب الاوسط منه الى غير ذلك و بلغ من العمر ١١٠ سنة و دفن باسكدار و قد ذكرت ترجمته في كثير من الكتب المؤلفة باللغة التركية (كدوحة الكتاب) و كتاب (هنروان) و كتاب (گلزار صواب) اه مترجماً باختصار من التحفة انتهى من تاريخ الخط العربي و آدابه تاليف محمد طاهر الكردي مصر سنة ١٣٥٨ ص ٣٢١ .

(٤٧) و ايضاً ص ٣٩٢ .

(٤٨) و فيما يلي نصه بالفارسية :

در زاد المتقين بذكر شيخ علي متقي نوشته كه مرهه بود از اهل عجم خورش خط او را ملا علي قاري گویند بملاحظه فضيلت و اهليت و افلاس او تفسير جلالين بدوازده جديده خريزند و هنوز می گفتند كه عجائب مشقت كشيده است بزبانده می توان گرفت و تفسير مذكور بخط اهل مكه بيك جديد بهم می رسد انتهى ، احواف النبلاء المتقين بمآثر الفقهاء المحدثين ص ٣٢٦ مطبع نظامي كان پور سنة ١٣٨٨ هـ .

و قد رأيت بنفسى المصنف بخط الشيخ على القارى عند العالم الكبير الشيخ محمد هاشم
المجددى يثنو سائين داد بالسند فى باكستان الغربية فى سنة ١٣٧٧هـ .
ظل المولى على القارى قانعا بما يحصل من بيع كتبه و غلب على حاله الزهد و العفاف
و الرضى بالكفاف و كان قليل الاختلاط بغيره ، و كثير العبادة و التقوى ، شديد الاقبال على
عالم السر و النجوى .

و قد اكب المولى على القارى منذ بلغ رشده على الاستفادة و الطلب و لازم اكابر العلماء
حتى حذق فى فن الاصول و الحديث و التفسير و التصوف و المعقول و فاق اقرانه و صار اماما شهيرا
و علامة كبيراً نظاراً متضلعا فى كثير من العلوم العقلية و النقلية متمكناً بفن الحديث و التفسير
و القراءت و الاصول و الكلام و العربية و سائر علوم اللسان و البلاغة مع الاتقان فى كل ذلك
و الاحاطة بأسرارها و معرفة محاسنها و غوامضها و تحرير عويصاتها و حل مشكلاتها و ارتقى الى رتبة
الكلاء الراسخين من العلم و اجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الامثال و قد ذكر المؤرخون له
اوصافاً كثيرة فقال محمد امين بن فضل الله الدمشقى المحبى المتوفى ١١١١هـ فى "خلاصة الاثر فى تراجم
اعيان القرن الحادى عشر".

"على بن محمد سلطان الهروى المعروف بالقارى نزيل مكة احد صدور العلم فرد عصره ،
الباهر السمى فى التحقيق و تنقيح العبارات ، شهرته كانية عن الاطراء فى وصته" (٤٩) .
و قال عبيد الملك بن حسين العصامى المكي الشافعى فى سبط النجوم و العوالى فى انباء
الاولائل و التوائى .

"الشيخ الملا على . . . الجامع للعلوم العقلية و النقلية و المتضلع من السنة النبوية ،
احد جواهر اولى الحفظ و الاتهام" (٥٠) .
و ذكر السيد صديق حسن التنجوى فى ترجمة الملا على القارى من كتابه "اتحاف النبلاء
و المتقين" قال السيد محمد بن ابى بكر الباعلوى فى ترجمته من كتابه "عقد الجواهر و الدرر".
"هو الجامع للعلوم العقلية و النقلية و المتضلع من السنة النبوية واحد علماء الاعلام و جواهر
اولى الحفظ و الاتهام" (٥١) .
و قال عنه حافظ العصر العلامة الشيخ محمد عابد السندى ثم المدنى المتوفى ١٢٥٧هـ فى كتابه
"المواهب اللطيفة على مسند الامام ابى حنيفة".
الشيخ العلامة ، الجبر الفهامة ، الشيخ على القارى" (٥٢) .

- (٤٩) خلاصة الاثر ج ٣ ص ١٨٥ مصر سنة ١٢٨٤هـ .
(٥٠) سبط النجوم العوالى ج ٤ ص ٣٩٤ .
(٥١) اتحاف النبلاء المتقين ص ٣٢٥ .
(٥٢) المواهب اللطيفة على مسند الامام ابى حنيفة الورقة ٢ و قد رأينا منه نسخة خطية بخط =

وقال عنه الشيخ العلامة ابو الحسنات محمد عبد الحى الكهنوى المتوفى ١٣٠٤ هـ في مقدمة كتابه "التعليق المجد على موطأ على محمد :

"صاحب العلم الباهر والفضل الظاهر على القارى الهروى ثم المكي" (٥٣) .
وقال أيضاً في مقدمة "السعاية في كشف ما في شرح الوقاية" :
"هو محدث جليل ومحقق نبيل" (٥٤) .

وقال الشيخ العالم الفقيه حسين بن محمد سعيد عبد الغنى المكي الحنفى في كتابه "ارشاد السارى الى مناسك الملا على قارى" ما نصه :

"على بن سلطان محمد القارى، علامة زمانه و واحد عصره و اوانه ، والمتفرد الجابع لانواع العلوم العقلية و النقلية المتضاع من علوم القرآن و السنة النبوية و عالم بلاد الله الحرام و المشاعر العظام و احد جواهر الاعلام و مشاهير اولى التحقق و الاثهام" (٥٥) .
وقال المحقق المحدث البارع الشيخ محمد ادريس الكاندهلوى في مقدمة كتابه "التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح".

"المحدث الجليل و الفاضل النبيل ، فريد دهره و وحيد عصره الشيخ نور الدين على بن سلطان محمد الهروى القارى" (٥٦) .

كان المولى على القارى الحنفى ديناً ، تقياً ، ورعاً ، فقيهاً ، بارعاً ، واسع الرواية ، واسع الدراية و كان يتمتع بحرية تامة يعدل و يقول بما صح له من الدليل في الكتاب و السنة و الاجماع و يرد ما يجد خلافاً لها بها كان القائل به صغيراً او كبيراً ، اماماً او مجتهداً و يبين خطأه و ينصر قولاً واحداً يوافق القرآن و الحديث و الاصول و هذا كان دأبه في المباحثات فالب عليه بعض معاصريه من المالكية و الشافعية و بلغ يوم التعصب الى حد انوم نهوا عن مطالعة تصانيفه و النظر في كلامه قال المجيبى في "خلاصة الاثر".

"لكنه امتحن بالاعتراض على الائمة لاسيما الشافعى و اصحابه رحمهم الله تعالى و اعترض

= المؤلف في مكتبة صاحب العام الرابع (كتب خانة بير جهنڈو سيد محب الله شاه) بالسند ، و نسخة ناقصة عند محب العام و اهله الشيخ بشير محمد مدير كارخانہ تجارت كتب بكراتشى اطال الله بقاؤه .
(٥٣) التعليق المجد على موطأ على محمد ص ١٩ ، المطبعة اليوسفى لكهنؤ بالهند سنة ١٣٤٦ هـ .
(٥٤) (مقدمة) السعاية في كشف ما في شرح الوقاية ص ٣٩ ، المطبعة المصطفائية لكهنؤ بالهند سنة ١٣٠٦ هـ .

(٥٥) ارشاد السارى الى مناسك الملا على القارى ص ٥ .

(٥٦) التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح (مقدمة ص ٦ طابع دمشق) .

على الامام مالك في ارسال اليد في الصلاة و الف في ذلك فانتدب لجوابه الشيخ محمد مكي
و الف رسالة جوابا له في جميع ما قاله و رد عليه اعتراضاته“ (۵۷) .

و قال المؤرخ عبد الملك العصبى :

”استنح بالاعتراض على الأئمة لآسيا الشافعى و اصحابه و اعترض على الامام مالك في
ارسال يديه و لهذا تجد مؤلفاته ليس عليها نور العلم و من ثمة نوى عن مطالعتها كثير
من العلماء و الاولياء“ (۵۸) .

و لا يخفى ان اختلاف العلماء في الشريعة الاسلامية على درجات قال حمد بن محمد الخطابي
المتوفى ۳۸۸هـ :

”و قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اختلاف امتى رحمة و الاختلاف في
الدين ثلاثة اقسام :

احدها في اثبات الصانع و وحدانيته و انكار ذلك كفر .
و ثانيها في صفاته و انكارها بدعة .

و ثالثها في احكام الفروع المحتملة وجوها فهذا جعله الله تعالى رحمة و كرامة“ (۵۹) .
• و يقول النووي :

”حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اختلاف يؤدي الى الكفر و البدعة كاختلاف
اليهود و النصارى و ذلك مثل الاختلاف في نفس القرآن او في معنى لا يسوغ الاجتهاد
فيه او فيها يوقع في شك و شبهة و فتنة و خصومة و اما الاختلاف لاستنباط فروع في
الدين منه (؟) و مناظرة اهل العلم فيه على سبيل الفائدة و اظهار الحق فليس بمنهي عنه
بل هو مسطور به و فضيلته ظاهرة و قد اجمع المسلمون عليه من عهد الصحابة الى
الآن“ (۶۰) .

و قد قال المولى على القارى عين ما قاله الخطابي و النووي فذكر في شرح حديث ”اتبعوا
السواد الاعظم“ ما نصه :

”يعبر به عن الجماعة الكثيرة و المراد ما عليه اكثر المسلمين و قيل هذا في اصول
الاعتقاد كركان الاسلام .

(۵۷) خلاصة الاثر ج ۲ ص ۱۸۶ .

(۵۸) سطر النجوم العوالى ج ۴ ص ۳۹۴ .

(۵۹) مرآة المفاتيح ج ۵ ص ۴۹۹ طبع مصر .

(۶۰) ايضاً ج ۱ ص ۱۸۹ .

و اما في الفروع كبطان الوضوء بالمس مثلا فلا حاجة فيه الى الاجماع بل يجوز اتباع كل واحد من المجتهدين كالائمة الاربعة و ما وقع من الخلاف بين الهاتريدي و الاشعرية في مسائل فهي ترجع الى الفروع في الحقيقة فانها ظنيات فلم تكن من الاعتقادات المبنية على اليقنيات بل قال بعض المحققين الخلف بينها في الشكل لفظي“ (۶۱) .

و ثبت بتصريح المولى على القارى هذا و نقله عن الخطابي و النووي انه كان واسع الصدر في المسائل الخلافية و عنده يسوغ الاختلاف في الفروع بل صرح في موضع آخر ان براعة الرجل على اقرانه في فن من الفنون علامة الاجتهاد حيث قال :

”و الصواب ان كل من فاق على اقرانه في فن من العلوم الشرعية من غير اختصاص بالفروع الفقهية فهو من الائمة المجتهدين و العلماء الراسخين الكاسلين المكملين“ (۶۲) .

و لاشك ان جلالة في العلوم الشرعية و طول باعه في الفنون النقلية يدل على كونه من العلماء الراسخين و لله در محدث الديار اليبانية شيخ الاسلام محمد بن على الشوكاني حيث جعل خلافه مع الائمة دليلا ناصعا على انطلاح المولى على القارى بالحديث و الفقه و الكلام و كونه مجتهدا فيها فقال بعد ايراد كلام العصامي المذكور آنفا ما لفظه :

”و اقول هذا دليل على علو منزلته فان المجتهد شأنه ان يبين ما يخالف الادلة الصحيحة و يعترضه سواء كان قائله عظيما او حقيرا :

تلك شكاة ظاهر عنك عارها (۶۳) .

و قال امام اهل الحديث في الهند بلا مدافعة السيد صديق حسن القنوجي في ”انحاف النبلاء“ بعد قول العصامي المذكور ما نصه :

”يقول كاتب هذه السطور وقد كتب المولى على القارى في رد من اورد عليها وهو موجود عندي بل عندي من مؤلفاته من كتب الفقه و الحديث زهاء اربعين كتابا و كل كتاب من تصانيفه دال على غاية تحقيقه و مشاركته في ذلك العلم و سائر مؤلفاته متلقاة بالقبول و متداولة بين اهل السام فلا معنى لقوله ”ليس عليها نور العام“ بل قل من خرج من الحنفية في هذا العصر يدل على القارى المنصف المحقق . . . و له اليد الطولى في تحقيق الفقه و الحديث و التدقيق في علوم الكلام و المعقول ، و اما اعتراضه على الامام مالك في ارسال اليبدين في الصلاة و على بعض اصحاب الشافعي في بعض المسائل فلم يكن

(۶۱) مرآة المفاتيح ج ۱ ص ۲۰۵ .

(۶۲) ايضاً ج ۱ ص ۱۸۸ .

(۶۳) البدر الطالع ج ۱ ص ۴۴۳-۴۴۵ طبع مصر .

مبنیاً علی العصبیة و مجرد الهوی بل لوضوح الادلة خلافاً و مثل هذا الاختلاف یوجد فی المتقدمین و المتأخرین من العلماء قديماً و حديثاً و لم یکن خاصاً به انتهى كلامه (۶۴).

(۶۴) فيما یلی نصحہ بالفارسیة :

محرر سطور گوید سلا علی قاری را جواب الجواب این رساله و از تصانیف او قریب چهل رساله بخط خاص وے در فقه و حدیث نزد فقیر ست . . . همه ترا بیفش مقبول ست و در اهل علم متداول پس نبودن نور علم بران یعنی چه بلکه در فقہائے حنفیہ کم کسی مثل او منصف مزاج محقق طبع درین دور برخاسته . . . و در تحقیق فقه و حدیث و دریافت علوم کلام و معقول ید طولی دارد از هر کتاب او رتبہ تحقیق نمایان ست دستگاہ او دران علم عیان و اعتراض او بر ارسال مالک و اصحاب شافعی در بعض مسائل نه از راه عصبیت و هواست بلکه بر بنا و وضوح ادله بر خلاف آن و این قسم اختلاف در جمیع اصناف علماء قديماً و حديثاً موجود ست مخصوص بوسے نیست " اتحاف النبلاء المتقین ص ۳۲۵-۳۲۶ .

و لکن یقول ابو الحسنات محمد عبد الحی اللمکنوی فی کتابه التعليق المجد علی سوطاً محمد ما نصحہ :

"و تصانیفه کلها جامعہ مفیدة حاویة علی فوائد لطیفة و لولما فی بعضها من رائحة التعصب المذهبی لکن اجود و اجود".

و مع هذه التالیفات القيمة و تحقیقات البدیعة ربما لا یفی البحث حقه و لا یشبع القول فی المسئلة فی بعض تالیفه و لذا یشکو صنیعه هذا الشیخ المحدث الفقیه محمد حسن السنبلی المتوفی سنة ۱۳۰۵ھ فی کتابه تنسیق النظام فی مسند الامام فی شرح قوله صلی الله علیه وسلم : "انصرف النبی صلی الله علیه وسلم من صلاة الظهر او العصر فقال من قرأ منکم بسم اسم ربک الاعلی فسکت القوم حتی سأل عن ذلك مرارا فقال رجل من القوم انا یا رسول الله صلی الله علیه وسلم قال لقد رأیتک تنازعنی او تتنازعنی القرآن" ما نصحہ :

"ان القاری الحنفی حاله عجیب جدا یورد و ینقل الروایات الموافقة و المخالفة رطباً و یابساً صحاحاً و ضعافاً و لا ینتقح الاحادیث و لا یمیز بینها و لا یرفع التذاع و التعارض و لا یحملها علی محامل صحیحة لا علی مقتضى مذهبه و لا علی غیره مع تصابه فی مذهب الحنفیة قاورد ههنا مع الروایة الاولى رواية ابن حبان عن انس فی قراءة الفاتحة خاف الامام و منع غیرها و رواية ابی داود عن عبادة نحو ذلك و رواية احمد و عبد بن حمید و ابی یعلی و ابن ماجه فی قراءة الفاتحة سراً و رواية ابی هريرة فی قراءة الفاتحة فی سکنات الاسام و رواية الترمذی و ابی داود و عن عبادة فی وجوب الفاتحة خاف الامام ایضاً فی الجهریة ایضاً و لم یجب بعد هذا الابراد بشيء و سکت عنه و مع الروایة الاخرة رواية الحاكم =

و هذا يثبت أن ما قاله محمد مكيين وغيره من معاصريه في حق ما هو الانتاج عن تعصب محض والخلاف الناشب عن المعاصرة اما لمناصفة ذنوبية او عصبية مذهبية والمثل السائر يقول المعاصرة سبب المنافرة و لذا قال ابن حجر العسقلاني :

”ان قول الاقوان بعضهم في بعض غير مقبول و ما علمت عصرا سلم اهله من ذلك غير عصر الصحابة و التابعين“ (٦٥) انتهى كلامه .

اما بسئلة الارسال فلا يخفى انه قول ضعيف عند عامة اهل العلم و حاشا على القارى ان يتكلم في حق الاسام مالك بما هو برىء منه .

و اما اعتراضه على الشافعى فقال فيه الشيخ جميل بك العظم في كتابه ”عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فائدةً فاكثراً“ ما نصه :

”قلت اما تعرضه للاعتراض على الشافعى فقيه نظر بدليل انه الف رسالة رد بها على من نسبته الى تنقيص الاسام الشافعى و الاعتراض عليه و انما الف رسالة ساها ”تشيع فقهاء الحنفية لتشيع سفهاء الشافعية“ رد بها على من افتر فاه من الشافعية في التنكيت على مذهب الاسام الاعظم بل على الاسام ذاته“ (٦٦) .

و قد بين المولى على القارى تفصيل هذه القضية في اول رسالته تشيع فقهاء الحنفية لتشيع سفهاء الشافعية ما نصه حرفياً .

”فلما رأيت في بعض الرسائل الشافعية طعناً شنيعاً و قدحاً فذيعاً بالنسبة الى الائمة الحنفية كتبت رسالة للرد عليهم في هذه القضية و سميتها تشيع فقهاء الحنفية لتشيع سفهاء الشافعية و انتشرت تلك الرسالة بين الفقهاء و السفهاء المكية و تحرك لبعضهم

= عن عبادة في وجوب قراءة الفاتحة خلف الاسام ايضاً فلعلنا فهم ان هذه الروايات مؤيدة بما رواه عن هذه الكتب حتى لم يجب عنه بشيء و هذا عجيب عن مثله و نحن نشمر الذيل للجواب عنه من قبل الحنفية فيما سيأتى“ .

قلت وقد لا يتشط الرجل للبحث بل يكتفى بالسرود دون الانتقاد ، و شرح مسند الاسام شرح مترسط ام يلزم فيه بسرود جميع ما في الباب و الانتقاد و ليس هذا ذابيه في سائر تاليفه فقد بسط في شرح المشكاة بسطاً و اتى في الباحث بما لها و ما عليها .

(٦٥) قال المحبى في خلاصة الاثر (ج ٢ ص ٤٦٤) بعد نقل هذا الكلام :

”قلت و في قوله غير عصر الصحابة و التابعين تأمل اذ لم يسلموا ايضاً من ذلك كما يعرفه من طالع سيرهم فالظاهر العموم و لعل كلامه مبني على الاكثر و الغالب لقلته فيهم بالنسبة لن بعدهم و الله اعلم“ .

(٦٦) عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فائدةً فاكثراً ص ٢٦٤ بيروت

عرق الجاهلية تقامت عليهم القيامة و اطالوا علينا لسان العلامة من بين سفيه متن صالح في الاسواق و اوساط الزقاق الا ان فلاناً سب الشافعي و طعن في اصحاب مذهبه من النووي و الرافعي لا عجزوا عن المقاومة معي بالبحث في الكلام جرى بين عموم الناس الجدل و كثرة القيل و القال حتى كاد ان يقع القتال فتذكرت قول المستضعفين من المتقدمين فقلت ربنا لا تخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها و اجعل لنا من لدنك ولياً و اجعل لنا من لدنك نصيراً فتولى امرى رعابتي شيخ الحرم المحترم ذو الشائل السنية السنينة و الفضائل الرضية البهية مولانا بدر الدين حسن احسن الله اليه بانواع المنن و قلم بصنق و حمايتي مولانا الاعظم و المقتدى الاتمخ زبدة المحققين و عمدة المدققين صاحب التصانيف المفيدة و التأليف المجيدة المستقيمة على جادة طريق النبوى و المقيم على سجادة سبيل المصطفى مولانا القاضي حسين (٦٧) كفى (الكفوى) جمع

(٦٧) قال عنه المؤرخ مجد المحبى المتوفى سنة ١١١١ هـ في كتابه خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادى عشر ج ٢ ص ١٢١-١٢٢ ما نصه :

حسين (بن رستم) الكفوى (الرومى الحنفى) احد موالى الروم المشهورين بالفضل و البراعة ذكره ابن نوعى و اثنى عليه كثيراً ثم قال قدم الى قسطنطينية و لزم داود زاده قاضى المدينة و لازم منه و درس الى ان وصل الى المدرسة السلجوقية ثم ولى منها قضاء القدس في شعبان سنة سبع بعد الالف ثم وجه اليه قضاء مكة في شوال سنة ثمان بعد الالف ثم عمل في صفر من سنة عشرة و كان صاحب لطائف و فضائل و هو ابل ازباب المعارف في عصره لم تزل لطائفه متداولة و اشعاره و آثاره شائعة .

و من تاليقاته الجليلة تعليقاته على البخارى و مسلم و شرح الكلكستان بالتركية يتعرض فيه بشارحيه سرورى و شمعى و له كتاب فالنسابه يذكر فيه غرائب وقائع وقعت لمن تساءل بالقرآن و ديوان حافظ و غيرها و هو اثر لطيف رأيت و طلعت و نقلت منه اشيله فمن ذلك ما حكاه عن قطب الصارفين يعقوب الجرجى انه ذكر في بعض مصنفاته ان العناية الالهيه سانه الى خدمة الخوجة بهاء الدين نقشبند قال فرأيت من كرمه اليهم غاية الالتفت و ظهر لى انه من خواص الاولياء و انه كامل مكمل تفتالت في شأنه من المصنف فورد قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده و حكى انه لم توفي المولى سنان محشى البيضاوى و الهداية اخذ بعض ارباب القلوب المصنف و تقابل فيه على حسب حلل المولى سنان فورد قوله تعالى و لقد اصطفيناه في الدنيا و انه في الآخرة لمن الصالحين .

و حكى عن نفسه قال كنت عزمت على الرحلة من بلدق الكفة في سنة خمس و ثمانين انا و والدى لكن ترددت هل اذهب بحرا او برا و تشعبت في المخيلة و ساوس الغرغرف من الفرق او كثرة التعب تفتالت من القرآن فورد قوله تعالى قال لا تخافا انى معكما اسمع وارى ثم اعقبته فلك =

اللہ له بین الانعام الدنیوی و الاکرام الاخری بان اظهر لهم سیفاً حداً قاطعاً لامعاً و صار بینی و بینهم حداً جامعاً مانعاً و ساذک منها کان الله لها و فی عیونها الالقوة دولة ظل الظلیل السلطانی و الحالة السیف البرهانی ادام الله دولته و نصره احبائه علی اعداء الدین من الکافرین و الظالمین و لرعاية مولانا حاسی اهل الحرین الشریفین و حادی سکان المقامین العنیفین حفظه الله عن آفات الدارین بجرسة سید التقلین فحمدت الله علی ذلك و شکرته فی البیت لها هنالك و رأیت الاعداء بجلدها هابوا و خابوا بین مخزی و هالك كما قال قائل :

الحمد لله راح الباغضون و هم بکيدهم فی اعتذار لا یفیدهم
و قال المحبی "فی خلاصة الاثر" :

"و اعجب من ذلك ما نقله عنه السید محمد بن عبد الرسول البرزنجی الحسینی فی کتابه سداد الدین فی اثبات النجاة للوالدین انه شرح الفقه الاکبر المنسوب الی الامام ابی حنیفة رحمه الله تعالی و تعدی فی طوره فی الاساءة فی حق الوالدین ثم انه ما کفاه ذلك حتی الف فی رسالته (۶۸) فلیته اذ لم یراع حق رسول الله صلی الله علیه و سلم حیث اذاه بذلك حتی الف فی رسالته و قال فی شوحه للشفا متجعجا و مفتخرا بذلك لیان شرف المصطفی صلی الله علیه و سلم".

= بتغامل آخر فوردا لم تر ان الله سخر لكم ما فی الارض و الفلك تجری فی البحر بامره فتمینت بالقال و رکتنا البحر فوصلنا سالمین بعون الله تعالی و حکى ان المولى معروف احد الموالی العظام الاخبار قال رأیت لیلۃ رؤیا عظیمة سررت بها کثیرا فلما استیقظت اخذت افکر فیها هل هی من قبل الرحمن او من جانب الشیطان فتساءلت فی الجامع الصغیر للسيوطی فورد قوله صلی الله علیه و سلم رؤیا المؤمن الصالح بشرى من الله و هی جزء من خمسين جزءا من النبوة انتهى .

و كان وقع بینہ و بین نکساری زاده محاورۃ الف فیها رسالۃ و طعن علیه فیها و کلن فی عام الموسیقى نهاية وله اغان ربطها مقبولة متداولة و كانت وفاته فی سنة عشرة بعد الالف رحمه الله تعالی. (۶۸) و الحق ان هذه المسئلة كانت من المسائل التي لیس فیها جدوى و السکوت فیها البق و احرى و لذا قال شاه عبد العزیز الدهلوی فی رسالته العجالة النافعة ما نصه :

ثم المسائل النادرة کاسلام ابوی الذبی صلی الله علیه و سلم و روایات المسح علی الرجلین عن ابن عباس و امثالهما من النوادر اکثرها تخرج من هذه الکتب (ای من کتب الطبقة الرابعة) حتی ان غالب بضاعة الشیخ جلال الدین السيوطی و رأس ما له فی تصنیف الرسائل و نوادرها هی الکتب المشار إليها فلاشتغال باحدینها و استنباط الاحکام منها لا طائل تحتہ و مع ذلك من كانت له رغبة فی تحقیقها فعليه بجزان الضعفاء للذہبی و لسان المیزان للحافظ ابن حجر العسقلانی".

الحطة فی ذکر صحاح الستة ص ۵۸ المطبع النطاسی ، کان پور ۱۳۸۳ھ

و قد اختار المولى على القارى هذا القول بما ورد في رواية صحيحة عن ابي هريرة رضى الله عنه انه قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى و ابكى من حوله فقال استاذنت ربي في ان استغفر لها فلم يؤذن لي و استاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكرك الموت رواه مسلم حيث قال في شرح هذا الحديث :

”ذكر ابن الجوزى في كتاب الوفاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة ابيه كان مع امه ائمة فلما بلغ ست سنين خرجت به الى اخوالها بنى عدى بن النجار بالمدينة تزورهم و منهم ابو ايوب ثم رجعت به الى مكة فلما كانوا بالابواء توفيت قبرها هناك و قيل لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة زار قبرها بالابواء ثم قام مستعبراً فقال انى استاذنت ربي في زيارة قبر امى فاذن لي و استاذنته بالاستغفار لها فلم ياذن لي و نزل ”ما كان للنبي و الذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين و لو كانوا اولى قربى“ الآية .

و اغرب ابن حجر حيث قال و لعل حكمة عدم الاذن في الاستغفار لها اتمام النعمة عليه باحيائها له بعد ذلك حتى تصير من اكابر المؤمنين او السهال الى احيائها لتؤمن به فتستحق الاستغفار الكامل حينئذ اه .

و فيه ان قبل الايمان لا تستحق الاستغفار مطلقاً ثم الجمهور على ان والديه صلى الله عليه وسلم ماتا كافرين و هذا الحديث اصح ما ورد في حقها و اما قول ابن حجر و حديث احيائها حتى آسنا به ثم توفيا حديث صحيح و ممن صححه الامام القرطبي و الحافظ ابن ناصر الدين فعلى تقدير صحته لا يصلح ان يكون معارضا لحديث مسلم مع ان الحفاظ طعنوا فيه و منعوا جوازه ايضاً بان ايمان البأس غير مقبول اجاعاً كما يدل عليه الكتاب و السنة و بان الايمان المطلوب من المكلف انما هو الايمان الغيبي و قد قال تعالى ”و لوردوا لعادوا لها فهو عنه“ و هذا الحديث الصحيح الصريح ايضاً رد ما تشبث به بعضهم بانها كانا من اهل الفترة و لا عذاب عليهم مع اختلاف في المسئلة و قد صنف السيوطى رسائل ثلاثة في نجاة و والديه صلى الله عليه وسلم و ذكر الادلة من الجانبين فليكن بها ان اردت بسطها“ (٦٩) .

أثبت بهذا انه لم يكن في بدأ الامر متشدداً فيه و لكنه فيها بعد تجاوز عن الحد حيث قال في شرح الفقه الاكبر :

”و والدا رسول الله صلى الله تعالى عليه و آله وسلم ماتا على الكفر، هذا رد على من قال انها ماتا على الايمان او ماتا على الكفر ثم احياهما الله تعالى فأتانا في مقام الايقان ، و قد افردت لهذه المسئلة رسالة مستقلة و دفعت ما ذكره السيوطى في رسائله الثلاثة في تقوية هذه المسئلة بالادلة الجامة المجتمعة من الكتاب و السنة و القياس و اجاع الامة . و من غريب ما وقع في هذه القضية انكار بعض الجهلة من الحنفية على ما في بسط هذا الكلام

بل اشار الى انه غير لائق بمقام الاسام الاعظام رحمه الله وهذا بعينه كما قال الضال
جهم بن صفوان وددت ان احك من المصحف قوله تعالى ثم استوى على العرش و اشارة
الضال الآخر وهو احمد بن ابي داود القاضى الى الخليفة الهامون ان يكتب على ستر الكعبة
لين كمثل شىء وهو العزيز الحكيم وقول الرافضى الاكبر انه برىء من المصحف
الذى فيه نعت الصديق الاكبر“ (۷۰).

وقال المولى على القارى فى رسالة مفردة فى هذا الموضوع ما نصه حرفياً :
”وقد التمس منى بعض الخلان من اعيان الاخوان ان اكتب رسالة موضحة لمسئلة ذكرها
الامام الاعظم المعترف (كذا) فى آخر كتابه الفقه الاكبر الذى عليه مدار الاعتقاد للاكثر
وخالف فيها العلامة جلال الدين السيوطى وجمع من اتباع الامام الشافعى وقلده بعض
العلماء والفضلاء من اصحاب الامامة الحنفى نصرت متردداً بين القبول والنكول فاقدم
رجلاً وآخر اخرى خوفاً من قيام فتنة اخرى وحصول بلية كبرى لكنى توكلت على
ربى فشرعت فيه قائلاً هو نعم الوكيل وحسبى فصنفت معتمداً على رب العباد بالاعتقاد
للاعتقاد فى ابويه صلى الله تعالى عليه وسام والاجداد طالبا من الله الكرم طريق الرشاد
والثبات على سبيل السداد انه كريم جواد رؤف بالعباد وعطوف بالعباد“.

وقد اخطأ المولى على القارى فى هذا البحث حيث اسس بنيانه على نسخة محرفة من الفقه
الاكبر قال العلامة المحدث الناقد الشيخ محمد زاهد الكوثرى المتوفى ۱۳۷۱ھ فى مقدمة كتاب العالم
والمتعلم ما نصه :

”و اما الفقه الاكبر. رواية حاد بن ابي حنيفة عن ابيه فله شروح كثيرة ، وقد طبع مرات
فى كثير من العواصم كما طبع كثير من شروحه ، و اما سنده فى النسخة الخطية
المحفوظة ضمن المجموعة رقم (۲۲۶) بمكتبة شيخ الاسلام العلامة عارف حكمت بالمدينة
المتورة زادها الله تكريماً فى اولها سند الشيخ ابراهيم الكوراني فى الكتاب الى على
ابن احمد الفارسى عن نصير بن يحيى عن ابن مقاتل (محمد بن مقاتل الرازى) عن عصام
ابن يوسف عن حباد بن ابي حنيفة رضى الله عن الجميع ، وفى مكتبة شيخ الاسلام هذه
نسختان من الفقه الاكبر رواية حاد قديمتان وصحيتان فياليت بعض الطالبين قام باعادة
طبع الفقه الاكبر من هاتين النسختين مع المقابلة بنسخ دار الكتب المصرية .

فى بعض تلك النسخ : و ابو النبي صلى الله عليه وسلم ماتا على الفطرة و (الفطرة) سهلة
التحريف الى (الكفر) فى الخط السكوفى ، وفى اكثرها : (ساتا على الكفر) ، كان
الامام الاعظم يريد به الرد على من يروى حديث (ابى و ابوك فى النار) و يرى كونها
من اهل النار لان انزال المرء فى النار لا يكون الا بدليل يقينى و هذا الموضوع ليس

(۷۰) شرح فقه الاكبر ص ۱۳۰ المطبع المجتباية دهلى ۱۳۱۴ھ.

بموضوع عملي حتى يكفى فيه بالدليل الظني .

ويقول الحافظ محمد المرتضى الزبيدي شارح الاحياء والقاموس في رسالته (الانتصار اوالدى النسي المختار) - و كنت رأيتها بخطه عند شيخنا احمد بن مصطفى العمري الحلبي مفتي العسكر العالم المعمر - ما معناه ! ان الناسخ لها رأى تكرر (ما) في (ما ماتا) ظن ان احدها زائدة تحذفها فذاعت نسخته الخاطئة ، و من الدليل على ذلك سياق الخبر لان اباطالب و الابوين لو كانوا جميعا على حالة واحدة جمع الثلاثة في الحكم بجملة واحدة لا بجمليتين مع عدم التخالف بينهما في الحكم و هذا رأى وجهه من الحافظ الزبيدي الا انه لم يكن رأى النسخة التي فيها (ما ماتا) و انما حكى ذلك عن رآها و انى بحمد الله رأيت لفظ (ما ماتا) في نسختين بدار الكتب المصرية قديمتين كما رأى بعض اصدقائي لفظي (ما ماتا) و (على الفطارة) في نسختين قديمتين بمكتبة شيخ الاسلام المذكورة و على القارى بنى شرحه على النسخة الخاطئة و اساء الادب سامحه الله“ (٧١) .

و عن هذه المسامحات قال المحبى ” و لولاها لاشتهرت مؤلفاته بحيث ملأت الدنيا لكثرة فائدتها و حسن انسجامها“.

و بالجملة كان رحمه الله من العلماء الذين اجتهدوا في نشر العلوم الفاهرة و الباطنة و نصر السنة و قمع البدعة و عم النفع بهم و كثرت حاجة الناس الى كتبهم و لذا عده المؤرخون المحدثون من مجددى القرن العاشر حيث قال العلامة الفقيه المحدث الشيخ محمد عبد الحى الكهنوى في فتاواه: “من يطالع خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادى عشر يتضح عليه ان الشيخ شهاب الدين الرملى و الملا على القارى كانا من المجددين“ (٧٢) .

و قال ايضا في التعليقات السنية ما نصه :

”طالعت تصانيفه المذكورة كلها . . . مفيدة بلغت الى مرتبة المجددية على رأس الالف“ (٧٣) .
و لاشك انه من مجددى (٧٤) القرن العاشر فانه احيا علوم التفسير و القراءة و الحديث

(٧١) العالم و المتعلم بتحقيق محمد زاهد الكوثرى ص ٦ مطبعة الانوار ، القاهرة ١٣٦٨ هـ .
(٧٢) فيما نصه بالفارسية :

”از معانيه“ خلاصة الاثر في اعيان قرن الحادى عشر و غيره واضح است كه از مجددین الف شهاب الدين رملى و ملا على قارى و غيره بودند“ (مجموعة الفتاوى ج ١ ص ٦٧ مطبع يوسفى لكهنو ١٣٤٤ هـ) .

(٧٣) راجع الفوائد الهية مع التعليقات السنية ص ٩ طبع مصر ١٣٢٤ هـ .

(٧٤) و قد تجاوز الحد علماء الشافعية حيث حصروا المجددين في الشوافع و لم يدكروا غيرهم الا محلة للتسم كما يتضح من ارجوزة الحافظ السيوطى التي ساهها تحفة المهتدين باخبار المجددين =

والفقه وغيرها جميعها وشرحها في كتبه المشهورة المقبولة و لكنه لا يساوي المجددين المتقدمين كما قال المولى علي القاري بنفسه في شرح قوله صلى الله عليه وسلم "ان الله يعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يمدد لها دينها".

= ونقلها المؤرخ المحيي في ترجمة الشيخ الربلي من كتابه خلاصة الاثر (ج ٢ ص ٣٤٤-٣٤٥) برمتها والشيخ محمد عبد الرؤف المناوي في كتابه فيض القدير في شرح الجامع الصغير (ج ٢ ص ٢٨٢) ونحن نقلها من خلاصة الاثر :

الحمد لله العظيم المنه
ثم الصلاة والسلام لنتس
لقد اتى في خبر مشتهر
بانه في رأس كل مائة
سنة عليها عالما يمدد
تلك عند المئة الاولى عمر
والشافعي كان عند الثانيه
وابن سريج ثالث الائمة
والباقى رابع او سهل او
والخاس الجبر هو الغزالي
والسادس الفخر الامام الرازي
والسابع الرافعي الي المراقى
والثامن الجبر هو البلقيني
وعند سبط العياق الصوفيه
والشرط في ذلك ان تمضى المائة
يشار بالعلم الى مقاسه
وان يكون جامع لكل فن
وان يكون في حديث قدروى
وكونه فردا هو المشهور
وهذه تاسعة المشين قد
وقد رجوت انى المجدد
وآخر المشين فيها ياتى
يمدد الدين لهذى الامة
مقرررا لشرعنا ويحكم

الناجح الفضل لاهل السنه
على نبى دينه لا يندرس
رواه كل حافظ معتبر
يعتد ربا لهذه الامة
دين الهدى لانه يمدد
خليفة العدل باجماع وقر
لما له من العلوم الساربه
والاشعري عده من اسه
الاسفرايينى خلف قد حكوا
وعده ما فيه من جدال
والرافعي مثلته يوازي
ابن دقيق العيد باتفاق
او حافظ الانام زين الدين
لو وجدت مائته وقبه
وهو على حياته بين الفشة
وينصر السنة في كلامه
وان يعم علمه اهل الزمن
من آل بيت المصطفى وهو قوى
قد نطق الحديث والجمهور
اتت ولا يخلف ما الهادى وعد
فيها ففضل الله ليس يمدد
عيسى نبى الله ذوا الآيات
وفي الصلاة بعضنا قدماه
بحكمنا و في السماء يعلم

=

ان المراد بمن يحدد ليس شخصاً واحداً بل المراد به جماعة يحدد كل احد في بلد في فن او نون من العلوم الشرعية ما تيسر له من الامور التقريرية او التحريرية ويكون سبباً لبقائه وعدم اندراره واقتضائه الى ان يأتي امر الله .

ولاشك ان هذا التجديد امر اضافي لان العلم كل سنة في التنزل كما ان الجهل كل عام في الترقى و انما حصل ترقى علماء زماننا بسبب تنزل العلم في اواننا و الافلا مناسبة بين المتقدمين و المتأخرين علماء و عملا و حلما و فضلا و تحقيقا و تدقيقا لها يقتضى البعد عن زمنه عليه الصلاة و السلام كالبعد عن محل النور يوجب كثرة الظلمة و قلة الظهور و يدل عليه ما في البخارى عن انس مرفوعا لا يأتي على امتي زمان الا الذى بعده شر منه و ما في الكبير للطبراني عن ابي الدرداء مرفوعا ما من عام الا و ينتص الخير فيه و يزيد الشر و ما في الطبراني عن ابن عباس قال ما من عام الا و يحدث الناس بدعة و يميتون سنة حتى تمت السنن و تحيا البدع و هذه النبذة السيرة ايضاً انما هي من بركات عاوسهم و مددهم فيجب علينا ان نكون معترفين بان الفضل للمتقدمين رضى الله عنهم اجمعين الى يوم الدين (٧٥) .

و بالجملة فلا يشكر ان له ايدى يضاء على المشتغين بعلوم الدين في انحاء المعمورة و جل عمل الشيخ على القارى التلخيص و حسن الشرح و التجريد و كان منتهى امره صرف عمره في التقرير و التاكيد و هذا هو الفرق بين عمل المتقدمين و المتأخرين كما ينقله عن القاضي ابي الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى ٦٥٨هـ منها على نزاي المتقدمين و المتأخرين حيث قال :

”كما ان المتقدمين اجتهدوا في التأسيس و التعهيد فالتأخرون بذلوا و سعمهم في التلخيص و التجريد و صرفوا عمرهم في التقرير و التاكيد“ (٧٦) .

و يليق بنا ان ننبه هنا الى امر مهم وهو ان فقه الحديث علم غابض و المعتنون بهذا العلم و المبرزون فيه من القدماء و المتأخرين قليلون و المولى على القارى ان يعد في عدادهم و كفى به فخراً .

قال المولى عبد العزيز الدهلوى في رسالته المعجالة النافعة :

”ان علم الحديث لما كان من قبيل الخبر و الخبر يحتل الصدق و الكذب فلا بد في تحصيل

و بعده لم يبق من مجدد	و يرفع القرآن مثل ما بدى
و تكبر الاشرار و الاضاعة	من رفعه الى قيام الساعه
و احمد الله على ما علمنا	و ما جلا من الخفي و الغيا
مصيليا على نبي الرحمة	و الآل ما اصحابه المكرمه

(٧٥) راجع مرقة المفاتيح ج ١ ص ٢٤٨ دايع مصر .

(٧٦) راجع مرقة المفاتيح ج ٥ ص ٦٥٧ .

هذا العلم من امرين :

الاول : ملاحظة حال الرواة .

الثاني : الاحتياط العظيم في فهم معاني الاحاديث لان المساهلة في الامر الاول توجب التباس الكاذب بالصادق وعدم الاحتياط في الثاني يوجب اشتباه المراد بغير المراد وعلى التقديرين لا تحصيل الفائدة التي ترحى من علم الحديث بل يحصل ضدها الموجب للضلال والاضلال معاذ الله من ذلك .

فالامر الاول اعنى ملاحظة حال الرواة المخبرين فكان لهم في الصدر الاول من التابعين ومن تبعهم الى زمن البخارى ومسلم طريقتاً آخر حيث كانوا يبحثون عن احوال رجال كل بلغة و زمان و يقتشون عنها فمتى شوا في احد منهم رائحة الكذب و سوء الحفظ و عدم التدبير لم يقبلوا حديثه و من ثم صفت دقاته مسرطة و كتب مضبوطة في احوال الرجال و اما اليوم فتحاله على طريق آخر ولذلك وجب التمييز بين الكتب المجردة الصحاح القابلة للاعتدال و بين الكتب الواجبة الرد و الترك لتلايق الطالب في ورطة التخليط و قد فات هذا التمييز من كثير من المحدثين المتأخرين حتى خالفوا في رسائلهم جمهور السلف الصالحين و تمسكوا باحاديث الكتب التي لا عبرة بها عند المحققين المبرزين .

و الامر الثاني اى الاحتياط في فهم معاني الاحاديث فمشارك الانوار (٧٧) للقاضي عياض يكتفى لتوضيح معاني الصحيحين و المؤطا و جامع الاصول (٧٨) لابن الاثير يعنى عن الامهات الست كلها

(٧٧) قال قاضى القضاة برهان الدين ابن فرحون البالى المتوفى ٥٧٩٩ هـ في ترجمة القاضى عياض من كتابه الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب (ص ١٧٠ مصر ١٣٥١ هـ) ما نصه :
 "كتاب مشارق الانوار في تفسير غريب حديث المؤطا و البخارى و مسلم و ضبط الالفاظ و التنبيه على مواضع الإوهام و التصحيقات و ضبط اسماء الرجال و هو كتاب لو كتب بالذهب او وزن بالجواهر لكان قليلاً في حقه و فيه انشد بعضهم :
 مشارق الانوار تبنت بسبته و من عجب كون المشارق بالغرب
 طبع كتاب المذكور مرتين مرة بفاس و أخرى بمصر .

(٧٨) قال ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى المتوفى ٥٦٢٦ هـ في ترجمة ابن الاثير الجزرى الشافعى المتوفى ٥٦٠٦ هـ من كتاب معجم الادباء (ج ٦ ص ٢٤١ القاهرة ١٩٢٣ م) .
 "كتاب جامع الاصول في احاديث الرسول عشر مجلدات جمع قبة بين البخارى و مسلم و المؤطا و سنن ابي داود و سنن النسائى و الترمذى عمله على حروف المعجم و شرح غريب الاحاديث ومعانيها و احكامها و وصف رجالها و تبه على جميع ما يحتاج اليه منها"
 قال المؤلف اقطع قطعاً انه لم يصف مثله قط و لا يصفه و قد طبع جامع الاصول بمصر .

و جمع البحار (٧٩) يعنى لتحقيق جميع كتب الحديث من الطبقات الاربع المذكورة و شرح الشيخ عبد الرؤف المناوى على الجامع الصغير للسيوطى كاف واف لشرح اكثر الاحاديث و لكن كلام الشراح تنوع في شرحهم الاحاديث و توجيهاتها كثيرا رطباً و يابساً فليعلم الطالب رجلاً عليهم الاعتقاد في هذا الشأن و على كتبهم و تاليفهم التعويل و الايقان منهم الامام النووى (٨٠) شارح صحيح مسلم و البغوى و كتابه شرح السنة (٨١) كاف في فقه الحديث و توجيه مشكلاته حتى كاد

(٧٩) قال عنه المولى عبد العزيز الدهلوى في رسالته عجاله نافع ما نصه :

”جمع البحار للشيخ محمد طاهر الكجراتى يغنى بشرح غريبها و توجيه عباراتها عن جميع المواد“ (الحظرة في ذكر الصحاح الستة ص ٥٨).

و قال السيد عبد الحى الحسنى في ترجمة الشيخ محمد بن طاهر الفتنى المتوفى ٨٩٦ هـ من كتابه نزهة الخواطر (ج ٤ ص ٣٠١) ما نصه :

”و له مصنفات جليلة ممتعة اشهرها و احسنها كتابه. جمع بحار الانوار في غرائب التنزيل و لطائف الاخبار . . . جمع فيه كل غريب الحديث و ما الف فيه فجاء كالشرح للصحاح الستة و هو كتاب متفق على قبوله بين اهل العلم منذ ظهر في الوجود و له منة عظيمة بذلك العمل على اهل العلم“.

و قال السيد صديق حسن القنوجى في كتابه ابيد العلوم (ج ٣ ص ٨٩٦) :

”و كتابه جمع البحار قد طبع بالهند لهذا العهد و اشتهر اشتهاً الشمس في رابعة النهار و هو كتاب جمع فيه كل غريب الحديث و ما الف فيه فجاء كالشرح للصحاح الستة فان لم يكن عند احد شرح لكتاب من الامهات الست فهذا الكتاب يكفيه لحل المعاني و كشف المباني و هو كتاب متفق على قبوله متداول بين اهل العلم منذ ظهر في الوجود و بالله التوفيق“.

(٨٠) و قد اتى العلامة شرف الدين الطيبى في كتابه الكاشف عن سقائق السنن على شرح النواوى المعروف بالمنهاج في شرح مسلم بن الحجاج ثناء جعيلاً حيث قال :

”كان جل اعتادى و غاية اهتامى بشرح مسلم للنزوى لانه كان اجمعها فوائد و اكثرها عوائد“.

(٨١) قال محى السنة حسين بن مسعود البغوى في مقدمة كتابه شرح السنة ما نصه :

”هذا كتاب يتضمن كثيراً من علوم الاحاديث و فوائد الاخبار الروية عن النبي صلى الله عليه وسلم من حل مشكلها و تفسير غريبها و بيان احكامها و ما يترتب عليها من الفقه و اختلاف العلماء و جمل لا يستغنى عن معرفتها وهو المرجوع اليه في الاحكام و لم اودع فيه الا ما اعتده ائمة السلف الذين هم اهل السنة المسلم لهم الامر و ما اودعوه كتبهم =

يحصل منه شرح المصاييح و المشكاة كليهما و الخطابي شارح (٨٢) السنن لابي داود و هؤلاء هم الشوافع و منهم الطحاوي (٨٣) في شرح الاحاديث و كتابه معاني الآثار متمسك بالحفية و منهم

= و اما ما عرضوا عنه من المقاب و الموضوع و المجهول و اتفقوا على تركه فقد صنت هذا الكتاب عنه.

و قد اعتمد حكيم الاسة العلامة المحدث الفقيه شاه ولي الله الدهلوي في شرح الكبير للموطا بالفارسية على شرح السنة كما اعترف هو بنفسه في مقدمة المصنئ ، و قد رأينا قطعة من شرح السنة عند العلامة المحدث المحقق البارع المفضل الشيخ محمد يوسف البنوري و طالعناه .

(٨٢) قال ياقوت الروسى في ترجمة الاسام حسن بن محمد الصغاني اللاهورى المتوفى . ٥٦٥ هـ من كتابه معجم الادباء ما نصه :

” كان يقرأ عليه بعدن معالم السنن للخطابي و كان معجبا بهذا الكتاب و بكلام مصنفه و يقول :

” ان الخطابي جمع لهذا الكتاب جراسيمه“

(٨٣) و الطحاوي من الائمة الجامعين بين الفقه و الحديث و هذا امر لا يجده الا معاندا قال شقيبى الاكبر المحدث البارع المحقق المفضل الشيخ محمد عبد الرشيد النعماني في كتابه ما تمس اليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجه ص ٢٩ طبع كراچى .

يقول فيه (معاني الآثار) العلامة المحدث الفقيه الاصولى امير كاتب العميد الاتقانى في ”غاية البيان“ شرح الهداية .

اقول لا معنى لانكارهم على ابي جعفر فانه مؤمن لامتهم مع غزارة علمه و ورعه و تقدمه في معرفة المذاهب و غيرها فانظر شرح معاني الآثار هل ترى له نظيراً في سائر المذاهب فضلاً عن مذهبه هذا اه .

و لقد انصف حافظ المغرب اسام اهل الظاهر الشيخ ابن حزم الظاهرى حيث ذكره تلو الصحيحين مع كتاب ابي داود و النسائى كما ينقله الذهبى في ”سير النبلا“ في ترجمته حيث قال رأيت ذكر قول من يقول اجل المصنفات الموطا فقال :

”بل اولى الكتب بالتعظيم صحيحا البخارى و مسلم و صحيح ابن السكن و منتقى ابن الجارود و المنتقى لقاسم بن الاصبغ ثم بعدها كتاب ابي داود و كتاب النسائى و مصنف قاسم بن اصبغ و مصنف ابي جعفر الطحاوي قلت ما ذكر سنن ابن ماجه و لا جامع الترمذى فانه باراهما و لا دخلا الاندلس الا بعد موته اه“ .

و قال الحافظ العلامة بدر الدين العيني في ”نخب الافكار في شرح معاني الآثار“ :
و قد اتى عليه كل من ذكر، من اهل الحديث و التاريخ كالطبرانى و ابي عبد الله الحميدى =

ابن عبد البر المالكي مقدم هذه الجاعة و كتاباه الاستذكار (٨٤) و التمهيد تذكرتان عنه .

= على صحيح مسلم ما نصه :

ان مرتبة الطحاوي عندي ليس اقل مرتبة من ابي داود بل ابوداود قريب منه فان الطحاوي صحيح بوجهين :

الاول بحسب السند و الثاني بحسب المتن :

اسا بحسب السند فان روايته كثيرة ما يكون رواة ابي داود الا جابر الجعفي فما روى عنه ابوداود الا رواية واحدة عنه ايضاً و بعضهم قد جرحوا على جابر و بعضهم واقوه حتى ان شعبة لما اعترض على سفيان الثوري انت لم ترو عن جابر الجعفي قال اني اعلم بالغاظ وما يقول من الاحاديث الصحاح . و اعلم ان الذين يتعالمون على الاحاديث قد تفرقوا على فرتين الفرقة الاولى لا يشتغل ولا يهتم الا باحاديث الصحيحين و يترك ما وراء ذلك او يعمل عليه بالتذبذب و الشك ا صحيح ام لا و الثاني انهم ملاحظون الشروط التي ذكرها المحدثون لكتابهم و ان كانوا من الذين لا يبالون بالصحيح و السقيم فلا بد ان ينظر في اسنادهم .

و اسما الذين التزموا الشرائط فعلينا ان ننقل شروطهم و نعتد عليه اعم من ان يكون البخاري او المسلم او ابوداود او غير ذلك الى هذا ذهب ابن تيمية و غيرهم . قال الاستاذ (انور شاه) :

ما لنا لا نعتد عليهم انقول على ابن حجر و ترك النسائي و ابوداود و الطحاوي مع انهم من اجلة المحدثين فهذا هو خدعة الجاهلين و المتعصبين و الا اذا نظر نظر في البخاري و الصحيح لمسلم ايضاً و انك ستجد بعد التفتيش ان رواة الصحيحين ايضاً ليسوا بسالم عن الجرح و التقدح . نقلناها من اماليه على صحيح مسلم التي ضبطها تلميذه السيد مناظر احسن الجيلاني المتوفى ١٣٧٥ هـ و كانت هي محفوظة عند العلامة الشيخ شبير احمد العشاني المتوفى ١٣٦٩ هـ صاحب فتح المعلوم الذي استفاد منها في شرحه الحافل المذكور و قد طالعناها باستعارة من تلميذه المحقق المفضل الشيخ محمد يوسف البنوري الذي استعارها بدور من الاخ الشيخ العثماني .

و قد افرد ترجمة الطحاوي الشيخ محمد زاهد الكوثري و ساه الطحاوي في سيرة الاسام الطحاوي و ذكر ترجمة الطحاوي المرجوم الشيخ محمد يوسف بن محمد الياس الكاندهلوي ثم الدهلوي رئيس جماعة التبليغ بالهند في كتابه اماني الاحبار في شرح معاني الآثار و اثني على كتابه شرح معاني الآثار ثناء جميلاً .

(٨٤) الاستذكار لمذاهب ائمة الامصار و فيها تضمنته المؤلف من معاني الراي و الآثار و كتابه التمهيد لها في المؤلف من المعاني و الاسانيد قال ابن حزم :

"التمهيد لصاحبنا ابي عمر لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله اصلاً فكيف احسن منه ، و كتاب الاستذكار و هو اختصار التمهيد و له توالييف لا مثل لها في جمع معانيها"
تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٢٩ .

و بالجملة فهؤلاء الائمة قولهم هو المعتمد عليه و كلامهم هو المرجع اليه و الاقشراح كتب الحديث كثير وون يعسر عد اساميهم و اسامى كتبهم و لكل منهم شان آخر و نكونهم مع ذلك آخذون من اولئك الائمة فان تيسرت لاحد كتب هؤلاء القوم ارتفعت حاجة الطالب عن تشويشات المتأخرين و تكفاتهم البارزة في الدين و للشيخ ولى الله (٨٥) المحدث رضى الله عنه قواعد عجيبة و فوائد

(٨٥) كان الشيخ ولى الله الدهلوى من الفقهاء المحدثين كما قال هو بنفسه في رسالته الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف ما نصه .
 "خاص في بحار المذاهب الاربعة و اصول فقههم خوفاً بليغاً و نظراً في الاحاديث التى هى متمسكاتهم في الاحكام و ارتضى من بينها في الاحاديث بامداد النور الغيبي طريقي الفقهاء المحدثين".

و قال في كتابه الفوز الكبير في اصول التفسير (ص ٥٢ كراچى باكستان الغربية ١٣٨٠هـ).
 "و قد حصل للفقير بحمد الله و توفيقه في كل من هذه الفنون مناسبة و ادركت اكثر اصولها و جملة سالحة من فروعها فتحقق لى نوع من الاستقلال و التحقيق في كل باب يوجه يشبه الاجتهاد في المذهب و التقي في الخاطر من بحر الفيض الالهى فان او ثلاثة من فنون التفسير غير الفنون المذكورة و ان سألتنى عن الخبر الصدق فانى تلميذ القرآن العظيم بلا واسطة كما انى اويسى لروح حضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم الذى هو منبع الفتح و انى مستفيد من الكعبة الحسنة بلا واسطة كذلك ، و كذلك متأثر بالصلاة العظمى بلا واسطة".

و لو ان لى في كل منبت شعرة لسانا لما استوفيت واجب حمده
 و لذا كان يقول شيخنا الاجل ابو طاهر محمد عبد السميع الكردي المدني المتوفى ١١٤٥هـ.
 "انه يسند عنى اللفظ و كنت اصح منه المعنى".

و قال الشيخ الكردي في اجازته التى اجاز بها ، ما نصه :
 "و عند ما تشرفت بلقائه و اشرفت اذواء و فائه فانه طلب منى امرأ هو احرى ان يقتبس من مشكاته و منى شهياته".
 و قال الشيخ الكردي :

و احببت ان اكتب ابيات التى كتبها الشيخ عبد الله بن محمد بن ابى بكر العباس المغربى و اجازته لسيدى الوالد رحمه الله حيث شافهته بها و هى :

اجزتك لكن مثلك من يجزى و لم يستقد منى و لكن يفيدنى
 و بهذا يثبت ان عداده من الفقهاء المحدثين احق و احرى و من عدده في حفاظ المحدثين
 فقد اخطأ فيه كما فعل السيد عبد الحى الكتاتنى الفاسى المتوفى ١٣٨١هـ في كتابه فهرس الفهارس =

غربية لفهم معاني الاحاديث و دفع التعارض من بينها و كتاب المغيث في مختلف الحديث حسن بسن

= و الاثبات (ج ٢ ص ٤٣٨) حيث قال :

”قلت و هو بمن ظهري انه (يعد من حفاظ القرن الثاني عشر) لانه من رحل و رحل اليه و روى و صنّف و اختار و رجح و غرس غرسا بالهند اطعم و اتمر و اكل منه خلق و قد فاتنا ذكره في برنامجهم السابق في اول المجلد الاول ص ٤٩ و يكتبني في ترجمة ولي الله المذكور ان من تخرج به الحافظ الزبيدي فانه اخذ عنه في الهند قبل رحلته الى البلاد العربية“.

و ما قال الكتاني فيه قال بلاد دليل فلا يعتمد عليه و لا يوثق به .
و كذا جاوز الحد من لم يجوز اطلاق لفظ المحدث عليه كالسيد محمد صديق حسن القنوجي
حيث قال في كتابه ”سلسلة العسجد في ذكر مشايخ السند“ !

”اقول لاشك ان الاستحقاق لاسم المحدث يقتضى العبور و العزور و الجهد البليغ و كل فقيه و قارى للمشكاة و المشارق لا ينبغي ان يدعى باسم المحدث لكن عامة الناس لا يميزون شيئا عن غيره متى يرون رجلا مشغولا بكتاب من الحديث ينادونه باسم المحدث و هذا تقصير منهم لا تقصير المشتغلين به و الشيخ عبد الحق الدهلوي الذي كان فقيه المذهب الحنفي و من هذا القبيل عداة في المحدثين و لا يعلم اذا كان حضرة الشيخ درس كتب الصحاح الستة على وجه المعتبر عند اهل الاثر مع انه حصل اجازته للتبرك بل ان مرتبة شاه ولي الله المحدث الدهلوي و اولاده الاجداد اعلى منه و اجل وان كانوا لم يبلغوا درجة التحديث العليا على معيار اهل الاثر“.

و العجب كل العجب ان القنوجي افترض في ثنائه على شيخه القاضي الشوكاني و يصفه ”بشيخنا الامام العلامة الرباني و السهيل الطامع من القطر الباني امام الائمة و مفتي الامة بحر العلوم و شمس الفهوم سند المجتهدين الحفاظ ، فارس المعاني و الالفاظ فريد العصر نادر الدهر شيخ الاسلام قدوة الانام علامة الزمان ترجمان الحديث و القرآن ، علم الزهاد ، اوجد العباد قاصع المبتدعين آخر المجتهدين ، رأس الموحدين ، تاج المتبعين ، صاحب التصانيف التي لم يسبق الي مثلها قاضي الجماعة شيخ الرواية و الساعة ، على الاسناد ، السابق في ميدان الاجتهاد على الاكابر الاجداد ، المطلع على حقائق الشريعة و مواردها العارف بغوامضها و مقاصدها“ (ابجد العلوم ص ٨٧٧).

و لا يرضى باقل منه و حسب انه بكل هذا الاطراء لم يؤد حقه مع ان الشوكاني لم يكن من الفقهاء المحدثين كالطبيسي و على القاري و الشيخ عبد الحق و شاه ولي الله الدهلوي و ام يبلغ الشوكاني شأوهم و كان جمل نظره القشر دون اللب و الشيخ عبد الحق و شاه ولي الله كانا من الفقهاء المحدثين المتقين ولهما قدم راسخ من التحديث على شروط المحدثين و كانا صاحبا ثبت حسن =

نموذجاً في هذا الباب و حصول ملكة اتميز لاحد ما بين صحيح الحديث و سقيه و استقامة الذهن

= متلقا بقبول حسن وهذا ما صدر عن القنوجي بسبب تعصبه ضد الحنفية والا فابن الثرى من الثريا .
و الحق فيه ان منزلة شاه ولي الله كمنزلة الطيبى و يصدق عليه ما نقله العلامة محمد بن
عبد الباقر الزرقانى عن السيوطى فى حق الطيبى ما لفظه :

”قال السيوطى و له الهام بالحديث لكنه لم يبلغ فيه درجة الحفاظ و منتهى نظره الكتب
السته و مسند احمد و الدارمى لا يخرج من غيرها و كثيرا يورد صاحب الكشاف
الحديث المعروف فلا يحسن الطيبى تحريمه و يعدل الى ذكر ما هو فى معناه مما فى هذه
الكتب و هو تصور فى التخريج“ (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ج ٥ ص ٧٧
طبع مصر).

و الشيخ ولى الله كان مثيل السلف فى جمع الفضائل و الكبريات الظاهرة و الباطنة و الامعان
و دقة النظر كما قال هو عن نفسه :

و من نعم الله تعالى عليه ان اولاه خلية الفاتحيتة و الهمة الجمع بين الفقه و الحديث
و اسرار السنن و مصالح الاحكام و سائر ما جاء صلى الله عليه و سام من ربه عزوجل
حتى اثبت عقائد اهل السنة بالادلة و الحجج و طهرها من قذى اهل المعقول و اعطى
علم الابداع و الخلق و التدبير و التذلل مع طول و عرض و علم استعداد النفوس
الانسانية بجمعها و افيض عليه الحكمة العلمية و توفيق تشييدها بالكتاب و السنة
و تمييز العلم المتقول من المحرف المدخول و فرق السنة السنية من البدعة الغير
المرضية انتهى .

و قال شاه عبد العزيز الدهلوى فى كتابه ”بستان المحدثين فى تذكرة كتب الحديث
و المحدثين .

كتب شيخنا و قدوتنا فى كل العلوم و الامور الشيخ ولى الله الدهلوى قدس سره شرحين
على المؤطا و آثاره برواية يحيى بن يحيى الليثى و حذف منه اقوال مالك و بعض بلاغاته الاول
منها على نهج المجتهدين ساه المصنفى بالفارسية .

و الآخر مختصر اكتفى فيه على بيان مذاهب الفقهاء للحنفية و الشافعية و على القدر اللازم
من شرح الغريب و ضبط المشكل و ساه بالسوى من احاديث المؤطا برواية يحيى بن يحيى بالعربية .

و اقول كتابه ”حجة الله البانغة فى اسرار الحديث و حكم الشرعية“ و ان كان موضوعه
بيان اسرار الشرعية و معارفها لكن ما خلا المباحث الخمسة الاولى فهو شرح احاديث المشكاة اتى
فيه باسرار و معارف تحريه به القول و عجز عن ابرازها المتقدمون و المتأخرون و كانت هذه هى
الفضيلة التى لا يباريه فيها احد .

و سلامة الطبع و عدم الميل الى الخطاء و قبول الصواب بقليل التنبيه و الایماء نعمة عظمی و دولة

= كتابه هذا جامع لعلومه منقحة و من احسن تصانيفه قال السيد عبد الحی الحسنی في كتابه
نزهة الخواطر (ج ٦ ص ٤٠٢) .

قال ولده عبد العزيز في كتابه الى امير حيدر البلگرامی :

كتابته حجة الله البالغة التي هي عمدة تصانيفه في علم اسرار الحديث (لم) يتكلم في هذا العلم احد قبله على هذا الوجه من تأصيل الاصول و تفريع الفروع و تمهيد المقدمات و المبادئ و استنتاج المقاصد منها الى المجلس و النادي و انما يستشتم نفعات قليلة من هذا العلم في كتاب (احياء العلوم) للغزالي و كتاب "القواعد الكبرى" للشيخ عز الدين عبد السلام المقدس و ربما يوجد بعض فوائد هذا العلم في مواضع من "الفتوحات المكية" للشيخ الاكبر و "الكبرى الاحمر" (في علوم الشيخ الاكبر) للشعراني وكذا مؤلفات تلميذه الشيخ الكبير الشيخ صدر الدين القونوي قدس سرها و قد جمعها الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتاب الميزان" انتهى .

و ليس على الله بمستكر ان يجمع العالم في واحد

وقال صديق حسن القونوي في الجزء الثاني من كتابه ايجد العلوم المسى بالسحاب المركوم

في بيان انواع الفنون و اقسام العلوم ما نصه :

"علم تبين المصالح المرعية في كل باب من الابواب الشرعية"

و في هذا العلم كتاب حجة الله البالغة للشيخ الاجل ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي المتوفى ١١٧٦ هجرية و قل من صنف فيه او خاض في تاسيس مبانيه او رتب منه الاصول والفروع او اتى بما يسمن او يعنى من جوع كيف و لا تبين اسراره الا لمن تمكن في العلوم الشرعية باسرها و استبد بالفنون الالهية عن آخرها و لا يصفو مشربه الا لمن شرح الله صدره لعلم لدني و ملائقيه بسر وهبى و كان مع ذلك وقاد الطبيعة سجال القرعحة ، حاذقاً في التقرير و التحرير بارعاً في التوجيه و التعبير قد عرف كيف يوصل الاصول و يبني عليها الفروع و كيف يمهّد القواعد و يأتي لها بشواهد المعقول و المسموع و لم اعرف احدا آتاه الله منه حظاً و جعل له منه نصيباً الا صاحب الحجة فانه قد تفرد بالتأليف في هذا العلم و هدى الناس الى المعجزة و الله اعلم .

ولكن مع جلالة قدره و علو كعبه في العلوم و المعارف كان له شذوذ و زلات و جب التحرز عنها و قد اوما اليه المحدث الناصر الشيخ مهدي زاهد الكوثري حيث قال في كتابه حسن التقاضى في سيرة الامام ابي يوسف القاضى (ص ٩٦ طبع مصر ١٣٦٨هـ) ما نصه :

و لا بأس ان اتحدث في الختام عن الجبر الهامم الشيخ احمد بن عبد الرحيم الدهلوي رحمه الله ، لكثرة تعرضه لمباحث الاجتهاد و تاريخ الفقه و الحديث في كتبه باندفاع و جرأة ، على كدورة في تفكيره ، و تحكم في تصويره مع ضيق دائرة اطلاعه على كتب =

كبرى فان العلم وموارده كثيرة في العالم واما العزيز هي الملكة المذكورة فانها الكبريت

= المتقدمين وقله دراسته لاحوال الرجال و تاريخ العلوم والمذاهب مسترسلا في خيال أدى به الى الشطط في كثير من بحوثه و تقريراته .
وكتبه لها روعة وفيها فوائد بيد ان له فيها افراد لا تصح متابعتها فيها لها عنده من اضطراب فكري ينأى به عن الاصابة في تحقيق الموضوع ، ويشطح به التابع والمتبوع ، وفي كثير من الاحوال يجد عنده عبارات ليكون من لم يدرس حياته على بينة من امره ، واما التوسع في بيان ما في افرداته من الشطط فيحتاج الى تفرغ خاص .

وله رحمه الله خدمة مشكورة في انهاض علم الحديث في الهند ، لكن هذا لا يبيح لنا السكوت عما ينطوى عليه من اعمال تجاح الصواب ، فاقول :

كان رحمه الله نشأ على مذهب الحنفية في الفروع والمعتقد ، وعلى مذاق العارف الشيخ احمد بن عبد الأحد السرهندي المعروف بالامام الرباني في القول بالتوحيد الشهودي ، والم بالحديث والفلسفة على عادة اهل بلده ، ثم رحل الى الحجاز فتلقى الاصول الستة من الشيخ ابي طاهر بن ابراهيم (كلامه في الأسم في اعتقاد الشافعي والتنبيه بعده يرشدك الى مسلكه في العقيدة وكتابه "جلاء الفهوم في رؤية المعلوم" يدل على مسلكه الفلسفي ، ومن تابع مثله لا يبد من ان تضع مواهبه : وتضطرب افكاره ومذاهبه ، وان اعتدل بعض اعتدال فيما بعد في "قصد السبيل" (ز) الكوراني الشافعي بالمدينة المنورة ولازمه وعكف على كتب والده التي تحاول الجمع بين الآراء المتراكمة للحشوية والاعتدالية والفلاسفة والمتكلمين قال الى مذهبه في الفقه والتصوف فعاد الى الهند منحرفا عن مشرب اهل بيته ، ومذهبه اسرته ، في التصوف والفقه والاعتقاد مرتبيا التوحيد الوجودي ولسان حاله يقول :

عقد الخلائق في الاله عقائدا وانا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فافتقرت الكلمة هناك باندفاعه في دعوته الى آرائه في المذهب الفقهي ومحاولته الجمع بين آراء الحشوية والفلاسفة والقائلين بوحدة الوجود واذاعته القول بالتجلى في الصور (راجع الجنائز) من حجة الله البالغة (ز) و الظهور في المظاهر ، فلنأ منه ان ذلك من عقيدة الاكابر ، مع ان هذا وذاك من باب القول بالحلول ، فيكون منبوذا عند الفحول من ارباب العقول وكم لهذا القول السقيم ، من نظائر في العهد القديم .

وعبقات حفيده مما زاد في الطين بلة ، و فرق كلمة الملة ، الى لاسذهبية وحشوية وحنفية متنافرة متباينة في الاصول والفروع حتى دار الزمن فاخذت اللامذهبية تنمو وترعرع في تلك البلاد ، وان رجع الجد فيما بعد الى المذهب بمباشرة يذكرها في "فيوض الحرمين" و "التفهيمات الالهية" راجع مقدمة فيض الباري (ص ۲۴) .

=

= وكان الجد جيد الاهتمام . يمتون احاديث الاصول الستة لكنه كان يكتبها من غير نظر في اسانيدها ، والواقع ان الاكتفاء يمتون يقصر المسافة الى حد الاقتصار على مجلد واحد في الحديث ، لكن اهل العلم في حاجة ماسة الى النظر في الاسانيد حتى في الصحيحين فضلا من السنن في باب الاحتجاج بها على الفروع كما هو طريقة اهل العلم فكيف يستباح ترك النظر في الاسانيد في باب الاعتقاد ؟ واكتفاؤه يمتون الستة من غير نظر الى الاسانيد جراه على التحكم في مذاهب الفقهاء و مسانيد الائمة بما هو خيال يمت يذوب امام التاريخ و تحقيق اهل الشأن .

ومن اغراباته عده انشقاق القمر عبارة عن ترائيه هكذا للنظار و ليس سحر الاعين من شان رسل الله صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين .

و منها حمله لمشكلات الآثار على وجوه سبئية على تخيل عالم يسميه عالم المثال تجسد فيه المعاني في زعم بعض المتصوفة اخذاً عن المثل افلاطونية وهذا العالم خيال لم يثبت وجوده في الشرع و لافي العقل احالة حل المشكلات على هذا العالم احالة على خيال ، بل نقياً لمعاني الآثار بسبب اقامها في مجاهل عالم المثال ، مع كون حمل الشيء على ما لا يفهمه اهل التخاطب في الصدر الاول محض خيال و ضلال ، فلا يبقى مجال لحل المشكلات غير النظر في الاسانيد و رجالها و في وجوه الدلالة المعتبرة عند الائمة البررة .

و منها جعله المتقدم القريب من النبيع الصافي كدر الروايات ، و المتأخر المستقى من موارد كدرة صافي المرويات ، و عدم تميزه بين رصانة التاصيل المؤدية الى قلة مخالفة المتأخر من اهل المذهب مها علت منزلته في العلم رواية و دراية و بين كثرة الاضطراب في التاصيل المستلزمة لكثرة مخالفة المتأخر الخاضع للمذهب و ان كان قصير الباع ، غير واسع الاطلاع .

و منها تحكمه في اصول المذهب ، و تقوله انها صنع يد المتأخرين و ذكره الزيادة على النص بخير الاحاد في هذا الصنف مع ذكره مناظرة الشافعي مجدا في ذلك مناقضاً نفسه و ناقصاً لما ابرمه قبل لحظة ، وهذا من الدليل على مبلغ وعيه و على ضيق دائرة اطلاعه و عدم خبرته بكتب المتقدمين المبوته فيها كثير من اصول المذهب بالنقل عن اثمتنا القدماء ، فابن هو من الاطلاع على كتاب الحجج الكبير او الصغير لعيسى بن ابان ؟ و فصول ابي بكر الرازي في الاصول و شامل الاتقاني ؟ و شروح كتب ظاهر الرواية ؟ التي فيها كثير جدا مما يتعلق باصول المذهب المنقولة عن اثمتنا فلا يصح ان يعول على مثله في هذا الموضوع .

و منها اختياره لقدم العالم كما حكاه المحقق الكشميري عن بعض رسائله في بدء الخلق من فيض الجباري ، و هذا داهية الدواهي ، و الاغرب من هذا استدلاله على ذلك بحديث ابي رزين في العام عند الترمذي ، رافضاً تاويل الراوي مع ان في سنده حاد بن سلمة و وكيع بن حذاف فحباد مختلط =

الأحمر ، شعر :

رسائل اخوان الصفاء كثيرة و لكن اخوان الصفاء قليل (۸۶)
و المولى على القارى جمع في كتابه مرعاة الصفايح جميع الشروح و الحواشى و لذلك
اصبح شرحه المذكور اجمع الكتب و انفعها لحصول الملكة و فهم معارف الحديث و لكنه يلزم
علينا هنا استعراض ما اختاره العلماء المتأخرون من انتقاء الاحاديث و تبويبها في كتبهم و العمل
الجليل الذى قام به بغوى ثم ما اصلحه و استدركه الخطيب العمري على كتابه مصابيح السنة
و ساء مشكاة المصابيح و الكلام على شروحها و ميزة الملا على القارى في شرحه لنبرز بصورة
واضحة الخدمات الممتازة التى اداها العلماء المتأخرون بصورة عامة و الملا على القارى بصورة خاصة.
فتقول ان تدوين السنة على المسانيد و ابواب الفقه و جمعها في بطون الكتب تلا عصر
ترتيبها و تهذيبها و انقضى معه عصر المتقدمين و بدأ القرن الخامس الذى هو بداية عصر
التأخرين فهض جاعات من اعلام الفقهاء المحدثين من الشرق و الغرب بتلخيص المتون و حسن
تجريدتها اما بترتيب يدعي او تهذيب زائد او اختصار او استنباط حكم و شرح غريب مما يلائم حاجة
عصر دون عصر و مما يناسب الاوضاع الخاصة بفترة من التاريخ و استمر تدوين الحديث على هذا
النموال .

فمن المحدثين البارزين من جمعوا بين كتابي البخارى و مسلم و رتبوا تاليفهم على المسانيد
دون الابواب كما فعله ابو مسعود ابراهيم بن محمد الدمشقى المتوفى ۵۴۰ هـ و ابو عبد الله محمد بن ابي نصر
الحميدى المتوفى ۵۴۸ هـ .

= دس في كتبه ريباه ما شاء من الاباطيل في التشبيه ، و تمامه البخارى مطلقا و مسلم في روايته عن
ثابت ، و شيخه يعلى بن عطاء ليس بذاك القوى ، و وكيع بن حديد او عدس على الاختلاف
بجهول الصفة ، فمثله لا يحتج في حيز النساء فاني لمثل هذا الخبر ان يكون حجة ؟ في اثبات المكان
له تعالى او اثبات قدم العالم المنافى لكتب الله المنزلة ، و من تكون بضاعته هكذا في الحديث
كيف يتحاكم اليه في ادلة الاحكام ؟ على انه جنح فيما بعد عن الجموح و عاد الى الجادة بالآخرة ،
في مبشرة رأها في المدينة المنورة ، حيث قال في فيرض الحرمين (۴۸) :

عرفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في المذهب الحنفى طريقة انيقة هي اوفق الطرق
بالسنة

فخاب اسل من يسعي في هدم المذهب بمعادله في (الانصاف) و (عقد الجيد) و (حجة الله
البالغة) و غيرها ، و هذه الاشارة العابرة كافية هنا في التنبيه الى شطحاته ، و لعل الله سبحانه يوفقنا
لغربة الآراء في هذا البحث المشتب في فرصة أخرى ، و ما ذلك على الله بعزير .

(۸۶) راجع القنوجى ، الحطة في ذكر الصحاح الستة ص ۵۸ ، المطبعة النظامية بكافور
الهند ۱۲۸۳ هـ .

و منهم من جمع بين اصول الستة اى الصحاح الثلاثة التى هى البخارى و مسام و الموطأ و السنن الثلاثة وهى سنن ابى داود و الترمذى و النسائى كما فعله ابو الحسن رزى بن معاوية العيدرى الاندلسى المتوفى ٥٣٥ هـ فى كتابه التجريد الصحاح و السنن .

و منهم من تصدى لجمع احاديث الآداب و الاخلاق و الترغيب و الترهيب كالامام اسماعيل ابن محمد الأصبهاني المتوفى ٥٣٥ هـ و الحافظ عبد العظيم المنذرى المتوفى ٥٦٥ هـ .

و منهم من دون الاحاديث على حروف متشابهات فى اوائل الكلمات كما فعله القاضى ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى الشافعى المتوفى ٥٤٥ هـ فى كتابه "شهاب الاخبار فى الحكم و الآداب" و الامام ابو العباس احمد بن محمد الاقلىشى المتوفى ٥٥٠ هـ فى كتابه "النجم من كلام سيد العرب و العجم" حيث رتبته على عشرة ابواب و جعل الباب العاشر مختصا بادعية ماثورة عن انبى صلى الله عليه وسلم و العلامة حسن بن محمد الصغانى اللاهورى المتوفى ٥٦٥ هـ فى كتابه "مشارك الانوار النبوية" .

و منهم من اتى بالاحاديث باعتبار الاخلاق و الصفات كما فعله الامام محى الدين ابو زكريا يحيى بن شرف النووى المتوفى ٥٦٧ هـ فى كتابه "رياض الصالحين" .

و منهم من اقتصر على جمع احاديث الاحكام كما فعله الحافظ العلامة عبد الحق بن عبد الرحمن الازدى الاشيبلى المالكي المعروف بابن الخراط المتوفى ٥٨١ هـ فى كتابه "الاحكام الصغرى" و الشيخ تقي الدين عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى المتوفى ٥٦٠ هـ و شيخ الاسلام محمد الدين عبد السلام ابن عبد الله الحرانى المتوفى ٥٧١ هـ فى كتابه "المنتقى فى الاحكام الشرعية من كلام خير البرية" .

و منهم من اتى بالاحاديث باعتبار الأزمنة و الاوقات كما فعله الاسام النووى فى كتابه "الاذكار المنتخبة من كلام سيد الابرار" .

و منهم من استخرج الاحاديث من ابواب متفرقة كالعقائد و الاحكام و السير و الآداب و الفتن و اشراط الساعة و المناقب كما فعله الامام محى السنة المحدث الفقيه الشيخ حسين بن مسعود الفراء المتوفى ٥١٦ هـ فى كتابه "مصاييح السنة" .

و من الأسف ان هؤلاء الجهابذة الكرام قصرُوا جهودهم فى تدوين نوع خاص من الحديث النبوى الشريف حيث بقى تداولها فى نطاق ضيق وان اعتنى بشرحها بعض اعلام النبلاء بخلاف مؤلفات اولئك المحدثين المتقين الذين القوا على اساس حديث النبوى الشريف بصورة عامة بدون التقييد بنوع دون نوع او صنف دون صنف فقد كان ذلك سببا فى ذبوع صيتهم فى مجال الحديث النبوى الشريف فمن اقدمهم و اشهرهم محى السنة الاسام المحدث الفقيه حسين بن مسعود الفراء البغوى حيث انتقى الاحاديث من ابواب متفرقة فى كتابه مصاييح السنة و رتبته على تسق رائق و وضع شائقى حيث تبهر الناظرين وتروق بصائر المتوسمين و الكتب التى اشتهرت فيها بعد اشتهرت باختصارها او بوضعها لا تساوى المصاييح و لا تدانيه و فيما يلى ما كتبه محى السنة البغوى فى هذا الصدد :

"هذه الفاظ صدرت عن صدر النبوة ، و سنن سارت عن معدن الرسالة و احاديث جاءت عن

سيد المرسلين وخاتم النبيين ، هن مصابيح (٨٧) الدجى خرجت عن مشكاة القوى ، مما اورده الائمة في كتبهم ، جمعتها للمتقنين الى العبادة لتكون لهم بعد كتاب الله تعالى حظاً من السنن ، و عوتاً على ما هم فيه من الطاعة ، و تركت ذكر اسانيدنا حذراً من الاطالة عليهم ، و اعتاداً على نقل الائمة ، و ربما سميت في بعضها الصحابي الذي يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعنى دعا اليه ، و تجد احاديث كل باب منها تنقسم الى صحاح و حسان اعنى بالصحاح ما اخرجه الشيخان ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي البخارى و ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى -رحمهما الله- في "جامعها" او احدها و اعنى بالحسان ما اورده ابوداود و سليمان بن الأشعث السجستاني و ابو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذى ، و غيرها من الائمة في تصانيفهم (٨٨)

(٨٧) قال مصطفى بن عبد الله الشويرى بالحاج خليفه المتوفى ١٠٦٧ هـ في كتابه كشف الظنون عن اسامى الكتب و الفنون ج ٢ ص ١٦٩٨ (طبع استنبول ١٣٦٢ هـ)

"قبل المؤلف لم يسم هذا الكتاب بالمصابيح تصا منه و انما صار هذا الاسم علماً له بالغلبة من حيث انه ذكر بعد قوله اما بعد ان احاديث هذا الكتاب مصابيح الخ . و عدد الاحاديث المذكورة فيه اربعة آلاف و اربعائة و اربعة و ثمانون حديثاً فمنها ما هو الحسان الفان و خمسون حديثاً "ابن الملك". (١)

(٨٨) و هذا اصطلاح آخر خاص به قال العلامة محمد بن اسماعيل الامير المتوفى ١١٨٢ هـ في كتابه توضيح الافكار لمعاني تنقيح الانظار ج ١ ص ١١٦ طبع القاهرة ١٣٦٦ هـ . و قد وقع للبغوى في المصابيح اصطلاح آخر في الصحيح و الحسن ، فجعل الصحيح ما رواه الشيخان او احدهما في كتابيها ، و الحسن ما رواه غيرهما ، اعترضه ابن الصلاح و النووى و غيرها ان تخصصه الصحاح بما رواه الشيخان او احدهما في كتابيها و الحسن بما رواه ابوداود و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و الدارمى ، اصطلاح لا يعرف ، بل هو خلاف الصواب اذ الحسن عند اهل الحديث ليس عبارة عن هذا الذى ذكره ، لانه وقع في كتب السنن الصحيح و هو كثير و الضعيف و هو كثير .

و قد اجاب التاج التبريزى بان هذا الاعتراض عجيب ، اذ من المشهور المقرر عند ارباب العلوم العقلية و النقلية ان لا مشاحة في الاصطلاح ، و حينئذ فتخطئه المرء في اصطلاحه بعيد عن الصواب و قد اخترع غيره له اصطلاحاً آخر كالحاكم و الخطيب ، فانها اصطلاحاً على اطلاق الصحة على جميع ما في سنن ابى داود و النسائى ، و واقفها في السنن جماعته منهم ابو على النيسابورى و ابواحمد بن عدى ، و الدارقطنى انتهى ملتقطاً من فهرسة ابن حجر الهيتمى ، و انما نقلته لثلايق الناظر على تصحيح الترمذى او تحسين البغوى فيظن انه من قسم ماصححه امام من الائمة او تحسين =

(١) لكن قال صاحب المرقاة (ص ١٠ ج ١) قبل احاديثه اربعة آلاف و اربع مائة و اربعة و ثلاثون حديثاً - مصحح .

-رحمهم الله- واكثرها صحاح ينقل العدل عن العدل ، غير انها لم تبلغ غاية شرط الشيخين في علو الدرجة من صحة الاسناد ، اذا كثر الاحكام بثبوتها بطريق الحسن ، وما كان فيها من ضعيف او غريب اشرت اليه ، و اعرضت عن ذكر ما كان منكروا او موضوعاً (٨٩) ، والله المستعان وعليه التكلان (٩٠) .“

لهذه الاهداف برز كتابه في صورة انيقة جذابة مرتبة ترتيباً راقياً عند الملمين بهذا الفن الشريف و قد اثنى على حسن تنسيقه و ترتيبه و تنويع ابوابه و جودة ضيعة الشيخ العلامة الحافظ محمد بن عتيق بن علي التجيبي الغرناطي المعروف باللازدي المتوفى ٥٦٤٦ هـ في مقدمة كتابه انوار المصباح في الجمع بين الكتب الستة الصحاح حيث قارن كتابه مصابيح السنة بالكتب التي دونت على طرائق مبتكرة و اتبعت نطاقاً ضيقاً في مجال الحديث البغوي الشريف فقال :

”رتب ابن الاثير على حروف التهجي و الصغاني و القضاعي و الاقليثي رتبوها على الفاظ متشابهات في اوائل الكلمات و النووي و المدني و غيرها رتبوه باعتبار الاخلاق و الصفات او الازمنة و الاوقات و المصاييح احسن ترتيباً من هذا الجمع فانه وضع دلائل الاحكام على نهج يستحسنه الفقيه و وضع الترغيب و الترهيب على ما يقتضيه العلم و يرتضيه

= بالمعنى الذي ذكره المصنف وغيره للصحيح، بل لا بد من معرفة اصطلاح الامام الذي قال صحيح او حسن قبل ذلك على انه قد تعقب الحافظ ابن حجر كلام التبريزي في اعتراضه على البغوي و انما اراد ان يعرف ان البغوي اصطلاح لنفسه ان يسمى السنن الاربعة الحسن ليستثنى بذلك عن ان يقول عقب كل حديث يخرجها منها خرجها اصحاب السنن او بعضهم ، و كلامه يكاد يكون صريحاً في ذلك حيث قال ”هذا اصطلاح لا يعرف“ فبين انه اصطلاح ، و انه حادث ، ثم قال : و ليس الحسن عند اهل الحديث عبارة عن ذلك حتى لا يظن انه ليس فيها الا الحسن الذي تقدم تعريفه ، ثم قال الحافظ ابن حجر : و الحاصل انا لا نسلم ان البغوي اراد الحسن المتقدم تعريفه ، و لا نسلم ان ابن الصلاح اعترض عليه ، انتهى .

(٨٩) قال العلامة ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي المتوفى ٥٨٨٥ هـ .

”ان البغوي لا يبين الصحيح من الحسن فيما اورده من السنن و انما يبين الغريب غالباً و قد يبين الضعيف“.

و قال الشيخ احمد محمد شاكر في تعليقاته على الباعث الحديث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير طبع القاهرة . ١٣٧٠ هـ ٤٣ قلت و كذلك قال في خطبة كتابه : ”و ما كان فيها من ضعيف اشرت اليه“ انتهى فاللايراد باق في مزجه صحيح ما في السنن بما فيها الحسن و كأنه سكت عن بيان ذلك لاشراكها في الاحتجاج به“.

(٩٠) راجع مصابيح السنة ج ١ ص ٢ طبعة بولاق مصر ١٢٩٤ هـ .

و لو فكر احد في تغيير باب عن موضعه لم يجد له موضعه انسب مما اقتضى رأيه (٩١)“
وتفنى بوصفه الرائع الشاعر المفلح الشيخ ابو تراب عبد الحى بن حيدر فقال :

كتاب المصاييح الحسان صحاح	مفاتيح خيرات لكل مفلح
منير لاحكام الشريعة كلها	منار لمتهاج الهدى بالتحقق
اسام لاقوال الانام واسوة	به يستبين الحق من كل منطوق
به اس ارباب العلوم مشيد	به شمل اصحاب الهوى في التفرد
سعى في مصاييح الدجى نور قصده	بتهديب احكام لكل موفق (٩٢)

و لاشك لم ير مثله من حيث تنوع ابوابه و جودة ترتيبه و غزارة مادته في تأليف معاصريه
و كان كتاب المصاييح للفراء كالمثل السائر القائل بان كل الصيد في جوف الفراء فتداولته ايدى
النظار و انثال عليه علماء الامصار مطالعة و قراءة و اقراء و تلخيصاً و شرحاً و تعليقاً فاشتهر في
الاقطار كالشمس في وسط النهار .

فاول من لخصه تلميذه العارف الفقيه الشيخ ابو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردى
المتوفى ٥٦٣هـ .

و اول من شرحه العلامة امام السنة الشيخ شهاب الدين فضل الله التوربشتى الحنفى و سباه
الميسر و اتمه سنة ست و ستين و ست مائة ثم القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى
٥٦٨٥هـ و سباه تحفة الابرار و تلميذ فضل الله التوربشتى الشيخ صدر الدين ابو المعالى المظفر العمرى
المتوفى ٥٦٨٨هـ و سباه التلويح في شرح المصاييح و ابو الفرج محمد بن داود بن يوسف التبريزى فرغ
منه ٥٦٨٠هـ .

و قد اكتفينا على سرد اسماء العلماء الذين اعتنوا بشرحه و تلخيصه في القرن السادس و السابع
من الهجرة و الا استمر حال الاشتغال بشرحه و تعليقه و ترتيبه و تهذيبه و تنقيحه الى القرن
الحادى عشر من الهجرة كما يوضحه كشف الظنون عن اسماء الكتب و الفنون للخليفة .

و لذلك طبقت شهرته الآفاق و اتخذت الاعاجم قراءته ديدنها و ظنوا ان من قرأه باسعان
قد وصل الى درجة المجدين فتعقب عليه تاج الدين عبد الوهاب السبكي المتوفى ٥٧٧١هـ في كتابه
”معيد النعم و مبيد النقم“ حيث قال :

”و منهم (العلاء) فرقة . . . كان قصارها النظر في ”مشارق الانوار“ للمصاغاني فان
ترفعت ارتقت الى مصاييح البغوى و ظنت انها بهذا القدر تصل الى درجة المحدثين
و ماذاك الا لجهلها بالحديث، فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب ، و ختم
اليهما من المتون مثليها لم يكن محدثاً و لا يصير بذلك محدثاً حتى يلج الجمل في سم

(٩١) راجع كشف الظنون ج ٣ ص ١٧٠١ .

(٩٢) ايضاً ص ١٦٩٨ .

الخطاط (٩٣)“

وفي القرن الثامن من الهجري لما اراد العلامة شرف الدين الطيبي بانتقاء الاحاديث الصحيحة في كتاب وجد مصابيح السنة للبغوي مختصراً مفيداً للناس مقبولاً بحسن وارتأى فيه نقصاً واحس بحاجة لزيادة ذيل عليه فشاور فيه تلميذه الخطيب التبريزي فاتفقا على اصلاحه وتهذيبه وتذييله واجتهد الخطيب فيه حتى اتمه وعرضه على شيخه الطيبي فاستحسنه واستجاده .

وفي هذا القرن اجتهد معاصره العلامة صدر الدين ابو عبد الله محمد شرف الدين بن ابراهيم السلمى المناوى الشافى المتوفى ٥٧٤٨ هـ في اصلاح مصابيح السنة بتخريج احاديثه ونسبة كل حديث الى مخرجه وشرحه كما قال في كتابه كشف المناهج والتفاتيح في شرح احاديث المصابيح ما نصه: ”ان المصابيح هو الذي عكف عليه المتعدون لكنه لطلب الاختصار لم يذكر كثيراً من الصحابة رواية الآثار ولا تعرض لتخريج تلك الاخبار بل اصطلح على ان جعل الصحاح هو ما في الصحيحين او احدهما والحسان ما ليس في واحد منها والتزم ان ما كان من ضعيف نبه عليه وان ما كان منكراً وموضوعاً لم يذكره ولا يشير اليه فوقع له بعد ذلك ان ذكر احاديث من الصحاح وليست في واحد من الصحيحين واحاديث من الحسان وهي في احد الصحيحين وادخل في الحسان احاديث ولم ينسب عليها وهي ضعيفة واهية وربما ذكر احاديث موضوعة في غاية السقوط متناهية فجعلت موضوع كتابي هذا لتخريج احاديثه ونسبة كل حديث الى مخرجه من اصحاب الكتب الستة فان لم يكن الحديث في شيء من الكتب الستة خرجته من غيرها كمسند الشافى وموطأ مالك وغيرهما (٩٤)“

ان الشيخ السلمى لو اصلح المتن واستدرك عليه لم نفعه وتم كما فعله معاصره الخطيب العمري واشتهر لهذا السبب عما قام به الخطيب من اصلاح وتهذيب وازافة ذيل الى كتاب المصابيح حيث سباه مشكاة المصابيح وقد لخص مقدمته الشيخ ابوبكر زهر شاديش في مقدمته التي كتبها على المشكاة تلخيصاً حسناً واليكم نصه:

”حدثنا الخطيب عن المشكاة في مقدمته التي سوف تقرؤها اول الكتاب، ومن اهم ما صنع انه بين ما اغفله صاحب المصابيح، وتركه بلا اسناد فذكر راوى الحديث ومخرجه، وتسم كل باب في الغالب - على ثلاثة فصول:

الاول: وهو يدل قول البغوي في المصابيح: (من الصحاح) اخبره الشيخان او احدهما واكتفى بذكرهما في التخريج وان اشترك فيه غيرهما من المحدثين والمخرجين لعلو درجتها في الرواية كما قل .

(٩٣) راجع معيد النعم و مبيد النقم ص ٨١ ، القاهرة ١٣٦٧ هـ .

(٩٤) راجع كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٠٠ .

الثاني: وهو يدل قول البغوي في المصاييح: "من الحسان" ما أورده غيرها من الأئمة المذكورين وهم: أبو داود، والترمذي، والنسائي، والدارمي، وابن ماجه فان احاديث المصاييح لا تتجاوز كتب الأئمة السبعة، الثالث: ما اشتمل على معنى الباب ولم يذكره البغوي في الكتاب من ملحقات مناسبة، الحقها لزيادة الفائدة محافظاً على ما اشترطه من اضافة الحديث الى الراوي من الصحابة، ونسبته الى مخرجه من الأئمة المتقدمين وغيرهم، وان كان لم يلتزم الاحاديث المرفوعة كما فعل البغوي وقد زاد على احاديث المصاييح كما ذكروا— (١٥١١) حديثاً، وهذب الكتاب واستدرك على البغوي بعض ما وقع له من السهو، اذ ربما جعل من الصحاح ما لم يروه الشيخان او احدهما، وجعل من الحسان، ما رواه او رواه احدهما (٩٥).

وبهذا العمل الشاق الطويل برز الكتاب في صورة مرتبة مهذبة منقحة بكلمة وافيا وكافيا لنيل المقاصد الآخروية والسعادة الأبدية وقد اننى عليه الشيخ المحدث الفقيه عبد الحق الدهلوي في شرحه لمعات التقيح في شرح مشكاة المصاييح ثناء يغني عن مزيد الاطراء في وصفه حيث قال:

"ان كتاب مشكاة المصاييح للشيخ التريزي كتاب طيب مبارك مصون عن الخلل والذلل حافل شامل للاحاديث والآثار المتعلقة بالعلم والعمل ولقد سعى رحمه الله في ترتيبه وتهذيبه وتقيحه وتصحيحه بما لا يتصور المزيد على ذلك و يكفى للطالب في حصول المطالب الدينية و ادراك المقاصد الآخروية ما يفوز من الفرائد فيها هنالك شكر الله سعيه و جزاه خيراً".

ولذا اصبح سنن المشكاة مما يتعلق بحسن التلويح والقبول و اقبل عليه معشر الافاضل والفحول و اكب على درسه وحفظه وشرحه اولي المعقول والمنقول فاول من شرحه شيخه الطيبي شرحاً حافلاً وساء الكاشف عن حقائق السنن وقد بذل مجهوده في استخراج محاسن النكت و لطائف المعاني واجتهد في بيان معارف الحديث و حقائقه و فقهه و دقائقه و ما يتعلق بالدراية حتى اصبح كتابه فذاً في بابيه واشتهر و فيما يلي ما كتبه الطيبي في شرحه للمشكاة عن الاسباب التي حملته على وضع الشرح:

"و بعد فانه يقول الراجي الى كرم الله، اللاجي بجرمته الحسين بن عبد الله (بن) محمد الطيبي ختم الله اعماله بالحسنى لما كان من توفيق الله تعالى اياي و حسن عنايته لدى ان وفق للاستعداد بسعادة الخوص في الكشف عن قناع الكشاف توسلاً به الى تحقيق دقائق كلام الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ويسر بمنه اتمامه كان الخاطر مشغولاً بان اشفق ذلك بايراد بعض معاني احاديث

سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب رب العالمين ، صلوات الله وسلامه عليه !

و كنت قبل استشرت الاخ في الدين المساهم في اليقين بغية الاكباد قطب الصلحاء شرف الزهاد والعباد ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب دامت بركته يجمع اصل من الاحاديث المصطفوية على صاحبها انزل التحية والسلام فاتفق رأينا على تكملة المصاييح وتهديبه وتشذيبه وتعيين روايته ونسبة الاحاديث الى الائمة المتقين فلما قصر فيما اشرت اليه من جمعه فبذل وسعه واستفرغ طاقته فيما رمت منه فلما فرغ من اتمامه شعرت عن ساق الجعد في شرح بعضه وحل مشكله وتلخيص عويصه و ابراز نكاته ولطفه على ما يستدعيه غرائب اللغة والنحو ويقتضيه علم المعاني والبيان ، بعد تتبع الكتب المنسوبة الى الائمة رضى الله عنهم وشكر مساعيمهم معلما لكل مصنف بعلامة مختصة به فعلاسة معالم السنن واعلامها (خط) و شرح السنة (حسن) و شرح صحيح مسلم (مح) و الفائق للزمخشري (فا) و مفردات الراغب (غب) و نهاية الجزري (نه) و الشيخ التوربشتي (تو) و القاضي ناصر الدين (قض) و المظهر (سظ) و الاشراف (شف) سلكت في النقل منها طريق الاختصار وكان جل اعتيادي وغاية اهتمامي بشرح مسلم للنووي لانه كان اجمعها فوائد واكثرها عوائد وما لا ترى عليه علامة فاكثرها من نتائج خاطري فان ترى فيه خلافا فسدده جزاك الله خيرا فان نظرت بعين الانصاف لم تر مصنفا اجمع ولا اوجز منه ولا اشد تحقيقا في بيان حقائق السنة ودقائقها ، و سميته بالكاشف عن حقائق السنن ، و الى الله تعالى ارجب ان يجعل سعبي فيه خالسا لوجهه الكريم و ان يتقبله و يجعله ذخيرة لي عنده يميزني بها في الدار الآخرة فهو العالم بمودعات السرائر و خفيات الضائير عليه اتوكل و اليه انيب .

و قال الميرزا محمد باقر الخوانساري الاصبهاني المتوفى ١٣١٣ هـ في كتابه روضات الجنات في احوال العلماء والسادات :

و من جملة مصنفاة ايضا شرحه الكبير المبسوط بغير طريق المزج على مصاييح الحسين ابن مسعود البغوي (مشكاة المصاييح للخطيب التبريزي) سباه الكاشف عن حقائق السنن و اورد في مقدماته شطرا وافيا من فوائد علوم الحديث و قسم فيها الحديث باعتبار السند و المتن الى نحو ثلاثين قسما و اوضح معانيها باحسن بيان و اكمل تبيان .

و قال عنه المحقق المحدث البارع المفضل الشيخ محمد ادريس الكاندهلوي اطال الله بقائه في كتابه التعليق الصبيح على مشكاة المصاييح :

” و لعمرى ما ترى كتابا اجمع تحقيقا منه في بيان حقائق السنة ودقائقها و ابراز لطائفها و معارفها ، و كشف اسرارها و غوامضها ، فياله من شرح غريب غريز العتال ، لم ينسج ناسج فيما اظن على هذا المتوال .“

اقول كل من اتى بعده . وكلم على فقه الحديث و شرح معانيه فتد اغترف من بجره و اقتبس من انواره .

و قد رأينا نسخة خطية صحيحة حسنة من شرح الطيبي في مكتبة صاحب العلم الرابع (بير جهنم و محب الله شاه) بسند و توجد منها نسخة خطية حسنة من المجلد الاول عند العلامة المحدث البارع المحقق المفضل السيد محمد يوسف البنوري اطال الله بقائه بكراتشي و عليه اختتام لمشاهير علماء الافغان و توجد منها نسخة خطية في مكتبة جامعة البنجاب في لاهور باكستان الغربية .
ثم علق عليه العلامة السيد الشريف على بن محمد الجرجاني المتوفى ٨١٦ هـ تعليقات حسنة قال الشيخ محمد عبد الحي الكهنوي :

منها (تصانيفه) حاشية المشكاة و هي خلاصة حاشية الطيبي عليها مع بعض زيادات قليلة ، و قد انكر على القاري ان يكون له حاشية على المشكاة حيث قال في المرقاة شرح المشكاة في شرح حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقه فقال ما اجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله قال الله و ما اجلسكم الا هذا الحديث قال السيد جمال الدين قوله آله بالجر لقول المحقق الشريف في حاشيته همزة الاستفهام وقعت بدلا عن حرف القسم و يجب الجر معها انتهى .

وهو يشعر بان خلاصة الطيبي حاشية المحقق الشريف الجرجاني على المشكاة كما هو مشهور بين الناس و هو بعيد جداً اما اولاً فلانه غير مذکور في اسامي مؤلفاته و اما ثانياً فلانه مع جلالة قدره كيف يختصر كلام الطيبي اختصاراً مجرداً لا يكون معه تصرف مطلقاً كما لا يخفى انتهى كلام القاري .

قلت فيه نظر فقد نسبها اليه جماعة منهم صاحب كشف الظنون و منهم السخاوي نقلان عن ابن سبط السيد الشريف حيث قال في الضوء اللاسع على بن محمد بن علي السيد الزين ابو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي عالم اهل الشرق و يعرف بالسيد الشريف و قال ابن سبطه حين اخذ عنى بمكة سنة ست و ثمانين و ثمانمائة انه على بن علي بن حسين و الاول اعرف . . . و تصانيف تزيد على الخمسين قلت عين لي ابن سبطه منها تفسير الزهراوين . . . و حواشي كل من تفسير البيضاوي و المشكاة و الخلاصة للطيبي في اصول الحديث .

فهذا ابن سبطه يخبر ان له حاشية على المشكاة فكيف يصح قول القاري انها غير مذكورة في تصانيفه و قد اخبر ايضاً ان له حاشية على خلاصة الطيبي في اصول الحديث و الهداية فبطل قول من زعم ان السيد لم يكن له دخل في الفقه و الحديث و فنونه (٩٦) " و قد رأينا منها نسخة خطية في مكتبة جامعة البنجاب في لاهور باكستان الغربية .

ثم شرح المحدث عباد الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الأبهري المتوفى ٨٤٣ هـ و ساه منهاج المشكاة على مشكاة المصابيح و هذا تاريخ لتأليفه قال الحاج خليفة .

(و شرحه) "عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الابهري المتوفى (في حدود) سنة ٨٩٥ خمس وتسعين وثمانمائة لامير على شير و ساه منهاج المشكاة و هو تاريخ لتأليفه".

و شمس الدين احمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا المتوفى ٨٩٤ و الحافظ ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي المتوفى ٨٩٧٣ وبذل اقصى جهده في اثبات مذهبه الشافعي و اعتنى بتصحيح المتن كما قال في مقدمة كتابه فتح الاله في شرح المشكاة ما نصه حرفياً .

ان من اجمع ما الف في الفنون على الابواب و انفع ما يتحلل في ذلك اولو الابواب كتاب مشكاة الانوار (المصاييح) للعلامة المحقق ولي الله (الدين) محمد بن عبد الله التبريزي الشافعي رحمه الله و شكر الله لجمعه ما في مصاييح السنة و زيادات و تهذيبه و تحريجه اهاديته و تنبأت ابرزت من كنوز مطالب العلية و انفردت بكثرة فوائد فرائد فمن ثم الح على في موسم سنة اربع و خمسين و تسع مائة بمكة المعظمة بعض فضلاء ساوراء النهر و صلحائهم و عين اعيان محققهم و علمائهم في ان اشرحه شرحاً وسيطاً لا و جيزاً و لا بسيطاً ليعم الانتفاع به و يتواصل الخيرات في الدارين بسببه و لان من كتبوا عليه و على اصله اسهبوا و خرجوا عن مقصود الشراح و اطنبوا مع انهم لم يستوفوا الكلام على فقه الاحاديث و معانيها و لا اعلوا على تحقيق فروعها التي هي احق بالانبار و السباق فاحجمت عن سلوك هذا المقام اقدم رجلا و اؤخر اخرى و هذا الكتاب لم يستمبج فيه سراج و لا استوضح منهاجه و لا اضعه هونه و لا اقترع ذروته و لاهيا ظلاله فهو درة لم ينقب و مهرة لم تركب ثم انبعث الباعث الى ذلك و ان لم يتوفر الدواعي الى تسريح البكار الافكار في وعمر تلك المسالك كيف و قد دنى عصر الشباب و تنظعت الاسباب مع دوام الاشتغال سالف كتبنا الفقهية و تحريرها و الكشف عن عويصات الفتاوى الواردة اليها من الآفاق و تحقيقها و تقريرها فشمعت ذيل التفرغ لهذا الشرح ساعة شوارد الحكم و الاحكام ما تقر به العيون و ترتاح اليه العقائد و قرائد الفوائد و جواهر النقائس و نقائس لا سيما لتعرض لتصحيحات المتن و الاسناد اذ لم يعول احد منهم على ذلك مع انه الاحق بالناية في جميع الاحوال و المسالك لتوقف الاستدلال بالجديد على العلم لصحته و حسنه الا في الفضائل فانه يكتفى فيها بالضعف ، غير (شديد) الضعف باجاء من يعتد به في علمه و فنه و سنيته بفتح الاله في شرح المشكاة و انا اسأل الله و اتوسل اليه بخير خلقه ان يصير لي اكباله و ان يعم النفع به و يمنحني رضاه و افضاله انه بكل خير كفيل و هي حسبي و نعم الوكيل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم و ما توفيقى الا بالله عليه توكلت و اليه ائيب فانه الرؤف الرحيم الوهاب الجواد الخليم الكريم و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم .

مع الاسف انه شرحه نحو النصف و مات و لم يتمه و لذا لم يشتهر و لم يبرز القبول و قد رأيت منه نسخة خطية عتيقة الى كتاب الجنائز في مكتبة الكليات الشرقية بشار .

و بعد ذلك شرح مشكاة المصابيح المولى على القارى و سياه مرعاة المفاتيح فان لنا ان نشير الى الخصائص التى التزمها فى شرحه و الاسباب التى حملته الى شرحه فنقول :

لا شك ان العلامة على القارى لا يشق غباره فى شرح الحديث ومعانيه و ضبط الاثر ومبانيه و المحدثون من بعده عيال عليه فشروح الصحاح الستة و حواشئها و المؤطا و المشكاة و رياض الصالحين مملوءة من المنقول عما كتبه القارى فى المرقاة و شرح المؤطا و شرح مسند ابى حنيفة و غير ذلك من تصانيفه و من اعظم اعماله خدماته الممتازة عرضه المذهب الحنفى على الكتاب و السنة فقد ظهر له ان الحنفية اكثر اتباعاً للسنة من غيرهم حيث قال فى مقدمة "شرح النفاية".

اعلم ان علمنا رحمهم الله تعالى اكثر اتباعاً للسنة من غيرهم و ذلك انهم اتبعوا فى قبول المرسل معتقدين انه كالمسند فى المعتمد مع الاجماع على قبول مراسيل الصحابة من غير نزاع قال الطبرى : اجمع العلماء على قبول المرسل و لم يأت عن احد منهم انكاره الى رأس المائتين قال الراوى كانه الشافعى و اشار الى ذلك الحافظ ابو عمر بن عبد البر فى التمهيد فمن نسب اصحابنا الى مخالفة السنة و اعتبار الرأى و المقايسة فقد اخطأ خطأ لان الحديث الموقوف على الصحابة مقدم على القياس عندنا و كذا الحديث الضعيف فمن خالفنا فيما ذكرنا فهو من رأيه الفاسد و قياسه الكاسد .

و الحاصل ان المرسل حجة عند الجمهور و منهم الامام مالك و نقل الحافظ ابو الفرج بن الجوزى فى التحقيق عن احمد و روى الخطيب فى كتابه الجامع انه قال ربما كان المرسل اقوى من المسند و جزم بذلك عيسى بن ابان من اصحابنا و طائفة من اصحاب مالك ان الرسائل اولى من المسندات و وجهه ان من اسند لك فقد احالك البحث عن احوال من سياه لك و من ارسل من الائمة حديثاً مع علمه و دينه و ثقته فقد قطع لك على صحته و كفاك بالنظر و قالت طائفة من اصحابنا و اصحاب مالك لسنا نقول ان المرسل اقوى من المسند و لكنهما سواء فى وجوب الحجة و استدلوا بان السلف ارسلوا و وصلوا و استدلوا فلم يعب واحد منهم على صاحبه شيئاً من ذلك .

ورد الشافعى المرسل الا ان يبيىء من وجه آخر مسندا او مرسل ارسله واحد من غير رجال الاول او اعتضد بقول الصحابي او بقول اكثر اهل العلم او كان المرسل لا يرسل الا عن عدل هكذا نص عليه الامام فخر الدين و الأمدى قال ابن الحاجب و قد اخذ على الشافعى قبيلى ان اسند فالعمل بالمسند و هو وارد و ان لم يسند فقد انضم غير مقبول الى مثله لكن الشق الثانى لم يرد لان الظن قد يحصل او يقوى بالانضمام و الله سبحانه اعلم بمخاتق الغرام .

ثم اعلم ان المتأخرين اصطلاحوا على تقسيم الحديث الى صحيح و حسن و ضعيف و مرسل و منقطع و معضل و غير ذلك من الانواع المعروفة فى اصول الحديث كما حققناه فى شرح النخبة للحافظ ابن حجر العسقلانى ثم ردوا من ذلك المرسل و ما بعده و اما المتقدمون من السلف فلم يردوا شيئاً من ذلك كما فعل الامام مالك فى مؤطائه كذلك و ذلك لعدم الفرق عندهم بين المرسل و الصحيح و الحسن و يظنون المرسل على المنقطع و على المعضل فاذا رأى مخالفاً انا احتجنا باحاديث مرسله اطلق عليها انها ضعيفة على اصطلاحهم و نسبتنا الى العمل بالحديث الضعيف المعارض

للحديث الصحيح او الحسن بزعمه ثم لم يزل اصحابنا المتقدمون يعتنون في كتبهم بذكر الادلة من السنة والبعث عنها وتبيين الصحيح والحسن والضعيف ونحوها كالحطايى وابوبكر الرازى والقدرى وغيرهم واما قصر في ذلك المتأخرون من اصحابنا لاعتمادهم على ما تقرر عند متقدميهم فنسبوا الى هجر السنة والشريعة ولا يميل لاحد ان ينسب اصحابنا الى هذه الخصلة الشنيعة مع ان المخالفين من الشافعية يعيبون على اصحابنا ما هم واقعون فيه فلقد اكثر الامام ابواسحاق في المهذب وامام الحرمين في النهاية وغيرهما من ذكر الاستدلال بالاحاديث الضعيفة وقد بين ذلك البيهقى من متقدميهم ثم النووى والمنذرى من متأخريهم في عدة مواضع بل صرح امام الحرمين عن حديث ضعيف بانه صحيح وغلطه الشيخ تقي الدين وابن الصلاح والنووى وغيرهم فهذا الذى وجب علينا ذكر الاحاديث وتبينها وتعريف المخرجين لها وتعيينها فان صاحب الهداية لما ذكر احاديث مجملة في تقوية الدراية بالرواية من غير اسناد الى المخرجين صار سبباً بطعن بعض احاديثه المتأخرين والله العوفى والمعين (٩٧).

ويسعدنا ان ننبه على مساعيه المشكورة في سبيل هذا العلم الشريف فله المنة الكبرى على المتأخرين في ضبط متون الاحاديث ولا سيما احاديث المشكاة ولازيد بالضبط، ضبط المتقدمين والمتوسطين من المحدثين بل الضبط المتعارف بين العلماء المتأخرين فقد قال الشيخ ولى الله الدهلوى ما نصه :

”ان الضبط الذى يوجد في صحة الحديث كان له في الامة المرحومة ثلاث احوال :

الاول : انهم كانوا يحفظون الاحاديث في زمن الصحابة والتابعين عن ظهر غيب ويتصرون عليها وكان ضبطهم يومئذ في جودة الحفظ فقط :

الثاني : انهم كانوا يكتبون الاحاديث في زمن تبع التابعين واولئ المحدثين الى الطبقة السابعة او الثامنة وكان ضبط ذلك الوقت في تبيين الخط والاحتياط في النقاط والحركات والسكنات وتصوير الحروف ومقابلتها على اصولها الصحيحة وحفظ الكتاب عن العوارض الطارية عليه ونحوها .

الثالث : انهم اى الحفاظ صنفوا كتباً جمعة في اساء الرجال وغريب الحديث وضبط الالفاظ المشككة وصنفوا شروحات حافلة وتعرضوا بما يليق به التعرض والبحث عن احوالها : واما اليوم فالضبط ان ينظر الطالب الراغب في تصانيف هؤلاء الاعلام وشروحها ويروى الاحاديث بحسبها مع الصحة والاتقان ومن ثم تساهل اهل الحديث وتسامحوا في هذا الزمان فيما شد فيه المتقدمون الاعيان كما تساهل المتوسطون في الحفظ واكتفوا منه على الخط فقط ولهذا شاعت فيهم الوجادة والمنابدة المجردة ونحوها بخلاف

(٩٧) راجع شرح النقاية مع حاشيته محمود الرواية ص ٢١ ، الهند ١٣٥١ هـ .

الطبقات السابقة (٩٨)“

والمولى على القارى بلغ من الضبط الثالث الى اكمل غاية حيث نسخ المشكاة و جد في جمع النسخ الصحيحة المعتبرة ثم بذل مجهودا جبارا في تصحيحه و قد ابان عن عمله هذا في مقدمة كتابه ”مراة المفاتيح“ حيث قال :

”هؤلاء الاكابر (مشائخي الذين قرأت عليهم المشكاة) غير حفاظ للحديث الشريف ولم يكن في ايديهم اصل صحيح يعتمد عليه العبد الضعيف و الشراح ما اعتنوا الا بضبط الكلمات و كانت البقية عندهم من الواضحات ما اطمان قلبى و لا انشرح صدرى الا بان جمعت النسخ المصححة المقرؤة المسموعة المصححة التى تصلح للاعتد و تصح عند الاختلاف للاستناد فمنها :

نسخة هي اصل السيد اصيل الدين و السيد جبال الدين و نجله السعيد ميرك شاه المحدثين المشهورين .
و منها نسخة قرئت على شيخ الاسلام الهروى (٩٩) و غيرها من النسخ المعتمدة

(٩٨) راجع الحطة ص ٦٢ .

(٩٩) نسخة قرأت على شيخ الاسلام الهروى اظن انه اراد به العلامة الشيخ احمد بن يحيى بن محمد سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى الهروى الشهير بشيخ الاسلام قال الميرزا محمد باقر الموسوى الخوانسارى الاصبهاني المتوفى ١٣١٣ هـ في كتابه روضات الجنات في احوال العلماء و السادات ما نصه :

”احمد بن يحيى بن سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى الهروى الشهير بشيخ الاسلام و باحمد الحفيد ايضا باعتبار كونه من احفاد المحقق التفتازانى كما قد عرفت“.

كان وحيد زمانه و فريد عصره في اكثر العلوم و خصوصا الفقه و الحديث و التفسير من كبار قضاة العامة و مشائخ الاسلام و قد تولى القضاء بهراة المحمية منذ ثلاثين سنة في دولة السلطان حسين ميرزا الباقر الى ان توجه اليها عسكر السلطان اسماعيل بن سلطان حيدر الصفوى الموسوى اول ملوك الصفوية و فتحها في شهور سنة ست عشرة و تسع مائة فصدر امر السلطان المعظم المومنى اليه بقتل هذا الرجل في جاعة اخرى من علماء هراة فقتل هذا الشيخ بايدى جلاوزة السلطان المذكور في شهر رمضان المبارك من شهور سنة الفتح المتقدمة اليها الاشارة ان لهذا الرجل (الشهيد) من المصنفات مجموعة من الفوائد المتفرقة المتعلقة بمل المشكلات و كشف المعضلات و دفع المنافات المتوهمة بين الاحاديث و الآيات و نوادر كثيرة من الملح و الحكايات و الامور المخفية على غالب الجاعات مشتمل على نحو من ثلاث مائة فائدة يذكر كل واحدة منها في فصل على حدة كاللوان الاطعمة الموضوعة على اطراف الائدة و حاشية على مختصر شرحى التلخيص متسوية اليه و شرح على تهذيب المتطابق لجهده التفتازانى ايضا كتبه في اثنتين و بمائتين و بمائة =

الصحيحة التي وجدت عليها آثار الصحة الصريحة فاخذت من مجموع النسخ اصلا اصيلا
ولثوبة الاخروية كفيلا“.

وصارت نسخة المشكاة هذه مرجع جميع النسخ لشدة اعتناؤه بهذا الكتاب معرفة و ضبطاً
واتقاناً حيث اغنى الناس عن بذل مجهود آخر لتصحيح المشكاة وهذا هو الامر الذي فات عن شيخه الحافظ
ابن حجر الهيتمي المكي شارح المشكاة وشيخه عبد الله السندي مع انه صحح المشكاة و افنى عمره فيه.

= و تعليقة لطيفة على شرحه المشهور على العقائد النسفية في الكلام و غير ذلك .
وقد ذكر المولى على القارى قضية شهادة شيخ الاسلام الهروي و ابا شيخه المقرئ الشيخ
معين الدين في رسالته سم التوارض في ذم الروافض ما نصه حرفياً :

”اعلم ان التعصب في دين الله على وجه التشديد والسلب ممنوع ومحذور لانه يترتب عليه
امور في كل منها ضرر و محذور قال الله تعالى يا اهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم
و لا تقولوا على الله الا الحق و يا اهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم غير الحق
و لا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل و اضلوا كثيراً و ضلوا عن سواء السبيل و قال
عزوجل و لا يجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلمو منهم و قولوا
آسنا بالذي انزل الينا و انزل اليكم و هنا و الهكم واحد و نحن له مسلمون و قال
سبحانه و لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم و استدل بهذه
الآيات شيخنا المبرور المغفور محمد بن ابي الحسن البكري في منع معرف كان بمكة في مقام
الحنفي و يقول بالصوت الجلي لعن الرافضة من الاوباش و طائفة القزلباش و قال هذا
يكون تسبياً لسبهم طائفة اهل السنة و الجماعة كما عليه اهل الهناد في الضاعة و لقد
صدق الصديقي في مقامه الحقيقي و وافق كلام استاذي المرحوم في علم القراءة مولانا
معين الدين بن حافظ زين الدين من اهل زمالكا و هو اول من استشهد ايام
الرافضة في سبيل الله و ذلك انه لما ظهر سلطانهم المسمى بشاه اسماعيل و فتح ملك العراق
بعد القاتل و القليل اظهر الى خراسان مكتوباً فيه اظهار غلبته في هذا الشأن و كتب في
آخره سب بعض الصحابة من الاعيان و كان الحافظ المذكور خطيباً في جامع بلد هراة
المشهور يأمر بقرائه فوق المنبر باملاء عند حضور العلماء و المشايخ و الامراء و من
جملتهم العلامة الولي شيخ الاسلام الهروي سبط المحقق الرباني مولانا سعد التفتازاني
فلما وصل الخطيب الى محل السب انتقل عنه على طريق الادب فتعصب كلام الازفراض
بهذا السبب و قالوا ترك المقصود الاعظم و المطلوب الانفعم قاعد الكلام ليكون على
وجه التمام و توق الخطيب في ذلك المقام فاشار شيخ الاسلام اليه ان يقرأ ما هو
المستطور لديه لان عند الاكراه لا جناح عليه فابى عن السب و صمم على اختيار العزيمة
على الرخصة الذميمة فنزلوه و قتلوه و حرقوه ثم لما جاء السلطان الى خراسان و طلب =

الثاني اعتناؤه بشرح الحديث فقد اجتهد غاية الاجتهاد في تصحيح الكتاب ثم شرح بقدر فهمه شرحاً وافياً للمعاني و ضابطاً لتون الاحاديث مقتصرًا على ما يعرف به ما في الحديث من الغريب والاعراب والمعاني والفقه والتفسير والاشارات والكلام وما يستنبط منه من الاحكام مرجحاً من الآراء الفقهية ما هو اولى بالترجيح وان المولى على القارى جمع في شرحه هذا ما في الشروح

= شيخ الاسلام وسائر اكابر الزمان و امر الشيخ بالسبب في ذلك المكان فاجتمع عنه رضى للرحمن فاعترضوا عليه بانك امرت الخطيب سابقاً فكيف تخالف الامر لاحقاً فقال ذلك كان تقوى وهذا كما ترى تقوى فقتله شهيدا وجعله سعيداً .
وقال الشيخ ابو الحسنات محمد عبد الحى اللكهنوى المتوفى ١٣٠٤ هـ في مقدمة كتابه السعاية ما لفظه :

منهم (اى من شراح الوقاية و محشيتها) شيخ الاسلام احمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن عيسى الدين عمر بن مسعود التفتازانى المشهور بمفيد التفتازانى طالعت حافيته من الاول الى الآخر و هو من تلامذة الياس زاده شارح مختصر الوقاية كما افصح عنه في بحث الوضوء منها و ذكر في آخرها انه فرغ من تأليفها في الربيع الاول من شهور سنة تسع مائة و من تصانيفه شرح تهذيب المنطق و حواشى التلويح و شرح السراجية و ذكر في حبيب السير ما حاصله :

انه كان علامة في العالم و ملاذ علماء بنى آدم فالتقا على اهل عصره في علوم الحديث و الفقه و سائر العلوم العقلية و النقلية و لها سات والده قطب يحيى يوم الاثنين الرابع و العشرين من ذى الحجة سنة سبع و مئتين و مئتمائة و كان ممتازاً بمنصب مشيخة الاسلام من اواخر عهد مرزا شاه رخ بن تيمور الى عهد مرزا سلطان حسين . تولى مناصبه و اقام بخطة خراسان نحو من ثلاثين سنة يدرس و يفتي الى ان وصل حكم عزله من السلطان حسين في سنة ست عشرة بعد تسع مائة و هو مات في تلك السنة .

وقد بسطت الكلام في ترجمة ابيه و جده و والد جده السعد التفتازانى في الفوائد البهية و تعليقاته السنية (ص ١٦) .

اقول و قد طبع بمصر في ١٣٢٢ هـ من كتب العلامة الجفيد كتابه الدر النضيد من مجموعة الحفيد المشتمل على المسائل المهمة من اربعة عشر علماً .
وقال في التعليقات السنية :

"قلت و هو المشهور بمفيد التفتازانى و له تصانيف مقدولة منها حواش على التلويح حاشية التوضيح لجده التفتازانى و منها حواش على شرح الوقاية لصدر الشريعة و هى المشهورة بحواشى شيخ الاسلام ذكر في آخرها انه فرغ منها في شهور سنة ٨٩٠ هـ و قد طالعتها و منها شرح تهذيب المنطق و الكلام على جده و شرح الفرائض السراجية وغير ذلك"

السابقة من الفوائد والعوائد مع استدراك ما تيسر له حيث لم يدع موضع اشكال من الاحاديث اصلا بل ابان ما لها وما عليها ما استطاع لآ اجمل قبله المقسرون ، و سلك فيه احسن المسالك حيث جمع بين المنهجين منهج الرواية و منهج الدراية كالتوربشتي (١٠٠)

(١٠٠) هو شهاب الدين ابو عبد الله فضل الله بن تاج الدين ابى سعيد الحسن بن الحسين ابن يوسف الجنى ولد بتوربشت و نشأ بها و حصل العلوم من كبار علماء شيراز و جمع من اقسام العلم والفضل والكآل ما لم يجمعه احد في عهده و صرف عمره في نشر العلوم و التدريس و التصنيف و الارشاد .

و كان رحمه الله اماما ، ذكيا ، ثاقب الذهن ، فقيها بارعا و محدثا ماهرا بصيرا بالرجال متبحرا في الكلام و علم السنن و التفسير و البلاغة و الادب اعنى بفقته الحديث اتم عناية حتى بلغ الغاية و تفرغ لنشر العلوم و فاق الاقران و الف و درس و عم به النفع .
ذكره السبكي في الطبقات الشافعية الكبرى في الطبقة السادسة فيمن توفي بين الست مائة و السبع مائة و افتخر به حيث عدّه من الشافعية و قال :

”توربشت بضم التاء مثناة من فوق بعدها واو ساكنة ثم راء مكسورة ثم باء موحدة مكسورة ثم شين معجمة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق .

رجل محدث فقيه من اهل شيراز ، شرح مصابيح البغوى شرحا حسنا و روى البخارى عن عبد الوهاب بن صالح بن محمد بن المعز امام الجامع العتيق عن الحافظ ابى جعفر محمد بن على الخبرنا ابو الخير محمد بن موسى الصفار خبرنا ابو الهيثم الكشميهنى خبرنا الفربرى .
و اظن هذا الشيخ مات في حدود الستين و السئالة و وقعة التتار اوجبت عدم المعرفة بحاله“ .

ثم ذكر مقتطفات من كتابه الميسر الفوائد الحسنة في طبقاته الكبرى و قد صرح بكونه حنثيا المؤرخ ابو الخير احمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده المتوفى ٨٩٦٢ في كتابه مفتاح السعادة و مصباح السيادة . و كذا عدّه المولى على القارى من كبار الائمة الحنثية حيث قال في كتابه مرعاة المفاتيح (ج ٤ ص ٣٨ طبع مصر) ما نصه :
”قال التوربشتي من ائمتنا“ .

و قال نخبة الدهر و حافظ عصره العلامة السيد انور شاه الكشميرى في اماليه على البخارى المسمى بفيض البارى (ج ٢ ص ٣ طبع القاهرة) ما نصه :

قال ابن دقيق العيد (اظن قد سها في ضبطه تلميذه الشيخ محمد بدرعالم الميرتمى و الصحيح مكانه تاج الدين السبكي) رحمة الله عليه لو وجدت تصانيف هذا الفاضل لنفعت الامة جدا و لكنها تلفت في فتنة التتار و زعم الناس انه شافعى رحمه الله تعالى .

= قلت بل هو خلاف الواقع وهو حنى و إنما توهم من توهم لذكره في طبقات الشافعية و كونه محدثاً .
و قال أيضاً :

(و شرح الطيبي) أيضاً يوجد و هو احسن الشروح باعتبار النكات العربية و ان لم يكن مصنفه حافظاً، اما فضل الله التوربشتي فمن كبار الحفاظ وهو حنى لا كما زعم (فيض الباري ج ٢ ص ١٦١).
و قال في كتابه العرف الشذى على جامع الترمذى (طبع هند ص ٤٦٠) ذكر التوربشتي ان المرجة هم الجبرية و هو الحافظ و فضل الله التوربشتي حاذق في الكلام .

قال عنه فقير مجد الجهلمى في كتابه حدائق الحنفية (بالاردية طبع لكهنؤ ١٩٠٦ م ص ٢٥٨)
"شهاب الدين فضل الله بن حسين التوربشتي كان اماماً محققاً في عصره ، مدققاً ، محدثاً ، ثقة ، فيها ، بارعا له تصانيف كثيرة ، منها شرح مصابيح السنة للبغوي المسمى بالميسر وهو من احسن شروحه وكتاب المسالك في علم المناسك في اربعين بابا توفي ٥٦١٦ هـ و يستخرج تاريخ وفاته من لفظ "محدث زيبا".

ذكر المؤرخ مجد القزويني في تعليقاته على كتاب شد الأزار في حط اوزار عن زوار المزار ، (طبع طهران ١٣٥٨ هـ ص ١٩٠) ما نصه :

صرح فصيح الخوافي ان الشيخ التوربشتي اقام في اول امره بـشـيراز و بعد ذلك استوطن كرمان في سنة ٦٥٥ هـ امثالاً بامر الملكة قتلغ ترکان و هي من ملوك قراختايان بكرمان و توفي بها في سنة احدى و ستين و ست مائة (و الصحيح بعد ست و ستين و ستائة) و يفهم بما ذكره فصيح الخوافي كان سقط رأسه توربشت او نواحها .

و قد درس عليه العلماء الكبار كالشيخ صدر الدين ابي المعالي المظفر بن مجد العمري العدوي صاحب التلويح في شرح المصابيح و الامير اصيل الدين عبد الله بن علي العاوي المحمدي وغيرهما .
كان التوربشتي احد مشائخ عصره في الطريقة و اخذ الطريقة عن الشيخ شهاب الدين ابي حفص عمر السهرودي البستوي ٥٦٣٢ هـ صاحب الطريقة العلية و لبس عنه الخرقة و رزق القبول و ممن لبس الخرقة عن التوربشتي و تولى المشيخة بعده ابنه مجد الدين التوربشتي و انتشرت سلسلته و قد ذكرها الحافظ شمس الدين السخاوي الشافعي في ترجمة العلامة المحدث الشيخ عبد الرحيم بن عبد الكريم البكري الصديقي الجرهى الشيرازي تلميذ علي بن مبارك شاه الساوي من كتابه الضوء اللامع (ج ٤ ص ١٨١) حيث قال :

"وكذا نسها من النور مجد بن عبد الله الكرمانى عن المجد بن الشهاب فضل الله التوربشتي =

= عن والده عن السهروردي“.

فضل الله التوربشتي اظن انه هو اول من شرح مصابيح السنة واطمه سنة ست وستين وستائة (و لم يأت بعد خبر عنه و المظنون انه مات بعد ذلك) و ساء الميسر طابق اسمه معناه فانه الميسر لن يريد بذلك فهم معاني الحديث و فقهه و معارفه و مغزاه فمن طالعه ايقن بما كان يتمتع به فضل الله التوربشتي من علم راسخ في التحقيق و دقة النظر و كمال القدرة و التدقيق و قد بذل غاية وسعه في استخراج فقه الحديث و اسراره و بيان محامله و درك غاياته و شرح المعاني بعبارات و جيزة مع استكمال معانيها اللغوية حتى فاق القدماء و الحق انه اتى فيه بما يدعش العقول و يتعش النفوس قل من يساويه و يدايه ممن اتوا بعده فقد حذوا حذوه و اعترفوا بانه هو قدوتهم في هذا الباب .

و كفي لمعرفة سمو مقامه هذا الكتاب الجليل العديم النظير الذي هو اثر خالد يذكرنا بما تمتع به من العظمة في فقه الحديث و معارفه و قد وصفه العلامة المحقق المفضل الشيخ محمد ادریس الكاندهلوی في التعليق الصبيح بما يغني عن مزيد من الاطراء في تفرظه حيث قال :

”جل اعتيادي في ذلك على شرح المصابيح للشيخ شهاب الدين فضل الله بن حسين التوربشتي الحنفي رحمه الله تعالى و لعمرى انه لشرح لطيف و تصنيف منيف مشتمل على فوائد حسان و معان معصومات في الخيام لم يطمسها انس قبله و لا جان“.

و لم يكن الميسر عند الملا على القاري فلذا ينقل عنه في شرحه المرقاة بواسطة الطيبي و الطيبي اختصر في النقل ولذا لم يعرف الناس قدره حق قدره و الميسر كان موجودا في مكتبة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي و هو ينقل عنه في كتابه اللغات في شرح المشكاة بالعربية و اشعة اللغات في شرح المشكاة بالفارسية و المنهج القومي في الصراط المستقيم للفيروزآبادي بالفارسية و ينتفع به ولذلك امتاز شرحه اللغات من شرح الملا على القاري المرقاة بحسن الاقتباس و جودة الاختصار و ينقل عنه المحقق المحدث البارع الشيخ محمد ادریس الكاندهلوی في كتابه التعليق الصبيح نقلا تاماً و هذه الاقتباسات تدل على غزارة علم التوربشتي و حسن اسلوبه و دقة نظره و علو كعبه في الكلام على فقه الحديث و اسراره و كلامه في هذا الباب فهو لب اللباب و هو غاية التحقيق و نهاية القبول عند اهل التحقيق .

و يا ليت لو تولى الشيخ محمد ادریس الكاندهلوی طبع كتاب الميسر بدل نشر التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح لكان خدمة ممتازة للامة لا تنسى و حري باحدى الدور النشر في البلاد العربية ان تتولى هذا العمل فيكون هذا سعياً مشكوراً لو انتهت اليه .

توجد من الميسر نسخة خطية قديمة في الجزئين في المكتبة الحكومة الاصفية بميدان آباد

الدكن ، الهند .

والطیبی (۱۰۱) و مزج الشرح بالمتن فی توضیح المعنی و ایضاح المرام و احتراز فیہ عن الاطناب
الممل و الاختصار المخل و قد ابان عن عمله هذا فی المقدمة قال:

قال فضل الله التوربشتی فی اول شرحه المیسر ما نصه :

الحمد لله الذی شرع لنا الحق و اوضح لنا دلیله و شرح لنا الهدی و بین لنا سبيله و بعث
الینا عبده و رسوله و صفیه و خلیله فعرنا معالم هداة و علمنا وحیه و تنزیله و بین لنا ما نزل الینا
الذکر و اوقفنا فیہ علی جملة من العلم فالهنا تاویلہ و الحمد لله الذی بعثه الینا مهیمناً علی الکتاب
و بیننا وجوه الخطاب و مورد الوحی و الالهام و مصدرنا للشرائع و الاحکام و مقصلاً للحلال و الحرام
و بذراً لطرق الارشاد و حامياً لسدود السداد و ماحياً للشرك و الالحاد و فضلاً من الله و رحمة علی
العباد و البلا .

و قال فی آخره :

و وقع الفراغ من انشاء هذا الکتاب فی آخر جزء من اجزائه بالنهار من یوم الجمعة السادس
من صفر ۶۶۶ھ ست و ستین و سائة و الحمد لله رب العالمین اولاً و آخراً و الصلاة والسلام علی
رسوله محمد ظاهراً و باطناً و علی اولاده و اصحابه رضوان الله علیهم .

و قال ناسخه ما نصه :

و وقع تراخ کتابة کاتبه العبد الصغر الجانی علی بن الحسین بن محمد الکرمانی اصلح الله باله
و حقق فی الدارین اماله فی یوم الثلاثاء الرابع و العشرين من شهر رمضان المبارک عمت میامنه
بسنة ثلاث و سبعین و سبائة بمدينة کرمان جاها الله تعالی عن طوارق الحدثان و بوابق الملوان .
و من تالیقاته المعتمد و المعتقد قد طبع بالهند .

(۱۰۱) هو شرف الدین الحسین بن محمد بن عبد الله الطیبی کان مقسراً محدثاً متقناً ضابطاً
ادباً نحوياً لغویاً واسع المعرفة کثیر العلم غزیر الفضل حسن السیرة مرضی الطریقة عزیز النفس
سخياً بما یملکه مکرماً للطلبة و الغرباء ، یعرف القراءت و الحدیث و الادب معرفة حسنة و كانت
اوقاته عامرة بالتدریس و الافادة و التالیف .

و له ید طولی فی فقه الحدیث و ابراز کنوزه و خفایاه و لم یکن له نظیر فی هذا الشان مع
الحظ الاوفر من علم اللسان و کان صارماً مسلولاً علی الشذاذ قائماً بالدفاع عن السنة دفاع الایطال
و منصفاً فی البحث علی قدم من الصلاح و العفاف .

قال عنه تلمیذه ولی الدین الخطیب فی الاکمال فی اسماء الرجال :

«سلطان المفسرین امام المحققین شرف الملة و الدین حجة الله علی المسلمین الحسین

ابن سید الله بن محمد الطیبی متعمه الله بطول بقائه» .

=

”فلما حصلت النسخة رأيت ان اضبطها تحت شرح لطيف على منهج شريف يضبط الفاظه مع مبانیه و يبحث عن رواياته و معانيه فان هم اخوان الزمان قد قصرت و مجاهدتهم في تحصيل العلوم لاسيا في هذا الفن الشريف ضعفت وهو مقتضى الوقت الذي تجاوز عن الالف“.

و قد اثنى عليه مصطفى بن عبد الله الشهير بالحاج خليفة المتوفى ۱۰۶۷ھ في كتابه كشف الفنون حيث قال :

”للسيخ نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي المعروف بالقاري (المتوفى ۱۰۱۴ھ) شرح عظيم ممزوج على المشكاة مسمى بالمرقاة في اربعة مجلدات جمع فيه جميع الشروح و الحواشي“.

و قد رزق هذا الشرح من الله القبول و تداولته الايدي قلما ترى محدثا الا و هو يرجع اليه و يستفيد منه .

= و قال ابن حجر العسقلاني المتوفى ۸۵۲ھ في كتابه ”الدرر الكاسنة في اعيان الائمة الشامنة“ ما نصه :

كان ذا ثروة من الارث و التجارة فلم يزل ينفق ذلك في وجوه الخيرات الى ان كان في آخر عمره فقيراً .

كان كريماً متواضعاً حسن المعتقد ، شديد الرد على الفلاسفة و المبتدعة مظهرها فضائحهم مع استيلائهم في بلاد المسلمين حينئذ شديداً لحب الله و رسوله كثير العياء ملازماً للجماعة ليلاً و نهارة شتاء و صيفاً مع ضعف بصره بآخره ملازماً لاشغال الطلبة في العلوم الاسلامية بغير طمع بل يمدتهم و يعينهم و يعير الكتب النفيسة لاهل بلده و غيرهم من اهل البلدان من يعرف و من لا يعرف محباً لمن عرف منه تعظيم الشريعة مقبلاً على نشر العلم آية في استخراج الدقائق من القرآن و السنن ، شرح الكشاف شرحاً كبيراً و اجاب عما خالف مذهب السنة احسن جواب يعرف فضله من طالعه و امر بعض تلاميذه باختصار المصاييح على طريقة نهجها له و ساء المشكاة و شرحها شرحاً حافلاً ثم شرع في جمع كتاب في التفسير و عقد مجلساً عظيماً لقراءة كتاب البخاري فكان يشغل في التفسير من بكرة الى الظهر و من ثم الى العصر لاسراع البخاري الى ان كان يوم سات فانه فرغ من وظيفة التفسير و توجه الى الاقامة للفريضة فحضره متوجهاً الى القبلة و ذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان ۵۷۴ھ .

و قال السيوطي المتوفى ۹۱۱ھ في بغية الرعاة في طبقات اللغويين و النحاة :
”الحسن (الحسين) بن محمد بن عبد الله الطيبي بكسر الطاء الامام المشهور العلامة في =

الثالث قيامه بالذبح عن المذهب الحنفى و اثباته من الحديث والسنة فان الشيخ ولى الدين الخطيب العمري التبريزى مؤلف مشكاة المصابيح رحمه الله كان شافعيًا فاورد في كل باب من الاحاديث والآثار ما يستدل به الشافعية و اعرض عما يستدل به الحنفية و لاقى كتابه رواجاً فسبق الى شرحه جماعة من اهل العلم معظمهم من الشافعية و في مقدمتهم شيخه الطيبي و آخرهم ابن حجر الهيتمي العسقلاني شيخ على القارى فخذوا بذلك مذهبهم و لم يعتنوا بسرد ادلة الحنفية كما ينبغي .
و لما رأى ذلك المولى على القارى فشمع عن ساق الجد في توضيح ادلة المذهب و سردها على اتم وجه و احسن طريق حيث يقول :

و ايضاً من البواعث ان غالب الشراح كانوا شافعية في مطلبهم و ذكروا المسائل المتعلقة بالكتاب على منهاج مذهبهم و استدلوا بظواهر الاحاديث على مقتضى مشربهم و سمو الحنفية

= المعقول و العربية و المعاني و البيان ،

قلت ذكر في شرحه على الكشاف انه اخذ على (عن) ابي حفص السهروردي .
و قال عنه المحدث محمد بن عبد الباقي الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية :
العلامة شرف الدين الحسن (الحسين) بن محمد بن عبدالله الطيبي بكسر الطاء نسبة الى الطيب بلد بين واسط و كور الالهواز .

قال السيوطى و له الهم بالحديث لكنه لم يبلغ درجة الحفاظ و منتهى نظره الكتب الستة و مسند احمد و الدارسى لا يخرج من غيرها كثيراً يورد صاحب الكشاف الحديث المعروف فلا يحسن الطيبي تخرجه و يعدل الى ذكر ما هو في معناه مما في هذه الكتب و هو تصور في التخريج .
و نقل الشيخ عبد الوهاب الشعرانى المتوفى ٨٩٧٣ هـ عن شيخه شيخ الاسلام زكريا الانصارى المتوفى ٨٩٢٦ هـ في كتابه لوائح الانوار القدسية في بيان عهود المحمدية (طبع مصر ١٣٨١ هـ ص ٦٣٢) ما نصه :

سعت شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رحمه الله يقول :
قل ان يجمع في شخص في عصر من الاعصار علم الفقه و الحديث و التصوف قال و لم يبلغنا انها اجتمعت في احد بعد الطيبي صاحب حاشية الكشاف الى وقتنا هذا و من اجتمعت فيه هذه العلوم الثلاثة فهو الذى ينبغي ان يلقب بشيخ اهل السنة و الجماعة في عصره و من لم يلقبه بذلك فقد ظلمه .

و قال الشعرانى في لطائف المنن و الاخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق (طبع مصر ص ٤٠) :

كان محدثاً صوفياً ، نحويًا ، فقيهاً ، اصولياً ، و قل ان يجمع هذه الصفات في عالم .
(و قد اجتمعت هذه الصفات بعد الطيبي في المولى على القارى و الشيخ عبد الحق الدهلوى و شاه ولى الله الدهلوى و لذا فكرنا هم في زمرة) .

اصحاب (١٠٢) الراى على ظن انهم ما يحملون بالحديث بل و لا يعلمون الرواية و التحديث لا في

(١٠٢) و المعجب ان الشافعية يطعنون على الحنفية بالرأى و الحنفية ابعده عن الراى من الشافعية و قد الف في هذا الموضوع الخاص الاصولى النظار القاضى بحب الله العنابى الصديقى الحنفى البهارى المتوفى سنة رسالة و قد لخصها المؤرخ الكبير السيد عبد الحى بن فخر الدين الحسنى في ترجمته من كتابه نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر (ج ٦ ص ٢٥١) حيث قال :

(و له) رسالة في اثبات ان مذهب الحنفية ابعده عن الراى من مذهب الشافعية على خلاف ما اشتهر و استدل عليه بوجوه :

منها ان الحنفية قائلون بان العام من الكتاب و السنة قطعى فلا يصح بخلافه القياس بخلاف الشافعية فانهم يميزون القياس بخلافه فالحنفية لا يخصصون العام بالرأى بل يقولون بعلان الراى هناك .
و منها ان الشافعية حملوا المطلق على المقيد بالقياس و الحنفية لا يحملون المطلق على المقيد بالقياس .

و منها ان المرامل من الأحاديث مقبولة عند الحنفية فانهم يقدمونها على الراى بخلاف الشافعى فانه يقول بتقديم الراى عليها الا ان يكون مع المرسل عاضد من اسناد او ارسال آخر او قول صحابى او اكثر العلماء او عرف انه لا يرسل الا عن ثقة .

و منها ان قول الصحابى ان كان فيها لا يدرك بالرأى فعند الحنفية كلهم حجة ملحق بالسنة فيقدم على القياس ، و الشافعى لا يرى قوله حجة مقدمة على الراى بل يقدم رأيه على قوله .

و منها ان زيادة جزء او شرط في عبارة ثبت اطلاقها بالكتاب يجوز عند الشافعى بالرأى لانه تخصيص و تقييد و عند ابى حنيفة لا يجوز ذلك لانه نسخ لاطلاق الكتاب .

و منها ان الحنفية احتاطوا في اثبات صحة الراى فقالوا ان الملة و هو الوصف الجامع بين الاصل و الفرع يجب ان يكون مؤثرة اى ظهر تأثيره بنص او اجماع ، و الشافعية اكتفوا بمجرد الاحالة و الملائمة العلية و ان لم يظهر تأثيره شرعاً بل صححوا و ان لم تظهر المناسبة بين الوصف و الحكم .

و منها ان الشافعية يثبتون الحدود و الكفارات بالرأى و الحنفية لا يصححون الراى في الحدود لاشتغالها على تحديدات حديدات لا يعقل (تحديدات) انتهى .

و قد الف فقيه الهند و مستندها الشيخ العلامة شاه عبد العزيز بن ولى الله الفاروق الحنفى الدهلوى المتوفى ١٢٣٩ هـ رسالتين احدهما في بيان ساخذ مذاهب الائمة الاربعة و الثانية في اصول مذهب ابى حنيفة و لا بأس ان نورد هنا برستها فالاولى :

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده و نصلى على نبيه الكريم و على آله و صحبه ذوى الفضل الجسيم ،

القديم ولا في الحديث مع ان مذهبهم القوي تقديم الحديث الضعيف على القياس المجرد الذي يحتل

= اعلم رحمك الله ان المجتهدين الباحثين عن دلائل الاحكام الشرعية وماخذاها لا رأوا احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم متعارضة و آثار الصحابة و التابعين مختلفة و هي اعم المآخذ و اكثرها في الاحكام تحيروا و اختلف رأيهم في وجه التقصي عن هذا التعارض و الاختلاف ،

فالذي اختار مالك رحمه الله تحكيم عمل اهل المدينة لان المدينة بيت الرسول و موطن خلفائه و مسكن اولاد الصحابة و اهل البيت و مهبط الوحي و اهلها اعرف بمعاني الوحي فكل حديث او اثر يخالف عملهم لابد ان يكون منسوخاً او ماوفا او مخصصاً او محذوف القصة فلا يعنى به .

و الذي اختاره الشافعي رحمه الله تحكيم اهل الحجاز و اشتغل بالدراية مع ذلك و حمل بعض الروايات على حالة و بعضها على حالة اخرى و سلك مسلك التطبيق مها امكن ثم لها ارتحل الى مصر و العراق و سعى روايات كثيرة عن ثقات تلك البلاد ترجح عنده بعض تلك الروايات على عمل اهل الحجاز فحدث في مذهبه قولان للقديم و الجديد .

و الذي اختاره احمد بن حنبل رحمه الله اجراء كل حديث على ظاهره لكنه خصص بمواردها مع اتحاد العلة و جاء مذهبه على خلاف القياس و اختلاف الحكم مع عدم الفارق و لذلك نسب مذهبه الى الظاهرية .

و اما الذي اختاره ابوحنيفة رحمه الله و تابعوه و هو امر مبين جدا و يبان ذلك انا اذا تتبعنا فوجدنا في الشريعة صنفين من الاحكام .

صنف هي القواعد الكلية المطردة المنعكسة كقولنا لا تزور وازرة و زر اخرى و قولنا الغنم بالغرم و قولنا الخراج بالضمان و قولنا العتاق لا يحتل الفسخ و قولنا البيع يتم بالايجاب و القبول و قولنا البينة للمدعى و اليمين على من انكر و نحو ذلك مما لا يحصى .

و صنف وردت في حوادث جزئية و اسباب مختصة كأنها بمنزلة الاستثناء من تلك الكليات فالواجب على المجتهد ان يحافظ على تلك الكليات و يترك ما وراهها لان الشرائع في الحقيقة عبارة عن تلك الكليات و اما الاحكام المخالفة لتلك الكليات لا ندري اسبابها و مخصصاتها على اليقين فلا يلتفت اليها مثال ذلك ان البيع يبطل بالشروط الفاسدة قاعدة كلية و ما ورد في قصة جابر رضي الله عنه انه اشترط الحملان الى المدينة في بيع الجملة قصة شخصية جزئية فلا يكون معارضة لتلك الكلية و كذا حديث المصراة تعارض القاعدة الكلية التي ثبتت في الشرع قطعاً و هي قولنا الغنم بالغرم و نحو ذلك من المسائل و لزم من هذا ترك العمل باحاديث كثيرة وردت على هذا النسق الجزئي لكنهم لا يباليون بها بل يعدون الاجتهاد و المحافظة على الكليات و درج الجزئيات في تلك الكليات مها امكن و هذا الكلام الاجمالي له تفصيل طويل لا يسع الوقت له و الله الهادي (الفتاوى العزيزية في المسائل المشككة طبع دهلي ص ۷۶) .

التزييف ، نعم من رأى ناقبهم الذى هو معظم مناقبهم انهم ما تشبشوا بالظواهر بل وقوا النظر

= و الثانية في اصول مذاهب ابي حنيفة :
من اللطائف التي قلما نلظف جدلي لحفظ مذهبه ما اخترعته المتأخرون لحفظ مذهب ابي حنيفة
وهي عدة قواعد يردون بها جميع ما يحتج به عليهم من الاحاديث الصحيحة :
القاعدة الاولى : الخاص سبين فلا يلحقه البيان ردوا بها فرضية قراءة الفاتحة في الصلاة
و فرضية الاطمينان وغير ذلك قالوا لفظ اسجدوا و اقرؤا خاص سبين فلو لحقه البيان لكان الخاص
يلحقه البيان .

القاعدة الثانية : الزيادة على الكتاب نسخ فلا يكون الا باية ناصة او محدث ناص .

الثالثة : المرسل كالمسند .

الرابعة : لا ترجيح بكثرة الرواة و انما هو بفتحه الراوى .

الخامسة : لا يقبل الجرح حتى يكون مفسرا وذلك لان الجرح و التعديل انما هما في الاكثر

اجاليان .

السادسة : قول ابن الهمام في بعض كتبه ما صححه البخارى و مسلم و نظراهما لا يجب علينا
قبوله كيف و كم من راو يختلف فيه الناس باجتهادهم فمن جارح و معدل نفسي ان يكون الذى
عدلوه مجروحاً عند امامنا و كذلك ما ضعفوه او وضعوه لا يجب علينا ان نقول به كيف و عسى ان
يكون الذى جرحوه عدلا موثوقا به فاذن لا اعتاد لنا الا على ما ذكروا اصحابنا .

السابعة : قال بعض اصحاب الفتاوى اذا كان في المسئلة قول لا يحنيفة و صاحبه و حديث
يتمكون بصحته و يجب اتباع قولهم دون الحديث لانا نلظن بابي حنيفة و صاحبه انهم عارضوا الحديث
مع صحته و صحة الاستنباط منه و لا نلظن بهم انهم لم يبلغهم الحديث لقرب زمانهم و سعة علمهم .

الثامنة : كل حديث لم يروه الا من ليس قبيهاً فان اسند فيه باب الرأى لا يجب قبوله .

التاسعة : العام قطعي كالخاص فلا يخصص عام بخاص حتى يكون قطعياً فيكون تخصيصه نسخاً
الا اذا كان العام قد خص منه بعضه عن عثمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مات و هو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة رواه مسلم هذا الحديث ظاهر في ان الإيمان هو
التصديق فقط كما هو مذهب ابي حنيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء من كل دم سائل
رواه الدارقطنى و استدلت الحنفية بهذا الحديث على انتقاض الوضوء بزروج النجس من غير السيلين .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتيمت الغناط فلا تستقبلوا القبلة و لا تستدبروها ولكن
شرقوا او غربوا متفق عليه هذا الحديث ايضاً موافق لمذهب ابي حنيفة رحمه الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه ثم يصلى و لا يتوضأ رواه الترمذى
قال ابو حنيفة مس النساء لا يبطل الوضوء بدليل هذا الحديث .

فيها بالبحث من السرائر وكشفوا عن وجوه المسائل نقاب الستائر و لذا قال الامام الشافعي الغلق

= سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن من الرجل ذكره بعد ما يتوضأ قال وهل هو الا بضعة منك رواه النسائي و الترمذى و ابوداود و هذا الحديث دليل لابي حنيفة على ان من الذكر غير ناقض للوضوء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسفروا بالنفجر فانه اعظم للاجر رواه الترمذى ، هذا الحديث بظاهره مؤيد لمذهب ابي حنيفة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن و المؤذن مؤمن اللهم ارشد الائمة و اغفر للمؤذنين رواه احمد و ابوداود و الترمذى هذا بظاهره يؤيد مذهب ابي حنيفة على ان صلاة المعتدى موقوفة على صلاة الامام .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى المغرب بسورة الاعراف في ركعتين رواه النسائي ، هذا الحديث يدل على ان وقت المغرب ليس بضييق و هذا موافق لمذهب ابي حنيفة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا و اذا قرأ فانصتوا رواه ابوداود و النسائي ، هذا الحديث مؤيد لمذهب ابي حنيفة .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعتمد الرجل على يديه اذا نهض في الصلاة رواه ابوداود و هذا الحديث دليل لمذهب ابي حنيفة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل اربعاً رواه مسلم يعلم من هذا الحديث ان السنة بعد الجمعة اربع ركعات كما هو مذهب ابي حنيفة رحمه الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن وتره فليصل اذا اصبح رواه الترمذى احتج ابوحنيفة بهذا الحديث على وجوب الوتر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث احدكم وقد جلس في آخر صلاته قبل ان يسلم فقد جازت صلاته رواه الترمذى ، هذا مذهب ابي حنيفة لان التسليم عنده ليس بفرض .

عن علقمة قال قال لنا ابن مسعود الا اصلى بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى و لم يرفع يديه الا مرة واحدة مع تكبيره الافتتاح رواه الترمذى و النسائي ، هذا الحديث مؤيد لمذهب ابي حنيفة على ان لا رفع الا في تكبيره الافتتاح .

ان النبي صلى الله عليه وسلم و ابابكر و عمر رضى الله عنهما كانوا يفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين رواه مسلم ، هذا الحديث يؤيد مذهب ابي حنيفة ان البسملة ليست من الفاتحة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بام القرآن فهي خداج ثلاثا غير تام رواه الترمذى ، هذا الحديث يؤيد مذهب ابي حنيفة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لصلاة لم يقرأ فيها الفاتحة خداجاً و الخداج معناه ناقص فاتضح بهذا ان قراءة الفاتحة في الصلاة ليست =

كلهم عيال ابي حنيفة في الفقه وهذا الاعتراف يدل على الاعتراف وكال الانصاف منه رضى الله تعالى عنها ونفعنا بعلومها ومددنا فاحببت ان اذكر ادلتهم واين مسائلهم وادفع عنهم مخالفتهم لتلايتوهم

= فرضاً ولو كانت فريضة لاستعمل النبي صلى الله عليه وسلم لفظاً آخر مثل قسدت او لم تجز تعلم ان قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة وليست فرضاً لان فرضيتها ليست موجبة لتقصانها بل هي موجبة لعدم جوازها .

عن ابي هريرة انه كان يقول من ادرك الركعة فقد ادرك السجدة ومن فاتته ام القرآن فقد فاته خير كثير رواه مالك وفيه دليل على ان الفاتحة ليست فرضاً كما هو مذهب ابي حنيفة .
قال رسول صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بام القرآن فصاعداً رواه مسلم هذا الحديث ايضاً بظايره يؤيد مذهب ابي حنيفة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة ان كان المراد به نفي الاصل فقوله فصاعداً ليس بصحيح وليس احد من الائمة بقائل لفرضية زيادة القراءة على الفاتحة بالاجماع فيلزم ان المراد بالنفي نفي الكمال .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افطر في تطوعه فليقضه رواه احمد هذا دليل على مذهب ابي حنيفة بان النفل يلزم بالشروع الفتاوى العزيزية ص ٦٦ المطبعة المجتبائية بالهند .
وقال العلامة الشيخ محمد عبد الحي الكهنوي في فتاواه :

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه المجمع المؤسس في المعجم المنفوس :
"ان الاصول كما توجد مضبوطة في كتب المذهب الحنفي لا توجد مثلها عندنا اى الشافعية (مجموعة الفتاوى ج ٢ ص ٢٨٦ طبع لكهنؤ بالهند ١٩٢٦ م) ."
وقال الشيخ المحدث الفقيه عبد الحق الدهلوى في كتابه تحصيل التعرف في الفقه والتصوف ما نصه حرفياً :

"قال ابو يوسف ما خالفته (اباحنيفة) في شيء الا رأيت الذى ذهب اليه احنبي في الآخرة وربما كنت ملت الى الحديث وكان هو ابصر بالحديث منى وقال ما رأيت اعلم بشرح الحديث من ابي حنيفة رضى الله تعالى عنه . وما يدل على كثرة اعتناء ابي حنيفة رضى الله عنه بالحديث انه جوز نسخ الكتاب بالمشهور وانه عمل بالمراسيل والضعيف وتول الصحابي وقدم هذه كلها على القياس" (الورقة ٦٩-٧٠) .

وقال مشائخنا لما تمسك الشافعي ببعض الاحاديث ولم يتمسك ابوحنيفة بها ظن الناس ان مذهبه مخالف للاحاديث والعال ان ههنا احاديث اصح واقرى من تلك الاحاديث التي تمسك بها الشافعي تركها ابوحنيفة لاجلها ولقد تكفل نظام هذا الامر و امامه شرح الشيخ ابن الهمام رحمه الله تعالى ثم ان ما ذكره الشافعية من الطعن في بعض الاحاديث التي تمسك بها الحنيفة او هو في بعض المتأخرين من الرواة جاؤا بعد زمان ابي حنيفة رضى الله تعالى عنه والحكم بضعفه الحديث =

العوام الذين ليس لهم معرفة بالادلة الفقهية ان المسائل الحنفية تخالف الدلائل الحنفية (و سميت مرقة المفاتيح لمشكاة المصابيح) .

= من جهة الراوى المتأخر لا يستلزم الحكم بضعفه في الزمان المتقدم الذى لم يكن هذا الراوى موجودا فيه فيجوز ان يكون الحديث صحيحاً في الزمان السابق بسبب اجتماع شرائط صحته و قبوله فيه فالحديث الذى تمسك به ابوحنيفة رضى الله تعالى عنه مثلاً كان صحيحاً لقلة الوسائط واحداً على القول بثبوت استماعه من الصحابي او اثنين بسامعه من التابعين ثم في الزمان اللاحق كثرت الوسائط والرواية ووجد فيهم من الضعف والوهن فلا يلزم من جرح الراوى المتأخر الحكم بضعف ذلك الحديث لكونه سالماً في ذلك الزمان من الطعن في روايته وهذه نكتة ظاهرة وقعت في ذهن الكاتب ولم ار من ذكره والظاهر انهم ما ذكروه لكونها في غاية الظهور وهذا كما ذكره بعض المحققين ان الحكم بالتواتر والشهرة والوحدة بما يعتبر في الصدر الاول والافكم من حديث كان في ذلك الزمان من الاحاد وصار بعد ذلك بوجود كثرة الطرق بحدوث كثرة الرواية والطالبين مشهورا ولهذا اشترطوا في التواتر استواء ادلة اوله وآخره ووسطه ومما يدل على ان مذهب ابي حنيفة رضى الله تعالى عنه موافق للاحاديث وسبني عليها موافقته مذهب الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى في الاكثر قاله لاخلاف بينهما غالباً وان كان ظاهر المذهب مخالفاً فلا اقل من ان يكون ههنا رواية توافقته كما يظهر من تتبع كتاب الخرق وهو كتاب جليل جامع في مذهبه وشرحه للزرزكى كذلك مملو بالاحاديث اثبتوا المسائل بها ونقلوا الروايات من ائمة مذهبه ومشائخه و ذكره بعضهم ان احمد وافق اباحنيفة رضى الله تعالى عنه في خمس وعشرين ومائة مسألة وخالف الشافعي وكان الشافعي اذ كان مقيماً بالبغداد (يبغداد) خالف اباحنيفة في المذهب كله لما قدم مصر رجع في الاكثر ومن ههنا جاء من الشافعي قولان القديم والجديد .

ومما يستانس بالموافقة التي اوعيناه بين مذهب ابي حنيفة و احمد رضى الله تعالى عنها عدم كنايه ومن الخلاف معه في كنز الدقائق اشهر كتاب في مذهبا فان مصنفه اثبت رموزاً للمخالفين فيها كالفاء للشافعي والكاف لمالك والعين لابي يوسف والميم لمحمد وغيرها لم يرمز لاحمد وما هو الاقله الخلاف و ندرته .

و اما قولهم ان سلوك طريق الاتباع والاقتداء في مذهب الشافعي اكثر وافر ففيه ان اباحنيفة رضى الله تعالى عنه يوجب تقليد الصحابي و يقدم اكثر اقسام الحديث على القياس بخلاف الشافعي رحمه الله تعالى .

اما الاول فقد ثبت في اصول الفقه ان اباحنيفة رضى الله تعالى عنه يقول بان تقليد الصحابي واجب وان كان بالقياس والاجتهاد والشافعي رحمه الله تعالى يقول هم رجال ونحن رجال يعنى هم وسواء في الاجتهاد ولا يسع للمجتهد تقليد مجتهد آخر و نقل عن الاسام ابي حنيفة =

وإذا احس المولى على القارى بالاعتراض على المذهب من كلام الطيبى وابن حجر الهيتمى
يتعقب عليه و يفسح عما لديه (۱۰۳) .

= رضى الله تعالى عنه انه كان يقول عجباً من الناس يقولون انى اتى براى و انا لا اتى الا بما هو
المروى و البائور

و قال الحافظ محمد بن حزم الظاهرى ان اصحاب ابي حنيفة رضى الله تعالى عنهم متفقون على
ان الحديث و ان ضعف اسناده اقدم و اولى من القياس و الاجتهاد انتهى و يظهر ذلك فى حديث
القهقهة فى الصلاة فانه ضعيف و هو رضى الله تعالى عنه لا يعمل بالقياس ما لم يصل الى حد
الضرورة و الاضطرار و لا يعمل بالقياس الا ما كانت عليه مؤثرة لا بالقياس تناسب شبه و طرد فانها
متروكة و مردودة عنده و عند الشافعى رحمه الله تعالى مقبولة .

و ايضاً رضى الله تعالى عنه يرى المراسيل و يقدمها على القياس عندنا كما ذكر بخلاف
الشافعى رحمه الله تعالى يقدم القياس على اقسام من الحديث و تفصيل الكلام فى تقدم الحديث على
القياس عندنا كما ذكر فى اصول الفقه ان الراوى اما ان يكون معروفاً بالرواية او مجهولاً بان لا يعرف
الاجديت او حديثين و المعروف بالرواية اما ان يكون معروفاً بالفقه و الاجتهاد كالخلفاء الاربعة
و العبادة الثلاثة و هم عبد الله بن مسعود و عبد الله بن عباس و عبد الله بن عمر و امثالهم رضى
الله تعالى عنهم اجمعين فاحديث هؤلاء مقبولة و ان كان مخالفاً للقياس مطلقة و مقدمة عليه و ان
لم يكن معروفاً بالفقه و الاجتهاد بل كان معروفاً بالرواية و العدالة كابي هريرة و انس رضى الله تعالى
عنها فان كان حديثه موافقاً للقياس قبل و ان كان مخالفاً لقياس موافقاً آخر و ان كان مخالفاً لجميع
القياسات لم يقبل لاستلزامه انسداد باب الرأى و هو ثابت بالكتاب و السنة و لهذا اوردوا حديث
المصراة .

و اما الراوى المجهول بالرواية ان روى عنه السلف و شهدوا لصحة حديثه فهو فى حكم
المعروف و ان سكتوا عن الطعن فهو ايضاً مقبول وان قبل بعض و رد بعض مع نقل الثقات عنه قبل
ان وافق قياساً من الاقيسة و اما الذى لم يظهر حديثه فى السلف فان كان من القرون الثلاثة قبل
ايضاً فغلبة الصدق فيهم و الا رد و الحاصل ان قبول الحديث و تقديمه على القياس عند
الحنفية على هذا التفصيل و يعلم منه ان الاكثر و الاغلب عندهم ان الحديث مقدم على القياس
الورقة ۱۴ .

(۱۰۳) و انموذجه ما قال الطيبى فى شرح قوله صلى الله عليه وسلم "لا يمتنع رجل اعلمه
ان يأتوا المساجد فقال ابن لعبد الله بن عمر فانا ممنعون فقال عبد الله احدك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم و تقول هذا قال فما كلمه عبد الله حتى مات .

عجبت ممن يسمى بالسنى اذا سمع من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و له رأى رجح =

ولهذه الاهداف الجليلة عد شرحه هذا من الكتب الممتعة التي لا بد للمحدث الحنفى ان يطالع بالامعان ودقة النظر .

قال المحدث الشيخ عبد البارى بن عبد الوهاب الانصارى الكهنوى في مقدمة كتابه التعليق المختار على كتاب الآثار ما نصه :

هذه جملة ما لا بد للمحدث الحنفى ان يطالع و يدرس :-

۱- مؤطا الامام مالك برواية الامام محمد بن الحسن الشيبانى وهو اصح الكتب بعد كتاب الله عند الامام الشافعى رحمة الله عليه و كفى بنا قدوة .

۲- مسند الامام ابى حنيفة برواية الامام محمد بن الحسن الشيبانى المشهور بكتاب الآثار ذكر فيه الاحاديث المروية عن الامام اكثرها برواية اصح الاسانيد عن حاد عن ابراهيم عن اصحاب عبد الله ابن مسعود عن ابن مسعود وغيره من الصحابة رضى الله عنهم فانه لا ينحط درجته عن درجة الصحاح الست عند التحقيق .

۳- كتاب الحجج للامام محمد بن الحسن الشيبانى رحمة الله عليه حاكم فيه بين اهل المدينة و اساتذة الامام مالك و بين اهل العراق و اساتذة الامام ابى حنيفة رحمهم الله .

۴- جامع المسانيد جمعه الامام المحدث الفقيه قاضى القضاة ابو المؤيد محمد بن عمود بن محمد الخوارزمى رحمة الله عليه .

۵- معاني الآثار للامام الحافظ النقاد الاعلام شيخ الحديث ابى جعفر احمد بن محمد بن سلامة ابن عبد الملك بن سلمة بن سليمان بن خباب الازدى الحجرى المصرى الطحاوى .

۶- مشكل الآثار للامام الطحاوى و لكن لم يطبع الى الآن (قلت ثم طبع منه اربعة اجزاء وهى نحو نصف الكتاب) وقد طبع المعتصر مختصر مشكل الآثار فيغتنم لمن لا يحصل له مشكل الآثار .

= رايه عليها و اى فرق بينه و بين المبتدع اما سمع لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به و ما هو ابن عمر و هو من اكابر الصحابة و فقهاها كيف غضب لله و رسوله و هجر فلذة كبده لتلك الهنة عبرة لاولى الالباب .

فقال القارى متعقياً :

يشم من كلام الطيبى رائحة الكناية الاعتراضية على العلماء الحنيفة ظناً معه انهم يقدمون الرأى على العديث و لذا يسمون اصحاب الرأى و لم يدر انهم . انما سوا بذلك لدقة رأيههم و حداقة عقلهم و لذا قال الشافعى كل الناس عيال على ابى حنيفة فى الفقه و قد قال ابن حزم ان جميع الحنفية على ان مذهب امامهم ان ضعيف العديث اولى عنده من الرأى و القياس ذكره السخاوى و قال ابن حجر فى المناقب الحسان :

اعلم انه يتبين عليك ان تفهم من قول بعض العلماء عن ابى حنيفة و اصحابه انهم اصحاب =

ثم لا بد له ان يطالع ويسرد الصحيحين والجامع الترمذى والسنة الاربع سنن ابن ماجه وسنن النسائي وسنن الدارمي وسنن ابى داود السجستاني وسنن ابى داود الطيالسي والدارقطني وان وجد مصنف ابن ابى شيبة ومسند عبد الرزاق وكتب الطبراني وجامع الاصول اما مطالعة كنز العمال فانه يتغنى عن هذه الكتب فى اكثر الابواب انشاء الله تعالى، وينفع مطالعة فتح المنان للشيخ عبد الحق الدهلوى وعقود الجواهر المنيفة ومسند الامام برواية السندي وشرح البخارى للعينى وشرح القارى والدهلوى للمشكاة (۱۰۴).

ولم يكتب المولى على القارى على الاهداف المذكورة بل يتحدث فى انشاء شرحه للشؤون الدينية والاجتماعية والحياة العادية اليومية بمكة المكرمة حيث قال:

”وقد حدث فى زماننا اذان رابع وهو الاذان لاعلام دخول الخطيب فى المسجد“ (۱۰۵).
وقال فى شرح حديث النبى صلى الله عليه وسلم مهلا فوالذى نفسى بيده لقد تاب توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له.

”العجب كل العجب من علماء زماننا ومشائخ اوانا انهم يقبلون منهم.
هذا الهال ويصرفونه فى تحصيل المال ولا يتأملون فى المال نسال الله تعالى العافية والرزق الحلال وحسن الاعمال“ (۱۰۶).

= الرأى ان مرادهم بذلك تنقيصهم ولا نسبتهم الى انهم يقدمون رأيه على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على قول اصحابه لانهم برآء من ذلك فقد جاء عن ابى حنيفة من طرق كثيرة انه اولا يأخذ بما فى القرآن فان لم يجد فبالسنة فان لم يجد فبقول الصحابة فان اختلفوا اخذ بما كان اقرب الى القرآن او السنة من اقوالهم فان لم يجد لاحد منهم قولاً لم يأخذ بقول احد من التابعين بل يجتهد كما اجتهدوا وقال ابن المبارك عنه اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين واذا جاء عن الصحابة اخترنا واذا جاء عن التابعين زاحمتهم وعنه ايضاً وعجبا للناس يقولون ائق بالراى ما ائق الا بالاثر وعنه ايضاً ليس لاحد ان يقول برأيه مع كتاب الله ولا مع سنة رسوله ولا مع ما اجتمع عليه اصحابه واما ما اختلفوا فيه فنتخير من اقاويلهم اقرب الى كتاب الله تعالى والى السنة ونجتهد وما جاوز ذلك فالاجتهاد بالرأى لمن عرف الاختلاف ولدقة قياسات مذهبه كان المزنى يكثر النظر فى كلامهم حتى حمل ابن اخته الاسام الطحاوى على ان انتقل من مذهب الشافعى الى مذهب ابى حنيفة كما صرح به الطحاوى نفسه اهـ.

(۱۰۴) راجع مجد عبد البارى الانصارى، مقدمة التعليق المختار على كتاب الآثار من ۱۰۰،

لكهنو ۱۳۳۳ هـ.

(۱۰۵) راجع مرآة المفاتيح ج ۲ ص ۲۵۲.

(۱۰۶) راجع مرآة المفاتيح ج ۴ ص ۷۱.

وقال أيضاً في شرح حديث اما ابل الشياطين فقد رأيتها يخرج احدكم بتجيبات معه قد اسمنها فلا يعلو بعيراً منها ويمر باخيه قد انقطع به فلا يعمل .
 "قد حدثت في زماننا اعظم منه و هو ان يكرن مع الاكابر ابل كثيرة و يأخذوا ابل الضمفاء سخرة و ربما تكون مستأجرة في طريق الحج فيرموا الحمول عنها و يأخذوها و لا حول و لا قوة الا بالله" (۱۰۷) .

وجملة القول ان المولى على القارى اتى فيه بيان شاف في مسائل الخلاف و انصف غاية الانصاف ليسهل معه فهم معاني الحديث بقدر الامكان و اجاد فيه كل الاجادة و بلغ غاية في الاحسان و الافادة و نهاية في التحقيق و الاستدلال بحسب و تقدأ و قد وصفه العلامة المحقق المحدث البارع الشيخ محمد ادريس الكاندهلوى في مقدمة كتابه "التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح" ما نصه :
 "انه شرح لطيف على منتهج شريف كافل لضبط الالفاظ مع المباني و البحث عن الروايات مع المعاني جمع فيه جميع الشروح و الحواشى و استقصاها فلم يغادر صغيرة و لا كبيرة الا احصاها و ها انا معترف بانى اعترفت في هذا التعليق".

وعندى هو انفع و امتع كتاب في شرح الحديث و كتاب ضخيم ليس في كتب الشروح لمشكاة المصابيح المطبوعة ما يساويه بحسب و استدلالاً و تحقيقاً و تنقيحاً جمع فيه و اوعى و اتى بالمقاصد و وفى .

وهذا الكتاب وحده يكفل لك ملكة حسنة في فهم الحديث ان كنت شديد الالام به فلاغنى للمحدث و الفقيه عنه و لذلك شاع الانتفاع به في العالم الاسلامى .
 كان رحمه الله محظوظاً من العلم ، مرزوقاً من التصنيف و حسن التاليف وقد اشتهرت مؤلفاته شرقاً و غرباً و لا تكاد تجد خزانه في الدنيا عربية كانت ام عجمية تخلو عن عدد منها بخلاف مؤلفات اقرانه فانها اعز عن بيض الاونق قال المحبى .
 "واشتهر ذكره و طار صيته و الف التاليف الكثير اللطيفة التادية المحتوية على الفوائد الجليلة".

وقد شاعت عند المتأخرين رواية تصانيف على القارى حيث استجاز عنه المحدثون تاليفاته و الذين اجازهم بروايتها عنه كثيرون فذكروا سلسلة روايتهم عنه في اثباتهم و معاجمهم فقال حكيم الامة و محدث الهند العلامة الشيخ قطب الدين احمد ولى الله بن عبد الرحم العمري الدهلوى المتوفى ۱۱۷۶ هـ في كتابه الانتباه في سلاسل اولياء الله و اسانيد وارث رسول الله ما نصه :

"منهم ملا على القارى له شرح على المشكاة و كتب كثيرة شهيرة و جدتها عند الشيخ اسعد العتاقى الحكى عن ابيه عن جده و هو الذى وصى اليه الشيخ على القارى بجميع

کتبه فکانت مسوداته بخطه موجوده عنده“ (۱۰۸) .

وقال العلامة المحدث الفقيه الشيخ محمد امين بن عمر الحسيني المدعو بابن عابدين في ثبته عقود اللآلی في الاسانيد العوالی تصانيف المنلا علی القاری .

بالسند الى المنلا ابراهيم الكورانی عن المنلا محمد شريف بن منلا يوسف الكورانی الصديقي عن السيد معظم الحسيني البلخي عن مؤلفها المنلا علی بن سلطان محمد القاری (۱۰۹) .

وقد آن لنا ان نشير الى تراثه العلمي فمن مؤلفاته التي قد طبع .

الاحاديث القدسية و الكلمات الانسية .

الثمار الجنية في اساء الحنفية .

جمع الوسائل في شرح الشائل .

الحزب الثمين للحصن الحصين .

الحزب الاعظم و الورد الافخم لانتسابه و استناده الى الرسول الاكرم .

شرح الشفاء (للقاضي عياض) .

شرح (على القاری) على تبة في زيارة المصطفى .

الضابطية للشاطبية و هو شرح على الشاطبية .

عين العلم و زين العلم .

فتح الرحان بفضائل شعبان .

المبين المعين لفهم الاربعين .

مراقبة المفاتيح لمشكاة المصاييح .

المشرب الوردی في حقيقة (مذهب) المهدي .

مصطلحات اهل الاثر على نجة الفكر .

منح الروض الازهر في شرح الفقه الاكبر .

المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية .

الموضوعات .

نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة سيدي الشريف عيد القادر .

(۱۰۸) راجع كتاب الانتباه في سلاسل اولياء الله و اسانيد وارثي رسول الله بالفارسية

لشاه ولي الله ، ونسخته الخطية المنقولة عن نسخة ابن حفيده الشيخ عمر بن محمد اسماعيل بن عبدالغني الدهلوی محفوظة عند شقيقي الاكبر الشيخ المحدث البارح المحقق المفضل محمد عبد الرشيد النعماني اطال الله بقاته .

(۱۰۹) عقود اللآلی في الاسانيد العوالی ص ۱۴۲ ، مطبعة المعارف بولاية سوريه ۱۳۰۲ هـ .

و مؤلفاته التي لم تطبع

- تحائف الناس بفضل وج و ابن عباس .
 الاجوبة المحررة في البيضة الغيبية المنكورة .
 الادب في فضائل رجب اربع مقالات
 الازهار المثورة في الاحاديث المشهورة .
 الاستئناس بفضائل ابن عباس .
 الاستدعاء في الاستسقاء اربع ورقات
 الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة .
 الاصطناع في الاضطباع .
 الاصول المهمة في حصول المتعة .
 اعراب القارى على اول باب البخارى ورتقان
 الاعلام لفضائل بيت الله الحرام .
 الاعتناء بالفناء في الغناء .
 الانبياء بان العصا من سنن الانبياء ورتقان
 انوار الحجج في اسرار الحج .
 انوار القرآن و اسرار الفرقان .
 الاهتداء في الاقتداء .
 بداية السالك في نهاية المسالك في شرح المناسك .
 البرة في حب الهرة .
 البرهان الجلي على من تسمى من غير سمي بالولى .
 بهجة الانسان و مهجة الحيوان .
 بيان فعل الخير اذا دخل مكة من حج عن الغير .
 البنات في بيان تباين بعض الآيات .
 الثائبية في شرح الثائبية لابن المقرئ .
 التبيان في بيان ما في ليلة النصف من شعبان و ليلة القدر من رمضان .
 تبعيد العلماء عن تقريب الامراء .
 التجريد في اعراب كلمة التوحيد .
 تحفة الحبيب في موعظة الخطيب .
 تحقيق الاحتساب في تدقيق الانتساب .
 تزيين العبارة في تحسين الاشارة اربع ورقات
 تسلية الاعمى عن بلية العمى .

- تشجيع فقهاء الحنفية في تشجيع سفهاء الشافعية .
 التصريح في شرح التبرجح خمس وراقات
 تطهير الطوية في تحسين النية تسع وراقات
 تعليقات القارى على ثلاثيات البخارى .
 توضيح المباني و تنقيح المعاني و هو شرح مختصر المنار لزين الحلبي .
 التهديدن ذيل التزيين على وجه التبيين . هي رسالة في الاشارة بالمسيحة في التشهد كالمقدمة .
 الجالين على تفسير الجلالين .
 جمع الاربعين في فضل القرآن المبين .
 حاشية على فتح القدير .
 حاشية على المواهب اللدنية .
 حاشية على شرح رسالة الوضع للسمرقندى .
 حدود الاحكام .
 الحظ الاوفر في الحج الاكبر .
 دامنغة المبتدعين و ناصرة المهتدين .
 الدررة المضية في الزيارة المصطفوية .
 دفع الجناح و خفض الجناح في فضائل النكاح .
 الذخيرة الكثيرة في رجاء المغفرة للكبيرة .
 ذيل الرسالة الوجودية في نيل مسئلة الشهودية .
 ذيل الشائل للترمذى .
 رد الفصوص .
 رسالة في الابوين الشريفين .
 رسالة في افراد الصلاة عن السلام .
 الرسالة العطائية في الفرق بين صفد و اصفد .
 رسالة في بيان التمتع في اشهر الحج .
 رسالة في كرامات الاولياء .
 رسالة في الرد على من نسبته الى تنقيص الامام الشافعى .
 رسالة في مناقشة البيضاوى في الحديث الذى ذكره في رفع العذاب عن اهل القبور .
 الرهص و الوقص لمستحل الرقص .
 زبدة الشائل و عمدة الوسائل .

الزبدة في شرح قصيدة البردة .
 سلاسة الرسالة في ذم الروافض من اهل الضلالة .
 شرح الجامع الصغير للسيوطي .
 شرح حزب البحر .
 شرح رسالة بدر الرشيد في الفاظ المكفر
 شرح الرسالة القشيرية
 شرح صحيح مسلم
 شرح مستند الامام الاعظم
 شرح الوقاية في مسائل الهداية
 شفاء السالك في ارسال مالك
 شم العوارض في ذم الروافض
 الصلات و الجواز في صلاة الجنائز
 صنعة الله في صبغة الله
 الضيعة الشريفة في تحقيق البقعة المنيفة
 الطواف بالبيت و لو بعد الهدم
 العناب عن وضع اليد في الطواف اى وضع اليد هلى الصدر
 العلامات البيئات في فضائل بعض الآيات
 عمدة الشائل

غاية التحقيق في نهاية التدقيق و هى رسالة في مسائل ابتلى بها اهل الحرمين في الاقنداء بالمخالف للمذهب و تكرار الجاعة في المسجد و وقت العصر و القراءة خلف الاسام و الاربع بعد الجمعة .

فتح ابواب الدين في شرح آداب المريدين
 فتح الاساع في شرح الساع
 فتح باب الاستسعاد في شرح قصيدة بانث سعاد
 فتح باب العناية شرح كتاب النقاية
 فتح المنطبا بشرح الموطا للاسام (۱۱۰)

(۱۱۰) قال الشيخ مجد عبد الحى اللكهنوى في التعليق المسجد :
 " له شرح على موطا مجد في مجلدين شتمبل على نفائس لطيفة و غرائب شريفة الا ان فيه في تنقيد الرجال مسامحت كثيرة كما ستطلع عليها ان شاء الله تعالى في مواضعها ."

فوائد القلائد على احاديث شرح العقائد
 ثم العون من يدعى ايمان فرعون
 الفصل المعمول في الصف الاول
 الفصول المهمة في حصول التمتع
 رسالة في اتمام الركوع
 فيض الفائض في شرح الروض الراض في القرائن
 القول الجائز في صلاة الجنائز
 قوام الصوم للقيام بالصيام
 القول الحقيق في موقف الصديق
 القول السديد في خلف الوعيد
 كشف الخدر عن حال الخضر
 كنز الاخبار في الادعية و ما جاء من الآثار
 لب لباب المناسك في نهاية المسالك
 لسان الاهتداء في بيان الاقتداء
 المختصر الاوفى في شرح الاسماء الحسنى
 المرتبة الشهودية في منزلة الوجودية
 المسلك الاول فيما تضمنه الكشف للسيوطي
 المسلك المتوسط في المنسك المتوسط
 المسئلة في شرح البسملة
 معرفة النساك في معرفة المسواك
 المقالة العذبة في العامة و العذبة
 المقدمة السالمة في خوف الخاتمة
 ملخص البيان في ليلة النصف من شعبان
 الملحم في شرح لغت المرصع
 المعدن العذني في فضل اويس القرني
 المنع على حزب الفتحة لابي التحسن البكري
 الناموس في تلخيص القاموس
 النسبة المرتبة في المعرفة و المحبة (المسئلة المشكلة في المعرفة و المحبة و الخلة)
 النعت المرصع في المجنس المسجع في مشكلات الصلاة
 المورد الروي في النولد النبوي
 الوقوف بالتحقيق على موقف الصديق في ان وقوف الصديق و عمر رضى الله عنها ما كان

الهيئة السنية في تبين احاديث الموضوعات

الهيئة السنية العلية على ابيات الشاطبية الراهية

قال الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي في تاريخ الخط العربي و آدابه (ص ٢٩٣)
 "و يوجد في كتب خانة علي باشا بالآستانة جميع مصنفاته"

و توفي رحمه الله بمكة المكرمة في شوال سنة اربع عشرة و الف من الهجرة و دفن بالمعلاة
 قال المؤرخ الشهير المولى محمد المجبى المتوفى ١١١١ هـ في كتابه خلاصة الاثر في اعيان القرن
 الحادى عشر :

"و لما بلغ خبر وفاته علماء مصر صلوا عليه بجامع الازهر صلاة الغيبة في مجمع حافل يجمع
 اربعة آلاف نسمة فاكثروا".

قال الشيخ عبد الحى الكهنوى في مقدمة السعاية :
 "وزرت قبره في المعلى و لله الحمد على ذلك"

محمد عبد الحلیم بن محمد عبد الرحیم الجشتی

٥١٣٨٦٠٧٠١٧



المعروف بالفتح

شرح

المسؤول بالفتح



للمرئى السهرى و الفقيه النبيل

على بن سلطان محمد القارى رحمة البارئ

السنه ١٠١٤ هـ

الجزء الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح قلوب العلماء بفاتيح الايمان وشرح صدور العرفاء بمصابيح الايقان و أنضل الصلوات و أكمل التيجات على صدر الموجودات و بدر المخلوقات أحمد العالمين و أمجد العالمين محمد المجهود في أقواله و أفعاله و أحواله المنور مشكاة صدره بأنوار جماله و اسرار كماله و على آله و أصحابه حملة علومه و نقلة آدابه (أما بعد) فيقول أقر عبد الله القنى البارى على بن سلطان محمد الهوى القارى عاملهما الله بلفظه الخفى و تجاوز عنهما بكرمه الوفى لما كان كتاب مشكاة المصابيح الذى ألفه مولانا الحبر العلامة و البحر الفهامة مظهر الحقائق و موضح الدقائق الشيخ التقى التقى ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزى أجمع كتاب فى الاحاديث النبوية و أنفع لباي من الاسرار المصطفوية و لله در من قال من أرباب الحال

لئن كان فى المشكاة يوضح مصباح * فذلك مشكاة و فيها مصابيح

و فيها من الانوار ما شاع نفعها * لهذا على كتب الانام تراجم

فيه أصول الدين و الفقه و الهدى * حوائج أهل الصدق منه مناجيح

تعلق خاطر الفاتر بقرائه و تصحيح لفظه و روايته و الاهتمام ببعض معانيه و درايته رجاء أن أكون عاملا بما فيه من العلوم فى الدنيا و داخل فى زمرة العلماء العاملين فى العقبى قرأت هذا الكتاب المعظم على مشايخ الحرم المحترم نفعنا الله بهم و ببركات علومهم منهم فريد عصره و وحيد دهره مولانا العلامة الشيخ عطية السلمى تلميذ شيخ الاسلام و مرشد الانام مولانا الشيخ أبى الحسن البكرى و منهم زبدة الفضلاء و عمدة العلماء مولانا السيدز كريا تلميذ العالم الربانى مولانا اسمعيل الشروانى من أصحاب قطب العارفين و غوث السالكين خواجه عبيد الله السمرقندى أحد أتباع خواجه بهاء الدين النقشبندى روح الله و روحهما و رزقا فتوحهما و منهم العالم العامل و الفاضل الكامل العارف بالله الولى مولانا الشيخ على المتقى أفاض الله علينا من مدده العلى لكن لكون هؤلاء الاكابر غير حفاظ للحدیث الشريف و لم يكن فى أيديهم أصل صحيح يعتمد عليه العبد الضعيف و الشراح ما اعتوا الا بضبط بعض الكلمات و كانت البقية عندهم من الواضحات ما اطمان قلبى و لا انشرح صدرى الا بأن جمعت النسخ المصححة المقروءة السموعة المصححة التى تصلح للاعتماد و تصح عند الاختلاف للاستناد فمنها نسخة هى أصل السيد أصيل الدين و السيد جمال الدين و نجله السعيد مير كشاف المحدثين المشهورين و منها نسخة قرئت على شيخ مشايخنا فى القراءة و الحدیث النبوى مولانا الشيخ شمس الدين محمد بن الجزرى و منها نسخة قرئت على شيخ الاسلام الهوى و غيرها من النسخ المعتمدة الصحيحة التى وجدت عليها آثار الصحة الصريحة فأخذت من مجموع النسخ أصلا أصيلا و لمثوية الاخرية كفيلا و قد حصل لى اجازة عامة و رخصة تامة من الشيخ العلامة على بن أحمد الجنائى الأزهرى الشافعى الأشعرى الانتصارى و قد قال قرأت على شيخ الاسلام و امام أئمة الاعلام الشيخ جلال الدين السيوطى كتبنا من الحدیث و غيره من العلوم كالبخارى و مسلم و غيرهما من الكتب الستة و غيرها البعض قراءة و البعض سماعا و قد اجازنى بجمع مروياته و بما قرئ به و بما اجاز به خاتمة المحدثين مولانا الشيخ ابن حجر العسقلانى قراءة و سماعا و رواية و اجازة و على الشيخ القسطلانى صاحب المواهب و شارح البخارى من أجلاء تلامذة العسقلانى و اجازنى بعروياته و مؤلفاته و هذا على ما يوجد من السند المعتمد فى هذا الزمان المكرر المتكدر ثم انى قرأت أيضا بعض احاديث المشكاة على منبع بحر العرفان مولانا الشهرير بعير كيلان و هو قرأ على زبدة الباحثين و عمدة المدققين مير كشاف و هو على والده السيد السند

* بسم الله الرحمن الرحيم *

مولانا جمال الدين المحدث صاحب روضة الاحباب وهو على عمه السيد أصيل الدين الشيرازي روى انه أدرك من أكابر العلماء احدا وثمانين منهم مولانا الشيخ مهدي بن محمد بن محمد الجزري والشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس والعلامة السيد الشريف الجرجاني وسمع منه مولانا نورالدين عبدالرحمن الجامي قدس سره السامي وغيره توفي سنة أربع وثمانين وثمانائة قال اروى كتاب المشكاة عن مولانا شرف الدين الجرمي وهو يروى عن خواجه امام الملة والدين علي بن مبارك كشاف الصديقي وهو يروى عن المؤلف وهذا الاسناد لا يوجد اعلى منه للاعتماد فلما حصلت هذه النسخة المذكورة وصحتها من النسخ المسطورة رأيت أن أضبطها تحت شرح لطيف علي منتهج الشريف يضبط ألفاظه مع مبانيه ويبحث عن رواياته ومعانيه فان همم اخوان الزمان قد قصرت ومجاهدتهم في تحصيل العلوم لاسيما في هذا الفن الشريف ضعفت وهو مقتضى الوقت الذي تجاوز عن الاف وبقي ضعف العلم والعمل بل ضعف الايمان على ضعف والله ولي دينه وناصر نبيه وهو بكل جميل كفيلا وحسبنا الله ونعم الوكيل وأيضا من البواعث أن غالب الشراح كانوا شافعية في مطلبهم وذكروا المسائل المتعلقة بالكتاب على منهج مذهبهم واستدلوا بظواهر الاحاديث على مقتضى مشربهم وسوا الحنفية أصحاب الرأى على ظن أنهم ما يعملون بالحديث بل ولا يعلمون الرواية والتجديت لا في القديم ولا في الحديث مع أن مذهبهم القوي تقديم الحديث الضعيف على القياس المجرد الذي يحتمل التزييف نعم من رأى ثابتهم الذي هو معظم مناقبهم أنهم ما تشبهوا بالظواهر بل دققوا النظر فيها بالبحث عن السرائر وكشفوا عن وجوه المسائل نقاب السائر ولذا قال الامام الشافعي الخلق كلهم عيال أبي حنيفة في الفقه وهذا الاعتراف يدل على الاعتراف وكمال الانصاف منه رضى الله تعالى عنهما وتفتنا بعلومهما ومددتهما فأحببت أن أذكر أدلتهم وأبين مسائلهم وأدفع عنهم مخالفتهم لثلاثتهم العوام الذين ليس لهم معرفة بالادلة الفقهية ان المسائل الحنفية تخالف الدلائل الحنيفية (وسميته مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح) والله تعالى أسأل أن يجعله خالصا لوجهه من فضله وان ينفع المسلمين به كما ينفعهم بأصله وفصله فأقول وبالله التوفيق ويده أئمة التحقيق قال الشيخ رحمه الله * (بسم الله الرحمن الرحيم) * ابتداء بالقرآن العظيم وتخلقا بأخلاق العزيز العليم وافتاء للنبي الكريم حيث قال كل امرئ بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتراى قليل البركة أو معدومها وقيل انه من البتر وهو القطع قبل التمام والكمال والمراد بذي البال ذو الشأن في الحال أو المال رواه الخطيب بهذا اللفظ في كتاب الجامع واختلف السلف الأبرار في كتابة البسملة في أول كتب الاشعار فمنعه الشعبي والزهرى وأجازه سعيد بن المسيب واختاره الخطيب البغدادي والاحسن التفصيل بل هو الصحيح فان الشعر حسنة حسن وتبيحه قبيح فيصان إيراد البسملة في الهجويات والهديان ومذائح الظلمة ونحوها كما تصان في حال أكل العرام وشرب الخمر ومواضع الفاذورات وحالة المجامعة وأمثالها والظاهر انه لا يكتب في أول كتب المنطق على القول بتحريم مسائلها وكذا في القصص الكاذبة بجمع أنواعها والكل مستفاد من قوله ذي بال والله أعلم بحقيقة الحال ثم انه ورد الحديث بلفظ كل كلام ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم رواه أبو داؤد والنسائي في عمل اليوم والليلة وبالغز كل امرئ ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع رواه ابن ماجه والتوفيق بينهما أن المراد منهما الابتداء بذكر الله سواء يكون في ضمن البسملة أو الحمدلة بدليل أنه جاء في حديث رواه الرهاوي في أربعينته وحسنه ابن الصلاح ولفظه كل امرئ ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع أو يحتمل حديث البسملة على الابتداء الحقيقي بحيث لا يسبقه شئ وحديث

الحمد لعل على الابتداء الاضافي وهو ما بعد البسمة قبل ولم يعكس لان حديث البسمة أقوى في المنهال بكتاب الله
الوارد على هذا المنوال ويخطر بالبال والله أعلم بالحال ان توفيق الانتاح بالبسمة لما كان من النعم الجزيلة
ناسب أن تكون الحمد لمتأخرة عنها لتكون متضمنة للشكر على هذه المنحة الجميلة هذا وقد يقال ان المراد
بالابتداء افتتاح عرفي موسع ومدود يطلق على ما قبل الشروع في المقصود كما يقال أول الليل وأول النهار وأول
الوقت وأول الديار وحينئذ لا يرد على المصنف أنه جاء في رواية كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بذكر الله ثم
بالصلاة على فهو قطع معقوق من كل بركة أخرجه الرهاوي عن أبي هريرة مرفوعاً وان قيل بضعفه
وجاء في رواية ضم الغناء وهو الظاهر من صنيع الترمذي حيث أورده في باب خطبة النكاح وكذا يفهم من اعتراض
الشيخ ابن حجر العسقلاني على البخاري في تركه الشهادة أول كتابه مع انه قد يجاب عنه بعدم
صححة الحديث عنده أو بأن روايته كسر الغناء لاضمه والله أعلم ثم الباء جاء لاربعة عشر معنى
والمناسب ههنا منها اللصاق والاستعانة وهي متعلقة بمقدر وأخر على المختار تحقياً
لحقيقة الابتداء وتعظيماً للاسم الخاص عن الانتهاء وإفادة للاهتمام وإرادة لتمام الاختصاص الذي هو الغرام
ورد الأدب المشركين حيث كانوا يبتدئون بالأضنام ويفتحون بذكر الله في بعض الكلام لكن قال
العارف الجاسي حقيقة الابتداء باسمه سبحانه عند العارفين أن لا يذكر باللسان ولا يخطر بالجنان في الابتداء
غير اسمه سبحانه لا إثباتاً ولا نفيًا فان صورة نفي الغير ملاحظة للغير فهو أيضاً ملحوظ في الابتداء
فليس الابتداء مختصاً باسمه سبحانه فلاحاجة الى تقدير المحذوف مؤخرًا الا أن يكون اسم الله سبحانه في
التقدير أيضاً مقدماً كما أنه في الذكر مقدم اه والمعنى باسم الله أبداً تصنيفي أو ابتدائي في جميع أموري
مبتكراً باسمه ومستعيناً برسمه والاسم من الأسماء التي بنى أوائلها على السكون عند الابتداء
بها يزيدون همزة الوصل والأصح انه من الأسماء المحذوفة العجز كيدوم دليل تصاريقه من سميت
وتحوه واشتقاقه من السمو وهو العلوان التسمية تنويه بالمسمى ورفع لقدره وعند الكوفية أضله وسم
وهو العلامة لانه علامة دالة على المسمى فعذف حرف العلة تخفيفاً ثم أدخلت عليه همزة
الوصل وسقطت كتابتها في البسمة المختصة بالجلالة على خلاف رسم الخط لكثرة الاستعمال الكسبي
وطولت الباء دلالة عليها قبل ذكر الاسم فرقا بين اليمين واليمين وقيل الاسم صلة وهو ان أريد به
اللفظ فلا يصح القول بانه عين المسمى وان أريد به ذات الحق والوجود المطلق اذا اعتبر مع صفة معينة
كالرحمن مثلا هو الذات الالهية مع صفة الرحمة والقهار مع صفة القهرفهو عين المسمى بحسب التحقيق
والوجود وان كان غيره بحسب التعقل والأسماء الملفوظة هي أسماء هذه الأسماء والاضافة لامية والمراد بعض
افراده التي من جملة الله والرحمن والرحيم أو يراد به هذه الأسماء بخصوصها بقرينة التصريح
بها ويمكن أن تكون الاضافة بيانية بناء على ما تقدم هكذا قاله بعض المحققين واعلم أن هذه المسئلة
قد اختلف فيها على مذاهب أحدها أن الاسم عين المسمى والتميمية وثانيها وهو المنقول
عن الجهمية والكرامية والمعتزلة غيرهما قال العلامة العزبان جماعة هو الحق وثالثها عين المسمى
وغير التسمية وهو الصحيح عند بعض الحنفية وهو المراد بقول القائل وليس الاسم غير المسمى ورابعها
لاعين ولا غير والثالث هو المنقول عن الأشعرية لكن في اسم الله تعالى أعني كلمة الجلالة خاصة لان
مدلول هذا الاسم الذات من حيث هي بخلاف غيره كالعالم فمدلوله الذات باعتبار الصفة وقديبه
الاسام الرازي والآمدى على أنه لا يظهر في هذه المسئلة ما يصلح محللا لنزاع العلماء والله أعلم وفي
التعرف أجمعوا أن الصفات ليست هي هو ولا غيره وأجمعوا أنها لاتتغير وليس علمه قدرته ولا غير قدرته.

ولا قدرته علمه ولا غير علمه وكذلك جميع صفاته من السمع والبصر وغيرهما واختلافوا في الاسماء فقال بعضهم
اسماء الله تعالى ليست هي الله ولا غير الله كما قالوا في الصفات وقال بعضهم أسماء الله هي الله والله أعلم ثم اعلم أنه غير
العلماء في تدقيق اسم الله كما غير العرفاء في تحقيق سماء سبحانه من تحريف ذاته سواء قيل انه عبري لأن أهل الكتاب
كانوا يقولون الاها فحذفت العرب الالف الاخرى للتخفيف كما فعلوا في النور والروح واليوم فانه في اللغة العبرانية كانت
نور اوروفا ويوما وهذا وجه من قال انه عبري والحق انه عبري لأن ما ذكره من توافيق اللغتين لا يدل على كون احدهما
متأخر عن الاخرى مأخوذة عنها ثم اختلفوا اسما هو أم صفة مشتق وعليه الاكثر وأغير علم وما اصله
على تقدير اشتقاقه ومختار صاحب الكشاف انه كان في الاصل اسم جنس ثم صار علما وان أصله الاله وانه مشتق من اله
بمعنى تحريف الله مستحير فيه لانهم لا يعيطون به علما وحكي سيبويه والمبرد عن الخليل ان الله اسم خاص علمه الله غير
مشتق من شئ وليس بصفة فعلی هذا يكون جامعاً لاسمائه ونعوته وصفاته وقيل انه مأخوذ من الهت الى فلان اذا فرغت
اليه عند الشدائد قال * ألهت اليكم في بلاياتنوبني * فألفيتكم فيها كرما مجدا

فان الخلق يفزعون اليه عند الشدائد أو من اله الفضيل اذا ولع بأمه لان العباد يوليهون به ويذكره وقيل من تألهت أي
تضرعت قاله هو الذي يتضرع اليه وقيل من قولهم لاه يولوه لوها ولاها اذا احتجب وارفع قال
لاه رب عن الخلائق طرا * فهو الله لا يري ويرى هو

وقيل من ألهت بالمكان اذا اقم فيه ومعناه الذي لا يتغير عن صفته كما أن المقيم لا يتحول عن بقعته ومنه قول الشاعر
الهنا بدار لا تبين رسومها * كأن بقاياها وشام على الايدي

وقيل الاله أصله ولاه فهو من الوله كما قيل في اسادة و اشاح واجوه وسادة وشاح وجوه ومعناه ان
العباد يوليهون عند ذكر الاله أي يطربون منه ومنه قول الحكيم

ولهت نفسى الطروب اليكم * ولها حال دون طعام

وقيل الوله المحبة الشديدة وقيل مشتق من اله بمعنى عبد فالله فعال بمعنى المعبود كالكتاب بمعنى
المكتوب ويبدل عليه قراءة ابن عباس ويذكر ولاهتك أي عبادتك ثم قال سيبويه الاصل في
قولنا الله فلما حذفت همزته عوضت في اوله الالف واللام عوضا لان ما قبل الله وقال المبرد الاصل في
لاموله على وزن دور قلبوا الواو الفتح لحر كها وافتتاح ما قبلها فصار لاه على وزن دار ثم ادخلوا عليه لام التعريف
وقال أبو لهيثم الرازي الاصل في الله هو الاله خفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام الساكنة قبلها و
حذفت فصار الاله ثم اجريت الحركة العارضة مجرى الاصلية وادغمت اللام الاولى في الثانية قيل
هنا اشكال صر في وهو انه ان نقلت حركة الهمزة الى ما قبلها أو لاه على ما هو ليا س ثم حذفت فيلزم أن
يكون وجوب الادغام غير قياسي لما تقرر في محله من أن المثلثين المتحركين لا يجب فيهما الادغام اذا كانا
من كلمتين نحو ما سلككم ومنا سلككم وان حذفت الهمزة مع حركتها فيلزم مخالفة القياس في تخفيفها وان
كان لزوم الادغام على القياس ومن ثم قيل هذا الاسم خارج عن مقتضى القياس كما أن سماء خارج عن دائرة قياس
الناس وأجيب باختيار الال ومنع كون الادغام في كلمتين بانه لما جعل اللام عوضا عن الهمزة وصار بمنزلة ما صار
كانه في كلمة واحدة على أنه يجوز أن يكون وجوب الادغام بعد العملية فيكون الاجتماع في كلمة واحدة قطعاً قلت
التحقيق انه كما أن النقل فيه قياس غير مطرد فكذلك الادغام في كلمتين ويكفي جوازه ولا يحتاج الى وجوبه
مع ان الادغام في كلمتين اتفق عليه القراء في قوله لانا سنا والحق انه نظير قوله تعالى لينا هو الله ربنا فان
الاصل لكن أن اقولوا الفتح الى ما قبلها من النون فاجتمعت نونان متحركتان فاسكنوا الاولى وادغموها في الثانية
وهذا القول محكي عن القراء وقيل الاصل فيه هاء الكناية عن الغائب وذلك أنهم اثبتوا موجودا في نظر
عقولهم وأشاروا اليه بحرف الكناية ثم زادوا فيه لام الملك لما علموا انه خالق الاشياء ومالكها فصار له ثم

قصروا الهاء واشبعوا فتحة اللام فصار له وخرج عن معنى الاضافة الى الاسم المفرد في يدت فيه الالف واللام للتعريف تعظيما وضموه تاكيدا لهذا المعنى فصار الله كما ترى وهذا أقرب باشارات الصوفية من تحقيق اللغة العربية وقيل ليس هو مشتق بل هو علم ابتداء لذاته المخصوصة من غير ملاحظة معنى من المعاني المذكورة ويلام هذا المذهب ما ذكره بعض العارفين من أنه اسم للذات الالهية من حيث هي على الاطلاق لا باعتبار اتصافها بالصفات ولا باعتبار لا اتصافها بها ولذا قال الجمهور انه الاسم الاعظم قال القطب الرباني الشيخ عبدالقادر الجيلاني الاسم الاعظم هو الله لكن بشرط أن تقول الله وليس في قلبك سواء وقد خص هذا الاسم بخصوص لا توجد في غيره كما ذكره أهل العربية منها انه تنسب سائر الاسماء اليه ولا ينسب هو الى شئ منها ومنها انه لم يسم به أحد من الخلق بخلاف سائر الاسماء ومنها انهم حذفوا اللفظة ياء من أوله وزادوا ياء في آخره فقالوا اللهم ولم يفعل ذلك لغيره ومنها انهم أزره الالف واللام عوضا لزامعن همزته ولم يفعل ذلك في غيره ومنها انهم قالوا يا الله قطعوا همزته ومنها انهم جمعوا بين ياء التي للنداء وبين الالف واللام ولم يفعل ذلك في غيره حال سعة الكلام ومنها تخصيصهم اياه في القسم بادخال التاء وايمين وأيم في قولهم تالله وايمين الله وأيم الله ومنها تفضيحه لانه اذا افتتح ما قبله أو انضم ستقوتها العرب كإبراهيم وأبراهيم ونقل عن القراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذف ألفه لحن تقديسه الصلاة والرحمن فعلان من رحم كفضبان من غضب على أنه صفة مشبهة يجعل الفعل المتعدى لازما فينقل الى فعل بضم العين فيشتق منه الصفة المشبهة وأما (الرحيم) فان جعل صيغة مبالغة كإناص عليه ينويه في قولهم هو رحيم فلا إشكال وان جعل من الصفات المشبهة كما يشعر به كلام الكشاف فالوجه ما ذكر في الرحمن ثم في الرحمن زيادة مبالغة من الرحيم لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وهي اما بحسب شموله للدارين واختصاص الرحيم بالدنيا كما وقع في بعض الآثار يارحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا واما بحسب كثرة أفراد المرحومين وقتلتها كما ورد يارحمن الدنيا ورحيم الاخرة واما بحسب جلاله النعم ودقتها وبالجملة في الرحمن مبالغة في معنى الرحمة ليست في الرحيم فيقصد به رحمة زائدة بوجه ما فلا ينافي ما يروى من قولهم يارحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما لجواز حملهما على الجلائل والدقائق وقيل رحمة الرحمن تتعلق بالمؤمن والكافر في الدنيا ورحمة الرحيم تختص بالمؤمنين في العقبى ولا يجوز اطلاق الرحمن على غيره تعالى بخلاف الرحيم قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ولبذا قيل الرحمن خاص اللفظ عام المعنى والرحيم عام اللفظ خاص المعنى ثم الرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضى التفضل والاحسان وهي من الكيفيات التابعة للمزاج والله سبحانه منزه عنها فاطلاقها عليه سبحانه انما هو باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي هي من الانفعالات فهي عبارة عن الاعمال فتكون من صفات الأفعال واعن ارادة الاحسان فتكون من صفات الذات فان كل واحد منهما مسبب عن رقة القلب والانعطاف فتكون مجازا مرسلتا من باب اطلاق السبب على السبب وقدم الرحمن على الرحيم مع أن القياس الترقى في الصفات من الأدنى الى الأعلى بناء على أن الرحيم كالشئمة والريديف للرحمن أول زيادة شبهه بالله حيث اختص به سبحانه حتى قيل انه علم له أول تقدم رحمة الدنيا وفي الاكتفاء بهاتين الصفتين من صفات الجمال وعدم ذكر صفة من صفات الجلال اشعار بقوله تعالى في الحديث القدسي غلبت رحمتي غضبي وفي الختم بالرحيم إيماء بحسن خاتمة المؤمنين وان العاقبة للمتقين بعد حصول رحمة لعموم الخلق أجمعين (الحمد لله) قيل الحمد والمدح والشكر

حمدته ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له و أشهد أن لا اله

الفاظ مترادفة والمحتقون ينهبا يفرقون ويقولون ان الحمد هو الشاء باللسان على الجميل الاختياري من نعمة وغيرها والملح يعم الاختياري وغيره ولذا يقال مدحته على حسنه ولا يقال حمدته عليه والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بمقابلة النعمة سواء يكون باللسان أو الجنان والأر كان فمورد الحمد خاص ومتعلقه عام والشكر بخلافه وحقيقة الشكر ماروي عن الجنيدانه صرف العبد جميع ما ناعم الله به عليه الى ما خلق لاجله ورفع به بالابتداء وخبره لله وأصله النصب وقرئ به وانما عدل به الى الرفق دلالة على الإدوام والثبات وقرئ باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما لكثرة استعمالهما معا منزلة كلمة واحدة ثم الجملة خبرية لفظا انشائية معنى لتسمية قائلها بها حامدا ولو كانت خبرية معنى لم يسم الا خبرا ومعلوم أنه لا يشق للخبر اسم فاعل من ذلك الشيء اذ لا يقال لمن قال الضرب مؤلم ضارب فان قيل جاز أن يعدالشرع المخبر بشيوت الحمدله تعالى حامدا أوجب بأنه خلاف الأصل والأصل عدمه واللام للاستغراق أي كل حمد صدر من كل حامد فهو ثابت لله أوللجنس ويستفاد العموم من لام الاختصاص وعلى التقديرين فجميع أفراد الحمد مختص له تعالى حقيقة وان كان قد يوجد بعضها لغيره صورة أو الحمد مصدر بمعنى الفاعل أو المفعول أي الحامدية والمحمودية ثابتان له تعالى فهو العائد وهو المحمود أو للعهد فان حمده لائق له ولذا أظهر العجز أحمد الخلق عن حمده وقال لأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (نحمده) استئناف ناو لا أثبت الحمدله بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام سواء حمدا ولم يحمد فهو اخبار متضمن للانشاء وثانيا أخبر عن حمده وحمد غيره معه بالجملة الفعلية التي للتجدد والحدوث بحسب تجدد النعماء وتعدد الآلاء وحدوثها في الأثناء أو السراد نشكره اما مطلقا أو على توفيق الحمد ما بقا (ونستعينه) أي في الحمد وغيره من الأمور الدنيوية أو الآخروية فيكون تبرا من الحول والقوة النفسية وفيه إشارة الى رد القرية كما أن فيما قبله ردا على الجبرية ولم يقل وياه نستعين لأن مقام الاختصاص لا يدركه الا الخاص ولذا قال ابن دينار لولا وجوب قراءة الفاتحة لما قرأتم لم عدم صديق فيها (ونستغفره) أي من السيئات والتقصيرات ولسوف الحمد والاستعانة وسائر العبادات (ونعوذ بالله) أي نتجنى ونعتصم بعونه وحفظه (من شرور أنفسنا) أي من ظهور السيئات الباطنية التي جبلت الانفس عليها قيل منها الحمد مع الرياء والسمعة وكذامع اثبات الحول والقوة (ومن سيئات أعمالنا) أي من مباشرة الأعمال السيئة الظاهرة التي تنشأ عنها وفيه اعتراف بان البواطن والظواهر مملوءة من العيوب ومحشوة من الذنوب ولذا قيل وجودك ذنبا ليقاس به ذنب قيل منها التصنيف بلا اخلاص وعدم رؤية التوفيق والاختصاص ولولا حفظه تعالى مع توفيقه لما استقام أحد على طريقه لولا الله ما هتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا (من يهده الله) أي من يرد الله هدايته الموصلة اليه وعنايته المقربة لديه (فلا مضل له) أي فلا أحد يقدر على اضلاله من المضلين من شياطين الانس والجن أجمعين (ومن يضلل) أي من يرد الله جهالته وعن الوصول الى الحق ضلالته (فلا هادي له) أي فلا أحد يقدر على هدايته من الهادين من الانبياء والمرسلين قال الله تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وفيه ايدان بان الأمر كله لله وليس لماموا الا ما قدر له وقضاه من الكسب والاختيار وربك خلق ما يشاء ويختار وظهور تصور عقولنا الفانية عن ادراك أسرار الحكم البالغة الباقية قال على كرم الله وجهه لا يظهر سر القضاء والقدر الا يوم القيامة ثم اعلم ان الضمير البارز ثابت في يهده وأما في يضل فغير موجود في أكثر النسخ وهو عمل بالجائزين والأول أصل وفيه وصل والثاني فرع وفيه فصل وفيه نكتة أخرى لا تحفى على أرباب الصفا (وأشهد) أي أعلم وأبين (أن لا اله الا الله) أي لا معبود الا مقصود اولا موجود

الاله شهادة تكون للنجاة وسيلة ولرفع الدرجات كقيلة واشهد أن محمديه ورسوله الذي بعته وطرق
الايمن قد عفت آثارها وخبث أنوارها ووهنت أركانها وجعل مكانها فشيده صلوات الله عليه وسلامه

في نظر أرباب الشهود (الله) أي الذات الواجب الوجود صاحب الكرم والجود قال الطيبي أفرد الضمير مقام
التوحيد لانه اسقاط الحدوث وثبات القدم فأشار أولاً إلى التفرقة وثانياً إلى الجمع اه وقد يقال ان الاعمال المتقدمة أمور
ظاهريه يتحكم بوجودها على الغير أيضاً بخلاف الشهادة فانه أمر قلبي غيبي لا يعلم بحقيقته (شهادة) مقبول مطلق
موصوف بقوله (تكون) أي بخلوصها (للنجات) أي الغلاص من العذاب في الدارين على تقدير الاكتفاء بها
(وسيلة) أي سبب لا علة (ولرفع الدرجات) أي العاليات في الجنات البقيات (كقيلة) أي متضمنة ملتزمة والمعنى
ان الشهادة إذا تكررت وانتجت ارتكاب الاعمال الصالحة واجتناب الاعمال الطالحة صارت سبباً لعلو الدرجات
وكانت مانعة عن الوقوع في الدرجات وبما قرناه اندفع ما يريد على المصنف من أن دخول الجنة بالايمن
ورفع الدرجات بالاعمال ولكون التوفيق على هذا السبب من فضله لينا في قوله عليه الصلاة والسلام إن ينحى
منكم أحد بعمله (وأشهد أن محمداً) هو في الاصل اسم مفعول من حمد مبالغة حمد نقل من الوصيفية إلى الاسمية
سمى به والاسماء تنزل من السماء لوصلته إلى المقام المحمود الذي يحمد الأولون والآخرين
(عبده) إضافة تشریف وتخصيص إشارة إلى كمال مرتبته في مقام العبودية بالقيام في أداء حق الربوبية وقدمه
لانه أشرف أوصافه وأعلاها وأفضلها وأعلاها ولذا ذكره الله تعالى بهذا الوصف في كثير من المواضع فقال
سبحان الذي أسرى بعبده - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده - فإوحى إلى عبده ما أوحى - والله ذوالقائل
لاتدعني الا يا عبدها * فانه أشرف أسمائها

وما احسن قول القاضي عياض

وسما زادني عجباً وتنبها * وكدت بأخصى أطاثرها

دخول تحت قولك يا عبدي * وأن صيرت أحمد لي نبيا

(ورسوله) إشارة إلى أعلى مراتب القرب وأولى منازل الحب وهو الفرد الاكمل والواصل إلى المقام الأفضل
وفي الجمع بين الوصفين تعريض للنصاري حيث غلوا في دينهم وأطروا في مدح نبينهم ثم قيل النبي والرسول
متراد فان الواضح أن النبي انسان ذكر حرم من بنى آدم أوحى اليه بشرع وان لم يؤمر بتبليغه فان أمر به
فرسول أيضاً فالاول أعم من الثاني فكل رسول نبي ولا عكس وذكر الاخص في هذا المقام أنص على معنى الغرام
(الذي بعثه) أي الله كما في نسخة أي أرسله إلى الثقلين وقيل إلى الملائكة أيضاً وقيل إلى سائر الحيوانات
وقيل إلى جميع المخلوقات كما يدل عليه خبر مسلم وأرسلت إلى الخلق كافة (وطرق الايمان) من الانبياء
والكتب والعلماء (قد عفت آثارها) أي اندرست أخبارها والجملة حالية والمعنى ان الله تعالى أرسله وأظهره
في حال كمال احتياج الناس اليه عليه الصلاة والسلام فانهم كانوا في غاية من الضلالة ونهاية من الجهالة
اذ لم يكن حينئذ على وجه الارض من يعرفها الا أفراد من أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام استوطنوا
زوايا الخمول ورؤس السجبال وآثروا الوحدة والافول عن الخلق بالاعتزال (وخبث أنوارها) أي خفيت
وانطفأت بحيث لا يمكن اقتباس العلم المشبه بالنور في كمال الظهور (ووهنت) أي ضعف حتى انعدمت
(أركانها) من أساس التوحيد والنبوة والايمن بالبعث والقيامة وقيل المراد الصلوات والزكوات وسائر
العبادات (وجعل) بصيغة المجهول (مكانها) مبالغة في ظهور ظلمة الجهل وغلبة الفسق وكثرة الظلم
وقلة العدل (فشيده) أي رفع وأظهر وقوى بما أعطيه من العلوم والمعارف التي لم يؤتها أحد مثله
فيما مضى (صلوات الله) أي أنواع رحمته وأصناف عنايته نازلة (عليه) وقاضة لدينه وتوجهة اليه وفي
نسخة منسوبة إلى السيد عفيف الدين زيادة (وسلامه) يعني جنس السلامة من كل آفة في الدارين وهي جملة

من معالمها ما عفا وشفى من العليل في تأييد كلمة التوحيد من كان على شفا وأوضح سبيل الهداية لمن أراد أن يسلكها وأظهر كنوز السعادة لمن قصد أن يملكها (أما بعد) فإن التمسك بهديه لا يستتب الا بالافتاء لما صدر من مشكاته

معتزلة اخبارية أو دعائية وهي الاظهر (من معالمها) جمع المعلم وهو العلامة (ماعفا) ما موصولة أو موصوفة مفعول شيد ومن يباينة متقدمة والمعنى أظهر وبين ما اندرس وخفى من آثار طرق الايمان وعلامات أسباب العرفان والايقان (وشفى) عطف على شيد (من العليل) بيان مقدم لمن رعاية للسجع (في تأييد كلمة التوحيد) أي تأكيده وتقويته ونصرته وواعائه متعلق بشق ومفعوله قوله (من كان على شفا) أي وخلص من كان قريبا من الوقوع في حفرة الجحيم والسقوط في بئر الحميم اشارة الى قوله تعالى وكنتم على شفا أي طرف حفرة من النار فانفذكم منها وقيل من للتبعض أي أيرأمن جملة المعلولين من كان على اشراف من الهلاك ايماء الى أنه طبيب العيوب وحبیب القلوب وفي الكلام صنعة جناس وهو تشابه الكلمتين لفظا وصنعة طباق وهو الجمع بين الضدين في الجملة وأغرب السيد جمال الدين حيث قال والعليل بعين مهملة في أصل سماعنا وجميع النسخ الحاضرة ويجوز أن يقرأ بعين معجمة ويكون من الغل بمعنى الحقد ووجه غرابته أما لفظا فلفوت المناسبة بين الشفاء والعلة واما معنى فلذهاب عموم العلل المستفاد من جنس العليل واقتضاره على علة الحقد فقط مع عدم ملائحته للمقام (وأوضح سبيل الهداية) أي بين وعين طريق الاهتداء الى المطلوب وسبيل الوصول الى المحبوب (لمن أراد أن يسلكها) والسبيل يذكرو يؤثت أي لمن طلب وشاء من نفسه أن يدخل فيها وارادة العبد تابعة لارادة الله تعالى وماتشاورن الا ان يشاء الله (وأظهر كنوز السعادة) أي المعنوية وهي المعارف والعلوم والاعمال العلية والاخلاق والشمال والاحوال البهية المؤدية الى الكنوز الابدية والعزائن السردية (لمن قصد أن يملكها) أي بملكة يتوصل بها الى ملكها ويتوسل بها الى ملكها قال تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما أي كثيرا وملكا كبيرا وفي قوله أراد وقد اشارة الى ما قال بعض المشايخ لا بد من السعي ولا يحصل بالسعي ووجه التخصيص أنهم المنتفعون بالايضاح والاظهار كتولته تعالى هدى للمتقين ثم قيل يرد عليه بناء على النسخة المشهورة في الاكتفاء بالصلاة دون السلام ما نقله النووي عن العلماء من كراهة افراد أحدهما عن الآخر لكن يحتمل أن محل الكراهة قيمن اتخذ عادة وهو ظاهر أو يحتمل على انه جمع بينهما بلسانه واقتصر على كتابة أحدهما وهذا بعيد أو الكراهة بمعنى خلاف الاولى لا طلاقها عليه كثيرا وهو الاولى (أما بعد) أتى به اقتداء به عليه الصلاة والسلام وبأصحابه فانهم كانوا يأتون به في خطبهم لانتقال من اسلوب الى آخره يسمى فصل الخطاب قيل أول من قال به داود عليه الصلاة والسلام وأما لتفصيل المجمع وهو كلمة شرط محذوف فعله وجوبا ويعد من الظروف الزمانية متعلق بالشرط المحذوف وهو سبى على الضم لقطع عن الاضافة والمضاف اليه منوى والتقدير مهايذ كر شئ من الاشياء بعدما ذكر من البسمة والحمدلة والصلاة والثناء (فان التمسك بهديه) أي التثبيت والتعلق بطريقه عليه الصلاة والسلام (لا يستتب) بتشديد الموحدة أي لا يستقيم ولا يستمر أولا يتبها ولا يتأتى (الابالافتاء) أي بالاتباع التام (لما صدر) أي ظهر (من مشكاته) أي صدره أو قبله أو فمه والاول أظهر فان المشكاة لغة هي الكوة في الجدار الغير النافذ يوضع فيها المصباح استعيرت لصدره عليه الصلاة والسلام لانه كالكوة ذو وجهتين فمن جهة يقتبس النور من القلب المستنير ومن أخرى يفيض ذلك النور المقتبس على الخلق وشبهت اللطيفة القدسية التي هي القلب بالمصباح المضيء ثم الكل ما حوذ من قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره قيل نور محمد كمشكاة فيها مصباح هذا ويحتمل ان يرجع الضمير في هديه الى الله تعالى والمراد بهديه توحيده ويؤيده عطف قوله الاتي والاعتصام بحبل الله عليه غايته أنه وضع الظاهر موضع الضمير دفعا لتوهم وتبعالوارد في قوله تعالى

والاعتصام بمجبل الله لا يتم الا ببيان كشفه وكان كتاب المصاييح الذي صنفه الامام محي السنة
قانع البدعة أبو محمد

واعتصموا بمجبل الله وعكس في الاول لظهوره ودلالة المقام عليه فلو بين الضير بالتصريح لكان أولى سيما
مع وجود الفصل بفصل العظام والله أعلم بالصواب (والاعتصام) بالنصب ويجوز رفعه أى التمسك
(بمجل الله) وهو القرآن لما ورد القرآن حبل الله الممدود من السماء الى الارض شبهه به لانه يتوسل
به الى المقصود ويحصل به الصعود الى مراتب السعود وفيه اشارة الى انه قابل للتعلی والتدلى ولذا
ورد في الحديث القرآن حجة لك أو عليك فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين قال تعالى
يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ونزل من القرآن ما هوشفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
(لا يتم) أى لا يكمل الاعتصام بالكتاب (الابيان كشفه) أى من السنة النبوية والاضافة بيانية قال تعالى لتبين
للناس منازل اليهم ولا تخفاء في الاجمالات القرآنية والتبينات الحديثية فان الصلاة مجملة لم يبين أوقاتها واعدادها
وأركانها وشراؤها وواجباتها وسننها ومكروهاتها ومفداتها الا السنة وكذا الزكاة لم يعلم مقدارها
وتفاصيل نصابها ومصارفها الا بالحديث وكذا الصوم والحج وسائر الامور الشرعية والقضايا
والاحكام الدينية وتمييز الحلال والحرام وتفاصيل الاحوال الاخرية فعليك بالكتاب والسنة واجمع
الامة وبالاجتناب عن طريق ارباب الهوى وأصحاب البدعة لتكون من الفرقة الناجية السالكة طريق المتابعة
على وجه الاستقامة والله در القائل

كل العلوم سوى القرآن مشغلة * الا الحديث والا الفقه في الدين

العلم متبع ما فيه حدثنا * وما سوى ذلك وسواس الشياطين

وساقاله بعض الصوفية من أن حدثنا باب من ابواب الدنيا مراده انه اذا لم يرد به مرضاة المولى ولذا قال
بعض العلماء المحدثين طلبنا العلم لغير الله فأي أن يكون الله وقيل لاحمد بن حنبل الى متى العلم فابن
العمل قال علمنا هذا هو العمل وقدروى ابن عباس عن علي كرم الله وجهه أنه عليه الصلاة والسلام
خرج يوما من العجوة الشريفة وقال اللهم ارحم خلفائي قلنا من خلفائك يا رسول الله قال خلفائي الذين
يروون أحاديثي وسنني ويعلمونها الناس وفي صحيح البخارى أن جابر بن عبدالله الانصاري ارتحل من
المدينة مسافة شهر لتحصيل حديث واحد (وكان كتاب المصاييح) قيل أحاديثه اربعة آلاف وأربع مائة وأربعة
وثلاثون حديثا وزاد صاحب المشكاة ألفا وخمسائة وأحد عشر حديثا فالمجموع خمسة آلاف وتسعمائة وخمسة
وأربعون وينضب بسة آلاف الاكسرخمى وخمسين (الذى صفته) أى ألفه وجمعه (الامام) أى المتدى به
في جميع الاحكام فانه كان مفسرا محدثا فقيها من أصحاب الوجوه قال بعض مشايخنا ليس له قول ساقط
وكان ماهرا في علم القراءة عابدا زاهدا جامعا بين العلم والعمل على طريقة السلف الصالحين كان يأكل
العجيز وحده بلا ادم فعدل عن ذلك لكبره وعجزه فصاريا كله بالزيت وقيل بالزبيب وقدروى عنه الحديث
جماعة من الاكابر كالحافظ أبى موسى المدني والشيخ أبى العجيب السهروردى عم صاحب العوارف وله
غير المصاييح تصانيف مشهورة كشرح السنة في الحديث وكتاب التهذيب في الفقه ومعالم التنزيل في التفسير
(محي السنة) أى الادلة الحديثية من أقواله وافعاله وتقريره وأحواله عليه الصلاة والسلام روى أنه
لما جمع كتابه المسمى بشرح السنة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له أحياك الله كما أميت
سنتي فصار هذا اللقب علما له بطريق الغلبة توفى سنة ست عشرة وخمسائة بمرودفن عند شيخه واستاذه
القاضي حسين المرزى فقيه خراسان (قانع البدعة) أى قاطعها ودافع أهلها وأبطلها ومجتبها (أبو محمد)

الحسين ابن مسعود الفراء البغوي رفع الله درجته أجمع كتاب صف في بابيه وأضبط لشوارد الاحاديث وأوابدها ولما سلك رضي الله عنه طريق الاختصار وحذف الاسانيد تكلم فيه بعض النقاد وان كان نقله وانه من الثقات

كنيهته (الحسين) اسمه وهو مرفوع على أنه بدل أو عطف بيان (ابن مسعود) نعته (الفراء) بالجرعت لايه وهو الذي يشتغل الفرو أو يبيعه وهو غير الفراء النحوي المشهور على ما توهم بعضهم فانه ينقل عنه في تفسيره (البغوي) بالرفع ويميز جره منسوب الى بغ وقيل الى بغشور قرية بين مرو وهرارة في حدود خراسان والاسم المركب تركيباً مزجياً ينسب الى جزئه الاول كمعدى في معدى كرب ويعلى في بعلبك وانما جاءت الواو في النسبة اجراء للفظه بغ مجرى محذوف العجز كالدموي ولثلا يتبس بالبغي بمعنى الزاني وقيل انه منسوب على خلاف القياس (رفع الله درجته) وأسبغ عليه رحمته والجملة دعائية ايماء الى قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (اجمع كتاب) خبر كان (صف) أي ذلك الكتاب (في بابيه) أي في باب الحديث فانه جمع الاحاديث المهمة التي لا يستغنى عنها سالك طريق الآخرة ولو كان من الائمة على ترتيب أبواب الكتب الفقهية ليسهل الكشف ويفسر بعض الاحاديث بعضها الاجمالية وتبين المسائل الخلافية بمقتضى الدلالات العديثة (وأضبط) عطف على أجمع لانه لما جرد عن الاسانيد وعن اختلاف الالفاظ وتكرارها في المسانيد صار أقرب الى الحفظ والضبط وأبعد من الغلط والخبط (لشوارد الاحاديث) جمع شاردة وهي النافرة والذاهبة عن الدرك من باب اضافة الصفة الى الموصوف (وأوابدها) عطف تفسيراي وحشياتها شبهت الاحاديث بالوحوش لسرعة تنفرها وتبعدها عن الضبط والحفظ ولذا قيل العلم صيد والكتابة قيد (ولما سلك) أي البغوي (رضي الله عنه) جملة محترضة دعائية أي ذهب في سلك تصنيفه هذا (طريق الاختصار) أي بالاكتفاء على متون الاحاديث على وجه الاقتصار (حذف الاسانيد) عطف على سلك وقيل مصدر مضاف عطف على طريق وهو على الوجهين عطف تفسير والمراد بالاسناد اما حذف الصحابي وترك المخرج في كل حديث وهو مجاز من باب اطلاق الكل على البعض أي طرف الاسناد وهو مراد المصنف ظاهراً من قوله لكن ليس ما فيه اعلام كالاغفال واما معناه الحقيقي على مصطلح أهل الحديث وهو حكاية طريق متن الحديث بحيث يعلم رواته ثم انه انما حذفها لعدم الفائدة في ذكرها لان المقصود منها أن يعلم عند التعارض راجح الحديث من مرجوحه وناسخه من منسوخه بسبب زيادة عدالة الرواة وتقدم بعضهم على بعض ونحو ذلك من الأمور التي لا بد للمجتهد منها ولما عدم المجتهدون في هذه الاعصار ونسب وجودهم في الامصار ووضع هذا الكتاب للصالحه الا برار لم يكن في ذكرها نفع كثير فاقصر على بيان الصحة والحسن اجمالاً بقوله من الصحاح والحسن اكمالاً (تكلم فيه) جواب لما أي طعن في بعض احاديث كتابه (بعض النقاد) بضم النون وتشديد اى العلماء الناقد بين المميزين بين الصحيح والضعيف كذا ذكره بعض الشراح وهو غير صحيح لان الطعن في رجال الحديث لا يكون الا باسنادة وهو لا يختلف بذكره وعدم ذكره اللهم الا أن يقال هذا يتصور في بعض افراد الحديث وهو أن يكون له اسنادان فلو ذكر اسناده الثابت لما وجد الطاعن فيه مطعنوا يؤيده قوله وان كان نقله الخ وحينئذ يكون معنى الكلام وان كان اعتراض ذلك البعض مدفوعاً عنه لكونه ثقة واذا نسب الحديث الى الائمة المخرجين الموردين للحديث مع الاسناد بقوله الصحاح ما فيه حديث الشيخين أو أحدهما والحسن ما فيه احاديث بائرا لسنن فهو في حكم الاسناد وقال السيد جمال الدين أي تكلم في حقه واعترض عليه بعض المبصرين بان صحة الحديث وسقمه متوقفة على معرفة الاسناد فاذا لم يذكر لم يعرف الصحيح من الضعيف فيكون نقصاً (وان كان نقله) أي نقل البغوي بلا اسناد والواو وصلية (وانه من الثقات) أي المعتمدين في نقل الحديث وبيان صحته وحسنه

كالاسناد لكن ليس ما فيه اعلام كالاغفال فاستخرت الله تعالى واستوقت منه فأودعت كل حديث منه في مقره فأعملت ما أغفله

وضمفه (كالاسناد) أى كذا ذكره روى بكسر الهمزة فى العلى انه حال من المضاف اليه فى نقله وروى بنقلها للعطف على اسم كان يعنى نقله بتأويل المصدر أى وان كان نقله وكونه من النقات كالاسناد لان هذا شأن من اشتهرت أما نته وعلت عدا لته وصيا نته فيقول على نقله وان تجرد عن اسناد الشئ لمجمله (لكن ليس ما فيه اعلام) وفتح الشئ بفتح الهمزة آثاره التى يستدل بها (كالاغفال) بالفتح وهى الاراضى المجهولة ليس فيها اثر تعرف به وفى بعض النسخ بكسر الهمزة فيهما فهما مصدران لفظا وضدان معنى وأراد بالاول كتابه المشكاة والثانى المصاييح وكان حقه أن يقول لكن ليس ما فيه اغفال كلالاعلام ولعله قلب الكلام تواضعا مع الامام وعضما لنفسه عن بلوغ ذلك المرام والحاصل انه ادعى أن فى صنع النبوى تصورا فى الجملة وهو عدم ذكر الصحابة أولا وعدم ذكر المخرج فى كل حديث آخر فان ذكرهما مشتمل على فوائد أما ذكر الصحابي ففائدته أن الحديث قد يتعدد رواته وطرقه وبعضها صحيح وبعضها ضعيف فيذكر الصحابي ليعلم ضعيف المروى من صحيحه ومنها رجحان الخبر بحال الراوى من زيادة فقهه وورعه ومعرفة ناسخه ومسوخه بتقديم اسلام الراوى وتأخره وأما ذكر المخرج ففائدته تعيين لفظ الحديث وتبيين رجال اسناده فى الجملة ومعرفة كثرة المخرجين وقتلهم فى ذلك الحديث لاقادة الترجيح وزيادة التصحيح ومنها المراجعة الى الاصول عند الاختلاف فى القصول وغيرها من المنافع عند ارباب الوصول هذا وقال شيخنا العلامة ابن حجر المكي فى شرحه للمشكاة عند قوله تكلم فيه بعض النقاد أى تكلم فيه باعتبار ذلك الحذف الذى استلزم عنده أن يعبر عنه بما اصطلاح عليه من عند نفسه بعض النقاد كالنورى وابن الصلاح وغيرها فقالوا ما جنح اليه فى مصاييحه من تقسيم أحاديثه الى صحاح وحسان مع صيرورته الى أن الصحاح مارواه الشيخان فى صحيحيهما أولهما الحسان مارواه أبو داود والترمذى وغيرهما من الائمة كالنسائى والدارمى وابن ماجه اصطلاح لا يعرف بل هو خلاف الصواب اذ الحسن عند أهل الحديث ليس عبارة عن ذلك لانه وقع فى كتب السنن المشار اليها غير الحسن من الصحيح والضعيف لكن انتصره المؤلف فقال لامشاحة فى الاصطلاح بل تحطئة المرء فى اصطلاحه بعيدة عن الصواب والبعوى قد صرح فى كتابه بقوله أعنى بالصحاح كذا وبالحنان كذا وما قال أراد المحدثون بهما كذا فلا يرد عليه شئ مما ذكر خصوصا وقد قال وما كان فيها من ضعيف أو غريب أشير اليه وأعرضت عما كان منكرا أو موضوعا اه ولا يخفى أن حمل التكلم على هذا المعنى لا يناسبه قوله وان كان نقله الخ ولا يلائمه قوله لكن ليس ما فيه اعلام اذ لا يصلح الاول منهما جوابا ولا الثانى استدراكا صوابا (فاستخرت الله تعالى) أى لقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ولما ورد من حديث أنس رواه الطبرانى مرفوعا ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد ولأن العبد لا يعلم خيره من شره قال تعالى وعسى ان تكرهوا شئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون والخير أجمع فيما اختار خالقنا (واستوقت منه) بتقديم الفاء على القاف فى أكثر النسخ المصححة أى طلبت من الله التوفيق وعلى الاستقامة طريق التوفيق وفى نسخة بالعكس والمعنى طلبت الوقوف على انكار المنكر ومعرفة المعروف وفى نسخة بالمثلثة والقاف أى طلبت الوثوق والثبوت على التمييز بين المرود والثبوت وقال ابن حجر أى أخذت من المصاييح ما هو الوثيقة المقصودة بالذات وهو الاحاديث عربية عن سمها يصحاح وحسان (فأودعت كل حديث منه) أى من المصاييح (فى مقره) كذا فى بعض النسخ هذه الفقرة موجودة والمعنى وضعت كل حديث من الكتاب فى محله الموضوع فى أصله من كل كتاب وباب من غير تقديم وتأخير وزيادة ونقصان وتغيير (فأعملت) أى فبينت (ما أغفله) أى تركه بلا اسناد

كأرواه الأئمة المتقنون والفتاى الراسخون مثل أبى عبدالله محمد بن اسمعيل البخارى

عمدا من ذكر الصحابي أولا وبيان المخرج آخره بخصوص كل حديث التزاما (كأرواه الأئمة) جمع امام واصله أئمة على وزن أئمة فاعل بالنقل والادغام ويجوز تحقيق الهزمة الثانية وتسهيلها وابدائها والمراد منهم ههنا أئمة الحديث الذين يقتدى بهم فى كل زمان من القديم والحديث (المتقنون) أى الضابطون الحافظون العاذقون لروياتهم من أئمة الاسر اذا أحكمه ومنه قوله تعالى صنع الله الذى أتقن كل شئ (والفتاى) بكسر المثلثة جمع ثقة وهم العدول والنبات (الراسخون) أى الثابتون بحافظة هذا العلم الشريف والقاؤون بمراعاة طرق هذا الفن المنيف (مثل أبى عبدالله محمد بن اسمعيل) قال ابن حجر أبوه كان من العلماء العاملين روى عن حماد بن زيد ومالك وصحب ابن المبارك وروى عنه المراقبون قال لأعلم فى جميع مالى درهما من شبهة (البخارى) نسبة الى بخارى بلدة عظيمة من بلاد ماوراء النهر لتولده فيها وصار بمنزلة العلم له وكتابه قال السيد جمال الدين المحدث يقال له أمير المؤمنين فى الحديث وناصر الاحاديث النبوية وناشر الموارث المحمدية قيل لم ير فى زمانه مثله من جهة حفظ الحديث واتقانه وفهم معانى كتاب الله وسنة رسوله ومن حيثية حدة ذهنه ودقة نظره وفور قهقهه وكال زهده وغاية ورعه وكثرة اطلاعه على طرق الحديث وعلمه وقوة اجتهاده واستنباطه وكانت أمه مستجابة الدعوة توفى أبوه وهو صغير فنشأ فى حجر والدته ثم عمى وقد عجز الأطباء عن معالجهته فرأت ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام قائلا لها قد رداك على ابنك بصره بكثرة دعائك له فأصبح وقد رداك عليه بضره فنشأ متربيا فى حجر العلم مرتضعا من ثدى الفضل ثم الهم طلب الحديث وله عشرين بعد خروجه من المكتب ولما بلغ احدى عشرة سنة رد على بعض مشايخه ببخارى غلطا وقع له فى سند حتى أصلح كتابه من حفظ البخارى وبيانه أن شيخا من مشايخه فى مجلس من مجالس حديثه قال فى اسناد حديث حدثنا سفيان عن أبى الزهير عن ابراهيم فقال له البخارى أبو الزهير ليس له رواية عن ابراهيم فهيب عليه الشيخ فقال له البخارى ارجع الى الاصل ان كان عندك فقام الشيخ من المجلس ودخل بيته وطالع فى أصله وتأمل فيه حق تأمله ثم رجع الى مجلسه فقال للبخارى فكيف الرواية فقال ليس أبو الزهير بالهاء انما هو الزهير بالباء وهو الزهير بن عدى فقال صدقت وأخذ القلم وأصلح كتابه ولما بلغ ست عشرة سنة حفظ كتب ابن المبارك وكيع وعرف كلام أصحاب أبى حنيفة ثم خرج مع أمه **والله** أحمد بن اسمعيل الى مكة فرجع أخوه وأقام هو للطلب الحديث فلما طعن فى ثمانى عشرة سنة صنف قضايا الصحابة والتابعين واثوابهم ووصف فى المدينة المنورة عند الترية المطهرة تاريخه الكبير فى اليالى القمرية وكتبواعنه وسنه ثمانى عشرة سنة روى عنه أنه قال قل اسم من أسماء رجال التاريخ الكبير أن لا يكون عندي منه حكاية وقصة الا أنى تركتها خوفا من الاطئاب ولما رجع من مكة ارتحل الى سائر مشايخ الحديث فى أكثر المدن والاقاليم روى عنه أنه قال ارتحلت فى استفادة الحديث الى مصر والشام مرتين والى البصرة أربع مرات ولا أحصى ما دخلت مع المحدثين فى بغداد والكوفة وأقامت فى الحجاز ست سنين طالبا لعلم الحديث قال البخارى والحامل لى على تأليفه اننى رأيتنى واقفان يدي النبى صلى الله عليه وسلم ويدي مروحة أذب عنه فعبر لى بأنى أذب عنه الكذب وما وضعت فيه حديثا الا بعد الغسل وصلاة ركعتين وأخرجته من زهاء ستمائة ألف حديث ووصفته فى ستة عشر سنة وجعلته حجة فيما بينى وبين الله وما أدخلت فيه الا صححها وما تركت من الصحيح أكثر لئلا يطول ووصفته بالمسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله وصليت

عنه هكذا فى نسخة القديمة للرفقات التى كانت امامنا عند الطبع لكن الصواب ان شيخ البخارى قال سفيان عن ابى الزهير عن ابراهيم فقال له البخارى ان ابى الزهير لم يرو عن ابراهيم والصحيح الزهير عن ابراهيم - كما هو فى ارشاد السارى ج ١ ص ٣٢ - و مقدمته لامر الدرارى ص ٦ - ناشر

ركعتين وتيقنت صحته اه وهذا باعتبار الابتداء وترتيب الابواب ثم كان يخرج الاحاديث بعد في بلده
وغيرها وهو يحمل رواية أنه كان يصنفه في البلاد اذ مدة تصنيفه ست عشرة سنة وهو لم يجاور هذه
المدة بمكة وقد روى عنه أنه صنف الصحيح في البصرة وروى أنه صنفه في بخارى وروى عن الوراق
البخارى انه قال قلت للبخارى جميع الاحاديث التي اوردتها في مصنفاتك هل تحفظها قال لا يخفى على
شئ منها فاني قد صنفت كتبى ثلاث مرات وكانه أراد بالتكرار التبييض والتنقيح ولعل كثرة نسخ
البخارى من هذه الجهة ورواية أنه جعل تراجمه في الروضة الشريفة محمولة على نقلها من المسودة
الى البيضة كذا قيل ويمكن حمله على حقيقته ونقل عن أبي جمره عن لقيه من العارفين انه ما قرئ
في شدة الا وفرجت وما ركب به في مركب ففرق وانه كان مجاب الدعوة ولقد دعا لثارته قال الحافظ
ابن كثير وكان يستسى بقرآته الغيث قيل ويسمى الترياق المعجب ونقل السيد جمال الدين عن عمه
السيد أصيل الدين انه قال قرأت البخارى مائة وعشرين مرة للوقائع والمهمات لى ولغيرى تحصل
المرادات وقضى الحاجات وهذا كله ببركة سيدالسادات ومنيع السعادات عليه أفضل الصلوات وأكمل
التحيات قيل وكان ورده في رمضان ختمة في كل يوم وثلاثها في سحر كل ليلة ولسعه زبور وهو في الصلاة
سنة عشر اوسبعة عشر موضعا فقيل له لم لم تخرج من الصلاة اول ما لسعك قال كنت في سورة
فأحببت أن أتمها وكان يقول أرجو الله أن لا يجاسيني اتي ما اغتبت أحدا فقيل له ان بعض الناس ينقم
عليك التاريخ فانه غيبة فقال انما رويتنا ذلك رواية ولم نقله من عندنا فقال عليه الصلاة والسلام
بش أخوالعشيرة قال واحفظ مائة ألف حديث صحيح وماتى ألف غير صحيح أى باعتبار كثرة طرقها
مع عدالمكر والموقوف وآثار الصحابة والتابعين وغيرهم وفتاويهم مما كان السلف يلقون على كاه
حديثا وقيل كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردا وينظر في الكتاب نظرة واحدة فيحفظ ما فيه
وكان يقول دخلت بلخ فسألني أهلها أن أملى عليهم من كل من كتبت عنه فاملت ألف حديث عن
ألف شيخ ولباوغ نهايته في معرفة علل الحديث كان مسلم بن الحجاج يقول له دعني أتيل رجليك
ياأستاذ الاستاذين وسيد المحدثين وياطيب الحديث في علله وقال الترمذي لم أر أحدا بالعراق ولا
بخراسان في ذلك أعلم منه وكان بسمرقند أربعمائة محدث اجتمعوا تسعة أيام لمخالطته فخططوا الاسانيد
بعضها في بعض اسناد الشاميين في العراقيين واسناد العراقيين في الشاميين واسناد أهل الحرم في
اليمنيين وعكسه وعرضوها عليه فما استطاعوا مع ذلك أن يتغلبوا عليه بسقطه لا في اسناد ولا في متن
ولما قدم بغداد فعلوا معه نظير ذلك فعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ودفقوا لكل
واحد عشرة ليلتها عليه في مجلسه الغاص بالناس امتحانا فقام أحدهم وسأله عن حديث من تلك
العشرة فقال لا اعرفه ثم سأله عن الثاني فقال مثل ذلك وهكذا الى العاشر ثم قام الثاني فكان كالاول
ثم الثالث وهكذا الى أن فرغوا فالعلماء الذين كانوا مطلعين على أصل القضية وحفظه قالوا فقوم الرجل
والذين ما كان لهم وقوف على القضية توهموا عجزه وحملوا على قصور ضبطه وسوء حفظه فالتفت الى
الاول فقال أما حديثك الاول بذلك الاسناد فخطأ وصوابه كذا وكذا ولا زال على ذلك الى أن
أكمل المائة فبهر الناس وأذعنوا له فان عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان وعندالمبصرين بهذا
الفن ليس من العجيب رد خطئهم الى الصواب لانه كان حافظ الاحاديث مع الاسانيد بل كان الغريب
عندهم حفظه اسانيدهم الباطلة بمجرد سماعه مرة واعادتها مرتبة وهذا كاد أن يكون خرق العادة
ومحض الكرامة فانه لا يتصور بدون الانهاتم الالهية والعنايات الرحمانية ولما قدم البصرة نادى
مناديعلمهم بقدمه فاحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلس الاسلاء فاجابهم فنادى المنادى يعلمهم أنه

أجاب فلما كان من الغد اجتمع كذا وكذا ألفا من المحدثين والفقهاء فاوّل ما جلس قال يا أهل البصرة انشأب وقد سألتموني أن أحدثكم وسأحدثكم أحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها يعني ليست عندكم وأملى عليهم من أحاديث أهل بلادهم مما ليس عندهم حتى بهرهم ومن ثم كثرتنا الأئمة عليه حتى صح عن أحمد بن حنبل انه قال ما أخرجت خراسان مثله وقال غير واحد هو فقيه هذه الأمة وقال اسحق بن راهويه يامعشر أصحاب الحديث انظروا الى هذا الشاب واكتبوا عنه فانه لو كان في زمن الحسن البصري لاحتاج اليه لمعرفة الحديث وفقهه وقد فضله بعضهم في الفقه والحديث على أحمد واسحق وقال ابن خزيمة ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث منه وورث من أبيه مالا كثيرا فكان يتصدق به وكان قليل الأكل جدا قيل كان يتقن كل يوم بلوزتين أو ثلاث لوزات وقيل لم يأكل الا ادم أربعين سنة قيل كان يدخل عليه كل شهر من مستغلاته خمسمائة درهم فكان يصرفها في الفقراء وطلبة العلم وكان يرغبهم في تحصيل الحديث كثير الاحسان الى الطلبة فمرطاني الكرم وأعطى خمسة آلاف درهم ربح بضاعة له فاخر فأعطاه آخرون عشرة آلاف فقال اني نويت بيعها للاولين ولا أحب أن أغير نيتي وعرثت جاريتي بمجبرة بين يديه فقال لها كيف تمشين فقالت اذا لم يكن طريق كيف أمشي فقال اذهبي فانت حرة لله فقيل له يا أبا عبدالله أغضبتك فأعقتها فقال أرضيت نفسي بما فعلت ولما بنى رباطا ما يلي بخارى اجتمع اليه خلق كثير يعينونه فكان ينقل معهم اللبن فيقال قد كفت هذا هو الذي يتفنعني ولما رجع الى بخارى نصبت له القباب على فرسخ منها واستقبله عامة أهلها ونثر عليه الدراهم والدنانير وبقي مدة محدثهم وأرسل اليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلي نائب الخلافة العباسية يتلطف معه ويسأله أن ياتيه بالصحيح ويحدثهم به في قصره فاستمع وقال لرسوله قل له اني لا أدل العلم ولا أحمله الى أبواب السلاطين فان احتاج الى شئ مني فليحضر في مسجدى أودارى فان لم يعجبك هذا فانت سلطان فامتحنى من المجلس ليكون لى عذر عندالله يوم القيامة فانى لا أكرم العلم وروى أنه قال العلم يؤقى ولا يأتى فراسله أن يعقد مجلسا لاولاده ولا يحضر غيرهم فاستمع عن ذلك أيضا وقال لايسعنى أن أخص بالسمع قوما دون قوم وروى انه قال العالم لا يعجل منعه فصصلت بينهما وحشة فاستعان الامين بعلماء بخارى عليه حتى تكلموا في مذهبه فأمره بالخروج من البلد فدعا عليهم بقوله اللهم أرهم ما تصدقون به في أنفسهم واولادهم وأهاليهم فكان مجاب الدعوة فلم يأت شهر حتى ورد أمر الخلافة بان يتأدى على الامير فاركب حمارا فنودى عليه فيها وجس الى أن مات ولم يبق أحد ممن ساعده الا وابتلى ببليّة شديدة ولما خرج من بخارى كتب اليه أهل سمرقند يخطبونه لبلد هم فسار اليهم فلما كان بخارتك بمعجزة مفتوحة في الأشهر أومكسورة فراء ساكنة ففوية مفتوحة فنون ساكنة فكاف موضع قريب بسمرقند على فرسخين وقيل نحو ثلاثة أيام بلغه انه وقع بينهم بسببه فتنة تقوم يريدون دخوله وآخرون يكرهونه وكان له اقرباء بها فنزل بها حتى يتجلى الامر فأقام أياما فمرض حتى وجه اليه رسول من أهل سمرقند يلتسون خروجه اليهم فأجاب وتنهيا للركوب وليس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة الى الدابة ليركبها قال أرسلوني فقد ضعفت فارسلوه فدعا بدعوات ثم اضطجع قضى فسال منه عرق كثير لا يوصف وما سكن العرق حتى أدرج في أكفائه وقيل ضجر ليلة فدعا بعلم أن فرغ من صلاة الليل اللهم قد ضاقت على الارض بما رحبت فاتبضنى اليك فمات عن غير ولد ذكر ليلة عيدالغفر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنتين وستين سنة وكانت ولادته يوم الجمعة بعد صلاة العصر في شهر شوال سنة اربع وتسعين ومائة ولما صلى عليه ووضع في حفرته فاح من كراب قبره رائحة طيبة كالسك وجعل الناس يحتفلون الى قبره مدة يأخذون

من تراب قبره ويتعجبون من ذلك قال بعضهم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من أمته وهو واقف فسلمت عليه فرد على السلام فقلت ما توقفت هنا يا رسول الله قال أنتظر محمد بن اسمعيل قال فلما كان بعد أيام بلغني موته فنظرت فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها وبعد نحو سنتين من موته استسقى أهل سمرقند مرارا فلم يسقوا فقال بعض الصالحين لقاضيها يرى أن تخرج بالناس الى قبر البخارى ونستسقى عنده فعسى الله أن يسقينا ففعل وبكى الناس عند القبر وتشفعوا بصاحبه فأرسل الله تعالى عليه السماء بماء غزير أقام الناس من أجله نحو سبعة أيام لا يستطيع أحد الوصول الى سمرقند من كثرة المطر ثم اعلم أن في زمن الصحابة وكبار التابعين لم تكن الاحاديث مدونة إنشبه عليه الصلاة والسلام أصحابه عن كتابة الحديث مخافة خلطه بالكلام القديم وأيضاً دائرة حفظهم كانت واسعة ببركة صحبته وقرب مدته وأيضاً أكثرهم لم يكونوا عارفين بصنعة الكتابة فظهر في آخر عصر التابعين تدوين الاحاديث والاخبار وتصنيف السنن والآثار وتصدوا لهذا الامر الشريف كالزهري وريح بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم وكان دأبهم تصنيف كل باب على حدة الى عهد كبار أهل الطبقة الثالثة فألغوا الحديث على ترتيب أبواب الفقه فصنف الامام مالك مقدم أهل المدينة موطأه وجمع فيه احاديث أهل الحجاز سماه ترتيب وصح عنه وأدرج فيه أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم وصف من أهل مكة أبو حنيفة عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ومن أهل الشام أبو عمرو وعبد الرحمن بن عمرو والازاعي ومن أهل الكوفة سفيان الثوري ومن البصريين أبو سلمة حماد بن سلمة وبعدهم كل واحد من أعيان العلماء المجتهدين ألف كتابا وكتب أحمد بن حنبل واسحق ابن راهويه وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم من كبار المحدثين مسانيدهم وبعضهم على ترتيب أبواب الفقه لكن في الكتب المذكورة لم يميز الصحيح والضعيف ولما طلع البخارى على تصانيفهم حصل له العزم بطريق الجزم لتحصيل العزم على تأليف كتاب يكون جميع احاديثه صحيحة وقد روى عنه أنه قال كنت عند شيخى اسحق بن راهويه يوما فقال لو جمعتم كتابا مختصرا بصحيح سنة النبي صلى الله عليه وسلم وقوع في قلبي تصنيف كتاب في هذا الباب وتقدم رؤياه أيضا فشرع فيه فلما كمله عرضه على مشايخه مثل اسحق بن راهويه وعلى بن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم استحسوه وشهدوا بصحة كتابه وأنه لا نظير له في بابيه واستثنوا أربعة احاديث وتوقفوا في صحتها قال العقبلى والحق مع البخارى فيها أيضا فانها صحيحة ثم اختلف علماء الحديث وشرح البخارى في عدد احاديثه بالمكرر واسقاط المكرر والذي حققه الحافظ ابن حجر في شرح البخارى أن جملة احاديثه مع التعاليق والمتابعات والشواهد ومع المكررات تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثا وباسقاط المكرر احاديثه المرفوعة ألفان وستمائة وثلاث وعشرون حديثا وأعلى أسانيد احاديثه وأقربه اليه عليه الصلوة والسلام ما يكون الواسطة لثلاثة ووجد فيه من هذا القبيل في صحيحه مع المكرر اثنان وعشرون حديثا وباسقاط المكرر ستة عشر حديثا وقد أفرد بعض العلماء ثم اتفقت العلماء على تلقي الصحيحين بالتبويب وانهما أصح الكتب المؤلفة ثم الجمهور على أن صحيح البخارى أرجحهما وأصحهما قيل ولم يوجد عن أحد التصريح بتفضيله لأن قول أبي علي النيسابوري ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم ليس فيه تصريح بأصحته على كتاب البخارى لأن نفي الاصحية لا ينفى المساواة وتفضيل بعض المغاربة لصحيح مسلم محمول على ما يرجع لحسن السياق وجودة الوضع والترتيب اذ لم يفصح أحد منهم بأن ذلك راجع الى الاصحية ولو صرحوا به لرد عليهم شاهد الوجود لأن ما يدور عليه الصحة من الصفات الموجودة في صحيح مسلم موجودة في صحيح البخارى على وجه أكمل وأسد فان شرطه فيها

أثوى وأشد وأما رجحانه من حيث الاتصال فلاشترطه أن يكون الراوي قد ثبت له الاجتماع بمن يروى عنه ولو مرة واكتفى مسلم بمجرد المعاصرة نظرا لامكان التلقا وأما رجحانه من حيث العدالة والضبط فلأن الرجال الذين تكلم فيهم من رجال مسلم أكثر عددا ممن تكلم فيهم من رجال البخاري مع انه لم يكثر من اخراج حديثهم بل غالبهم بل شيوخه الذين أخذ عنهم ومارس حديثهم وميز جيدها من غيره بخلاف مسلم فان أكثر من تفرد بتخريج أحاديثه ممن تكلم فيه هو ممن تقدم عصره من التابعين وتابعيهم ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه ممن تقدم عنهم وأما رجحانه من حيث عدم الشذوذ والاعلال فلأن ما انتقد على البخاري من الأحاديث أقل عددا مما انتقد على مسلم ولا يقدر فيها إخراجها لمن طعن فيه لأن تخريج صاحب الصحيح لاي راو كان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ان خرج له في الأصول فان خرج في المتابعات والشواهد والتعليق كانت درجاته متقاربة في الضبط وغيره لكن مع حصول وصف الصدق له فالطعن فيمن خرج له أحدهما مقابل لتعديله فلا يقبل الجرح الا مفسرا بما يقدر في عدالته أوفى ضبطه مطلقا أوفى ضبطه لخبير بعينه لتفاوت الأسباب الحاملة للائمة على الجرح اذ منها ما لا يقدر ومنها ما يقدر وقد كان أبو الحسن القدسي يقول فيمن خرج له أحدهما في الصحيح هذا جازا لظنطرة يعني لا يلتفت لما قيل فيه لانهما مقدمان على أئمة عصرهما ومن بعدهما في معرفة الصحيح والعلل فهو أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز ويؤيده ما نقل عن الحاكم أبي أحمد شيخ الحاكم أبي عبدالله النيسابوري ان البخاري امام المحدثين وكل من أتى بعده ووصف كتابا في الحديث وأفرده في الحقيقة انما أخذه عنه فالفضل للمقدم حتى ان مسلما أتى بأحاديثه مرفقا في كتابه وتجمل غاية التجمل حيث لم يستدها الى جنبه وقال الدارقطني لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء أخذ كتابه وزاد عليه أبوابه وللبخاري مصنفات غير الصحيح كادب المفرد ورفع اليدين في الصلاة والقراءة خلف الامام ويراو الدين والتاريخ الكبير والاولى والصغير وخلق أفعال العباد وكتاب الضعفاء والجامع الكبير والمسند الكبير والتفسير الكبير وكتاب الاثرية وكتاب الهبة وأسامي الصحابة وكتاب الوجدان وكتاب العلل وكتاب الكنى وكتاب المسوط وكتاب الفوائد روى عنه أنه قال رويت الحديث عن ألف وثمانمائة محدث روى عنه خلق كثير كسلم في غير صحيحه والترمذي وابن خزيمة وأبي زرعة وأبي حاتم وكذا النسائي في قول وغيرهم وبالجملة قيل روى عنه مائة ألف محدث روى عن يحيى بن جعفر بن أعيان المروى أنه قال لو قدرت على أن أزيد من عمري في عمر البخاري لفلعت لأن موتى موت واحد من الناس وموت البخاري ذهاب العلم وموت العالم ونعم ما قيل

اذا مات ذو علم وقوى * فقد وقعت من الاسلام ثلثة

قال محمد بن أحمد المروزي كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا أبا زيد الى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي فقلت يا رسول الله وما كتابك قال جامع محمد بن اسمعيل البخاري (وأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري) بالتصغير نسبة الى بني قشير قبيلة من العرب وهو نيسابوري أحد أئمة علماء هذا الشأن سمع من مشايخ البخاري وغيرهم كاحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقتيبة بن سعيد والقعنبي وروى عنه جماعة من كبار أئمة عصره وحفاظ دهره كأبي حاتم الرازي وابن خزيمة وخلاتق وله المصنفات الجليلة غير جامع الصحيح كالمسند الكبير صنفه على ترتيب أسماء الرجال لا على تبويب الفقه

وكالجامع الكبير على ترتيب الأبواب وكتاب العلل وكتاب أوام المحدثين وكتاب التفسير وكتاب من ليس له الا راو واحد وكتاب طبقات التابعين وكتاب المخضرمين قال صنف الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة وهو أربعة آلاف باسقاط المكرر وأعلى أسانيد ما يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وسائط وله بضع وثمانون حديثا بهذا الطريق ولد عام وفاة الشافعي سنة أربع ومائتين وتوفي في رجب سنة احدى وستين ومائتين وقد رحل الى العراق والحجاز والشام ومصر وقدم بغداد غير مرة وحدث بها وكان آخر قدومه بغداد سنة سبع وخمسين ومائتين وكان عقد له مجلس بنيسابور للمذاكرة فذكر له حديث فلم يعرفه فانصرف الى منزله وقدمت له سلة فيها تمران يطلب الحديث ويأخذ تمره تمره فأصبح وقد فنى التمر ووجد الحديث ويقال ان ذلك كان سبب موته ولذا قال ابن الصلاح كانت وفاته بسبب غريب نشأ من غمرة فكرة علمية وسنه قبل خمس وخمسون وبه جزم ابن الصلاح وتوقف فيه الذهبي وقال انه قارب الستين وهو أشبه من الجزم ببلوغه الستين قال شيخ مشايخنا علامة العلماء المتبحرين شمس الدين محمد الجزري في مقدمة شرحه للمصايح المسمى بتصحيح المصايح اني زرت قبره بنيسابور وقرأت بعض صحيحه على سبيل التيمن والتبرك عند قبره ورأيت آثار البركة ورجاء الاجابة في تربته (وأبي عبدالله مالك بن أنس) وهو غير أنس بن مالك كما توهم (الأصبحي) نسبة الى ذى أصبح ملك من ملوك اليمن أحد أجداد الامام مالك بن أنس صاحب المذهب واخر عن البخاري ومسلم ذكرنا وان كان مقدما عليها وجودا ورتبة واسنادا لتقدم كتابيهما على كتابه ترجيحا لعدم التزامه تصحيحا وهو من تابعي التابعين وقيل من التابعين اذ روى انه روى عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص وصحبتها ثابتة قال الحافظ ابن حجر كتاب مالك صحيح عنده وعند من نقله على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرها وقال السيوطي ما فيه من المراسيل فانها مع كونها حجة عنده بلا شرط وعند من واقفه من الائمة على الاحتجاج بالمرسل حجة أيضا عندنا اذا اعتضد وما من مرسل في الموطا الا وله عاضد او عواضد فالصواب اطلاق أن الموطأ صحيح لا يستثنى منه شئ وقد صنف ابن عبدالبر كتابا في وصل ما في الموطا من المرسل والمنقطع والمعضل قال ابن عبدالبر مذهب مالك أن مرسل الثقة تجب به الحجة ويلزم به العمل كما تجب بالمسند سواء قال البخاري امام الصنعة أصح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر وفي المسئلة خلاف منتشر مشتهر وعلى هذا المذهب قالوا أصح الاسانيد عن مالك الشافعي اذ هو أجل أصحابه على الاطلاق باجماع اصحاب الحديث ومن ثم قال أحمد سمعت الموطأ من سبعة عشر رجلا من حفاظ أصحاب مالك ثم من الشافعي فوجدته أقومهم به وأصحها عن الشافعي أحمد والاجتماع الائمة الثلاثة في هذا السند قيل لها سلسلة الذهب قيل ولا ينافي ذلك اكتار أحمد في مسنده اخراج حديث مالك من غير طريق الشافعي وعدم اخراج اصحاب الاصول حديث مالك من جهة الشافعي اما الاول فلعل جمعه المسند كان قبل سماعه من الشافعي وأما الثاني فطلبهم العلو المقدم عند المحدثين على ما عدها من الاغراض قال بكر بن عبدالله أتينا مالكا ففعل يحدثننا عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن وكان استزاده من حديثه فقال لنا يوما ما تصنعون بربيعة هو نائم في ذلك الطاق فأتينا ربيعة فبينها وقتلنا له أنت ربيعة فقال نعم قلنا الذي يحدث عنك مالك قال نعم قلنا كيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك قال أما علمتم أن مقال دولة خير من حمل علم وكأنه أراد بالدولة اللطف الرباني والتوفيق الالهي قال ابن مهدي

وأبي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي

الثوري امام في الحديث والاوزاعي امام في السنة ومالك امام فيها وكان اذا اتاه أحد من أهل الأهواء قال له اما أنا فعلى بيعة من ديني وأما أنت فشاك اذهب الى شاك مثلك فخاصمه وقال الشافعي رأيت على باب مالك كراعاً من أفراس خراسان ويغال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت ما أحسنه فقال هو هدية مني اليك يا أبا عبدالله فقلت دع لنفسك دابة تركبها فقال أنا أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله بحافر دابة وكان مبالغاً في تعظيم حديثه صلى الله عليه وسلم حتى كان اذا أراد أن يحدث تواضاً وجلس على صدر فراشه وسرح لعينته وتطيب وتمكن من الجلوس على وقار وعبية ثم حدث فقبل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كلامه اذا لم يكن للسان في نفسه خير لم يكن للناس فيه خير وقال ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يضعه الله في القلب قال مالك قال لي هرون الرشيد يا أبا عبدالله ينبغي أن تختلف البنا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ يعني الامين والمأمون فقلت أعز الله أمير المؤمنين ان هذا العلم منكم خرج فان أتمم أعزتموه عني وان أتمم أذلتموه ذل وفي رواية مه يا أمير المؤمنين لا تضع عز شي رفعه الله والعلم يؤتى ولا يأتي قال صدقت وفي رواية صدقت أيها الشيخ كان هذا هفوة مني استرها على أخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس وسأله الرشيد ألك دار قال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها داراً فأخذها ولم يتفقها ولما أراد الرشيد الشخصوص قال لمالك ينبغي أن تخرج معي فاني غزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن فقال أما حمل الناس على الموطأ فلا سبيل اليه لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتمروا بعده في الامصار فحدثوا فعند أهل كل مصر علم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف أمي رحمة وأما الخروج معك فلا سبيل اليه لانه صلى الله عليه وسلم قال المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وهذه دنانيركم كما هي ان شتمتم فخذوها وان شتمتم فدعوها يعني انك انما كلفتنى مفارقة المدينة لما صنعت الى فلا أوتر الدنيا على مدينة رسول الله وصح عن الشافعي أنه قال ما في الارض كتاب من العلم أكثر صواباً من موطأ مالك وفي رواية ماتحت اديم السماء أصبح من موطأ مالك قال العلماء انما قال الشافعي هذا قبل وجود الصحيحين والاقهبا أصبح منه اتفاقاً وجاءه رجل من مسيرة ستة أشهر في سئلة أرسله بها أهل بلده فنقص عليه خبره فقال لا أحسن قال فماذا أقول لهم قال قل لهم قال مالك لا أحسن أخذ عن ثلثمائة تابعي وأربعمائة من تابعهم توفي في ربيع الاول سنة تسع أو ثمان وسبعين ومائة على الاصح ودفن بالبقع وقبره مشهور به وولد في ربيع الاول سنة ثلاث ومائة على الأشهر قيل مكث حملاً في بطن أمه ثلاث سنين وقيل أكثر وقيل سنتين قال الواقدي مات وله تسعون سنة وقيل مالك أثبت أصحاب الزهري وابن المنكدر ونافع ويحيى بن سعيد وهشام بن عروة وربيعة وجمع كثير وروى الزهري عنه مع أنه من شيوخه ومن أجلة التابعين فهو من قبيل رواية الأكبر عن الأصغر وقروري عن مالك ابن جريج وابن عيينة والثوري والاوزاعي وشعبة والليث ابن سعد وابن المبارك والشافعي وابن وهب وخلائق لا يحصون قال مالك قل من أخذت عنه الحديث انه ماجاءني ولم يأخذ مني الفتوى (وأبي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي) نسبة الى شافع أحد أجداده قيل شافع كان صاحب رواية بنى هاشم يوم بدر فأسر وفدى نفسه فأسلم وقيل لقي شافع النبي صلى الله عليه وسلم وهو مترعر وأسلم أبوه السائب يوم بدر وكان السائب صاحب رواية بنى هاشم

يوم بدر فأسر وفدى نفسه ثم أسلم وعلى القولين يظهر وجه تخصص النسبة إليه ثم نسبة أهل مذهبه أيضاً شافعي وقول العامة شافعي خطأ وهو المطلبى الحجازي المكي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم يلتقي معه في عبد مناف وورد خبر عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً طرقة متماسكة وقال انه حديث مشهور ومن حمله على الشافعي أحمد وتبعه العلماء على ذلك ولد بغزة على الأصح وقيل بعسقلان وقيل باليمن وقيل ببنى وقيل بالبحر سنة خمسين ومائة اتفاقاً وهي سنة فهو مشهور بين أهل التواريخ ونشأيتها في حجر أمه في ضيق عيش بحيث كانت لا تجد أجرة المعلم وكان يقصر في تعليمه وكان الشافعي يتلقف ما يعلمه لغيره فاذا ذهب علمهم إياه فكفى المعلم أمرهم أكثر مما لو أعطاه أجرة فتركها واستمر حتى تعلم القرآن لسع سنتين ثم حب اليه مجالسة العلماء وكان يكتب ما يستفيد منهم في العظام وتحوها لعجزه عن الورق وكان يؤثر الشعر والادب الى أن تمثل بيت وعنده كاتب أستاذه مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة فترعه بسوط ثم قال له مثلك يذهب بعرواته في مثل هذا أين أنت من الفقه فهزته ذلك الى مجالسة مسلم ومن أشعاره

يا أهل بيت رسول الله حبيكم * فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

ثم قدم المدينة وعمره ثلاث عشرة سنة فلزم مالكا فأكرمه وعامله لنسبه وعلته وفهمه وأدبه وعقله بما هو اللائق بهما وكان حفظ الموطأ بمكة لما أراد الرحلة الى مالكا حين سماعه امام المسلمين وكان مالكا يستزيده من قراءته لاجبابه بها حتى قرأه عليه في أيام يسيرة وقال له مرة لما تفرس فيه النجابة والامامة اتق الله انه سيكون لك شان وأخرى ان الله قد ألقى عليك نورا فلا تطفئه بالمعصية قال فما ارتكبت كبيرة قط ثم بعد وفاة مالكا رحل عن المدينة الى اليمن وولى بها القضاء ثم رحل الى العراق وجد في التحصيل وناظر محمد بن الحسن وغيره ونشر علم الحديث وشاع ذكره وفضله الى ان ملا البقاع والاسماع قال محمد بن الحسن في مدح الشافعي انه استعار مني كتاب الاوسط لابي حنيفة وحفظه في يوم و ليلة ولما صنف كتاب الرسالة أعجب به أهل عصره وأجمعوا على استحسانه وانه من الخوارق حتى قال المزني قرأته خمسمائة مرة ما من مرة الا وقد استندت منه شيئا لم أكن عرفته وكان أحمد يدعو له في صلاته لما رأى اهتمامه بتصر السنة وصف في العراق كتابه القديم المسمى بالحجة ثم رحل الى مصر سنة تسع وتسعين ومائة وصف كتيبه الجريدة بها ورجع عن تلك ومجموعها يبلغ مائة وثلاثة عشر مصتفاً و سار ذكرها في البلدان وقصده الناس من الاقطار للاخذ عنه وكذا أصحابه من بعده لسماع كتيبه حتى اجتمع في يوم على باب الربيع تسعمائة راحلة وابتكر أصول الفقه وكتاب القسامة وكتاب الجزية وكتاب أهل البغي وكان حجة في اللغة والنحو وأذن له مسلم بن خالد مفتي مكة في الاقناع بها وعمره خمس عشرة سنة وربما أوكد له المصباح في الليلة ثلاثين مرة ولم يبقه دائم الوقود قال ابن أخته من أمه لان الظلمة أجلى للقلوب وكان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بقولي الحائط وانفرد بالأعراض عن التمسك بالحديث الضعيف في غير الفضائل ومن كلامه الدال على اخلاصه وددت أن كل ما تعلمه الناس أوجر عليه ولا يحسدوني قط ووددت اذا ما ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه ومن حكمه البالغة طلب العلم أفضل من صلاة النافلة ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالعلم أى مع العمل ما أفلح في العلم الا من طلبه في

وأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني

بترافه مصر و عاش أربعاً وخمسين سنة (وأبي عبدالله أحمد بن حنبل) و في نسخة صحيحة أحمد بن محمد بن حنبل فالنسبة الأولى مجازية (الشيباني) نسبة إلى قبيلة وهو الروزي ثم البغدادي ولد ببغداد سنة أربع وستين ومائة ومات بها سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة كان أماً في الفقه والحديث والزهد والورع والعبادة وبه عرف الصحيح والسقيم والمجروح من المعدل نشأ ببغداد وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخها ثم رحل إلى مكة والكوفة والبصرة والمدينة واليمن والشام والجزيرة وسمع من يزيد بن هرون و يحيى بن سعيد القطان وسفيان بن عمة حنبل بن اسحق و محمد بن اسمعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النسابوري وأبوزرعة وأبو داود تعليقا وروى عن أحمد بن الحسن عنه فضائله كثيرة ومناقبه شهيرة وهو أحد المجتهدين المعمول بقوله وأباه ومذهبه في كثير من البلاد قال أبوزرعة كان أحمد يحفظ ألف حديث فقبل له ما يدريك قال ذاكرتة فأخذت عليه الأبواب وقال أيضا حرزت كتبه اثني عشر حملاً أو عدلاً كل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه وقال أبو داود السجستاني كأن مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا وقال محمد بن موسى حمل إلى الحسن بن عبدالعزيز ميراثه من مصر مائة ألف دينار فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس في كل كيس ألف دينار فقال يا أبا عبدالله هذا من ميراث حلال فخذها واستعن بها على عائلتك قال لا حاجة لي فيها أنا في كفاية فردها ولم يقبل منها شيئاً وقال عبدالله بن أحمد كنت أسمع أبي كثيراً يقول في دبر صلاته اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فمن وجهي عن المسئلة لغيرك وقال ميمون بن الأصبغ كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت ما هذا فقالوا أحمد بن حنبل يمتحن فدخلت فلما ضرب سوطاً قال بسم الله فلما ضرب الثاني قال لآلوه ولآلوه الآبانه فلما ضرب الثالث قال القرآن كلام الله غير مخلوق فلما ضرب الرابع قال لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ف ضرب تسعة وعشرين سوطاً وكانت تكة أحمد حاشية ثوب فانقطع فنزل السروال إلى عاتقه فرمى أحمد طرفه إلى السماء فحرك شفثيه فما كان بأسرع من ارتقاء السروال ولم ينزل فنخلت عليه بعد سبعة أيام فقلت يا أبا عبدالله رأيتك تحرك شفثيك فأى شيء قلت قال قلت اللهم اني أسالك باسمك الذي ملأت به العرش ان كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي ستراً وقال احمد بن محمد الكندي رأيت أحمد بن حنبل في النوم فقلت ما صنع الله بك قال غفرتي ثم قال يا احمد ضربت في قال قلت نعم يا رب قال يا احمد هذا وجهي فانظر اليه فقد أبينتك النظر اليه روى أنه أرسل الشافعي إلى بغداد يطلب قميصه الذي ضرب فيه فأرسله اليه فغسله الشافعي وشرب ماءه وهذا من أجل مناقبه قال ولده صالح أنه حج خمس حجج ثلاثاً منها راجلاً وكثيراً ما كان ياتدم بالخل على أبوزرعة بلغني أني المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذي وقف الناس فيه للصلاة عليه فيبلغ مقام ألف ألف وخمسمائة ألف وأسلم يوم وفاته عشرون ألفاً وقبره ظاهر ببغداد يزار ويترك به وكشف لما دفن بجنبه بعض الأشراف بعد موته بمائتين وثلاثين سنة فوجد كفته صحيحاً لم يبل وجنته لم تتغير * (تنبيه) * اعترض على ابن الصلاح تفضيل كتب السنن على مسند أحمد فإنه أكبر المسانيد وأحسنها فإنه لم يدخل فيه إلا ما يحتاج به مع كونه اختصره من أكثر من سبعمائة ألف حديث و - سن ألفاً وقال ما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا فيه إلى

وإبي عيسى محمد بن عيسى الترمذى وأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني

المسند فإن وجدتموه فحسن والا فليس بحجة ومن ثم بالغ بعضهم فأطلق الصحة على كل ما فيه والحق أن فيه أحاديث كثيرة ضعيفة وبعضها أشد في الضعف من بعض حتى أن ابن الجوزي قد أدخل كثيرا منها في موضوعاته لكن تعقبه في بعضها بعضهم وفي سائرهما شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني وحقق نفي الوضع عن جميع أحاديثه وأنه أحسن انتقاء وتحريراً من الكتب التي لم يلتزم مؤلفوها الصحة في جميعها كالسنن الأربعة قال وليست الأحاديث الزائدة فيه على ما في الصحيحين بأكثر ضعفاً من الأحاديث الزائدة في سنن أبي داود والترمذى عليهما وبالجملة فالسبيل واحد لمن أراد الاحتجاج بحديث من السنن لاسيما سنن ابن ماجه ومصنف ابن أبي شيبة وعبدالرزاق مما الأمر فيه أشد أوثق من المسانيد لأن هذه كلها لم يشترط جامعوها الصحة والحسن وتلك السبيل أن المحتج أن كان أهلاً للنقل والتصحيح فليس له أن يحتج بشئ من القسمين حتى يحيط به وإن لم يكن أهلاً لذلك فإن وجد أهلاً لتصحيح أو تحسين قلده والا فلا يقدم على الاحتجاج فيكون كعاطب ليل فعله يحتج بالباطل وهو لا يشعر (وأبي عيسى) قيل يكره هذه التكنية (محمد بن عيسى الترمذى) بكسر التاء والميم وبضمهما ويفتح التاء وكسر الميم مع الدال المعجمة نسبة لمدينة قديمة على طرف جيحون نهر بلغ الامام الحجة الأواحد الثقة الحافظ المتقن أخذ عن البخارى وقتيبة بن سعيد ومحمود بن غيلان ومحمد بن بشار وأحمد بن منيع ومحمد بن العثمي وسفيان بن وكيع وغيرهم وأخذ عنه خلق كثير وله تصانيف كثيرة في علم الحديث منها الشمائل وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأحسنها ترتيباً وأقلها تكراراً فيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع من الصحيح والحسن والغريب وفيه جرح وتعديل وفي آخره كتاب العلل وقد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها ولذا قيل هو كلف للمجتهد ومغن للمقلد بل قال أبو اسمعيل الهروري هو عندى انفع من الصحيحين لأن كل أحد يصل للفائدة منه وهما لا يصل إليها منهما الا العالم المتبحر وقول ابن حزم انه مجهول كذب منه قال عرضت هذا الكتاب يعنى سننه على علماء الحجاز والعراق وخراسان فروضابه ومن كان في بيته فانما في بيته نبي يتكلم نعم عنده نوع تساهل في التصحيح ولا يضره فقد حكم بالحسن مع وجود الانقطاع في أحاديث من سننه وحسن فيها بعض ما انفرد رواه به كما صرح هو به فانه يورد الحديث ثم يقول عقبه انه حسن غريب أو حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه لكن أجب عنده بان هذا اصطلاح جديد ولا مشاحة في الاصطلاح وقد أطلق الحاكم والخطيب الصحة على جميع ما في سنن الترمذى توفي بترمد سنة تسع وسبعين ومائتين وأعلى أسانيد ما يكون واسطتان بيته وبين النبي صلى الله عليه وسلم وله حديث واحد في سننه بهذا الطريق وهو يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالفابض على الجمر فاسناده أقرب من اسناد البخارى ومسلم وأبي داود فان لهم ثلاثيات وذكر في جامعه بسنده هذا الحديث وهو يا علي لا يعجل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك ثم قال وهذا حديث غريب وقد سمعه مني البخارى (وأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني) بكسر السين الأولى ويفتح وبكسر الجيم وسكون السين الثانية معرب سينتان من نواحي هراة من بلاد خراسان ولد سنة ثنتين ومائتين وتوفي بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين وهو الامام الحافظ الحجة سكن البصرة وقدم بغداد مرارا فروى سننه بها ونقله أهلها عنه وعرضه على أحمد فاستجاده واستحسنه سمع أحمد ويحيى بن معين والقعنبي وسليمان

ابن حرب و قتيبة و خلّاق لا يحصون و روى عنه النسائي وغيره قال جمع أئمة الحديث لابي داود كما
 أئمة الحديث لداود وكان يقول كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث انتخبت منها
 ما ضمنته كتاب السنن جمعت فيه أربعة آلاف حديث و ثمانمائة حديث ذكرت الصحيح وما يشبهه و
 يقاربه و يكفي الانسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث أحدها قوله عليه الصلاة والسلام اما الأعمال
 بالنيات و الثاني قوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه و الثالث قوله
 عليه الصلاة والسلام لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه و الرابع ان الحلال بين
 و الحرام بين الحديث و من أشعار الشافعي

عمدة الدين عندنا كلمات * أربع قالهن خير البرية

اتق السيئات و ازهد و دع ما * ليس يعينك و اعلم بنية

فكانه أراد بقوله ازهد حديث الأربعين ازهد في الدنيا يجبك الله و ازهد فيما عند الناس يجبك الناس قال
 الخطابي شارحه لم يصنف في علم الدين مثله وهو أحسن و ضاوا أكثر فقها من الصحيحين و قال
 أبو داود ما ذكرت فيه حديثا أجمع الناس على تركه و قال ابن الأعرابي من عنده القرآن و كتاب
 أبي داود لم يحتج معهما الى شئ من العلم ألبتة و قال التاجي كتاب الله أصل الاسلام و كتاب أبي داود
 عهد الاسلام و من ثم صرح حجة الاسلام الغزالي باكتفاء المجتهد به في الأحاديث و تبعه أئمة الشافعية
 على ذلك و قال النووي ينبغي للمشتغل بالفتوة و لغيره الاعتناء به فان معظم أحاديث الأحكام التي يحتج
 بها فيه مع سهولة تناوله و كان له كم واسع و كم ضيق قليل له ما هذا فقال أما الواسع فللكتب
 و أما الضيق فلاحتياج اليه و فضائله و مناقبه كثيرة و كان في أعلى درجة من التسك و العفاف
 و الصلاح و الورع قال المنذري ما سكت عليه لا ينزل عن درجة الحسن و قال النووي ما رواه في
 سننه و لم يذكر ضعفه هو عنده صحيح أو حسن و قال ابن عبد البر ما سكت عليه صحيح عنده سيما ان
 لم يكن في الباب غيره و أطلق ابن منده و ابن السكن الصحة على جميع ما في سنن أبي داود ووافقهما
 الحاكم (و أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي) بفتح النون و المد كما في جامع الأصول
 و اقتصر عليه المصنف و بالقصر كما في طبقات الفقهاء نسبة الى بلد بخرامان قريب مرو و أما
 ما ذكره ابن حجر أنه من كور نيسابور أو من أرض فارس فغير صحيح أحد الأئمة الحفاظ سمع من اسحق
 ابن راهويه و سليمان بن أشعث و محمود بن غيلان و قتيبة بن سعيد و محمد بن يشار و علي بن حجر
 و أبي داود و آخرين ببلاذ كثيرة و أقاليم متعددة و أخذ عنه خلق كثيرون كالمطبراني و الطحاوي
 و ابن السني و دخل دمشق فمثل عن معاوية ففضل عليه عليا فأخرج من المسجد و حمل الى الرملة
 و مات بها و قيل الى مكة و دفن بها بين الصفا و العروة و جرى عليه بعض الحفاظ قتال مات ضربا
 بالارجل من أهل الشام حين أجابهم لما سألوه عن فضائل معاوية ليرجوه بها على بن يقطين
 الأريضي معاوية رأس برأس حتى يفضل و في رواية ما أعرفه الا أشبع الله بطنه و ما زالوا يضربونه بأرجلهم
 حتى أخرج من المسجد ثم حمل الى مكة فمات مقتولا شهيدا و قال الدارقطني ان ذلك كان بالرملة
 و كذا قال العبدري انه مات بالرملة بمدينة فلسطين و دفن بالبيت المقدس و سنة ثمان و ثمانون
 سنة فيما قاله الذهبي و من تبعه و جزم المصنف بأنه مات بمكة سنة ثلاث و ثلثائة و هو مدفون بها و نقل
 التاج السبكي عن شيخه الحافظ الذهبي و والده الشيخ الامام السبكي أن النسائي أحفظ من مسلم صاحب

وأبي عبدالله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني وأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي وأبي الحسن
على بن عمر الدارقطني

الصحيح وان سننه أقل السنن بعد الصحيحين حديثا ضعيفا بل قال بعض الشيوخ انه أشرف المصنفات كلها ومواضع في الاسلام مثله وقد قال ابن منده وابن السكن وأبو علي النيسابوري وأبو أحمد بن عدى والخطيب والدارقطني كل ما فيه صحيح لكن فيه تساهل صريح وشذ بعض المغاربة فضله على كتاب البخاري ولعله لبعض الحثيات الخارجة عن كمال الصحة والله تعالى أعلم. قال السيد جمال الدين صف في أول الأمر كتابا يقال له السنن الكبير للنسائي وهو كتاب جليل لم يكتب مثله في جمع طرق الحديث وبيان مخرجه وبعده اختصره وسماه بالمجتبى بالنون وبسبب اختصاره أن أحدا من أمراء زمانه سألته ان جميع أحاديث كتابك صحيح فقال في جوابه لا فأمره الأمير بتجريد الصحاح وكتابة صحيح مجرد فانتخب منه المجتبى وكل حديث تكلم في أسناده أسقطه منه فاذا أطلق المحدثون بقولهم رواه النسائي فمرادهم هذا المختصر المسمى بالمجتبى لا الكتاب الكبير وكذا اذا قالوا الكتب الخمسة أو اصول الخمسة فهي البخاري ومسلم وسنن أبي داود وجامع الترمذي ومجتبى النسائي (وأبي عبدالله محمد بن يزيد ابن ماجه) بإثبات ألف ابن خطا (١) فانه يدل من ابن يزيد ففي القاموس ماجه لقب والد محمد بن يزيد صاحب السنن لا جده وفي شرح الأربعين ان ماجه اسم أمه (القزويني) بفتح القاف نسبة الى بلد معروف وهو الامام الحافظ صاحب السنن التي كمل به الكتب الستة والسنن الاربعة بعد الصحيحين قال الحافظ ابن حجر وأول من أضاف ابن ماجه الى الخمسة الفضل بن طاهر حيث أدرجه معها في أطرافه وكذا في شروط الائمة الستة ثم الحافظ عبدالغني في كتاب الاكال في أسماء الرجال الذي هذب الحافظ المزني وقدموه على الموطأ لكثرة زوائده على الخمسة بخلاف الموطأ وهو كما قاله ابن الأثير كتاب مفيد قوى الثبوت في الفقه لكن فيه أحاديث ضعيفة جدا بل منكردة بل نقل عن الحافظ المزني أن الغالب فيما انفرد به الضعف ولذا لم يصفه غير واحد الى الخمسة بل جعلوا السادس الموطأ منهم رزين والمجد بن الأثير وقال العسقلاني ينبغي أن يجعل مسند الدارمي سادسا للخمسة بدله فانه قليل الرجال الضعفاء نادر الاحاديث المنكرة والشاذة وان كان فيه أحاديث مرسله وموقوفة فهو مع ذلك أولى منه توفي في رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين وله من العمر أربع وستون سنة سمع أصحاب مالك والليث وروى عنه أبو الحسن القطان وخلق سواه وله ثلاثيات من طريق جبارة بن المغلس وله حديث في فضل قزوين أورده في سننه وهو منكر بل موضوع ولذا طعن فيه وفي كتابه (وأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن) السمرقندي التيمي (الدارمي) بكسر الراء نسبة الى دارم بن مالك بطن كبير من تميم وهو الامام الحافظ عالم سمرقند صنف التفسير والجامع ومسند المشهور وهو على الابواب للصحابة خلافا لمن وهم فيه روى عن البخاري ويزيد ابن هرون والنضر بن شميل وغيرهم وقال رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن اسمعيل البخاري وروى عنه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم قال أبو حاتم هو امام أهل زمانه توفي يوم التروية ودفن يوم عرفة سنة خمس وخمسين ومائتين ولد سنة احدى وثمانين ومائة وله من العمر أربع وسبعون سنة وله خمسة عشر حديثا هي ثلاثيات (وأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني) بفتح الراء ويسكن ويضم القاف وسكون الطاء بعده نون نسبة لدار القطن وكانت محلة كبيرة ببغداد وهو امام عصره وحافظ دهره صاحب السنن

(١) اي كناية وله نظائر منها عبدالله بن عمرو ابن ام مكتوم وعبدالله بن أبي اسلول وعبدالله بن مالك ابن بختية ومحمد بن علي ابن الحنفية واسماعيل بن ابراهيم ابن علية واسحاق بن ابراهيم ابن راهويه كذا قال النووي رحمه الله في شرح المسلم - ص - باب تحريم قتل الكافر بعد قتله

و أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي و آل الحسن رزين بن معاوية العبدري وغيرهم و قليل ما هو

و العلل و غيرها انتهى اليه علم الاثر و المعرفة بعلل الحديث و أسماء الرجال و أحوال الرواة مع الصدق و الامانة و الثقة و العدالة و صحة الاعتقاد و التضلع بعلوم شتى كالقراءة و له فيها كتاب لم يسبق اليه مثله أخذ عنه الأئمة كابي نعيم و الحاكم أبي عبدالله النيسابوري و البرقاني و الشيخ أبي حامد الاسفرايني و القاضي أبي الطيب الطبري و الجوهري وغيرهم ولد سنة خمس و ثلثمائة و مات ببغداد سنة خمس و ثمانين و ثلثمائة (و أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي) نسبة لبيهقي على وزن صيقل بلد قرب نيسابور و هو الامام الجليل الحافظ الفقيه الاصولي الزاهد الورع و هو أكبر أصحاب الحاكم أبي عبدالله و قد أخذ عن ابن فورك و أبي عبدالرحمن السلمى روى انه اجتمع جمع كثير من العلماء في مجلس الحاكم أبي عبدالله و قد ترك الحاكم راويا من اسناد حديث فنيه عليه البيهقي فتغير الحاكم فقال البيهقي لابد من الرجوع الى الاصل فحضر الاصل فكان كما قال البيهقي رحل الى الحجاز و العراق ثم اشتغل بالتصنيف بعد أن صار واحد زمانه و فارس ميدانه و ألف كتابه السنن الكبير و كتاب المسبوط في نصوص الشافعي و كتاب معرفة السنن و الآثار و قيل وصل تصانيفه الى ألف جزء و من تصانيفه دلائل النبوة و كتاب البعث و النشور و كتاب الآداب و كتاب فضائل الصحابة و فضائل الاوقات و كتاب شعب الايمان و كتاب الخلاقيات و كان له غاية الانصاف في المناظرة و المباحثة و كان على سيرة العلماء قانعا من الدنيا بالسيرة متجعلا في زهده و ورعه صائم الدهر قبل موته بثلاثين سنة قال امام الحرمين ما من شافعي الا وللشافعي في عتقه مئة الا البيهقي فانه له على الشافعي مئة تصانيفه في نصرة مذهبه و أقاويله توفي بنيسابور سنة ثمان و خمسين و أربعمائة و حمل تابوته الى قرية من ناحية بيهقي و له من العدر أربع و سبعون سنة قيل مولده سنة أربع و ثمانين و ثلثمائة (و أبي الحسن رزين) يفتح الراء و كسر الزاي (بن معاوية العبدري) يفتح العين المهملة و سكون الموحدة و فتح الدال المهملة و بالراء المخففة منسوب الى عبدالدار بن قصي بطن من قريش و هو الحافظ الجليل صاحب كتاب التجريد في الجمع بين الصحاح مات بعد العشرين و خمسمائة (و غيرهم) بالجر عطفًا على أبي عبدالله و قيل بالرفع عطفًا على مثل (و قليل ما) ما زائدة ابهامية تزيد الشيع و المبالغة في القلة (هو) أي غيرهم و الاقراء للفظ غيرهم و هو مبتدأ خبره قليل و نظيره الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ما هم فلما انتهى الكلام على آخر الرجال المذكورين و الأئمة المشهورين سنح بالخاطر القاتر ما ذكره السادات الصوفية أرباب الهداية ان النهاية هي الرجوع الى البداية فأتيج ان أختهم ذكرهم بمنقب الامام الاعظم و الهمام الاقدم ليكون كمسك الختام و قد ذكره المؤلف أيضا في أسماء رجاله راجيا حصول بركة كماله لكن بعد ذكر الامام مالك و أورد اعتذارا عن ذلك بقوله و قد يدانا بذكره لانه المقدم زمانا و قدرا و معرفة و علما قلت كل ذلك بالنسبة الى اماننا غير صحيح أما تقدم زمان أبي حنيفة عليه فصريح اذ ولد مالك سنة خمس و تسعين و ولد أبو حنيفة سنة ثمانين و أما تقدم قدره على أبي حنيفة فمردود لانه من اتباع التابعين و اماننا من التابعين كما ذكره السيوطي وغيره و قد ورد في الحديث النبوي خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم و أما معرفته فمعروفة لانها عمت الخلق شرقا و غربا سيما في بلاد ما وراء النهر و ولاية الهند و الروم فانهم لا يعرفون اماما غيره و لا يعلمون مذهبا سوى مذهبه و بالجملة فاتباعه أكثر من اتباع

جميع الائمة من علماء الامة كما أن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من اتباع سائر الانبياء و قدورد أنهم ثلثا أهل الجنة و الحنفية أيضا تجتنب ثلثي المؤمنين والله أعلم و أما علمه فيكفي ما قال الشافعي في حقه الخلق كلهم عيال أبي حنيفة في الفقه و العذر في كثرة اشتغاله بالامور الفقهية من المسائل الفرعية و الدلائل الاصولية أنه رأى أنه الأهم و احتياج الناس اليه أنهم و هو في الحقيقة اشتغال بالمعنى المعبر عنه بالدراية و هو مفضل على التعلق بالمبنى الذي يقال له الرواية و بهذا فاق على أقرانه من المحدثين و غيرهم و قد سألته الأوزاعي عن مسائل و أراد البحث معه بوسائل فأجاب على وجه الصواب فقال له الأوزاعي من أين هذا الجواب فقال من الاحاديث التي رويتها و من الاخبار و الآثار التي نقلتها و بين له وجه دلالاتها و طريق استنباطاتها فانصف الأوزاعي و لم يتعسف فقال نحن العطارون و أنتم الأطباء أي المارقون بالداء و الدواء و أيضا كان عنده أن نقل الحديث الشريف لا يجوز إلا باللفظ دون المعنى فهذا الاعتبار يقل التحديث بالمبنى مع أن له مسانيد متعددة و أسانيد معتمدة يعرفها أهل الخبرة و يحكمون عليه بأنه من أهل النصرة ثم يدل على علو سنده أنه روى الشافعي في مسنده عن محمد بن الحسن عن أبي يوسف عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولاء لجمعة كل جمعة النسب لا يباع و لا يوهب كذا ذكره الشافعي شارح النقاية في فصل الولاء و ذكر الامام النووي في تهذيب الاسماء نقلا عن الخطيب البغدادي أن الامام الشافعي روى عن محمد بن الحسن و قال الفاضل تلميذ الامام ابن الهمام في شرح التحرير ذكر أصحاب الشافعي و غيرهم أنه قال الشافعي حملت عن محمد بن الحسن و قرى بجنتي كتبنا و قال أبو اسحق في الطبقات روى الربيع قال كتب الشافعي الى محمد بن الحسن و قد طلب منه كتبنا ينسخها فأخراها عنه

قل للذي لم ترعينا من رآه مثله * و من كان من رآه قد رأى من قبله

العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله * لعله يبذله لاهله لعله

و في الحقائق شرح المنظومة قال الشافعي الحمد لله الذي أعانتني على الفقه بمحمد بن الحسن انتهى محمد له الرواية عن أبي حنيفة و مالك كما يدل عليه موطأ الامام محمد و لما ذكر شيخنا العالم العلامة و البحر الفهامة شيخ الاسلام و مفتي الانام صاحب التصانيف الكثيرة و التاليف الشهيرة مولانا سيدنا و سندا الشيخ شهاب الدين بن حجر المكي مناقب الامام مالك و أحمد بن حنبل و الشافعي في شرح المشكاة قال تعين علينا اذ ذكرنا تراجم هؤلاء الائمة الثلاثة أن نختم برباعهم المقدم عليهم تبركاه لعلوم مرتبته و وفور علمه و ورعه و زهده و تجليلته بالعلوم الباطنة فضلا عن الظاهرة بمافاق فيه أهل عصره و فاز بحسن الثناء عليه و اذاعة ذكره وهو الامام الاعظم فقيه أهل العراق و من أكابر التابعين أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بضم الزاى و فتح الطاء ابن ماسولى تيم الله بن ثعلبة الكوفي و روى الخطيب باسناده عن حفيده عمر بن حماد بن أبي حنيفة أن ثابتا ولد على السلام و زوطى كان مملوكا لبني تميم فاعتقوه فصار و لاؤه لهم و أنكر اسمعيل اخو عمر المذكور حفيده أيضا ابن حماد بن أبي حنيفة ذلك و قال ان والد ثابت من أبناء فارس و أنهم أحرار و الله ما وقع علينا رق قط و ولد جدى سنة ثمانين و ذهب بنات أبيه الى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه و هو صغير فدعاه بالبركة قيد و في ذريته و نحن نرجو من الله أن يكون ذلك قد استجيب من على فينا اه و هو كما رجا فقد بارك الله في أبي حنيفة بركة لانهاية لافصاها و لا غاية لمتنهاها و بارك في اتباعه فكثروا في سائر الاقطار و ظهر عليهم من بركة صدقه و اخلاصه ما اشتهر به

في سائر الامصار أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان و أدرك أربعة من الصحابة بل ثمانية منهم أنس و عبدالله بن أبي أوفى و سهل بن سعد و أبو الطفيل قبل و لم يلق أحدا منهم قلت لكن من حفظ حجة على من لم يحفظ و الميثب مقدم على الناق و سمع من عطاء و أهل طبقة روى عنه عبدالله ابن المبارك و وكيع بن الجراح و خلائق لا يحصون و هو من أهل الكوفة و كان يزيد بن هبيرة و الياء على العراق لبني أمية فكله في أن يلي له قضاء الكوفة فإي عليه فضربه مائة سوط في كل يوم عشرة أسواط و هو مصمم على الاستماع فلما رأى ذلك منه خلى سبيله و كان الامام أحمد اذا ذكر ضربه على القضاء و امتناعه منه بكى و ترحم عليه قلت و كأنه اقتدى به في تحمل ضربه في مسألة خلق القرآن و استدعاء المنصور أبو جعفر أمير المؤمنين من الكوفة الى بغداد ليؤليه القضاة فإي فعلت عليه ليفعلن فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل و تكرر هذا منهما فقال الربيع العاجب الأتري أمير المؤمنين يحلف قال أبو حنيفة أمير المؤمنين على كفارة إيمانه أقدر مني على كفارة إيماني فأمر به الى السجن في الوقت و في رواية دعاه أبو جعفر الى القضاء فإي فحبسه ثم دعا به فقال أترغب عما نحن فيه فقال أصلح الله أمير المؤمنين لا أصلح للقضاء فقال له كذبت ثم عرض عليه فقال أبو حنيفة قد حكم على أمير المؤمنين اني لا أصلح للقضاء لانه نسبني الى الكذب فان كنت كما ذبا فلا أصلح و ان كنت صادقا فقد أخبرت اني لا أصلح فرده الى السجن فقال الربيع بن يونس رأيت المنصور يحاوله في أمر القضاء و هو يقول اتق الله و لا تشرك في أمانتك الا من يخاف الله والله ما أنا مأمون الرضا كيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك فقال له كذبت أنت تصلح فقال قد حكمت على نفسك كيف يحل لك أن تولى قاضيا على أمانتك و هو كذاب و ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك قال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بجزايرها ففر منها و كان حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح يعرف بريح الطيب اذا أتبل كثيرا الكرم حسن المواساة لآخوانه ربعة أحسن الناس منطلقا و أحلامه نعمة قال قدمت البصرة فظننت أني لا أسأل عن شيء الا أجبت عنه فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب فجعلت على نفسي أن لا أفارق حمادا حتى يموت فصحبته ثمان عشرة سنة ثم ما صليت صلاة منذ مات الا استغفرت له قبل أبوي أو قال مع والدي واني لاستغفر لمن تعلمت منه علما أو تعلم مني علما قال دخلت على المنصور فقال عن أخذت العلم فقلت عن حماد عن ابراهيم النخعي عن عمرو وعلي و ابن مسعود و ابن عباس فقال المنصور يخ استوفيت يا أبا حنيفة و رأى أبو حنيفة في النوم كأنه نسي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعث من سأل محمد بن سيرين فقال من صاحب هذه الرؤيا ولم يجب عنها ثم سأله الثانية فقال مثل ذلك ثم سأله الثالثة فقال صاحب هذه الرؤيا يبرز علمالم يسبقه أحد اليه ممن قبله و قال ابن المبارك كان أبو حنيفة آية فقبل له في الخير أم في الشر قال اسكت يا هذا فانه يقال انه آية في الخير و غاية في الشر ثم تلا و جعلنا ابن مريم و أمه آية و قال كان يوم ما في الجامع فوقت حية فسقطت في حجره فهرب الناس و هو لم يزد على نفضها و جلس مكانه و كان خزازا يبيع الحز و دكانه معروف في دار عمرو بن حريث و مات أخو سفيان الثوري فاجتمع اليه الناس لعزائه فجاء أبو حنيفة فقام اليه سفيان و أكرمه و أقدمه في مكانه و قدم بين يديه و لما تفرق الناس قال أصحاب سفيان رأيناك فعلت شيئا عجيبا قال هذا رجل من العلم يمكن فان لم أقم لعلمه قمت لسنه و ان لم أقم لسنه قمت لفقهه و ان لم أقم لفقهه قمت لورعه و قال النضر بن شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فقهه و بينه و قال الشافعي الناس عيال أبي حنيفة في الفقه و في رواية من أراد أن يتبحر في الفقه فليزمل أبا حنيفة و أصحابه و قال جعفر بن الربيع أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول

صماتمه فاذا سئل عن شئ من الفقه سال كالوادي وقال ابن عيينة ما قدم مكة في وقتنا رجل أكثر صلاة منه وقال يحيى بن أيوب الزاهد كان أبو حنيفة لا ينام في الليل وقال أبو عاصم كان يسمى الوالد لكثرة صلاته وقال زفر كان يحيى الليل كله بركعة يقرأ فيها القرآن وقال أسد بن عمرو صلى أبو حنيفة صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان عامة الليل يقرأ القرآن في ركعة وكان يسمع بكأوه حتى يرحم عليه جيرانه وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف ختمه ولما غسله الحسين بن عمارة قال له غفر الله لك لم تغفر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد بعينيك في الليل منذ أربعين سنة ولقد اتعبت من بعدك وقال ابن المبارك انه صلى الخمس بوضوء واحد خمسا وأربعين سنة وكان يجمع القرآن في ركعتين وقال زائدة صليت معه في سجدة العشاء وخرج الناس ولم يعلم اني في المسجد فاردت أن أسأله مسئلة فقام وافتتح الصلاة فقرأ حتى بلغ هذه الآية فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم فلم يزل يردد ها حتى أذن المؤذن للصبح وأنا أنظره وقال القاسم ابن معن قام أبو حنيفة ليلة بهذه الآية بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر يردد ها ويكي ويتضرع وقال وكيع كان أبو حنيفة قد جعل على نفسه أن لا يحلف بالله في عرض كلامه الا تصدق بدرهم فحلف فتصدق به ثم جعل ان حلف أن يتصدق بدينار فكان اذا حلف صادقا في عرض كلامه تصدق بدينار وكان اذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها وكان اذا اكتسى ثوبا جديدا كسى بقدرتمته الشيوخ من العلماء وكان اذا وضع بين يديه الطعام أخذ منه ضعف ما يأكله فيجعل على الخبز ثم يعطيه الفقير وهب لمعلم ابنه حماد خمسمائة درهم لما ختم وجاءته امرأة تشتري منه ثوب خز فأخرج لها ثوبا فقالت انها ضعيفة وانها أمانة فبعنيه بما يقوم عليك فقال خذيه بأربعة دراهم فقالت لاتسخر بي وأنا عجوز كبيرة فقال اني اشتريت ثوبين فبعت أحدهما برأس المال الأربعة دراهم فبقي هذا بأربعة دراهم وقال ابن المبارك للشورى ما ابعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يفتاب عدوا له قط قال والله انه أعتل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها وقال اسمعيل حفيده كان عندنا رافضى له بغلان سمي أحد هما أبا بكر والأخر عمر فرمحه أحدهما فقتله فقيل لجدي فقال ما قتله الا لاسمى بعمر فكان كذلك قلت لانه مظهر الجلال وأبو بكر مظهر الجمال وكان بعض جماعة المنصور يبغضه فلما رآه عند المنصور قال اليوم أقتله ثم قال له ان أمير المؤمنين يأمرنا بضرب عنق الرجل ماندرى ما هو فهل لنا قتله قال أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل قال بالحق قال الزم الحق حيث قال ولا تسأل عنه ثم قال لمن قرب منه ان هذا أراد أن يوفيتى فربطته ولد سنة ثمانين من الهجرة وتوفى ببغداد وقيل في السجن على أن يلي القضاء سنة خمسين على المشهور وأحادي أو ثلاث وخمسين ومائة في رجب ببغداد وقبره بها يزار ويتبرك به ومن ورعه أنه أراد شراء أمة يسرى بها فاستمر عشرين سنة يفتش السبايا ويسأل عنهن حتى اطمانت نفسه بشراء واحدة ومن كراماته أن أبا يوسف حرب صغيرا اليه من أمه ليتمه وقره فجاءت أمه للامام وقالت له أنت الذى أنسدت ولدى فأعطاه لها ثم حرب اليه وتكرر منه ذلك فقال له الامام وهو على تلك الحالة الضيقة كيف بك وأنت تأكل الفالودج في صحن الفيرودج فلما توفي ووصل أبو يوسف عند الرشيد ما وصل دعاه الرشيد يوما وأخرج له فالودجا كذلك فضحك أبو يوسف فنجب منه الرشيد فسأله فقال رحم الله أبا حنيفة وقص عليه القصة اه كلام الشيخ ابن حجر ملخصا واكتفينا بكلامه فانه على المخالفين حجة وفيما نقله للموافقين كفاية لان المطنب في نعته مقصر والمسهب في منقبته مختصر وقد حكى أن الشافعى سمع رجلا يقع في أبي حنيفة فدعاه وقال يا هذا اتفق في رجل سلم له جميع الناس ثلاثة أرباع الفقه وهو لا يسلم لهم

واني اذا نسبت الحديث اليهم كاني أسندت الى النبي صلى الله عليه وسلم لانهم قد فرغوا منه وأغتنوا عنه

الربع قال وكيف ذلك قال الفقه سؤال وجواب وهو الذي تفرد بوضع الاسئلة فسلم له نصف العلم ثم أجاب عن الكل وخصومه لا يقولون انه أخطأ في الكل فاذا جعل ما وافقوا فيه مقابلا بما خالفوا فيه سلم له ثلاثة أرباع العلم وبقي الربع مشتركا بين الناس وما ذكره ابن حجر في مناقبه المسمى بالخيرات الحسان ان الشافعي قال قلت لمالك رأيت أبا حنيفة فقال رأيت رجلا لو كلمك في السارية أن يجعلها ذهبا لقم بعجمته ولما دخل الشافعي بغداد زار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير وفي رواية أن الركعتين كانتا الصبح وانه لم يقتل له في ذلك فقال أدبنا مع هذا الامام أكثر من أن نظهر خلافه بحضرته قال ابن حجر وتلمذ له كبار من الائمة المجتهدين والعلماء الراشخين عبدالله ابن المبارك والبيث بن سعد والامام مالك بن أنس اه ومنهم داود الطائى و ابراهيم بن ادهم و فضيل بن عياض وغيرهم من اكابر السادة الصوفية رضى الله عنهم أجمعين وما استنزل يحافظ المديون حين آتاه متقاضيا وتصدق بجميع مال أتى به وكيهله اليه لما خلط ثمن ثوب معيب يبع مخفيا قبل و كان المال ثلاثين ألفا وترك لحم الغنم لما فقدت شاة في الكوفة سبع سنين لما قبل انها أكثر ما تعيش فيه ثم اعلم أن المؤلف لما قال فيما قدمه فاعلمت ما أغفله استشعر اعتراضا بان الاعلام الحقيقى انما هو بإيراد الاسناد الكلى ليترتب عليه معرفة رجاله التى يتوقف عليها الحكم بصحة الحديث وحسنه وضعفه وسائر أحواله فاعتذر عن الاشكال فقال (واني اذا نسبت الحديث) أى كل حديث (اليهم) أى الى بعض الائمة المذكورين المعروفة كتبهم باسانيد هم بين العلماء المشهورين (كاني أسندت) الى الحديث برجاله (الى النبي صلى الله عليه وسلم) أى فيما اذا كان الحديث مرقوعا وهو الغالب والى أصحابه اذا كان موقوفا وهو المرفوع حكما (لأنهم) أى الائمة (قد فرغوا منه) أى من الاسناد الكامل بذكرهم قال ابن حجر أى من الاسناد المفهوم من أسندت على حد وان تعفوا أقرب للتقوى اه ولا يخفى أن قوله وان تعفوا بتاويل المصدر مبتدا خبره أقرب للتقوى والتقدير وعفوكم أقرب للتقوى نحو وان تصوموا خير لكم فالصواب أنه على حد اعدلوا هو أقرب للتقوى ثم في أصله على حد وان تعفوا هو أقرب وهو اما سهو من الكتاب أو وهم من مصنف الكتاب والله اعلم بالصواب (وأغنوننا) بهمة قطع أى وجعلونا في غنى وكفاية (عنه) أى عن تحقيق الاسناد من وصله وقطعه ووقفه ورفع وضعفه وحسنه وضعفه ومن ثم لزم الأخذ بنص أحد هم على صحة السند أو الحديث أو على حسنه أو ضعفه أو وضعفه فعلم من كلام المصنف أنه يجوز نقل الحديث من الكتب المؤلفة المعتمدة التى اشتهرت أو صحت نسبتها لمؤلفيها كالكتب الستة وغيرها من الكتب المؤلفة وسواء في جواز نقله مما ذكر أكان نقله للعمل بمضمونه ولو في الاحكام أو للاحتجاج ولا يشترط تعدد الامل المنقول منه وما اقتضاه كلام ابن الصلاح من اشتراطه حملوه على الاستجاب والاستظهار ولكن يشترط في ذلك الاصل أن يكون قد قوبل على أصل معتمد مقابلة صحيحة لانه حينئذ يحصل به الثقة التى مدار الاعتماد عليها صحة واحتجاجا نعم نسخ الترمذى مختلفة كثيرا في الحكم على الحديث بل وسنن أبي داود أيضا فلا بد من المقابلة على أصول معتمدة منها و علم من كلام المصنف أيضا أنه لا يشترط في النقل من الكتب المعتمدة للعمل والاحتجاج أن يكون له به رواية الى مؤلفيها ومن ثم قال ابن برهان ذهب الفقهاء كافة الى أنه لا يتوقف العمل بالحديث على سماعه بل اذا صحت عنده النسخة من السنن جازله العمل بها وان لم يسمع وشذ بعض المالكية

وسردت الكتب والابواب كما سردها واكتفتت أثره فيها وقسمت كل باب غالبا على فصول ثلاثة اولها ما أخرجه الشيخان أو أحدهما واكتفتت بهما وان اشترك فيه الغير لعلو درجتها في الرواية

فقال اتفق العلماء على انه لا يصح لمسلم أن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا حتى يكون عنده ذلك القول مرويا ولو على أقل وجوه الروايات لقوله عليه الصلاة والسلام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية يحذف متعمدا وتبعه الحافظ الزين العراقي فانه يعلم أن قررانه يقيح للطالب أن لا يحفظ باسناده عدة أحاديث يتخلص بها عن كذا وعن كذا قال ويتخلص به من الجرح بنقل ما ليست له به رواية فانه غير سائغ باجماع أهل الدراية وانتصر جماعة للاول وقد يجمع بين الاجماعين المتعارضين بحمل الاول على ما اذا نظر في الاصل المعتمد وأخذ منه الحديث للعمل أو الاحتجاج والثاني على ما اذا حدث باحاديثها موهما نسبتها اليه قراءة واسنادا فهذا لا يجوز لما فيه من مزيد التفرير وبهذا اندفع ما أورد على الثاني من انه يلزم عليه منع ايراد ما في الصحيحين أو أحدهما لمن لا رواية له به وجواز نقل ما له به رواية وان كان ضعيفا (وسردت الكتب والابواب) أى أوردتها ووضعها متتابعة متوالية (كما سردها) أى رتبها وعينها الامام البغوى في المصاييح (واكتفتت) أى اتبعت (أثره) بفتحتين وقيل بكسر الهمزة وسكون المثناة أى طريقه (فيها) أى الكتب والابواب من غير تقديم وتأخير وزيادة عنوان وتغيير فان ترتيبه على وجه الكمال وتبويه في غاية من الحسن والجمال ويحتمل أن يكون تأكيدا لكمال المتابعة وتبرئة عما قد يرد على ايراده بعض الكتب والابواب من وجوه المناسبة (وقسمت) بالتخفيف (كل باب) وكذا كل كتاب أى جعلته مقسوما (غالبا) أى في غالب الحال (على فصول ثلاثة) وقيد الغالبية بمعنى الاكثرية لانه قد لا يوجد الفصل الثاني أو الثالث أو كلاهما في بعض الابواب من الكتاب (أولها) أى أول الفصول في هذا الكتاب بدل قول البغوى في المصاييح من الصحاح (ما أخرجه) أى أوردته أو أخرجه من بين الاحاديث (الشيخان) أى بزعم صاحب المصاييح لما سياتى من قوله وان عثرت على اختلاف الفصلين أو المراد في الغالب والناذر كالمعدوم (أو أحدهما) أى أحد الشيخين بزعمه أيضا وهما البخارى ومسلم في اصطلاح المحدثين وأبو يوسف ومجد عند قههاف الحنفية والرافعي والنووي عند الشافعية (واكتفتت) وفي نسخة واكتفى وهو يحتمل المعلوم التفاتا والمجهول من العاضى والمضارع المتكلم المعروف وهو الاظهر (بهما) أى بذكرهما في التخريج (وان اشترك) وصلية لا تطلب جزاء ولا جوابا (فيه) أى في تخريجه (الغير) أى غيرهما من المحدثين والمخرجين كبقية الكتب الستة ونحوها (لعلو درجتها) أى على سائر المخرجين مع الفرق بينهما (في الرواية) متعلق بالعلو أى في شرائط اسنادها والتزام صحتها ما لم يلتزمه غيرهما من المحدثين وان كان غيرهما أعلى مرتبة منهما في علو الاسناد فان البخارى أخذ عن أحمد بن حنبل وهو أخذ عن الشافعي وهو عن مالك ولذا قال بشر الحافي ان من زينق الدنيا أن يقول الرجل حدثنا مالك كذا وهذا يحتمل أن يكون مدحالا لاسناد بمقتضى العلم الظاهر ويحتمل ذم ابناء على التصوف الذى ميناه على علم الباطن كما قال بعضهم حدثنا باب من ابواب الدنيا ولكنه محمول على ما اذا كان قصده السمعة وغرضه الرياء ثم اعلم أن الائمة قد اختلفوا في شرطهما الذى التزامه فانه لم يصرح واحد منهما به في كتابه والظاهر ما قاله أبو عبدالله الحاكم وصاحبه البيهقي ان شرطهما أن يكون للصحابي المشهور بالرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم راويان فاكثر ثم

و ثانيها ما أورده غيرهما من الائمة المذكورين وثالثها ما اشتمل على معنى الباب من ملحقات مناسبة مع مجازة على الشريطة وان كان مأثورا عن السلف والخلف

يكون للتابعي المشهور راويان ثقتان ثم يرويه عنه من أتباع التابعين الحافظ المتقن المشهور وله رواية ثقات من الطبقة الرابعة ثم يكون شيخ البخاري أو مسلم حافظا متقنا مشهورا بالعدالة في روايته وله رواية ثم يتداوله أهل الحديث بالقبول الى وقتنا هذا كالشهادة على الشهادة وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو وإن انتقص في بعض الصحابة الذين أخرجوا لهم فهو معتبر فيمن بعد هم فليس في كتابيهما حديث أصلا من رواية من ليس له الا راو واحد فقط اه قيل والحاكم موافق على استثناء الصحابة فكانه رجع عن الاول ثم المراد بقوله في مستدركه على شرطهما أو شرط أحدهما عند النووي وابن دقيق العيد والذهبي كابن الصلاح أن يكون رجال ذلك الاسناد باعياثهم في كتابيهما أو كتاب أحدهما والا قال صحيح فحسب ومخالفته لذلك في بعض المواضع تحمل على الذهول هذا وقال السيد جمال الدين لو لم يكتف المصنف بهما وذكر في كل حديث غيرهما ممن رواه كان أولى وأنسب وأحرى وأصوب لأن الحديث وان كان في أصل الصحة لا يحتاج الى غيرهما لكن في الترجيح لا يستغنى عن ذكر غيرهما لأن الحديث الذي رواه الستة مثلا لاشك في ترجيحه على الذي رواه الشيخان أو أحدهما ولم يخرج غيرهما (وثانيها) أي ثاني الفصول وهو المعبر عنه في المصايح بقوله من الحسان (ما أورده غيرهما من الائمة المذكورين) وهم أبو داود والترمذي والنسائي والدارمي وابن ماجه فان أحاديث المصايح لا تتجاوز عن كتب الائمة السبعة وأكثرها صحاح (و ثالثها) وهو المعبر عنه بالفصل الثالث (ما اشتمل على معنى الباب) أي على معنى عقد له الباب ولم يذكره البغوي في الكتاب (من ملحقات) بفتح الحاء ومن بيانية لما اشتمل (مناسبة) بكسر السين أي مشاكلة وهي صفة ملحقات والمراد بها زيادات الحقها صاحب المشكاة على وجه المناسبة بكل كتاب و باب غالباً لزيادة الفائدة وعموم الفائدة (مع محافظة على الشريطة) أي من اضافة الحديث الى الراوي من الصحابة والتابعين ونسبته الى مخرجه من الائمة المذكورين ولما كان صاحب المصايح ملتزماً للاحاديث المرفوعة في كتابه في انفصلين ولم يلتزم المصنف ذلك نيه عليه بقوله (وان كان) أي الشتمل (مأثورا) أي منقولاً ومروياً (عن السلف) أي المتقدمين وهم الصحابة (والخلف) أي المتأخرين وهم التابعون واعلم أن تقديم السلف على الخلف ثابت في جميع النسخ المصححة وكأنه وقع في أصل ابن حجر سهو من تقديم الخلف على السلف واعتمد عليه ولتوجيهه تكلف وقال الخلف هم من بعد القرون الثلاثة الاولى التي أشار صلى الله عليه وسلم اليها بقوله خير القرون قرفى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد فهم مع أن رتبهم التأخير كما صرح به هذا الحديث لان تقديمهم أنسب بالغاية المذكورة لانه اذا أتى بالمأثور عنهم فما عن السلف أولى اه ولا يخفى ان هذا لا يصلح أن يكون سبباً لتقديم الخلف على السلف نعم لو اقتصر على ذكر الخلف ونقل في كتابه عن السلف لكان يوجه بهذا التوجيه ثم قال والسلف وهم أهل القرون الثلاثة الذين هم خير الامة بشهادة نبهم صلى الله عليه وسلم وزعم ابن عبدالبراهن قد يكون في الخلف من هو أفضل من الصحابة مما تفرد به والاحاديث التي استدل بها ضعيفة أو محمولة على ان لهم مزية من حيث قوة الايمان بالغيب والصبر على مر الحق في زمن الجور الصرف والمفضل قد توجد فيه مزية بل مزايا لا توجد في الفاضل ومن ثمة قيل لابن المبارك أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبدالعزيز فقال الغبار الذي دخل في أنف

أنك ان قدت حديثا في باب فذلك عن تكرير أسقطه وان وجدت آخر بعضه متروكا على اختصاره
أو مضموما إليه تمامه فمن داعي اهتمام أتركه وألحقه وان عثرت على اختلاف في الفصلين

فرس معاوية مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من مثل عمر بن عبدالعزيز كذا . كذا مرة اه ولا يخفى
أن ابن عبد البر ما أراد الا هذا المعنى بهذه العيشية بعينها وهي ان الخلف قد يوجد فيهم الكلمات
العلمية والرياضات العملية والحقائق الانسية والدقائق القدسية وحالات من الكرامات وخوارق
العادات بحيث انهم يكونون أفضل من بعض السلف من ليس له ذلك كأعرابي رأى النبي صلى الله عليه
وسلم من بعد فانه لا يقال في حقه انه من جميع الوجوه أفضل من جميع الخلف من الائمة المجتهدين و
الشايع المعبرين و أما فضيلة نسبة الصحبة فلا ينكر مؤمن شرفيا فانه بمنزلة الاكسير في عظم التأثير
ثم تفسير السلف والخلف على ما شرحه وان كان صحيحا في نفس الامر ولكن لا يلائم كلام المصنف
فانه ما يروى في كتابه الا عن الصحابة والتابعين ويدل عليه أسماء رجاله المحصورين في ذكر الصحابة
والتابعين فاذا فسر السلف بهم فلا يبقى لذكر الخلف معنى وهذا خلف (ثم) أي بعد ما ذكرت
لك اني التزمت متابعة صاحب المصاييح في كل باب (انك) أي أيها الناظر في كتابي هذا (ان
قدت) أي من محله (حديثا) أي من أصله الذي هو المصاييح (في باب) مثلا أو في كتاب
أيضا والمعنى ما وجدته بالكية لللايشكل بنقله من باب الى باب كما فعله في مواضع من الكتاب
(فذلك) أي الفقد وعدم الوجود ليس صادرا عن طعن أو سهو بل صدر (عن تكرير) أي عن
وقوع تكرار وقع في المصاييح (أسقطه) أي أحذف ذلك الحديث لتكريره وأذكره في موضع آخر
بعينه من غير تفسيره اذ لداعي الى اتبانه بعد ظهوره وبيانه (وان وجدت آخر) أي صادفت حديثا آخر
(بعضه) بالنصب بدل بعض من كل أي حال كونه (متروكا) أي بعضه حال كونه جاريا أو بناء
(على اختصاره) يعني اختصار محي السنة ويؤيده قوله فيما بعد أتركه وألحقه و يحتمل عود الضمير
الى الحديث ويؤيده قوله (أو مضموما إليه تمامه) كذا ذكره شيخ مشايخنا مير كشاه واقصر
الطبي على الاول وتبعه ابن حجر والظاهر الثاني كما أفاده السيد جمال الدين بأنه حينئذ يكون الكلام
على نسق واحد و أما على الاول فيحصل تفكيك الضمير وهو غير ملائم ثم المعنى أو وجدت حديثا
آخر مضموما إليه تمامه الذي أسقطه البغوي أو أتى به في محل آخر (فمن داعي اهتمام) الفاء
جزائية أي فذلك الترك والضم لم يقع اتفاقا وانما صدر ونشأ عن موجب اهتمام وقيل عن بمعنى
اللام أي فهو لاجل باعث اهتمام اقتضى اني (أتركه) أي على اختصاره في الاول (وألحقه) الواو
بمعنى أو كما في نسخة أي وألحقه في الثاني لفوات الداعي والسبب الى اختصاره فهو نشر مراتب
قال الفاضل الطيبي وذلك بان تلك الرواية كانت مختصرة ع. حديث طويل جدا فأتركه اختصارا أو
كان حديثا يشتمل على معان جمة يقتضي كل باب معنى من معانيه وأورد الشيخ كلا في بابه فافتقنا اثره
في الأيراد وما لم يكن على هذين الوضحين أنعمنا غالبا اه قال السيد جمال الدين كذا قرره الشارح و
حرره وأسند الاختصار والاهتمام بصيغة المتكلم مع الغير من غير أن ينقل هذا الكلام من المؤلف و
هذا الامر من الشارح يحتمل أن يحمل على سماعه من المصنف و يحتمل أن يكون مراد الشارح أن
هذا مقصود الماتن والله أعلم (وان عثرت) بتثنية المثلية والفتح أولى أي اطلعت أيها الناظر
في كتابي هذا (على اختلاف) أي بيني وبين صاحب المصاييح (في الفصلين) أي الاولين و بيان

من ذكر غير الشيخين في الاول و ذكرهما في الثاني فاعلم اني بعد تتبعي كتابي الجمع بين الصحيحين للحمدي و جامع الاصول اعتمدت على صحيحي الشيخين و متنبهما و ان رأيت اختلافا في نفس الحديث فذلك من تشعب طرق الاحاديث و لعلي ما اطلعت على تلك الرواية التي سلكها الشيخ رضي الله عنه و قليلا ما تجد أقول ما وجدت هذه الرواية في كتب الاصول أو وجدت خلافها فيها فاذا وقتت عليه فانسب القصور الى لفة الدراية لا الى جناب الشيخ

الاختلاف قوله (من ذكر غير الشيخين) أي من المخرجين (في الاول) أي في الحديث المذكور في الفصل الاول (و ذكر هنا) أي أو من ذكر لمشيخين (في الثاني) أي من الفصلين بان يسند بعض الاحاديث فيه اليهما أو الى أحد هما (فاعلم) جزاء الشرط أي ان اطلعت على ما ذكر فاعلم أنه ما صدر عن سهوا أو غفلة فلا تظن هذا واعلم (اني بعد تتبعي) أي تفحصي و تجسسي (كتابي الجمع) تثنية مضاف أي كتابين أحد هما الجمع (بين الصحيحين) أي بين كتابي البخاري و مسلم المسمين بالصحيحين (للحمدي) متعلق بالجمع و هو بالتصغير نسبة لجدّه الأعلى حميد العافظ أبي عبدالله محمد ابن أبي نصر الاندلسي القرطبي و هو امام عالم كبير مشهور ورد بغداد و سمع أصحاب الدارقطني و غير هم و مات بها سنة ثمانين و أربعمائة (و جامع الاصول) بالجر عطفًا على الجمع أي و الآخر جامع الاصول أي الكتب الستة للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري الشهير بابن الأثير و له أيضا مناقب الاخيار و كتاب النهاية في غريب الحديث كان عالما محدثًا لغويًا و كان بالجزيرة و انتقل الى الموصل و مات بها عام ست و ستمائة (اعتمدت على صحيحي الشيخين و متنبهما) عطف بيان و انما لم يكف بهما لانه ربما يحتمل أن يتوهم أن تتبعه و استقرئه غير تام فاذا وافق الحمدي صاحب جامع الاصول يصير الظن قويا بصحة استقرائه للموافقة و لو اكتفى بتتبع الجمع بين الصحيحين و جامع الاصول لاحتمل وقوع القصور في استقرائهما فيعد اتفاق الاربعة يمكن الحكم بالجزم على سهو البغوي (و ان رأيت) أي أبصرت أو عرفت أيها الناظر في المشكاة و أصلها مع أصولهما (اختلافا في نفس الحديث) أي في متنه لا اسناده بان يكون لفظ الحديث في المشكاة مخالفا لفظ المصايح (فذلك) أي الاختلاف ناشئ (من تشعب طرق الاحاديث) أي من اختلاف أسانيدھا و روايتها حتى عند المؤلف الواحد اذ كثيرا ما يقع للشيخين أو أحدهما أو لغيرهما سوق الحديث الواحد من عدة طرق بالفاظ متباينة مختلفة المعاني تارة و مؤلفتها اخرى (ولعلي) للاشفاق أي اذا وجدتني آثرت لفظ حديث على الذي رواه البغوي في المصايح لعلي (ما اطلعت) أي ما وقتت (على تلك الرواية التي سلكها الشيخ) أي اطلقها و أوردھا في مصايحه (رضي الله عنه) اذ هو امام كبير و اطلاعه كثير فأخذ بها و أتى باللفظ الذي اطلعت عليه (و قليلا ما تجد) زيادة ما لتأكيد الفلة و نصب قليلا على المصدرية لقوله (أقول) أي و تجدني أقول قولًا قليلا ما أي في غاية من الفلة و المقول قوله (ما وجدت هذه الرواية) أي مثلا (في كتب الاصول) أي اصول الحديث من الكتب المبسطة التي هي اصول السبعة عند الشيخ أو مطلق الاصول و لا يبعد أن ينصب قليلا على الظرفية (أو وجدت) من جملة المقول و أو للتبويب (خلافها فيها) أي خلاف هذه الرواية في الاصول (فاذا وقتت عليه) الضمير راجع الى المصدر المفهوم من قوله أقول أي اذا اطلعت على قولي بمعنى مقولي (هذا فانسب) بضم السين أي مع هذا (القصور) أي التصغير في التبع (الى لفة الدراية) أي درائتي و تتبع روايتي (لا) أي لا تسب القصور (الى جناب الشيخ) أي الى جانبه و ساحة بابه لانه كان من الامة الحفاظ المتقين

رفع الله قدره في الدارين حاشا لله من ذلك رحم الله من اذا وقف على ذلك نبهنا عليه و أرشدنا لطريق الصواب و لم آل جهدا

و العلماء الكاملين الراسخين هذا ما ظهر لي من معنى الكلام في هذا المقام و قال ابن حجر فاذا وقفت أي فاذا حذف لفظا و أتيت بغيره حسبما اطلمت عليه و وقفت أنت عليه أي على ذلك اللفظ في الأصول فانسب الى آخره و أنا أقول أيضا فانسب القصور الى لا الى الشيخ (رفع الله قدره) جملة دعائية (في الدارين) أي في الدنيا بالهام الناس الترضى و الترحم عليه وفي العقبى باعطائه معالم القرب لدينه (حاشا) باثبات الالف (الله) أي تنزيها له (من ذلك) أي من نسبة القصور الى الشيخ و هذا غاية من المؤلف في تعظيمه و نهاية أدب منه في تكريمه و هو حقيق بذلك و زيادة فان له حق الافادة و نسبة الله الى ابن حجر حاشا حرف جر وضعت موضع التنزيه و البراءة و في معنى اللبیب الصحيح ان حاشا اسم مرادف للتنزيه من كذا و زعم بعضهم انه اسم فعل معناه التبري و البراءة و قال الشيخ ابن حجر العسقلاني هو تنزيه و استثناء و قيل معناه معاذ الله و قيل انه فعل قال السيد جمال الدين قيل الصحيح أنه اسم مرادف للتنزيه بدليل أنه قرئ حاش لله في سورة يوسف بالتثنية و هو لا يدخل على الفعل و الحرف و قرئ أيضا حاش الله بالاضافة و هي من علامات الاسم و حينئذ قوله لله لبيان المنزه و المبرأ كأنه قال براءة و تنزيه ثم قال لله بيانا للمبرأ و المنزه فلامه كاللام في سقياك فعلى هذا يقال معنى عبارة المشكاة ان الشيخ مبرأ و منزه عن قلة الدراية ثم أتى لبيان المنزه و المبرأ بقوله لله و كان الظاهر أن يقول الله بلا لام و كأنها لافادة معنى الاختصاص فكاذه يقول تنزيهه مخصص لله تعالى وله أن ينزّهه و ليس لغيره ذلك و فيه غاية التعظيم لما هنالك و يحتمل أن يكون التقدير و أقول في حقه التنزيه لله لا لامر آخر و قيل حاشا فعل و فسر الآية بان معناها جانب يوسف الفاحشة لاجل الله و على هذا يرجع عبارة المشكاة بانه جانب الشيخ ذلك القصور لاجل الله لا لغرض آخر أو قولنا في حقه حاشا انما هو لله لا لامر آخر و قيل انه اسم فعل بمعنى أنزه أو تبرأت و اللام علة و قيل انه حرف و هو في هذا المقام ضعيف لان كونه حرفا بمعنى الاستثناء و هو غير مستقيم هنا و لام لله أيضا يأتي عن الحرفية لان الحرف لا يدخل على الحرف و الله أعلم (رحم الله) جملة دعائية كقول عمر رضي الله عنه رحم الله امرأ أهدى الى بيوب نفسى أى اللهم ارحم (من اذا وقف على ذلك) أى على ما ذكر من الرواية التي أوردها الشيخ و لم أجد ها في الأصول (نبهنا عليه و أرشدنا) فيه تجريد و المعنى هادنا (طريق الصواب) أى اليه بنسبة الرواية و تصحيحها الى الباب و الكتاب و هو اما محمول على الحقيقة بالمشافهة حال الحياة أو على المجاز بكتابة حاشية أو شرح بعد الممات اذ التصنيف لا يغير و الالم يوجد كتاب يعتبر (و لم آل) بعد الهمة و ضم اللام من ألا في الامر اذا قصر أى لم أترك (جهدا) أى سعيا و اجتهادا و هو بضم الجيم و تنجده أى المشقة و الطاقة و قيل بالضم الطاقة و بالفتح المشقة قال بعض السراخ معناه لم أستعك جهدا و كأنه حمله عليه ما وجد في كلام العرب لا ألوك نصعا و قرر تركيب العبارة على حذف المفعول الاول و استعمال ألو بمعنى أسع اما تجوزا و اما تضمينا و يلزم منه التقصير و الحال أن المعنى على اللزوم صحيح بان جهدا يكون تمييزا أو حالا بمعنى مجتهدا أو متصوبا بنزع الخافض أى في الاجتهاد و على تقدير ان يكون متديا الى مفعولين يمكن أن يضمن الترك فيكون متديا الى مفعول واحد هذا حاصل كلام السيد جمال الدين و قال البيضاوي في قوله تعالى لا يألونكم خبالا أى لا يقصرون لكم في الفساد و الالو التقصير و أصله ان يمدى بالحرف ثم عدى الى مفعولين كقولهم

في التنقيح والتفتيش بقدر الوسع والطاقة و نقلت ذلك الاختلاف كما وجدت وما أشار اليه رضى الله عنه من غريب أو ضعيف أو غيرهما بيئت وجهه غالباً

لألوك نصحا على تضمن معنى المنع والنقص وقال أبو البقاء يالو يتعدى الى مفعول واحد وخبالا تمييز أو منصوب بنزع الخائض ويجوز أن يكون مصدرا في موضع الحال والظاهر ما حققه القاضي أنه في أصله لازم ففي عبارة المشكاة أما يضمن معنى الترك فيكون جهدا مفعولا به أو يبقى على معناه الأصلي وينصب جهدا على أحد الاحتمالات الثلاث والمعنى لم أقصر لكم أوته (في التنقيح) أى في البحث والطاقة) أى بمقدار وسعى وطاقتي في التفتيش ولا يكلف الله نفسا الا وسعها والطاقة عطف بيان ويراد الالفاظ المترادفة في الديباجات والخطب متعارف عند الفصحاء غير معاييب عند اللغاة (و نقلت ذلك الاختلاف) أى المختلف فيه (كما وجدت) أى كما رأيته في الأصول ولا اكتفيت بتقليد الشيخ ولو كان هو من اجلاء أرباب النقول وقال ابن حجر أى ومن ثمة نقلت ذلك الاختلاف كما وجدته في الأصول من غير ان أتصرف فيه بتغيير أو بتعديل حتى أنسب كلا الى مخرجه باللفظ والمعنى لا المعنى فحسب لوقوع الخلاف المشهور في جواز رواية الحديث بالمعنى وهو وان جاز على الأصح للعارف بمدلولات الالفاظ ومعانيها لكن التنزه عنها أولى خروجها من الخلاف اه فقد يرتب لك الظاهر في حمل العبارة عليه وان كان في أصل الكلام منه لامناقشة لنا لديه مع ان التجويز المذكور والاختلاف المسطور انما هو في نقل الراوى الحديث من شيخه اما مطلقا أو حال كونه ناسيا على المعتمد واما نقل حديث من كتاب كالبخارى وغيره واسناده اليه من غير أن يبين انه نقل بالمعنى فلا يجوز اجماعا والله أعلم (وما أشار اليه) أى الشيخ محيي السنة صريحا أو كناية (رضى الله عنه) جملة دعائية معتزة بين المبين والمبين وهو قوله (من غريب) أى حديث غريب وهو ما تفرد به الراوى عن سائر روايته ولم يشرك معه أحدا في روايته عن الراوى عنه (أو ضعيف) وهو ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح والحسن بأن يكون في أحد روايته قدح أو تهمة (أو غيرهما) اعتبارا للاحقيقة اذ ما عدا الصحيح والحسن داخل تحت أنواع الضعيف والمراد بغيرهما نحو منكر وهو ما رده قطعي أو رواه ضعيف مخالف لثقة أو شاذ وهو ما خالف الثقة من هو أوثق منه أو معلل وهو ما فيه علة خفية غامضة فادحة لم يدركها الا الحدائق و اعلم أن معرفة أنواع الحديث وبيان حدودها وما يتعلق بها من قبودها يحتاج الى بسط في الكلام ليس هذا موضع ايرادها وقد أوردنا في شرح النخبة ما يستفيد بذكره المبتدئ ولا يستغنى عن تذكره المنتهى (بيئت وجهه) أى وجه غرابته أو ضعفه أو لكارته (غالباً) أى في أكثر المواضع ولعل ترك التبيين في بعض مواضع لعدم العلم به أو لاختلاف فيه أو لغيره هذا وقد قال السيد جمال الدين المتبادر الى الفهم من هذه العبارة ان أحداث الحسن من المعاصيح المعبر عنه في المشكاة بالفصل الثاني كل حديث ذكر الشيخ فيه انه غريب أو ضعيف أو منكر بمن المصنف وجهه بأن يقول أى الراوى تفرد به أو غير ثقة أو مخالف لما هو أوثق ونحوه بذكر منشته والحال انه لم يفعل ذلك بل في كل حديث ذكر محيي السنة انه ضعيف أو غريب ذكر المصنف قائله الذى هو الترمذى في غالب الاحوال من ارباب الأصول وعينه وغاية ما في الباب يشير الترمذى أحيانا الى وجه الغرابة وبيان الضيف وهذا الضيف من المصنف يقتضى انه لم يجعل محيي السنة أهلا للحكم بالضعف والصحة في الحديث فلا حرم نسبته الى من له اهلية ذلك انتهى فيكون المعنى بيئت وجهه بتسمية الحكم عليه

ومالم يشر اليه مما في الاصول فقد قفيتها في تركه الا في مواضع لغرض وربما نجد مواضع مهمة و ذلك حيث لم اطلع على روايه فتركت البياض فان عثرت عليه فالحقه به احسن الله جزاءك

بذلك الى اهله المرجوع اليهم فيه وهذا يحتمل على أن يكون تقوية للشيخ لا سلب الاهلية عنه فالعلمان خير من علم واحد بل في هذا هضم لنفس المصنف أن يكون له اهلية لذلك (ومالم يشر اليه) أي الشيخ (مما في الاصول) أي مما أشير اليه من المنقطع والموقوف والمرسل في جامع الترمذي وسنن أبي داود والبيهقي وهو كثير (فقد قفيتها) بالتشديد أي تبعته بأسيا به كذا قاله الطيبي وتبعه ابن حجر وكتب ميرك في هامش الكتاب قفولته بالواو ورقم عليه ظ إشارة الى أنه الظاهر وكتب عمه السيد جمال الدين في أول شرح المشكاة ان أصل سماعتنا وجمع النسخ المعتدلة الحاضرة صححت بتشديد الفاء من النطقه وهي تستعمل في كلام العرب بعلی والباء وقد جاء في التنزيل وقفيئا على آثارهم يعيسى بن مريم وتستعمل أيضا لعن والباء قال تعالى وقفيئا من بعده بالرسول والمعنى ههنا على التبع فكان المناسب أن يكون بتخفيف الفاء وبالواو من القفو انتهى وحاصل المناقشة أنه بالتشديد متعدد الى مفعولين بأحد الاستعمالين المذكورين وبالتخفيف والباء غير وارد وكلاهما مدفوع قاله ذكر في مختصر النهاية قفيتها واقفيته تبعته واقتديت به وفي الفاموس قفولته تبعته كقفيته واقفيته وقفيته زيدا أي أتبعته إياه و الظاهر من الآيات القرآنية ان قفى بالتشديد متعدد بنفسه الى واحد وبالباء الى اثنين ولذا قال البيضاوي في قوله تعالى وقفيئا من بعده بالرسول أي أرسلنا على أثره الرسل كقولته تعالى ثم أرسلنا رسلا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به أتبعه آياه من التقا نحو ذنبه من الذنب انتهى وعلى تقدير تسليم أنه متعدد بنفسه الى مفعولين فأمره سهل بأن يكون المعنى أتبعته نفسى إياه (في تركه) وهو يحتمل أن يكون من إضافة المصدر الى فاعله أو مفعوله أي في ترك الشيخ الحكم على الحديث بشئ أو في ترك المشار اليه بالموافقة معه في السكوت عليه (الا في مواضع) أي قليلة أينها (لغرض) قال الفاضل الطيبي وذلك ان بعض الطاعنين أفرزوا أحاديث من المصاييح ونسبوا الى الوضع ووجدت الترمذي صححها أو حسنها وغير الترمذي أيضا فينته لرفع التهمة كحديث أبي هريرة المرء على دين خليله فانهم صرحوا بوضعه وقال الترمذي في جامعه انه حسن وقال النووي في الرياض انه صحيح الاسناد ومن الغرض ان الشيخ شرط في الخطبة أنه أعرض عن ذكر المنكر وقد أتى في كتابه بكثير منه وبين في بعضها كونه منكرا وترك في بعضها فبينت انه منكرا قال السيد جمال الدين والجواب من قبل صاحب المصاييح أن يقال مراده أنه أعرض عن المنكر المجمع على نكارته والذي أوردته هو من قبيل المختلف فيه وصرح بانكار البعض لثلا يحمل على ذموله وأعرض عن بيان البعض لان الحكم بنكارته كان غير معتبر عنده (وربما) بالتشديد أشهر وللتقليل أظهر وما كانت (تجد) أي أيها الناظر في المشكاة (مواضع مهمة) أي غير مبين فيها ذكر مخرجها (وذلك) أي الاهمال وعدم التبيين (حيث لم اطلع على روايه) أي مخرجه (فتركت البياض) أي عقب الحديث دلالة على ذلك (فان عثرت عليه) أي اطلمت أيها الناظر على مخرجه (فألحقته) أي ذكر المخرج (به) أي بذلك الحديث وكتبه في موضع البياض وقال ابن حجر ألحقه بذلك البياض وفيه مسامحة لا تخفى (أحسن الله جزاءك) أي على هذا العمل والجزء مسدود بمعنى الثواب وفيه إشارة لما ورد عن أسامة مرفوعا من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء رواه الترمذي والنسائي وابن حبان هذا وقد بين بعض العلماء المواضع المهمة في حاشية

وسميت الكتاب بمشكاة المصابيح وأسأل الله التوفيق والاعانة والهداية والضيافة وتيسير ما أقصده
وان يتفنى في الحياة وبعد الممات وجميع المسلمين والمسلمات بحسبى الله ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم

الكتاب تكملة وترك البياض في أصل المصنف ليدل على ان التبيين من غير المؤلف (و سميت الكتاب
بمشكاة المصابيح) قال الطبي روعى المناسبة بين الاسم والمعنى فان المشكاة يجتمع فيها الضوء فيكون
أسد تقويًا بخلاف المكان الواسع والاحاديث اذا كانت غفلا عن سمة الرواة انتشرت و اذا قيدت بالرواي
انضبطت واستقرت في مكانها اه وتبعه ابن حجر وقال ميرك الاظهر في وجه المطابقة ان كتابه محيط
ومشتمل على ما في المصابيح من الاحاديث كما ان المشكاة محيطة ومشملة على المصباح اه ويمكن
أن يقال مراده بالمصابيح الاحاديث الواردة في كتابه مما في المشكاة محيطة ومشملة على المصباح اه ويمكن
نورانية ودلالات برهانية صدرت من مشكاة صدر الانبياء ليقندى بها أمته من العلماء والاولياء في
بيداء الضلالة وصحراء الجهالة وبهذا المعنى ورد أصحابي كنجوم يلمهم بألهم اقتديتم اهتديتم وشبهه
كتابته من حيث انه جامع لها وماغ من تفرقها بالمسكة وهى الكوة الغير النافذة ويحتمل أن يقال
فيه معنى التورية وهى أن يؤق بكامة لها معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد ويكون المراد البعيد
(وأسأل الله التوفيق) أى جعل أمور المرید على وفق المراد وهو في عرف العلماء خلق قدرة العبد
في الطاعة والعبادة (والاعانة) أى في الدين والدنيا والآخرة أو على ما صدرت. (والهداية) أى
الدلالة على ما أردت أو أثبت الهداية من البداية الى النهاية (والضيافة) أى العطف والحماية من
العقائد الدنية والاحوال الرديئة أو العصمة عن الخطئ والزلل أو عما يعنى اتمام الكتاب من
الموانع والعلل (وتيسير ما أقصده) بكسر الصاد أى تسهيل ما أريده من التحرير والتفتيش والتفتير
(وأن يتفنى) أى الله بهذا الكتاب وغيره وفي نسخة به أى علما وعملا وتعلما وجوز أن
يرجع ضمير يتفنى الى الكتاب على سبيل المجاز (فه الحياة) أى بالمباشرة (وبعد الممات)
بالسببية أو في الحياة بأن يجعله سببا لزيادة الاعمال و باعثا للترقى الى علو الاحوال وبعد الممات
بوصول أعلى الدرجات وحصول أعلى المقامات (و جميع المسلمين والمسلمات) عطف على الضمير
المنصوب في يتفنى أى وأن يتفنى بقراءته و كتابته ووقفه ونقله الى البلدان ونحو ذلك (حسبى الله)
وفي نسخة بواو العطف أى الله كافى في جمع أسورى (ونعم الوكيل) أى الموكول اليه يعنى هو
المفوض اليه والمعتمد عليه والمخصوص بالمدح محذوف هو هو (ولا حول) أى عن معصية الله
(ولا قوة) أى على طاعته (الابالله) أى بعصمته ومعونته (العزيز) أى الغالب على ما يريد
أو البديع الذى ليس كمثلته شئى (الحكيم) أى صاحب الحكم والحكمة على وجه الاقتان
والاحكام قال ابن حجر ذكر هذين الاسمين لانهما الواردان في ختم هذه الكلمة دون ما اشتهر من
ختمها بالعلی العظيم على أن في بعض نسخ الحصن الحصين للحافظ الجزرى رواية ختمها بالعلی
العظيم فنعنه رواية أخرى اه اعلم أن الرواية الصحيحة هى العزيز الحكيم على ما في سلم كما نقله
صاحب المصابيح وتبعه صاحب المشكاة وكذا هو في أصل الحصن الحصين وكتب على حاشيته
العلی العظيم ونسب الى البراز والله اعلم ولما كان ينبغي لكل مصنف كما صرح به جمع من الائمة
أن يبدأ كتابه بالهدية الاق المسما بطبيعة كتب الحديث تنبيها على تصحيح النية والاخلاص
لكل من العالم والمتمم وانه الاساس الذى ينبى عليه جميع الاحوال من العقائد والاعمال وعلى أن

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات

أول الواجبات قصد المتقصد بالنظر الموصل الى معرفة الصمد فالقصد سابق وما بقى لاحق وان طاب الحديث في حكم المهاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم فعليه أن يراعى الاخلاص ليصل الى مقام الاختصاص بدأ به المصنف اقتداء باليقوى لا تبعاً للبخارى كما قاله ابن حجر فقال (عن عمر بن الخطاب) وهو الناطق بالصواب المسمى بالفاروق على ما دل عليه الكتاب وأول من سمي بامير المؤمنين فيما بين الاصحاب (رضي الله عنه) وهو عدوى قرشي يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب ابن لؤي كناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي حفص وهو لغة الاسد ولقبه بالفاروق لفرقانه بين الحق والباطل قال القاضي في تفسيره عند قوله تعالى يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن مناقب خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الأشرف ثم اتفقا على انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال لليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق أذلك قال نعم فقال مكانك حتى أخرج اليك فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا أمضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقيل باسلامه اذ أمر المسلمين قبله كان في غاية من الخفاء وبعده على غاية من الظهور والجلاء أسلم بعد أربعين رجلا وعشرة امرأة سنة ست من النبوة وقيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة و ثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت يأيتها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين بوقع له بالخلافة بعد موت الصديق بعهدته اليه وتصد عليه سنة ثلاث عشرة من الهجرة ففتح البلاد الكبيرة والفتوح الشهيرة واستشهد على يد نصراني اسمه أبو لؤلؤة غلام مغيرة بن شعبة بالمدينة في صلاة الصبح من يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة عام ثلاث وعشرين من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين على الاصح وكانت خلافته عشر سنين ونصفا وصلى عليه صهيب روى عنه أبو بكر و باق العشرة و خاق كثير من الصحابة و التابعين أحاديثه المرفوعة خمسمائة وسبعة و ثلاثون له في الصحيحين احد و ثمانون انفرد البخارى منها بأربعة و ثلاثين و مسلم بأحد و عشرين نقش خاتمه كفى بالموت واعظا كان شديدا في أمر الله عاقلا مجتهدا صابرا محتسبا جعل الحق على لسانه و أعز الدين به واستبشر أهل السماء باسلامه وله فضائل لا تحد و شمائل لا تعد (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات) قول كلمة انما بسيطة و قيل مركبة من ان وما الكافة أو الزائدة لتأكيد وقيل مركبة من ان وما الناقية فهي عاملة بركنيتها ايجابا ونفيا فبحرف التحقيق يثبت الشئ و بحرف النفي ينفي ما عداه و ما اعترض عليه من لزوم اجتماع الضدين على شئ واحد و من أن ان وما كلاهما يقتضي الصدارة مدفوع بان هذا انما هو قبل التركيب و أما بعده فقد صار علما مفردا على افاة الحصر و تضاعيفه فيقيد بالتصريح لانه ليس الا تأكيدا للحكم على تأكيد و اتفق أهل العربية و الاصول على انها موضوعة للحصر خلافا لما نقل عن أكثر النحاة لصحة انما قام زيد في جواب هل قام عمرو كما يجب بما قام الا زيد و لورود قوله تعالى انما على رسولنا البلاغ المبين و ما على الرسول الا البلاغ و اذا تقرر أنها للحصر فثبت المذكور و تنفي الحكم عن غيره في نحو انما قام زيد أى لا عمرو أو غير الحكم عن المذكور في نحو انما زيد قائم أى لا قاعد و مما يدل له حديث انما الماء من الماء فان الصحابة الأخذين بقضيته لم يعارضهم جمهورهم

القائلون بوجوب الغسل وان لم ينزل بأن انما لا تقيد به و انما عارضوهم بأدلة أخرى كحديث اذا التقي الغتاتان وجب الغسل وقد استدلل ابن عباس لما تفرد به قيل ورجع عنه لما اشد انكار أبي سعيد الخدري عليه بغير انما الربا في النسيئة و لم تنازعه الصحابة فيه بل عارضوه في الحكم بأدلة أخرى قدل على اتفاقهم على انها للحصر فالتقدير ان الاعمال تعتبر اذا كانت نية و لا تعتبر اذا كانت بلا نية انما بمعنى ما و الا و قيل الحصر مستفاد من الجمع المعلى باللام فانه مفيد للاستغراق و هو مستلزم للحصر فالمعنى ليست الاعمال حاصلة الابالنية و لا يمكن هنا نفى نفس الاعمال لثبوتها حسا و صورة من غير اقتران النية بها فلا بد من اضمار شئ يتوجه اليه النفي و يتعلق به الجار فقيل التقدير صحيحة أو تصح كما هو رأى الشافعي و أتباعه و قيل كاملة أو تكمل على رأى أبي حنيفة و أصحابه و الاظهر أن المقدر معتبرة أو تعتبر ليشمل الاعمال كلها سواء كانت عبادات مستتلات كالصلاة و الزكاة فان النية تعتبر لصحتها اجماعا أو شروطا في الطاعات كالطهارة و ستر العورة فانها تعتبر لحصول ثوابها اتفاقا لعدم توقف الشروط على النية في الصحة خلافا للشافعي في الطهارة فعليه بيان الفرق أو أمورا مباحة فانها قد تنقلب بالنيات حسنا كما انها قد تنقلب سيئا بلا خلاف غاية ما في الباب ان متعلق الصحة و الكمال يعرف من الخارج و لا محذور فيه و يدل على ما قلنا ان الاعمال جمع معلى باللام فيستغرق كل عمل سواء أكان من العبادات أو غيرها و يشمل المتروكات أيضا فانه لا ثواب في ترك الزنا و الغصب و نحوهما الابالنية و ان كانت صحيحة بدونها و كان هذا ملحظ من قال المراد أعمال المكلفين و يؤيده ما قال ابن دقيق العيد و لا تردد عندي أن الحديث يشمل الاقوال ثم الباء للاستعانة و قيل للمصاحبة ليعلم منه وجوب المقارنة لكنها تشتر بوجوب استحبابها الى آخر العمل لانه الظاهر من المعية و لا قائل به نعم يشترط اتفاقا استحبابها مع العمل حكما بان لا يشئ منافيا و أيضا تشير الى عدم جواز تعدد ما على العمل و هو متقوض بنية الزكاة فانها جائزة عند افراد مال الزكاة و بنية الصوم في الليل فانها أفضل بلا خلاف فالاولى هي الاولى و اوقات النيات في العبادات مختلفة محل بسطها الكتب الفقهية و النية بتشديد الباء و قد تخفف لغة القصد و شرعا توجه القلب نحو الفعل ابتغاء لوجه الله و القصد بها تمييز العبادة عن العادة فان قيل النية عمل من أعمال القلب فيحتاج الى النية و يتسلسل اوجب بان المراد أعمال الجوارح بدلالة العقل و بدليل الخبر المعتبر نية المؤمن خير من عمله و بدليل ان في العرف لا يطلق العمل على فعل الناي و هو فيه ان سائر أعمال القلوب لا تعتبر شرعا الابالنية و ان معنى الحديث عمل النية خير من عمل الجارحة لوجوه ذكرها العجزة في الاحياء و أنه لا عبرة بالعرف مع أنه يختلف فالأظهر في الجواب استثناء النية و كذا الامور الاعتقادية للدلالة العقلية ثم لا يخفى أن النية باللسان مع غفلة الجنان غير معتبرة لما ورد من ان الله لا ينظر الى صوركم و لا الى أموالكم و لكن ينظر الى قلوبكم و أعمالكم و في رواية و لكن ينظر الى قلوبكم و نياتكم فلو نوى الظهور بقلبه في وقته و تلفظ بنية العصر لا يضره بخلاف العكس و هذا معنى قولهم و لا معتبر باللسان و اختلفوا في التلفظ بما يدل على النية بعد اتفاقهم أن الجهر بالنية غير مشروع سواء يكون اماما أو مأموما أو منفردا فالأكثر على أن الجمع بينهما مستحب ليسهل تعقل معنى النية و استحضارها قال صاحب الهداية و يحسن لاجتماع عزيمته قال المحقق الامام ابن الهمام قال بعض الحفاظ لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق صحيح و لا ضيف أنه كان عليه الصلاة والسلام يقول عند الافتتاح أصلى كذا و لا عن أحد من الصحابة و التابعين بل المنقول انه كان عليه الصلاة والسلام اذا قام الى الصلاة كبر و هذه بدعة اه قال و قد يفهم من قول المصنف لاجتماع عزيمته أنه لا يحسن لغير هذا القصد و هذا لان الانسان قد يغلب عليه تفرق خاطره فاذا

ذكر بلسانه كان عوناً على جمعه ثم رأيت في التجنيس قال والنية بالقلب لانه عمله والتكلم لا معتبر به ومن اختاره اختاره لتجتمع عزمته اه كلامه وقيل لا يجوز التلفظ بالنية فانه بدعة والمتابعة كما تكون في الفعل تكون في الترك أيضاً فمن اطب على فعل لم يفعله الشارع فهو مبتدع وقد يقال تسلم أنها بدعة لكنها مستحسنة استجبها المشايخ للاستعانة على استحضار النية لمن احتاج اليها وهو عليه الصلاة والسلام وأصحابه لما كانوا في مقام الجمع والحضور لم يكونوا محتاجين الى الاستحضار المذكور وقيل التلفظ شرط لصحة الصلاة ونسبوه الى الغلط والخطأ ومخالفة الاجماع لكن له محل عندنا مختص بمن ابتلى بالوسوسة في تحصيل النية وعجز عن أدائها فانه قيل في حقه اذا تلفظ بالنية سقط عنه الشرط دفعا للحرج وأغرب ابن حجر وقال انه عليه الصلاة والسلام نطق بالنية في الحج فقسنا عليه سائر العبادات قلنا له ثبت العرش ثم انقش من جملة الوردات فانه ما ورد نويت الحج وانما ورد اللهم اني أريد الحج الخ وهو دعاء واخبار لا يقوم مقام النية الالبعلة انشاء وهو يتوقف على العقد والقصد الانشائي غير معلوم فمع الاحتمال لا يصح الاستدلال ومع عدم صحته جعله مقيسا عليه محال ثم قال وعدم وروده لا يدل على عدم وقوعه قلنا هذا مردود بان الاصل عدم وقوعه حتى يوجد دليل وروده وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قام الى الصلاة فكبر فلونطق بشئ آخر لتقلوه وورد في حديث المسئي صلاته انه قال له اذا قمت الى الصلاة فكبر فدل على عدم وجود التلفظ وذكر أبو داود أنه قال قلت للبخاري هل تقول شيئا قبل التكبير فقال لا انتهى وبما ذكرناه يتبين فساد بقية كلام ابن حجر من قوله وايضا فهو عليه الصلاة والسلام لا يأتي الا بالاكمل وهو أفضل من تركه اجماعا والنقل الضروري حاصل بانه لم يواظب على تركه الا افضل طول عمره ثبت انه أتى في نحو الوضوء والصلاة بالنية مع النطق ولم يثبت انه تركه والشك لا يعارض اليقين اه وقد علمت أن الأفضل المكمل عدم النطق بالنية مع أن دعوى الاجماع غير صحيحة فان المالكية قالوا بكراهته والتحليلية نصوا على أنه بدعة غير مستحب وان أراد به الاتفاق بين الشافعية والحنفية فليس على الاطلاق بل محله ان احتاج اليه بالاستعانة عليه وقد ثبت تركه عند الحفاظ المحدثين بلاريب قوله والشك لا يعارض اليقين مجازفة عظيمة من أعجب العجائب الذي يتحير فيه أولو الالباب حيث جعل الوهم يقينا وثبوت الحفاظ ريبا لا يقال الميث مقدم على الناق لانا نقول محله اذا تعارض دليلان أحدهما على النفي والآخر على الاثبات والخصم هنا سواء جعلناه مثبتا أو ناقيا ليس معه دليل ودليلنا على النفي ثابت بنقل المحدثين المؤيد بالاصل الذي هو عدم الوقوع فتأمل فانه موضع زلل ومحل خطل ثم رأيت ابن القيم ذكر في زاد المعاد في هدى خير العباد وهذا لفظه كان عليه الصلاة والسلام اذا قام الى الصلاة قال الله أكبر ولم يقل شيئا قبلها ولا تلفظ بالنية ولا قال أصلي لله صلاة كذا مستقبل القبلة أربع ركعات اماما أو ساموا ولا قال اداء ولا قضاء ولا فرض الوقت وهذه عشر بدع لم ينقل عنه عليه الصلاة والسلام أحد قط باسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة واحدة منها ألينة بل ولا عن أحد من الصحابة ولا استحبه أحد من التابعين ولا الائمة الاربعة وانما غر بعض المتأخرين قول الشافعي في الصلاة انها ليست كالصيام لا يدخل فيها أحد الا يذكر فظن أن الذكر تلفظ المصلي بالنية وأن مراد الشافعي بالذكر تكبيره الاحرام ليس الا وكيف يستحب الشافعي أمر الم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة واحدة ولا أحد من خلفائه وأصحابه وهذا هديهم وسيرتهم فان أوجدنا أحد حرفا واحدا عنهم في ذلك قبلناه وقابلناه بالقبول والتسليم ولا هدى أكمل من هديهم ولا سنة الا ما تلقوه عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم اه وصرح السيد جمال الدين المحدث بنفي رواية التلفظ بالنية عن المحدثين

وكذا ذكره الفيروز آبادي صاحب القاموس في كتابه المسمى بالصراف المستقيم وقال القسطلاني في المواهب وبالجملة فلم ينقل أحد أنه عليه الصلاة والسلام تلتظ بالنية ولا أعلم أحدا من أصحابه التلظظ بها ولا أثره على ذلك بل المنقول عنه في السنن انه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم نعم اختلف العلماء في التلظظ بها فقال قائلون هو بدعة لأنه لم ينقل فعله وقال آخرون هو مستحب لأنه عون على استحضار النية القلبية وعبادة للسان كما أنها عبودية للقلب والأفعال المنوية عبادة الجوارح وبنحو ذلك أجاب الشيخ تقي الدين السبكي والحافظ عماد الدين ابن كثير والطب ابن القيم في الهدى في رد الاستحباب وأكثر من الاستدلال بما في ذكره طول يخرجنا عن المقصود لاسيما والذي استقر عليه أصحابنا استحباب النطق بها وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين من حديث أنس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا يقول لبيك عمرة وحجة وهذا تصریح باللفظ والحكم كما يثبت بالنص يثبت بالقياس لكنه تعقب هذا بأنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك في ابتداء احرامه تعليما للصحابة ما يهلون به ويقصدونه من النسك ولقد صلى عليه الصلاة والسلام ثلاثين ألف صلاة فلم ينقل عنه انه قال نويت أصلي صلاة كذا وكذا وتركه سنة كما أن فعله سنة فليس لنا أن نسوي بين ما فعله وتركه فنأتى من القول في الموضوع الذي تركه ينظير ما أتى به في الموضوع الذي فعله والفرق بين الحج والصلاة أظهر من أن يقاس أحدهما بالآخر ثم اللام في النيات عوض عن المضاف إليه أي انما الاعمال بنياتها أو الحديث من باب مقابلة الجمع بالجمع على حد ركب القوم دوابهم قال ابن الهمام هذا حديث مشهور متفق على صحته وأما ألفاظه فانما الاعمال بالنيات وبالنية والاعمال بالنية والعمل بالنية كلها في الصحيح وأما الاعمال بالنيات كما في الكتاب يعني الهداية فقال النووي في كتابه بستان العارفين ولم يكمله نقلًا عن الحافظ أبي موسى الإصفياني انه لا يصح اسناده واقره ونظر بعضهم فيه اذ قد رواه كذلك ابن جبان في صحيحه والحاكم في أربعينته ثم حكم بصحته قلت وهو رواية عن امام المذهب في مسند أبي حنيفة رحمه الله رواه عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم التيمي عن علقمة عن أبي وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات الحديث ورواه ابن الجارود في المنتقى ان الاعمال بالنيات وان لكل امرئ ما نوى اه وروى عن الشافعي في فضل هذا الحديث أنه يدخل فيه نصف العلم وجهه أن النية عبودية للقلب والعمل عبودية للقلب أو ان الدين اما ظاهر وهو العمل أو باطن وهو النية فهو كقولہ عليه الصلاة والسلام تعلموا الفرائض فانها نصف العلم لتعلقها بالموت المقابل للحياة وروى عنه ما يدل على انه ربع العلم كما قال

عمدة الخير عندنا كلمات * أربع قالهن خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ما * ليس يعينك واعمل بنية

إشارة الى الاحاديث الاربعة فكانه اعتبر اتقاء السيئات والزهد في المباحات وترك الفضولات والعمل بالنيات في جميع الحالات وروى عنه وعن أحمد انه ثلث الاسلام أو ثلث العلم وجهه البيهقي بان كسب العبد اما بقلبه كالنية أو بلسانه أو ببقية جوارحه والاول أحد الثلاثة بل أرجحها لأنه عبادة بانفرادها وهذا وجه خبر نية المؤمن خير من عمله وفي رواية أبليغ وفي أخرى زيادة ان الله عزوجل ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله وذلك ان النية لارياها فيها والعمل بخلافه الرياء وله طرق ضعيفة يتقوى بمجموعها ولا يعارضه حديث من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له واحدة ومن عملها كتبت له عشرة الموهم أن العمل خير منها لان كتابة العشر ليست على العمل وحده بل معها لانها

شرط لصحته وهو ليس شرطا لصحتها ولهذا يثاب على النية المجردة فانقلب هذا الحديث دليلا على خيريتها وظهر فساد ما قيل المراد ان النية خير من العمل بلانية لامعها لتلازم أن الشئ خير من نفسه مع غيره والعجب من ابن حجر حيث ذكر هذا القيل وقرره بالتعليل وأما قوله ومن خيريتها على العمل أنها تقتضى التخليد في الجنة أو النار اذ المؤمن ناو الايمان دائما والكافر ناو الكفر دائما فتقويل التأييد بالتأييد ولو نظر للعمل لكان الثواب أو العقاب بقدر مدته فمدخول ومعلول فانه لا يقال نية الكافر خير من عمله بل مفهوم الحديث ان عمل الكافر خير من نيته نعم ذكروا في جانب الجنة ان دخولها بالايمان ودرجاتها بالاعمال وخلودها بالنية أو من باب الافضل فلا اشكال وأما دخول الكفار في النار فلكفرهم ودرجاتها على قدر أعمالهم السيئة فكان مقتضى العقل في ظاهر العدل أن الكافر الذى عاش في الدنيا مائة سنة مثلا ان يعذب قدرها فقالوا التخليد في مقابلة نيته من التأييد فانه لو فرض أنه عاش أبدا لا يستمر على كفره المعتاد ثم قيل ضمير عمله لكافر معهود وهو السابق كبناء عقوبة عزم مسلم على بنايتها والقول بان خير ليست بمعنى أفعال التفضيل والمعنى النية خير من جملة الخيرات ساقط عن الاعتبار من جميع الجهات قال ابن حجر واختلفوا في نية السيئة والحق أنه لا عقاب عليها الا ان انضم اليها عزم أو تصميم أى عزم على الفعل بالفعل أو تصميم على أنه سيفعل وفيه أن النية لا تكون الا مع العزيمة والا فمع التردد تسمى خطرة وهي مرفوعة بالاجماع قال في المدارك عند قوله تعالى وان تبدوا ما في أنفسكم الآيات ولا تدخلن الوسوس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو عنه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ولكن ما اعتقده وعزم عليه والحاصل أن عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفو عنها وعزم الذنب اذا ندم عليه ورجح عنه معفو عنه بل يثاب فاما اذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك الا أنه منع عنه بما نع لا باختياره فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله أى بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله عفا عن أمي ما حدثت به أنفسهم ما لم تعمل أو تتكلم به والجمهور على أن الحديث في الخطرة دون العزم وان المؤاخظة في العزم ثابتة واليه مال الشيخ أبو منصور وشمس الائمة الحلواني والدليل عليه قوله تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة الآيات ثم قال ابن حجر فان قلت ونية الحسنة كذلك قلت فرق بان ناوى الحسنة يثاب عليها وعلى نيته و ناوى السيئة انما يعاقب على نيته فقط قلت لاحاجة الى الفرق فان لكل امرئ ما نوى ثم ما ذكره من الفرق غير صحيح لانه أن أراد التعدد الحقيقى فهو غير ثابت وان اراد التعدد الحكمى وهو الزيادة في الكيفية دون الكمية كما أشار اليه بقوله ومعنى ثوابه على الاولين انه يكتب له حسنة عظيمة لكن باعتبارين فهذا جار في السيئة أيضا ومن جملة الفروع المتعلقة بهذا الحديث أن من سبق لسانه بمكثريدين خلافا لبعض المالكية اذ لانية له ويؤيدنا خبر مسلم في الذى ضلت راحلته ثم وجدها فقال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك قال عليه الصلاة والسلام أخطأ من شدة الفرح قال ابن حجر فان قلت ظاهر كلام بعضهم قبول دعواه سبق اللسان هنا ولو من غير قرينة فينا فيه ما مر في نحو الطلاق انه لا بد من قرينة فما الفرق قلت أما بالنسبة الى الباطن فهما على حد سواء فلا شئ عليه باطنا فيهما حيث سبق لسانه وأما ظاهرا فلا بد من قرينة في الطلاق وكذا الكفر كما هو ظاهر ويحتمل قبوله فيه ظاهرا مطلقا ويفرق بانه يغتفر في حق الله ما لا يغتفر في حق غيره لبناء حقه تعالى على المسامحة وحق الأدمى على المشاحة ومنها أن من وطئ أو شرب أو قتل يظن الحليلة ونحو الماء وغير المعصوم فبان محرما لا يأتى وفي عكسه يأثم اعتبارا بالنية فيهما وقال بعض العلماء استثنى بعض الاعمال من هذا

و انما لامرئى مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله

العموم كصريح الطلاق و العتاق لان تعيين الشارع هذه الالفاظ لا جل هذه المعاني بمنزلة النية و لا يخفى ان هذا انما هو بالنسبة الى الصحة و الجواز و اما بالنسبة الى الثواب فلا بد من تصحيح النية والله اعلم (و انما لامرئى) أى الشخص و فى رواية و انما لكل امرئى (مانوى) أى جزء الذى نواه من خير أو شر أو جزء عمل نواه أو نيته دون مالم ينوه أو نواه غيروله فيه بيان لما تشمه النية من القبول و الرد و الثواب و العتاق و غير ذلك كسقاط القضاء و عدمه اذ لا يلزم من صحة العمل قبوله و وجود ثوابه لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ففهم من الجملة الاولى أن الاعمال لا تكون محسوبة بالابالية و من هذه انها انما تكون مقبولة بالاخلاص و حاصل الفرق أن النية فى الاول متعلقة بنفس العمل و فى الثانى متوجهة الى مالاجله العمل من الامل و قيل هذه مؤكدة للاولى تبيها على سرالاخلاص و توضح بان تبيهاها على ذلك يعنى اطلاق كونها مؤكدة و قيل المراد بالاعمال العبادات و بالثانى الامور المباحات فانها لا تفيد الثواب الا اذا نوى بها فاعلها القربات كالمأكل و المشارب و المناكح و سائر اللذات اذا نوى بها القوة على الطاعات لاستيفاء الشهوات و كالنظيب اذا قصد اقامة السنة و دفع الرائحة المؤذية عن عباد الله تعالى فى الجملة كل عمل صدر عنه لداعى الحق فهو الحق و كذا المتركات لا يترتب عليها الثواب الا بالنيات روى ان رجلا من بنى اسرائيل مر بكتبان رسل فى مجاعة فقال فى نفسه لو كان هذا الرسل طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله الى نبيهم قل ان الله قد صدقك و شكر حسن صنعك و أعطاك ثواب ما لو كان طعاما تصدقت به و قال الخطابي فى اعلام الحديث و اختاره النووي ان هذه اشارة الى ايجاب تعيين المنوى فلا بد أن ينوى فى الفاتنة من كونها ظورا أو عصرا و لولاه لدل انما الاعمال على الصحة بلا تعيين أو اوهم ذلك اه و كذلك اذا عمل عملا ذا وجهين أو وجوه من القربات كالتصدق على القريب الذى يكون جارا له و قفيرا أو غير ذلك من الاوصاف التى يستحق بها الاحسان و لم ينو الاوجها واحدا لم يحصل له ذلك بخلاف ما اذا نوى جميع الجهات فعمل سر تأخير هذه الجملة و انهما متغايرتان قيل المفهوم منه ان نية الخاص فى ضمن نية العام غير معتبرة كما قال به بعض و قال بعضهم انها معتبرة و يدل عليه حديث الخيل لثلاثة الخ و الله اعلم و قيل النية فى الحديث محمولة على معناها اللغوى ليحسن تطبيقه على ما بعده و تقسيمه بقوله (فمن كانت هجرته الى الله و) الى (رسوله) فانه تفصيل ما اجمله و استنباط المقصود عما أصله و تحريره ان قوله انما لامرئى مانوى دل على أن الاعمال تحسب بحسب النية ان كانت خالصة لله فهى له تعالى و ان كانت للدنيا فهى لها و ان كانت لنظر الخلق فهى لذلك فالتقدير اذا تقرر ان لكل انسان منويه من طاعة أو مباح أو غيرها فمن كانت هجرته من الهجرة و هو الترك الذى هو ضد الوصل و المراد هنا ترك الوطن الذى يدار الكفر الى دار الاسلام كهجرة الصحابة لما اشتد بهم اذى أهل مكة منها الى الحبشة و الى المدينة قبل هجرته عليه الصلاة والسلام و بعدها و لما احتاجوا الى تعلم العلوم من اوطانهم الى المدينة و قد تطلق كما فى احاديث على هجرة مانئى الله عنه و فى معناها هجر المسلم أخاه و هجر المرأة مضجع زوجها و عكسه و منها الهجرة من ديار البدعة الى بلاد السنة و الهجرة لطلب العلم و ترك الوطن لتحصيل الحج و فى معناه الاعتزال عن الناس و أما قوله عليه الصلاة والسلام لا هجرة بعد الفتح فمحمول على خصوص الهجرة من مكة الى المدينة لان عموم الانتقال من دار الكفر الى دار الايمان باق على حاله و كذا الهجرة من المعاصى ثابتة لقوله عليه الصلاة والسلام المهاجر من هجر مانئى الله عنه و المراد

فہجرتہ الی اللہ و رسولہ و من کانت ہجرتہ الی دنیا یصیبہا

المہاجر الکامل و هذا معنی حدیث لا تنقطع المہجرة حتی تنقطع التوبة قبل المراد منها ہنا الی المدینة لذكر المرأة و حکایة أم قیس لکن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب و المعنی من قصد بہجرتہ وجہ اللہ و التقرّب الی رضاه لا یغلطہا بشئ من الاعراض الدنیویة فهو کناية عن تخلّص النیة أو ذکر اللہ لتزین و الایمان الی ان المہجرة الیہ لذكر الرسول تخصیصا لہ باللہ و تعظیما لہجرتہ الیہ أو ذکر اللہ لتزین و الایمان الی ان المہجرة الیہ علیہ الصلاة والسلام کالمہجرة الی اللہ تعالیٰ کقولہ و من یطع الرسول فقد أطاع اللہ ثم الثابت فی النسخ المصححة اعادۃ الجار فی الشرط و الجزاء و ہی تفیید الاستقلال فی الحکم بمعنی ان کلا من المہجرتین یقوم مقام الأخری فی مرتبة القبول (فہجرتہ الی اللہ و) الی (رسولہ) لم یقل الیہما استلذا اذا بتکریر اسمہما و الی متعلقہ بہجرتہ ان قدرت کانت تامة و بمحذوف ہو خبرہا ان کانت ناقصة أی منتسبہ الیہما و المراد أصل الکنون لا بالنظر الی زمن مخصوص أو وضعه الاصلی من المضى أو هنا من الاستقبال لوقوعہا فی حیز الشرط لفظا أو معنی للاجماع علی استواء الأزمنة فی الاحکام الشرعیة الامناع ثم من القواعد المقررة أنه لا یم بین المغایرة بین الشرط و الجزاء لحصول الفائدة فقیل التقدير فمن کانت ہجرتہ الی اللہ و رسولہ تصدا و نية فہجرتہ الی اللہ و رسولہ ثمرة و منفعة فهو تمييز للنسبة و یجوز حدّ فہ للقرینة و قیل فمن کانت ہجرتہ الی اللہ و رسولہ فی الدنیا فہجرتہ الی اللہ و رسولہ فی العقبی و قیل الجملة الجزائیة کناية عن قولہ فہجرتہ مقبولة أو صحیحة فأقیم السبب مقام المسبب و قیل خبرہ مقدر من طرف الجزاء أی فہجرتہ الی اللہ و رسولہ مقبولة أی فہی کما نواہا و قد وقع أجرہ علی اللہ سواء مات فی الطریق أو وصل الی الغریق کقولہ تعالیٰ و من یرجو من بیته مہاجرا الی اللہ و رسولہ ثم یدرکہ الموت فقد وقع أجرہ علی اللہ و قیل اتحاد الشرط و الجزاء لقصد التعظیم و لارادة التحقیر فیما سیأتی فیکون التغایر معنی بدلیل قرائن السیاق بأن یراد بالاول ما وجد خارجا و بالثانی ما عہد ذہنا علی حد أنت أنت أی الصدیق الخالص و ہم هم أی الذین لا یعرف قدر ہم و منه أنا أبو النجم و شعری شعری أی شعری الان هو شعری الذی کان و الکبر ما غیر اللسان و الحاصل أن یقال فہجرتہ عظیمة و نتیجتہا جسمیة (و من کانت ہجرتہ الی دنیا) بضم الدال و یکسر و ہی فعلی من الدنو و هو التقرّب لدنوہا الی الزوال أو لقربہا من الآخرة منا و لا تنون لان ألفہا مقصورة للتانیث أوہی تأنیث أدنی و ہی کافیة فی منع الصرف و تونیثہا فی لغة شاذ و لاجرائہا مجری الاسماء و خلغہا عن الوصفیة نکرت کرجعی و لو بقیت علی و صفتیہا لعرفت کالحسنی و اختلفوا فی حقیقتہا مع انه لا حقیقة لها فقیل و ہی اسم مجموع هذا العالم المتناہی ففی القاموس الدنیا نقیض الآخرة و لو قال ضدها لکان اولی ایمان الی انہما لا یجتمعان مع جواز انہما یرتفعان و قیل ہی ما علی الارض من الجو و الهواء أوہی کل المخلوقات من الجواهر و الاعراض الموجودة قبل الآخرة قال النووی و هذا هو الاظہر و یطلق علی کل جزء منها مجازا و أرید ہنا شئ من العظوظ النفسانیة کمال أوجاہ و قد تكون اشارة الی العاجل و المرأة ایمان الی الآجل و هو الآخرة لانضمام الروحانیة الی الجسمانیة فی کل منہما فیفید حیثذ أن قصد ماسوی اللہ تعالیٰ فیہ انحطاط تام عن لم یقصد غیر وجہہ تعالیٰ و قلیل ما ہم و عند محققى القوم ما تعلق درکہ بالحس فهو دنیا و ما تعلق درکہ بالمقل فهو أخری و فی روایة و من کانت ہجرتہ لدنیا الی لاجل عرضہا و غرضہا فاللام للتعلیل أو بمعنی الی لتقابل المقابل (یصیبہا) أی یحصلہا لکن لیسرعة مبادرة النفس الیہا بالجلبة الاصلیة شہ حصولہا باصابة السهم للغرض و الاظہر أنه حال مقدرہ أی یقصد اصابتہا

أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه متفق عليه

وفيه إيماء الى أنه لو طلب الدنيا لان يستعين بها على الاخرى فلا يذم مع أن تركها أولى لقول عيسى عليه الصلاة والسلام يا طالب الدنيا تبرك تركك الدنيا أبر (أو امرأة يتزوجها) خصت بالذكر تنبيها على سبب الحديث وان كانت العبرة بعموم اللفظ كما رواه الطبراني بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها قال فكتا نسميه مهاجر أم قيس وفيه اشارة الى أنه مع كونه قصد في ضمن الهجرة سنة عظيمة أطل ثواب هجرته فكيف يكون غيره أو دلالة على أعظم فتن الدنيا لقوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء ولقوله عليه السلام ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء لكن المرأة اذا كانت سالحة تكون خير متاعها ولقوله عليه الصلاة والسلام الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة سالحة (فهجرته الى ما هاجر اليه) أي منصرفا الى الغرض الذي هاجر اليه فلا ثواب له لقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب أو المعنى فهجرته مردودة أو قبحة قيل انما ذم لانه طلب الدنيا في صورة الهجرة فاطهر العبادة للعقبى ومقصوده الحقيقي ما كان الا الدنيا فاستحق الذم لمشابهته أهل النفاق ولذا قال الحسن البصرى لما رأى بهلوانا يلعب على العجل هذا أحسن من أصحابنا فانه يأكل الدنيا بالدنيا وأصحابنا يأكلون الدنيا بالدين وقال ابن عبدالسلام متى اجتمع باعث الدنيا والآخرة فلا ثواب مطلقا للخبر الصحيح أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري فانا منه بريء هو للذي أشرك وقال الغزالي يعتبر الباعث فان غلب باعث الآخرة أتيب أو باعث الدنيا أو استويا لم يشب قال ابن حجر يؤخذ من قول الشافعى وأصحابه من حج بنية التجارة كان ثوابه دون ثواب المتخلى عنها أن القصد المصاحب للعبادة ان كان محرما كالرياء أسقطها مطلقا وهو محل الحديث المذكور كما يصرح به لفظه أو غير محرم أتيب بقدر قصده الآخرة أخذًا بعموم قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اه وهو تفصيل حسن وتعليل مستحسن هذا بلسان العلماء أرباب العبادة وأما بلسان العرفاء أصحاب الاشارة فمعناه مجملا أن أعمال ظاهر القالب متعلق بما يقع في القلوب من أنوار الغيوب والنية جمع الهم في تنفيذ العمل للمعمول له وأن لا يستح في السر ذكر غيره وللناس فيما يعشقون مذاهب ثم نية العوام في طلب الا اغراض مع نسيان الفضل والاغراض ونية الجاهل التحسين عن سوء القضاء ونزول البلاء ونية أهل النفاق التزين عند الناس مع اضرار الشقاق ونية العلماء اقامة الطاعات ونية أهل التصوف ترك الاعتماد على ما يظهر منهم من العبادات ونية أهل الحقيقة ربوبية تولت عبودية وانما لكل امرئ ما نوى من مطالب السعداء وهي الخلاص عن الدركات السفلى من الكفر والشرك والجهل والمعاصى والسمة والرياء والاخلاق الذميمة وحجب الاوصاف والفوز بالدرجات العلى وهي المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انابته والبقاء بهويته أو من مقاصد الاشقياء وهي اجمالا ما يبعد عن الحق فمن كانت هجرته أى خروجه من مقامه الذى هو فيه سواء كان استعداده الذى جبل عليه أو منزلا من منازل النفس أو مقاما من مقامات القلب الى الله لتحصيل مرضاهه وتحسين الاخلاق والتوجه الى توحيد الذات ورسوله باتباع أعماله واقتناء أخلاقه والتوجه الى طاب الا ستقامة في توحيد الصفات فهجرته الى الله ورسوله فتخرجه العناية الالهية من ظلمات الحدوث والفناء الى أنوار الشهود والبقاء وتجذبه من حضيض

العبودية الى ذروة العندية ويفنى في عالم اللاهوت ويبقى بالحي الذي لا يموت ورجع اليه الانس
ونزل حلة القدس بدار القرار في جوار الملك الغفار وأشرقت عليه سجات الوجه الكريم وحل بقلبه روح
الرضا العميم ووجد فيها الروح المحمدي وأحيانا وعرف أن له مشوي ومآبا ومن كانت هجرته لدنيا
أى لتحصيل شهوة الحرص على المال والبهاء أو تحصيل لذة شهوة الفرج فبقي مهجورا عن الحق في
أوطان الغربة وديار الظلمة له نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة
وأشد بعض المخلصين لبعض المخلطين

يا غافل القلب عن ذكر المنيات * عما قليل ستوى بين أموات
ان الحمام له وقت الى أجل * فاذكر مصائب أيام وساعات
لا تظمئن الى الدنيا و زينتها * قدحان للموت ياذا اللب أن ياتي
وكن حريصا على الاخلاص في عمل * فانما العمل الزاكي بنيات

وقد ورد في مسند أبي يعلى الموصلي مرفوعا ان الله تعالى يقول للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدي
كذا وكذا من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ ذاك عنه ولا هو في صحيفتنا فيقول انه نواه ونقل الاستاذ
أبو القاسم القشيري قدس الله سره العلى أن زبدة رؤيت في المنام فقبل لها ما فعل الله بك قالت غفرلى
فقبل لها بكثرة عمارتك الآبار والبرك والمصانع في طريق مكة وانفاك فيها قتلت هيبات هيبات
ذهب ذلك كله الى أربابه وانما نفعنا منه النيات فغفرلى بها اللهم فأحسن نياتنا ولا تؤاخذنا بدنياتنا
واختم بالخير نياتنا (متفق عليه) أى اتفق البخارى وسلم على روايته ويعبر عن هذا القسم
بالمتفق عليه أى بما اتفق عليه الشيخان لا بما اتفق عليه الامة لكن اتفقا عليه لازم ذلك لانفاؤها
على تلقى ما اتفقا عليه بالقبول وكذلك أخرجه الاربعة بقية الستة وقبل لم يبق من أصحاب الكتب
المتعمد عليها من لم يخرجه سوى مالك ففى الجملة حديث مشهور مجمع على صحته وما ذكره ابن
مأكولا وغيره من التكلم فيه لا يلتفت اليه وما قيل انه متواتر غير صحيح فانه لم يروه من طريق
صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم الا عمر ولم يروه عن عمر الا علقمة ولم يروه عن علقمة الا محمد بن ابراهيم التيمي ولم
يروه عنه الا يحيى بن سعيد الانصارى ثم تواتر عنه بحيث رواه عنه أكثر من مائة انسان أكثرهم أئمة
وقال جماعة من الحفاظ انه رواه عنه سبعائة انسان من أعيانهم مالك والثورى والاوزاعى وابن
المبارك والليث بن سعد وحماد بن زيد وسعيد وابن عيينة وقد روى هذا الحديث عن عمر تسعة
غير علقمة وعن علقمة اثنان غير التيمي وعن التيمي خمسة غير يحيى فالحديث مشهور بالنسبة الى
آخره غريب بالنسبة الى أوله ثم اعلم ان جمعا من المحدثين وغيرهم ذهبوا الى أن جميع ما وقع
مسندا في الصحيحين أو أحدهما من الاحاديث يقطع بصحته لتلقى الامة له بالقبول من حيث الصحة وكذا
العمل مالم ينع منه نحو نسخ أو تخصيص واجماع هذه الامة معصوم عن الخطأ كما قال عليه الصلاة
والسلام فقبولها للخير الغير المتواتر يوجب العلم النظرى وعبارة الاستاذ أبى اسحق الاسفرائينى
أهل الصناعة مجمعون على أن الاخبار التى اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها
ولا يحصل الخلاف فيها بحال وان حصل اختلاف فذلك اختلاف في طرقها ورواياتها فمن خالف حكمه
خيرا منها وليس له تأويل سائق نقضنا حكمه وقال امام الحرمين أجمع علماء المسلمين على صحتها
وقد قال عطاء الاجماع أقوى من الاسناد فاذن أناد العلم وقال الاكثرون والمحققون صحتها
ظنية لان أخبارها آحاد وهي لا تفيد الا الظن وان تلقتها الائمة بالقبول لانهم تلقوا بالقبول ما ظنت
صحتها من غيرهما ولان تصحيح الائمة للخبر المستجوع لشروط الصحة انما هو باعتبار الظاهر ولان فيهما

نحو مائتي حديث مسند طعن في صحتها فلم تتلق الامة كلها ما فيهاما بالقبول لكن بعض القائلين بالاول
استثنوا هذه قال شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني والتحقيق أن الخلاف لفظي لأن من اطلق عليها
العلم بالصحة جعله نظريا وهو الناشئ عن الاستدلال ومن أبي هذا الاطلاق خص لفظ العلم بالتواتر
وما عداه عنده ظني واختلفوا هل يمكن التصحيح والتحسين والتضخيم في الاعصار المتأخرة
واختار ابن الصلاح انه لا يمكن بل يقتصر على ما نص عليه الائمة في تصانيفهم المعتمدة وردة النووي
وتبعوه وأطالوا في بيان رده ومن ثم صحح جماعة من معاصريه كالقطنان والضياء المقدسي ثم
المنذري والديساطي طبقة بعد طبقة قيل ولعله انما اختار حسم العادة لثلا يتطفل على ذلك بعض
الجهلة قلت ومن هذا القبيل اختلافهم هل يمكن لاحد الاجتهاد المطلق في الازمنة المتأخرة قبيح
يمكن وقيل لا والخلاف لفظي لان الامكان أمر عقلي ومنعه أمر عادي والله تعالى أعلم

* (كتاب الايمان) *

الكتاب اما مأخوذ من الكتب بمعنى الجمع أو الكتابة والمعنى هذا مجموع أو مكتوب في الاحاديث
الواردة في الايمان وانما عنوان به مع ذكره الاسلام أيضا لانها بمعنى واحد في الشرع وعلى
اعتبار المعنى اللغوي من الفرق يكون فيه اشارة الى أنه الاصل وعليه مدار الفصل وقدمه لزيادة
شرفه في الفضل ولكونه شرطا لصحة العبادات المتقدمة على المعاملات وهو التصديق الذي معه
أمن وطمأنينة لغة وفي الشرع تصديق القلب بما جاء من عند الرب فكأن المؤمن يجعل به نفسه
آمنة من العذاب في الدارين أو من التكذيب والمخالفة وهو افعال من الامن يقال آمنت وآمنت
غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وقيل معنى آمنت صرت ذأامن ثم نقل الى التصديق ويعدى
باللام نحو وما أنت بمؤمن لنا وقال فرعون آمنت له وقد يضمن معنى اعترف فيعدى بالياء
نحو يؤمنون بالغييب واختلف العلماء فيه على أقوال أولها عليه الاكثرون والاشعري والمحققون انه
مجرد تصديق النبي عليه الصلاة والسلام فيما علم مجيئه به بالضرورة تفصيلا في الامور التفصيلية واجمالا
في الاجمالية تصديقا جازما ولو لغبر دليل حتى يدخل ايمان المقلد فهو صحيح على الاصح وما نقل
عن الاشعري من عدم صحته رد بانه كذب عليه والحاصل أن من اعتقد أركان الدين من التوحيد و
النبوة ونحو الصلاة فان جوز ورود شبهة تفسد اعتقاده فهو كافر وان لم يجوز ذلك فهو مؤمن لكنه
فاسق بتركه النظر وهذا مذهب الائمة الأربعة والاكثرين لانه عليه الصلاة والسلام قبل الايمان من غير
تفحص عن الأدلة العقلية كذا ذكره ابن حجر لكن في كونه فاسقا بتركه النظر نظر ظاهر فتدبر ثم فهم
من قيد مجرد التصديق أنه لا يعتبر معه أعمال الجوارح ومن الضرورة أن ما ليس كذلك ككونه
تعالى عالما بذاته أو بالعلم الذي هو صفة زائدة على الذات أو مرثيا لا يكثر منكره اجماعا ومن الجزم
أن التصديق الظني لا يكفي في حصول مسمى الايمان وثانيتها انه عمل القلب واللسان معا قبيح
الاقترار شرط لاجراء الاحكام لصحة الايمان فيما بين العبد وربه قال حافظ الدين النسفي وهذا هو المروي
عن أبي حنيفة واليه ذهب أبو منصور الماتريدي والاشعري في أصح الروايتين عنه وقيل هو ركن
لكنه غير أصلي بل زائد ومن ثم يسقط عند الاكراه والعجز ولهذا من صدق ومات فجأة على الفور
فانه مؤمن اجماعا قال بعضهم والاول مذهب المتكلمين والثاني مذهب الفقهاء والحق انه ركن
عند المطالبة به وشرط لاجراء الاحكام عند عدم المطالبة ويدل عليه قوله تعالى انك لا تهدي من احببت

(الفصل الاول) عن عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ قال بينما نحن عند رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ذات یوم اذ طلع علينا رجل

الآیة حيث أجمع المفسرون على انها نزلت في أبي طالب و الله أعلم بالمطالب و بهذا يلتئم القولان و الخلافان لفظيان و أما ما نقل عن الغزالي من ان الامتناع عن النطق كالمعامى التي تجتمع الايمان فهو بظاهره خلاف الاجماع فيعمل على الامتناع عند عدم المطالبة غاية ما في الباب أنه جعل الاقرار من الواجبات لا شرطاً و لا شرطاً و ثالثها أنه فعل القلب و اللسان مع سائر الاركان و نقل عن أصحاب الحديث و مالك و الشافعي و أحمد و الاوزاعي و عن المعتزلة و الخوارج لكن المعتزلة على أن صاحب الكبيرة بين الايمان و الكفر بمعنى انه لا يقال له مؤمن و لا كافر بل يقال له فاسق مخلد في النار و الخوارج على أنه كافر و أهل السنة على أنه مؤمن فاسق داخل تحت المشيئة لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء قالوا و لا تظهر المغايرة بين قول أصحاب الحديث و بين سائر أهل السنة لان امتثال الاوامر و اجتناب الزواجر من كمال الايمان اتفاقاً لا من ماهيته فالنزاع لفظي لا على حقيقته و كذلك اختلافهم في نقصان الايمان و زيادته و كذا اقتران الايمان بالمشيئة و كذا الاختلاف في أن الايمان مخلوق أو غير مخلوق و كذا التفضيل بين الملك و البشر و محل بسط هذا المرام كتب الكلام

* (الفصل الاول) * (عن عمر بن الخطاب رضی اللہ تعالیٰ عنہ قال بينما نحن عند رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ذات یوم اذ طلع علينا رجل) أصله بین فأشيعت الفتحه فتقبل بينا و زيدت ما قبيل بينما و هما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة و يضافان الى الجملة الاسمية تارة و الى الفعلية أخرى و يكون العامل معنى المفاجأة في اذ فعني الحديث وقت حضورنا في مجلس رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم فاجاننا وقت طلوع ذلك الرجل فيينا ظرف لهذا المقدور و اذ مفعول به بمعنى الوقت كما قال صاحب الكشاف في قوله تعالى و اذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون أى وقت ذكر الذين من دونه فاجاننا وقت الاستبشار فنحن مبتدأ و عند ظرف مكان و ذات يوم ظرف لقوله عند باعتبار أن فيه معنى الاستمرار أى بين أوقات نحن حاضرون عنده فنحن مخبر عنه بجملة ظرفية و المجموع صفة المضاف اليه المحذوف و زيادة ذات لدفع توهم التجوز بان يراد باليوم مطلق الزمان لا النهار كما في قولك رأيت ذات زيد و قيل ذات متجم و قيل بمعنى الساعة و قيل بين يضاف الى متعدد لنظا كقولك جلست بين القوم أو معنى كقولك جئت بين العشاءين و اذا قصد اضافته الى جملة يزداد ألف أو ما عوضاً عن الاوقات التي تقتضيها بين و قيل فائدة المزيدتين انما هي التمهيد لدخول الجملتين و يجوز دخول اذ في جوابه كما في الحديث الصحيح و يجوز تركه كما في الشهر الفصيح * و بينا نحن نرقبه أنانا * وجاء في طريق بينما نحن عند رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم في آخر عمره و الحكمة في تأخير مجيئه الى ما بعد انزال جميع الاحكام تتردد أمور الدين التي بلغها متفرقة في مجلس واحد لتبسط و تضبط و قيل مجيئه كان في السنة العاشرة قبيل حجة الوداع و سبب الحديث ما في مسلم انه صلی اللہ علیہ وسلم قال سلوني فيها بوا أن يسألوه فجاءه جبريل و وقع في رواية ابن مندة بينا رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم يخطب أى يعظ اذ جاء رجل و في رواية لابن خباري كان عليه الصلاة و السلام يوماً بارزاً للناس و في أخرى لابي داود كان عليه الصلاة و السلام يجلس بين أصحابه فجئى الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل فطلبنا الى رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم أن يجعل لنا مجلساً يعرفه الغريب اذا أتاه قال فبينما له دكانا أى ذكته من طين يجلس عليه و كنا نجلس بجانبه

شديد يبيض الشباب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم

واستنبط منه القرطبي أنه يسن للعالم الجلوس بمحل مرتفع مختص به اذا احتاج اليه للتعظيم ونحوه ثم الطالع بمعنى الظهور من كمال النور مستعار من طلعت الشمس وفيه ايماء الى كمال عظمته وعلو مرتبته والتونين في رجل للتعظيم ويحتمل التكبير لان الراوي حين روايته وان كان عارفاً بأنه جبريل لكنه حكى الحال الماضية كما يعلم من قوله لا يعرفه منا أحد وفيه دليل على ان انملك له أن يقتدر بقدرة الله تعالى على التشكل بما شاء قال الله تعالى فتمثل لها بشرا سويا والحكمة في اختيار شكل البشر الاستثناس لان الجنسية علة الضم فالمعنى رجل في الصورة اذ هو جبريل كما عبر به في رواية وما وقع في رواية النسائي من ان جبريل نزل في صورة دحية الكلبي معلول بأنه وهم من راويه لتول عمر الآتي ولا يعرفه منا أحد نعم كان غالبا يتمثل بصورة دحية لكمال جماله (شديد يبيض الشباب شديد سواد الشعر) باضافة شديد الى ما بعده اضافة لفظية مفيدة للتخفيف فقط صفة رجل واللام في الموضعين عوض عن المضاف اليه العائد الى الرجل أي شديد يبيض ثيابه شديد سواد شعره وفي نسخة بالتونين في الصنيتين المشبهتين ورفع ما بعدهما على الفاعلية وفيه استحباب البياض والنظافة في الشباب وان زمان طلب العلم اوان الشباب لتوته على تحمل اعبائه وقدرته على تحمل أدائه وقدم البياض على السواد لانه خيرا الالوان ومحيط بالابدان ولثلا يفتتح بفتحة بلون متوحش وجمع الثياب دون الشعر اشعارا بان جميعها كذلك وفي رواية ابن حبان شديد سواد اللحية وبها يتبين محل الشعر المذكور في الحديث المشهور والشعر بفتحتين أفصح من سكون الثاني ويضم معه مراعاة للسجع في قوله (لا يرى عليه أثر السفر) روى بصيغة المجهول الغائب ورفع الاثر وهو رواية الاكثر والاشهر وروى بصيغة المتكلم المعلوم ونصب الاثر والجملة حال من رجل أو صفة له والمراد بالآثار ظهور الثعب والتغير والغبار والسفر مأخوذ من السفر وهو الكشف لانه يكشف احوال الرجال واخلاقهم عند مباشرة الاعمال (ولا يعرفه) عطف على ما قبله (منا) أي من الحاضرين في المجلس قدم للاهتمام على قوله (أحد) وقال أبو الفضائل على بن عبدالله بن أحمد المصري المشتهر بزين العرب في شرحه للمصابيح أي من الصحابة والافارسلو صلى الله عليه وسلم قد عرفه وقال السيد جمال الدين قد جاء صريحا في بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفه حتى غاب جبريل كما أفاده الشيخ ابن حجر العسقلاني في شرحه للبخاري والمعنى تعجبنا من كيفية اتيانه وتردنا في أنه من الملك أو الجن اذ لو كان بشرا من المدينة لعرفناه أو كان غريبا لكان عليه أثر السفر فان قيل كيف علم عمر أنه لم يعرفه أحد منهم أجيب بأنه يحتمل انه استند في ذلك الى ظنه أو الى صريح قول الحاضرين والثاني أولى فقد جاء كذلك في رواية عثمان بن غياث فنظر القوم بعضهم الى بعض فقالوا ما نعرف هذا كذا قاله الشيخ ابن حجر العسقلاني (حتى جلس) غاية لمجدوف دل عليه طلع أوله لانه بمعنى أتى أي أقبل واستأذن وفي مستد الامام الاعظم عن حماد عن علقمة عن ابن مسعود قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة شاب عليه ثياب يبيض فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال يا رسول الله أدنو فقال أدن فالتقدير دنا حتى جلس متوجها أي مائلا (الى النبي صلى الله عليه وسلم) والجلوس والتعود مترادفان وما ذكره التوربشتي وغيره أن القعود استعماله مع القيام والجلوس مع الاضطجاع محمول على انه الاصل أو الغالب وفي رواية حتى برك بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم كما يجلس أحدنا للصلاة

فأسند ركبته الى ركبته و وضع كفيه على فخذيهِ و قال يا محمد أخبرني عن الاسلام

وقول زين العرب أي جلس الى جانبه أو سعه لا يلائمه قوله (فأسند ركبته الى ركبته) أي ركبتي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الجلوس على الركبة أقرب الى التواضع والادب وايصال الركبة بالركبة أبلغ في الاصغاء وأتم في حصول حضور القلب و أكمل في الاستئناس وألزم لمساواة الجواب ولأن الجلوس على هذه الهيئة يدل على شدة حاجة السائل واذا عرف المسؤول حاجته وحرصه اعنتى وبادر اليه (ووضع كفيه) أي كنى الرجل (على فخذيهِ) بفتح فكسر وفي القاموس الفخذ ككفف ما بين الساق والورك مؤنث كالنخذ ويكسر أي فخذى الرجل وهو المناسب لهيئة المتعلم بين يدي المعلم أو على فخذى النبي صلى الله عليه وسلم كما في رواية النسائي وغيره ثم وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم على ما بينه الشيخ ابن حجر العسقلاني وهو الملائم للتقرب لديه والاصغاء اليه وقصر النظر عليه (وقال يا محمد) قيل ناداه باسمه اذا الحرمة تختص بالامة في زمانه أو مطلقا وهو ملك معلم و يؤيده قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اذا الخطاب للآدميين فلا يشمل الملائكة الا بدليل أو قصديه المعنى الوصفي دون المعنى العلمى ولم أر من ذكره و أما ما ورد في الصحاح من نداء بعض الصحابة باسمه فذاك قبل التحريم وقيل آثره زيادة في التعمية اذ كانوا يعتقدون انه لا يناديه به الا العربي الجلف ويحتمل أن يكون هذا قبل تحريم نداءه صلى الله عليه وسلم باسمه قيل ولم يسلم سبالغة في التعمية أو بيانا انه غير واجب أو سلم ولم ينقله الراوى وهو الصحيح لما سبق من رواية الأمام ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ومن ذكره مقدم على من سكت عنه لأن معه زيادة علم نعم في رواية قال السلام عليك يا محمد والجمع بانه جمع بين النفلين قتال السلام عليك يا محمد السلام عليك يا رسول الله ووقع عند القرطبي أنه قال السلام عليكم يا محمد وأخذ منه أنه يسن للداخل أن يعم بالسلام ثم يخص من شاء بالكلام قال شيخ الاسلام في فتح الباري والذي وقتت عليه في الرواية انما فيه الافراد وهو السلام عليك يا محمد أقول وعلى تقدير ثبوته الظاهر من ايراد الجمع ارادة التعظيم لا قصد التعميم فكان القرطبي جعله نظيرا لقوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقت النساء في كون الخطاب خاصا والحكم عاما (أخبرني) أي أعلني وصيغة الامر للاستدعاء لما تقرر أن الرسول أفضل من الملائكة العلوية (عن الاسلام) وهو لغة الانقياد مطلقا وشرعا انقياد الظاهر بشرط انقياد الباطن المعبر عنه بالايان لقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم واللام فيه للحقيقة الشرعية ولذلك أجاب عنه بالاركان الخمسة الاسلامية ثم اعلم ان السؤال عن الاسلام وجوابه مقسم على الايمان وجوابه في صحيح مسلم وكتاب الحميدى وجامع الاصول ورياض الصالحين وشرح السنة بخلاف المصاييح فانه قدم فيه الايمان والتصديق وان كان مقدما لانه أساس قاعدة الاسلام لكن المقام يقتضى تقديم الاسلام لانه دليل على التصديق وما جاء جبريل عليه السلام الالتعلم الشريعة وهو عليه الصلاة والسلام كان يحكم بالظاهر على مقتضى الحكم التدرجيجية فيبدأ بما هو الأهم ويترق من الأدنى الى الأعلى فيكون الاسلام مقدما على الايمان والايان على الاخلاص المعبر عنه بالاحسان وجاء في رواية للبخارى بتأخير الاسلام عن الايمان لكن عن أبي هريرة لا عن عمر بن الخطاب فإيراد الحديث بهذا اللفظ اعتراض فعلى من صاحب المشكاة على البغوى في المصاييح وفي رواية بتوسط الاحسان بينهما فقيل اشارة الى ان محله القلب فذكر في القلب والاظهار وجه التوسط أن له تعلقا بكل من الطرفين وقال جماعة من المجتهدين

قال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان يهدا رسول الله و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت ان استطعت اليه سبيلا

ان هذا التقديم و التأخير من الرواية لان القضية واحدة فكان الواقع أمرا واحدا عبر الرواية عنه بأساليب مختلفة (قال الاسلام) اعاده و وضعه موضع ضميره ارادة لوضوحه (ان تشهد) أى أيها المخاطب خطبا عاما ولم يقل تعلم لان الشهادة أبلغ في الانكشاف من مطلق العلم و من ثم لم يكف أعلم عن أشهد في أداء الشهادة و أن مصدرية و التقدير الاسلام شهادة (أن) وهي مخففة من المثقلة أى انه و الضمير للشان (لا اله الا اله) لاهى النافية للجنس على سبيل التنصيص على نفى كل فرد من افراده (الا لله) قبل خبرلا و الحق انه محذوف والا حسن فيه لاله معبود بالحق في الوجود الا لله و لكون الجلالة اسما للذات المستحجم لكالم الصفات و علما للمعبود بالحق قبل لوبدل بالرحمن لايصح به التوحيد المطلق ثم قبل التوحيد هو الحكم بوحداية الشئ و العلم بها و اصطلاحا اثبات ذات الله بوحدايته منعوتا بالتنزه عما يشابهه اعتقادا فقولوا و عملا فيقينا و عرفانا فمشاهدة و عيانا فتبوتا و دواما قال الغزالي للتوحيد لبان و قشران كاللوز فالقشرة العليا القول باللسان المجرد و الثانية الاعتقاد بالقلب جازما و اللب أن يتكشف بنور الله سر التوحيد بان يرى الاشياء الكثيرة صادرة عن فاعل واحد و يعرف سلسلة الاسباب مرتبطة بمسبباتها و لب اللب أن لا يرى في الوجود الا واحدا و يستغرق في الواحد الحق غير ملتفت الى غيره (وان يهدا رسول الله) ايماء الى النبوة و هما أصلان متلازمان في اقامة الدين ضرورة توقف الاسلام على الشهادتين و ظاهر الحديث يؤيد من قال الاقرار شرط لا جراه الاحكام عليه و في رواية البخارى أن تعبد الله أى توحيده و لا تشرك به شئاً أى من الاشياء أو الاشرار قال المحققون مجرد التوحيد هو الاحتجاب بالجمع عن التفصيل وهو محض الجبر المؤدى الى الاباحة و مجرد اسناد القول و الفعل الى الرسول صلى الله عليه وسلم و سائر الخلق احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذى هو صرف القدرة المؤدى الى التطويل أو التثنية و الجمع بينهما هو الحق المحض قال في العوارف الجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمن شاهد غيره فما ثم جمع و التفرقة شهود لما شاهد بالباينة قوله آمنة بالله جمع و ما أنزل البنا تفرقة اه و كذا قوله اياك تعبد تفرقة و اياك نستعين جمع و الاول رد على الجبرية و الثانى حظ على القدرية و قال الجنيد القرب بالوجد جمع و غيبته في البشرية تفرقة و كل جمع بلا تفرقة زندقة و كل تفرقة بلا جمع تعطيل و حسبنا الله و نعم الوكيل (و تقيم) أى و أن تقيم (الصلاة) أى المعهودة شرعا و في رواية لمسلم المكتوبة تبيها على ان النافلة وان كانت من الاسلام لكنها ليست من أركانها يعنى بان تؤديها و تحفظ شروطها و تعدل أركانها و تداوم عليها ولذا لم يقل و تصلى (و تؤتي الزكاة) أى و أن تعطيتها و فيه اشارة الى أنه لا يلد فيها من التملك وهي مأخوذة من زك بمعنى طهر و نما و هو اسم للقدر المخرج من النصاب لانه يظهر المخرج أو المخرج عنه و يزيد البركة و في رواية للبخارى و مسلم تقيدها بالمفروضة و الظاهر انها للناكيد (و تصوم) بالنصب (رمضان) أى في شهره و فيه جواز ذكره بلا كراهة من غير ذكر شهر وهو المعتمد و هو من رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر و سمي به لارتماضهم من حر الجوع أو من حرارة الزمان الذى وقع فيه أولانه يحترق به الذنوب و تمنحى به العيوب أولانه يزول معه حرارة الشهوات و الصوم لغة الامساك و شرعا امساك مخصوص بوصف مخصوص (و تحج البيت) أى الحرام قال فيه للعهد أو هو اسم جنس غلب على الكعبة علما و اللام فيه جزء كما في النجم و الحج لغة التصد

أو تكراره مطلقا أو الى معظم و شرعا قصد بيت الله في وقت معين بشرائط مخصوصة (ان استطعت اليه) أي الى البيت أو الى الحج أي ان أمكن لك الوصول اليه بان وجدت زادا و راحلة كما في حديث صححة غير واحد (سيلا) تمييز عن نسبة الاستطاعة فأخر عن الجار ليكون أوقع وهي الطريق الذي فيه سهولة و تستعمل في كل ما يتوصل به الى شئ و تكثيره للعموم اذ النكرة في الاثبات قد تفيد العموم كما ذكره الزمخشري في قوله تعالى علمت نفس لكنه مجاز و تقديم اليه عليه للاختصاص أي سيلا ما على أي وجه كان قريبا أو بعيدا و نحوهما بشرط اختصاص انتهائه اليه لالي غيره و قيل سيلا مفعول بمعنى موصول أو مبلغ قال الشافعي انه بالمال و أوجب الاستنابة على الزمن الغني و قال مالك انه بالبدن فيجب على من قدر على المشي و الكسب في الطريق و قال أبو حنيفة انه بمجموع الامرين ثم الاستطاعة هي القدرة من طاع لك اذا سهل يطلق على سلامة الاسباب و صحة الآلات وهي قد تتقدم على الفعل و على عرض في الحيوان يفعل به الافعال الاختيارية ولا يكون الامع الفعل وهي كما فسرت استطاعة خاصة بالمعنى الاول فلا يريد ما قيل ان الاستطاعة التي بها يتمكن المكلف من فعل العبادة مشروطة في الكل فكيف خص الحج بها قال الطبي فان قلت كيف خص الحج بالاستطاعة دون سائر الأركان الاسلامية مع أن الاستطاعة التي بها يتمكن المكلفون من فعل الطاعة مشروطة في الكل أجيب بان المعنى بهذه الاستطاعة الزاد والراحلة و كان طائفة لا يعدونها منها و يتقون على الحاج فنها عن ذلك أو علم الله تعالى ان ناسا في آخر الزمان يفعلون ذلك فصرح تسهيلا على العباد و مع ذلك ترى كثيرا من الناس لا يرفعون لهذا النص الجلي رأسا و يلتون أنفسهم بأيديهم الى التهلكة أقول و لعل في هذا حكمة وهي أن تكون حجة على الاغنياء التاركين للحج. رأسماع ان الله تعالى أعطاهم مالا و أثاثا و ايراد الافعال المضارعية لافادة الاستمرار التجديدي لكل من الأركان الاسلامية ففى التوحيد المطلوب الاستمرار الدائم مدة الحياة و في الصلاة دونه ثم في الصوم و الزكاة دونها و قدم الصوم لتعلقه بجميع المكلفين و آخر ما وجب في العمر مرة و في فتح الباري فان قيل السؤال عام لانه سئل عن ماهية الاسلام و الجواب خاص بقوله أن تعبد و تشهد و كذا قال في الايمان أن تؤمن و في الاحسان أن تعبد فالجواب أن ذلك لئلا يفرق بين المصدر وان والفعل لان أن والفعل يدل على الاستقبال و المصدر لا يدل على الزمان على ان في رواية قال شهادة أن لا اله الا الله اه و قيل الاولى في الجواب أن يقال التصد التعلم و هو اما يتعاقب بالأمور المستقبلية فلذلك عدل عن المصدر المناسب للسؤال الى ما يدل على الاستقبال و يسنح بالبال و الله أعلم بحقيقة الحال أن العدول عن المصدر المفيد للعلم الى المضارع المقتضى للعمل ايماء الى أنه لا يكفي مجرد المعرفة من غير أن يخرج من القوة الى الفعل و بنحو هذا العدول يعلم بلوغ بلاغته الى أعلى النيات و أعلى النهايات و وقع في رواية حذف الحج و في أخرى حذف الصوم و في أخرى الاقتصار على الشهادتين و في أخرى على الصلاة و الزكاة و لا تخالف لان بعض الرواة ضبط ما لم يضبطه غيره ذهبوا أو نسيانا كذا قيل أو يقال لكل وجهة فحذف الحج لان و جوبه نادر و في العمرة و حذف الصوم اكتفاء بذكر الصلاة فان كلامهما عبادة بدنية و الاقتصار على الشهادتين لانها أساس الاسلام و على الصلاة و الزكاة لانها عمدة العبادة البدنية و المالية و المقصود ظاهر الطاعة و الانتقاد و العبادة لا استيفاء أفرادها و ان كانت الخمسة هي معظم أركانها فالمراد بذكر بعضها مثلا هو التنبيه على بقيتها و لذا ورد في رواية و تعتمر و تغتسل من الجنابة و تتم الوضوء فيحمل الاختلاف اللفظي على التحديث المعنوي ثم اعلم أن لكل من تلك الأركان ظاهرا تبين أحكامه في الكتب الفقهية

وباطنا من حقائق و اسرار ذكرها ارباب القلوب الامناء لا سرار الغيوب فنحن نذكر نبذة منها اما التوحيد فهو ظهور فناء الخلق بتشعشع انوار الحق و له مراتب كما ذكره ذواو المناقب (الاولى) التوحيد النظري ان علم بالاستدلال أو التقليدي ان اعتقد بمجرد تصديق المخبر الصادق و سلم القلب من الشبهة و الحيرة و الريب و هو ان يعتقد أن الله متفرد بوصف الالهية متوحد باستحقاق العبودية يحقن الدماء و الاموال و يتخلص من الشرك الجلي في الاحوال (الثانية) التوحيد العلمي و هو ان يصير العبد بخروجه من غشاوة صفاته و خلاصه من سجن ظلمات ذاته و انسلاخه عن لباس الاختيار حيران في انوار عظمة الجبار و لهان تحت سبحات سطوات الانوار فيعرف أن الموجد المحقق و المؤثر المطلق هو الله تعالى و ان كل ذات فرع من نور ذاته و كل صفة من علم و قدرة و ارادة و سمع و بصر عكس من انوار صفاته و أثر من آثار افعاله و منشؤه نور المراقبة و هو دون المرتبة الحالية لكن مزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون و عند ذلك ينفي من الظلمة الوجودية و يرتفع بعض من الشرك الخفي (الثالثة) التوحيد العالی و هو أن يصير التوحيد و صفا لازما لذات الموحد بتلاشي ظلمات رسوم وجود الغير الا قليلا في غلبة اشراق نور التوحيد و استار نور حاله في نور علم التوحيد كاستار نور الكواكب في نور الشمس فلما استتار الصبح أدرج ضوءه نور الكواكب و استغراقه في مشاهدة جمال وجود الواحد بحيث لا يظهر عند شهوده الا ذات الواحد و يرى التوحيد صفة الواحد لا صفته بل لا يرى ذلك قال الجنيد التوحيد معنى يضمحل فيه الرسوم و يندرج فيه العلوم و يكون الله كما لم يزل (الرابعة) التوحيد الالهي و هو أن الله تعالى كان في الازل موصوفا بالواحدانية في الذات و الاحدية في الصفات كان و لم يكن معه شئ و الاآن كما كان كل شئ هالك الا وجهه و لم يقل يهلك لان عزة وحدانيته لم تدع لغيره وجودا و في هذا المعنى أنشد العارف الانصاري لنفسه شعرا

ما وحد الواحد من واحد * اذ كل من وسده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته * عارية أبطلها الواحد
توحيد اياه توحيد * و نعت من نعته لاحد

و أما الصلاة فقد قيل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراجان معراج في عالم الحسن من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ثم الى عالم الملكوت و محل الملا' الاعلى و معراج في عالم الارواح من الشهادة الى الغيب و من الغيب الى غيب الغيب فلما أراد أن يرجع قال الرب تبارك و تعالى المسافر اذا عاد الى وطنه اتصف أصحابه و ان تحفة أمتك الصلاة الجامعة بين المعراجين الجسماني بالآداب و الاعمال و الروحاني بالاذكار و الاحوال و لهذا و رد الصلاة معراج المؤمن و أما الصوم فصوم الشريعة منافع أكثر من أن تحصى و لو لم يكن الا التشبه بالملا' الاعلى لكفى به فضلا و صوم الطريقة فهو الاساك عن الاكوان و الافطار بمشاهدة الرحمن

صمت عن غيره فلما تجلى * كان لي شاغل عن الافطار

و أما الزكاة فهي اشارة الى تزكية احوال الظاهر و الباطن بترك الاموال و صرفها الى أسباب الوصول الى الاحوال و تخلية القلب عن الابعار و تخلية الروح لظهور تجليات الانوار و أما الحج فهو اشارة الى وجوب زيارة بيت الجليل على الخليل ان استطاع اليه السبيل بان وجد شرائط السلوك و امكانه و آداب السفر و أركانه و هي الاحرام بالخروج عن الرسوم و العادات و التجرد عن المألوفات و التوجه الى الله تعالى بصفاء الطويات و الوقوف بعرفات المعرفة و العكوف على عتبة جبل الرحمة و الطواف بالخروج عن الاطوار السبعية بالاطواف السبعية حول كعبة الربوبية و السعي بين صفا الصفات و مروءة المروءات

قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته

والحلق بمحو آثار العبودية بموسى الأنوار الالهية وقس عليه سائر المناكس والله درالفاصل الناسك
يا من الى وجهه حجي ومعتمري * ان حج قوم الى ترب و أحجار
ليبيك ليبيك من قرب ومن بعد * سرايسر واضمارا با ضمرا
(قال صدقت) دفعلتوهم أن السائل ما عده من الصواب وحملا للسامعين على حفظ الجواب
(فعجبنا له) أي للسائل (يسأله ويصدقه) التعجب حالة للقلب تعرض عند الجهل بسبب الشئ
فوجه التعجب ان السؤال يقتضى الجهل غالبا بالمسؤل عنه والتصديق يقتضى علم السائل به لان
صدقت انما يقال اذا عرف السائل ان المسؤل طابق ما عنده جملة وتفصيلا وهذا خلاف عادة السائل
ومما يزيد التعجب أن ما أجابه صلى الله عليه وسلم لا يعرف الا من جهته وليس هذا الرجل ممن عرف
بلقائه صلى الله عليه وسلم فضلا عن سماعه منه وفي رواية لما سمعنا قول الرجل صدقت أنكزناه وفي
رواية أخرى أنظروا هو يسأله ويصدقه كأنه أعلم منه وفي أخرى ما رأينا رجلا مثل هذا كأنه يعلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له صدقت صدقت قيل هو من صنع الشيخ اذا امتحن المعيد عند حضور
الطلبة ليزيدوا طمأنينة وثقة في انه يعيد الدرس و يلقى المسئلة من الشيخ بلا زيادة ونقصان وفيه
نسخة من قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى (قال فأخبرني عن الايمان)
وفي رواية ما الايمان واستشكلت بان ما للسؤال عن الماهية فالجواب غير مطابق و رد بانه عليه
الصلاة والسلام علم منه أنه انما سأل عن متعلقات الايمان لانها الاحق بالتعليم ولان التصديق في
ضمنها والاضاهر أنه لا فرق بين الروايتين والمطابقة حاصلة في الجهتين لان الايمان في (قال أن تؤمن)
أريد به المعنى اللغوي وقيل المعنى الشرعى حتى لا يكون تفسير الشئ بنفسه ولا يكون الدور في
تعريفه وقول الطيبى أى تعترف ولذا عدى بالباء فيه أن الاعتراف من أجزاء الاسلام
فالتحقيق أن الايمان هنا بمعنى التصديق وهو يتعدى بالباء فى القاموس آمن به ايمانا أى صدقه نعم
لوضمن معنى الاعتراف لكان حسنا ويكون التقدير أن تصدق معترفا أو تعترف مصدقا فيفيدكون
الاتقرار شظرا أو شرطاً قيل والحديث يدل على مغايرة العمل للايمان فانه اجاب عن الاسلام ثم عن
الايمان وجعله تصديقا (بالله) أى بتوحيد ذاته وتفريد صفاته و بوجوب وجوده وبشئ كرمه
وجوده وسائر صفات كماله من مقتضيات جلاله وجماله قيل الصفة اما حقيقة لا يتوقف تصورهما على
شئ كالحياة أو اضافية يتوقف على ذلك كالوجوب والقدم أو وجودية وهى صفات الاكرام أو سلبية
وهى صفات الجلال وتنحصر الوجودية في ثمانية نظمها الشاعر في قوله

حياة وعلم قدرة و ارادة * كلام و ابصار وسمع مع البقا

قال ابن الصلاح هذا الحديث بيان أصل الايمان وهو التصديق والاسلام وهو الانقياد وحكم الاسلام
يثبت بالشهادتين وانما أضاف اليهما الاعمال المذكورة لانها أظهر شعائره ثم قيل الايمان قد يطلق
على الاسلام كما في حديث عبد قيس واسم الاسلام يتناول أصل الايمان وهو التصديق والطاعات فان
كل ذلك استسلام فعلم أنهم يجتمعان ويفترقان وان كل مؤمن مسلم من غير عكس وهذا التحقيق
موافق لمذهب جماهير العلماء اه والمشهور انهما مترادفان في الشرع نقله ابن عبدالبر عن الاكثريين
لان انقياد الظاهر لا ينفع بدون انقياد الباطن وكذا العكس والحق أن الخلاف لفظى لان مبنى الاول
على الحكم الدينوى ومدار الثانى على الامر الاخرى أو الاول بناؤه على اللغة والثانى مداره على

الشرعية وصنف في المسئلة امامان كبيران وأكثر من الأدلة على أنها متغيران أو مترادفان وتكاتف في ذلك وقيل التحقيق انهما مختلفان باعتبار المفهوم متحدان في المصداق والله أعلم ثم التصديق اذعان النفس وقبولها بما يجب قبوله وهو تقليدي وتحقيقي والتحقيق اما استدلالى أو ذوق والذوق اما كشفى واقف على حد العلم أو الغيب أو غيبى غير واقف عليه والغيبى اما مشاهدة أو شهود والاول هو الاعتقاد الجازم المطابق للمنتع الزوال والثانى الاعتقاد الجازم الثابت بالبرهان والثالث المنتع الزوال الثابت بالوجدان والثلاثة مراتب الايمان بالغيب والاخيران علم اليقين والرابع هوالمشاهدة الروحانية مع بقاء الاثنية ويسمى عين اليقين والخامس هوالشهود الحقائق عند تجلى الوحدة الذاتية وزوال الاثنية ويسمى حق اليقين هذا وان للايمان وجوداغيبيا ووجودا ذهنيا ووجودا لفظيا أما الاول فهو ما أشار اليه الشيخ الكبير أبو عبد الله الشيرازى في معتقده من أنه نور يتدفق في القلب من نور الذات ومعناه ان أصله نور يتدفق الحق من ملكوته الى قلوب عباده فيبشر أسرارهم وهو متصل بالحضرة ثابت في قلوبهم فاذا انكشف جمال الحق له ازداد ذلك النور فيمتوى الى أن ينسبط وينشرح الصدر ويطلع العبد على حقائق الاشياء ويتجلى له الغيب وغيب الغيب ويظهر له صدق الانبياء وينبعث من قلبه داعية الاتباع فينضاف الى نور معرفته أنوار الاعمال والاخلاق نور على نور يهد الله لنوره من يشاء وذلك التدفق والكشف يتعلق بمراد الله في أحايين نسيم الصفات لا يقدر على كسبه نعم شرائطه مكتسبة وأما الوجود الذهني فملاحظة ذلك النور ومطالعة بالتصديق وأما الوجود اللفظي فهو الشهاداتان وكما أن ايمان العوام هوالتصديق بالجنان والافرار باللسان والعمل بالاركان فإيمان الخواص عزوب النفس من الدنيا وسلوكه طريق العمى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله واناية الخلق الى الفناء في الله واخلص السر للبقاء بالله ذوقائه (وملائكته) جمع ملائكة وأصله مائل بتقديم الهمزة من الالوكة وهى الرسالة قدمت اللام على الهمزة وحذت الهمزة بعد نقل حركتها الى ما قبلها فصار ملك ولما جمعت ردت الهمزة وقيل قلبت ألفا وقد مت اللام وجمع على فعالل كشمال وشمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال وأقيمت حركتها الى اللام والتاء لتأنيث الجمع أو مزيدة لتأكيد معناه أطلقت بالغابة على الجواهر العلووية النورانية المبرأة عن الكدورات الجسمانية وهى وسائط بين الله وبين أنبيائه وخاصة أمفيائه وقال بعضهم هى اجسام لطيفة نورانية مقطرة على تشكيلات مختلفة يجوز عليهم الصعود والنزول والتسبيح لهم بمنزلة النفس مناشقة الكليف منتفية والمعنى نعتقد بوجودهم تفصيلا فيما علم اسمه منهم ضرورة كجبريل وميكائيل و اسرافيل وعزرائيل واجمالا في غيرهم وانهم عباد مكرمون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وان منهم كراما كاتبين وحملة العرش المقربين وان لهم أجنحة منى وثلاث ورباع وانهم منزهون عن وصف الانوثة والذكورة وأما كون الرسل أفضل منهم أوهم فلا يجب اعتقاد أحدهما فان المسئلة ظنية فان قلت ما الموجب لدخول الايمان بها في مفهوم الايمان الصحيح مع أن المقصود بالذات معرفة المبدأ والمعاد فأجيب بأن الناس ينقسم الى فطن يرى العقول كالمحسوس ويدرك الغائب كالمشاهد وهم الانبياء والى من الغالب عليهم متابعة الحسن ومتابعة الوهم فقط وهم أكثر الخلائق فلا بد لهم من معلم يدعوه الى الحق ويدوهم عن الزيف المطلق ويكشف لهم المغيبات ويحل عن عقولهم الشبهات وما هو الالانى النبى المبعوث لهذا الامر وهو وان كان مشتمل القرعة يكاد زيتها يضى ولو لم تمسه نار يحتاج الى نور يظهر له الغائب وهو الوحي والكتاب ولذلك سمي القرآن نورا ولا بد له من حامل وموصل وهو الملك المتوسط واليه الاشارة بقوله الامن ارتضى من

وكتبه ورسله واليوم الآخر و تؤمن بالقدر خيره و شره

رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رسدا فالمراد لا يصير مؤمنا الا اذا تعلم من النبي ما يحقته
 بارشاد الكتاب الواصل اليه بتوسط الملك ان له الها واجب الوجود فائض الجود الى غير ذلك مما
 بيثت بالشرع (وكتبه) أى و نعتقد بوجود كتبه المنزلة على رسله تفصيلا فيما علم يقينا كالفقرآن
 و التوراة و الزبور و الانجيل و اجمالا فيما عداه و أنها منسوخة بالفقران و أنه لا يجوز عليه نسخ
 و لا تحريف الى قيام الساعة لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون و أما كون كلام الله تعالى
 غير مخلوق ففيه اختلاف بين المعتزلة و أهل السنة قيل الكتب المنزلة مائة و أربعة كتب منها عشر
 صحائف نزلت على آدم و خمسون على شيث و ثلاثون على ادريس و عشرة على ابراهيم و الاربعة السابقة
 و أفضلها القرآن (ورسله) بان تعرف انهم بلغوا ما أنزل الله اليهم و انهم معصومون و تؤمن
 بوجودهم فيمن علم بنص أو تواتر تفصيلا و في غيرهم اجمالا و هذا الحديث يدل على ترادف الرسول
 و النبي فانه كما يجب الايمان بالرسول يجب بالانبياء و عن الامام أحمد عن أبي اسامة قال أبو ذر قلت يا رسول الله كم وفاء
 عدة الانبياء قال مائة ألف و أربعة و عشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة و خمسة عشر جما غيرا اه وهو
 ظاهر في التغاير و عليه الجمهور في الفرق بينهما بأن النبي انسان بعثه الله و لو لم يؤمر بالتبليغ و الرسول
 من أمره فكل رسول نبي و لا عكس فلعل وجه التخصيص ان الرسول هو المقصود بالذات في الايمان من
 حيث انه مبلغ وان الايمان بالانبياء انما يعرف من جهة تبليغ الرسل فانه لا تبليغ للانبياء والله أعلم
 و هذا لاينافي قوله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك و منهم من لم نقصص
 عليك لان المنفى هو التخصيل و الثابت هو الاجمال أو النفي مقيد بالوحي الجلي و الثبوت متحقق بالوحي
 العضى فان قلت ما فائدة ذكر ما بعد الرسل وما قبلهم مع أن الايمان بهم المستلزم للايمان بجميع ما
 جاؤا به يستلزم الايمان بجميع ذلك قلت التنبيه على الترتيب الواقع فان الله تعالى أرسل الملك بالكتاب
 الى الرسول لمعرفة البدا و المعاد و ان الخير و الشر يجريان على العباد بمقتضى ما قدره و قضاء
 و اراده ولهذا قدم الملائكة لا لكونهم أفضل من الرسل لانه مختلف ولا من الكتب اذ لم يقل به أحد
 و هذا الترتيب مما يقتضيه حكمة عالم التكليف و الوسائط و الافاتماتى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك
 مقرب و لا نبي مرسل معلوم لتبينا صلى الله عليه وسلم اذ فيه اشارة الى تمكينه في وقت كشوف المشاهدة
 واستغراقه في بحر الوحدة حيث لا يبقى فيه أثر البشرية و الكونين و هذا محل استقامته في مشهد
 التمكن الذى أخبر الله عنه بقوله فكان قاب قوسين أو أدنى و ليس هناك مقام جبريل و جميع
 الكرويين و لا مقام الصفى و الخليل و من دونهم من الانبياء و كان أكثر أوقاته
 كذلك لكن يردده الله الى تأديب أمته في بعض الاوقات ليجرى عليهم أحكام
 التلويح و لا يذوب في أنوار كبرياء الازل (و اليوم الآخر) أى يوم القيامة لانه آخر أيام الدنيا و هو
 الاحسن ليشمل أحوال البرزخ فانه آخر يوم من أيام الدنيا و أول يوم من أيام الآخرة و لانه مقدمته
 أو لانه آخر عنه الحساب و الجزاء و قيل هو الابد الدائم الذى لا يقطع لتأخره عن الاوقات المحدودة
 و ذلك بان تؤمن بوجوده و بما فيه من البعث الجسماني و الحساب و الجنة و النار و غير ذلك مما
 جاءت به النصوص و في رواية البخارى و البعث الآخر فهو تأكيد كاسم الذاهب أو لا فائدة تعدده
 فان الاول هو الاخراج من العدم الى الوجود أو من بطون الامهات الى الدنيا و الثانى البعث من بطون
 القبور الى محل الحشر و النشور و في أخرى له و بقاءه و تؤمن بالبعث فالتقاء الانتقال الى دار الجزاء

و البعث بعث الموتى من قبورهم وما بعده من حساب و ميزان و جنة و نار و قد صرح بهذه الاربعة في رواية و قيل الفناء الحساب و قيل رؤية الله تعالى و قيل المراد بالبعث بعثة الانبياء (و تؤمن) أى و أن تؤمن (بالقدر) بفتح الدال و يسكن ما قدره الله و قضاه و اعاده العامل اما لبعث العهد كقول الشاعر

لقد علم العبي اليماني اننى * اذا قلت أما بعد انى خطيبها

أو لشرف قدره و تعظيم أمره وقع فيه الاهتمام لانه محار الافهام و مزال الالهام و قد علم عليه الصلاة و السلام أن الامة سيخوضون فيه و بعضهم يتقونه فاهتم بشأنه ثم قرره بالابدال بقوله (خيريه و شره) أى نفعه و ضره و زيد في رواية و حاوه و مره فان البدل توضيح مع التوكيد المفيد للتنعيم لتكرير العامل و عندى أن اعاده العامل هنا أفادت ان هذا المؤمن به دون ما سبق فان من أنكر شيئاً مما تقدم كفر بخلاف من أنكر هذا فإنه لا يخرج من دائرة الاسلام فيكون بمنزلة التذليل و التكميل و أما قول ابن الملك خيريه و شره بدل بعض فقير ظاهر الا أن يقال باعتبار كل من المعطوف و المعطوف عليه و الاظهر أنه بدل الكل و الرابطة بعد العطف و المعنى تعتقد أن الله قدر الخير و الشر قبل خلق الخلاق و ان جميع الكائنات متعلق بقضاء الله مرتبط بقدره قال تعالى قل كل من عند الله و هو مراد لها لقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء فالطاعات يجبها و يرضاه بخلاف الكفر و المعاصي قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر و الارادة لا تستلزم الرضا ثم القضاء هو الحكم بنظام جميع الموجودات على ترتيب خاص في أم الكتاب أولاً ثم في اللوح المحفوظ ثانياً على سبيل الاجمال و القدر تعلق الارادة بالاشياء في أوقاتها و هو تفصيل قضائه السابق بايجادها في المواد الجزئية السماة بلوح المعو و الاليات كما يسمى الكتاب بلوح القضاء و اللوح المحفوظ بلوح القدر في وجه هذا تحقيق كلام القاضي و لما كان الايمان بالقدر مستلزماً للايمان بالقضاء لم يتعرض له و ذكر الراغب ان القدر هو التقدير و القضاء هو التفصيل فهو أخص و مثل هذا بأن القدر ما أعد للبس و القضاء بمنزلة اللبس و يؤيده ما ذكره الحكيم الترمذى كان في البدء علم ثم ذكر ثم مشيئة ثم تدبير ثم مقادير ثم انبات في اللوح ثم ارادة ثم قضاء فاذا قال كن فكان على الهيئة التى علم فذكر ثم شاء فدبر ثم قدر ثم أثبت ثم قضى فعلم منه أنه ما من شئ من حيث استقام في العلم الازل الى أن استقام في اللوح ثم استبان الاتعلق به أمور من الله تعالى قال بعض العارفين ان القدر كقتير النقاش الصورة في ذهنه و القضاء كرسمة تلك الصورة للتلميذ بالاسرب و وضع التلميذ الصبغ عليها متبعاً لرسم الأستاذ هو الكسب و الاختيار و هو في اختياره لا يخرج عن رسم الأستاذ كذلك العبد في اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء و القدر و لكنه متردد بينهما هذا و القدرية فسروا القضاء بعلمه بنظام الموجودات و أنكروا تأثير قدرة الله تعالى في أفعال المخلوقات و معتقد أهل السنة و الجماعة أن أفعال العباد خيرها و شرها مخلوقة لله تعالى مرادة له و مع ذلك هي مكتسبة للعباد لان لهم نوع اختيار في كسبها و ان رجح ذلك في الحقيقة الى ارادته و خلقه و لا يسئل عما يفعل و هم يستلون و هذا أوسط المذاهب و أعد لها و أوقفها للنصوص فهو الحق و الصواب خلافاً للتجبرية القائلين بأن العباد مجبورون على أفعالهم اذ يلزمهم أن لا تكليف و من اعترف منهم بهذا اللازم فهو كافر بخلاف من زعم أن سلب قدرة العبد من أصلها انما هو تعظيم لقدرة الله تعالى عن أن يشركه فيها أحد بوجه فانه مبتدع و خلافاً للقدرية النافين للقدر و هم المعتزلة القائلون بأن العبد يخلق أفعال نفسه و ان قدرة الله تعالى لا تؤثر فيها و أن ارادته لا تتعلق بها لاستقلال قدرة العبد بالايجاد و التأثير في أفعاله اذ يلزمهم ان له تعالى شركاء في ملكه سبحانه فمن اعتقد حقيقة الشركة قصداً فقد كفر أو تنزيه

قال صدقت قال فاجبرني عن الاحسان قال أن تعبد الله

الله تعالى عن الفعل القبيح فهو مبتدع روى انه كتب الحسن البصري الى الحسن بن علي رضي الله عنهما يسأله عن القضاء والقدر فكتب اليه الحسن بن علي من لم يؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره فقد كفر ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر وان الله تعالى لا يطاع استكراها ولا يعصى بغلبة لانه تعالى مالك لما ملكوه وقادر على ما أقدر هم فان عملوا بالطاعة لم يعل بينهم وبين ما عملوا وان عملوا بالمعصية فلو شاء لحال بينهم وبين ما عملوا فان لم يفعل فليس هو الذي جبرهم على ذلك ولو جبر الله الخلق على الطاعة لاسقط عنهم الثواب ولو جبرهم على المعصية لاسقط عنهم العقاب ولو أهلكهم كان ذلك عجزا في القدرة ولكن له فيهم المشيئة التي غيبتها عنهم فان عملوا بالطاعة فله المنة عليهم وان عملوا بالمعصية فله العجة عليهم والسلام فهذه رسالة يظهر عليها أنوار مشكاة النبوة والرسالة ثم اعلم أن الايمان بالقدر يستلزم العلم بتوحيد ذات الحق لان اتیان المقدورات واحكامها على ما هو حقها في أزمنة وأمكنة مخصوصة تدل على توحيد الحكم بتقديرها المتقضى لتوحد المقدر والعلم بصفاته كسعة علمه ورحمته على العالمين وآثار قدرته وحكمته للمخلوقين ونفوذ قضائه فيهم والعلم بكمال صنعته وأعماله وان الحوادث مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم أن الحذر لا يقطع القدر ولا ينزع أحدا في طلب شئ من اللذات ولا يأنس بها اذا وجدها ولا يغضب بسبب فوت شئ من المطالب ولا يوقع شئ من المهارب قال الله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وورد في الحديث ما أصابك لم يكن ليخطبك وما أخطاك لم يكن ليصيبك فيكون مستسلما للحق فيما أراه من القضاء المطلق وحسن الخلق مع سائر الخلق قال بعض العارفين ان الله قدر وجود مخلوقاته لمظاهر تجلي أسمائه وصفاته فلكل منها مقدار مقدر لمظاهر تجلي ما علمه الله له من الاسماء والصفات مما يليق به وهو مستعد له وبذلك يسبح له كما قال وان من شئ الا يسبح بحمده ولكل ذرة لسان ملكوتى ناطق بالتسبيح والتحميد تنزيها لصانعه وحدا له على ما أولاه من مظهر يتها للصفات الجمالية والجلالية فالاشياء كلها مقادير لاسماء الله تعالى وصفاته دون ذاته فانه لا يسعها الا قلب المؤمن لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن ولذا قيل قلب المؤمن عرش الله وقال أبو يزيد قدس سره لوقع العالم ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به (قال صدقت قال فاجبرني عن الاحسان) قيل أى المعهود ذمنا في الآيات القرآنية من قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وهل جزاء الاحسان الا الاحسان وأحسنوا ان الله يحب المحسنين والظاهر ان المراد به في الآيات ما اشتمل على الايمان والاسلام وغيرهما من الاعمال والاخلاق والاحوال والمراد في الحديث المعنى الاخص فقيل أراد به الاخلاص فانه شرط في صحة الايمان والاسلام معالان من تلفظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير نية الاخلاص لم يكن إيمانه صحيحا قاله في النهاية فكان المخالص في الطاعة يوصل الفعل الحسن الى نفسه والمرائي يبطل عمل نفسه والاخلاص تصفية العمل من طلب عوض وغرض عرض ورؤية رياء والظاهر أن المراد به احسان العدل وهو احكامه واتفاقه وهو يشمل الاخلاص وما فوقه من مرتبة الحضور مع الله ونفى الشعور عما سواه ويدل عليه الجواب (قال أن تعبد الله) أى توحدوه وتطيعه في أوامره وزواجره وفي رواية أن تخشى الله ومالكهما واحد لان العبادة أثر الخشية وهي منتجة للعبادة وهي الطاعة مع الخضوع والمذلة قال الراغب العبادة فعل اختيارى مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية يراد بها التقرب الى الله تعالى طاعة للشيعة وقال بعض

كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك

المحققين وهي الغاية القصوى من ابداع الخلق وارسال الرسل وكلما ازداد العبد معرفة
 ازداد عبودية و لذا خص الانبياء و اولو العزم بخصائص في العبادة ولا يتفك
 العبد عنها ما دام حيا بل في البرزخ عليه عبودية اخرى لما سأله الملائكة عن ربه و دينه و نبيه و في القيامة
 يوم يكشف عن ساق و يدعون الى السجود و اذا دخل الجنة كانت عبوديته سبحانه اللهم
 مترونا بانفاسه و في كلام الصوفية ان العبادة حفظ الحدود و الوفاء بالعهود و قطع العلائق و الشركاء
 عن شرك و الفناء عن مشاهدتك في مشاهدة الحق وله ثلاث مراتب لانه اما أن يعبد ربه من
 العقاب و رغبة في الثواب وهو المسمى بالعبادة و هذه لمن له علم اليقين أو يعبده تشوقا بعبادته
 و يقول تكليفه و تسمى بالعبودية وهذه لمن له عين اليقين أو يعبده لكونه الها و كونه عبدا و الالهية توجب العبودية
 و تسمى بالعبودية و هذه لمن له حق اليقين و الشرك رؤية ضرا و نفع مما سواه و اثبات وجود
 غير الله ذاتا أو صفة أو فعلا (كأنك تراه) مفعول مطلق أى عبادة شبيهة بعبادتك حين تراه أو
 حال من الفاعل أى حال كونك مشبها بمن ينظر الى الله خوفا منه و حياء و خضوعا و خشوعا و أدبا
 و صفاء و وفاء و هذا من جوامع الكلم فان العبد اذا قام بين يدي مولاه لم يترك شيئا مما قدر عليه من
 احسان العمل و لا يلتفت الى ما سواه و هذا المعنى موجود في عبادة العبد مع عدم رؤيته فينبغي أن
 يعمل بمقتضاه اذ لا يخفى أن من يرى من يعمل له العمل يعمل له احسن ما يمكن عمله و لا شك أن
 ذلك التحسين لرؤية المعمول له العامل حتى لو كان العامل يعلم أن المعمول له ينظر اليه من حيث
 لا يراه يحتشد في احسانه العمل أيضا و لذا قال (فان لم تكن تراه) أى تعامله معاملة من تراه
 (فانه يراك) أى فعامل معاملة من يراك أو فأحسن في عملك فانه يراك و في رواية فان لم تراه أى
 بأن غفلت عن تلك المشاهدة المحصلة لغاية الكمال فلا تغفل عما يجعل لك أصل الكمال فان ما لا يدرك
 كله لا يترك كله بل استمر على احسان العبادة مهما أمكن فانه يراك أى دائما فاستحضر ذلك لتستحي منه حتى
 لا تغفل عن مراقبته و لا تقصر في احسان طاعته و حاصل الكلام فان لم تكن تراه مثل الرؤية المعتوية
 فلا تغفل فانه يراك فالفاء دليل الجواب و تعليل الجزاء لان ما بعدها لا يصلح للجواب لان رؤية الله
 للعبد حاصلة سواء رآه العبد أم لا بل الجواب محذوف استغناء عنه بالمذكور لانه لازمه و قيل التقدير
 فكن بحيث انه يراك و هو موهم قال السيد جمال الدين و ليس معناه فان لم تكن تعبد الله كأنك تراه
 فاعبده كأنه يراك كما ظن فانه خطأ بين اه و أراد به الرد على الطيبي و بيانه ان روية الله تعالى لنا
 مستحقة دائما حالة العبادة و غيرها فالتعبير بكأنه يراك خطأ و الصواب فانه يراك و وهم بعضهم أيضا
 فقال بعد قوله كأنك تراه أى كأنك تراه و يراك فعذب الثاني لدلالة الاول عليه و هو غلط قبيح لما
 تقدم فالصواب أن يقال و هو يراك و حاصل جمع الاقوال الحث على الاخلاص في الاعمال و مراقبة
 العبد ربه في جميع الاحوال قال بعض العارفين الاول اشارة الى مقام المكاشفة و معناه اخلاص العبودية
 و رؤية الغير بعنت ادراك القلب عيان جلال ذات الحق و فوائده عن الرسوم فيه و الثاني الى مقام
 المراقبة في الاجلال و حصول الحياء من العلم باطلاع ذي الجلال قبل المعنى فان لم تكن بأن تكون
 فانبا تراه باقيا فانه يراك في كل حال من غير نقصان و زوال و ما قيل من أنه لا يساعده الرسم بالالف
 فمدفوع بحمله على لغة أو على اشباع حركة أو على حذف مبتدأ و هو أنت و جاز حذف الفاء من الجملة
 الاسمية الواقعة موقع الجزاء و المعنى أن تعبد الله في حال شعورك بوجودك لقوله تعالى و اعبد ربك

قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السائل

حتى يأتيك اليقين أى الموت باجماع المفسرين فإذا فنيت و مت موتا حقيقيا تراه رؤية حقيقية و ترتفع العبادات التكليفية و التكلفية و اذا مت موتا مجازيا و دخلت في حال الفناء و بقيت في مقام البقاء تراه رؤية مشاهدة غيبية تسقط عنك ثقل العبادات البدنية أو نفس الاعمال الظاهرية عند غلبات الجذبات الباطنية و قوله فانه يراك متعلق بالكلام السابق وان كان له تعلق ما أيضا باللاحق و انما اُظنبت في المقام لتخطئة بعض الشراح في ذلك الكلام ولا يتأفیه ما ورد في بعض الروايات فانك ان لا تراه فانه يراك و في بعضها فان لم تره فانه يراك فان القائل بما تقدم ما ادعى المراد من الحديث المؤدى بالعبارة بل ذكر معنى يؤخذ من فحوى الكلام بطريق الاشارة قيل و في قوله كأنك تراه دليل لما هو الحق من أن رؤية الله تعالى في الدنيا لا تقع لعديث مسلم و اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا قال الامام مالك لان البصر في الدنيا خلق للفناء فلم يقدر على رؤية الباقي بخلافه في الآخرة فانه لما خلق للبقاء الابدی قوى و قدر على نظر الباقي سبحانه فرؤيته صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بعين رأسه على القول به اما على أنه مستثنى و اما لكونه في الملكوت الاعلى الذى لا يصدق عليه الدنيا و نزاع المعتزلة معروف في هذه المسئلة هذا و قد جاء في كثير من الروايات أن جبريل هنا أيضا قال صدقت و لعل بعض الرواة لم يذكره نسيانا أو اختصارا أو اعتمادا على المذكور و في بعض روايات صحيح مسلم و شرح السنة مسطور و قيل انما لم يقل ههنا صدقت لان الاحسان هو الاخلاص و هو سر من اسرار الله تعالى لا يطلع عليه ملك مقرب و لاني مرسل كما جاء في الحديث المسلسل الرباني الاخلاص سر من اسرارى اودعته قلب من احببت من عبادى اه و ما ذكر أولا هو الاولى (قال فاخبرني عن الساعة) أى عن وقت قيامها لما في رواية متى الساعة لا وجودها لانه مقطوع به و قيل لانه علم من قوله السابق و اليوم الآخر و هي جزء من أجزاء الزمان عبر بها عنها وان طال زمنها اعتبارا بأول زمانها فانها تقع بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو تفاؤلا كالمفازة للمهلكة أولانها عند الله كساعة عند الخلق كذا في الكشاف و الساعة لغة مقدار غير معين من الزمان و عرفا جزء من أربعة و عشرين جزءا من اوقات الليل و النهار قيل و الساعة كما تطلق على القيامة و هي الساعة الكبرى تطلق على موت أهل القرن الواحد و هي الساعة الوسطى كما في قوله عليه الصلاة والسلام حين سأله عن الساعة فأشار الى أصغرهم ان يعيش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم اذ المراد انقضاء عصرهم ولذا أضاف اليهم و على الموت و هي الساعة الصغرى و ورد من مات فقد قامت قيامته (قال ما المسؤول عنها) أى عن وقتها قيل حق الظاهر أن يقول ما المسؤول عنه ليرجع الضمير الى اللام أجيب بأنه كما يقال سألت عن زيد المسئلة يقال سألته عنها وهو الاستعمال الاكثر فالضمير المرفوع راجع الى اللام و المجرور الى الساعة و ما نافية أى ليس الذى سئل عنها (باعلم من السائل) نفى أن يكون صالحا لان يسئل عنه في أمر الساعة لانها من مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو و قد قال تعالى أكاد أخفيها قيل أى عن ذاتي مبالغة على سبيل الكناية لما عرف أن المسؤول عنه يجب في الجملة أن يكون أعلم من السائل فلا يقال لا يلزم من نفي الاعلمية نفي أصل العلم عنها مع أنها متساويان في انتفاء العلم بذلك و مساق الكلام يقتضى أن يقول لست أعلم بعلم الساعة منك لكنه عدل ليئيد العموم لان المعنى كل سائل و مسؤول سيات في ذلك و في رواية فنكس فلم يجبه ثم أعاد فلم يجبه شيئا ثم رفع رأسه و قال ما المسؤول عنها باعلم من السائل و الباء مزيدة لتأكيد النفي قيل و ما أفهمه من أنها

قال فاخبرني عن اماراتها قال ان تلد الامة ربتها

مستويان في العلم به غير مراد فانهما مستويان في نفي العلم به أو في العلم بأن الله استأثر به فتعين أن المراد استواؤهما في القدر الذي يعلمانه منه وهو نفس وجودها وهذا وقع بين عيسى وجبريل أيضا إلا ان عيسى كان سائلا وجبريل مسؤولا فانتفض باجنته فقال ما المسؤول عنها باعلم من السائل رواه الحميدي عن سفيان عن مالك بن مقول عن اسمعيل بن رجاء عن الشعبي فان قلت فلم سأل جبريل عن الساعة مع علمه بأنه لا يعلمها الا هو وما التوفيق بين الآية وبين ما اشتهر عن العراء من الاخبار الغيبية كما قال الشيخ الكبير أبو عبد الله في معتقده ونعتقد أن العبد ينقل في الاحوال حتى يصير الى نعت الروحانية فيعلم الغيب وتطوى له الارض ويمشي على الماء ويغيب عن الابصار فالجواب أما عن الاول فلتنتبههم بذلك على انه ليس له الجواب عما لا علم له به ولا الاستكفاف من قول لا أدري الذي هو نصف العلم كما تبهم بما له الجواب عنه مما قد سأل بحسن السؤال الذي هو نصف العلم فتم العلم بذلك وأما عن الثاني فلان للغيب مبادئ ولواحق فبماديه لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وأما اللواحق فهو ما أظهره الله على بعض أحبائه لوحة عمله وخرج ذلك عن الغيب المطلق وصار غيبا اضافيا وذلك اذا تنور الروح القدس وازداد نوريتها واشراقها بالاعراض عن ظلمة عالم الحس وتخليه مرآة القلب عن صدا الطبيعة والمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية حتى يقوى النور وينسط في فضاء قلبه فتعكس فيه النقوش المرتمسة في اللوح المحفوظ ويطلع على المغيبات ويتصرف في اجسام العالم السفلى بل يتجلى حينئذ الفيض الاقدس بمعرفته التي هي اشرف العطايا فكيف بغيرها (قال فاخبرني عن اماراتها) بفتح الهمزة جمع اشارة الى علامة وفي رواية عن اشراطها وهو جمع شرط بالفتح بمعنى العلامة والمراد شئ من علاماتها الدالة على قربها ولذا قيل أي مقدماتها وقيل صغار أسورها وفي رواية وسأخبرك وفي أخرى وسأحدثك عن أشراطها وجمع بانه ابتداء بقوله وسأخبرك فقال السائل فاخبرني وبدل عليه ما في رواية ولكن ان شئت نبأتك عن أشراطها قال أجل وفي رواية فحدثني (قال ان تلد الامة ربتها) اي من جملة علاماتها أو احدى اماراتها ولادة الامة مالكتها ومولاها وقيل التقدير علاماتها ولادة الامة ورؤية الحفاة فاحتاج الى أن يقول آخر عن الجمع باثنين لانها أقله كما عليه جمع وتأنيها في هذه الرواية وان ذكر في روايات أخر باعتبار التسمية ليشمل الذكور والاناث أو فرارا من شركة لفظ رب العباد وان جوز اطلاقه على غيره تعالى بالاضافة دون التعريف لانه من الفاظ الجاهلية أو أراد البت يعرف الابن بالاولى والاضافة اما لاجل أنه سبب عتقها أو لانه ولد ربتها أو مولاها بعد الاب وفسر هذا القول كثير من الناس بان السبى يكثر بعد اتساع رقعة الاسلام فيستولد الناس اماء هم فيكون الولد كالسيد لانه لان ملكها راجع اليه في التقدير وذلك اشارة الى قوة الدين واستيلاء المسلمين وهي من الامارات لان بلوغ الغاية منذر بالتراجع والانحطاط المؤذن بقيام الساعة أو الى أن العزة تصير أذلة لان الام مربية للولد مدبرة أمره فاذا صار الولد ربتها سيما اذا كان بنتا ينقلب الامر كما ان القرينة الثانية على عكس ذلك وهي أن الاذلة يتقلبون عزة ملوك الارض فينتلهم المعطوفان وهذا اخبار بتغير الزمان واطلاق احوال الناس بحيث لا يشاهد قبله ويؤيده ما ورد من حديث انه اذا ضيعت الامانة وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وقيل سمي ولدها سيدها لان له ولعاه باورثه له عن أبيه اذا مات أو أنه كسيدها لصبر ورة

و ان ترى الحفاة العرابة العالة رعاء الشاء يتطا ولون في البنيان

مال أبيه اليه غالبا فتصير أمه كأنها أمته وقيل معناه ان الاماء تلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته و أيد بان الرؤساء في الصدر الاول كانوا يستنكفون غالبا من وطا الاماء و يتناسون في الحرائث ثم انعكس الامر سيما من أثناء دولة بني العباس و يقرب منه القول بان السبي اذا كثر قد يسبى الولد صغيرا ثم يعتق و يصير رئيسا بل ملكا ثم يسبى أمه فيشترها عالما أو جاهلا بها ثم يستخدمها و قد يطؤها أو يعتقها و يتزوجها و قيل معناه فساد الاحوال بكثرة بيع أمهات الاولاد فتدرد في أيدي المشتريين حتى يشترها ابنها أو يطأها و هو لا يعلم و يؤيده رواية بعلمها و ان قسر بسيدها و قيل معناه الإشارة الى كثرة عقوق الاولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الخدمة و غيرها و خص بولدالامة لان العتوق فيه أغلب و عبر في رواية البخارى باذا بدل أن المفتوحة إشارة الى تحقق الوقوع و لذلك قالوا يقال اذا قامت القيامة و لا يقال ان بالكسر لانه كفر لاشعاره بالشك قال ابن حجر و في جزمهم بان ذلك كفر نظر و يتعين حمله على من عرف هذا المعنى و اعتقده و الافكثيرا يستعمل ان موضع اذا و بالعكس لاغراض يثبت في علم المعاني (و ان ترى) خطاب عام ليدل على بلوغ الخطب في العلم مبلغا لا يختص به رؤية راء (الحفاة) بضم الحاء جمع الحافي و هو من لا نعل له (العرابة) جمع العارى و هو صادق على من يكون بعض بدنه مكشوقا مما يحسن و ينبغي أن يكون ملبوسا (العالة) جمع عائل و هو الفقير من عال يعيل اذا افتقر أو من عال يعول اذا افتقر و كثر عياله (رعاء الشاء) بكسر الراء و المد جمع راع كتاجر و تجار و الشاء جمع شاة و الاظهر انه اسم جنس و في رواية الابل البهم بضم الباء أى السود و هو بجر الميم و رفعها و صفا للرعاة جمع بهيم فيكون كناية عن جهلهم و انه لا يعرف لهم أصل من أبهم الامر اذا لم يعرف حقيقته و قال القرطبي الاولى حمله على سواد اللون لان الامة غالب ألوان العرب أو للابل جمع بهماء اذ السود شرها عند هم و خيرها عند هم الحمرومن ثم ورد خير من حمر النعم و في رواية البهم بفتح الباء و لا وجه له مع ذكر الابل بل مع حذفه الذى هو رواية مسلم اذ هو جمع بهمة وهي صغار الضأن و المعز و رجحت هذه على تلك لان رعاء الغنم أضعف أهل البادية بخلاف رعاء الابل فانهم أهل فخر و خيلاء (يتطا ولون في البنيان) أى يتفاضلون في ارتفاعه و كثرته و يتفاخرون في حسنه و زينته و هو مفعول ثان ان جعلت الرؤية فعل البصيرة أو حال ان جعلتها فعل الباصرة و معناه ان أهل البادية و أشباههم من أهل الفاقة تبسط لهم الدنيا ملكا أو ملكا فيتوطنون البلاد و يبنون القصور المرتفعة و يتباهون فيها فهو إشارة الى تغلب الاراذل و تذلل الاشراف و تولى الرياسة من لا يستحقها و تعاطى السياسة من لا يستحسنها كما أن قوله أن تلدالامة ربتها إشارة الى عكس ذلك و قيل كلاهما إشارة الى اتساع دين الاسلام فيتناسب المتعاطفان في الكلام و لعل تخصيصهما لجلالة خطبهما و نباهة شأنهما و قرب و قوعهما و يحتمل أن تكون الاولى ايماء الى كثرة الظلم و الفسق و الجهل و بلوغها مبلغ العليا و الثانية الى غلبة محبة الدنيا و نسيان منازل القبي و يقال تطاول الرجل اذا تكبر فلا يرد ما ذكره ابن حجر من قوله التفاعل فيه بين افراد العرابة الموصوفين بما ذكر لا ينضم و بين غيرهم ممن كان عزيزا فذل خلافا لمن وهم فيه و قال المعنى أن أهل البادية العارفين عن القيام بالدالة يسكنون البلاد و يتخذون القصور الرفيعة و يتكبرون على العباد و الزهاد و حاصل الكلام أن انقلاب الدنيا من النظام يؤذن بان لا يناسب فيها المقام فلا يعيش الاغنى الاخرة عند العتلاء الكرام كما أنشدت الملكة حرقلة بنت النعمان لما سببت

قال ثم انطلق فلبث مليا ثم قال لي يا عمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل
أتاكم يعلمكم دينكم

وأحضرت عند سعد بن أبي وقاص

فبينما لسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة لتتصرف
فأف لدينا لا يدوم لعيمةا * تقلب تارات بنا و تصرف

فهنيئا لمن جعل الدنيا كساعة و اشتغل فيها بالطاعة قياما بأمر الحبيب فان كل ما هو آت قريب قال
تعالى اقترب للناس حسابهم و هم في غفلة معرضون مايايتهم من ذكر من ربهم محدث الاستمعوه و
هم يلبثون (قال) أي عمر (ثم انطلق) أي السائل (فلبثت) أي أنا و في رواية فلبث أي هو
(مليا) بفتح الميم و تشديد الباء من الملاوة اذا المهموز بمعنى الغنى أي زمانا أو مكا طويلا و
بينته رواية أبي داود و النسائي و الترمذي قال عمر فلبثت ثلاثا و في رواية للترمذي فلبثت النبي صلى الله
عليه وسلم بعد ثلاث و في أخرى فلبثت ليالى فلبثت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث و في أخرى لا بين
حبان بعد ثلاثة و في أخرى لا بين منده بعد ثلاثة أيام و في ورود هذه الروايات رد على من وهم أن
رواية ثلاثا مصحفة من رواية مليا و المعنى اني لم أستخبر منه عليه الصلاة والسلام مهابة و في شرح
مسلم و هذا مخالف لرواية أبي هريرة من انه عليه الصلاة والسلام ذكره في المجلس اللهم الا أن يقال
ان عمر لم يحضر في الحال بل قام فأجبر الصحابة ثم أخبر عمر بعد ثلاثة أيام. (ثم قال لي يا عمر
أتدرى) أي أتعلم و في العدول نكتة لا تخفى (من السائل) أي ما يقال في جواب هذا السؤال
(قلت الله ورسوله أعلم) لان الامارات السابقة و التعجب أو قهيم في التردد أو هو بشر أم ملك و
هذا القدر يكفي في الشركة على أن اسم التفضيل كثيرا يراد به أصل الفعل من غير شركة (قال فانه
جبريل) أي اذا فوضتم العلم الى الله ورسوله فانه جبريل على تأويل الاخبار أي تفويضكم ذلك
سبب للاخبار به و قرينة المحذوف قوله الله ورسوله أعلم فالفاء فصحة لانها تفصح عن شرط محذوف
و أكد الكلام لان السائل طالب متردد و في رواية ردوه فأخذوا ليردوه فمارأوا شيئا قال القاضي
و جبريل ملك متوسط بين الله ورسوله و من خواص الملك أن يتمثل للبشر فيراه جسما اه قيل و السر
في التوسط ان المكالمة تقتضي مناسبة بين المتخاطبين فاقتضت الحكمة توسط جبريل ليتلفط الوحي
بوجهه الذي في عالم القدرة من الله سبحانه تلقفا روحانيا أو من اللوح و يلقبه بوجهه الذي في عالم
الحكمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فرمما ينزل الملك الى صورة البشر و ربما يرتقى النبي صلى الله عليه
وسلم و قد يرتقى الى المرتبة الملكية و يتعزى عن الكسوة البشرية فيرد الوحي على القلب في لبة
الجلال و أبهة الكبرياء و الكمال و يأخذ بمجامعه فاذا سرى عنه وجد المنزل ملقى في البروع كما في
السموع و هذا معنى قوله أحيانا يأتي مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فينصم عني و قد وعيت
ما قال و أحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعى ما يقول ثم جبريل يكسر العجم و فتحها مع كسر
الراء بعد ها ياء و بفتحها و همزة مكسورة مع ياء و تركها أربع لغات متواترات و الاوول أشهر و أكثر
(أتاكم) استئناف بيان أو خبر لجبريل على أنه ضمير الشأن (يعلمكم دينكم) جملة حالية من الضمير
المرفوع في أتاكم أي عازما تعليمكم فهو حال مقدرة لانه لم يكن وقت الاتيان معلما أو مفعول له
بتقدير اللام كما في رواية و المراد تثبيتهم على علمهم و تقريره بطريق السؤال و الجواب ليتمكن غاية
التمكن في نفوسهم لان المحصول بعد الطلب أعز من المشاق بلا تعب و اسناد التعليم اليه مجاز

رواه مسلم ورواه أبو هريرة مع اختلاف وفيه واذا رأيت الحفاة العراة الصم اليكم سلوك الارض في خمس

لانه السبب و أضاف الدين اليهم لانهم المختصون بالدين القيم دون سائر الناس أو الخطاب مخصوص بالصحابة خصوصا أو عموما فان سائر الناس يأخذون دينهم منهم رضي الله عنهم وفيه إيماء الى ان الايمان والاسلام والاحسان يسمى دينا فقله تعالى ان الدين عند الله الاسلام المراد به الكامل وكذا قوله عزوجل و من يتبع غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه وفي رواية أراد أن تعلموا اذا لم تسألوا و في أخرى و الذي بعث بهذا الحق ما كنت باعلم به من رجل منكم وانه لجبريل و في أخرى ثم ولى فلما لم ير طريقه قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم تحذوا عنه فوالذي نفسى بيده ما شبه على منذ أتاني قبل مرقي هذه و ما عرفته حتى ولى (رواه مسلم) أى عن عمر ورواه البخارى في كتاب الزكاة مع تغيير كذا قاله بعض شراح الاربعين و قال ابن حجر ولم يخرج به البخارى عن عمر لاختلاف فيه على بعض رواته و قال السيد جمال الدين و قد رواه البزار في مسنده من طريق أنس بن مالك و أبو عوانة الاسفرائينى في صحيحه من طريق جرير بن عبدالله البجلي و النسائى في سننه من طريق أبي ذر الهمداني و أحمد بن حنبل في مسنده من طريق ابن عباس و كل واحد من الطرق مشتمل على فوائد غزيرة و قرائد كثيرة لم توجد في طريق عمر و أبي هريرة و هذا حديث جليل سمي حديث جبريل و أم الاحاديث و أم الجوامع لانه متضمن للشريعة و الطريقة و الحقيقة بيانا اجماليا على الوجه الاتم الذى علم تفاصيلها من السنن النبوية و الشرائع المصطفوية على صاحبها ألوف التحية كما أن فاتحة الكتاب تسمى أم القرآن و أم الكتاب لاشتمالها على المعاني القرآنية و الحكم الفرقانية بالدلالات الاجمالية فحديث انما الاعمال بالنيات بمنزلة البسملة و هذا الحديث بمنزلة الفاتحة المصدرة بالحمدلة و هذا وجه وجه و تبيينه لاختيارهما في صدر الكتاب و مفتتح الابواب (ورواه أبو هريرة) أى هذا الحديث أيضا (مع اختلاف) أى بين بعض ألفاظهما (وفيه) أى في مروى أبي هريرة ردوا على الرجل فأخذوا يراودونه فلم يروا شيئا فأخبرهم انه جبريل ذكره ابن حجر و تقدم الجمع عن النووي مع أن كون هذا الاخبار في المجلس غير صريح فلا ينافي ما تقدم من اعلام عمر بعد ثلاثة أيام في الصحيح وفيه أيضا (واذا رأيت الحفاة العراة الصم) أى عن قبول الحق (اليكم) أى عن النطق بالصدق جعلوا لبلادتهم و حماقتهم و عدم تمييزهم كأنه أصيبت مشاعرهم مع كونها سليمة تدرك ما ينتفعون به (ملوك الارض) منصوب على انه مفعول ثان لرأيت أو على أنه حال و المراد بأولئك أهل البادية لما في رواية قال ما الحفاة العراة قال العريب مصغر العرب (في خمس) هو في موضع النصب على الحال أى تراهم ملوك الارض متفكرين في خمس كلمات اذ من شأن الملوك الجهال التفكير في أشياء لا تغنيهم ولا تغنيهم أو متعلق بأعلم أى ما المسؤول عنها بأعلم من السائل في علم خمس فان العلم بها مختص به تعالى وفيه اشارة ظاهرة الى ابطال الكهانة و التنجيم و نحوهما من كل ما فيه تسور على علم شئ كلى أو جزئى من هذه الخمس و ارشاد لامة و تحذير لهم عن اتيان من يدعى علم الغيب لقوله تعالى قل لا يعلم من في السموات و الارض الغيب الا الله فان قلت قد أخبر الانبياء و الاولياء بشئ كثير من ذلك فكيف الحصر قلت الحصر باعتبار كلياتها دون جزئياتها قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول بناء على اتصال الاستثناء الذى هو الاصل و أخرج أحمد عن ابن مسعود أوتي نبيكم علم كل شئ سوى هذه الخمس و أخرجه عن ابن عمر ينحوه مرفوعا و قال القرطبي من ادعى علم شئ منها غير مستند اليه عليه الصلاة و السلام كان كاذبا في دعواه قال

لا يعلمهن الا الله ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الاية متفق عليه

و أما ظن الغيب فقد يجوز من المنجم وغيره اذا كان عن أمر عادي و ليس ذلك بعلم و قد نقل ابن عبد البر الاجماع على تحريم أخذ الاجرة و الجمل و اعطائها في ذلك اه و يؤيده - ما أخرجه حميد بن زنجويه أن بعض الصحابة ذكر العلم بوقت الكسوف قبل ظهوره فانكر عليه فقال انما الغيب خمس وتلا هذه الاية و ما عدا ذلك غيب يعلمه قوم و يجمله قوم اه و ما ذكره بعض الاولياء من باب الكرامة باخبار بعض الجزئيات من مضمون كليات الاية فلعله بطريق المكشفة أو الالهام أو المنام التي هي ظنيات لا تسمى علوما يقينيات و قيل الجار متعلق بمقدر أى ذكر الله ذلك في خمس أو تجد ذلك في خمس و قيل في بمعنى مع و قيل بمعنى من أى من جملة خمس و قيل هو مرفوع المعل على الخبرية أى الساعة ثابتة أو معدودة في خمس و يؤيده رواية هي في خمس من الغيب أى علم وقت الساعة مندرج في جملة خمس كلمات (لا يعلمهن الا الله) كما افاده تقديم عنده في الاية الاية اذ الظرف خبر مقدم لافادة الحصر لان تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر و عطف ينزل و ما بعده بتقدير أن المصدرية على الساعة و جملة و ما تدرى المقصود منهما اثبات ذلك المنفى عن الغير فيهما لله تعالى و هذا كله انما يحتاج اليه ان لم يفسر الخمس بمفاتيح الغيب في قوله تعالى و عنده مفاخ الغيب لا يعلمها الا هو و أما اذا فسرت بها فالحصر جلي لا يحتاج الى الاستدلال عليه و اعلم ان الجواب تضمن زيادة على السؤال اهتماما بذلك و ارشادا للامة لما يترتب على ذلك من المصلحة الكثيرة الفوائد العظيمة العوائد (ثم قرأ) أى النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله عنده علم الساعة) أى آية تلك الخمس بكاملها كما دل عليه السياق بيانا لها و يحتمل أن يكون فاعل قرأ أباهريرة فتكون الاية استشهدا و مصداقا للحديث (و ينزل الغيث) قرى بالتشديد و التخفيف أى وهو ينزل المطر الذى يغيث الناس في أمكنته و أزمنتها لا يعلمها الا هو (الاية) من قول احد الرواة بالنصب على تقدير أعنى أو يعنى أو قرأ أو قرأ أو على أنه بدل مما قبله و بالرفع أى الاية معلومة مشهورة اذا قرأها و قيل بالجور و التقدير قرأ أو قرأ الى الاية أى آخرها و في رواية لمسلم الى خبير و أخرى للبخارى الى الارحام و الاولى أولى لان فيها زيادة ثقة و افادة و الروايتان تدلان على أن لفظة الاية ليست من قول المصنف كما ظن بعضهم و تمامها و يعلم ما في الارحام أى و هو يعلم تفصيل ما في أرحام الاناث من ذكر أو أنثى و واحد و متعدد و كامل و ناقص و مؤمن و كافر و طويل و قصير و غير ذلك قال الله تعالى الله يعلم ما تحمل كل أنثى و ما تغيض الارحام أى تنقص و ما تزداد أى من مدة الحمل و الجثة و العدد و كل شئ عنده بمقدار أى بقدر و حد لا يتجاوز و عدل عن العلم في قوله و ما تدرى نفس ماذا تكسب غدا و ما تدرى نفس باى أرض تموت لان الدراية اكتساب علم الشئ بحيلة فاذا انتفى ذلك عن كل نفس مع كونه محتصبا ولم يقع منه على علم كان عدم اطلاعها على غير ذلك من باب أولى و المراد بالنفس ذات النفس أو ذات الروح و بهذين المعنيين لا يجوز اطلاق النفس على الله تعالى و لذا قيل بالمشكلة في قوله تعالى تعلم ما في نفسى ولا أعلم ما في نفسك و أما اذا أريد بها الذات المطلق فيصح اطلاقه على الله تعالى كما ورد سبحانه لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ان الله عليم أى بهذه الاشياء من جزئياتها و كما تكلم خصوصا و بغيرها عموما خبير أى باطنها كما أنه عالم بظواهرها أو معناه غير بعضها من جزئياتها لبعض عباده المخصوصين و قد أخبر في مواضع كتابه أن علم الساعة ما استأثر الله تعالى به و في رواية ثم ادبر فقال ردوه فلم يروا شيا (متفق عليه) أى اتفق الشيخان على مروى أبى هريرة

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله

الذى فيه هذه الزيادة لكن استدركه ميرك وقال الا أن البخارى لم يقل الصم اليكم ملوك الارض بل قال في كتاب الايمان واذا تطاول رعاة الابل البهم في البنيان وفي كتاب التفسير واذا كان الحفاة المرأة رؤس الناس فذلك من اشراطها وأخرجه أبو داود والنسائي بمعناه (وعن) أى وروى عن (ابن عمر رضي الله عنهما) أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير وأول مشاهدته الخندق على الصحيح وكان من أهل الورع والعلم والزهد قال جابر ما من أحد الا مالت به الدنيا وما مال بها ما خلا عمر وابنه عبدالله وقال نافع مامات ابن عمر حتى أعتق ألف انسان أو زاد ولد قبل الوحي بسنة ومات سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر وكان أوصى ان يدفن في الحل فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وكان الحجاج قد أمر رجلا فسم زج رمحه وزاحمه في الطريق ووضع الزج في ظهر قدمه وذلك أن الحجاج خطب يوما وأخر الصلاة فقال ابن عمر ان الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج لقد هممت ان أضرك الذى في عينك قال لا تفعل فانك سفيه مسلط وقيل انه أخفى قوله ذلك عن الحجاج ولم يسمعه وكان يتقدمه في المواقف بعرفة وغيرها الى المواضع التى كان النبي صلى الله عليه وسلم وقف فيها وكان ذلك يعز على الحجاج والحاصل أنه كان يخاف عليه ان يدعى الخيانة فحصل له الشهادة وله أربع وثمانون سنة روى عنه خلق كثير (قال قال رسو الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام) هو اسم للشرعية دون الايمان وقد يطلق على الاذعان بالقلب والاستسلام بجميع القوى والجوارح في جميع الاحوال وهو الذى أمر به ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال له أسلم وهذا أخص من الاول والمراد به الاسلام الكامل لان حقيقته مبنية على الشهادتين فقط وانا اقتصر على بيان اركانه مع ايماء الى بقية شعب ايمانه فلا يتوجه ما قيل انما يصح الحديث على مذهب الشافعى وغيره من أن الاسلام عبارة عن مجموع الثلاث (على خمس) أى خمس دعائم كما في رواية أو خصال أو قواعد وفي رواية لمسلم بالتاء أى خمسة أشياء أو أركان أو اصول وانا جازعنا لحذف المعدود شبهت حالة الاسلام مع أركانه الخمس على وجه الدوام بحال خبائه أقيم على خمسة أعمدة وقطبها الذى تدور عليه الأركان هي الشهادة الناشئة عن صميم القلب الشاهد عليه لفظ الشهادة المشبهة بالعمود الوسط للخيمة وبقية شعب الايمان بمنزلة الاوتاد للخباء قال الحسن رضي الله عنه في مجمع شهود جنازة للفردق ما عدت لهذا المقام فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ كذا سنة فقال الحسن هذا العمود فاين الاطناب وهو تمثيل شبه الاسلام بخيمة عمودها كلمة التوحيد والاطناب الاعمال الصالحة (شهادة أن لا اله الا الله) بالجور وهو الأشهر على أنه عطف بيان أو بدل من خمس بدل كل وهو مجموع المجزوات المتعاطفة من كل ويصح أن يكون بذل بعض مع ملاحظة الربط قبل العطف لعدم الربط بالنصب على تقدير أعنى وبالرفع على أنه خير مبتدأ محذوف وهو هي أو احداها أو على أنه مبتدأ خبره محذوف أى منها شهادة أن لا اله الا الله وأن مخففة ولا نافية للجنس واله اسمها ركب معها تركيب خمسة عشر ففتحته فتحة بناء لا عراب خلافا للزجاج حيث زعم أنه نصب بها لفظا وخبرها محذوف اتفاقا تقديره موجود ان أريد بالاله المعبود بحق والافتقاره معبود بحق والاحرف استثناء وقيل بمعنى غير وهي مع ما بعدها صفة اله وخبره محذوف وجوز نصب الجلالة نعتا لاله على أن الابعنى غير وقيل على الاستثناء والله مرفوع على البدلية من ضمير الخبر المستتر فيه وقيل بدل من اسم لا باعتبار محله قبلها وقيل على أنه خبر لا

وان يهدا عبده ورسوله واقام الصلاة وابتاء الزكاة والحج وصوم رمضان متفق عليه وعن ابي هريرة رضى الله عنه

(وأن يهدا عبده) أى الكامل (و رسوله) أى المكمل ولتلازم الشهادتين شرعا جعلنا خصلة ولفظة و اقتصر في رواية على احدى الشهادتين اكتفاء أو نسيانا قبل وأخذ من جمعهما كذلك في أكثر الروايات انه لا بد في صحة الاسلام من الاتيان بهما على التوالي والترتيب (واقام الصلاة) أى المفروضة و حذفت تاء الاقامة المعوضة عن عين الفعل المعذوفة عند الاضافة لطول العبارة هذا هو التحقيق على ما قاله الزجاج وقيل هما مصدران (و ابتاء الزكاة) أى اعطائها و تملكها لمصارفها والمراد بها الصدقة المكتوبة (والحج) يفتح الحاء و كسرهما مصدران وفي رواية وحج البيت أى قصده لاداء النسك فاللام عوض عن المضاف اليه وقيل اللام للعهد الذهني والواو لمطلق الجمع فلا يريد ان الصوم فرض قبل الزكاة وهى قبل الحج ولعل النكتة في التقديم الذكرى هى الاشارة الى ان العبادة اما بدنية فقط او مالية فقط او مركبة منهما أو ايماء الى ان الطاعة المثلثة اما يومية أو سنوية أو عمرية ولم يذكر الاستطاعة لشهرتها أو لاعتبارها في كل طاعة (وصوم رمضان) أى أيامه بشرائط وأركان معلومة قيل فيه حذف شهر وفيه ان رمضان اسم للشهر وقوله تعالى شهر رمضان اضافته بيانية وقد ورد في بعض الروايات تقديمه على الحج وكلاهما صحيح لما تقدم ولذا قدم البخارى كتاب الحج على الصوم والجمهور آخروه عن جميع العبادات لكون وجوبه يتعلق بآخر العمر قال النووي ذكر البخارى هذا الحديث في مفتتح كتاب الايمان ليبين أن الاسلام يطلق على الاعمال وان الاسلام والايمان قد يكونان بمعنى واحد وقال ابن حجر وجه ذكر الاربعة الاخيرة مع الشهادتين وان توقف لم دخول في الاسلام عليهما فقط التنبيه على تعظيم شأنها و أنها أظهر شعائر الاسلام اذ بها يتم الاستسلام و بترك بعضها ينحل قيد الاقياد وان لم يؤد الى كفر حيث لا انكار اجماعا الاماجاء عن أحمد وغيره في ترك الصلاة فانه لدليل خاص كقولوه عليه الصلاة والسلام من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ولم يذكر الجهاد لانه فرض كفاية الا في بعض الاحوال والكلام في فروض العين التى هى أعظم شعائر الاسلام ولهذا زيد في آخره في رواية و أن الجهاد من العمل الحسن قيل وجه الحصر في تلك الخمسة أن العبادة اما فعل أو ترك الثانى الصوم والاول أما لسانى و هو الشهادتان أو بدنى و هو الصلاة أو مالى وهو الزكاة أو مالى و بدنى و هو الحج و قدمت الشهادتان لانهما الاصل ثم الصلاة لانها العماد الاعظم و من ثم جاء في حديث وعمودها الصلاة و في حديث الصلاة عماد الدين و قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر ولذا سميت أم العبادات كما سميت الخمر الخبائث ثم الزكاة لانها قرينتها في مواضع من القرآن و للمناسبة البدنية و المالية في القرآن ثم الحج لكونه مجمعا للعبادتين و محلا للمشتقين لان تاركه من غير عذر على مدرجة خاتمة السوء كما يدل عليه الحديث الذى اختلف في ضعفه وصحته من استطاع الحج فلم يحج فليمت ان شاء يهوديا و ان شاء نصرانيا و يدل على أصالة الحديث قوله تعالى و من كفر فان الله غنى عن العالمين حيث وضع من كفر موضع من لم يحج مع افادة مبالغة التهديد في قوله عن العالمين حيث عدل عن عنه و أما تأخيره عن الصوم كما فى رواية صحيحة فرعاية للترتيب فان الصوم فرض في السنة الثانية و الحج فرض سنة خمس أوست أوثمان أو توسع (متفق عليه) ورواه أحمد و أبو داود و الترمذى و النسائى أيضا و الأحاديث الثلاثة المتقدمة من جملة الأحاديث الاربعية النووية (و عن ابي هريرة رضى الله عنه) تصغير هرة قال المؤلف قد اختلف الناس في اسم ابي هريرة و نسبه اختلافا كثيرا و أشهر ما قيل فيه أنه كان في الجاهلية عبد شمس أو عبد عمرو و في الاسلام

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة فانفلها ثلث لاله الا الله

عبدالله أو عبدالرحمن وهو دوسى قال الحاكم أبو أحمد أصح شئى عندنا فى اسم أبى هريرة عبدالرحمن ابن صخر وغلبت عليه كنيته فهو كمن لا اسم له أسلم عام خبير وشهداها مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم لزمه وواظب عليه راغبيا فى العلم راضيا بشيخ بطنه وكان يدور معه حيثما دار وكان من أحفظ الصحابة قال البخارى روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ما بين صحابى وتابعى فمنهم ابن عباس وابن عمر و جابر وأنس قبل سبب تلقيه بذلك ما رواه ابن عبد البر عنه انه قال كنت أحمل يوما هوة فى كفى فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه فقلت هرة فقال يا أبا هريرة وفى رواية ابن اسحق وجدت هرة وحملتها فى كفى فقلت لى ما هذه فقلت هرة فقيل لى أنت أبو هريرة ورجع بعضهم الاول وقيل وكان يلعب بها وهو صغير وقيل كان يحسن اليها وقيل المكنى له بذلك والده ثم جر هريرة هو الاصل وصوبه جماعة لانه جزء علم واختار آخرون منع صرفه كما هو الشائع على ألسنة العلماء من المحدثين وغيرهم لأن الكل صار كالكلمة الواحدة واعترض بأنه يلزم عليه رعاية الاصل والحال معافى كلمة واحدة بل فى لفظه لأن أبا هريرة اذا وقعت فاعلا مثلا فانها تعرب اعراب المضاف اليه نظرا للحال ونظيره خنى وأجيب بان الممتنع رعايتهما من جهة واحدة لامن جهتين كما هنا وكان الحامل عليه الخفة واشتهار الكنية حتى نسى الاسم الاصلى بحيث اختلف فيه اختلافا كثيرا حتى قال النووى اسمه عبدالرحمن بن صخر على الأصح من خمسة وثلاثين قولاً وبلغ ما رواه خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعة وستين والصحيح أنه توفى بالمدينة سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين ودفن بالبقيع وما قيل ان قبره بقرب عسفان لا أصل له كما ذكره السخاوى وغيره (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان) أى ثمراته وفروعه فاطلق الايمان وهو التصديق والاقرار عليها مجازا لانها من حقوقه ولوازمه (بضع وسبعون) وفى رواية بضعه والباء مكسورة فيهما وقد تفتح وهى القطعة ثم استعمل فى العدد لما بين الثلاثة والعشرة وفى القاموس هو ما بين الثلاث الى التسع أو الى الخمس أو ما بين الواحد الى الاربعة أو من أربع الى تسع أو هو سبع اه ويؤيده انه جاء فى بعض الروايات سبع وسبعون والذى فى الاصل هو رواية مسلم جرى عليها أبو داود والترمذى والنسائى ورواية البخارى بضع وستون ورجحت بانها المتيقن وصوب القاضى عياض الاولى بانها التى فى سائر الاحاديث ورجحها جماعة منهم النووى بان فيها زيادة ثقات واعترضه الكرمانى بأن زيادة الثقة ان يزداد لفظ فى الرواية وانما هذا من اختلاف الروايين مع عدم تناف بينهما فى المعنى اذ ذكر الاقل لا ينفى الاكثر وانه صلى الله عليه وسلم أخبر أولا بالسنتين ثم أعلم بزيادة فأخبر بها ويجب بان هذا متضمن للزيادة كما اعترف به الكرمانى فصح ما قاله النووى والظاهر والله أعلم أن المراد به التاكثير لا التحديد ويحمل الاختلاف على تعدد القضية ولو من جهة راو واحد وقوله (شعبة) هى فى الاصل غصن الشجر وفرع كل أصل وأريد بها هنا الخصلة الحميدة أى الايمان ذوخصال متعددة وفى رواية صحيحة بضع وسبعون بابا وفى أخرى أربع وستون بابا أى نوعا من خصال الكمال وفى أخرى ثلاث وثلثون شريعة من وافا الله بشريعة منها دخل الجنة وروى ابن شاهين أن الله تعالى مائة خلق من أتى بخلق منها دخل الجنة وفسرت بتجو الحياء والرحمة والسخاء والتسامح وغيرها من اخلاقه تعالى المذكورة فى أسمائه الحسنى وصفاته العليا (فانفلها) الفاء تفصيلىة أو تقريعية وقيل انها جزائية يقال لها الفصيحة أى اذا كان الايمان ذا شعب فانفلها (قول لاله الا الله) أى هذا الذكر فوضع القول موضعه ويؤيده ما ورد بلفظ

و أدناها اطامة الاذى عن الطريق و الحياء شعبة من الايمان

أفضل الذكر لا اله الا الله لا موضع الشهادة لانها من أصله لا من شعبه و التصديق القلبى خارج عنها بالاجماع كذا قيل و هو مبنى على جعل الاقرار شطر الايمان و أما على القول بانه شرط فلا مانع من أن يكون المراد بالقول الشهادة لانبائه عن التوحيد المتعين على كل مكلف الذى لا يصح غيره الا بعد صحته فهو الاصل الذى يبنى عليه سائر الشعب أو لتضمنه شرعا معنى التوحيد الذى هو التصديق و التزامه عرفا سائر العبادات على التحقيق ويجوز أن يكون المراد أنه أفضلها من وجه و هو انه يوجب عصمة الدم و المال لا أنه أفضل من كل الوجوه والا يلزم أن يكون أفضل من الصوم و الصلاة و ليس كذلك ويجوز ان يقصد الزيادة المطلقة لا على ما أضيف اليه أى المشهور من بينها بالفضل فى الاديان قوله لا اله الا الله (و أدناها) أى أقربها منزلة و ادونها مقدارا و مرتبة بمعنى أقربها تناولا و أسهلها تواملا من الدنو بمعنى القرب فهو ضد فلان بعيد المنزلة أى رفيعها و من ثم رواء ابن ماجه مكان أفضلها بلفظ فارفعها و فى رواية فاقصاها أو من الدناءة أى أقلها فائدة لانها دفع أدنى ضرر (اطامة الاذى) أى ازالته و هو مصدر بمعنى المؤذى أو مبالغة أو اسم لما يؤذى به كشوكة أو حجر أو قدر قال الحسن البصرى فى تفسير الابراهم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الضر و فى رواية اطامة العظم أى مثلا (عن الطريق) و فى طريق أهل التحقيق أريد بالاذى النفس التى هى منبع الاذى لصاحبها و غيره فالشعبة الاولى من العبادات القولية و الثانية من الطاعات الفعلية أو الاولى فعلية لمرالله و الثانية من الشفقة على خلق الله أو الاولى من القيام بحق الله و الثانية من القيام بحق العباد فمن قام بهما صدقا كان من الصالحين حقا (و الحياء) بالمد (شعبة) أى عظيمة (من الايمان) أى من شعبه و المراد به الحياء الايمانى و هو خلق يمنع الشخص من الفعل التبعح بسبب الايمان كالحياء عن كشف العورة و الجماع بين الناس لا النفسانى الذى خلقه الله فى النفوس و هو تغير و انكسار يعترى المرء من خوف ما يلام و يعاب عليه و انما أورد من سائر الشعب لانه الداعى الى الكل فان الحى يخاف فضيحة الدنيا و فظاعة العقبي فينزجر عن المناهى و يرتدع عن الملامى ولذا قيل حقيقة الحياء ان مولاك لا يراك حيث نهاك و هذا مقام الاحسان المسمى بالمشاهدة الناشئ عن حال المحاسبة و المراقبة فهذا الحديث الجليل يحمل حديث جبريل فاقضها مشيرالى الايمان و أدناها مشعرالى الاسلام و الحياء موم الى الاحسان و من ثم قال عليه الصلاة والسلام استحوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحي من الله حق الحياء يا رسول الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان يحفظ الرأس وما حوى و البطن وما وعى و يذكر الموت و البلى و من أراد الآخرة ترك زينة الدنيا و آثر الآخرة على الاولى فمن يعمل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء رواه الترمذى وضح الحياء خير كله قال ابن حبان تبعت معنى هذا الحديث مدة و عدت الطاعات فاذا هى تزيد على البضع و السبعين شيئا كثيرا فرجعت الى السنة فعدت كل طاعة عداها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان فاذا هى تنقص فضممت ما فى الكتاب و السنة فاذا هى سبع و سبعون فعملت أنه المراد قال السيوطى قد تكلف جماعة عدها بطريق الاجتهاد يعنى البيضاوى و الكرمانى وغيرهما و أقربهم عدا ابن حبان حيث ذكر كل خصلة سميت فى الكتاب أو السنة ايمانا و قد تبعه شيخ الاسلام أبو الفضل ابن حجر فى شرح البخارى و تبعناها و ذلك الايمان بالله و صفاته و حدوث ما دونه و بملائكته و كتبه و رسله و القدر و باليوم

متفق عليه و عن عبدالله بن عمرو رضی الله عنه

الآخر ومحبة الله والحب في الله والبغض فيه ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاد تعظيمه وفيه الصلاة عليه واتباع سنته والاحلاص وفيه ترك الرياء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء والشكر والوفاء والصبر والرضا بالقضاء والحياء والتوكل والرحمة والتواضع وفيه توقير الكبير ورحمة الصغير وترك الكبر والمجب وتترك الحسد والحقد وترك الغضب والنطق بالتحديد والتواضع والوفاء والاحسان وتعلم العلم وتعليمه والدعاء والذكر وفيه الاستغفار واجتناب اللغو والتطهرحسا وحكما وفيه اجتناب النجاسات وستر العورة والصلاة فرضا ونفلا والزكاة كذلك وفك الرقاب والجود وفيه الاطعام والضيافة والصيام فرضا ونفلا والاعتكاف والتماس ليلة القدر والحج والعمرة والطواف والفرار بالدين وفيه الهجرة والوفاء بالنذر والتحرى في الايمان واداء الكفارات والتعفف بالنكاح والقيام بحق العيال وبر الوالدين وتربية الاولاد وصلة الرحم وطاعة السادة والرفق بالعبيد والقيام بالامر مع العدل ومتابعة الجماعة وطاعة اولي الامر والاصلاح بين الناس وفيه قتال الخوارج والبغاة والمعاونة على البر وفيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود والجهاد وفيه المراقبة واداء الامانة ومنها الخمس والقرض مع فائه واکرام الجار وحسن المعاملة وفيه جمع المال من حله وانفاق المال في حقه وفيه ترك التبذير والسرف ورد السلام وتشميت العاطس وكف الضرر عن الناس واجتناب اللهو واماطة الاذى عن الطريق اه ماذكره السيوطي في كتابه النقاية وادلتها مذكورة في شرحها امام الدراية ونجى في هذا الكتاب متفرقة ولكن ذكرتها لك مجملتا لتأمل فيها مفصلة فما رأيت نفسك متصففا بها فاشكر الله على ذلك وما رأيت على خلفاها فاطلب من الله التوفيق على تحصيل ما هنالك لان من وجدت فيه هذه الشعب فهو مؤمن كامل ومن نقص منه بعضها فهو مؤمن ناقص وأغرب النووي حيث قال الحديث نص في اطلاق اسم الايمان الشرعي على الاعمال و تعبه ابن حجر وقال تمسك به القائلون بان الايمان فعل جميع الطاعات والقائلون بان مركب من الاقرار والتصديق والعمل وليس كما زعموا لان الكلام في شعب الايمان لا في ذاته اذ التقدير شعب الايمان حتى يصح الاخبار عنه بسبعون شعبة اذ يرجع حاصله في الحقيقة الى أن شعب الايمان كذا و شعب الشيء غيره اه وفي الحديث تشبيه الايمان بشجرة ذات اغصان وشعب كما أن في القرآن تشبيه الكلمة الدالة على حقيقة الايمان بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء أي أصلها ثابت في القلب وفرعها أي شعبها مرفوعة في السماء (متفق عليه) قال ميرك وفيه نظر لان قوله بضع وسبعون شعبة من افراد مسلم وفي البخارى بضع وستون شعبة وكذا قوله فافضلها الى قوله عن الطريق من افراد مسلم فلا يكون متفقا عليه ورواه الاربعة أيضا الا أن الترمذى أسقط قوله والحياء شعبة من الايمان اه وذكر العيني ان قوله بضع وسبعون من طريق أبي ذر الهروي وقال السيوطي بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة رواه البخارى هكذا على الشك من حديث أبي هريرة ورواه أصحاب السنن الثلاثة بلفظ بضع وسبعون بلاشك و أبو عوانة في صحيحه بلفظ ست وسبعون أو سبع وسبعون والترمذى بلفظ أربع وستون اه فيؤول كلام المصنف بأن أصله من روايتهما دون زيادة فأفضلها الخ (وعن عبدالله بن عمرو) وكتب بالواو ليشتم عن عمر ومن ثمة لم يكتب حالة النصب لتمييزه عنه بالالف وهو ابن العاص القرشي (رضي الله عنهما) أسلم قبل أبيه وتوفى بركة أو الطائف أو مصر سنة خمس وستين أو ثلاث وسبعين وبينه وبين أبيه في السن احدى عشرة سنة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر مائتي
الله عنه هذا لفظ البخارى و لمسلم قال ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أى المسلمین خير قال
من سلم المسلمون من لسانه ويده

كما جزم به بعضهم قيل وهذا من خواصه كذا ذكره ابن حجر وقال المصنف كان أبوه أكبر منه
بثلاث عشرة سنة وقيل باثنتي عشرة سنة وكان غزير العلم كثيرا الاجتهاد في العبادة عمى آخر عمره و
كان أكثر حديثا من أبي هريرة لانه كان يكتب لكن ماروى عنه وهو سبعائة حديث قليل بالنسبة
لماروى عن أبي هريرة قال المصنف كان ممن قرأ الكتب واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في أن يكتب
حديثه فأذن له (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم) أى الكامل لما تقدم من معنى الاسلام
أو المسلم الحقيقي المتصف بعباده الغوى (من سلم المسلمون) أى والمسلمات اما تغليا واما تبعا
ويلحق بهم أهل الذمة حكما وفي رواية ابن حبان من سلم الناس (من لسانه) أى بالشم واليمن
والغيبة والبهتان والنعمة والسعى الى السلطان وغير ذلك حتى قيل أول بدعة ظهرت قول الناس
الطريق الطريق (ويده) بالضرب والقتل والهدم والدفع والكتابة بالباطل ونحوها وخصالان
أكثر الاذى بهما أو أريد بهما مثلا وقدم اللسان لان الايذاء به أكثر وأسهل ولانه أشد نكايه كما قال
جراحات السنان لها التثام * ولا يلتام ما جرح اللسان

ولانه يعم الاحياء والاموات وابتلى به الخاص والعام خصوصا في هذه الأيام وعبر به دون القول
ليشمل اخراجه استهزاء وبغيره وقيل كنى باليد عن سائر الجوارح لان سلطة الاعمال انما تظهر بها اذ
بها البطش والقطع والوصل والنعى والاخذ فقيل في كل عمل هذا مما عملته أيديهم وان لم يكن
وقوعه بها وفيه ان الايدي واليدين توضعان موضع الانفس والنفس لان أكثر الاعمال يزاول بهما
ولا يعرف استعمال اليد المفردة بهذا المعنى ثم الحد والتعزير وتاديب الاطفال والدفع لنحو
الصيال ونحوها فهي استصلاح وطلب للسلامة أو مستثنى شرعا أو لا يطلق عليه الاذى عرفا (و
المهاجر) أى الكامل أو حقيقة لشموله أنواع الهجرة لان فضله على اندوام (من هجر) أى ترك
(مائتي الله عنه) أى في الكتاب أو السنة وفي رواية ما حرم الله عليه وأريد بالمفاعلة المبالغة حيث
لم تصح المغالبة (هذا لفظ البخارى) ورواه أبو داود والنسائي (و لمسلم) أى في صحيحه بعضه
فانه أخرج شطره الاول عن جابر مرفوعا بلفظه وبمعناه عن عبدالله بن عمرو (قال ان رجلا سأل النبي
وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى المسلمین) أى أى افراد هذا الجنس أو أى قسى هذا
النوع (خير) أى أفضل وأكمل (قال من سلم المسلمون من لسانه ويده) ورواه البخارى بلفظ
أى الاسلام أفضل قال من سلم الخ أى اسلام من سلم وقيل لكون أى لا تدخل الاعلى متعدد كان فيه
حذف تقديره أى أصحاب الاسلام وقيل أى خصال الاسلام وقيل الاسلام بمعنى المسلم كمدل بمعنى
عادل مبالغة و فرق بين خير وأفضل مع ان كلاهما أفعل تفضيل بان الاول من الكيفية اذ هو النفع في
مقابلة الشر والمضرة والثاني من الكمية اذ هو كثرة الثواب في مقابلة القلة وفي الروايتين جميعا دلالة
على ان المسلم في الرواية السابقة المراد بها الكامل ومن ثم قال الخطابي ان هذا على حد قولهم الناس
العرب أى هم أفضل الناس فههنا المراد أفضل المسلمين من جمع الى أداء حقوق الحق أداء حقوق
الخلق والانتصار على الثاني اما لان الاول مفهوم بالطريق الاولى أو لان تركه أقرب الى العفو أو لان
الثاني يتعلق به الحتان فخص للاهتمام والاعتناء به ولحصول السلامة الدنيوية والاخرية بوجوده

و عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين

أو إشارة الى أن علامة الاسلام هي السلامة من ايذاء الخلاق كما ان الكذب والغيابة وخلف الوعد علامة المنافق (و عن أنس رضي الله عنه) أي ابن مالك بن النضر الانصاري الخزرجي النجاري بنون مفتوحة قبل جيم مشددة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين بعد ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين وقالت أمه يا رسول الله خويدمك ادع الله له فقال اللهم بارك في ماله وولده وأطل عمره واغفر ذنبه فقال لقد دفنت من صلبى مائة الاثنتين وأن تُحرق لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى شممت الحياة وأنا أرجو الرابعة أي المغفرة قيل عمر مائة سنة وزيادة و هو آخر من مات من الصحابة بالبصرة سنة ثلاث وتسعين انتقل الى البصرة في خلافة عمر ليفقه الناس روى عنه خلق كثير وكنيته أبو حمزة وهي اسم بقلة حُرَيفِيَّة ومنه حديث أنس كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلة كنت أُجَنَّبُهَا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم) وفي رواية الرجل وفي أخرى أحد وهي أشمل منهما والاولى أخص أي ايماننا كاملا (حتى أكون) بالنصب بان مضمرة وحتى جارة (أحب اليه) أفعل التفضيل بمعنى المفعول وللتوسع في الظرف قدم الجار على معمول أفعل وهو قوله (من والده) أي أبيه وخص عن الام لانه أشرف فحبه أعظم أو المراد به ما يشملهما وهو ذوولد (وولده) أي الذكر والاثني وقدم الوالد لانه أشرف وأسبق في الوجود وتقديم الولد في رواية النسائي لان محبته أكثر وخصا لانهما أعز من غيرهما غالبا وأبدلا في رواية بالمال والاهل تعميما لكل ما تجبه النفس فذكرهما انما هو على سبيل التمثيل وكأنه قال حتى أكون أحب اليه من جميع أعزته ومن ثم أكد ذلك تأكيدا واستغراقا بقوله (و الناس أجمعين) عطفًا للعام على الخاص ثم النفس داخلة في هذا العموم لغة وان كانت خارجة عرفا لما سياتى في الحديث الآتي الموافق لقوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وقوله تعالى قل ان كان آباؤكم الآية وليس المراد الحب الطبيعي لانه لا يدخل تحت الاختيار ولا يكلف الله نفسا الا وسعها بل المراد الحب العقلي الذي يوجب ايثار ما يقتضى العقل رجحانه ويستدعي اختياره وان كان على خلاف الهوى كحب المريض الدواء فانه يميل اليه باختياره ويتناول بمقتضى عقله لما علم وظن ان صلاحه فيه وان تفرغته طبعه مثلا لو أمره صلى الله عليه وسلم يقتل أبويه وأولاده الكافرين أو بان يقاتل الكفار حتى يكون شهيدا لأحب أن يختار ذلك لعلمه ان السلامة في استئثار أمره صلى الله عليه وسلم أو المراد الحب الايماني الناشئ عن الاجلال والتوقير والاحسان والرحمة وهو ايثار جميع أغراض المحبوب على جميع أغراض غيره حتى القريب والنفس ولما كان صلى الله عليه وسلم جامعا لموجبات المحبة من حسن الصورة والسيرة وكمال الفضل والاحسان ما لم يبلغه غيره استحق أن يكون أحب الى المؤمن من نفسه فضلا عن غيره سيما وهو الرسول من عند المحبوب الحقيقي الهادى اليه والدال عليه والمكرم لديه قال القاضي ومن محبته نصر سنته والذب عن شريعته وتمنى ادراكه في حياته ليبدل نفسه وماله دونه اه ومن ارتقى الى غاية هذه المرتبة ونهاية هذه المزية سيدنا عمر رضي الله عنه فانه لما سمع هذا الحديث أخبر بالصدق حتى وصل ببركة صدقه الى كمال ذلك فقال بمقتضى الامر الطبيعي لانت يا رسول الله أحب الى من كل شئ الا من نفسى فقال لا والذي نفسى بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال عمر فانك الآن والله أحب الى من نفسى فقال الآن يا عمر تم ايمانك براه البخارى وهو يحتمل احتمالين أحدهما

متفق عليه و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان

أنه فهم أولا ان المراد به الحب الطبيعي ثم علم أن المراد الحب الايماني والعقل فاطهر بما أضر و ثانيهما انه أوصله الله تعالى الى مقام الاتم ببركة توجهه عليه الصلاة والسلام فطبع في قلبه حبه حتى صار كأنه حياته ولبه ولهذا قيل فهذه المحبة منه رضي الله عنه ليست اعتقاد الاعظيمة فحسب لائها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا بل أمر يترتب على ذلك به يقنى المتحلى به عن حظ نفسه و تصوير خالية عن غير محبوبه قال القرطبي و كل من صح ايمانه به عليه الصلاة والسلام لا يخلو عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجعة و ان استغرق بالشهوات و حجب بالغفلات في اكثر الاوقات بدليل ان انارى اكثرهم اذا ذكر صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته و أثرها على اهل و ماله و ولده و والده و أوقع نفسه في المهالك و المخاوف مع وجدانه من نفسه الطمأنينة بذلك وجدانا لا تردد فيه و شاهد ذلك في الخارج اثار كثيرين لزبارة قبره الشريف و رؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لما و قر في قلوبهم من محبته غير ان قلوبهم لما تواتر غفلاتها و كثرت شهواتها كانت في أكثر أوقاتها مشغولة بلهوها ذاهلة عما ينفعها مع ذلك هم في بركة ذلك النوع من المحبة فيرجى لهم كل خير ان شاء الله تعالى ولا شك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم لانه ثمرة المعرفة و هم بقدره و منزلته أعلم و قال النووي في الحديث تلميح الى صفة النفس المطمئنة و الامارة فمن رجع جانب نفسه المطمئنة كان حبه عليه الصلاة والسلام راجعا و من رجع جانب نفسه الامارة كان بالعكس اه و اللوامة حالة بينهما مترتبة عليهما ولذا لم يذكرها معهما (متفق عليه) و رواه أحمد و النسائي و ابن ماجه قال النووي مذهب أهل الحق من السلف و الخلف أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال فان كان سالما عن المعاصي كالصغير و المجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ و النائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي اذا لم يحدث بعد توبته و الموفق الذي ما لم بمعصية قط فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلا لكنهم يردونها على الخلاف في الورد و الصحيح ان المراد به المرور على الصراط و هو جسر منصوب على ظهر جهنم نعوذ بالله منها و أما من كانت له معصية كبيرة و مات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء عفا عنه و أدخله الجنة و ان شاء عذبه بالقدر الذي يريد سيجانه ثم يدخل الجنة فلا يتخلد في النار أحداث على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل كما لا يدخل الجنة من مات على الكفر ولو عمل ما عمل من أعمال البر و هذا هو المذهب الذي تظاهرت عليه أدلة الكتاب و السنة و اجماع من يعتد به بحيث حصل العلم القطعي فان خالفه ظاهر حديث و يجب تأويله جمعابين الأدلة (و عنه) أى عن أنس (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه) مبتدأ و الشرطية خبر و جازع انه نكرة لان التقدير خصال ثلاث قال ابن مالك مثال الابتداء بنكرة هي وصف قول العرب ضعيف عاذ بجرملة أى انسان ضعيف التجالى ضعيف و الجرملة شجرة ضعيفة أو ثلاث خصال و التنوين عوض عن المضاف اليه على ما قاله ابن حجر و فيه أنه لم يعرف هذا في غير كل و بعض أو تنوينه للتعظيم فساغ الابتداء به و يجوز أن تكون الشرطية صفة لثلاث و يكون الخبر من كان و المعنى ثلاث من وجدن و اجتمعن فيه (وجد) أى أدرك و صادف و ذاق (بهن) أى بسبب و جودهن في نفسه (حلاوة الايمان) أى لذته و رغبته زاد النسائي و طعمه و أوثرت الحلاوة لانها أظهر اللذات الحسية وقد ورد ان حلاوة الايمان اذا دخلت قلبا لا تخرج منه أبدا ففيه اشارة الى بشارة حسن الخاتمة له و قيل معنى حلاوة الايمان استلذذ الطاعات و اثارها على جميع الشهوات و المستلذات و تحمل المشاق في مرضاة الله و رسوله و تجرع

من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبداً لأحبه الله ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه

المرارات في المصيبات والرضا بالقضاء في جميع الحالات وفيه تلميح الى الصحيح الذي يدرك الطعموم على ما هي عليه والرييض الصفراوى الذى يفضده اذ يجد طعم العسل من نقص ذوقه بقدر نقص صحته فالقلب السليم من أمراض الغفلة والهوى يذوق طعمه ويتلذذ منه ويتنعم به كما يذوق الفم طعم العسل وغيره من لذیذ الاطعمة ويتنعم بها بل تلك اللذة الايمانية اعلی فان في جنبها يترك لذات الدنيا بل جميع نعيم الاخرى (من كان) لابد من تقدير مضاف قبله لانه على الوجه الاول اما بدل أو بيان أو خبر لمبتدأ محذوف هو هي. أو هن أو احداها وعلى الثاني خبر أى محبة من كان (الله ورسوله أحب إليه) بالنصب على أنه خبر و افراده لانه وصل بمن والمراد الحب الاختيارى المذكور (مما سواهما) يعم ذوى العقول وغيرهم من المال والجاه و سائر الشهوات والمرادات وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الله ونفسه لفظ الضمير في ما سواهما مع نهييه عنه قائلاً ومن عصاهما فقد غوى لانه قد يجوز لهما لا يجوز لغيره ولذا قال عليه الصلاة والسلام في خطبة النكاح من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ووجه التخصيص أنه لا يتطرق اليه ايها التسوية بخلاف غيره لو جمع و اليه مال ابن عبد السلام ولذا قيل العمل بخبر المنع أولى لان الخبر الآخر يحتمل الخصوص ولانه قول والثاني فعل وقيل تشبيه الضميرها للايماء الى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لاكل واحدة فانها وحدها ضائعة لاغية و اليه الاشارة بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله والامر بالافراد هنالك للاشعار بان كلا من العصيانيين مستقل باستلزام الغواية فان العطف يفيد تكرير العاقل واستتلاله بالحكم فهو في قوة التكرار فكانه قال من عصى الله فقد غوى ومن عصى رسوله فقد غوى لايقال عصيان احدهما عصيان للاخر فلا يتصور الافراد لانا نقول كذلك لكن المراد تفضيح المعصية بانه لو فرض وجودها من رسوله وحده لكانت مستقلة بالاغواء فكيف وهي لا توجد الا منهما وهو معنى دقيق في غاية التحقيق وفيه ايماء لطيف و انهاء شريف الى ان المحبة مادة الاجتماع على وجه الكمال بحيث انه لا يعتمد المعايير ولذا قيل * انا من أهوى ومن أهوى أنا * والمخالفة موجبة للاتفاق ولذا قال هذا فراق بيني وبينك ولتلك المحبة علامات من اظهرها ما أشار اليه يحيى بن معاذ الرازى بقوله حقيقة المحبة إن لا تزيد بالعطاء ولا تنقص بالجفاء ولا يتم هذا الا لصديق جذبه أزمة العناية حتى أوقفته على عتبة الولاية وأحلته في رياض الشهود المطلق فرأى ان محبوبه هو الحق وما سواه باطل محقق (ومن أحب) أى وثابته محبة من أحب (عبداً) أى موسوماً بالعبودية لله حراً كان أو مملوكاً (لا يحبه) أى لشيئ (الله) والاستثناء مفرغ أى لا يحبه لغرض و عرض و عوض ولا يشوب محبته حظ دنيوى ولا أمر بشرى بل محبته تكون خالصة لله تعالى فيكون متصفاً بالحب في الله و داخلها في المتحابين لله و الجملة حال من الفاعل أو المفعول أو منهما (ومن يكره) أى وثالثتها كراهة من يكره (أن يعود) أى يرجع أو يتحول (في الكفر) وقيل أن يصير بدليل تعديته بئى على حد أو لتعودن في ملتنا فيشمل من لم يسبق له أكثر أيضاً ولا ينافيه قوله (بعد أن أنقذه الله منه) أى أخلصه ونجاه من الكفر لان أنقذ بمعنى حفظ بالعصمة ابتداء بأن يولد على الاسلام ويستمر بهذا الوصف على الدوام أو بالأخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان أو لا يشمله ولكنه مفهوم من طريق المساواة بل الاولى وفيه ايماء الى قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أى بهدأيته و

كما يكره ان يلقى في النار متفق عليه و عن العباس بن عبدالمطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا رواه مسلم

توفيقه فهو يعم الابتداء والانتها (كما يكره أن يلقى في النار) أي وكرهه من يكره الصيرورة
الكفر مثل كراهة الرمي والطرح في النار وفي رواية البخاري حتى أن يقذف في النار أحب إليه من
أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه وفي أخرى لهما من كان يكره أن يلقى في النار أحب إليه من
أن يرجع إليه يهوديا أو نصرانيا وفي رواية النسائي وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن
يشرك بالله شيء يعني أن الوقوع في نار الدنيا أولى بالابتئار من العود في الكفر وفيه إيماء إلى قول
السادة الصوفية الحجاب أشد العذاب ثم اعلم أن الخصلتين الأولى من أبواب التحلي بالفواضل
والفضائل والخصلة الأخيرة من أنواع التحلي من الرذائل ففيها تحث وتحرّض وترغب
وتحريض على تحصيل بقية الشامل وإيماء إلى أن المذكورات أمهات لغير المسطورات (متفق عليه)
ورواه أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجه بلفظ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله
وهو له أحب إليه مما سواها وأن يحب المرء لا يحبه الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ
أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار كذا في الجامع الصغير للسيوطي (وعن العباس بن عبدالمطلب)
أي عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بستين ومن لطافة فهمه ومثاقفة
علمه أنه لما سئل أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم قال هو أكبر وأنا أسن وأمه أول امرأة كست
الكعبة الحزير والديباج وأصناف الكسوة وذلك أن العباس ضل وهو صبي فنذرت أن وجدته أن
تكسو البيت الحرام فوجدته ففعلت ذلك وكان العباس رئيسا في البهايلية واليه كانت عمارة المسجد
الحرام والسقاية أما السقاية فهي معروفة بسقاية الحاج وأما العمارة فإنه كان يحمل قريشا على عمارته
وبالخير وترك السباب فيه وقول الهجر قال مجاهد اعتق العباس عند موته سبعين مملوكا ولد قبل سنة
الفيل ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثمان
وثمانين ودفن بالبقيع وكان أسلم قديما وكنتم اسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر مكرها
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فإنه خرج مكرها فأسره أبو اليسر كعب
ابن عمر فقادى نفسه ورجع إلى مكة ثم أقبل إلى المدينة مهاجرا وروى عنه جماعة (قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان) أي نال وأدرك وأصاب ووجد حلاوته ولذته
وأصل السدوق وجود أدنى طعم في الفم والمراد به الذوق المعنوي وأغرب
ابن حجر حيث قال ذوقا حسيا أو معنويا (من رضى) أي قنع نفسه وطاب قلبه
وانشرح صدره واكتفى (بالله ربا) أي مالكا وسيدا ومتصرفا ونصبه على التمييز وكذا أخواته
(وبالاسلام) أي الشامل للايمان (دينا) عطف عام على خاص (وبمحمد صلى الله عليه وسلم) و
الظاهر أنه ملحوق وليس لفظ النبوة (رسولا) عطف خاص على عام والمقصود من الرضا الاقتياد البياطني
والظاهري والكمال أن يكون صابرا على بلائه وشاكرا على نعمائه وراضيا بقدره وقضائه ومنه
واعطائه وان يعمل بجميع شرائع الاسلام بامتثال الأوامر واجتناب الزواجر وان يتبع الحبيب حق
متابعته في سنته وآدابه وأخلاقه ومعاشرته والزهد في الدنيا والتوجه الكلي إلى العقبى (رواه مسلم)
وكذا أحمد والترمذي وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر مرفوعا أظنوا أظنوا أظنوا أظنوا
لا اله الا الله محمد رسول الله وان الله ربنا والاسلام ديننا ومهد نبينا فانكم تستلون عنها في تبوركم قال

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس مهاد يده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من اصحاب النار

السيوطى فى سنده عثمان بن مطر (و عن أبي هريرة رضي الله عنه) مر ذكره (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى) أى والله الذى (نفس مهاد) أى روحه و ذاته و صفاته و حالاته و اراداته و حركاته و سكناته (بيده) أى كائنه بنعمته و حاصلة بقدرته و ثابتة باراداته و وجه استعارة اليد للقدرة ان أكثر ما يظهر سلطانها فى أيدينا وهى من المشابهات و مذهب السلف فيها تفويض علمه الى الله تعالى مع التنزيه عن ظاهره و هو أسلم حذرا من أن يعين له غير مراد له تعالى و يؤيده وقف الجمهور على الجلالة فى قوله تعالى و ما يعلم تأويله الا الله و عدوه و قفا لازما و هو ما فى وصله ايها معنى فاسد و من ثم قال ابو حنيفة رحمه الله تأويل اليد بالقدرة يؤدى الى تعطيل ما أثبتته تعالى لنفسه و انما الذى ينبغى الايمان بما ذكره الله تعالى من ذلك و نحوه على ما أراده و لا يشتغل بتأويله فنقول له يد على ما أراده لا كيد المخلوقين و مذهب الخلف فيها تأويله بما يليق بجلال الله تعالى و تنزيهه عن الجسم و الجهة و لوازمها بناء على ان الوقف على الراسخون فى العلم و كان ابن عباس يقول أنا أعلم تأويله و أنا من الراسخين فى العلم قبل و هذا أعلم و أحكم أى يحتاج الى مزيد علم و حكمة حتى يطابق التأويل سياق ذلك النص و ليس المعنى ان مذهب الخلف أكثر علما فالمدعيان متفان على التنزيه و انما الخلاف فى أن الاولى ما إذا أهو التفويض أم التأويل و يمكن حمل الخلاف على اختلاف الزمان فكان التفويض فى زمان السلف أولى لسلامة صدورهم و عدم ظهور البدع فى زمانهم و التأويل فى زمان الخلف أولى لكثرة العوام و أخذهم بما يتبادر الى الانهزام و غلو المبتدعة بين الانام و الله أعلم بالمرام ثم هو قسم جوابه (لا يسمع بي) و كان الاصل أن يقول و الذى نفسى لكنه جرد من نفسه النفيسة من اسمه مهاد وهو هولىكون أبلغ و أوقع فى النفس ثم التفت من الغيبة الى التكلم تنزيلا من مقام الجمع الى التفرقة و من الكون مع الحق الى الاشتغال بدعوة الخلق و الانتقال من خزانة الكمال الى منصة التكميل قال العارف السهروردى الجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمتى شاهد غيره فما ثم جمع فقوله أننا بالله جمع و ما أنزل البنا تفرقة و قال الجنيدى قدس الله سره و يسمى سيد الطائفة لانه لم ينطق قط بما لا يطابق الكتاب و السنة القرب بالوجد جمع و غيبته فى البشرية تفرقة و كل جمع بلا تفرقة زندقة و كل تفرقة بلا جمع تعطيل ثم قيل الباء زائدة أو بمعنى من و الاظهر أنها لتأكيد التعدية كما فى قوله تعالى ما سمعنا بهذا أو ضمن معنى الاخبار أى ما يسمع مخبرا بيعى و حاصل المعنى لا يعلم رسالتى (أحد) أى ممن هو موجود أو سوجد (من هذه الأمة) أى أمة الدعوة و من تبعيضية و قيل بيانية (يهودى ولا نصرانى) صفتان لحد و حكم المعطلة و عبدة الاوثان يعلم بالطريق الاولى أو بدلان عنه بدل البعض من الكل و خصالان كفرهما اقبح و على كل لا زائدة لتأكيد الحكم (ثم يموت) فيه اشارة الى انه ولو تراخى ايمانه و وقع قبل الفرغرة نفعه (و لم يؤمن بالذى أرسلت به) أى من الدين المرضى و الجملة حال أو عطف (الا كان) أى فى علم الله أو بمعنى يكون و تعبيره بالمضى لتحقق وقوعه و هو استثناء مفرغ من أعم الاحوال (من اصحاب النار) أى ملازميها بالخلود فيها و أما الذى سمع و آمن فحكمه على العكس و أما الذى لم يسمع و لم يؤمن فهو خارج عن هذا الوعيد ثم اعلم أن لا فى لا يسمع بمعنى ليس و ثم يموت عطف على يسمع الثبوت و لم يؤمن عطف على يموت أو حال من قاعله و ليس لنفى هذا المجموع و تقديره

رواه مسلم و عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه

ليس أحد يسمع في ثم يموت و لم يؤمن أو غير مؤمن كأننا من أصحاب شئى الا من أصحاب النار (رواه مسلم و عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه) أسلم بمكة و هاجر الى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينة و رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر و لاه عمر بن الخطاب البصرة سنة عشرين فافتتح أبو موسى الاهواز و لم يزل على البصرة الى صدر من خلافة عثمان ثم عزل عنها فانقل الى الكوفة فأقام بها و كان واليا على أهل الكوفة الى ان قتل عثمان ثم انتقل أبو موسى الى مكة بعد التحكيم فلم يزل بها الى أن مات سنة اثنين و خمسين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة) أى أشخاص ثلاثة مبتدأ خبره (لهم أجران) أى لكل واحد أجران عظيما مختصان به لا مشاركة لغيره فيهما (رجل) يدل من المبتدأ بدل بعض و العطف بعد الربط أو بدل كل و الربط بعد العطف أو خبر مبتدأ محذوف أى أحد هم أو مبتدأ موصوف محذوف الخبر أى منهم أو هو خبر المبتدأ و لهم أجران صفته و المرأة فى حكم الرجل (من أهل الكتاب آمن بنبيه) خبر بعد خبر و اختلف الشراح أن المراد هو النصراني أو اليهودى أيضا و الى الاول جنح صاحب الازهار و أيده بالدلائل العقلية و النقلية و مال غيره الى الثانى و أيده بمؤيدات نقلية و الخلاف مبنى على ان النصرانية هل هى ناسخة لليهودية أم لا و على كل فمن كذبه منهم و استمر على يهوديته لم يكن مؤمنا بنبيه فان قلت يؤيد ارادة الانجيل وحده رواية البخارى فاذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران قلت لا يؤيده لان النص على عيسى انما هو لمحكمة هى بعد بقاء مؤمن بموسى دون عيسى مع صحة ايمانه بان لم يبلغه دعوة عيسى الى بعثة نبينا فآمن به و هذا وان استبعد وجوده لكن فى حمل أهل الكتاب على ما يشملها فائدة هى ان اليهود من بنى اسرائيل ومن دخل فى اليهودية من غيرهم و لم يبلغه دعوة عيسى يصدق عليه أنه يهودى مؤمن بنبيه موسى و لم يكذب نبيا آخر بعده فاذا أدرك بعثة نبينا و آمن به تناوله الخبر المذكور و الاجر المسطور و من هؤلاء عرب نحو الين متهودون و لم تبلغهم دعوة عيسى لاختصاص رسالته ببنى اسرائيل اجماعا دون غيرهم فاتضح بهذا ان المراد التزوة و الانجيل كما هو المعهود ذهنا فى نصوص الكتاب و السنة و مما يصرح بالعموم الآية النازلة فى عبادة بن سلام و اشباهه وهى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله أو لك يؤتون أجرهم مرتين روى الطبراني من حديث رفاعة القرظى قال نزلت هذه الآية ق و فممن آمن بي و روى الطبراني انها نزلت فى سلمان و ابن سلام و لاتانى لان الاول كان نصرانيا و الثانى كان يهوديا فان قلت يهود المدينة لم يؤمنوا بعيسى فكيف استحقوا الاجر قلت لا نسلم عدم ايمانهم به و حاشا مثل ابن سلام و اضرا به مع سعة علومهم و كمال عقولهم أن يكفروا بعيسى كذا حقيقه ابن حجر و المراد من آمن بنبيه ايمانا صحيحا بان يؤمن اليهودى بموسى عليه الصلاة والسلام قبل العلم بنسخ شرعه بالانجيل بناء على أنه ناسخ و الاقبل نسخه بشريعتنا و اليهودى و النصراني بعيسى عليه الصلاة والسلام بالنسبة لمن علم رسالته اليه قبل نسخ شرعه بشريعتنا و انما قيدوا بما قبل النسخ لان المؤمن بنبى بعد أن بلغته دعوة غيره الناسخة له لا أجر له على ايمانه به لانه لا يصدق عليه حينئذ أنه آمن بنبيه قيل و يحتمل أنه لا يحتاج الى هذا التقييد اذ لا يبعد أن يكون طر و الايمان بنبينا عليه الصلاة والسلام سببا لتوابعه على الايمان السابق كما أن الكافر اذا أسلم يتأب على حسناته السابقة فى الكفر و يؤيده عموم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من

و آمن بمحمد و العبد المملوك اذا أدى حق الله و حق موالیه و رجل كانت عنده أمة يطؤها فادبها فاحسن تأديبها و علمها فاحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران

رحمته و كذا كتابه عليه الصلاة والسلام الى هرقل أسلم يؤتك الله أجرك مرتين و قومه لم يكونوا من بنى اسرائيل و انما دخلوا في النصرانية بعد التبدل كما صرح به شيخ الاسلام البلقيني و غيره و هذا هو الظاهر و قيل يحتمل أن يكون تضعيف الاجر له من جهة اسلامه و من جهة أن يكون اسلامه شيا لاسلام اتباعه (و آمن بمحمد) أى ايمانا صحيحا أيضا و انما لم يقل و بمحمد مع أنه أخصر للاشعار بتخصيص كل من النبيين بالايمان على سبيل الاستقلال دون التبعية ثم الايمان به متضمن للايمان بجميع الانبياء فالمقصود ان ايمانه السابق مثاب عليه فانه كان حقا (و العبد المملوك) وصف به لانه المراد لا مطلق العبد اذ جمع الناس عباد الله (اذا أدى حق الله) من صلاة و صوم و نحوهما (و حق موالیه) أى اسياده و ملاكه و متولى أمره من خدمتهم الجائزة جهده و طاقته و جمع الموالى لان آل في العبد للجنس فلكل عبد مولى عند التوزيع أو للإشارة الى أنه لو كان مشتركا بين جماعة فلا بد أن يؤدي حقوق جميعهم فيعلم المنفرد بالاولى أو للايامه الى أنه اذا تعدد موالیه بالمناوبة على جرى العادة الغالبة فيقوم بحق كل منهم (و رجل كانت عنده أمة يطؤها) أى يجامعها و فائدة هذا القيد أنه مع هذا أيضا يحصل له الثواب في تربيته و قيل ليس المراد وقوع الوطء بالفعل بل بالقوة و يؤيده اسقاطه من رواية البخارى و هي اذا أدب الرجل أمته فاحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران (فادبها) أى علمها الخصال الحميدة مما يتعلق بأداب الخدمة اذ الأدب هو حسن الاحوال من القيام و القعود و حسن الاخلاق (فاحسن تأديبها) بان يكون بلطف من غير عنف (و علمها) ما لا بد من أحكام الشريعة لها (فاحسن تعليمها) بتقديم الاله فالا هم (ثم أعتقها) أى بعد ذلك كله ابتغاء لمرضاة الله (فتزوجها) تحصيلها و رحمة عليها (فله) أى فللرجل الاخير (أجران) أجر على عتقه و أجر على تزوجه كذا قالوه و قيل أجر على تأديبه و ما بعده و أجر على عتقه و ما بعده و يكون هذا هو فائدة العطف بضم اشارة الى بعد ما بين المرتبتين قيل و في تكرير الحكم اهتمام بشأن الأمة و تزوجها و قيل يجوز أن يعود الضمير في فله الى كل واحد من الثلاثة فيكون التكرير للتأكيد أو لطول الكلام فيكون كالفعل كقولهم تعالى و لما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم الآية و يمكن أن يكون من باب اختصار الراوى أو نسيانه و قيل انما ذكر في الامة فله أجران دون ما سبق تأكيد الحالها فان ما يوجب الاجرين فيها مستحب جائز الترك و هو الاعتاق و التزوج فاحتيج الى التأكيد لئلا يترك بخلاف ما سبق فانه واجب لا يجوز تركه أو اشعارا بان ما يوجب الاجرين مختصا بالامة من جملة ما ذكر فيها من الامور الاربعة هو الاعتاق و التزوج فلذا ذكر عقبيهما فله أجران بخلاف التأديب و التعليم فانهما موجبان للاجر في الاجنبى و الاولاد و جميع الناس فلا يكون مختصا بالاماء و من ثمة اتجه سياق الشعبى لهذا الحديث ردا على من قال ان المتزوج لعتيقته كالراكب ليدته أى فلا أجر له و كان هذا هو الحامل لهم على ما مر من تفسير هم الاجرين بواحد على العتق و آخر على التزوج لانه يصير محسنا اليها احسانا أعظم بعد احسان أعظم بالعتق لان الاول فيه تخليص من قهر البرق و أسرهِ و الثاني فيه الترقى الى الحاق المتهور بقاهره قال تعالى في الزوجات و لهن مثل الذى عليهن بالمعروف قال الكرماني فان قلت ما العلة في تخصيص هؤلاء الثلاثة و الحال أن غير هم أيضا كذلک مثل من صام و صلى فان للصلاة أجرا و للصوم أجرا و كذا مثل الولد اذا أدى حق الله

متفق عليه و عن ابن عمر رضی اللہ عنہما قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله

و حق والده قلت الفرق بين هذه الثلاثة وغيرهم أن الفاعل من كل منهم جامع بين أمرين يشتمها مخالفة عظيمة كان الفاعل لهما فاعل للضدين اه وفيه أن هذه الضدية بعينها موجودة في حق الله تعالى و حق الوالد فالأحسن أن يقال المراد هذه الأشياء و أمثالها و ليس المقصود بذكرها نفى ماعداها على ما عليه الجمهور و لذا قال المهلب في الحديث دليل على أن من أحسن في معنيين من أي فعل كان من أفعال البركان له أجره مرتين و قال السيد جمال الدين يمكن أن يقال ان هذه الطوائف الثلاثة لكل منها أجران بسبب عمل واحد بشرط مقارنة عمل آخر فالذي آمن من أهل الكتاب و آمن بمحمد له أجران بسبب الايمان ببنيينا لكن بشرط الايمان بنبيه و العبد المملوك له أجران بسبب اداء حق الله لكن بشرط اداء حق مولاه تأمل اه و أنت اذا تأملت ظهر لك ان المقارنة ليست بشرط أصلا و ان الاجرين انما هو في مقابلة الايمانين و اداء الحقين فالوجه ما قدمناه و يمكن أن يقال لما كان يتوهم من نسخ الاديان المتقدمة ان لا ثواب لأصحابها مطلقا دفعه بهذا القول و كذا المشهور عند العامة ان ثواب عبادة المملوك للمالك فلذا خصه بالذكر و ربما كان يقال ان اعتاق الجارية و تزوجها لغرض نفسه و هو طبعه فلا يكون قيسها أجر قرفعه و بالغ فيه و قال له أجران أو يقال لما كان كل واحد من هؤلاء المذكورين في زمان الجاهلية مستمتعا من العمل الثاني فخصهم بالذكر و جضوم على الفعل بقوله لهم أجران و الله أعلم قيل و انما لم يضم مع هؤلاء الثلاث أمهات المؤمنين مع أن لهن الاجر مرتين لان ذلك خاص بهن و ما هنا عام (متفق عليه) قال السيوطي في الجامع الصغير رواه الشيخان و أهدد و الترمذي و النسائي و ابن ماجه بلفظ ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه و أدرك النبي صلی اللہ علیہ وسلم فآمن به و اتبعه و صدقه فله أجران و عبد مملوك أدى حق الله و حق سيده فله أجران و رجل كانت له أمة فقذاها فأحسن غذاها ثم أديها فأحسن تاديبها و علمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها و تزوجها فله أجران (و عن ابن عمر رضی اللہ عنہما) مر ذكره (قال قال رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم أمرت) لم يذكر الأمر للعلم به أي أمرني ربي بالوحي الجلي أو الخفي (أن أقاتل الناس) أي بان أجاهد هم و أحاربهم فان مصدرية أو مفسرة لما في الأمر من معنى القول (حتى يشهدوا) و في رواية حتى يقولوا (أن لا إله الا الله و أن محمداً رسول الله) أكثر الشراح على أن المراد بالناس عبدة الاوثان دون أهل الكتاب لانهم يقولون لا إله الا الله و لا يرق عنهم السيف الا بالاقرار بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام أو اعطاء الجزية و يؤيده رواية النسائي أمرت أن أقاتل المشركين و لا يتم هذا الا على رواية لم يوجد فيها و ان محمداً رسول الله و قال الطيبي المراد الا العم لكن خص منه أهل الكتاب بالآية قيل و هو الاولى لان الأمر بالقتال نزل بالمدينة مع كل من يخالف الاسلام قال ابن الصباغ في الشامل لما بعث النبي صلی اللہ علیہ وسلم فرض عليه التوحيد و التبليغ و قراءة القرآن بقوله اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم فرض الصلاة بمكة و فرض الصوم بعد سنتين من الهجرة و الحج في السنة السادسة أو الخامسة و أما الزكاة فقيل بعد الصيام و قيل قبله و أما الجهاد فلم يؤذن له بمكة و أذن له بالمدينة لمن ابتدأه ثم ابتدأه ثم في الحرم و الأشهر الحرم ثم نسخ ذلك و أبيع ابتدأه ثم في الأشهر الحرم و الحرم و قال ابن حجر حتى غاية لأمرت أو أقاتل و هو أولى أي الى أن يأتي بأربعة أشياء ما لم يعطوا الجزية ان كانوا من أهلها أو يعقد لهم أمان أو هدنة ان كانوا من غير أهلها

و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم و أموالهم الا بحق الاسلام و حسابهم على الله

كما استفيد من أدلة أخرى اه و قوله و هو أولى خلاف الأولى لأن الغاية تتعين للمقاتلة القابلة للاستمرار ولا يصح أن يكون غاية للاصر لعدم الاستقرار (و يقيموا الصلاة) أى المفروضة بان يأتوا بشرائطها و أركانها المجمع عليها قيل فيه دليل لمذهب الشافعي ان تارك الصلاة يقتل بشرطه المقرر في الفقه و فيه ان الكلام في المقاتلة لاق القتل و مقاتلة الامام لتارك الصلاة الى أن يأتوا بها محل وفاق مع انه منقوض بترك الزكاة فانه لم يقل به أحد (و يؤتوا الزكاة) وهي لا تكون المفروضة و فيه دليل لقتال مانعيها و لانزاع فيه و من ثم قاتلهم الصديق و أجمع عليه الصحابة رضى الله عنهم و قيل معناه حتى يقبلوا فرضيتهما ثم قيل أراد الخمسة التي نبي الاسلام عليها و اما خصتا بالذكر لانهما أم العبادات البدنية و المالية و أساسهما و العنوان على غيرهما و لذا سمي الصلاة عماد الدين و الزكاة قطرة الاسلام و قرن بينهما في القرآن كثيرا أو لكبر شأنهما على النفوس لتكررهما أو لم يكن الصوم و الحج مفروضين حينئذ و المراد حتى يسلموا و يدل عليه رواية البخارى حتى يشهدوا أن لا اله الا الله و يؤمنوا بي و بما جئت به و لهذا حذفنا في رواية استغناء عنها بالشهادتين لانهما الاصل و التحقيق أن يقال الشهادة اشارة الى تخليع لوح القلب عن الشرك الجلي و الخفى و سائر النقوش الفاسدة الردية ثم تحليته بالمعارف اليقينية و الحكم الالهية و الاعتقادات العتية و أحوال المعاد و ما يتعلق بالامور الغيبية و الاحوال الاخرية لان من أثبت ذات الله بجميع أسمائه و صفاته التي دل عليها اسم الله و نفى غيره و صدق رسالة النبي بنعت الصدق و الامانة فقد وفى بعهدة عهده و بذل نهاية جهده في بداية جهده و آمن بجميع ما وجب من الكتب و الرسل و المعاد و لذا لم يتعرض لاعداد سائر الاعداد و اقامة الصلاة ارشاد الى ترك الراحة البدنية و اتعاب الآلات الجسدية وهي أم العبادات التي اذا وجدت لم يتأخر عنها البواقى و لذا استغنى عن عدها و ترك السيات فان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و ايتاء الزكاة هو الاعراض عن الفضول العالية بل عن كل موجود وهمى بالموجود الحقيقى و بذل المال الذى هو شقيق الروح لاستفتاح أبواب الفتوح و الالام فيها للعهد أو للجنس فينصرف الى الكامل كقولهم هو الرجل كان ما عدا صلاة المسلمين و زكاتهم ليس صلاة ولا زكاة (فإذا فعلوا ذلك) أى المذكور من الشهادتين و الصلاة و الزكاة و يسمى القول فعلا لانه عمل اللسان أو تغليا (عصموا) بفتح الصاد أى حفظوا او منعوا (مني) أى من اتباعى أو من قبلى و جهة ديني (دماءهم و أموالهم) أى أستباحتهم بالسفك و النهب المفهوم من المقاتلة (الا بحق الاسلام) أى دينه و الاضافة لامية و الاستثناء مفرغ من أعم عام الجار و المجرور أى اذا فعلوا ذلك لا يجوز اهدار دماهم و استباحة أموالهم بسبب من الاسباب الا بحق الاسلام من استيفاء قصاص نفس أو طرف اذا قتل أو قطع و من أخذ مال اذا غضب الى غير ذلك من الحقوق الاسلامية كقتل لنحو زنا محصن و قطع لنحو سرقة و تفرغ مال لنحو اتلاف مال الغير المحترم و قال ابن مالك الاستثناء من الدماء و الاموال بحدف موصوف أى الادماء أو اموالا ملتسبة بحق (و حسابهم) أى فيما يسترون من الكفر و المعاصي بعد ذلك (على الله) و الجملة مستأنفة أو مطروقة على جزاء الشرط و المعنى اننا نحكم بظاهر الحال و الايمان القولى و نرفع عنهم ما على الكفار و نؤاخذهم بحقوق الاسلام بحسب ما يقتضيه ظاهر حالهم لانهم مخلصون والله يتولى حسابهم فيثيب المخلص و يعاقب المنافق و يجازى المصر بفسقه أو يعفو عنه و فيه دليل على أن من أظهر الاسلام

متفق عليه الا أن مسلما لم يذكر الا بحق الاسلام و عن أنس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاتنا و استقبل قبلتنا و أكل ذبيحتنا

و أبطن الكفر يقبل اسلامه في الظاهر و ذهب مالك الى أنه لا تقبل توبة الزنديق و هو من يظهر
الاسلام و يخفي الكفر و يعلم ذلك بان يقر أو يطلع منه على كفر كان يخفيه قليل لا تقبل و يتحتم قتله
لكنه ان صدق في توبته نفعه في الآخرة و قيل يقبل منه مرة فقط و قيل ما لم يكن تحت السيف
و قيل ما لم يكن داعية للضلال و قيل معنى الحديث أن القتال و العصمة انما هما في الاحكام الدنيوية و أما الامور
الاخرية من الثواب و العقاب و كميتها و كيفيتها فهو مفروض الى الله تعالى لادخل لنا فيه اه و قد يرجع الى المعنى
الاول فتأمل و قيل معناه أن الحساب كالواجب في تحقق الوقوع و قيل هو واجب شرعا بحسب وعده تعالى به
فيجب أن يقع لا أنه تعالى يحب عليه شئ فلا حجة فيه للمعتزلة في زعمهم و جوبه على الله تعالى عقلا ثم
الحساب مصدر كالمحاسبة و هو العد و قيل ومعنى حسابهم على الله أنه يعلمهم ما لهم و ما عليهم بان يخلق العلم
الضروري في قلوبهم بمقادير أعمالهم و بما لهم من الثواب و العقاب عن ابن عباس انه قال لا حساب
على الخلق بل يقفون بين يدي الله و يعطون كتبهم بايمانهم فيقال قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسنتهم
فيقال قد ضعفتها لكم فيكون مجازا من باب اطلاق السبب على المسبب لان الحساب سبب لحصول علم
الانسان بماله أو عليه أو أنه يجازيهم اذ الحساب سبب للاخذ و الاعطاء قال تعالى والله سريع الحساب
و معنى سرعتة ان قدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات من غير أن يفتقر في احداث شئ الى فكر و روية
و مدة و عدة و لذا ورد انه يحاسب الخلق في مقدار حلبة شاة أو في لمحة (متفق عليه) أي اتفق
البخاري و مسلم على رواية جميع الحديث المذكور (الا أن مسلما لم يذكر الا بحق الاسلام) لكنه
مراد و رواه النسائي و ابن ماجه من حديث جابر و هذا الحديث موافق لقوله تعالى فان تابوا أي عن
الكفر باتيان الشهادتين و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة فخلوا سبيلهم و في الجامع الصغير رواه الجماعة
عن أبي هريرة و هو متواتر أي معنوي بلفظ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله و اني
رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم و أموالهم الا بحقها و حسابهم على الله و في الجامع الكبير
روي ابن جرير و الطبراني في الاوسط عن أنس و حسنه بلفظ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن
لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم و أموالهم الا بحقها قيل وما حقها قال زنا بعد احصان أو كفر
بعد اسلام أو قتل نفس فيقتل بها اه فقي هذا الحديث دلالة ظاهرة على أن الاقرار شرط لصحة الاسلام
و ترتب الاحكام و رد ببلغ على المرجئة في قولهم ان الايمان غير مفتقر الى الاعمال و دليل على عدم
تكفير أهل البدع من أهل القبلة العقرين بالتوحيد الملتزمين للشرائع (و عن أنس) مر ذكره (انه)
هو ثابت في النسخ المصححة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا) أي كما نصلي ولا
توجد الا من موحد معترف بنبوته و من اعترف به فقد اعترف بجميع ما جاء به فلذا جعل الصلاة علما
لاسلامه ولم يذكر الشهادتين لدخولهما في الصلاة حقيقة أو حكما (و استقبل قبلتنا) انما ذكره مع
اندراجه في الصلاة لان القبلة أعرف اذ كل أحد يعرف قبلته وان لم يعرف صلاته ولأن في صلاتنا ما يوجد في صلاة
غيره و استقبال قبلتنا مخصوص بنا ولم يتعرض للزكاة و غيرها من الأركان اكتفاء بالصلاة التي هي عماد الدين
أو لتأخر وجوب تلك الفرائض عن زمن صدور هذا القول ثم لما ميز المسلم عن غيره عبادة ذكر ما
يميزه عبادة و عادة بقوله (و أكل ذبيحتنا) فان التوقف عن أكل الذبائح كما هو من العبادات فكذلك
من العادات الثابتة في الملل المتقدسات و الذبيحة فصلة بمعنى مفعولة و التاء للجنس كما في الشاة

فذلك المسلم الذي له ذمته و ذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته رواه البخارى و عن أبي هريرة قال أتى أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله ولا تشرك به شيئا و تقيم الصلاة المكتوبة و تؤدى الزكاة المفروضة و تصوم رمضان قال والذي نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئا ولا أنقص منه

(فذلك) أى من جمع هذه الاوصاف الثلاثة مبتدأ خبره (المسلم) أو هو صفته و خبره (الذى له ذمة الله و ذمة رسوله) أى أمانهما و عهدهما من وبال الكفار و ما شرع لهم من القتل و القتال و غيرها أى يرتفع عنه هذا و كرر لفظ ذمة اشعارا بأن كلا منهما مقصود و ان الأصل هو الأول و انهما متلازمان ولذا اقتصر عليه في قوله (فلا تخفروا الله في ذمته) من الاخيار أى لا تخونوا الله في عهده و لا تتعرضوا في حق من ماله و دمه و عرضه أو الضمير للمسلم أى فلا تنقضوا عهد الله بحذف المضاف و اقامة المضاف اليه مقامه في ذمته أى ما دام هو فى أمانه (رواه البخارى) و أبو داود و الترمذى و النسائى بمعناه (و عن أبي هريرة) مر ذكره (قال أتى أعرابي) أى بدوى منسوب الى الاعراب وهم سكان البادية كما أن العرب سكان البلد (النبي) أى جاءه و فى نسخة الى النبي (صلى الله عليه وسلم فقال دلني) بضم الدال و فتح اللام المشددة أى أرشدنى بالدلالة (على عمل) صفته أنه (اذا عملته دخلت الجنة) أى دخولا أولا غير مسبوق بنوع من العذاب (قال تعبد الله) خبر بمعنى الأمر أو فى تأويل المصدر بتقديران ولما حذف رفع الفعل و قيل مع بقاء أثره من النصب أو تنزيلا منزلة المصدر بذكر الفعل و ارادة الحدث كما فى تسع بالمعبدى خير من أن تراه و كقوله تعالى و من آياته يريكم البرق وهو فى الحديث مرفوع المحل بالخبرية لمبتدأ محذوف أى هو يعنى العمل الذى اذا عملته دخلت الجنة هو عبادة الله الخ ثم قيل المراد بالعبادة التوحيد للعطف و الاصل المغايرة و هو شامل للنبوة لانه لا يعتبر بدونها فذكره مغن عن ذكرها و قيل السائل كان مؤمنا فذكره لشرفه و كونه أصلا و قيل انه من باب عطف الخاص على العام (ولا تشرك به شيئا) أى من الاشياء أو من الشرك جليا أو خفيا و الجملة حالية أى غير مشرك و هو يؤيد ان المراد بالعبادة التوحيد و هذه الجملة تفيد التأكيد و على الثاني قيل انما ذكره ردا على الكفار حيث قالوا ما تعبد هم الا يقربونا الى الله زلفى و بيان لان العبادة لا تكمل الا اذا سلت من طرق الرياء قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا قال العارفون التعبد اما لنيل الثواب أو التخلص من العقاب و هى أنزل الدرجات و تسمى عبادة لان معبوده فى الحقيقة ذلك المطلوب بل نقل الفخر الرازى اجماع المتكلمين على عدم صحة عبادته أو للتشرف بخدمته تعالى و الانساب اليه و تسمى عبودية و هى أرفع من الاولى ولكنها ليست خالصة له أو لوجهه تعالى وحده من غير ملاحظة شئ آخر و تسمى عبودة و هى أعلى المقامات و أرفع الحالات (و تقيم الصلاة المكتوبة) أى المفروضة على الاعيان بشرائطها و أركانها المعلومة (و تؤدى) أى تعطى (الزكاة المفروضة) و التناجز بينهما للتفتن و هى هنا للتأكيد لئلا يتوهم المعنى اللغوى و هو مطلق الصدقة بخلاف الاولى فانها احترازية و المعنى أداء مقدارها المعينة لمبارقتها المقررة (و تصوم رمضان) و لا يكون الا مفروضا و لذا لم يقيده و من ثم صح صومه بنية مطلقة (قال) أى الاعرابى (و الذى نفسى بيده) فيه جواز اليمين لغير ضرورة (لا أزيد على هذا) أى ما ذكر (شيئا) أى من عندى (ولا أنقص منه) و قيل لا أزيد على هذا السؤال و لا أنقص فى العمل بحاسمته أو كان الرجل وفدا فالمعنى لا أزيد على ما سمعت فى تبليغه

فلما ولی قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم من سرہ أن ینظر الی رجل من أهل الجنة فلینظر الی هذا متفق علیہ
وعن سفیان بن عبد اللہ الثقفی قال قلت یا رسول اللہ قل لی فی الاسلام قولاً لا أسأل عنہ أحداً بعدک
و فی روایة غیرک قال قل آمنت باللہ ثم استقم رواہ مسلم

ولا أنقص منه ولما كانت العبادة شاملة لفعل الواجبات و ترك المنكرات أو أن الصلاة تنهى عن الفحشاء
و المنکر صح أثبات النجات له بمجرد ذلك و يؤيده رواية البخارى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشرائع الاسلام فأدبر الرجل و هو يقول والله لا أزيد ولا أنقص مما فرض الله تعالى على شياً و قيل قصد
به المبالغة فى التصديق و القبول أى قبلت قولك فيما سألتك عنه قولاً لا مزيد عليه من جهة السؤال
ولا نقص فيه من طريق القبول قبل و هذا قبل مشروعية النوافل ولا حاجة الى هذا فانها متممات
و مكملات للفرائض لا زيادة عليها مع أنه قد يقال مراده أنه لا يزيد على الاجناس المذكورة ولم يذكر
هنا الحج ولا الصوم فى رواية ولا الزكاة فى أخرى ولا الايمان فى أخرى و ذكر فى بعضها صلة الرحم
و فى بعضها أداء الخمس و أجاب ابن الصلاح كالتقاضى عياض بان سبب ذلك تفاوت الرواة حفظاً و
اتقاناً (فلما ولی) أى أدبر الاعرابى و ذهب (قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم من سرہ) أى أوقعه فى
السرور و اعجبه و الفاعل هو (أن ینظر الی رجل من أهل الجنة فلینظر) جواب الشرط أو خبر
متضمنه (الى هذا) أى هذا الرجل لعزمه على فعل المأمورات و ترك المعذورات فعلى من أراد اللحوق
به فى ذلك أن يصمم على ما صمم عليه ليكون من الناجين وليحشرهم السابقين فيحتمل أن تكون الاشارة الى
الفرد الجنى و هو ظاهر أو الى الفرد الشخصى و هو الاظهر و يكون العلم اما بالوحى أو بغلبة الظن
(متفق عليه و عن سفیان) بثلاث السنين و الضم هو المشهور (بن عبد الله) أى ابن ربيعة (الثقفى)
بفتحيتين نسبة الى قبيلة ثقفى يكنى أبا عمرو و قيل أبا عمرة يعد فى أهل الطائف له حجة و كان عاملاً
لعمربن الخطاب على الطائف مروياته خمسة أحاديث (قال قلت يا رسول الله قل لی فى الاسلام) أى فيما
يكمل به الاسلام و يراعى به حقوقه و يستدل به على توابعه و قيل التقدير فى مبادئ الاسلام و غاياته
(قولاً لا أسأل عنہ أحداً بعدک) أى قولاً جامعاً لا أحتاج فيه الى سؤال أحد بعد سؤالك هذا كقولہ
تعالى و ما يسك فلا مرسل له من بعده اى من بعد اسماكه (و فى رواية غیرک) أى لا أسأل عنہ أحداً غیرک
و الاول مستلزم لهذا لانه اذا لم يسأل أحداً بعد سؤاله لم يسأل غيره و بهذا يظهر وجه اولوية
الاول بجمع أصلاً و الثانى رواية خلافاً لما فعل النووى فى أربعينه (قال قل آمنت باللہ) أى يجمع ما
يجب الايمان به (ثم استقم) هذا مقتبس من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يعنى على
امثال الاوامر و اجتناب الزواجر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون و فى آية أخرى تنزل عليهم
الملائكة ألا تخافوا و لا تحزنوا و ابشروا بالجنة التى كنتم تعدون الآيات روى عن على رضى الله عنه أنه
قال قلت يا رسول الله اوصنى فقال قل ربى الله ثم استقم قال قلت ربى الله و ما توفيقى الابالله عليه توكلت
و اليه أنيب فقال ليتهنك العلم أبا الحسن و هذا الحديث من جوامع الكلم الشامل لاصول الاسلام
التي هى التوحيد و الطاعة فالتوحيد حاصل بقوله آمنت باللہ و الطاعة بأنواعها مندرجة تحت قوله ثم
استقم لان الاستقامة امتثال كل مأمور و اجتناب كل محذور فيدخل فيه أعمال القلوب و الابدان من
الايمان و الاسلام و الاحسان اذ لا تحصل الاستقامة مع شئ من الاعوجاج ولذا قالت الصوفية الاستقامة
خير من ألف كرامة أو نقول آمنت باللہ شامل للثبات بكل الطاعات و الاجتناب عن كل المنهيات و قوله
ثم استقم محمول على الثبات فيهما ولعظمة أمر الاستقامة قال عليه السلام شيبثى سورة هود لانه نزل

فيها فاستقم كما أمرت وهي جامعة لجميع أنواع التكاليف وقالت الصوفية لان الدعوة الى الله مع كون المدعو على الصراط المستقيم أمر صعب لا يمكن الا اذا كان الداعي على بصيرة يرى أنه يدعوه من اسم الى اسم قال ابن عباس في قوله تعالى فاستقم كما أمرت ما نزل على رسول الله في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولذا قال عليه الصلاة والسلام لما قالوا له قد أسرع اليك الشيب شيخي هود وأخواتها وقال الفخر الرازي الاستقامة أمر صعب شديد لشهوها العقائد بان يحتجب التشبيه والتعطيل والاعمال بان يحترز عن التغيير والتبديل والاخلاق بان يبعد عن طرفي الافراط والتفريط وقال الغزالي الاستقامة على الصراط في الدنيا صعب كالمرور على صراط جهنم وكل واحد منهما أدق من الشعر وأحد من السيف اه وما يؤيد صعوبة هذا المرق خبر استقيموا ولن تحصوا أي ولن تطيقوا أن تستقيموا حق الاستقامة ولكن اجتهدوا في الطاعة حق الاطاعة فان ما لا يدرك كله لا يترك كله وفيه تشبيه نبيه على ان أحدا لا يظن بنفسه الاستقامة ولا يتوهم أنه خرج بالكلية من صفة النفس اللوامة فيقع في العجب والغرور الذين هما أقبح من كل ما يترتب عليه الملامة نسأل الله السلامة وقد يقال السين لطلب القيام والثبات على الحالات والمقامات في جميع الساعات الى الممات ثم قد يقال الحكمة في عدم الاطاعة على دوام الاطاعة ان تراب الانسان عجن بماء النسيان الناشئ عنه العصبان ولذا قال عليه الصلاة والسلام كلكم خطاؤون وخير الخطائين التوابون فجنس الانسان كتوع النسوان التي خلقن من الضلع الاعوج فلا يتصور منهن الاستقامة على صفة الادامة وكل ميسر لما خلق له ولا يزول طبع عما جبل عليه كما ورد في حديث الاشارة اليه هذا ولقظة ثم مستعارة للتراخي الرتبي لان الاستقامة أفضل من قوله أنت بالله لشهوها العقائد والاعمال والاخلاق ذكره الزمخشري والامام وهي لغة ضد الاعوجاج أي الاستواء في جهة الانتصاب وتنقسم الى استقامة العمل وهو الاقتصاد فيه غير متعمد من منهج السنة ولا يتجاوز عن حد الاخلاص الى الرياء والسمة أو رجاء العوض أو طلب الغرض واستقامة القلب وهي الثبات على الصواب وعند المحققين هي استواء القصد في السير الى الله وثبات القوى على حدودها بالامر والنهي وهي دون الاستقامة في السير في الله لان هذه في الطريق والسلوك اليه بأحدية الطريق المستقيم وأما السير في الله فهو الانتصاب بصفاته والاستقامة في الله دون الاستقامة في السير في الله المأمور بها نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في قوله فاستقم كما أمرت لان تلك في مقام جمع الجمع والبقاء بعد الفناء والاولى للمريدين والثانية للمتوسطين واستقامة الروح وهي الثبات على الحق والسر وهي الثبات على الحقيقة قال القشيري الاستقامة درجة بها كمال الاسور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وخاب جهده وأنشد

إذا أفضيت شرك ضيق صدر * أصابتك الملامة والندامة
وان أخلصت يوما في فعال * تنال جزاءه بالاستقامة

وقال بعض العارفين معنى الحديث انه اذا وفقت بالتوحيد ورؤية جلال قدمه فدر مع الحق حيث دار أما قضاء وإما رضاء ولا تنزل عن مقام الرضا الى فترة النفس والهوى وقال الغزالي لعزة الاستقامة والاحتياج اليها في كل حالة أمر الله تعالى عباده بقراءة الفاتحة المتضمنة للدعاء بالاستقامة أمر وجوب في الاوقات الخمسة نسأل الله تعالى الاستقامة الشاملة بحسن الخاتمة (رواه مسلم) ورواه النسائي وابن ماجه والترمذي وزاد قلت يا رسول الله ما أخوف ما أخاف على فأخذ بلسانه ثم قال هذا وقال الترمذي حسن صحيح وزاد في الاحياء قلت ما اتقي فأومأ بيده الى لسانه (وعن طلحة بن عبيدالله) يكني أبا محمد القرشي أحد العشرة المبشرة بالجنة أسلم قديما وشهد المشاهد كلها غير بدر وضرب له

وعن طلحة بن عبيد الله قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسع دوى صوته و لافقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات في اليوم والليلة فقال هل على غيرهن فقال لا

صلى الله عليه وسلم سهمه لان النبي صلى الله عليه وسلم كان بعثه مع سعيد بن زيد يعترفان خبر العير التي كانت لغريش مع أبي سفيان بن حرب فعادا يوم اللقاء ببدر ووقى النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد يده فقتل أصبعه وجرح يَوْمئذ أربعة وعشرين جراحة وقيل كانت فيه خمس وسبعون بين طعنة وضربة ورمية وسماء النبي صلى الله عليه وسلم طلحة الخبير وطلحة الجود قتل في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة وله أربع وستون سنة روى عنه جماعة (قال جاء رجل) قيل هو ضِعَامُ بن ثَعْلَبَةَ واهل بني سعد بن بكر (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) متعلق بجاء (من أهل نجد) صفة رجل والنجد في الاصل ما ارتفع من الارض ضد التهامة وهو الغور سميت به الارض الواقعة بين تهامة أي مكة وبين العراق (ثائر الرأس) بالثاء المثناة من ثار الغبار اذا ارتفع وانتشر أي منتشر شعر الرأس غير مرجله يحذف المضاف أو سمي الشعر رأسا مجازا تسمية للحال باسم المحل أو مبالغة يجعل الرأس كأنه المنتشر وحو مرفوع على أنه صفة عند الاكثر وقيل انه منصوب على الحالية من رجل لوصفه وقيل انه الرواية (نسع دوى صوته) أي شدته وبعده في الهواء فلا يفهم منه شئ كدوى النحل والذباب وهو بفتح الدال وضمه رواية ضعيفة ويكسر الواو وتشديد الياء وهو منصوب على المفعولية و نسع بصيغة المتكلم المعلوم على الصحيح وفي بعض النسخ بالياء مجهولا ورفع دوى على النيابة وكذا الوجهان في قوله (ولافقه) أي لا تفهم من جهة البعد (ما يقول) لضعف صوته (حتى دنا) أي (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما في نسخة صحيحة أي الى أن قرب ففهمنا (فاذا) للمفاجأة (هو) أي الرجل (يسأل عن الاسلام) أي عن فرائضه التي فرضت على من وحده الله وصدق رسوله لا عن حقيقته ولذا لم يذكر الشهادتين ولكون السائل متصفاه فلا حاجة الى ذكره ويؤيده رواية البخاري أيضا أخبرني ما ذا فرض الله على ويمكن أنه سأل عن ماهية الاسلام وقد ذكر الشهادة ولم يسمعها الراوي أو نسيها أو اختصرها لكونها معلومة عند كل أحد وقيل لم يذكر الحج لان الحديث حكاية حال الرجل خاصة لقوله على فأجابه عليه الصلاة والسلام بما عرف من حاله ولعله لم يكن ممن يجب الحج عليه أو لانه لم يفرض حينئذ أو أسقط من بعض الرواة ويؤيده رواية البخاري فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات في اليوم والليلة) بالرفع على الصحيح وهو خير مبتدأ محذوف أي الاسلام والمراد فرضه إقامة خمس صلوات أو مبتدأ محذوف الخبر أي من شرائعه أداء خمس صلوات ويجوز نصبه بتقدير خذ أو اعمل أو صل وهو أحسن وأغرب ابن حجر فأغرب بقوله بالجر بدلا من الاسلام أو بتسيمه أي هو أو خذاه والذي اختاره من الجر لا يصح رواية ودراية أما الاول فيظهر لك من تتبع النسخ المصححة وأما الثاني فلان الهدل والمبدل لا يكونان الا في كلام شخص واحد وأن المقول لا يكون الا جملة فأحد جزأيه الموجود يتعين أن يكون مرفوعا وانه اذا جعل بدلا لا يبقى لسؤال جوابا فلا يتفرع عليه قوله (فقال) أي الرجل (هل على) أي يجب من الصلاة (غيرهن) أي في اليوم والليلة أو الجار خبر مقدم وغيرهن مبتدأ مؤخر (فقال) صلى الله عليه وسلم (لا) أي لا شئ عليك غيرها وهذا قبل وجوب الوتر أو أنه تابع للعشاء وصلاة العيد ليست من الفرائض

الآن تطوع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و صيام شهر رمضان فقال هل على غيره قال لا الا أن تطوع قال و ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فقال هل على غيرها فقال لا الا أن تطوع قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا و لا أنقص منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرجل

اليومية بل هي من الواجبات السنوية (الا أن) بفتح الهزئة (تطوع) بتشديد الطاء و الواو و اصله تطوع ببناءين فأبدلت و أدغمت و روى بحذف ادهما و تخفيف الطاء و المعنى الا أن تشرع في التطوع فانه يجب عليك اتمامه لقوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ولا جماع الصحابة على وجوب الاتمام و قول ابن حجر هذا مجرد دعوى بلا سند مردود لان ذكر السند ليس بشرط لصحة الاجماع مع أن الآية المذكورة سند معتمد لصحة الاجماع المسطور و قول ابن حجر ان النهي فيه للتنزيه مخالف للاصل الذي عليه الجمهور و قوله على أنه يلزم الحقية حيث استدلوا به أن يقولوا ان الاتمام فرض و هم انما يقولون بوجوده مدفوع بأن الآية قطعية و الدلالة ظنية و قوله و استثناء الواجب من الفرض منقطع ممنوع فان الواجب عندنا فرض عملي لا اعتقادي و بهذا الاعتبار يطلق عليه أنه فرض فالمراد بالفرض في الحديث المعنى الاعم والله أعلم مع أنه لا محذور في جعل الاستثناء منقطعاً لصحة الكلام كما اختاره في هذا المقام و قوله على أنه من النفي لا يفيد الاثبات بل الحكم مسكوت عنه عندهم مدخول فان هذا انما يرد عليهم لو استدلوا بهذا الحديث و تقدم أن دليلهم الآية و الاجماع و انما حملوا لفظ الحديث على المعنى المستفاد منهما ثم هذا مطرد في جميع العبادات عندنا حيث يلزم النفل بالشروع و وافقنا الشافعي في الحج و العمرة فعليه الفرق و الا فكيفنا قياس سائر العبادات عليهما أيضاً و المعنى الا أن توجب على نفسك بالنذر و الاصل في الاستثناء أن يكون متصلاً و عدل عنه ابن حجر قال لكن التطوع مستحب فهو استثناء من مدخول لا منقطع و حينئذ فلا يدل على ايجاب اتمام التطوع بالشروع فيه أتول يحتمل أن يكون الاستثناء منقطعاً و المعنى لكن التطوع باختيارك أى ابتداء كما هو مذهبنا أو انتهاء أيضاً كما هو مذهب الشافعي و فيه حث على الخيرات و ترك الوقوف على مجرد الواجبات (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و صيام شهر رمضان) عطف على خمس و جملة السؤال و الجواب معترضة (قال هل على غيره) أى هل على صوم فرض سوى صوم رمضان (قال) بحذف الفاء في الاصول الحاضرة (لا) فلا يجب صوم عاشوراء سواء كان واجباً قبل رمضان أم لا (الا أن تطوع قال) أى طلحة (و ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة) هذا قول الراوى فانه نسي ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو التمس عليه فقال ذكر الزكاة و هذا يؤذن بأن مراعاة الالفاظ معتبرة في الرواية فاذا التمس عليه بعضها يشير في الفاظه الى ما ينبئ عنه كما فعل راوى هذا الحديث (فقال هل على غيرها فقال لا) قيل يعلم منه أنه ليس في المال حق سوى الزكاة بشر وطها و هو ظاهر ان أريد به الحقوق الاصلية المتكررة تكررها و الا فتقوى المال كثيرة كصدقة الفطر و نفقة ذوى الارحام و الاضحية (الا أن تطوع قال) أى طلحة (فادبر الرجل وهو) أى و الحال أن ذلك الرجل (يقول والله لا أزيد على هذا) أى في الا بلاغ أو في نفس الفرضية (و لا أنقص منه) أى شيئاً و في رواية البخارى لا أتطوع شيئاً و لا أنقص مما فرض الله على شيئاً (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرجل) أى دخل في الفلاح و المعنى فاز و ظفر و أدرك بغيته و هي ضربان دنيوى و هو الظفر بما يطيب معه الحياة و الاسباب و أخرى وهو ما يحصل به النجاة من العذاب و الفوز بالثواب قالوا و لا كلمة أجمع للخيرات منه و من ثم فسربانه بقاء بلا فناء و غنى بلا فقر و عز بلا ذل و علم بلا

ان صدق متفق عليه و عن ابن عباس رضی الله عنهما قال ان وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القوم أو من الوفد قالوا ربعة قال مرحبا بالقوم أو بالوفد

جهل وفي رواية أفلح والله وفي أخرى صحيحة بلا شك وفي رواية أفلح وأبيه وفيه اشكال لانه ورد من حلف بغير الله فقد أشرك فقيل انه قبل النبي وقيل فيه حذف مضاف أى ورب أبيه وقيل انه والله و ان الكاتب قصر اللامين وقيل ان الكراهة في غير الشارع كما نقله البيهقي عن بعض مشايخه وأغرب ابن حجر فضعف الاقوال المذكورة جميعها وحمل على أن هذا وقع من غير قصد وهو في غاية من البعد (ان صدق) بكسر الهمزة على الصحيح وفي نسخة بفتحها أى لصدقه ولا اشكال فيه وعلى الاول قيل انما حكم عليه الصلاة والسلام بكونه من أهل الجنة مطلقا في رواية أبي هريرة و هنا علق الفلاح بصدقه والحال أنه روى أن الحدِيثين واحد لانه يحتمل أنه قال بحضور الاعرابي لثلاث فبشكل عليه فلما ذهب قال من سره الخ وقيل يحتمل أن يكون قبل أن يطلعه الله على صدقه ثم أطلعه الله عليه ويمكن أن يقال لا يلزم من كون الرجل من أهل الجنة أن يكون مفلحا لان المفلح هو الناجي من السخط والعذاب فكل مؤمن من أهل الجنة وليس كل مؤمن مفلحا ولذا قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآيات وقال هدى للمتقين الآيات ثم قال و أولئك هم المفلقون (متفق عليه) ورواه أبو داؤد والنسائي (وعن ابن عباس) هو عبدالله بن عباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم و أمه لبابة بنت الخريز أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي الامة وعالمها ودعاه النبي صلى الله عليه وسلم بالحكمة والفقه والتأويل ورأى جبريل عليه السلام مرتين وكان عمر بن الخطاب يقربه ويشاوره بين أجلة الصحابة وكف بصره في آخر عمره ومات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وهو ابن احدى وسبعين سنة وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين (قال ان وفد عبد القيس) الوفد جمع وافر وهو الذي أتى الى الأمير برسالة من قوم وقيل رهط كرام وعبد القيس أبو قبيلة عظيمة تنتمي الى ربعة بن نزار بن معد بن عدنان و ربعة قبيلة عظيمة في مقابلة مضر وكان قبيلة عبد القيس ينزلون البحرين وحوالي القطيف وما بين هجر الى الديار المضربة وكانت وفادتهم سنة ثمان وسببها أن معتز بن جبان منهم كان يتجر الى المدينة فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليه فسأله عن أشرف قومه سميا له بأسمائهم فأسلم وتعلم الفاتحة و اقربا سمر ربك ثم رحل الى هجر ومعه كتابه عليه الصلاة والسلام فكتبه اياما لكن أنكرت زوجته صلاته ومقدامتها فذكرت ذلك لابن المنذر رئيسهم فتجاوزوا فوق الاسلام في قلبه ثم ذهب بالكتاب الى قومه وقرأ عليهم فأسلموا واجتمعوا على المسير اليه عليه الصلاة والسلام فتوجه منهم أربعة عشر راجيا فعين قربوا من المدينة قال عليه الصلاة والسلام لجلسائه أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق وفيهم الاشج أى المنذر سماء عليه الصلاة والسلام بذلك لآثر بوجهه وروى أنهم أربعون وجمع بأن لهم وفادتين أو بأن أشرفهم أربعة عشر (لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم) أى حضروه (قال) أى رسول الله كما في نسخة (صلى الله عليه وسلم من القوم) بفتح الميم (أو من الوفد) شك من الراوى والظاهر أنه ابن عباس والسؤال انما هو للاستئناس (قالوا ربعة) أى قال بعض الوفد نحن ربعة أو وفد ربعة أو قال بعض الصحابة هم ربعة أو وفد ربعة على حذف مضاف وفي نسخة بالنصب أى تسمى ربعة أو يسمون ربعة (قال مرحبا بالقوم أو بالوفد) أى أصاب الوفد رحبا وسعة أو أتى القوم

غير خزايا ولا ندأى قالوا يا رسول الله انا لا نستطيع أن نأتيك الا في الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بامر فصل نخبر به من وراءنا و ندخل به

موضعا وسعا فالباء زائدة في الفاعل و مرجبا مفعول به لمقدر أو أتى الله بالقوم مرجبا فالباء للتعدية و مرجبا مفعول مطلق و قيل هو من المفاعيل المنصوبة بهضم وجوبا لكثرة دورانه على الاستئنة و يقال هذا للتأنيس و ازالة الحزن و الاستحياء عن نفس من أتاهم من وافر أو باغى خيرا أو قاصد حاجة و تقدير ابن حجر صادقتم أو أصبتم غير ظاهر مع وجود القوم (غير خزايا) بفتح الخاء جمع خزيايا من الخزى و هو الذل و الاهانة و نصبه على الحال من الوفد و العامل فيه الفعل المقدر في مرجبا و في رواية البخارى بالوفد الذين جاؤا غير خزايا و جوز جره على أنه بدل من القوم و أغرب ابن حجر فقال وروى بالكسر صفة و وجه غرابته أن المحققين على أن غير متوغلة في النكرة بحيث انها لا تصير معرفة بالاضافة و لو الى المعرفة (ولانداى) جمع ندما ن بمعنى نادم أو جمع نادم على غير قياس اذ قياسه نادسين ازدواجيا للخزايا و المعنى ما كانوا بالأتين البنا خاسرين خائنين لانهم ما تأخروا عن الاسلام و لا أصابهم قتال و لاسي فوجب استحياء أو اقتضاها أو ذلا أو ندما (قالوا يا رسول الله انا لا نستطيع أن نأتيك) أى في جميع الأزمنة (الا في الشهر) من الشهرة و الظهور (الحرام) و المراد به الجنس لأن الأشهر الحرم أربعة ذوالقعدة و ذوالحجة و محرم و متوالية و رجب فرد قال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم و انما قالوا ذلك اعتذارا عن عدم الأتيان اليه عليه الصلاة والسلام في غير هذا الوقت لأن الجاهلية كانوا يحاربون بعضهم بعضا و يكونون في الأشهر الحرم تعظيما لها و تسهيلا على زوار البيت الحرام من الحروب و الغارات الواقعة منهم في غيرها فلا يأمن بعضهم بعضا في المسالك و المراحل الا فيها و من ثم كان يمكن مجئ هؤلاء اليه عليه الصلاة والسلام فيها دون ما عداها لانهم فيها من كفار مضر الحاجزين بين منازلهم و بين المدينة و كان هذا التعظيم في أول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (و بيننا وبينك هذا الحي) الجملة حال من فاعل نأتيك أو بيان لوجه عدم الاستطاعة و أصل الحي منزل القبيلة سميت به اتساعا لان بعضهم يجيا ببعض أو يجي بعضهم بعضا (من كفار مضر) تبعيضية أو بيانية و هو الاظهر و مضر غير منصرف على الاصح و هو ابن نزار بن معد بن عدنان فهو أخو ربيعة أبى عبد القيس (فمرنا بامر) الاظهر أن الامر بمعنى الشأن واحد الامور و الباء صلة و التنكير للتعظيم و المراد به معنى اللفظ و مورده و قيل الامر واخذا لوامر أى القول الطالب للفعل و التنكير للتقليل و الباء للاستعانة و المراد به اللفظ و المأمور به محذوف أى مرنا نعمل بقولك آمنوا أو قولوا آمنا و أغرب ابن حجر في قوله و من ثم قال الراوى أمرهم بالايان اه فانه يدل على أن الامر بمعنى الشأن لانه لو كان كما قال لقات الراوى قال عليه الصلاة والسلام لهم آمنوا أو قولوا آمنا (فصل) بمعنى فاصل بين الحق و الباطل و هو صفة لامر أى أمر قاطع أو بمعنى مفصل لتفصيله صلى الله عليه وسلم الايمان باركانه الخمسة أو مفصول أى مبين واضح يفصل به المراد من غيره و حكي الاضافة (نخبر) بالرفع على أنه صفة ثانية لامر أو استئناف و بالجزم على جواب الامر (به) بسببه كذا قيل و الظاهر أنها للتعدية (من وراءنا) بفتح الميم و الهمة أى من خلفنا من قومنا أو من بعدنا ممن يدر كنا قال ابن حجر و في رواية أخرى بكسر هما ه و هو غير موجود في النسخ المصححة و يحتاج الى تقدير المفعول (و ندخل) عطف على نخبر بصيغة الفاعل و في نسخة بصيغة المفعول (به) أى بسبب قبول أمرك

الجنة وسألوه عن الأشربة فأمرهم ببيع و نهاهم عن أربع أمرهم بالإيمان بالله وحده قال أتدرون ما الإيمان بالله وحده قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة و صيام رمضان و أن تعطوا من المعتم الخمس

و العمل به أو بالاخبار به المفهوم من تخير (الجنة) أى مع الفائزين و قال ابن حجر مع الناجين اه وفيه مناقشة لا تخفى و دخول الجنة انما هو بفضل الله لكن العمل الصالح سببه كما أن الاكل سبب الشبع و المشح هو الله تعالى بفضلله اذ لا يجب على الله سبحانه أو المضاف مقدر أى درجاتها فانها في مقابلة الاعمال و دخول الجنة بالانفضال قال ابن حجر و هذا على حد و تلك الجنة التى أورتشموها بما كنتم تعملون أى بعملكم و لا ينافيه خبر لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله لان المراد نفى كون العمل سببا مستقلا في الدخول بدليل قالوا و لا أنت يا رسول الله قال و لا أنا الا أن يتعمدنى الله برحمته و هذا أولى من الجواب بأن الباء في الآية للملابسة أى أورتشموها ملابسة لاعمالكم أى لثوبها أو للمقابلة كبعته بدرهم أو المراد الجنة العالية أو بأن درجاتها بالعمل و دخولها بالفضل و قال النووي الدخول بسبب العمل والعمل من رحمته تعالى أى فلم يقع الدخول الا برحمة الله و اعترض بأن المقدمة الاولى خلاف صريح الحديث و يدفع بأن المراد به ما تقرر من انتفاء كونه سببا مستقلا مع كونه من جملة رحمة الله اه و التحقيق أن المراد بالحديث انتفاء دخولها بالعمل على وجه العدل و اثباته على طريق الفضل فما بينهما تناف يتقيل الفصل (وسألوه) أى الوفد (عن الأشربة) جمع شراب و هو ما يشرب أى عن حكم ظروفها يحذف المضاف او عن الأشربة التى تكون في الاوانى المختلفة يحذف الصفة و المراد عن حكمها (فأمرهم ببيع) أى ببيع خصال تنبئها على انها الاله بالسؤال و الاتم في تحصيل الكمال (ونها هم عن أربع) أى أربع خصال وهى أنواع الشرب باعتبار أصناف الظروف الآتية (أمرهم بالإيمان بالله وحده) نصب على الحال أى واحدا في الذات متفردا في الصفات لا شريك له في الافعال وهذا الامر توطئة فان الامر والنهي من فروع التكليف وهى موقوفة على الايمان فانه شرط صحتها و مبدأ ثبوتها (قال أتدرون ما الإيمان بالله وحده) ذكره تنبئها لهم على تقرين أذهانهم لضبط ما يلقي اليهم فيكون أوقع في نفوسهم (قالوا أنه ورسوله أعلم) تأديبا و طلبا للسمع منه صلى الله عليه وسلم لان التوهم كانوا مؤمنين فلا وجه لقول ابن حجر هو بمعنى عالم على حد الله أعلم حيث يعمل رسالته ثم أعرب في قوله و يؤخذ منه الرد على من نازع في قول الفقهاء عقب نحو فتاويهم و أبحاثهم و الله أعلم و على من فصل فقال يقول المجيب في العقائد و بالله التوفيق و في الفروع و الله أعلم اه فانه تناقض بين تأويله وأخذه (قال) قيل أى الإيمان بالله وحده الذى هو بمعنى الاسلام اذ كل يطلق بمعنى الآخر و من ثم فسره عليه الصلاة والسلام في بعض الاحاديث بما فسره به الإيمان هنا كذا قاله ابن حجر و هو تأويل حسن لولا قوله بالله وحده قال (شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله) برقع شهادة لا غير على أنها خبر مبتدأ محذوف هو هو (و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة و صيام رمضان) بجر الثلاثة و هو الاظهر أو برقعها على ما سياتى بيانها قال القاضى عياض و انما لم يذكر الحج لان وفادة عبد القيس كانت عام الفتح و نزلت فريضة الحج سنة تسع بعدها على الاشهر (و أن تعطوا من المعتم) بفتح الميم و النون أى الغنيمة (الخمس) بضم الميم و سكنونها قال ابن الصلاح و أن تعطوا عطف على قوله ببيع فلا يكون واحدا منها وان كان واحدا من مطلق شعب الإيمان اه فيكون هذا من باب زيادة الافادة قال الطيبى في الحديث اشكالان أولهما

ولهاهم عن أربع عن الحنتم والدياء والنقير والمزفت

أن المأمور به واحد والأركان تفسير للإيمان بدلالة قوله أندرون ما الإيمان وثانيهما أن الأركان أي المذكورة خمسة وقد ذكر أربعة أي أولا وأجيب عن الأول بأنه جعل الإيمان أربعة نظرا إلى أجزائه المفصلة وعن الثاني بأن عادة البلغاء إذا كان الكلام منصبا لغرض من الأغراض جعلوا سياقه له وكان ما سواه مطروح فهنا ذكر الشهادتين ليس مقصودا لأن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة بدليل قولهم الله ورسوله أعلم اه ويدل عليه ما جاء في رواية للبخاري أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع أفسوا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واعطوا خمس ما غنم ولا تشربوا في الدياء والحنتم والنقير والمزفت اه وبهذه الرواية تندفع الإشكالات ويرجع إليها التأولات لكني ما أقول ما قاله الطيبي من أن ذكر الشهادتين ليس مقصودا بل أقول هو المقصود بالذات واسم المذكرات بيان شعبها المعظمة وأركانها المفخمة ومحمل كلام الطيبي أنه ليس مقصودا من الأربع بل هو جملة معترضة بين الأربع وبين سببها وقال السيد جمال الدين قيل هذا الحديث لا يخلو عن اشكال لأنه ان قرئ " و اقام الصلاة الخ بالرفع على أنها معطوفة على شهادة ليكون المجموع من الإيمان فأين الثلاثة الباقية وان قرئت بالجر على انها معطوفة على قوله بالإيمان يكون المذكور خمسة لا أربعة وأجيب على التقدير الأول بأن الثلاثة الباقية حذفها الراوي اختصارا أو نسيانا وعلى التقدير الثاني بأنه عد الأربع التي وعدهم ثم زادهم خامسة وهي أداء الخمس لانهم كانوا مجاورين لكفار مضر وكانوا أهل جهاد و غنائم اه والظاهر اختيار الجر والمجوررات الأربعة بالعطف هي المأمورات ويكون ذكر الإيمان لشرفه وفضله وبيان أساسه وأصله سواء كانوا مؤمنين أو مرتدين ويكون قوله أمرهم بالإيمان إلى آخر الشهادتين كجملة معترضة ويكون التقدير أمرهم بالإيمان أيضا بدليل اتفاق أهل السنة على ان الأركان ليست من أجزاء الإيمان وللرواية السابقة عن البخاري (ونهاهم عن أربع) أي خصال وهي الانتباه في الظروف الأربعة والشرب منها (عن الحنتم) بدل باعادة الجار وهو بفتح الحاء الجرة مطلقا أو خضراء أو حمراء أعناقها في جنوبها يجلب فيها الخمر من مضر واقواها في جنوبها يجلب فيها الخمر من الطائف أو جزار تعمل من طين و آدم وشعر أقوال للصحابة وغيرهم ولعلمهم كانوا ينتبهون في ذلك كله (و الدياء) بضم الدال وتشديد الباء ويمد ويقصر وعاء القرع وهو البطين اليابس (والنقير) بفتح فسك جذع ينقر وسطه ويند فيه (والمزفت) بتشديد الفاء المفتوحة المظلى بالزفت ويقال له القار والنقير وربما قال ابن عباس المقير بدل المزفت والمراد بالنهي ليس استعمالها مطلقا بل النقع فيها والشرب منها ما يسكر و اضافة الحكم إليها خصوصا اما لاعتيادهم استعمالها في المسكرات أو لانها أوعية تسرع بالاشتداد فيما يستنقع لانها غليظة لا يترشح منها الماء ولا ينفذ فيه الهواء فلعلها تغير النقع في زمان قليل ويتناوله صاحبه على غفلة بخلاف السقاء فان التغيير فيه يحدث على مهل والدليل على ذلك ما روى أنه قال نهيتكم عن النبيذ الا في سقاء فاشربوا في الاسقية كلها ولا تشربوا مسكرا وقيل هذه الظروف كانت مختصة بالخمر فلما حرمت الخمر حرم النبي صلى الله عليه وسلم استعمال هذه الظروف اما لان في استعمالها تشبيها بشرب الخمر و اما لان هذه الظروف كانت فيها أثر الخمر فلما مضت مدة أباح النبي صلى الله عليه وسلم استعمال هذه الظروف فان أثر الخمر زال عنها وأيضا في ابتداء تحريم شئ يبالغ ويشدد ليرتكه الناس مرة فاذا تركه الناس واستقر الامر يزول التشديد بعد حصول المقصود هذا وذهب مالك وأحمد إلى أن تحريم الانتباه في هذه الظروف باق لم ينسخ لان ابن عباس استفتى عن الانتباه فذكره فلو نسخ لم يذكره ويرد بانه لم يبلغه النسخ فلا يكون ايراده له حجة على من بلغه

وقال احفظوهن واخبروا بهن من وراءكم متفق عليه ولفظه للبخارى وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله عصابة من اصحابه بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تأتوا بيهتان فتفروته بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب

(وقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (احفظوهن) أى الكلمات المذكورات من المأمورات والنهيات واعملوا بهن (واخبروا بهن) أى أعلموهن (من وراءكم) أى الذين خلفكم من القوم لتكونوا عاملين معلمين وكاملين مكملين وفى بعض النسخ بكسر الميم وجرما بعده وهو غير ظاهر لاحتياجه الى تقدير المفعول (متفق عليه) ورواه أبو داود والترمذى والنسائى (ولفظه) أى لفظ الحديث (للبخارى) يعنى وللمسلم معناه فهذا المعنى صار الحديث متفقا عليه (وعن عبادة بن الصامت) رضى الله عنه بضم العين وتخفيف الواودة يكنى أبا الوليد الانصارى كان تقيا وشهد العقبة الاولى والثانية والثالثة وشهد بدرًا والمجاهد كلها ثم وجهه عمر الى الشام قاضيا ومعلما فأقام بجمص ثم انتقل الى فلسطين ومات بها فى الرملة وقيل ببيت المقدس سنة أربع وثلثين وهو ابن ثنتين وسبعين روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله) نصبه على الظرف وهو خبر لقوله (عصابة) بالكسر اسم جمع كالعصابة لما بين العشرة الى الاربعين من العصب وهو الشد كأن بعضهم يشد بعضا أو من العصب لانه يشد الاغضاء والجملة حالية (من اصحابه) صفة لعصابة (بايعوني) أى عاهدوني وعاهدوني تشبيها لنيل الثواب فى مقابلة الطاعة بقصد البيع الذى هو مقابلة مال بمال ووجه المفاعلة ان كلا من المتبايعين يصير كأنه باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية (على أن لا تشركوا بالله شيئا) مفعول به أو مفعول مطلق قيل الصحيح أن المراد به الرياء (ولا تسرقوا) وهو أخذ مال الغير محرزا بخفية (ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم) بدفنه احياء فصيائكم خشية املاق وانتقار وبناتكم خوف لحوق عار و عيب (ولا تأتوا بيهتان) الباء للتعدية وهو الكذب الذى يهت سامعه قيل المراد به القذف (تفروته) أى تخلقونه وتخترعونه صفة بهتان (بين ايديكم وارجلكم) أى من عند أنفسكم وعبر بهما عن الذات والنفس لان معظم الاعمال تزول وتعالج باليد والرجل وقيل معناه لا تبهتوا الناس بالعيوب كفاحا وشفاها كيلا يشاجر بعضكم بعضا كما يقال فعلت هذا بين يديك أى بحضرتك وهذا النوع أشد البهت أو لا تنسوه مبيها على ظن فاسد وغش مبطن من ضمائركم وقلوبكم التى هى بين ايديكم وارجلكم وقيل معناه ولا تلحقوا بالرجال الاولاد من غير اصلاهم فان احداهن فى الجاهلية كانت تلتقط المولود وتقول لزوجها هو ولدى منك فقبر باليهتان المشتري بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلحقه بزوجها كذبا لان بطنها الذى يعمل به بين يديها و فرجها الذى تلد منه بين رجليها (ولا تعصوا) بضم الصاد تعميم بعد تخصيص (فى معروف) ما عرف فى الشرع حسنه أو قبحه (فمن وفى منكم) بالتخفيف ويشدد (فأجره على الله) قال الطبى لفظ وفى دل على أن الاجر انما ينال بالوفاء بالجميع لان الوفاء هو الاتيان بجمع ما التزمه من العهود والحقوق و أما العقاب فانه ينال بترك أى واحد كان به وفيه انه ان كان المراد بالاجر كماله فالامر كذلك والا فلا يتوقف اجر امتثال طاعة أو اجتناب معصية على الآخر ويدل عليه المذهب الصحيح ان التوبة عن بعض الذنوب صحيحة خلافا للخوارج (ومن اصاب من ذلك) أى المذكور (شيئا فعوقب) أى

به في الدنيا فهو كفارة له و من أصاب من ذلك شيئا من ستره الله عليه فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه فبايعناه على ذلك متفق عليه و عن أبي سعيد الخدري قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر الى المصلي فمر على النساء فقال يا معشر النساء تصدقن فاني أرى نكتن أكثر أهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال تكثرن اللعن

(به) كما في نسخة صحيحة يعنى أقيم عليه الحد (في الدنيا فهو) أى الحد أو العقاب (كفارة له) زاد في نسخة و طهور بفتح الطاء أى يكفرا ثم ذلك ولم يعاقب به في الآخرة و هذا خاص بغير الشرك و أخذ أكثر العلماء من هذا ان الحدود كفارات و خير لا أدرى الحدود كفارات أم لا أجابوا عنه بـ قبل هذا الحديث لانه فيه نفي العلم و في هذا اثباته و المعنى لا يعاقب عليه في الآخرة بل على عدم التوبة منه ان مات قبلها لان تركها ذنب آخر غير ما وقع العقاب عليه لقوله تعالى و من لم يتب فأولئك هم الظالمون و يمكن أن يجعل الخلاف لفظيا والله أعلم (و من أصاب من ذلك شيئا من سترائه) أى ذلك الشئ المصاب أى (عليه) كما في نسخة و على غيرها أى سترائه ذلك المصيب أى ذنبه بأن لم يقم الحد عليه (فهو) أى المستور (الى الله) أى أمره و حكمه من العفو و العقاب مفض الىه فلا يجب عليه سبحانه عقاب عاص كما لا يجب عليه ثواب مطيع على المذهب الحق (ان شاء عفا عنه) قدم لسبق رحمته (وان شاء عاقبه) رد على المعتزلة (فبايعناه على ذلك) و تسمى بيعة النساء كما في سورة المتحنتة ولذا قيل عليكم بدین العجائز (متفق عليه) و رواه الترمذى و النسائى (و عن أبي سعيد الخدري) منسوب الى خدرة بضم الخاء و سكون الدال المهملة حى من الانصار هو سعد بن مالك الانصارى اشتهر بكينته كان من الحفاظ المكثرين روى عنه جماعة من الصحابة و التابعين مات سنة أربع وستين و دفن بالبيع و له أربع و ثمانون سنة رضى الله عنه (قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى) بفتح الهززة و التنوين واحده أضحاة لغة في الأضحية أى في عيد أضحى على حذف المضاف بل غلب على عيد النحر فحينئذ مغن عن التقدير كالفطر و في بعض النسخ بترك التنوين سمي بذلك لانه يفعل وقت الضحى و هو ارتفاع النهار (أو فطر) شك من الراوى (الى المصلى) أى المسجد الذى يصلى فيه صلاة العيد و هو الموجود الى اليوم خارج السور في المدينة المشرفة (فمر على النساء) مر يتعدى يعلى كالباء و يحتمل أنه قصدهن للوعظ أو لمامر بهن وعظهن (فقال يا معشر النساء) أى جماعتهم و الخطاب عام غلبت الحاضرات على الغيب (تصدقن) أمر لهن أى اعطين الصدقة (فاني أرى نكتن) على طريق الكشف أو على سبيل الوحي (أكثر أهل النار) على صيغة المجهول من أرى اذا أعلم و له ثلاثة معانيل أحدها التاء القائمة مقام الفاعل و الثانى كن و الثالث أكثر أى اعلمت بأنكن أكثر دخولا في النار من الرجال و الصدقة تقي منها كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس اتقوا النار و لو بشرق تمر و لان علة كونهن أكثر أهل النار محبتهم للدنيا و بالتصدق يزول أو ينقص رذيلة البخل الناشئ عن محبتها المذمومة و لهذه النكتة ورد اليد العليا خير من اليد السفلى (قلن وبم يا رسول الله) أصله بما حذف ألف ما الاستفهامية بدخول حرف الجر عليها تخفيفا و الباء للسببية متعلقة بمقدر بعدها و الواو اما للعطف على مقدر قبله و التقدير قلن كيف يكون ذلك و بأى شئ نكن أكثر أهل النار أو زائدة ليدل على انه متصل بما قبله لا سؤال مستقل بنفسه منقطع عما قبله (قال تكثرن اللعن) أصله إبعاد الله تعالى العبد من رحمته بسخطه و من الانسان الدعاء بالسخط و الأبعاد على نفسه أو غيره و فيه مصادرة لسعة رحمته التى سبقت غضبه و من ثم اتفق العلماء على

و تكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحرم من أهداكن قطن و ما نقصان ديننا و عقلتنا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن بلى قال فذلك من نقصان عقلا قال

تحريمه لمعين و لو كانوا لم يعلم موته على الكفر يقينا اذ كيف يعبد من رحمة الله من لا يعرف خاتمة أمره و ان كان كانوا في الحالة الراهنة لاحتمال أن يموت مسلما بخلاف من علم من الشارع موته كانوا كآبي جهل أو أنه سيموت كذلك كابليس فإنه لا حرج في لعنه و بخلاف اللعن لا لمعين بل يوصف كلعن الله الواصلة و آكل الربا و الكاذب لانه ينصرف الى الجنس و لعل وجه التقييد بالاكثر ان اللعن يجري على ألسنتهم لاعتيادهم من غير قصد لمعناه السابق فخفف: الشارع عنهم و لم يتوعد من بذلك الا عند اكاره و نظيره ما قاله بعض الائمة ان الغيبة صغيرة و وجهه بأن الناس ابتلوا بها فلو كانت كبيرة على الاطلاق كما جرى عليه كثيرون بل حكي عليه الاجماع للزم تفسيق الناس كلهم أو غالبهم و في ذلك حرج أي حرج وقد يستعمل في الشتم و الكلام القبيح يعني عادتكن اكار اللعن و الشتم و الايذاء باللسان (و تكفرن) بضم الفاء (العشير) أي المعاشر الملازم و هو الزوج ههنا و كفرانه جحد نعمته و انكارها أو سترها بترك شكرها و في الحديث و من لم يشكر الناس لم يشكر الله يعني شكرا كاملا فإنه شكر المسبب و لم يشكر السبب و استعمال الكفران في النعمة و الكفر في الدين أكثر (ما رأيت من ناقصات عقل و دين) من مزيدة للاستغراق صفة للمفعول المحذوف أي ما رأيت أهدا من ناقصات و قيل يحتمل أن يكون بيانا لاحداكن على المبالغة أو بالعكس و قوله (أذهب) صفة للمحذوف أي احداً و على الاول صفة أخرى له ان كان بمعنى أبصرت و مفعول ثان لرأيت ان كان بمعنى علمت و المفضل عليه مفروض مقدر و هو افضل التفضيل من الاذهب لمكان اللام في قوله (الب الرجل) فمعناه أكثر اذهابا للب و هذا جائز على رأى سيويه كهو أعطاهم للدرهم ثم العقل غريزة يدرك بها المعنى و يمنع عن التبايح و هو نور الله في قلب المؤمن و اللب العقل الخالص من شوب الهوى (الحازم) صفة الرجل أي الضابط أمره و في ذكره مع ذكر اللب اشعار بان فتنتهن عظيمة تذهب بعقول الحازمين فما ظنك بغيرهم (من احداكن) متعلق باذهب و انما لم يقل منكن لان الواحدة اذا كانت على هذه الصفة الذميمة فكونهن عليها أولى من غير عكس و أحسن قول جرير في وصف عيوبيهن

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * و هن أضعف خلق الله أركاننا

(قطن و ما نقصان ديننا و عقلتنا يا رسول الله) مع أن ديننا و دين الرجل واحد و كلنا معدودون من ذوى العقول و لعلون خالفن الترتيب السابق الموافق لللاحق اشارة الى الاهتمام بأمر الدين ليتداركن ان كان مما يمكنه التدارك أو ايماء الى نقصان عقليهن حيث ما راعين كلام النبوة و ما فهمن وجه الترتيب من أن نقصان العقل أمر جليل مقدم في الوجود و نقصان الدين أمر حادث أو لان الغالب انما ينشأ نقصان الدين من نقصان العقل ثم هذا السؤال من حذاقة اولئك الحاضرات و من ثمة مدحهن صلى الله عليه وسلم بقوله نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين و في هذا و ما قبله حث للمتعلم على مراجعة العالم فيما لم يظهر له معناه (قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل) لقوله تعالى فان لم يكونا رجلين فرجل و امرأتان (قلن بلى قال فذلك) اشارة الى الحكم السابق و الكاف لخطاب العام و يحتمل الكسر و لذا لم يقل ذلك مع كون الخطاب للنساء و قال العسقلاني بكسر الكاف خطاب لواحدة التي تولت الخطاب و يجوز فتحها على انه خطاب للعام (من نقصان عقلا) و لذا قال تعالى ان تضل احداهما فقد كرا احداهما الاخرى (قال) لعل اعادة قال ليدل على انه قول مستقل راجع الى نظيره

أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك من نقصان دينها متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كذبتى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى قوله لن يعيدنى كما بدانى و ليس اول الخلق بأهون على من اعادته

السابق وليس من تمة هذا القول القريب وهو موجود في أكثر النسخ و اما في أصل السيد جمال الدين و متن صحيح البخارى فغير موجود والله أعلم (أليس) اسمها ضمير انشان و خبرها قوله (إذا حاضت لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك) أى كونها غير مصلية . و لأصانمة (من نقصان دينها) يعنى في الجملة لانها حرمت من ثواب الصلاة فانها لا تقضى و من كمال ثواب الصوم حيث لم يقع في وقت الفضيلة مع مشاركة المؤمنين في الطاعة و لعل هذا وجه ايراده في هذا الباب والله أعلم بالصواب (متفق عليه) ورواه النسائي و ابن ماجه (و عن أبي هريرة) مر ذكره رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى) هذا حديث قدسى و الفرق بينه و بين القرآن أن الاول يكون بالهام أو منام أو بواسطة ملك بالمعنى فيعبره بلفظه و ينسبه الى ربه و الثانى لا يكون الا بانزال جبريل باللفظ المعين وهو أيضا متواتر بخلاف الاول فلا يكون حكمه حكمه في الفروع (كذبتى) بسكون الياء و يجوز فتحها أى نسبى الى الكذب (ابن آدم) أى هذا الجنس و التكذيب هو الاخبار عن كون خبر متكلم غير مطابق للواقع (ولم يكن له ذلك) أى ما صح و ما استقام و ما كان ينبغي التكذيب له (وشتمنى) الشتم توصيف الشئ بما هو ازراء و نقص فيه و اثبات الولد له كذلك لانه قول بماثلة الولد في تمام حقيقته وهي مستلزمة للامكان المتداعى الى العدوث (ولم يكن) لا تقا وحقا (له ذلك) الشتم (فاما تكذيبه اياى) تفصيل لما اجمله (فقوله لن يعيدنى) الاعادة هي اليجاد بعد العدم المسبوق بالوجود فالمعنى لن يحيينى بعد موتى (كما بدانى) أى أوجدنى عن عدم و خلقتى ابتداء أى كالحالة التى كنت عليها حين بدانى أو اعادة مثل بدئه اياى أو لن يعيدنى مماثلا لما بدانى عليه أو لبده لى من تراب أى لا يقدر على ذلك أو لا يريد الاعادة من أصلها أو اعادة الاجسام و كل ذلك كفر و تكذيب بالآيات القرآنية الدالة على الاعادة الجسمانية خلافا لما ذهب اليه حمقى كالانعام بل هم أضل و لذا رد عليهم بقوله (وليس أول الخلق) يجوز أن يكون من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف أى ليس الخلق الاول للمخلوقات أو من قبيل حذف المضاف و اقامة المضاف اليه مقامه أى ليس اول خلق الخلق و الخلق بمعنى المخلوق أو اللام عوض عن المضاف اليه أى أول خلق الشئ (بأهون) الباء زائدة للتأكيد من هان الامر يهون إذا سهل أى ليس أسهل (على من اعادته) أى المخلوق أو الشئ بل هما يستويان في قدرتي بل الاعادة أسهل عادة لوجود أصل البنية و أثرها أو أهون على زعمكم و بالنسبة اليكم أو أسهل على المخلوق فان العود يكون أنيا بخلاف اليجاد فانه يكون تدريجيا و فيه اقتباس من الآيه و هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه و قيل فيه تشبيه على مثال يرشد النبيه الى فهم الحق و تقريره عنده و هو ما يشاهده أن من اخترع صنعة لم يرمثلها و لم يجد لها أصلا و لا مددا صعبت عليه و تعب فيها غاية التعب و انتقر الى مكابدة أعمال و معاونة أعوان و مرور ازمان و مع ذلك فكثيرا لا يتم له مقصوده و لا يظفر منه بطائل و شاهد ذلك ما وقع واستقرى لا كترطالى صنعة الكيمياء حتى أن بعضهم لما توهم بعد فناء عمره و ماله في معرفتها أنها صحت معه أزعهج الفرخ بها الى أن وقع من علو كان فيه فاندقت عنقه و أما من أراد اصلاح منكسر و اعادة مشهدم و عنده عدد ذلك و أصوله فيهمون عليه ذلك و يتم له مقصوده في أسرع وقت

و أما شتمه اياى فقولہ اتخذ الله ولدا و أنا الاحد الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا احد و في رواية ابن عباس و أما شتمه اياى فقولہ لي ولد و سبحانى أن اتخذ صاحبة أو ولدا رواه البخارى و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذنى ابن آدم

فمن تدبر ذلك علم أن الاعادة أسهل من البداة بالنسبة النيا والحاصل ان انكارهم الاعادة بعد ان اقروا بالبداية تكذيب منهم له تعالى و الجملة جالية و عاملها قوله في قوله و صاحبها الضمير المضاف اليه في قوله (و أما شتمه اياى فقولہ اتخذ الله ولدا) أى اختاره سبحانه قالت اليهود عزيز ابن الله و قالت النصارى المسيح ابن الله و قالت العرب الملائكة بنات الله (و أنا الاحد الصمد) الذى غ محتاج الى أحد و الجملة حالية كما مر و اتخذ الولد نقص لاستدعائه محالين أحدهما مماثلته للويه و تمام حقيقته فيلزم مكانه و حدوده و ثانيهما استخلافه لخلف يقوم بامرہ من بعده اذ الغرض من التوالد بقاء النوع فيلزم زواله و فناؤه سبحانه و لذا قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه الآية و الاحد المنفرد المطلق ذاتا و صفاتا و فرق بين الاحد و الواحد بان الواحد لى مفتوح العدد و الاحد لى لى كل عدد فالواحد ينبنى عن تفرد الذات عن المثل و النظير و الاحد ينبنى عن تفردا عن كل نقص و اتصافها بكل كمال فكيف مع ذلك يحتاج الى الولد و الصمد هو الذى يحتاج اليه كل أحد و هو غنى عنهم (الذى لم ألد) من قبيل * أنا الذى سمتنى أمى حيدره * أى لم أكن والدا لاحد لان القديم لا يكون محل الحادث (ولم أولد) أى ولم أكن ولدا لاحد لانه أول قديم بلا ابتداء كما أنه آخر بلا انتهاء (ولم يكن لي كفوا) بضم الكاف و الفاء و سكونها مع الهمزة و بضمها مع الواو ثلاث لغات متواترات يعنى مثلا و هو خبر كان و قوله (أحد) اسمها و نفى الكفر يعم الوالدية و الولدية و الزوجية و غيرها (و في رواية ابن عباس) أى في هذا الحديث بعد قوله اتخذ الله ولدا (و أما شتمه اياى فقولہ لي ولد) و هو اسم جنس يشمل الذكر و الانثى (و سبحانى) و في نسخة صحيحة بالفاء أى نزهت ذاتى (أن اتخذ) أى من أن اتخذ (صاحبة) أى زوجة لعدم الاحتياج و نفى الجنسية (أو ولدا) قال ابن الملك شك من الراوى و الظاهر أن أو للتنوع و يدل عليه ما في جامع الحميدى و لا ولدا قال الطيبى زيد لا لما في سبحانى من معنى التنزيه أى المراد للنفى المقضى للعطف في خبره بلا و في الحديث من سعة حلمه تعالى ما يهبر العقل اذ لو وقع مثل ذلك لادنى خلقه من غيره لرحله غضبه فيه على استئصاله من أصله مع ضعفه و عجزه و لم يفعل تعالى شأنه بمن قال ذلك شيأ بل أرشده للحق و دل عليه بالبلغ دليل و أوضحه (رواه البخارى) اعلم أن رواية البخارى عن أبى هريرة بلفظ قال الله تعالى شتمنى ابن آدم و ما ينبنى نه أن يشتمنى و كذبنى و ما ينبنى له أن يكذبنى أما شتمه اياى فقولہ ان لي ولدا و أنا الله الاحد الصمد الذى لم ألد و لم أولد و لم يكن لي كفوا احد و أما تكذبيه اياى فقولہ ليس يعيدنى كما بدانى و ليس أول الخلق بأهون على من اعادته و كذا رواه أحمد و النسائى و أما رواية البخارى عن ابن عباس فلفظه قال الله تعالى كذبنى ابن آدم و لم يكن له ذلك و شتمنى و لم يكن له ذلك فاما تكذبيه اياى فزعم انى لا أتدر أن أعيدہ كما كان و أما شتمه اياى فقولہ لي ولد و سبحانى أن اتخذ صاحبة أو ولدا كذا في الجامع الصغير فتأمل يظهر لك حقيقة الروایتين (و عن أبى هريرة) و انما لم يقل و عنه لثلاث يتوهم مرجعه الى ابن عباس فانه أقرب مذكور و ان كان أبو هريرة هو المعنون في العنوان (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذنى) بالهمزة و يدل أى يقول في حقى (ابن آدم) ما أكره و ينسب

يسب الدهر و أنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل و النهار متفق عليه و عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد أصبر على أذى يسعه من الله يدعون له الولد ثم يعانينهم و يرزقهم متفق عليه و عن معاذ

الى ما لا يليق بي أو ما يتأذى به من يصح في حقه التأذى و لذا قيل هذا الحديث من التشابه لان تأذى الله تعالى محال فاما أن يفوض و اما أن يؤول كما تقدم و قد يطلق الإيذاء على إيصال المكروه للغير يقول أو فعل و ان لم يثأثر به فإيذاء الله تعالى فعل ما يكرهه و كذا إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم و منه قوله تعالى ان الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الآخرة (يسب الدهر) بصيغة المضارع استئناف بيان و روى بحرف الجر و فتح السين و جر الدهر يعنى ظنائه الدهر يعطى و ويمتنع و يضر و ينفع (و أنا الدهر) يروى برقع الراء قيل هو الصواب و هو مضاف اليه أقيم مقام المضاف أى أنا خالق الدهر أو مصرف الدهر أو مقبله أو مدبر الامور التى نسبوها اليه فمن سبه بكونه فاعلها عاد سبه الى لاني أنا الفاعل لها و انما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الامور و أتى باداة الدهر مبالغة فى الرد على من يسبه و هم صنفان دهرية لا يعرفون للدهر خالقا و يقولون ما يهلكنا الا الدهر أو معترفون بالله تعالى لكسبهم يزرهونه عن نسبة المكراه اليه فيقولون تباله و يؤسا و خيبة و نحو ذلك و قد يقع من بعض عوام المؤمنین جهالة و غفلة و يروى بنصب الدهر على الظرفية أى أنا الفاعل أو المتصرف فى الدهر و قيل الدهر الثانى غير الاول فانه بمعنى زمان مدة العالم من مبدأ التكوين الى أن يفترق أو الزمن الطويل المشتمل على تعاقب الليالى و الايام بل هو مصدر بمعنى الفاعل و معناه أنا الداير المتصرف المدير المفيض لما يحدث و قال الراغب الاظهر أن معناه أنا فاعل ما يضاف الى الدهر من الخير و الشر و المسرة و المساءة فاذا سببتم الذى تعتقدون انه فاعل ذلك فقد سببتموني (يدى الامر) بالافراد و فتح الياء و تسكن و جوز التثنية و فتح الياء المشددة للتأكيد و المبالغة أى الامور كلها خيرا و شرها حلوها و مرها تحت تصرفى (أقلب الليل و النهار) كما أشاء بان أنقص فيهما أو أزيد و أقلب قلوب أهلها كما لريد (متفق عليه) و رواه أحمد و أبو داؤد و رواه مسلم عنه أيضا بلفظ قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقول أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله و نهاره فاذا شئت قبضتها (و عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد أصبر) أى ليس أحد أشد صبورا و الصبر حبس النفس عما تشتهي أو على ما تكره و هو فى صفة البارئ تأخير العذاب عن مستحقه (على أذى) قيل انه اسم مصدر أذى يؤذى بمعنى المؤذى صفة محذوف أى كلام موزق يفتح صادر من الكفار و قوله (يسمعه) صفة أذى و هو تميم لان المؤذى اذا كان يسمع من المؤذى كان تأثير الاذى أشد و هذا بالنسبة البنا و الا فالسموع و غيره معلوم عنده تعالى (من الله) متعلق بقوله أصبر لا يسمعه (يدعون) بسكون الدال و قيل بتشديدها (له) الولد) و الجملة استئناف بيان للادى (ثم يعانينهم) بدفع المضرة عنهم (و يرزقهم) بإيصال المنفعة اليهم انظر فضله و انعامه فى معاملته مع من يؤذيه فما ظنك بمن يحتمل الاذى عن يعصيه و يمثل ارتكاب طاعاته و اجتناب مناهيه و فيه ارشاد لنا الى تحمل الاذى و عدم المكافاة و التخلق باخلاق الله تعالى (متفق عليه) و رواه النسائي (و عن معاذ) أى ابن جبل يكنى ابا عبدالله الانصارى الخزرجى و هو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الانصار و شهد بدرًا و ما بعدها من المشاهد و بعثه الى اليمن قاضيا و معلما و روى عنه عمر و ابن عمر و ابن عباس و خلق سواهم مات و له ثمان و ثلاثون سنة

قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ليس يبنى وبينه الا مؤخرة الرجل قال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً قلت يا رسول الله أفلا أبشريه الناس قال لا تبشروهم فينكوا

(قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم) وهو بكسر الراء وسكون الدال الذى يركب خلف الراكب من الردف وهو العجز أى كنت رديقه (على حمار) إشارة الى كمال التذكر بالقصة واشعار بتواضعه عليه الصلاة والسلام (ليس يبنى وبينه) أراد شدة القرب فيكون الضبط أكثر (الا مؤخرة الرجل) استثناء مفرغ وهو المؤد الذى يكون خلف الراكب بضم الميم بعدها همزة ساكنة وقد تبدل ثم خاء مكسورة هذا هو الصحيح وفيه لغة أخرى بفتح الهمزة والخاء المشددة المكسورة وقد تفتح (قال يا معاذ هل تدري) اى أنعرف (ما حق الله على عباده) قال الزمخشري الدراية معرفة تحصل بضرب من الخداع ولذا لا يوصف البارى بها أى ولا بالمعرفة لاستدعائها سبق جهل بخلاف العلم ولتعلق المعرفة بالجزئيات والله تعالى يعلم الجزئيات والكليات (وما حق العباد على الله) حق الله بمعنى الواجب واللازم وحق العباد بمعنى الجدير واللائق لان الاحسان الى من لا يتخذر باسواه جدير في الحكمة أن يفعله ولا يجب على الله شئ خلافا للمعتزلة وقيل حق العباد ما وعدهم به ومن صفة وعده أن يكون واجب الانجاز فهو حق بوعده الحق وقال النووي حق العباد على جهة المشاكلة والمقابلة لحقه عليهم ويجوز أن يكون من قول الرجل حقك واجب على أى قيامى به متأكد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام (قلت الله ورسوله أعلم قال فان) أى اذا فوضت فاعلم ان (حق الله على العباد أن يعبدوه) أى يوحدوه أو يقوموا بعبادته وعبوديته بمقتضى الهيته وربوبيته (ولا يشركوا به شيئاً) الواو لمطلق الجمع وهو تأكيد أو تخصيص (وحق العباد) بالنصب ويجوز رفعه (على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً) من الاشياء أو الاشراك أى عذاباً مخلداً فلا ينافى دخول جماعة النار من عصاة هذه الامة كما ثبت به الاحاديث الصحيحة بل المتواترة ومن ثمة أوجبوا الايمان به فان قلت كيف هذا مع قول البيضاوى وليس يحتم عندنا أن يدخل النار أحد من الامة بل العفو عن الجميع بموجب وعده ويغفرنا دون ذلك لمن يشاء يغفر الذنوب جميعاً مرجو قلت البيضاوى لم ينف الدخول وانما نفى تحتمه وجوز العفو عن الجميع من حيث عموم الوعد وأما من حيث اخباره عليه الصلاة والسلام بأنه لا بد من دخول جمع من العصاة النار فلم يتعرض له البيضاوى على أنه قال اللازم على الوعد المذكور عموم العفو وهو لا يستلزم عدم الدخول لجواز العفو عن البعض بعد الدخول وقبل استيفاء العقاب اه وفيه مع ذلك نظر لان النصوص دلت على دخول جمع النار وتعذيبهم بها وقد اسودت أبدانهم حتى صارت كالنعم فيجب الايمان بذلك (قلنا يا رسول الله أفلا أبشريه الناس) أى عمومهم والفاء في جواب الشرط المقدر أى اذا كان كذلك أفلا أبشروهم بما ذكرت من حق العباد والبيشارة ايصال خير الى أحد يظهر أثر السرور منه على بشرته وأما قوله تعالى قبشروهم يعذاب أليم فتهمكم أو تجريد (قال لا تبشروهم) قال بعض النهي مخصوص ببعض الناس وبه احتج البخارى على أن للعالم أن يخش بالعلم قوماً دون قوم كراهة أن لا يفهموا وقد يتخذ أمثال هذه الاحاديث البيطة والمباحية ذريعة الى ترك التكليف ورفع الاحكام وذلك يقضى الى خراب الدنيا بعد خراب العقبى (فيتكوا) منصوب في جواب النهي بتقدير أن بعد الفاء أى يعتمدوا وتركوا الاجتهاد في حق الله تعالى

متفق عليه و عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال يا معاذ قال لبيك
يارسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك يارسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك يارسول الله وسعديك
ثلاثا قال ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه الا حرمه الله على النار قال
يارسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا قال اذا يتكلموا

فالنهي منصوب على السبب و المسبب معاً أي لا يكن منك تبشير فانكأل منهم و انما رواه معاذ مع
كونه منبها عنه لانه علم منه ان هذا الاخبار يتغير بتغير الزمان و الاحوال و القوم يومئذ كانوا
حديث العهد بالاسلام لم يعتادوا بتكاليفه فلما تثبتوا و استقاموا أخبرهم أو رواه بعد ورود الامر بالتبليغ
و الوعيد على الكتمان ثم ان معاذاً مع جلالة قدره لا يخفى عليه ثواب نشر العلم و وبال كتمه فرأى
التحدث واجبا في الجملة و يؤيده ما روى في الحديث الذي يتلوه فأخبر معاذ عند موته تأمناً و قبل
انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً عن التبشير و أخبر به معاذ بعد تبشير النبي صلى الله عليه وسلم
المؤمنين فلا يلزم ارتكاب المنهي لان النهي عن التبشير لاعتن الاخبار (متفق عليه) و رواه أبو داود
و الترمذى و النسائى (و عن أنس) مر ذكره (أن النبي صلى الله عليه وسلم و معاذ رديفه على الرحل)
الجملة حالية معترضة بين اسم ان و خبرها (قال يا معاذ قال) أي معاذ (لبيك) مثنى مضاف بنى
للتكرير من غير حصر من لب اجاب أو اقام أي اجبت لك اجابة بعد اجابة أو اقامت على طاعتك اقامة
بعد اقامة (رسول الله) بحذف حرف النداء لكمال التقرب (وسعديك) عطف على لبيك أي ساعدت طاعتك
مساعدة بعد مساعدة (قال يا معاذ قال لبيك رسول الله و سعديك) تكرير النداء لتأكيد الاهتمام بما
يجبر و ليكمل: تنبيه معاذ فيما يسمعه فيكون أوقع في النفس و أشد في الضبط و الحفظ (قال يا معاذ قال
لبيك رسول الله و سعديك ثلاثاً) أي وقع هذا النداء و الجواب ثلاث مرات و في النسخ المصححة كلها
بحذف حرف النداء في رسول الله و وقع في نسخة ابن حجر وجودها في الثالثة فاطنبت في توجيهه (قال) و
في نسخة قال مكرراً أي قال أنس (قال) صلى الله عليه وسلم (ما من أحد) من زائدة لاستفراق النفي
واحد مبتدأ و صفته (يشهد أن لا اله الا الله و ان محمداً رسول الله صدقاً) مصدر فعل محذوف أي يصدق صدقاً
وقوله (من قلبه) صفة صدقاً لان الصدق قد لا يكون من قلب أي اعتقاد كقول المناق اتك
لرسول الله أو يكون بمعنى صادقاً حال من فاعل يشهد و خبر المبتدأ قوله (الاحرمه الله على النار) و هو
استثناء مفرغ أي ما من أحد يشهد محرم على شئ الا محرماً على النار و التحريم بمعنى المنع حكى عن
جماعة من السلف منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض و الامر و النهي و قال بعضهم
معناه من قال الكلمة و أدى حقها و فريضتها فيكون الامتثال و الانتباه مندرجين تحت الشهاداتتين و
هذا قول الحسن البصرى و قيل ان ذلك لمن قالها عند الندم و التوبة و مات على ذلك قبل أن يتمكن
من الايمان بفرض آخر و هذا قول البخارى و الاقرب أن يراد تحريم الخلود (قال يارسول الله أفلا أخبر
به الناس) في وضع أخبر موضع أبشر تجريد أو رجوع الى أصل اللغة أو اكتفاء بقوله (فيستبشروا) أي
يفرحوا بحيث يظهر أثر السرور على بشرتهم لما فيه من عظيم العفوان لم يسعوا به قبل ذلك (قال
اذا يتكلموا) اذن حرف جواب و جزاء و قد يستعمل لمحض الجواب كما هنا أي لا تخبرهم بذلك
لانك ان أخبرتهم و بهذه البشارة بشرتهم يعتمدوا على اطفاف الربوبية و يتركوا حق العبودية
فينجروا الى نقصان درجاتهم و تنزل حالاتهم و هذا حكم الاغلب من العوام والا فالخواص كلما بشروا
زادوا في العبادة كما وقع للعشرة المبشرة و غيرهم ولذا قال صلى الله عليه وسلم في جواب من قال له

متفق عليه و عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان هجدا عبده ورسوله وان عيسى عبدالله ورسوله و ابن أمته و كلمته ألقاها الى مريم و روح منه و الجنة و النار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل

السبب على السبب (متفق عليه و عن عبادة بن الصامت) مر ذكره (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده) حال أى ينفرد منفردا (لا شريك له) تأكيد بعد تأكيد (وان هجدا عبده) الاجل (ورسوله) الاكمل (وان عيسى عبدالله) لم يضر ليكون أصرح فى المقصود و هو تعريض بالنصارى و تقرير لعبيديته و اشعار الى ابطال ما يقولون به من اتخاذ أمه صاحبة (ورسوله) تعريض باليهود (وابن أمته) كذا فى نسخة صحيحة و الاضافة فى أمته للتشريف ردا على اليهود فى التذف (و كلمته) سعى عيسى بالكلمة لانه حجة الله على عباده أبدعه من غير أب و أنطقه فى غير أوانه **ثالثا** الاضافة للتشريف و قيل لكونه موجدا بكن و قيل لما انتفع بكلامه سعى به كما يقال فلان سيف الله و أسد الله و قيل لما خصه به فى صغره حيث قال انى عبدالله (ألقاها الى مريم) استئناف بيان أى أوصلها الله تعالى اليها و حصلها فيها (و روح منه) أى مبتدأ من محض ارادته فان سائر الارواح البشرية هى كالمولودة عن أرواح آبائهم لا سيما على مذهب من زعم ان الارواح أجسام سارية فى البدن سر يان ماء الورد و قيل سعى بالروح لما كان له من احياء الموتى باذن الله فكان كالأرواح أو لانه ذوروح و جسد من غير جزء من ذى روح كالتطفة المنفصلة عن حى و انما اخترع اختراعا من عند الله تعالى أولانه أحدث فى نفخ الروح بارساله جبريل الى أمه فنفخ فى درعها مشقوقا الى قد امها فوصل النفخ اليها فحملت به مقدسا عن لوث التطفة و الثقلب فى أطوار الخلفة من العلقة و المضغة و وصفه بقوله منه اشارة الى أنه مقربه و حبيبه تعريضا باليهود روى ان عظيما من النصارى سمع قارئا يقرأ و روح منه قال أفعبر هذا دين النصارى يعنى ان هذا دين النصارى يعنى ان هذا يدل على ان عيسى بعض منه فاجاب على بن الحسين بن وائد ان الله تعالى قال و سخركم ما فى السموات و ما فى الارض جميعا منه فلو أريد بقوله و روح منه انه بعضه أو جزء منه لكان معنى جميعا منه أن الجميع بعض منه أو جزء منه فأسلم النصارى و معنى الآية أن تسخير هذه الاشياء كائن منه و حاصل من عنده يعنى انه مكونها و موجدها (والجنة) منصوب و يرفع (و النار حق) مبالغته كزيد عدل أو صفة مشبهة أى ثابت و أفرد لانه مصدر أولارادة كل واحدة منهما و فى كلام أهل التحقيق أن الجنة جنة الوصول الى معرفة ذات الله و صفاته و أفعاله و الملائكة الكروبية و الروحانية و طبقات الارواح و عالم السموات بحيث يصير روح السالك كالمرأة المحاذية لعالم القدس و أشجارها الملكات الحميدة و الاخلاق السعيدة و نحوها من المكاسب و اثمارها المكشفتات و المشاهدات و الاشارات و غيرها من المواهب و من رضى بالجنة الحسية فهو أبله و من أعرض عن الحق و انتقل من روح المحبة و القرب الى سياسة القهر و البعد و انحط عن الجهة العالوية الى عالم النار يعذب بنار روحانية نشأت من استيلاء صفة القهر الالهى فيكون أشد و أدوم ايلاما من النار الجسمانية لأن حرارتها تابعة لنار روحانية ملكوتية هى شر من نار غضب الله بعد تنزيلها فى مراتب كثيرة كتنزيلها فى مرتبة النفس بصورة الغضب و هى غير متناهية و هذا معنى ما يقال ان نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرة ثم أنزلت الى الدنيا ليتمكن الانتفاع بها (أدخله الله الجنة) ابتداء و انتهاء و الجملة جواب الشرط أو خبر المبتدأ (على ما كان) حال من ضمير المفعول من قوله أدخله الله أى كائنا على ما كان عليه موصوفا به (من العمل) حسنا أو شرا قليلا أو كثيرا صغيرا أو كبيرا و فيه رد

متفق عليه و عن عمرو و بن العاص قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت أبسط يمينك فلا يابيك فبسط يمينه فقبضت يدي فقال مالك يا عمرو قلت أردت ان اشترطت قال تشترط ماذا قلت أن يغفر لي قال أما علمت يا عمرو ان الاسلام يهدم ما كان قبله و ان الهجرة تهدم ما كان قبلها و ان الحج يهدم ما كان قبله

على المعتزلة و الخوارج (متفق عليه) ورواه النسائي (و عن عمرو بن العاص) الاصح عدم ثبوت الباء اما تخفيفا أو بناء على أنه أجوف و يدل عليه ما في القاموس الاعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص و أبو العاص و العيص و أبو العيص فعلى هذا لا يجوز كتابة العاص بالياء ولا قراءة بها لا وقفا ولا وصلا فانه معتل العين بخلاف ما يتوهم بعض الناس أنه اسم فاعل من عصى فحينئذ يجوز إثبات الباء و حذفه وقفا و وصلا بناء على أنه معتل اللام (رضي الله عنه قال آتت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت) أي له كما في نسخة (أبسط يمينك) أي اتحنها ومدتها لاض يميني عليها كما هو العادة في البيعة (فلا يابيك) بكسر اللام و فتح العين على الصحيح و التقدير لا يابيك تعليلا للامر و الفاء مقحمة و قيل بضم العين و التقدير فانا أبايك و أنجم اللام تؤكد و يحتمل أن تكون لام الامر فيجزم و يحتمل ان تكون اللام مفتوحة و العين مضمومة و التقدير فاني لا يابيك و الفاء للجزاء كقولك انثى فاني أكرمك أو اللام للقسم و قيل التقدير فلاجل أن أبايك طلبت بسط يمينك (فبسط يمينه) أي الكريمة (قبضت يدي) بسكون الباء و تفتح أي الى جهتي و قال ابن ملك أي نفسي و هو غير ظاهر (فقال) أي عليه الصلاة والسلام (مالك يا عمرو) أي أي شئ خطر لك حتى امتعت من البيعة (قلت أردت أن اشترط) مفعوله محذوف أي شرطا أو شيا و المعنى أردت بذلك الامتناع ان اشترط لنفسى ما يحصل لها من الانتفاع (قال تشترط ماذا) قيل حق ماذا أن يكون مقدما على تشترط لانه يتضمن معنى الاستفهام و هو يقتضى الصدارة فحذف ماذا و أعيد بعد تشترط تفسيرا للمحذوف و قيل كأنه عليه الصلاة والسلام لم يستحسن منه الاشرط في الايمان فقال أنشترط انكارا فحذف الهزة ثم ابتداء فقال ماذا أي ما الذى تشترط أو أى شئ تشترط و قال المالكي في قول عائشة أقول ماذا شاهد على ان ما الاستفهامية اذا ركبت مع ذا تفارق وجوب التصدير فيعمل فيها ما قبلها رفعا و نصبا فالرفع كقولك كان ماذا و النصب كما في الحديث و يؤيده قول بعض العلماء يجوز وقوعها تمييزا كقولك لمن قال عندى عشرون عشرون ماذا (قلت ان يغفر) بالبناء للمفعول و قيل للفاعل أي الله كما في نسخة (لى) أي اشترط غفران ذنوبى ان أسلمت (قال أما علمت يا عمرو) أي من حقت مع رزائة عقلك و جودة رأيك و كمال حدتك الذى لم يلحظك فيه أحد من العرب أن لا يكون خفى عن علمك (ان الاسلام) أي اسلام الحرى لان اسلام الذمى لا يسقط عنه شيا من حقوق العباد (يهدم) بكسر الدال أي يحو (ما كان قبله) أي من السيات (و ان الهجرة) أي الى في حياتى و بعد وفاتى من دار الحرب الى دار الاسلام و أما خبر لاهجرة بعد الفتح فمعناه لاهجرة من مكة لان أهلها صاروا مسلمين (تهدم ما كان قبلها) أي مما وقع قبلها و بعد الاسلام ما عدا المظالم أي من الخطيئات (وان الحج يهدم ما كان قبله) أي من التصديرات سقط لفظ كان من أصل ابن حجر فتكلف له وجها و هو موجود في جميع النسخ الحاضرة المصححة المقرؤة على المشايخ قال الشيخ التوربشقى من أمتنا رحمهم الله الاسلام يهدم ما كان قبله مطلقا مظلمة كانت أو غيرها صغيرة أو كبيرة و أما الهجرة و الحج فانهما لا يكفران المظالم ولا يقطع فيهما بغفران الكبائر التى بين العبد و مولاه فيجمل الحديث على هدمها الصغيرة المتقدمة و يحتمل هدمها الكبائر التى تتعلق بحقوق العباد بشرط التوبة عرفنا ذلك من

رواه مسلم والحديثان المرويان عن أبي هريرة قال قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك والآخراً
الكبرياء رداً سنذكرهما في باب الرياء والكبرياء شاء الله تعالى * (الفصل الثاني) * عن معاذ قال
قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة

أصول الدين فرددنا المجمع إلى المفصل وعليه اتفاق الشارحين وقال بعض علمائنا يمحوا الإسلام
ما كان قبله من كفر وعصيان وما ترتب عليهما من العقوبات التي هي حقوق الله وأما حقوق العباد
فلا تسقط بالحج والهجرة إجماعاً ولا بالإسلام لو كان المسلم ذمياً سواء كان الحق عليه مالياً أو غير
مالياً كالقصاص أو كان المسلم حريباً وكان الحق مالياً بالاستقراض أو الشراء وكان المال غير الخمر
وقال ابن حجر الحج يهدم ما قبله مما وقع قبله وبعد الإسلام ما عدا المظالم لكن بشرط ما ذكر في
حديث من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه مع ذلك فالذي عليه أهل السنة
كما نقله غير واحد من الأئمة كالنووي وعباس أن يحمل ذلك في غير التبعات بل الكبائر إذ لا يكفرها
إلا التوبة وعبارة بعض الشارحين حقوق المال لا تنهدم بالهجرة والحج وفي الإسلام خلاف وأما
حقوق العباد فلا تسقط بالهجرة والحج إجماعاً نعم يجوز بل يقع كما دل عليه بعض الأحاديث إن
الله تعالى إذا أراد لعاص أن يعفو عنه وعليه تبعات عوض صاحبها من جزيل ثوابه ما يكون سبباً لعفوه
ورضاه وأما قول جماعة من الشافعية وغيرهم إن الحج يكفر التبعات واستدلوا بخبر ابن ماجه أنه
عليه الصلاة والسلام دعا لامته عشيبة عرفه بالمغفرة فاستجيب له ما خلا المظالم فلم يجب لمغفرتها فدعا
صبيحة مزدلفة بذلك فضحك عليه الصلاة والسلام لما رأى من جزع ابليس لما شاهده من عموم تلك
المغفرة فبره أن الحديث سنده ضعيف اهـ وعلى تقدير صحته يمكن حمل المظالم على ما لا يمكن
تداركه أو يقيد بالتوبة أو التخصيص بمن كان معه عليه الصلاة والسلام من أمته في حجة فانه لا يعرف
أحد منهم أن يكون مصراً على معصية ولذا قال الجمهور إن الصحابة كلهم عدول والله تعالى أعلم
(رواه مسلم والحديثان المرويان) أي المذكوران هنا في المصاييح (عن أبي هريرة) أولهما (قال
الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك) الخ (والآخر الكبرياء رداً) الخ (سنذكرهما في باب الرياء والكبر
إن شاء الله تعالى) لف ونشر مرتب يعني الحديث الأول نذكره في باب الرياء والثاني نذكره في باب
الكبر فإن الحديثين أنسب بالباين من هذا الباب والله أعلم بالصواب * (الفصل الثاني) * أي المعبر به
عن قوله من الحسان في المصاييح (عن معاذ) أي ابن جبل (رضي الله عنه قال قلت) وفي رواية قال بينما
نحن نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقد أصابنا الحر فترقق القوم فاذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم أتربهم متى فدنوت منه وقلت (يا رسول الله أخبرني بعمل) التنوين للتعظيم أو للنوع أي
عمل عظيم أو معتبر في الشرع فلا يريد ما ذكره المظهر من أنه إذا جعل يدخلني جواب الأمر يبق
بعمل نكرة غير موصوفة وهي لا تفيد (يدخلني الجنة) بالرفع على أنه صفة عمل أما مخصصة أو
مادحة أو كاشفة فإن العمل إذا لم يكن بهذه الهيئة كأنه لا عمل وبالجزم جزاء شرط محذوف هو صفة أي
أخبرني بعمل إن أعمله يدخلني الجنة وقيل جزم باعتبار أنه جواب الأمر أي أخبرني بعمل إن تخبرني
يدخلني الجنة يعني أن الخبر وسيلة إلى العمل والعمل إلى الإدخال واستناد الإدخال إلى العمل استناد إلى السبب
أوشبه العمل لكونه سبباً للمطلوب بالفاعل الحقيقي أو المعنى يدخلني لذاته بل فضل الله يجعله سبباً لدخولها
وقيل الجزم غير صحيح رواية ودراية أقول فكأنه نظر في عدم صحته دراية أن الأخبار ليس سبباً لدخول
الجنة بل العمل وفيه نظر لأن أخباره عليه الصلاة والسلام وسيلة إلى فعل ذلك العمل الذي هو

و يباعدني من النار قال لقد سألت عن أمر عظيم و افه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبداته ولا تشرك به شيئاً و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت ثم قال ألا أدلك على ابواب الخير

ذريعة الى دخول الجنة فالأخبار سبب بوجه ما لادخال الجنة و من ثم جعل ابن الحاجب يقيموا في كل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة و غيره يغفر لكم في هل أدلكم على تجارة تنجيكم الآتية هو الجزء لأن المؤمن الكامل لما كان مظنة للامثال نزل للمحقق منه ذلك (و يباعدني من النار) عطف على يد خلني بالوجهين و قول ابن ملك هنا بالرفع فقط مع تجويزه الوجهين أولاً في غاية من السقوط ثم العطف يفيد ان مراده دخول الجنة من غير سابقة عذاب و يؤيده أنه أخرج على صيغة المعالجة للمبالغة (قال) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد سألت) أى منى (عن عظيم) أى شئ عظيم و أسأل عظيم متعسر الجواب لأن الدخول و التباعد أمر عظيم فسيبه الذى هو اجتناب كل محذور و امتثال كل مأمور أيضاً كذلك أو لأن معرفة العمل المدخل من علم الغيب و الأولى ان يقال عن عمل عظيم فعله على النفوس ليطابق السابق و اللاحق و العظيم ضد الحثير كالكبير نقيض الصغير و كما أن الحثير دون الصغير فكذلك العظم فوق الكبير و يستعملان في الصور و المعاني تقول رجل عظيم و كبير أى جثته أو قدره (وانه) أى جوابه أو فعله (ليسير) أى هين و سهل (على من يسره الله) و في نسخة (تعالى) أى جعله سهلاً (عليه تعبداته) اما بمعنى الامر و كذا ما بعده و اما خبر مبتدأ محذوف تعويلاً على أقوى الدليلين أى هو أن تعبد أى العمل الذى يدخلك الجنة عبادتك الله يحذف ان أو تنزيل الفعل منزلة المصدر و عدل عن صيغة الامر تنبيهاً على ان المأمور كأنه متسارع الى الامتثال و هو يخبر عنه اظهاراً لرغبته في وقوعه و فصله عن الجملة الأولى لكونه بياناً أو استئنافاً و فيه براعة الاستهلال لدلالته على مضمون الكلام بطريق الاجمال كما أن قوله كف عليك يدل على حسن القطع و العبادة أقصى غاية الخضوع و المراد به التوحيد لقوله (ولا تشرك به شيئاً) أو الأعم منه ليعم امتثال كل مأمور و اجتناب كل محذور و الضمير في به اما ان يعود الى الله أو الى العبادة و الثانى هو الأولى لانه اذا لم يشرك في العبادة فلان لا يشرك بالله أولى و التثنية في شيئاً للأفراد شخصاً كما أن في قوله عظيم للتعظيم و في يسير للتقليل (و تقيم الصلاة) من باب عطف الخاص على العام تنبيهاً على انافته ان عمم العبادة و المراد بها المكتوبة وهذا الحكم ليس مخصوصاً بمعاد بل يعم كل مؤمن اذا عبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم توقف دخول الجنة على الاعمال انما هو بيقيد الدخول الأولى كما سبقت الإشارة اليه فلا مستمسك للمعتزلة و الخوارج لديه (و تؤتي الزكاة) أى المفروضة (و تصوم رمضان) أى الايام المعدودة (و تحج البيت) أى بالافعال المعلومة على شرط الاستطاعة في العمر مرة (ثم قال) أى عليه الصلاة والسلام زيادة على الافادة بالحث على النوافل لتحصيل الدرجات العالية أو لتكميل العبادات البدنية و المالية (ألا أدلك) الهزة للاستفهام الانكارى و لا للنفى و هو لتحقيق ما بعدها ولعل قوله قلت بلى كان موجوداً هنا أيضاً كما في الموضوعين بعده نفسى الراوى كذا قيل و قيل المعنى لا ينبغي لى أن لا أدلك مع انى المرشد الكامل و الاظهاره للتنبه لثلاث ينسب الرواة الى النسيان مع ان الجواب ليس بلازم لانه أمر ظاهر معلوم مطابوية دلالته أو يقال و انما لم يتوقف عليه الصلاة والسلام حتى يقول معاذ بلى هنا تنبيهاً على أنه لا ينبغي ان ينتظر تصديقه اهتماماً بضمومونه (على أبواب الخير) أى الطرق الموصلة به شبه الخير بدار فيها كل ما يتمناه النفس و اللام فيه للجنس جعل الامور الآتية أبواب الخير لان الصوم شديد على النفس و كذا اخراج المال في الصدقة لاسيما الزيادة على الزكاة و كذا الصلاة في جوف الليل الذى

الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم ثلاثجا في جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أدلك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة

عمل راحة النفس والبعد من الرياء فمن اعتادها سهل عليه كل خير لأن المشقة في دخول الدار تكون بفتح الباب (الصوم جنة) أي ستر وإنما جعل الصوم جنة من النار أو من الشيطان لأن في الجوع سد مجارى الشيطان فإذا سد مجاريه لم يدخل فلم يكن سببا للعصيان الذي هو سبب لدخول النار قيل التقدير صوم النفل فاللام تدل على المضاعف إليه قال بعض المحققين من شراح الأربعين ولعل قائله كوفي قال في الكشف في قوله تعالى فإن الجحيم هي المأوى أي مأواه فإن اللام ليس يدل على المضاعف إليه بل للتعريف العهدي لانه لما علم أن الطاغى صاحب المأوى تركت الاضافة فكذا ههنا لانه لما ذكر الفرائض أولا علم ان المذكور بعدها من النوافل فاللام للعهد الخارجى ولا يجب فيه تقديم المعهود كما ظن بل قد يستغنى عنه لعلم المخاطب بالقرائن كقولك لمن دخل البيت أغلق الباب وكم مثلها و قوله جنة أي وقاية من سورة الشهوة في الدنيا والنار في العقبى كالجنة ففيه تشبيه المعقول بالمحسوس عند المتكلمين واختار بعض الافاضل ان مثله استعارة فمن كان الصوم جنته سد طرق الشياطين عن قلبه فيكشف بعد ازالة ظلمتهم يرى بنور الغيب خزان لطائف حكم الصفات فيستتر بأنوارها عن جميع المخالفات والاقات (والصدقة تطفئ الخطيئة) أي التي تجر الى النار يعني تذهبها وتحو أثرها أي اذا كانت متعلقة بحق الله تعالى و اذا كانت من حقوق العباد فتدفع تلك الحسنة الى خصمه عوضا عن مظلمته (كما يطفئ الماء النار) لتناق آثارها بإيجاد الله تعالى سبحانه اذ الاشياء لا تعمل بطبعها فلا الماء يروى ولا الخبز يشيع ولا النار تحرق (وصلاة الرجل) مبتدأ خبره محذوف أي وصلاة الرجل (في جوف الليل) كذلك أي تطفئ الخطيئة أو هي من أبواب الخير والاول أظهر قال القاضي وقيل الاظهر أن يقدر الخبر شمار الصالحين كما في جامع الاصول (ثم تلا) أي قرأ عليه الصلاة والسلام (تتجاف جنوبهم) أي تتباعد وفق النسبة مبالغة لا تحنى (عن المضاجع) أي المفارش والمراقد والجمهور على أن المراد صلاة التهجد وقال بعضهم المراد احياء ما بين العشاءين (يدعون ربهم) بالصلاة والذكر والقراءة والدعاء (خوفا) من سخطه (وطمعا) في رحمته (ومما رزقناهم) وبعض ما أعطيناهم (ينفقون) يصرفون في وجوه الخير أي أنهم جامعون بين العبادات البدنية والمالية عابدون زاهدون (فلا تعلم نفس) أي لا ملك ولا نبي (ما أخصى لهم) جمهور القراء على أنه ماض مجهول وقرأ حمزة على المتكلم المعلوم (من قرة أعين) من اللذات التي تقر أعينهم وتشتيبه أنفسهم وفي الحديث القسي أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (حتى بلغ يعملون) وهو قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون أي جوزوا جزاء بسبب أعمالهم وبمقابلة أعمالهم وموافقة لحوالهم (ثم قال) أي عليه الصلاة والسلام (و ذروة سنامه) الذروة بكسر الذال وهو الأشهر وبضمها وحكى فتحها أعلى الشئ والسنام بالفتح ما ارتفع من ظهر الجمل قريب عنقه (قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر) أي أمر الدين (الإسلام) يعني الشهادتين وهو من باب التشبيه المقلوب اذ المقصود تشبيه الإسلام برأس الأمر ليشعر بأنه من سائر الاعمال بمنزلة الرأس من الجسد في احتياجه اليه وعدم بقائه دونه (وعموده الصلاة) يعني الإسلام هو أصل الدين الا أنه ليس له قوة وكمال كالبيت الذي ليس له عمود فإذا صلى وهاوم قوى

و ذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملأك ذلك كله قلت بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه فقال كف عليك هذا فقلت يا نبي الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به قال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم

دنيه ولم يكن له رفعة فإذا جاهد حصل لدينه رفعة وهو معنى قوله (و ذروة سنامه الجهاد) وفيه اشعار الى صعوبة الجهاد وعلو أمره و تفوقه على سائر الاعمال و الجهاد من الجهد بالفتح وهو المشقة أو بالضم وهو الطاقة لانه يبذل الطاقة في قتال العدو عند فعل العدو مثل ذلك أو بضم جهده الى جهد أخيه في نصرة دين الله كالمساعدة وهي ضم ساعده الى ساعد أخيه لتحصيل القوة وله أنواع من جهاد الأعداء ليكون الدين كله لله و جهاد النفس بجملمها على اتباع الاحكام و ترك الحظوظ و تكليف الخصلة المذمومة المفرطة خلاف مقتضاها و العمل بتقيض موجهها حتى اعتدلت و تناقت قوة العلم و الغضب و الشهوة و العدل و هو أشد من الاول و لذا ورد معنا من الجهاد الأصغر الى الأكبر لان النفس كالمملك في داخل الانسان و عسكره الروح الحيوانية و الطبيعية و الهوى و الشهوة وهي في نفسها عمياء لا تبصر المهالك و لا تميز الخير من الشر الى أن ينور الله بلطف حكمته بصيرتها تبصر الأعداء و المعارف و تجد البنيان الانساني مملواً من خزائير الحرص و تكالب الكلب و نمر الغضب و الشهوة الحمارية و حية الشيطان فكستتها من الرذائل و زينتها بالفغائل و أما جهاد القلب فتصفيته و قطع تعلقه عن الاغيار و جهاد الروح باقناء الوجود في وجود الواحد القهار (ثم قال) أي عليه الصلاة والسلام (ألا أخبرك بملأك ذلك كله) الملاك ما به احكام الشئ أو تقويته من ملك العجين اذا أحسن عجنه و بالغ فيه و أهل اللغة يكسرون الميم و يفتحنها و الرواية بالكسر و ذلك اشارة الى ما ذكر من أول الحديث الى هنا من العبادات و أكده بقوله كله لتلايظن خلاف الشمول أي بما تقوم به تلك العبادات جميعها (قلت بلى يا نبي الله) لا يخفى مناسبة نبي الله بالأخبار كمناسبة الرسالة بالدلالة (فأخذ) أي النبي صلى الله عليه وسلم (بلسانه) الباء زائدة و الضمير راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم و قيل الباء لتضمن معنى التعلق (و قال كف) الرواية يفتح الفاء المشددة أي اسع (عليك هذا) اشارة الى اللسان أي لسانك المشافه له و تقديم المجرور على المنصوب للاهتمام به و تعديته بلى للتضمن أو بمعنى عن و ايراد اسم الاشارة لعزيد التعيين أو للتحقير و هو مفعول كف و انما أخذ عليه الصلاة والسلام بلسانه و أشار اليه من غير اكتفاء بالقول تبيينها على أن أمر اللسان صعب و المعنى لا تتكلم بما لا يعينك فان من كثر كلامه كثر سقطه و من كثر سقطه كثر ذنوبه و لكثرة الكلام مفسد لا تحصى و من أراد الاستقصاء فعليه بالأحياء و لذا قال الصديق لبيتي كنت أحرص الا عن ذكر الله (فقلت يا نبي الله) أتقول هذا (و انا لمؤاخذون) بالهمزة و يبدل أي هل يؤاخذنا و يعاقبنا أو يعاسبنا ربنا (بما نتكلم به) يعني بجميعة اذ لا يخفى على معاذ المؤاخذة ببعض الكلام (قال) أي عليه الصلاة والسلام (ثكلتك أمك) بكسر العين (يا معاذ) أي فقدتكم و هو دعاء عليه بالموت على ظاهره و لا يراد وقوعه بل هو تاديب و تنبيه من الغفلة و تعجيب و تعظيم للأمر (و هل يكب) يفتح الباء و ضم الكاف من كبه اذا صرعه على وجهه بخلاف أكب فان معناه سقط على وجهه و هو من التوادر و هو عطف على مقدر أي هل تظن غير ما قلت و هل يكب (الناس) أي يلتهم و يسقطهم و يصرعهم (في النار على وجوههم أو على مناخرهم) شك من الراوي و المنخر يفتح الميم و كسر الخاء و فتحها ثقب الانث و المراد هنا الانث و الاستفهام للتفي خصهما بالكب لانهما أول

الاحصاء الستتهم رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه و عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أحب لله و أبغض لله و أعطى لله و منع لله فقد استكمل الايمان رواه أبو داود و رواه الترمذى
عن معاذ بن أنس مع تقديم و تأخير فيه

الاعضاء سقوطاً (الاحصاء الستتهم) أى محصوداتها شبه ما يتكلم به الانسان بالزرع المحصود بالمنجل
و هو من بلاغة النبوة فكما أن المنجل يقطع و لا يميز بين الرطب و اليابس و الجيد و الردىء فكذلك
لسان بعض الناس يتكلم بكل نوع من الكلام حسناً و قبيحاً و المعنى لا يكب الناس فى النار الا حصائد
الستتهم من الكفر و القذف و الشتم و الغيبة و النميمة و البيهتان و نحوها و الاستثناء مفرغ و هذا
الحكم وارد على الاغلب أى على الاكثر لانك اذا جربت لم تجد أحداً حفظ لسانه عن السوء
ولا يصدر عنه شئ يوجب دخول النار الا نادراً و لمعرك ان هذه الخاتمة فاتحة السعادة الكبرى فائحة
منها نسائم الكرامة العظمى لانه اذا نظر الى الشريعة فكف اللسان نعم العون على حفظها و اذا نظر الى
الطريقة فهو الركن المشار اليه و التطب المدار عليه لانه اذا سكت اللسان نطق القلب و يحصل له
المسامرة مع الرب و يعطر عليه سحائب الرحمة يقطرات النور و يمتلئ من الخيور و الجور و لو نظر
الى الحقيقة فهو نهاية مراتب السالكين و غاية منازل السائرين و لذا ورد من عرف الله كل لسانه أى
عن ذكر حاله و بيان مقامه و هو مقام المراقبة و كل لسانه عن مقام الدعوى و هو فى مقام الهيبة و كل لسانه
عن نشر حاله و بيان مقامه و هو مقام صولة المحبة و عن وصف الله و ثنائه و هو مقام الحيرة فى
المعرفة كما قال عليه الصلاة والسلام فى أقصى الدنو لما رأى الحق بالحق و فنى عن الصفات فى الذات
و وجد معنى من معانى البقاء لا أحصى ثناء عليك لان ثناءه يصدر عن الجدوثة و ثناء الخليقة لا يليق
الا بهم ثم قطع لسان الثناء بمقراض التنزيه عجزاً فى جلال الابد و أضاف ثناءه تعالى اليه لانه لا يعرف
الله الا هو فقال أنت كما أنثيت على نفسك و فى معنى الحديث أنشد الشافعى

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغك انه ثعبان

كم فى المقابر من قليل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

(رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه) و رواه النسائى و قال الترمذى حسن صحيح (و عن أبى أمامة
رضى الله عنه) بضم الهمزة و تقضيح الميم باهلى سكن بمصر ثم انتقل الى حمص و مات بها و كان من
المكثرين فى الرواية و أكثر حديثه عن الشاميين روى عنه خلق كثير مات سنة ست و ثمانين و له
احدى و سبعون و هو آخر من مات من الصحابة بالشام (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب
أى شئاً أو شخصاً فحذف المفعول ليذهب الوهم كل مذهب (الله) لا لغرض سواه و لا لشهوة طبعه
و هواه (و أبغض لله) كذلك (و أعطى لله و منع لله) و كذلك سائر الاعمال فتكلم لله و سكت لله
و اختلط بالناس لله و اعتزل عن الخلق لله كقوله تعالى حاكياً ان صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله
و انما خص الافعال الاربعة لانها حظوظ نفسانية اذ قلما يحمضها الانسان لله فاذا حمضها مع صعوبة
تمحيضها كان تمحيض غيرها بالطريق الاولى و لذا أشار الى استكمال الدين بتمحيضها بقوله (فقد استكمل
الايمان) بالنسب أى أكمله و عدى اليه للمبالغة لزيادة السنين المستدعية لتجربته من نفسه شخصاً
آخر يطلب منه اكمال الايمان و نظيره و كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يطالبون من أنفسهم
الفتح عليهم و قيل بالرفع أى تكمل ايمانه (رواه أبو داود) و سكت عليه و صححه الحاكم و حسنه
الترمذى (و رواه الترمذى) لا عن أبى أمامة بل (عن معاذ بن أنس مع تقديم و تأخير فيه)

فقد استكمل إيمانه و عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال الحب في الله و البغض في الله رواه أبو داود و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده و المؤمن من أمنه الناس على دماءهم و أموالهم رواه الترمذى و النسائى و زاد البيهقى في شعب الإيمان برواية فضالة و المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله و المهاجر من هجر الخطايا و الذنوب و عن أنس قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا إيمان لمن لا أمانة له

أى في حديث الترمذى أو في مروى معاذ (فقد استكمل إيمانه) بالإضافة (و عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال) أى الباطنية التى يتوصل بها الى حقائق المعرفة و الشهود قال للعهد الذهني و قيل التقدير من أفضل الأعمال اذ الصلاة أفضل الأعمال مطلقا بعد أداء الشهادتين (الحب في الله) أى لوجهه و في سبيله (و البغض في الله) أى لاجله و في حقه و العطاء و المنع متفرعان على الحب و البغض ولذا اكتفى في هذا الحديث بالاضلين (رواه أبو داود) عن مجاهد عن رجل عن أبي ذر و هذا الرجل المجهول هو و الله أعلم عبد الله بن عباس كما رواه الطبراني بإسناد جيد من رواية عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر أى عرا الايمان أشرف بل أوثق قال الله و رسوله أعلم قال الموالاة في الله و المعادة في الله و الحب في الله و البغض في الله و الفرق بين الموالاة و الحب أنها تكون بين اثنين و الحب أعم (و عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) تقدم الكلام عليه (و المؤمن) أى الكامل (من أمنه الناس) كعلمه أى ائتمنه يعنى جعلوه أمنيًا و صاروا منه على أمن (على دمايتهم و أموالهم) لكمال أمانته و ديانتته و عدم خيانتته و حاصل الفقرتين انما هو التشبيه على تصحيح اشتقاق الاسمين فعن زعم أنه متصف به ينبغى أن يطالب نفسه بما هو مشتق منه فان لم يوجد فيه فهو كمن زعم أنه كريم و لا كرم له (رواه الترمذى و النسائى) قال في التصحيح هذا الحديث لم يكن بهذا السياق في واحد من الكتب الستة بل هو مقطع فيها فتقدم في الصحيحين منه من حديث عبد الله بن عمر و المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده و المهاجر من هجر ما نهى الله عنه و باقيه جاء مقطعا في السنن من حديث فضالة و أبي هريرة و عبد الله بن عمرو بن العاص لكن الحديث بجملة رواه الحاكم في مستدركه باسناد على شرط مسلم عن فضالة بن عبيد و ساقه بلفظه الا أنه قدم المؤمن في روايته على المسلم و هو حديث جليل اشتمل على أصول كثيرة في الدين يطول ذكرها (و زاد البيهقى في شعب الإيمان برواية فضالة) بفتح الفاء هو فضالة بن عبيد الانصارى الاوسى أول مشاهده أحد ثم شهد ما بعدها و بايع تحت الشجرة ثم خرج الى الشام مجاهدا ثم انتقل الى الشام فسكن دمشق و قضى بها لمعاوية زمن خروجه بصفين و مات بها في عهد معاوية سنة ثلاث و خمسين روى عنه ميسرة مولاة وغيره (و المجاهد) أى الحقيقى (من جاهد نفسه في طاعة الله) اذ هو الجهاد الاكبر و ينشأ منه الجهاد الاصغر (و المهاجر) أى الكامل (من هجر الخطايا و الذنوب) أى ترك الصغائر و الكبائر و قبل الذنب أعم من الخطيئة لانه يكون عن عمد بخلاف الخطيئة لان الحكمة من الهجرة التمكن من الطاعة بلا مانع و التبرى عن صحبة الاشرار المؤثرة في اكتساب الخطايا فالهجرة التحرز عنها فالمهاجر الحقيقى هو المتجنب عنها (و عن أنس) رضى الله عنه (قال قلما خطبنا) ما مصدرية أى قل خطبة خطبنا (رسول الله صلى الله عليه وسلم) و يجوز أن تكون كافة و هو يستعمل في النفي و يدل عليه الاستثناء أى ما وعظنا (الاقال) أى فيها و لعل الحصر غالبي (لا إيمان) أى على وجه الكمال (لمن لا أمانة له)

ولا دين لمن لا عهد له رواه البيهقي في شعب الايمان * (الفصل الثالث) * عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار رواه مسلم و عن عثمان رضي الله عنه

في النفس والاهل والمال وقيل فيما استؤمن عليه من حقوق الله وحقوق العباد التي كلف بها وقد قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات الآلية والانسان فيها هو آدم ثم ذريته مع كونه ظلوماً أي ظلم نفسه بالتزامه بحمل ما فيه كلفة عظيمة عليها المؤدى الى عدم قيامها به لا سيما على الوجه الاكمل جهولاً لانه جهل خطر تلك الامانة ومسئقة رعايتها عند تحمله لها وانما اتفنى كمال الدين بانثائها لانه يؤدي الى استباحة الاموال والاعراض والابضاع والنفس وهذه فواحش تنقص الايمان وتقهره الى أن لا يبقي منه الاقله بل ربما أدت الى الكفر ومن ثم قيل المعاصي بريد الكفر (ولا دين) على طريق اليقين (لمن لا عهد له) بأن عُدْز في العهد واليمين قيل هذا الكلام وأمثاله وعيد لا يراد به الانتفاع بل الزجر ونفي الفضيلة دون الحقيقة وقيل يحتمل أن يراد به الحقيقة فان من اعتاد هذه الامور لم يؤمن عليه أن يقع ثاني الحال في الكفر كما في الحديث من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه (رواه البيهقي في شعب الايمان وكذا رواه محيي السنة أي صاحب المصابيح باسناده في شرح السنة ورواه الطبراني في معجمه الكبير من حديث ابن مسعود بزيادات لا بأس بذكرها ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له والذي نفس محمد بيده لا يستقيم دين عبد حتى يستقيم لسانه ولا يستقيم له حتى يستقيم قلبه ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه قتيل ما البوائق يارسول الله قال غشمه وظلمه وأيما رجل أصاب مالا من حرام وأنفق منه لم يبارك له فيه وان تصدق منه لم يقبل منه وما بقي فزاده الى النار الا أن الخبيث لا يكفر الخبيث ولكن الطيب يكفر * (الفصل الثالث) * المراد به الاحاديث الملحقة بالباب ألحقها صاحب الكتاب غير مقيدة بأن تكون مما أخرجها الشيخان أو غيرها من أصحاب السنن ولا بأن تكون عن صحابي أو تابعي (عن عبادة بن الصامت) رضي الله عنه (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول) هذا مما يتكرر كثيراً وقد اختلف في المنصوبين بعد سمعت فالجمهور على أن الاول مفعول وجملة يقول حال أي سمعت كلامه لان السمع لا يقع على الذوات ثم بين هذا المحذوف بالحال المذكورة فهي حال مبينة لا يجوز حذفها واختار الفارسي ان ما بعد سمعت ان كان مما يسمع كسمعت القرآن تعدت الى مفعول واحد والا كما هنا تعدت الى مفعولين فجملة يقول على هذا مفعول ثان وقيل ينبغي جواز حذف يقول هذه خطأ كما يجوز حذف قال خطأ في نحو حدثنا مفعول قال أي قال حدثنا ورد بأن حذف يقول ملبس لانه لا يدرى حينئذ أهو يقول أم قال بخلاف حذف قال مما ذكر فانه اشتهر فلا يلبس ومن ثم جوز حذفها حتى في القراءة كما صححه ابن الصلاح في فتاويه والنووي (من شهد) أي بلسانه مطابقاً لجنانه (أن لا اله الا الله) والتزم جميع ما جاء من عند الله (وأن محمداً رسول الله) وقبل مائيت عن رسول الله (حرم الله عليه النار) أي الخلود فيها كالكفار بل ماله الى الجنة مع الابرار ولو عمل ما عمل من أعمال الفجار وكذا دخولها ان مات مطيعاً و أما اذا مات فاسقاً فهو تحت المشيئة وفي الحديث دلالة على أن من ترك التلفظ بالشهادتين على القدرة عليه يخلف في النار على ما فيه من خلاف حكم عن جمع من متأخري المذاهب الاربعة كانهم لم يروا حكاية النووي الاجماع على الاول ذكره ابن حجر وفيه نظر يعلم مما تقدم في اول الباب وتقرر (رواه مسلم و عن عثمان رضي الله عنه)

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة رواه مسلم و عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتان موجبتان قال رجل يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة رواه مسلم و عن أبي هريرة قال كنا نقعدوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في نفر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان ويكنى أبا عبد الله الأموي القرشي وكان إسلامه في أول الإسلام على يدى أبي بكر قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم و هاجر الى أرض الحبشة الهجرتين ولم يشهد بدرأ لأنه تخلف بمرض رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم و ضرب له النبي صلى الله عليه وسلم فيها بسهم و لم يشهد الحديبية ببيعة الرضوان لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان بعثه الى مكة في أمر الصلح فلما كانت البيعة ضرب النبي صلى الله عليه وسلم يده على يده و قال هذه لعثمان و سمي ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية و أم كلثوم كان أبيض ربعة حسن الوجه استخلف أول يوم من المحرم سنة أربع و عشرين و قتلته الأسود التجيبى من أهل مصر و قيل غيره و دفن ليلة السبت بالبتع و له يومئذ من العمر اثنتان و ثمانون سنة و كانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا أياما و روى عنه خلق كثير (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم) أى علما يقينا سواء قدر على الأقرار اللسانى و أقر أو لم يقدر عليه و اكتفى بالقلب أو جهل وجوبه أو لم يطالب به أو أتى به اذ ليس فيه ما ينفى تلفظه به (أنه لا إله إلا الله) و هذه الكلمة علم لكلمتى الشهادة و لذا اتصرت عليها (دخل الجنة) اما دخولا أوليا ان لم يصدر عنه ذنب بعد الايمان أو أذنب و تاب أو عفا الله عنه أو دخولا أخرويا فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا أو معناه استحق دخول الجنة قال الشيخ أبو حامد في الأحياء من يوجد منه التصديق بالقلب فقبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالعبادة مات فيل هو مؤمن بينه و بين الله تعالى فيه اختلاف فمن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان و هذا فاسد اذ قال عليه الصلاة والسلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان و هذا قلبه طافح بالايمان و من صدق بالقلب و ساعده الوقت للنطق بكلمتى الشهادة و علم وجوبهما ولكنه لم ينطق بهما فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق بمنزلة امتناعه عن الصلاة و يقال هو مؤمن غير مخد في النار اه و فيه أنه قياس مع الفارق فان الاقرار أما شرط للايمان أو شرط و ليس كذلك الصلاة للايمان و الله أعلم و كأنه عند الامام من واجبات الاسلام و فيه انه لو كان كذلك لما قيل بكفر أبى طالب فلو غير بتر كه بدل امتناعه كان له وجه وجيه (رواه مسلم و عن جابر رضي الله عنه) هو جابر بن عبد الله كنيته أبو عبد الله الانصارى السلمى من مشاهير الصحابة و أحد المكثرين من الرواية شهد بدرأ و ما بعدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة غزوة و قدم الشام و مصر و كف بصره آخر عمره روى عنه خلق كثير مات بالمدينة سنة أربع و سبعين و له أربع و تسعون سنة و هو آخر من مات بالمدينة من الصحابة في قول (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتان) صفة مبتدأ محذوف أى خصلتان (موجبتان) يقال أوجب الرجل اذا عمل ما يجب به الجنة أو النار و يقال للحسنة و السيئة موجبة فالوجوب عند أهل السنة بالوعد و الوعيد و عند المعتزلة بالعمل (قال رجل يا رسول الله ما الموجبتان) أى البيان فان الموجب الحقيقي هو الله تعالى (قال من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار) فالدموت على الشرك الاكبر سبب لدخول النار و خلودها (و من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) فالدموت على التوحيد سبب لدخول الجنة (رواه مسلم و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا نقعدوا) أى ذوى قعود

من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا و فزعنا فقمنا فكننت أول من فزع فخرجت أنتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتيت حائطا للانصار لبني النجار فدرت به هل أجد له بابا فلم أجد فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة والربيع الجدول قال فاحتفرت فمخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو هريرة قتلت نعم يا رسول الله قال ما شأنك قلت كنت بين أظهرنا فقتت فأبطأت علينا

أوقاعد ين (حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا أبو بكر وعمر) بالرفع (في نفر) أي مع جماعة أو في جملة نفر من الصحابة رضي الله عنهم (فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا) أظهر زائد للتأكيد أي من بيننا (فأبطأ) بالهمزة (علينا) أي مكثت وتوقفت عنا كثيرا (وخشينا) الخشية خوف مع تعظيم (أن يقتطع) على البناء للمفعول أي من أن يقتطع وقوله (دوننا) حال من الضمير المستتر في يقتطع أي خشينا أن يصاب بمكروه من عدو أو غيره متجاوزا عنا و بعيدا منا وفي الكشف معنى دون أدنى مكان الشئ ومنه الشئ الدون واستعير للتفاوت في الأحوال والرتب يقال زيد دون عمرو في الشرف والعلم ثم اتسع فيه واستعمل في كل تجاوز حد إلى حد (وفزعنا) أي اضطربنا قال الطيبي عطف أحد المترادفين على الآخر لإرادة الاستمرار كما في قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا أي كذبوه تكذبا غيبا تكذيبا اه ويمكن أن يفاير بينهما بحمل الخشية على خوف الباطن والفرع على اضطراب الظاهر وهو الظاهر لأن التأسيس أولى من التأكيد سيما مع تغاير اللفظين وهو بكسر الزاي وفي نسخة فزعنا ووجه العطف بالفاء ان الثاني مترتب على الأول فهو سبب له (فقمنا) أي للتجسس والتفحص (فكننت) أي لكثرة خشيتي عليه (أول من فزع) وقام للطلب (فخرجت) أي من المجلس (أنتفى) أي أطلب (رسول الله) أتبع أثره وخبره للأعلم حقيقة إبطائه (صلى الله عليه وسلم حتى أتيت حائطا) أي بستانا له حيطان أي جدران (للانصار لبني النجار) تخصيص بعد عام أو بدل بعض أي وظننت انه عليه الصلاة والسلام فيه (قدرت به) أي بجول الحائط قائلا في نفسي (هل أجد له بابا) أدخل منه (فلم أجد) له بابا (فإذا) اذا للمفاجأة أي فاجأ عدم وجود باب للباب رؤية (ربيع) نهر صغير (يدخل في جوف حائط) أي بستان آخر إلى ذلك الحائط أو في جوف جدار من جدران ذلك الحائط مبتدأ أو مستمد ذلك النهر (من بئر) بالهمز ويبدل (خارجة) ضبطناه بالتونين في بئر وخارجة على أن خارجة صفة لبئر هكذا نقله الشيخ أبو عمرو بن الصلاح وذكر الحافظ أبو موسى الهمداني وغيره انه روى على ثلاثة أوجه الأول ما ذكرناه والثاني بتونين في بئر وبهاء مضمومة في خارجة وهي هاء ضمير للحائط أي البئر في موضع خارج عن الحائط والثالث بإضافة بئر إلى خارجة آخره تاء التانيث وهو اسم رجل والوجه الأول هو المشهور الظاهر كذا ذكره الشيخ محي الدين النووي وقيل البئر هنا البستان سمي بما فيها من الآبار يقولون بئر بضاعة وبئر خارجة وهما بستانان والحائط هنا البستان من التخيل اذا كان عليه جدار (والربيع الجدول) هذا تفسير من بعض الرواة (قال) أبو هريرة (فاحتفرت) قال النووي بالزاء المعجمة والراء المهملة والصواب الأول ومعناه تصابحت ليسعني المدخل (فمخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال أبو هريرة) أي قتال النبي صلى الله عليه وسلم أنت أبو هريرة والاستفهام اما على حقيقته لانه عليه الصلاة والسلام كان غائبا عن بشريته بسبب إيماء هذه البشارة فلم يشعر بانه هو واما للتقرير وهو ظاهر واما للتعجب لاستغرابه أنه من أين دخل عليه والترك مسدودة (قتلت نعم يا رسول الله) أنا أبو هريرة (قال ما شأنك) بالهمز ويبدل أي أي شئ حالك وما سبب ماتك واضطرابك (قلت كنت) أي أنت (بين أظهرنا) أي كان

فخشينا أن تقتطع دوننا ففرعنا فكننت أول من فرغ فأتيت هذا العائظ فاحتفرت كما يخترج الثعلب و هؤلاء الناس ورائي فقال يا أبا هريرة و أعطاني تعليه فقال اذهب بنعلي هاتين فمن لتيك من وراء هذا العائظ يشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة فكان أول من لقيت عمر فقال ما هاتان النعلان يا أبا هريرة قلت هاتان نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى بهما من لقيت يشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر بين يدي فخررت لاسي فقال ارجع يا أبا هريرة فرجعت الى رسول الله

ظهورنا مستدة اليك و قلوبنا معتمدة عليك و صدورنا منشرحة لديك (فتمت) أى عنا (فايطات علينا) و فتحت باب الاضطراب لدينا (فخشينا) عليك أولا و علينا ثانيا (أن تقتطع) أى يقطعك أعداؤك عن أحبائك و تهلك (دوننا) أى من غير اطلاعنا أو دون أن نهلك بين يديك لاجلك (ففرعنا) أى لذلك و تسارعنا الى تعرف خبرك (فكننت أول من فرغ) من المشتاقين و أول من قام من الخائفين (فأتيت هذا العائظ) بناء على ظني انك فيه (فاحتفرت) لما لم أجده بابا (كما يخترج الثعلب) في تحصيل المطلب (و هؤلاء الناس ورائي) أى ينتظرون علم ما وقع لك و هو اقتباس من قوله تعالى حكاية عن موسى هؤلاء على أثرى و عجلت اليك رب لترضى (فقال يا أبا هريرة) يقرأ بالهمز ولا يكتب (و أعطاني تعليه) الجملة حال و هو اشارة الى البشارة للمحبين (فقال) تأكيد للاول (اذهب بنعلي) الباء للتعدية (هاتين) تأكيد للتبنيه و لعله عليه الصلاة والسلام حصل له التجلي الطوري في ذلك المقام النورى ففعل النعلين و أعطى لاصحابه الكونين أو ايماء الى ثباتهم على دينهم و بذلهم الجهد في السعى اليه باقدامهم و قال الطيبي لعل فائدة بعثة النعلين الدلالة على صدقه و ان كان خيره مقبولا بدون ذلك و تخصيصهما بالارسال اما لانه لم يكن عنده غيرهما و اما للاشارة الى ان بعثته و قدومه لم يكن الا تبشيرا و تسهلا على الامة و رفعا للاصاار التي كانت في الامم السابقة و اما للاشارة الى ثبات القدم و الاستقامة بعد الاقرار كقوله عليه الصلاة والسلام قل آمنت بالله ثم استقم والله أعلم بأسراره و أسرار أبراره (فمن لتيك) أى رآك أو رأيته (من وراء هذا العائظ) قيد واقعي أو المراد ايمان غيبي يتميز به المخاص عن المنافق (يشهد) أى حال كونه (أن لا اله الا الله) و يلزم منه شهادة أن محمدا رسول الله (مستيقنا بها) أى بعضهم هذه الكلمة (قلبه) أى منشرحا بها صدره غير شاك و متردد في التوحيد و النبوة اللذين هما الايمان الاجمالي (بشره بالجنة) معناه أخبر أن من كان هذه صفته فهو من أهل الجنة والا فابو هريرة لا يعلم استيقانهم و في هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق أن اعتقاد التوحيد لا ينفق دون النطق عند القدرة أو عند الطلب ولا النطق دون الاعتقاد بالاجماع بل لايد منها غاية ان النطق فيه خلاف انه شرط أو شطر و قد يسقط بعدر و ذكر القلب هنا للتأكيد و نفى توهم المجاز و الا فالاستيقان لا يكون الا بالقلب كقوله رأيت يعنى (فكان أول من لقيت) أى من الناس (عمر) منصوب على انه خبر كان و قيل سرفوع على الاسمية و أول بالعكس قيل و هو أولى لانه وصف و هو بالخبرية أخرى (فقال) مبادرا (ما هاتان النعلان) أي شأنهما و خبرهما (يا أبا هريرة قلت هاتان نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى بهما) حال كوني قائلا أو مبلغا أو سامورا بان (من لقيت) أى أنا (يشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر) لا بدعنا من تقدير يدل عليه السياق من السياق والحقا يعنى فقال عمر ارجع قصدا للراجعة بناء على رأيه الموافق للكتاب و نطقه المطابق للصواب فأيتت امتنعت عن حكمه امتثالا لظاهر أمره عليه الصلاة والسلام المقدم على كل أمر آسر فضرب عمر يده (بين يدي) بالثنائية أى في صدرى فانه يبعد كل البعد ضربه ابتداء من غير باعث (فخررت) بفتح الراء

صلى الله عليه وسلم فاجهشت بالبكاء وركبني عمر واذا هو على اثرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا هريرة قلت لقيت عمر فاخبرته بالذي بعثني به فضرب بين يدي ضربة خررت لاسي فقال ارجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر ما حملك على ما فعلت قال يا رسول الله باي أنت وامي أبعث ابا هريرة بتعليك

(لاستي) بهمزة وصل أى سقطت على مقعدى من شدة ضربه لى (فقال ارجع يا ابا هريرة) تأكيداً قال الطيبى ليس فعل عمر و مراجعته النبي صلى الله عليه وسلم اعتراضاً عليه ورد الامر اه اذ ليس ما بعث به ابا هريرة الا لتطبيب قلوب الامة و بشراهم فرأى عمر رضى الله عنه ان كتبه هذا أصلح لئلا يتكلموا اه والحاصل انه عليه الصلاة والسلام لكونه رحمة للعالمين ورحيماً بالمؤمنين ومظهراً للجمال على وجه الكمال و طبيياً لامته على كل حال لما بلغه خوفهم و فزعهم واصطرابهم أراد معالجتهم بشاره البشارة لازالة الخوف والتذارة فان المعالجة بالأضداد ولما كان عمر مظهراً للجلال و علم ان الغالب على الخلق التكاثر والانتكال فرأى أن الاصلح لاكثر الخلق المعجون المركب بل غلبة الخوف بالنسبة اليهم أنسب فواقفه صلى الله عليه وسلم وهذه مرتبة عليية و مزية جلية لعمر رضى الله عنه و أما قول ابن حجر و كان وجه استباحة عمر لذلك أنه لابي هريرة بمنزلة الشيخ و المعلم و للشيخ و المعلم أن يؤدب المتعلم بمثل ذلك اذا رأى منه خلاف الادب و هو هنا المبادرة الى اشاعة هذا الخبر قبل تفهم المراد من النبي صلى الله عليه وسلم مع اشكاله و ما يترتب عليه من انتكال الناس و اعراضهم عن الاعمال و كان حقه اذا أمر بتبليغه أن يتفهم المراد به ليورده في موارد دون غيرها فاقضى اجتهاد عمر ان اخلااله بذلك مقتضى لتأديبه فأدبه بذلك فتطويل لا طائل تحته فانه مع تسليم ما ذكر كراه لا يعقل ضربه ابتداء من الشيخ الحقيقى فضلاً عن غيره ثم قوله أيضاً و يحتمل ان عمر استبعد صدور هذا العموم منه عليه الصلاة والسلام بدليل قوله الآتى ابعث الخ و نسبه الى تصرف ابي هريرة فأدبه لذلك مستبعد غاية البعد فانه يؤدي الى سوء الظن و عدم قبول خبر الواحد في الديانات و مع هذا كيف يتصور ضربه على ذلك ثم من الغريب انه فرع عليه أيضاً بأن للافاضل من الاتباع تأديب من دونهم اذا كانوا لهم بمنزلة التلامذة و ان للشيخ أن يؤدب تلميذه ولو بالضرب و نقل جواز ذلك عن بعض أئمه اه ولا ريب أن الضرب على عدم فهم المراد أو على سوء الظن من غير بيان مخالف للاجماع و الله أعلم (فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهشت بالبكاء) و الباء للمصاحبة و البكاء اما لشدة الايلام أو لقلّة الاحترام و يروى جهشت بكسر الهاء و غير همز و هما صحيحان و كلاهما بصيغة الفاعل و الجهش كالأجهاش أن يفزع الانسان الى انسان و يلجأ اليه و مع ذلك يريد البكاء كما يفزع الصبي الى أمه (وركبني عمر) أى ألقني عدو عمر من بعيد خوفاً و استشعاراً منه كما يقال ركبت الديون أى ألقنته يعنى تبعني عمر (واذا هو) أى عمر و اذا للمفاجأة و في نسخة بالفاء بيان لوصوله اليه أى فنظرت فاذا هو (على اثرى) فيه لغتان فصيحتان فتحهما و هو الاصح و كسر الهمزة و سكون الناء أى عقبى (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك) رجعت و أى شئى رجعت بك على هذه الحالة المنكرة (يا ابا هريرة قلت) و في نسخة ققلت (لقيت عمر فاخبرته بالذي بعثني به فضرب بين يدي ضربة خررت لاسي فقال) (ارجع قال) و في نسخة فقال بالفاء (رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر ما حملك على ما فعلت) أى من الامر بالرجوع و المنع من التبليغ (قال) و في نسخة فقال (يا رسول الله باي أنت و امي) الباء متعلقة بمحذوف قيل هو اسم تقديره أنت مفدى باي و قيل فعل أى فديتك باي و حذف هذا المقدر تحفيظاً لكثرة الاستعمال و علم المخاطب به (أبعث ابا هريرة بتعليك)

من لقی یشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة قال نعم قال فلا تفعل فاني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلهم رواه مسلم وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الجنة شهادة أن لا اله الا الله رواه أحمد وعن عثمان رضي الله عنه قال ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي حزنوا عليه حتى كاد بعضهم يوسوس قال عثمان و كنت منهم

والاستفهام للتقرير والتحقيق (من لقی یشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه بشره) بصيغة الماضي أى من لقيه بشره (بالجنة قال نعم قال) أى عمر (فلا تفعل فاني أخشى أن يتكل الناس عليها) أى على هذه البشارة الاجمالية ويعتمد العامة على هذه الرحمة الجمالية و يتركوا القيام بوظائف العبودية التي تقتضى الصفات الربوبية و حينئذ ينخرم نظام الدنيا والعقبى حيث أكثرهم يتعمون في الملة الإباحية كما هو مذهب بعض الجهلة من الصوفية (فخلهم) من غير البشارة (يعملون) حال فان العوام اذا بشروا يتركون العمل بخلاف الخواص فانهم اذا بشروا يزيدون في العمل كما تقدم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلهم رواه مسلم) كان المناسب لدأبه أن يقول روى الاحاديث الاربعة مسلم قال النووي في الحديث اهتمام الاتباع بحال متبوعهم والاعتناء بتحصيل مصالحه ورفع مفاسده وفيه جواز دخول الانسان ملك غيره بغير اذنه اذا علم أنه يرضى بذلك لعودة بينهما أو غيرها فان أبا هريرة دخل الحائط و أقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ولم ينقل أنه أنكر عليه وهذا غير مخصص بدخول الارض بل له انتفاع بادواته و أكل طعامه و الحمل من طعامه الى بيته و ركوب دابته و نحو ذلك من التصرف الذي يعلم أنه لا يشق عليه اتفق على ذلك السلف و الخلف قال ابن عبد البر و اجمعوا أنه لا يتجاوز الطعام و نحوه الى الدراهم و الدنانير و أشباهها و لعل هذا انما يكون في الدراهم الكثيرة التي يشك في رضاه بها وفيه جواز قول الرجل للآخر بأبي أنت و أمي سواء كان المقدى به مسلما أو كافرا أو حيا أو ميتا (و عن معاذ بن جبل) رضى الله عنه (قال قالى) في قوله الى اشارة الى أنه كان معه وحده أو كان هو المقصود بالخطاب (رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الجنة شهادة أن لا اله الا الله) قال الطيبي مفاتيح الجنة مبتدأ و شهادة خبره و ليس بينهما مطابقة من حيث الجمع والافراد فهو من قبيل قول الشاعر * و معى جياعا * جعل الناقة الضامرة من الجوع كأن كل جزء من معاء معى واحد من شدة الجوع و كذا جعلت الشهادة المستتعبة للأعمال الصالحة التي هي كستان المفاتيح كل جزء منها بمنزلة مفتاح واحد اه و الاظهر أن المراد بالشهادة الجنس فشهادة كل أحد مفتاح لدخوله الجنة اما ابتداء أو انتهاء و الأعمال انما هي لرفع الدرجات و مراتب اللذات في الوصال أولان الشهادة لما كانت مفتاح أبواب الجنة فكأنها مفاتيح أولان الشهادة مصدر فهو لشموله التليل و الكثير يخبر به عن الجمع وغيره و شبه الشهادة بالمفاتيح بجامع ان كلا سبب للدخول ثم حذف أداة التشبيه و قبله زيادة في تحقيق معنى المشبه و المبالغة فيه وفيه الاستغناء بأحد المتلازمين عن الآخر اذا لا يعتد بأحدى الشهادتين الا مع الاخرى (رواه أحمد و عن عثمان رضي الله عنه ان رجلا) بفتح الهمزة و في نسخة صحيحة قال ان رجلا بكسر الهمزة (من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي) بضم التاء و الو او ماض مجهول (حزنوا) بكسر الزاى (عليه) أى على موته و غيبة طلعتة و فقدان حضرته و عدم وجدان افادته العلوم الظاهرية و افاضته المعارف الباطنية (حتى كاد) أى قارب (بعضهم يوسوس) أى يقع في الوسوسة بأن يقع في نفسه انتقاص هذا الدين و انطفاء نور الشريعة الغراء بومته عليه الصلاة والسلام و خطور هذا بالفوس الكاملة مهلك لها حتى يتغير حاله و يختلط كلامه و يدعش في أمره و يختل عقله

فبينما أنا جالس مر على عمر وسلم فلم أشعر به فاشتكى عمر الى أبي بكر رضي الله عنهما ثم أقبلنا حتى سلما على جميعا فقال أبو بكر ما حملك أن لا ترد على أخيك عمر سلامه قلت ما فعلت فقال عمر بلى والله لقد فعلت قال قلت والله ما شعرت انك مررت ولا سلمت قال أبو بكر صدق عثمان قد شغلك عن ذلك أمر قلت أجل قال ما هو قلت توفي الله تعالى بنيه صلى الله عليه وسلم قبل ان نسأله عن نجاة هذا الأمر قال أبو بكر قد سألته عن ذلك فقلت اليه وقلت له بابي أنت و أمي أنت أحق بها قال أبو بكر قلت يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل منى الكلمة التي عرضت على عمي فردها فهي له نجاة

و يجيء أحوال بقيتهم في آخر الكتاب من أن بعضهم أتمد و أسكت و بعضهم أنكر موتة عليه الصلاة و السلام و أظهر الله فضل الصديق بثبات قدم صدقه قال الطيبي الوسوسة حديث النفس و هو لازم قال الجوهري يقال يوسوس بالكسر و الفتح لحن (قال عثمان و كنت منهم) أي من ذلك البعض الذي اشتد حزنه حتى كاد ان يوسوس و يذهل عن الحس (فبيننا) أي بين أوقات (أنا جالس) أي متفكر متحير (مر على عمر وسلم فلم أشعر) أي لشدة ما أصابني من الذبول لذلك الهول (به) أي بمروره أو سلامه أو بهما و هو الاظهر (فاشتكى عمر) معاتباً (الى أبي بكر رضي الله عنهما ثم أقبلنا) كلاهما (حتى سلما على جميعا) أي فرددت عليهما (فقال أبو بكر ما حملك على أن لا ترد على أخيك عمر سلامه) أي قبل ذلك (فقلت ما فعلت) أي ما وقع مني هذا الفعل و هو ترك رد السلام و هذا بناء على عدم شعوره بسلامه (فقال عمر بلى والله لقد فعلت) بناء على حقيقة الحال (قال) أي عثمان و هو متروك في بعض النسخ (قلت والله ما شعرت) يفتح العين و يضم أي ما علمت ولا فطنت (انك مررت) أي بي كما في نسخة (ولا سلمت) كان يكتفيه أن يقول ما شعرت انك مررت و لكن جاء به توكيدا أي ما نظرت اليك ولا سمعت كلامك كذا قاله الطيبي و فيه نظر اذ يمكن الشعور بأحدهما دون الآخر مع انه لا يلزم من النظر الشعور (قال أبو بكر) أي لعمر (صدق عثمان) أي في اعتذاره بعدم شعوره و قال لي على وجه الالتفات (قد شغلك عن ذلك) أي عن الشعور (أمر) أي عظيم (فقلت أجل) أي نعم الأمر كذلك (قال ما هو) أي ذلك الأمر العظيم (قلت توفي الله تعالى نبوه) أي قبض روحه (صلى الله عليه وسلم قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر) يجوز أن يراد بالأمر ما عليه المؤمنون أي عما تتخلص به من النار و هو مختص بهذا الدين و أن يراد ما عليه الناس من غرور الشيطان و حب الدنيا و التهالك فيها و الركون الى شهواتها و ركوب المعاصي و تبعاتها أي نسأله عن نجاة هذا الأمر الهائل ولعمري كلمة التقوى تؤثر في النفس اليقظة و في القلب جلاء الصدأ و الرين و في السر محو الأثر و العين ولا يعقل ذلك الا السائرون الى الله تعالى و العارفون به و من ثم أنزسوها و كانوا أحق بها و أهلها (قال أبو بكر قد سألته عن ذلك) أي و أجابني (فقلت) أي من كمال الفرح متوجها (اليه) و متشلا بين يديه (و قلت له بابي أنت و أمي أنت أحق بها) أي بالمسئلة و السبق بها و البحث عنها فانك الى كل خير أسبق (قال أبو بكر قلت يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر) قال أي رسول الله كما في نسخة (صلى الله عليه وسلم من قبل منى) أي بطوع و رغبة من غير نفاق و ريبة (الكلمة التي عرضت) و في نسخة عرضتها (على عمي) أي أبي طالب (فردها) و نزل فيه انك لا تهدي من أحببت و لكن الله يهدي من يشاء (فهي) أي هذه الكلمة و هي كلمة الشهادة المعبر عنها بالكلمة الطيبة (له) أي لمن قبلها (نجاة) و أي نجاة فانها هداية لا تحصل الا بعبادة اما في بداية أو نهاية سيما اذا كانت مقرونة بحسن رعاية فكأنه عليه الصلاة والسلام يقول النجاة في الكلمة التي عرضتها على مثل أبي طالب

رواه أحمد و عن المقداد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله كلمة الاسلام بعز عزيز و ذل ذليل اما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها قلت فيكون الدين كله لله رواه أحمد و عن وهب بن منبه قيل له ليس لاله الا الله مفتاح الجنة قال بلى ولكن

وقد زاد على السبعين في الكفر ولو قالها مرة كانت له حجة عند الله لاستخلافه و عجاة له من عذابه فكيف بالمؤمن المسلم و هي مخلوطة بلحمه ودمه فلو صرح بها في كلامه لم يفخم هذا التفخيم و هذا الحديث رواه الصحابي عن الصحابي يعني عثمان عن أبي بكر رضي الله عنهما (رواه أحمد و عن المقداد رضي الله عنه) هو المقداد بن عمرو الكندي و ذلك ان أباه حالف كندة فنسب اليها و انما سمي ابن الاسود لانه كان حليفه أو لانه كان في حجره و قيل بل كان عبدا فتبناه و كان سادسا في الاسلام و روى عنه علي و طارق بن شهاب و غيرهما و مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الناس و دفن بالبقيع سنة ثلاث و سبعين و هو ابن تسعين سنة (انه سمع رسول الله) أي كلامه (صلى الله عليه وسلم يقول) حال و قيل مفعول ثان (لا يبقى على ظهر الأرض) أي و جهها من جزيرة العرب و ما قرب منها فلا يناق ما قيل ان وراء الصين قوما لم تبلغهم الى الآن بعثته عليه الصلاة والسلام (بيت مدر ولا وبر) أي المدن و القرى و البوادي و هو من و بر الا بل أي شعرها لانهم كانوا يتخذون منه و من نحوه خياهم غالبا و المدر جمع مدرة و هي اللبنة (الا أدخله) فاعل أدخل هو الله تعالى و ان لم يجز له ذكره بديل تفصيله بقوله اما يعزهم الله و في بعض النسخ أدخله الله (كلمة الاسلام) مفعوله و الضمير المنصوب ظرف و قوله (بعز عزيز) حال أي أدخل الله تعالى كلمة الاسلام في البيت ملتصقة بعز شخص عزيز أي يعزاه الله بها حيث قبلها من غير سب و قتال (وذل ذليل) أي أو يذله الله بها حيث أباه و هو يشمل العربي و الذمي و المعنى يذله الله بسبب أبائها بذل سبب أو قتال حتى ينقاد اليها كرها أو طوعا أو يذعن لها ببذل الجزية و الحديث مقتبس من قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون ثم فسر العز و الفل بقوله (اما يعزهم الله) أي قوما أعزوا الكلمة بالقبول (فيجعلهم من أهلها) بالثبات الى الممات (أو يذلهم) أي قوما آخرين لم يلتفتوا الى الكلمة و ما قبلوها فكانهم أذلوا فيجوزوا بالاذلال جزاء وفاقا (فيدينون لها) بفتح الياء أي يطيعون و ينقادون لها و من المعلوم أن اسلام الحربى مكرها خشية السيف صحح و فيه اشارة الى قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد أي من غير ارسال أو مع ضرب كف في عتق أو لطم يد في وجهه و هم صاغرون أي اذلاء مهانون و محتترون (قلت) القائل المقداد و الظاهر انه قال في غير حضرته عليه الصلاة والسلام بل عند روايته فهذا ما ذكر له جواب (فيكون الدين كله لله) أي اذا كان الامر كذلك فتكون الغلبة لدين الله طوعا أو كرها و قيل ان في آخر الزمان لم يبق على وجه الأرض محل الكفر بل جميع الخلائق يصيرون مسلمين اما بالطوع و الرغبة ظاهرا و باطنا و اما بالاكراه و الجبر و اذا كان كذلك فيكون الدين كله لله (رواه أحمد) كان الظاهر أن يقول روى الاحاديث الثلاثة أحمد (و عن وهب بن منبه) بكسر الموحدة المشددة يكنى أباعبد الله الصنعاني من أبناء فارس سمع جابر بن عبد الله و ابن عباس مات سنة أربع عشرة و مائة ذكره المصنف في التابعين (قيل له ليس لاله الا الله) أي المقرون بمحمد رسول الله و محله الرفع على انه اسم ليس و خبرها (مفتاح الجنة) و قيل بالعكس و قدم لشرفه (قال بلى و لكن) أي أقول بموجب ذلك

ليس مفتاح الا وله أسنان فان جثت بمفتاح له أسنان فتح لك و الا لم يفتح لك رواه البخارى فى ترجمة باب و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحسن أحدكم اسلامه لكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف و كل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى لقي الله متفق عليه و عن أبي امامة ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان قال اذا سرتك حسنتك و ساءتك سيئتك

و انها مفتاحها كما تقدم فى الحديث السابق ولكن لا يفتقر أحد بذلك و يظن انه بمجرد تلفظه بتلك الكلمة التى هى المفتاح يفتح له الجنة حتى يدخلها مع التاجين و ان لم يعمل عملهم لانه و ان أتى بالمفتاح غير نافع له لانه (ليس مفتاح) أى من خشب أو حديد (الا وله أسنان) أى غالباً أو عادة هى الفاتحة فى الحقيقة (فان جثت بمفتاح له أسنان) قال الطيبى المعنى بها الاركان الاربعة أى الصلاة والصوم و الزكاة و الحج و قيل مطلق الاعمال الصالحة المتضمنة لترك الاعمال السيئة (فتح لك) أى أولاً (والا) أى و ان لم تجئ بمفتاح له أسنان بما ذكر و لو فقدت منه سن واحدة (لم يفتح لك) أى ابتداء و لا بد من هذا التأويل ليستقيم على مذهب أهل السنة و الجماعة هذا و لا يخفى عليك ان التشبيه ظاهره يأتى عن القيد الاولى فالاولى أن يقال المراد بالاسنان انما هو تصديق القلب من غير ترديد بالوفاق و الاقرار باللسان من غير تفاق و انقياد لاحكام الاسلام من غير كره و شقاق فالكلمة حينئذ بهذه الاوصاف المشبهة بالاسنان يكون مفتاحا اما أولاً أو آخراً على وفق الاذن من الفتح العليم (رواه البخارى فى ترجمة باب) بفتح الجيم أى من عادته أن يذكر بعد الباب حديثاً معلقاً بغير اسناد فيه بيان ما يشتمل عليه احاديث الباب و يضيف اليه الباب و اختلف فى صحة تعليقاته و الاصح ما ذكره بصيغة التمريض كروى و ذكر و قيل فهو ضعيف و ما لافلا (و عن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحسن أحدكم اسلامه) أى آجاد و أخلص كقوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله و هو محسن (فكل حسنة يعملها تكتب) أى له كما فى نسخة (بعشر أمثالها) فضلاً من الله و نعمة (الى سبعمائة ضعف) الى لانتهاى الغاية فيكون ما بين العشرة الى سبعمائة درجات بحسب الاعمال و الاشخاص و الاحوال أو لمجرد الافضل و الله يضاعف لمن يشاء حكى الماوردى ان الضعف لا يتجاوز عن سبعمائة قال النووى هذا غلط لما فى مسلم الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة اه فالمراد بسبعمائة الكثرة و فيه الاشارة الى قوله تعالى مثل الذين يتفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة و المراد هنا بالضعف المثل و خص حسنت الحرم بمائة ألف قال ابن حجر و صح صلاة واحدة فى المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم و أخذت من هذا كاحاديث أخر أنها فى مكة بمائة ألف ألف صلاة كما يأتى فالعشرة لا ينقص عنها و الزيادة لا تنتهى لها و ما بين العشرة الى سبعمائة فأكثر درجات بحسب كمال الاعمال و ما يصحبها من الاخلاص و غيره اه و لا يخفى ان الحسنات تختلف كيفياتها أيضاً (وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها) أى كمية فضلاً منه تعالى و منة و رحمة و ان كانت السيئات متفاوتة كيفية باختلاف الزمان و المكان و أشخاص الانسان و مراتب العصيان (حتى لقي الله) أى الى أن يلتقى الله يوم القيامة فيجازيه أو يغفوه و العدول الى الماضى لتحقيق وقوعه كقوله تعالى أتى أمر الله و لا يعبد تلقى حتى بالجمعين و ارادة اللقى بمعنى الموت (متفق عليه و عن أبي امامة أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان) أى علاقته (قال اذا سرتك حسنتك و ساءتك سيئتك)

فأنت مؤمن قال يا رسول الله فما الاثم قال اذا حاك في نفسك شئ فدعه رواه أحمد و عن عمرو ابن عيسى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله من معك على هذا الامر قال حر و عبد قلت ما الاسلام قال طيب الكلام و اطعام الطعام قلت ما الايمان قال الصبر و السماحة قال قلت أى الاسلام أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه و يده قال قلت أى الايمان أفضل قال خلق حسن

أى اذا عملت حسنة و حصل لك فرح و مسرة بتوفيق الطاعة و اذا فعلت سيئة و وقع في قلبك حزن و مساءة خوفاً من العقوبة (فأنت مؤمن) فان المؤمن الكامل يميز بين الطاعة و المعصية و يعتقد المجازاة عليهما يوم القيامة بخلاف الكافر فانه لا يفرق بينهما و لا يبالي بفعلهما (قال يا رسول الله فما الاثم) أى ما علامته اذا لم يكن نص صريح أو نقل صحيح و اشتبه أمره و التيسر حكمه (قال اذا حاك) أى تردد (في نفسك شئ) و لم يطعن به قلبك و أثر فيه تأثيراً يديم تنفيراً (قدعه) أى اتركه و هو كقولته عليه الصلاة والسلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك و هذا بالنسبة الى أرباب البيوتان الصافية و القلوب الزاكية أو المعنى اتركه احتياطاً اذا كان الاحوط تركه و اذا كان الفعل أولى فانترك ضده لثلاثت في الاثم و قيل الجوابان من أسلوب الحكيم و قد تصحح على السيد السند فقرأ حاك جاءك بصيغة الماضى من المعنى (رواه أحمد و عن عمرو بن عيسى) بفتحات كنيته أبو نجيح السلمى أسلم قد يما في أول الاسلام قيل كان رابع أربعة في الاسلام ثم رجع الى قومه بنى سليم و قال له النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعت أنى خرجت فاتبعنى فلم يزل مقيماً بقومه حتى اقتضت خبير تقدم بعد ذلك على النبي عليه الصلاة والسلام و أقام بالمدينة و عداة في الشامين روى عنه جماعة (رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى جئته لطلب العلم (قلت يا رسول الله من معك على هذا الامر) أى من يوافقك على ما أنت عليه من أمر الدين (قال حر و عبد) أى كل حر و عبد يعنى مأمور بالموافقة و قيل أبو بكر و زيد أو أبو بكر و بلال و يؤيده ما في احدى روايات مسلم و معه يوسئد أبو بكر و بلال و لعل علياً رضي الله عنه لم يذكر لصغره و كذا خديجة لسترها و عدم ظهورها (قلت ما الاسلام) أى علامته أو شعبه أو كماله (قال طيب الكلام و اطعام الطعام) فيهما اشارة الى الحث على مكارم الاخلاق و اظهار الاحسان لافراد الانسان و لو بجلاوة اللسان (قلت ما الايمان) أى ثمرته و نتيجته (قال الصبر) أى على الطاعة و عن المعصية و في المعصية (و السماحة) أى السخاوة بالزهد في الدنيا و الاحسان و الكرم للفقراء و قيل الصبر على المفقود و السماحة بالموجود (قال قلت أى الاسلام) أى خصاله أو أهله و هو أولى (أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه و يده قال قلت أى الايمان أفضل) أى أى أخلاقه أو خصاله (قال خلق حسن) بضم اللام و تسكن و هو صفة جامعة للخصال السنية و الشامل البهية قال تعالى و انك لعلى خلق عظيم و لذا قالت الصديقة رضي الله عنها كان خلقه القرآن أى يأتمر بما أمر الله تعالى فيه و ينتهى عما نهى الله عنه و ذكر شيخ مشايخنا خاتمة المحدثين و آخر المجتهدين جلال الدين السيوطى انه حديث حسن رواه الحسن عن الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن ان أحسن الحسن الخلق الحسن و قال بعض المحققين الخلق الحسن هو بسط الوجه المسمى بالمحيا و بذل الندى و العطاء و كف الاذى و ان لا يخاصم لشدة معرفته بالله تعالى و لذا قيل الصوفى لا يخاصم و لا يخاصه أو ارضاء الخلق في السراء و الضراء و قال سهل أدناه الاحتمال و ترك المكافاة و الرحمة للظالم و الاستغفار له و الشفقة عليه و التحقيق انه قد لاح و بان عند أرباب العرفان بطوابع الوحي و لوائح الوجدان أن الانسان جوهر لطيف توراني من عالم

قال قلت أى الصلاة أفضل قال طول القنوت قال قلت أى الهجرة أفضل قال أن تهجر ما كره ربك قال قلت فأى الجهاد أفضل قال من عثر جواده واهريق دمه قال قلت أى الساعات أفضل قال جوف الليل الآخر رواه أحمد وعن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لقي الله لا يشرك به شيئاً ويصلى الخمس ويصوم رمضان غفر له قلت أفلا أبشرهم يا رسول الله قال دعهم يعملوا

الامر شبهه بالجواهر القدسية الملكوتية وله قوتان يحظى بكاملهما ويشقى بسبب اختلالهما قوة عاقلة تدرك حقائق الموجودات باجناسها وأنواعها وتنقل منها الى معرفة من اشتغل بآدابها وعاملة تدرك النافع نافعاً وتميل اليه والضار مضراً فتفترعه وذلك أمور معاشية تتعلق بحفظ النوع وكمال البدن ولذا ورد خالق الناس بخلق حسن أو ملكات فاضلة و أحوال باطنة هي الخلق الحسن وهو اما تزكية النفس عن الرذائل وأصولها عشرة الطعام والكلام والغضب والجسد والبخل وحب المال والجاه والكبر والعجب والرياء أو تحليتها بالفضائل وأمهايتها عشرة التوبة والخوف والزهد والصبر والشكر والاخلاص والتوكل والمجبة والرضا بالقضاء وذكر الموت والخلق ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس بسهولة من غير سبق روية وتنقسم الى فضيلة هي الوسط و رذيلة وهي الاطراف ولذا قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم (قال قلت أى الصلاة) أى أى أركانها أو كفيئاتها (أفضل) أى أكثر ثواباً وفضلاً (قال طول القنوت) أى القيام أو القراءة أو الخشوع (قال قلت أى الهجرة) أى أفرادها (أفضل) فان الهجرة أنواع الى الحبشة عند ايداء الكفار للصحابة ومن مكة الى المدينة وفي معنى الهجرة من دارالكفر الى دارالاسلام وهجرة القبائل لتعلم المسائل من النبي صلى الله عليه وسلم والهجرة عما نهى الله عنه (قال أن تهجر ما كره ربك) شكره تحريم أو تنزيه وهذا النوع هو الأفضل لانه الأعم الأشمل (قال قلت) وفي نسخة قلت (فأى الجهاد) أى أنواعه أو أهله (أفضل قال من عثر) بالبناء للمفعول (جواده) أى قتل فرسه (وأهريق دمه) يضم الهمة و سكون الهاء وقبل يفتحها وهو وهم أى صب وسكب يقال أراق يريق وهراق يهريق يقلب الهمة هاء واهراق يهريق بزيادتها كما زيدت السين في استطاع والهاء في مضارع الاول محرمة وفي مضارع الثانى مسكنة كذا قاله صاحب الفائق وقال الحجازى في حاشية الشفاء لا تفتح الهاء مع الهمة وإنما كان هذا الجهاد أفضل لاشتماله على الجهادين جهاد فارس و جهاد راجل أو لجمعه بين الانفاق في سبيل الله والشهادة في مرضاة مولاة (قال قلت أى الساعات) أى لتحصيل الطاعات (أفضل قال جوف الليل) أى وسطه لانه أقرب الى الصفاء وأبعد عن الرياء (الآخر) صفة جوف أى النصف الاخير من الليل فانه أشق على النفس وأخلى من الخلق وأقرب الى تنزل رحمة الحق (رواه أحمد وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لقي الله) يعنى من مات (لا يشرك به شيئاً) أى جليلاً أو خفياً أى حال كونه غير مشرك يعنى يكون موحداً مؤمناً (ويصلى الخمس) أى خمس صلوات كل يوم وليلة في خمسة أوقات بركعات معدودات مقرونة بشرائط وأركان معلومات (ويصوم رمضان) أى شهرة في كل سنة أياماً معدودات ولعل ترك الزكاة والنج لانهما مختصان بالانبياء أو كان قبل فرضيتهما (غفرله) أى غفرالله له ذنوبه الصغائر التي بين كل صلاة وصلاة وكل صوم وصوم أو الكبائر التي بينه وبين الله تعالى ان شاء و أما حقوق العباد فيمكن أن يرضيهم الله تعالى من فضله (قلت) ذكرت ذلك (أفلا أبشرهم) أى عموم الناس (بارسول الله) حتى يفرحوا بهذه البشارة (قال دعهم) أى اتركهم بلا بشارة (يعملوا) مجزوم على جواب الامر أى يجتهدوا في زيادة العبادة ولا يتكافوا على هذا الاجمال

رواه أحمد وعنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان قال أن تحب الله وتبغضه وتعمل لسانك ذكرا لله قال وماذا ياروسا لله قال وإن تحب للناس ماتحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك رواه أحمد * (باب الكبائر) * وعلامات النفاق * (الفصل الأول) * عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رجل ياروسا لله أى الذنب أكبر عند الله

ولا يرتكبوا من قبائح الأعمال فإن هذا دأب العوام في غالب الأحوال بخلاف الخواص وأصحاب الاختصاص إذ لو فرض و قدر أن ليس هناك جنة ولا نار ماعصوا الله تعالى ساعة في ليل ولا نهار وقد ورد في الحديث رحم الله صهيبا لولم يخف الله لم يعصه بل يزيدون في العبادة بعد البشارة شكرا لهذه الاشارة ويخافون أن البشارة تكون مقيدة بقيد مطوى تحت العبارة امتحانا من رب العباد والله روف بالعباد (رواه أحمد وعنه) أى عن معاذ رضى الله عنه (أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان) أى عن شعبه ومراتبه وأحواله أو خصال أهله (قال أن تحب) أى كل ما تحبه (له) لا تفرض سواء (و تبغض) أى مبنوضك (له) لا تطبع وهوى (و تعمل) من الأعمال بمعنى الاستعمال والاشتغال (لسانك) ليصل بركته الى جناتك (في ذكر الله) بأن لا يزال رطبا به بشرط الحضور فيكون نورا على نور والا فاشتغال عضو بالعبادة نوع من العناية ومن شكر هذه النعمة حصل له مزيد الرعاية (قال وما ذا ياروسا لله) أى وماذا أصنع بعد ذلك وماذا اما منصوب باصنع أو مرفوع أى أى شئ أصنعه فعلى الأول مقول (قال وإن تحب) يكون منصوبا وعلى الثانى مرفوعا والواو للمطف على مقدر والتقدير أن تستقيم على ما قلنا وأن تحب (للناس) يحتمل التعميم ويحتمل التخصيص بالمؤمنين (ما تحب لنفسك) أى مثله (و تكره لهم ما تكره لنفسك رواه أحمد) * (باب الكبائر) * جمع كبيرة وهى السيئة العظيمة التى خطيتها فى نفسها كبيرة وعقوبة فاعلها عظيمة بالنسبة الى معصية ليست بكبيرة وقيل الكبيرة ما أوعده عليه الشارع بخصوصه وقيل ما عين له حد وقيل النسبة اضافية فقد يكون الذنب كبيرة بالنسبة لمادونه صغيرة بالنسبة الى مافوقه وقد يتفاوت باعتبار الأشخاص والأحوال كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين وقد يتفاوت باعتبار المفعول فإن أهانة السادات والعلماء ليست كاهانة السوق والجهلاء وللشيخ ابن حجر كتاب نفيس فى هذا الباب يسمى الزواجر عن الكبائر وقيل كل معصية كبيرة نظرا الى عظمة الله تعالى وقيل لا صغيرة مع الأصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل بابها من الكبيرة من بين الذنوب لثلاثا يرتفع الخوف من القلوب (و علامات النفاق) تخصيص بعد تعميم أو بينهما عموم وخصوص من وجه

* (الفصل الأول) * (عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه) يكنى أبا عبد الرحمن الهذلى كان اسلامه قديما فى أول الإسلام قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم فى دار الأرقم وقيل عمر بزمان وقيل كان سادسا فى الإسلام ثم ضم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سواكه ونعليه وطهوره فى السفر هاجر الى الحبشة وشهد بدرًا وما بعدها من المشاهد وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيت لأمى ما رضى لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخطت لها ابن أم عبد يعنى ابن مسعود وكان يشبهه بالنبي صلى الله عليه وسلم فى ستمه ودله وهديه وكان خفيف اللحم قصيرا شديد الأدمة نحيفا طوال الرجال توازيه جالسا ولى القضاء بالكوفة وبيت مالها لعمر وصدرا من خلافة عثمان ثم صار الى المدينة فمات بها سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله بضع وستون سنة روى عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ومن بعدهم من الصحابة والتابعين وهو عندنا أفقه الصحابة بعد الخلفاء الأربعة (قال قال رجل ياروسا لله

قال أن تدعو لله ندا و هو خلقك قال ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقها

أي الذنب أكبر عند الله) الذنب ما يذم به الآتي به شرعا و هو أربعة أقسام قسم لا يغفر بلا توبة وهو الكفر و قسم يرجى أن يغفر بالاستغفار و سائر الحسنات و هو الصغائر و قسم يغفر بالتوبة و بدونها تحت المشيئة و هو الكبائر من حق الله تعالى و قسم يحتاج الى التراد و هو حق الآدمي و التراد اما في الدنيا بالاستحلال أو رد العين أو بدله و اما في الآخرة برد ثواب الظالم للمظلوم أو ايقاع سيئة المظلوم على الظالم أو انه تعالى يرضيه بفضله و كرمه (قال أن تدعو) أي تجعل (الله ندا) بالكسر أي مثلا و نظيرا في دعائك و عبادتك و قيل الند المثل المزاحم الذي يضاده في أموره من ند نفر و أما الضد فهو أحد متقابلين لا يمكن اجتماعهما (و هو خلقك) الجملة حال من الله أو من فاعل أن تدعو و فيه اشارة الى ما استحق به تعالى أن تتخذة ربا و تعبده فانه خلقك أو الى ما به امتيازته تعالى عن غيره في كونه الها أو الى ضعف الند أي أن تدعوه ندا و قد خلقك غيره و هو لا يقدر على خلق شئ و المراد أن أكبر الكبائر هو الشرك بللته بل الكفر مطلقا و انما خص فان الشرك لظلم عظيم (قال ثم أي) استفهام بالتونين بدل من المضاف اليه لكن يحذف التونين وفقا بمعنى أي شئ من الذنوب أكبر بعد الكفر (قال أن تقتل ولدك خشية) منصوب على أنه مفعول له (أن يطعم) بفتح أوله أي يأكل (معك) لاختلاف أن أكبر الذنوب بعد الكفر قتل نفس المسلم بغير حق فالعني ان قتل الولد أكثر من سائر الذنوب و قتله من خوف أن يطعم أيضا ذنب لانه لا يرى الرزق من الله تعالى و ليس ثم في هذا الحديث لتراخي الزمان اذ لا يتصور ههنا ولا لتراخي الرتبة لوجوب كون المعطوف بها أعلى مرتبة و ههنا بالعكس بل هي لتراخي في الاخبار كأنه قيل أخبرني عن أوجب ما يهين السؤال عنه من الذنوب ثم الاوجب فالواجب كذا قاله الطيبي والظاهر أنه لتراخي الرتبة و قد يكون المعطوف بها أدنى مرتبة كما في قوله عليه الصلاة والسلام أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل و حاصل الكلام ان قتل النفس المسلمة بغير حق كبيرة و أفحش أنواعه قتل القريب لانك ضمنت الى معصية القتل معصية قطيعة الرحم و أفحش أنواع قتل القريب قتل الوالد ثم قتل الولد فكون قتل الولد أكبر الكبائر بعد الكفر انما هو بضم العلة المذكورة فانه يضم الى تلك القبائح عدم رؤية الرزق من الله تعالى و انتفاء التوكل و الاعتماد عليه في أمره مع دلالة على كمال قساوته بقتل نفس زكية صغيرة بأقبح أنواع القتل و هو دفنه حيا (قال ثم أي قال أن تزاني) أي تزني (حليلة جارك) أي زوجته من حل يجلب بالكسر اذ كل منهما حلال للآخر أو من حل يجلب بالضم لان كل واحد منهما حال عند الآخر فمطلق الزنا ذنب كبير و خاصة مع من سكن جارك و التجأ بأمانتك فهو زنا و ابطال حق الجوار و الخيانة معه أقبح فحاصل القيود من الند و الولد و الجار كمال تقيح هذه الاصناف من هذه الانواع لا أنها قيود احترازية و الا فافحش الزنا أن يكون بالمحارم ثم في الايتان بقوله أن تزاني بصيغة المفاعلة مبالغة لا تخفى فالحديث كقوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق أو رعاية لحال السائل و لذا قيد الكبائر في بعض الاحاديث بكونها سبعا و اقتصر في بعضها على ثلاث منها كما هنا أو أربع كما يأتي بناء على بيان المحتاج اليه منها وقت ذكره و قد قال ابن عباس هي الى السبعين أقرب و قال سعيد بن جبير الى السبعمائة أقرب قيل يعني باعتبار اصناف أنواعها و قيل بل هو على حقيقته و الله أعلم (فأنزل الله) و في نسخة عزوجل (تصديقها) أي تصديق هذه

والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية وعن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر الاشرار بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس رواه البخارى وفي رواية أنس وشهادة الزور بدل اليمين الغموس متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع

المسئلة أو الاحكام أو الواقعة ونصبه على أنه مفعول له أى أنزل الله هذه الآية تصديقا لها وفيه دليل على جواز تقرير السنة و تصديقها بالكتاب كذا قاله الطيبي ولا أعرف له مخالفا في هذا المقال ليجتاز الى الاستدلال ويمكن أن يراد بالتصديق المطابقة والتوفيق وتكون السنة مقتبسة من الآية مع زيادة التنبيه على أقبح الامور (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) هذا من جملة الاخبار عن المبتدأ المتقدم وهو عباد الرحمن (ولا يقتلون النفس) يعنى نفس المسلم والذمي والمعاهد (التي حرم الله) أى قتلها والمعنى لا يقتلون نفس غير الحربى بوجه من الوجوه فهو استثناء مفرغ (الا بالحق) أو متعلق بالقتل المقدر وقيل بلا يقتلون أى باحدى الخصال الثلاثة وهى الردة وزنا الاحصان والقصاص (ولا يزنون الآية) بتمامها فى سورة الفرقان وفى كون هذه الآية مصدقة للحديث دليل واضح لما تقدم من أن ذكر الولد والخشية وحيلة الجار انما هو لبيان زيادة الفحش لا للتبديد والا لم تكن الآية الدالة على اكبرية القتل والزنا لا يقيد مطابقة للحديث حتى تصدقه بل كان الحديث مقيدا لها (متفق عليه) ورواه الترمذى والنسائى (وعن عبدالله بن عمرو) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر الاشرار بالله) هو جعل أحد شريكا للآخر والمراد ههنا اتخاذ اله غير الله وأراد به الكفر واختار لفظ الاشرار لانه كان غالبا فى العرب (وعقوق الوالدين) أى قطع صلتهما مأخوذ من العق وهو الشق والقطع والمراد عقوق أمه قتل هو ايذاء لا يتحمل مثله من الولد عادة وقيل عقوقها مخالفة أمرهما فيما لم يكن معصية وفى معناهما الاجداد والجدات ثم اقترانه بالأشراك لما بينهما من المناسبة اذ فى كل قطع حقوق السبب فى الایجاد والامداد وان كان ذلك لله حقيقة وللوالدين صورة ونظيره قوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وقوله عزوجل أن اشكرلى ولوالديك (وقتل النفس) أى يغير حق (واليمين الغموس) الذى يغمس صاحبه فى الأثم ثم فى النار وقيل فى الكفارة بناء على مذهب الشافعى ومعناه أن يحلف على الماضى عالما بكذبه وقيل أن يحلف كاذبا متعمدا ليذهب بما لم أمد واعلم أن الاولى أن يقال الكبيرة لا تنحصر فى عدد وما قاله عليه الصلاة والسلام من عدد فذلك بسبب الوحي أو اقتضاء المقام والانسب أن يضبط ذلك ويقاس الذنب الى مقدرة المنصوص عليها فان نقصت عن أقل المفاسد فهى من الصغائر والا فهى من الكبائر هذا حاصل ما قاله الامام عزالدين بن عبد السلام (رواه البخارى) و الترمذى والنسائى أيضا (وفى رواية أنس رضى الله عنه) الجار والمجور خبر مقدم والمبتدأ قوله (وشهادة الزور) أى الكذب وسمى زورا لميلانه عن جهة الحق وقوله (بدل اليمين الغموس) منصوب على الظرف وعامله معنى الفعل الذى وفى رواية أنس أى مكان اليمين على الرقع حكاية وعلى الجرح عملا بالاضافة واطلاق البدل على المكان على سبيل الكناية لان من أبدل شيئا بشئى فقد وضعه مكانه قبل ولعل مخالفة أنس لابن عمرو لا اختلاف المجلس أو تعدد الحديث أو تسيان كل منهما (متفق عليه) قال ميرك يفهم من كلام الشيخ الجزرى أن هذه الرواية من أفراد البخارى (وعن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع) أى احذروا فعلها

الموبات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق
وأكل الربا وأكل مال اليتيم

(الموبات) أى المهلكات أجمل بها ثم فصلها ليكون أوقع في النفس قال ابن عمر الكباثر سبع وقال
ابن عباس هي أقرب الى السبعين وقال الشيخ أبو طالب المكي صاحب قوت القلوب الذى هو أصل
احياء العلوم للغزالي قد جمعت جميع الاحاديث الواردة في هذا الباب فوجدت سبعة عشر أربعة في القلب
الشرك ونية الاصرار على المعصية والياس من رحمة الله والامن من مكر الله وأربعة في اللسان
شهادة الزور وقذف المحصن واليمين اليموس والسحر وثلاثة في البطن شرب الخمر وأكل مال
اليتيم وأكل مال الربا واثنان في الفرج الزنا واللواط واثنان في اليد القتل بغير الحق والسرقة و
واحد في الرجل وهو الفرار من الكفار يوم الزحف وواحد يشمل البدن وهو عقوق الوالدين (قالوا)
يعنى بعض الصحابة وفي نسخة قال أى رجل أو أبوهريرة (يا رسول الله وما هن) أى تلك السبع
(قال الشرك بالله) أى الكفر به (والسحر) قال في المدارك ان كان في قول الساحر أو فعله رد
مالزم في شرط الايمان فهو كفر والا فلا وقال ابن حجر وهو يقع كما قاله القرافي على حقائق مختلفة
السيما والهمياء وخواص الحقائق من الحيوانات وغيرها والطمسما والافواق والرقى التي
تحدث ضررا والعزائم والاستخدامات ثم بين هذه الانواع بما ذكرته عنه في كتابي الآتي ذكره ثم
قال وقد يقع للسحرة انهم يجعمون عقاقير ويجعلونها في نهر أو بئر أو قبر أو باب يفتح للشرق
فيحدث عنها آثار بخواص نفوسهم التي طبعها الله على الربط بينها وبين تلك الآثار عند صدق العزم
وقد يأتي الساحر بفعل أو قول يضر بحال المسحور فيمرض ويموت منه اما بواصل الى بدنه من دخان
أو غيره أو بدونه وقال الحنابلة الساحر يفعل من يركب مكنتة تفسير به في الهواء أو نحوه وكذا
معزم على الجن ومن يجمعها بزعمه وأنه يأمرها فتطيعه وكاهن وعراف ومنجم وشعبد وقائل
يزجر الطير وضارب عصا وشعير وقداح ومن يسحر بدواء أو تدخين أو سقى مضر قال بعض
أئمتهم ومن السحر السعي بالنميمة والافساد بين الناس لقول جمع من السلف يفسد النمام والكذاب
في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة واعلم أن للسحر حقيقة عند عامة العلماء خلافا للمعتزلة وأبي جعفر
الاسترابادي ثم ظاهر عطف السحر على الشرك أنه ليس بكفر وقد كثر اختلاف العلماء في ذلك
وحاصل مذهبا أن فعله فسق وفي الحديث ليس منا من سحر أو سحر له ويحرم تعلمه خلافا للغزالي
لخوف الانتان والاضرار ولا كفر في فعله وتعلمه وتعليمه الا ان اشتمل على عبادة مخلوق أو
تعظيمه كما يعظم الله سبحانه أو اعتقاد أن له تأثيرا بذاته أو انه مباح بجميع أنواعه وأطلق مالك
وجماعة ان الساحر كافر وان السحر كفر وأن تعلمه وتعليمه كفر وان الساحر يقتل ولا يستتاب
سواء سحر مسلما أم ذميا وقالت الحنفية ان اعتقد أن الشيطان يفعل له ما يشاء فهو كافر وان اعتقد
أن السحر مجرد تخيل وتمويه لم يكفر واختلف الحنابلة في كفره وفي التنقيح من كتبهم ولا تقبل
توبة ساحر يكفر بسحره ويقتل ساحر مسلم يركب المكنتة تفسير به في الهواء ونحوه ويكفر هو
ومن يعتقد حله وفي الفروع لهم أيضا أن من أو هم قوما بطريقته انه يعلم الغيب فللامام قتله لسعيه
بالفساد وبقي لهذا المبحث متمات بسطتها مع ذكر فروق. بين المعجزة والسحر في كتابي الاعلام
بقواطع الاسلام (وقتل النفس التي حرم الله) بوجه من الوجوه (الا بالحق) وهو أن يجوز قتلها
شرعا بالقصاص وغيره (وأكل الربا) وتفصيله في كتب الفقه (وأكل مال اليتيم) الا بالمعروف

والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات متفق عليه و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة

وهو صغير لا أب له والتعبير فيهما بالاكل والمراد به سائر وجوه الاستعمال لانه أغلبها المقصود منها (والتولى) بكسر اللام أى الادبار للفرار (يوم الزحف) وهو الجماعة التى يزحفون الى العدو أى يمشون اليهم بمشقة من زحف الصبى اذا دب على استه وقيل سمي به لانه لكثرة وتقل حركته كما أنه يزحف و سُموا بالمصدر بمبالغة و اذا كان بازاء كل مسلم أكثر من كافرٍين جاز التولى (وقذف المحصنات) أى العفاف يعنى رميمهن بالزنا وهى بفتح الصاد وتكسر أى احصنها الله وحفظها أو التى حفظت فرجها من الزنا (المؤمنات) احتراز عن قذف الكافرات فان قذفهن ليس من الكبائر فان كانت ذميمة فقدفها من الصغائر ولا يوجب الحد و قذف الامة المسلمة التعزير دون الحد و يتعلق باجتهاد الامام و اذا كان المقدوف رجلا يكون القذف أيضا من الكبائر و يجب الحد أيضا فتخصيصهن لرعاية الآتية و العادة (الغافلات) عن الاهتمام بالفاحشة كناية عن البريات فان البرمى غافل عما بهت به و الغافلات مؤخر عن المؤمنات فى الحديث عكس الآية على ما فى النسخ المصححة و وقع فى شرح ابن حجر بالعكس وفق الآية (متفق عليه و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزنى) باثبات الياء خطأ (الزاني حين يزنى و هو مؤمن) الواو للحال و ظاهره دليل على أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن و أصحابنا أولوه بأن المراد المؤمن الكامل فى ايمانه أو ذوائم من عذاب الله تعالى أو المراد المؤمن المطيع لله يقال آمن له اذا اتقاد و أطاع أو معناه الزجر والوعيد أو الانذار لمرتكب هذه الكبائر بسوء العاقبة اذ مرتكبها لا يؤمن عليه أن يقع فى الكفر الذى هو ضد الايمان أو أن الايمان اذا زنى الرجل خرج منه و كان فوق رأسه مثل الظلة فاذا اتقلع رجع اليه و سبأى تقريره و قيل معنى مؤمن مستحى من الله تعالى لان الحياء شعبة من الايمان فلو استحى منه و اعتقد أنه ناظر لم يرتكب هذا الفعل الشنيع و فيه بحث اذ سئل الجنيد ايزنى العارف قتال و كان أمر الله قدرا مقدورا مع أن هذا يرجع الى القول الاول لانه اذا انتفى تلك الشعبة انتفى كمال الايمان لان الشكل ينتفى بانتفاء جزئه و نظيره لا ايمان لمن لا أمانة له و لا دين لمن لا عهد له و قيل ان صبغ الاعمال و ان كانت واردة على طريق الاخبار فالمراد منها النهى و يشهد له أنه روى لا يزنى بحذف الياء ولا يشرب بكسر الباء توفيقا بينه و بين ما سبق من الدلائل على أن الايمان هو التصديق والاعمال خارجه عنه و قوله تعالى و ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا و نظائرهم و فى حملهم على النهى نظر لانه يفهم منه جواز المنهى عنه و هو ليس بمؤمن كقول الطبيب لا تشرب اللبن و أنت محموم و أماحذف الياء فان صح فهو على أسلوب لا تكذب و أنت عالم أى ان كذبك عالما أفضح منه غير عالم (ولا يسرق السارق حين يسرق و هو مؤمن و لا يشرب الخمر حين يشربها و هو مؤمن) أى ولا يشرب الشارب الخمر و كذا فى غيره و حذف و ان كان فاعلا لدلالة المقام عليه و يجوز أن يكون فى كل منهما ضمير مستتر يعود الى مؤمن قال المالكي و من حذف الفاعل قوله عليه السلام ولا يشرب ولا ينتهب ولا يغفل ولا يتلأ أى شارب و ناهب و غال و قاتل كقوله تعالى ولا يحسبن الذين قتلوا فى قراءة هشام أى حاسب كذا نقله الطبيب و قوله غال سهو اذ فاعله موجود فى الحديث و هو أحدكم و قوله قراءة هشام يعنى بالغبية فى أحد وجهيه (ولا ينتهب) انتهب و نهب اذا أغار على أحد و أخذ ماله قهرا (نهبة) بالضم المال

یرفع الناس الیه فیہا ابصارهم حین ینتہبہا و هو مؤمن ولا یغل أحدکم حین یغل و هو مؤمن فایاکم ایاکم متفق علیہ و فی روایة ابن عباس ولا یقتل حین یقتل و هو مؤمن قال عکرمۃ قلت لابن عباس کیف ینزع الایمان منہ قال ہکذا و شبک بین أصابعہ ثم اخرجہا فان تاب عاد الیہ ہکذا و شبک بین أصابعہ و قال أبو عبد اللہ لا یكون هذا مؤمنا تاما ولا یكون له نور الایمان هذا لفظ البخاری و عن أبی ہریرة قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم آية المناقق ثلاث زاد مسلم و ان صام و صلی

الذی ینتہب فهو مفعول بہ و بالفتح المصدر (یرفع الناس) صفة نہبة (الیہ) أى الی المنتہب (فیہا) أى بسببہا ولاجلہا أو فی حال فعلہا أو أخذہا (ابصارهم) أى تعجبا من جراتہ أو خوفا من سطوتہ و هو مفعول یرفع (حین ینتہبہا و هو مؤمن) و المعنی لا يأخذ رجل مال قوم قہرا وهم ینظرون الیہ و یتضرعون لدیہ و ینکون ولا یقدرون علی دفعہ و هو مؤمن فان هذا ظلم عظیم لا یلیق بحال المؤمن (ولا یغل أحدکم) الغلول الجنایة أو الخیانة فی الغنیمة و الغل الحقد و مضارع الاول بالضم و هو المراد و الثانی بالکسر (حین یغل) أى یسرق شیئا من غنیمة أو یخون فی أمانة (و هو مؤمن فایاکم ایاکم) نصبہ علی التحذیر و التکریر توکید و مبالغة أى احذرکم من فعل هذه الاشیاء المذکورة (متفق علیہ) الاقوله ولا یغل فانه من أفراد مسلم کذا قالہ میرک (و فی روایة ابن عباس رضی اللہ عنہما) زیادة (ولا یقتل حین یقتل و هو مؤمن قال عکرمۃ) مولى ابن عباس (قلت لابن عباس کیف ینزع الایمان منہ قال ہکذا) أى تفسیرہ (وشبک) أو قال ہکذا و فعل التشبیک یعنی جمع بین قولہ ہکذا و فعل التشبیک (بین أصابعہ ثم اخرجہا) تعبیر للامر المعنوی بالمدرک الحسی تقربا للفہم (قال) کذا فی نسخة صحیحة أى ابن عباس (فان تاب عاد الیہ ہکذا و شبک بین أصابعہ) ظاهر کلامہ أن الایمان ینزع عن مراتب هذه الاشیاء حین الارتکاب ولا یعود الیہ الا بالتوبة و هو غیر مستقیم علی قواعد أهل السنة فالتأویل أن کمال الایمان و نوره و ثمرتہ و نتیجتہ من الحیاء و الخوف و الرحمة و الشفقة و الدیانة تفرقة فی تلك الحالة و الثائب من الذنب کمن لا ذنب له و ینصرہ قول الحسن البصری ان المعنی ینزع عنہ اسم المدح الذی یسمى بہ أولیاءوہ المؤمنون و یتستحق اسم الذم فیقال سارق و زان و فاسق (و قال أبو عبد اللہ) أى البخاری (لا یكون هذا مؤمنا تاما) أى کاملا (ولا یكون له نور الایمان) أى بہاؤہ و بہجتہ و ضیاؤہ و ثمرتہ (هذا لفظ البخاری) فی قول المصنف و فی روایة و قولہ و قال و کذا فی قولہ و هذا لفظ البخاری سماجة لا تحفی قالہ میرک (و عن أبی ہریرة رضی اللہ عنہ) و انما لم یقل و عنہ لثلاث یتوہم رجوع الضمیر الی ابن عباس أو البخاری (قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم آية المناقق) أى علامة نفاقہ الدال علی قبح نیتہ و فساد طوبیتہ و أصلہ من ینظر خلاف ما یضمیر ثم غلب علی من ینظر الاسلام و یظن اکثر (ثلاث) أى خصال و الآیة العلامة و افرادہا اما علی ارادة الجنس أى کل واحد منہا آیة او ان العلامة انما تحصل باجتماع الثلاث و یؤید الاول ما ورد فی صحیح أبی عوانة بلفظ علامات المناقق ثلاث فان قبل ظاہرہ العنصر فی الثلاث فکیف جاء فی الحدیث الآخر بلفظ أربع من کن فیہ الحدیث أماب القرطبی باحتمال أنه علیہ الصلاة والسلام استجد له العلم بخصالہم ما لم یکن عنده و قال الشیخ ابن حجر العسقلانی لیس بین الحدیثین تعارض لانه لا یلزم من عدم الخصلة كونہا علامة علی ان فی روایة مسلم من طریق العلاء بن عبد الرحمن عن أبیہ عن أبی ہریرة ما يدل علی ارادة عدم الحصر فان لفظہ من علامة المناقق ثلاث فیکون قد أخبر ببعض العلامات فی وقت و بعضها فی وقت آخر (زاد مسلم و ان صام و صلی) التثنية للتکریر و الاستیعاب أى و ان عمل عمل المسلمین من الصوم

وزعم أنه مسلم ثم اتفقا إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتمن خان

و الصلاة و غيرها من العبادات و في رواية و ان صلى و صام و حج و اعتمر و قال انى مسلم و هذا الشرط اعتراض وارد للمبالغة لا يستدعى الجواب (وزعم) أى ادعى (أنه مسلم) أى كامل (ثم اتفقا) أى أخبر بغير فى المستقبل اذ وعد يغلب فى الخير و أوعد فى الشر و أيضا الخلف فى الوعد من مكارم الاخلاق قال الشاعر و انى اذا أوعدته أو وعدته * لمخلف يعادى و منجز موعدى (أخلف) أى جعل الوعد خلاقا بان لم يف بوعده و وجه المغايرة بين هذه و ما قبلها أن الاخلاف قد يكون بالفعل و هو غير الكذب الذى هو لازم التحديث و ليس فيه ما يدل على و جوب الوفاء بالوعد لان ذم الاخلاف انما هو من حيث تضمنه الكذب المذموم ان عزم على الاخلاف حال الوعد لا ان طرأ له كما هو واضح على أن علامة النفاق لا يلزم تحريمها اذ المكروه لكونه يجر الى الحرام يصح أن يكون علامة على المعرم و نظيره علامات الساعة فان منها ما ليس بمعرم (و اذا اتمن) بالبناء للمجهول أى جعل أمينا قال ابن حجر و في رواية اتمن بتشديد التاء لقلب همزته الثانية و اوا و ابدالها تاء و ادغام التاء فى التاء اه و لعل هذا الاعلال قبل دخول اذا عليه و مع هذا قال البيضاوى فى قوله تعالى فليؤد الذى اتمن قرأ ورش و السوسى الذى يتمن بقلب الهمزة ياء و قرى* و الذم ياد غام و هو خطأ لان المتقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم اه و لذا قال المحققون من القراء قراءة هذا بالتشديد مخالف للرواية و الدراية فالصحيح فى الرواية هنا ما بالهمزة الساكنة أو ابدالها ألفا (خان) و رواه ابن ماجه و الترمذى و انما خص هذه الثلاثة بالذكر لاشتمالها على المخالفة التى هى عليها مبنى النفاق من مخالفة السر العلن فالكذب الاخبار على خلاف الواقع و حق الامانة أن تؤدى الى أهلها فالخيانة مخالفة لها و اخلاف الوعد ظاهر و لهذا صرح بالخلاف فان قبل هذا الحديث مشكل من حيث ان هذه الخصال قد توجد فى المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره قلنا اللام فى المناقق اما أن تكون للجنس فهو اما على التشبيه لنفاق العمل الذى لا يناق الاسلام بنفاق الاعتقاد الذى يناقيه بجامع ان كلا فيه اظهار بخلاف ما أبطن أو ان المراد الاعتقاد و لذا قيد هذا باذا المقتضية للتكرار يعنى ان النفاق العملى اذا وقع كثيرا بحيث انه يصير عادة قد يجر الى النفاق الحقيقى بخلاف من وقعت له هذه الخصال أو بعضها نادرا فالحديث معمول على من غلبت عليه هذه الخصال و قال البيضاوى يحتمل أن يكون عاما لينزجر الكل عن هذه الخصال على آكد وجه ايدانها بانها طلائع النفاق الذى هو أسمى القبايح لانه كفر ضوا اليه الاستهزاء و الخداع برب الارباب و سبب الاسباب فيعمل من ذلك انها منافية لحال المسلمين فينبغى للمسلم أن لا يرتع حولها فان من رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه و يحتمل أن المراد بالمناقق المناقق العرفى و هو من يخالف سره علنه مطلقا و يشهد له قوله و من كانت فيه خصلة و كذا قوله خالطاً لان الخصال التى يتم بها المخالفة بين السر و العلن لا تزيد على هذا قال النووى حصل من الحديث خمس خصال و قال فى شرح مسلم اذا عاهد غدر داخل فى اذا اتمن خان و باعتبار ذلك يرجع الى ثلاث بل الى واحدة هى أجبها وهى الكذب قيل لكن الحق أنها خمسة باعتبار تغايرها عرفا أو تغاير أوصافها و لوازمها ولاتفاق بين قوله ثمة ثلاث و هنا أربع لان مفهوم العدد ليس بحجة عند الاكثريين و على مقابله الذى صححه غير واحد فيحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أعلم بالوحى بثلاث ثم يارب أو معناه الانذار و التحذير من أن يعتاد هذه الخصال فتفضى به الى النفاق الخالص

وعن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها

واما للعهد اما من منافق زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما من منافق خاص شخص بعينه أو المراد بالنافق هو النفاق العملي لا اليماني أو المراد النفاق العرفي وهو ما يكون سره خلاف علنه واستحسن هذا لأن النفاق شرعي وهو الاعتقادي الذي هو ابطان الكفر و اظهار الاسلام وعرفى وهو العملي الذي هو ابطان المعصية و اظهار الطاعة فارادته هنا أولى و اطلاق النفاق على العملي كاطلاق الكفر على بعض كبار الذنوب في نحو قوله عليه الصلاة والسلام سباب المسلم فسوق و قتاله كفر و أبى الحسن البصرى مرة هذا الاطلاق و مرة قال به فسمى صاحب الكبيرة منافقا و يحكى أنه رجع عن الاول لما أرسل له عطاء اذ بلغه عنه ذلك ان اخوة يوسف عليهم الصلاة والسلام وجدت فيهم تلك الثلاثة أفتراهم منافقين فسر بمانبته عليه عطاء وروى أن مقاتلا قال لا ين جبيران هذا الحديث أفسد على معيشتي لاني أظن إن لا أسلم من هذه الثلاث أو بعضها فضحك و قال قد أعمنى ذلك فسالت عنه ابن عمر و ابن عباس فضحكا و قالوا أهمتنا ذلك فساننا عنه النبي صلى الله عليه وسلم فضحك فقال ما لكم و ما لهن أما قولى اذا حدث كذب فذلك فيما أنزل الله على و الله يشهد ان المنافقين لكاذبون و أما اذا و عد أخلف فذلك في قوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الآية و أما اذا اتمن خان فذلك فيما أنزل الله تعالى انا عرضنا الامانة الآية و أتم برآء من ذلك قال ابن حجر و ما ذكر في أولاد يعقوب سبني على القول بانهم غير أنبياء أما على القول بانهم أنبياء فيتعين تأويل ما صدر منهم بحمله على محامل التجوزات و الكنايات التي تقتضى عدم وقوع حقائق ذلك منهم اذ الانبياء معصومون قبل النبوة و بعدها عن كبار الذنوب و صغائرهما و لو سهوا على ما هو الحق عند المحققين و ان كان الاكثرون على خلافه و يؤيد القول بنبوتهم بل يصرح به قوله تعالى قولوا آمنا بالله و ما أنزل الينا و ما أنزل الى ابراهيم و اسمعيل و اسحق و يعقوب و الاسباط و هم أعنى الاسباط أولاد يعقوب فالآية مصرحة بوجود الايمان بما أنزل اليهم و يلزم من الانزال اليهم نبوتهم كلهم اه و فيه نظر لان السبط على ما هو المعروف في العرف و اللغة ولد الولد ففي القاموس السبط بالكسر ولد الولد و القبيلة من اليهود و جمعها سبط و في النهاية الاسباط في أولاد اسحق بن ابراهيم بمنزلة القبائل من ولد اسمعيل و اجدهم سبط فهو واقع على أمته اه و لا يلزم من الانزال اليهم ان يكونوا كلهم أنبياء اذ يمكن أن يكون أحدهم نبيا و الباقون مأمورون بالتباعد كما في قوله تعالى و ما أنزل الينا ثم على ثبوت نبوتهم جميعا و عدم تجوز الصغيرة و لو سهوا ينسد باب تأويل ما صدر منهم من العقوق و قطع صلة الرحم و بيع الحر و قولهم أكله الذئب و وعدهم بالحفظ بقولهم و انا له لحافظون و اتيانهم عشاء ليكون اظهارا للجزن و قولهم مالك لا تأمننا على يوسف و انا له لناصحون و قولهم اقتلوا يوسف و طرحهم اياه في البئر مع ان تأويلها يخالف أقوال السلف من الزام عطاء و التزام الحسن فالصحيح قول الجمهور و هو تجوز وقوع الكبار من الانبياء سهوا و الصغائر عمدا بعد الوحي و أما قبل الوحي فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة و ذهب المعتزلة الى امتناعها و منعت الشيعة صدور الصغيرة و الكبيرة قبل الوحي و بعده (و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع) أى خصال أربع أو أربع من الخصال فساغ الابداء به (من كن فيه) قيل بتأويل اعتقاد استحلالهن (كان منافقا خالصا) ويمكن أن لا يجتمعن في مؤمن خصوصا على وجه الاعتقاد و يؤيده قوله

إذا التمن خان و إذا حدث كذب و إذا عاهد غدر و إذا خاصم فجر متفق عليه و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين تعبر الى هذه مرة و الى هذه مرة رواه مسلم * (الفصل الثاني) * عن صفوان بن عسال قال قال يهودى لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي قتال له صاحبه لا تقتل نبي انه لو سمعك لكان له أربع أعين فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع آيات بينات

(ومن كانت فيه خصلة منهن) أى من تلك الخصال الأربع (كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها) أى يتركها (إذا التمن) بالبناء للمفعول أى وضع عنده أمانة (خان) أى بالتصرف الغير الشرعى (وإذا حدث كذب) أى عمدا من غير عذر (وإذا عاهد غدر) أى نقض العهد ابتداء و قال ابن حجر إذا حالف ترك الوفاء (وإذا خاصم فجر) أى شتم ورسمى بالاشياء التيبيحة قال التوريشى من اجتمعت فيه هذه الخصال و استمرت فبالحرى أن يكون منافقا و أما المؤمن المفتون بها فانه لا يصر عليها و ان وجدت فيه خصلة منها عدم الاخرى قيل و يحتمل أن يكون المراد كالمنافق يحذف أداة التشبيه مثل زيد أسد و يحتمل أن يكون هذا مختصا بأهل زمانه فانه عليه الصلاة والسلام عرف بنور الوحي بواطن أحوالهم و ميزين من آمن به صدقا و من أذعن له نفاقا و أراد اطلاع أصحابه عليهم ليحذروا منهم و لم يصرح باسمائهم لعلمه بان بعضهم يتوب فلم يفضحهم بين الناس و لان ترك التصريح أوقع في النصيحة و أدل على الشفقة و أجلب الى الدعوة الى الايمان و أبعد عن النفور و المخاصمة و الالتحاق بالمخالفين (متفق عليه) و اللفظ للبخارى و رواه أحمد و أبو داؤد و الترمذى و النسائى و لفظهم إذا حدث كذب و إذا وعد أخلف و إذا عاهد غدر و إذا خاصم فجر (و عن ابن عمر) رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق) يفتح المثلة أى صفته العجيبة الشأن (كالشاة العائرة) أى الطالبة للفحل المترددة من عار ذهب و بعد (بين الغنمين) أى القطعتين فان الغنم اسم جنس يقع على الواحد و الجمع لا تدرى أيهما تتبع (تعبير) يفتح أوله أى تنفر و تشرذم (الى هذه) أى القطعة (مرة و الى هذه) أى القطعة الاخرى (مرة) أخرى ليضربها فجلها فلا ثبات لها على حالة واحدة و انما هى أسير شهوتها و هو تشبيه مر كب محسوس بمعنى معقول تقريبا الى فهم المخاطب فشيبه تردده بين الطائفتين أى المسلمين و الكافرين ببعالهواء و مراداته و قصدا الى شهواته بتردد الشاة العائرة التى لا تستقر على حال و بذلك وصفهم الله تعالى في قوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء و لا الى هؤلاء (رواه مسلم) وكذا أحمد و النسائى و زاد لا تدرى أيهما تتبع * (الفصل الثانى عن صفوان بن عسال) * بالمهملتين و تشديد الثانية هو المرادى و سكن الكوفة و حديثه فيهم (رضى الله عنه قال قال يهودى) أى أحد من اليهود (لصاحبه) من اليهود (اذهب بنا) الباء للمصاحبة أو التعدية (الى هذا النبي) أى لنسأله عن مسائل (قال له صاحبه لا تقتل) أى له كما في رواية (نبي) أى هو نبي (انه) بكسر الهمزة استئناف فيه معنى التعليل أى لان النبي (لو سمعك) أى سمع قولك الى هذا النبي (لكان له أربع أعين) أى يسر يقولك هذا النبي سرورا يمد الباصرة فيزداد به نورا على نور كذى عينين أصبح يبصر بأربع فان الفرح يمد الباصرة كما أن الهم و الحزن يخجل بها و لذا يقال لمن أحاطت به الهموم أظلمت عليه الدنيا (فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه) أى امتحانا (عن تسع آيات بينات) أى واضحات و الآية العلامة المظاهرة تستعمل في المحسوسات كعلامة الطريق و المعقولات كالحكم الواضح و المسئلة الواضحة فيقال لكل ما تفاوتت فيه المعرفة بحسب التفكير فيه و التأمل و حسب منازل الناس في العلم آية و للمعجزة آية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تمشوا بغيري الى ذى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقتنوا محصنة ولا تولوا للفرار يوم الزحف وعلينكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا في السبت قال قتبا يد يد ورجليه و قال تشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالوا ان داود عليه السلام دعاربه ان لا يزال من ذريته نبي

ولكل جملة دالة على حكم من أحكام الله آية وكل كلام منفصل بفصل لفظي آية والمراد بالآيات هنا اما المعجزات التسع وعى العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص من الثمرات وعلى هذا قوله لا تشركوا كلام مستأنف ذكره عقيب الجواب ولم يذكر الراوى الجواب استغناء بما في القرآن أو بغيره ويؤيده ما في خبر الترمذى أنهما سألاه عن هذه الآية يعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واما الاحكام العامة الشاملة للمل للثابتة في كل الشرائع وبيانها ما بعدها سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعلينكم خاصة حكم مستأنف زائد على الجواب ولذا غير السياق (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله) أى بذاته وصفاته وعبادته (شيئا) من الاشياء أو الاثراك (ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) سبق (ولا تمشوا بغيري) بهمة و ادغام أى بتميزي من الاثم الباء للتعدية أى لا تسعوا ولا تكلموا بسوء فيمن ليس له ذنب (الى ذى سلطان) أى صاحب قوة و قدرة و غلبة و شوكة (ليقتله) يعنى كيلا يقتله مثلا (ولا تسحروا) بفتح الحاء فان بعض أنواعه كفر وبعضها فسق (ولا تأكلوا الربا) فانه سحق و محق (ولا تقتنوا) بكسر الذال (محصنة) بفتح الصاد و يكسر أى ترموا بالزنا عفيفة (ولا تولوا للفرار) أى لاجله من التولى وهو الاعراض والادبار أصله تتولوا تحذف احدى التاءين و قيل بضم التاء واللام من ولى تولية اذا أدير أى ولا تولوا أذباركم و في بعض النسخ الفرار بلا لام العلة منصوبا على انه مفعول له (يوم الزحف) أى الحرب مع الكفار (وعلينكم) ظرف وقع خبرا مقدما (خاصة) متونا حال و المستتر في الظرف العائد الى المبتدا أى مخصوصين بهذه العاشرة أو حال كون عدم الاعتداء مختصا بكم دون غيركم من الملل أو تمييز و الخاصة ضد العامة (اليهود) نصب على التخصيص و التفسير أى أعنى اليهود و يجوز أن يكون خاصة بمعنى خصوصا و يكون اليهود معمولا لفعله أى أخص اليهود خصوصا و في بعض طرق هذا الحديث يهود مضمونا بلا لام على انه منادى و قوله (ان لا تعتدوا) بتأويل المصدر في محل الرفع على انه المبتدا من الاعتداء و في نسخة صحيحة أن لا تعتدوا بسكون العين و تخفيف الدال و في نسخة بفتح العين و تشديد الدال (في السبت) أى لا تتجاوزوا أمر الله في تعظيم السبت بأن لا تصيدوا السمك فيه و قيل عليكم اسم فعل بمعنى خذوا وان لا تعتدوا مفعوله أى الزموا ترك الاعتداء و يمكن أن يكون السؤال عن الآيات التسع و الاحكام العامة جميعا و أخبروا عن احداها و أمروا عن اخراها على طريق التورية فأجابهم عن الامرين و حذف الراوى الاول أو أجابهم عن المشكل أو المضمهر و ترك المشهور اما لظهوره أو على أسلوب الحكيم ولذا أذعننا له في الظاهر (قال) صفوان (قتبا) أى اليهوديان (يديه ورجليه) صلى الله عليه وسلم (وقال تشهد انك نبي) اذ هذا العلم من الامى معجزة لكن تشهد انك نبي الى العرب (قال فما يمنعكم) فيه ان أقل الجمع اثنان أو المراد أنتما و قوسكما (أن تتبعوني) بتشديد التاء و قيل بالتخفيف أى من أن تقبلوا نبوتى بالنسبة اليكم و تتبعوني في الاحكام الشرعية التي هي واجبة عليكم (قالا ان داود عليه الصلاة والسلام دعاربه ان لا يزال) أى بان لا ينقطع (من ذريته نبي) الى يوم

و انا نخاف ان تبعاك ان يقتلنا اليهود رواه الترمذى و أبو داؤد و النسائى و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من أصل الايمان الكف عن قال لاله الا الله لا تكفره بذب و لا تخرجه من الاسلام بعمل و الجهاد ماض بذ بعنى الله الى أن يقاتل آخر هذه الامة الدجال لا يظلمه جور جائر و لا عدل عادل

القيامه فيكون مستجابا فيكون من ذريته نبى و يتبعه اليهود و ربما يكون لهم الغلبة و الشوكة (و انا نخاف ان تبعاك ان يقتلنا اليهود) أى فان تركنا دينهم و اتبعناك لقتلنا اليهود اذا ظهر لهم نبى و قوة و هذا افتراء محض على داؤد عليه الصلاة والسلام لانه قرأ فى التوراة و الزبور بعث مخلصا لله عليه وسلم النبى و انه خاتم النبیین و انه ينسخ به الاديان فكيف يدعو بخلاف ما أخبر الله تعالى به من شأن مخلصا لله عليه وسلم و لئن سلم فعيسى من ذريته و هو نبى باق الى يوم الدين (رواه الترمذى) و قال حسن صحيح (و أبو داؤد و النسائى) و كذا الحاكم و قال صحيح لا يعرف له علة بوجه من الوجوه و لم يخرجاه (و عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث) أى خصال (من أصل الايمان) أى أساسه و قاعدته احداها أو منها (الكف عن قال لاله الا الله) أى الامتناع عن التعرض بأهل الاسلام (لا تكفره) بالثناء نبى و بالثون نفى و كلاهما مروى و هو بيان للكف و لذا قطعه عنه و الاكفار و التكفير نسبة أهد الى الكفر (بذب) أى سوى الكفر و لو كبيرة خلافا للخوارج (و لا تخرجه) بالوجهين (من الاسلام بعمل) أى و لو كبيرة سوى الكفر خلافا للمعتزلة فى اخراج صاحب الكبيرة الى منزلة بين المنزلتين (و الجهاد ماض) أى الخصلة الثانية اعتقاد كون الجهاد ماضيا أو ثابتهما الجهاد أو الجهاد من أصل الايمان و ماض خير مبتدا محذوف أى هو ماض و نافذ و جار و مستتر (مذ) و فى نسخة بالثون أى من ابتداء زمان (بعنى الله) الى المدينة أو بالجهاد فمذ حرف جر أو أول مدة نفاذ الجهاد زمان بعنى الله فمذ مبتدا و الزمان المقدر خبره و الجملة خبر آخر لمبتدا ماض (الى أن يقاتل آخر هذه الامة) أى أمة الاجابة يعنى عيسى أو المهدي (الدجال) و بعد قتل الدجال لا يكون الجهاد باقيا أما على يأجوج و ماجوج فقدم القدرة و الطاقة عليهم و عند ذلك لا و جوب عليهم ينص آية الانفال و أما بعد اهلاك الله اياهم لا يبقى على وجه الارض كافر مادام عيسى عليه الصلاة والسلام حيا فى الارض و أما على من كفر من المسلمين بعد عيسى عليه الصلاة والسلام فلموت المسلمين كلهم عن قريب بريح طيبة و بقاء الكفار الى قيام الساعة و تجيء هذه الحكاية فى ذكر الدجال (لا يظلمه) بضم أوله (جور جائر و لا عدل عادل) أى لا يسقط الجهاد كون الامام ظالما أو عادلا و هو صفة ماض أو خبر بعد خبر و قد ورد فى الخبر الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا و فيه رد على المناقنين و بعض الكفرة قائمهم زعموا أن دولة الاسلام تنقرض بعد أيام قلائل كأنه قيل الجهاد ماض أى اعلام دولته منشورة و اولياء أئمة منصوره و أعداء ملته مقهوره الى يوم الدين و لعل محي السنة أورد هذا الحديث فى باب علامات النفاق لهذا المعنى و كذا الحديث السابق فان اليهوديين نافقا بقولهما نشهد انك نبى ثم قولهما ان داود عليه الصلاة والسلام دعا ربه لانه يدل الحديث على انهما لم يقلوا ذلك عن اعتقاد كذا قاله الطيبى و فيه تكلف و تعسف و الظاهر ان الباب موضوع لشئين للكبار و علامات النفاق فهذا الحديث مناسبته للكباير فى غاية الوضوح كما ظهر من مخالفة الخوارج و المعتزلة و كذا الجهاد فرض كفاية و قد يصير فرض عين و تركه من البكائر و أما الحديث السابق ففيه الآيات التسع التى كلها كباير و اليهوديان قد صرحا بثبوتها على كفرهما فلا يكونان منافقين و ليس توجد دلالة فى دعاء داود على انهما لم يقلوا

والايمان بالاقدار رواه أبو داود و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل رجع اليه الايمان رواه الترمذى و أبو داود * (الفصل الثالث) * عن معاذ قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال لا تشرك بالله شيئا و ان تقلت و حرقت و لا تعفن والديك

ذلك عن اعتقاد و الله أعلم و قيل معنى لا يبطله الخ لا يجوز ترك الجهاد بأن يكون الامام ظالما بل يجب عليهم الموافقة فيه و لا بأن يكون الامام عادلا فلا يخافون من الكفار و لا يجأون الى الغنائم لان القصد من الجهاد هو اعلاء كلمة الله فاحتج لهذا نفيًا لهذا التوهم و ان كان من شأن عدل العادل أنه لا يتوهم فيه ابطال الجهاد بل تقويته و لما نظر شارح لهذا قال تتميم و الا فعدل العادل لا يتوهم فيه ابطال و قيل فعلى هذا يكون النفي بمعنى النهي (و الايمان بالاقدار) أى الخصلة الثالثة أو الايمان بالاقدار من أصل الايمان يعنى بان جميع ما يجرى في العالم هو من قضاء الله و قدره و فيه رد على المعتزلة لأبائهم للعباد القدرة المستقلة بإيجاد المعصية (رواه أبو داود و عن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زنى) أى أخذ و شرع في الزنا (العبد) أى المؤمن (خرج منه الايمان) أى نوره و كماله أو أعظم شعبه و هو الحياء من الله تعالى أو يصير كأنه خرج اذ لا يمنع ايمانه عن ذلك كما لا يمنع من خرج منه الايمان أو أنه من باب التغليظ في الوعيد قال التوربشتي هذا من باب الزجر و التهديد و هو كقول القائل لمن اشتهر بالرجولية و المروأة ثم فعل ما ينافي شيمته عدم عنه الرجولية و المروأة تعبيراً و تنكيراً لينتهى عما صنع و اعتباراً و زجراً للسامعين و لطفابهم و تنبيهاً على أن الزنا من شيم أهل الكفر و أعمالهم فالجمع بينه و بين الايمان كالجمع بين المتنافيين و في قوله صلى الله عليه وسلم (فكان فوق رأسه كالظلة) و هو أول سحابة تظل اشارة الى أنه و ان خالف حكم الايمان فانه تحت ظله لا يزول عنه حكم الايمان و لا يرتفع عنه اسمه (فاذا خرج من ذلك العمل) قيل أى بالتوبة (رجع اليه الايمان) قيل هذا تشبيه المعنى بالمحسوس بجامع معنوى و هو الاشراف على الزوال و فيه ايماء بان المؤمن في حالة اشتغاله بالمعصية يصير كالفائد للايمان لكن لا يزول حكمه و اسمه بل هو بعد في ظل رعايته و كنف بركته اذا نصب فوقه كلسحابة تظله فاذا فرغ من معصيته عاد الايمان اليه قلت و فيه اشارة الى أنه في خطر من الكفر نعوذ بالله لانه صدر عنه ما قد يكون سبباً لعدم رجوع الايمان اليه ولذا قالوا المعاصي بريد الكفر (رواه الترمذى) أى تعليقا (و أبو داود) و سكت عليه هو و المنذرى و رواه الحاكم و قال صحيح على شرطهما و وافقه الذهبي

* (الفصل الثالث عن معاذ) * رضى الله عنه (قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى أمرني (بعشر كلمات) أى بعشرة أحكام من الاوامر و النواهي ليعمل بها و اعلمها الناس (قال لا تشرك بالله شيئا) أى يلقبك أو بلسانك أيضا فانه أفضل عند الاكراه (و ان تقلت و حرقت) أى و ان عرضت للقتل و التحريق شرط جيء به للمبالغة فلا يطلب جوابا قال ابن حجر شرط للمبالغة باعتبار الاكمل من صبر المكروه على الكفر على ما هدد به و هذا فيمن لم يحصل بموته و هو الاسلام و الاكعالم و شجاع يحصل بموته ذلك فالاولى له أن يأتي بما أكره عليه و لا يصبر على ما هدد به رعاية لآخف المفسدتين و أما باعتبار أصل الجواز فيجوز له أن يتلفظ و أن يفعل ما يقتضى الكفر كسب الاسلام و سجود الضم اذا هدد ولو ينحو ضرب شديد أو أخذ مال له وقع كما أفاد ذلك قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه

و ان أسرك أن تخرج من أهلك و مالك ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشرين خمرًا فانه رأس كل فاحشة و اياك و المعصية فان بالمعصية حل سخط الله و اياك و الفرار من الزحف و ان هلك الناس و اذا اصاب الناس موت و أنت فيهم فائت و انفق على عيالک من طولک

الا من أكره و قلبه مطمئن بالايمان الآتية (ولا تعقن والديك) أى لا تتخالفنهما أو أحدهما فيما لم يكن معصية اذ لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق (و ان أسرك أن تخرج من أهلك) أى اسرأتک أو جاريتک أو عبدک بالطلاق أو البيع أو العتق أو غيرها (و مالک) بالنصرف في مرزاتهما قال ابن حجر شرط للمبالغة باعتبار الاكمل أيضا أى لا تتخالف واحدا منهما و ان غلاني شئ أسرك به و ان كلن فراق زوجة أو هبة مال أما باعتبار أصل الجواز فلا يلزمه طلاق زوجة امراه بفرقتها و ان تأذيا ببقائها ايداء شديدا لانه قد يحصل له ضرر بها فلا يکافئه لاجلها اذ من شأن شفقتها أنها لم تؤذي ببقائها لهم بأمرها به فالزمامها له به مع ذلك حتى منهنما ولا يلفت اليه و كذلك اخراج ما له (ولا تترك صلاة مكتوبة) أى مفروضة (متعمدا) احتراز من السهو و النسيان و الضرورة (فان من ترك صلاة مكتوبة) أى مفروضة ولو نذرا عن وقتها (متعمدا) فقد برئت منه ذمة الله) أى لا يبقى في أمن من الله في الدنيا باستحقاق التعزير و الملامة و في العقبي باستحقاق العقوبة قال ابن حجر كناية عن سقوط احترامه لانه بذلك الترك عرض نفسه للعقوبة بالجنس عند جماعة من العلماء و لقتله حدا لا كفرا بشرط اخراجها عن وقتها و ضروري و أمره بها في الوقت عند اثمتنا و لقتله كفرا فلا يصلى عليه ولا يدفن بمقابر المسلمين عند أحمد و آخرين (ولا تشرين خمرًا فانه) أى شربها (رأس كل فاحشة) أى قبيحة لأن المانع من الفواحش هو العقل ولذا سمي عقلا لانه يعقل صاحبه عن الباطح فيزواله عن الانسان يقع في كل فاحشة عرضت له ولذا سميت أم الخبائث كما سميت الصلاة أم العبادات لانها تنهى عن الفحشاء و المنکر (و اياک و المعصية) تحذير و تعميم بعد تخصيص و ايدان بان المعاصي السابقة أعظمها ضرا (فان بالمعصية حل سخط الله) أى نزل و ثبت على فاعلها و اسم ان ضمير الشأن المحذوف أى فانه و قيل ضمير الشأن لا يحذف لان المقصود به تعظيم الكلام فينبغي الاختصار و رد بحدفه في قوله تعالى ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم و أما قول ابن الحاجب و حدفه منصوبا ضمير فقد ضعفه أيضا كيف يقول ذلك و قد جاء في كلامه عليه الصلاة والسلام في النهي عن الصلاة في أوقات الكراهة في خبر مسلم اقصر عن الصلاة فان حينئذ تسجر جهنم أى فان الأمر و الشأن قال ابن حجر و لك ان تجيب عنه بانه ضعيف قياسا لاستعمالا و مثله واقع في القرآن في قتل أولادهم شركاءهم بنصب أولاد الفاضل بين المضاف و المضاف اليه اهو أراد به قراءة ابن عامر و أظهر منه وجود أبي يابى في القرآن مع كونه شاذ في القياس بلا خلاف (و اياک و الفرار من الزحف) تخصيص بعد تعميم (و ان هلك الناس) أى بالفرار أو القتل و ان وصاية قال ابن حجر شرط للمبالغة باعتبار الاكمل أيضا و الا فقد علم من قوله تعالى الا ان خفت الله عنکم الآتية ان الكفار حيث زادوا على المشركين جاز الانصراف (و اذا اصاب الناس موت) أى طاعون و وباء (و أنت فيهم) الجملة حالية (فائت) لتوليه عليه الصلاة والسلام اذا وقع الطاعون بيلد و أنتم فيه فلا تخرجوا منه و اذا وقع بيلد و لستم فيه فلا تدخلوا اليه و حكمة الاول ان أهل البلد لو مكنوا من ذلك لذهبوا و تركوا المرضى فيضيعوا و الثاني أن من قدم ربما أصابه فيستند ذلك الى قدومه فيزل قدمه و محل الامرین حيث لا ضرورة الى الخروج أو الدخول و الا فلا اثم كما هو

ولا ترفع عنهم عصاك أدبا و أخفهم في الله رواء أحمد و عن حذيفة قال انما النفاق كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما اليوم فالنفاق هو الكفر أو الايمان رواء البخارى

* (باب في الوسوسة) *

* (الفصل الاول) * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن أمي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تكلم

الظاهر (و اتفق على عياك) بكسر العين أى من يجب عليك ففقه شرعا و محل بسطه كتب الفقه (من طولك) بفتح أوله أى فضل مالك و في معناه الكسب بقدر الوسع و الطاقة على طريق الاقتصاد و الوسط في المعتاد (ولا ترفع عنهم عصاك أدبا) مفعول له أى للتأديب لا للتعذيب و المعنى اذا استحقوا الادب بالضرب فلا تسامهم كقوله تعالى و اللات يخافون نشوزهن فعضوهن و اهجرهن في المضاجع و اضربوهن على الترتيب الذكري (و أخفهم في الله) أى انذرهم في مخالفة أوامره و نواهيها بالصيحة و التعليم و بالحمل على مكارم الاخلاق من اطعام الفتيير و احسان اليتيم و بر الجيران و غير ذلك (رواه أحمد) و كذا الطبراني في الكبير و استاد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع فان عبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ (و عن حذيفة) رضى الله عنه موقوفا هو حذيفة بن اليمان و اسم اليمان حسيل بالتصغير و اليمان لقبه و كنية حذيفة أبو عبدالله العيسى بفتح العين و سكون الباء هو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه عمر و على و أبو الدرداء و غيرهم من الصحابة و التابعين و مات بالمدائن و بها قبره سنة خمس و ثلاثين بعد قتل عثمان بأربعين ليلة (قال انما النفاق كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعنى ان حكم المنافقين من ابقاء أرواحهم و اجراء أحكام المسلمين عليهم انما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على مصالح منها أن المؤمنين اذا ستروا على المنافقين أحوالهم خفى على المخالفين حالهم و حسبوا أنهم من جملة المسلمين فيجتنبوا عن مخالفتهم لكثرتهم بل أدى ذلك الى ان يخافوا و تقل شوكتهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لاخلاق لهم و منها ان الكفار اذا سمعوا مخالفة المسلمين مع من يصحبهم كان ذلك سببا لفترتهم منه و منها ان من شاهد حسن خلقه عليه الصلاة والسلام مع مخالفه رغب في صحبته و وافق معه سرا و علانية و دخل في دين الله بوفور و نشاط (فاما اليوم) أى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (فانما هو) أى الامر و الحكم يدل عليه سياق الكلام أى الشأن الذى استقر عليه الشرع (الكفر أو الايمان) و الضمير مبهم يفسره ما بعده أى ليس الكائن اليوم الا الكفر أو الايمان ولا ثالث لهما يعنى الكفر الصريح و القتل أو الايمان سرا و علانية و أو للتتويج كما في قوله تعالى تقاتلونهم أو يسلمون (رواه البخارى) في كتاب الفتن

* (باب في الوسوسة) *

الخواطر ان كانت تدعو الى الرذائل فهي وسوسة و ان كانت الى الفضائل فهي الهام و الاصح انه ليس بحجة من غير المعصوم لانه لا لاقة بخواطره

* (الفصل الاول) * (عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن أمي ما وسوست بها صدورها) بالرفع فاعلا أى ما خطر في قلوبهم من الخواطر الرديئة فهو من مجاز المجاورة و يجوز نصبه مفعولا به قيل فيه نظر لان الوسوسة لازم نعم

وجه النصب الظرفية ان ساعدته الرواية وروى ما حدثت به أنفسها بالرفع والنصب بدله (ما لم تعمل به) أى ما دام لم يتعلق به العمل ان كان فعليا (أو تتكلم) به أى ما لم تتكلم به ان كان قوليا كذا فى الازهار قال صاحب الروضة فى شرح صحيح البخارى المذهب الصحيح المختار الذى عليه الجمهور ان أعمال القلوب اذا استقرت يؤاخذ بها بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن أمى ما وسوست به صدورها معمول على ما اذا لم تستقر وذلك معفو بلا شك لانه لا يمكن الانفكاك عنه بخلاف الاستقرار ثم نقل صاحب الازهار عن الاحياء ما حاصله ان لاعمال القلب أربع مراتب الاول الخاطر كما لو خطر له صورة امرأة مثلا خلف ظهره فى الطريق لو التفت اليها يراها والثاني هيجان الرغبة الى الالتفات اليها ونسبه ميل الطبع والاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان يفعل أى يظهر اليها فان الطبع اذا مال لم تتبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف وهى العياء والخوف من الله تعالى أو من عباده ونسبه اعتقادا والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه ونسبه عزما بالقلب أما الخاطر فلا يؤاخذ به وكذا الميل وهيجان الرغبة لانهما لا يدخلان تحت الاختيار وهما المرادان بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله تجاوز عن أمى الحديث وأما الثالث وهو الاعتقاد فهو مردد بين أن يكون اختيارا لا ينكره واضطارا ينكره ولاختيارى يؤاخذ والاضطراى لا يؤاخذ وأما الرابع وهو العزم والهيم بالفعل فانه يؤاخذ به وعليه تنزل الآيات التى دلت على مؤاخذة أعمال القلوب الا أنه ان ترك خوفا من الله تعالى كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتاعه عنها مجاهدة مع نفسه فتكون حسنة تزيد عليها وان تركها لعائق أو فاتها ذلك لعدم الحصول كتبت عليه سيئة للعزم والهمة الجازمة والدليل القاطع على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح المتفق على صحته اذا التى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يارسول الله فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وهذا صريح فى انه صار الى النار ووقع فيها بمجرد العزم والنية وان مات ولم يعمل وقتل مظلوما وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب الجازمة والكبير والعجب والتفائق والحد وغيرها من الاوصاف الذميمة يؤاخذ بها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاثم ما حاك فى نفسك وتردد فى صدرك وان أفتاك الناس اه أقول القلب واطمأنت اليه النفس والاثم ما حاك فى نفسك وتردد فى الصدر وقال البر ما اطمأن اليه الاستدلال بالحديث الاخير فيه نظر لانه جعل الاثم عين ما تردد فى الصدر ان ما لم يستتر لا يكون اثما فمعنى الحديث ان ما تردد فى الصدر أنه اثم أو غير اثم ففعله اثم احتياطا كما اذا تعارض دليل التحريم والتجليل فى شئ فيجزم قيل الحديث يدل على أن التجاوز المذكور خاصة هذه الامة وعلى التوجيه الذى نقله صاحب الازهار من الروضة والاحياء يلزم أنه يكون عاما لجميع الامة لان ما لا يدخل تحت الاختيار لا يؤاخذ به شخص من الاشخاص لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فالصواب ما قاله الطيبى من ان الوسوسة ضرورية واختيارية فالضرورية ما يجرى فى الصدور من الخواطر ابتداء ولا يقدر الانسان على دفعه فهو معفو عن جميع الامة والاختيارية هى التى تجرى فى القلب وتستمر وهو يتصد ويعمل به ويتلذذ منه كما يجرى فى قلبه حب امرأة ويدوم عليه ويقصد الوصول اليها وما أشبه ذلك من المعاصى فهذا النوع عفا الله عن هذه الامة خاصة تعظيما وتكريما لنبينا عليه الصلاة والسلام وامنه و اليه ينظر قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا وأما العقائد الفاسدة وسواى الاخلاق وما ينضم الى ذلك فانها بمعزل عن الدخول فى جملة ما وسوست به الصدور اه و هو كلام حسن ولهذا قيده النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ما لم تعمل أو تتكلم اشارة الى ان وسوسة الاعمال والأقوال معفوة قبل ارتكابها وأما الوسوسة التى لا تعلق لها بالعمل والكلام من الاخلاق

متفق عليه و عنه قال جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه
انا نجد في أنفسنا ما يتعاضم أحدنا أن يتكلم به قال أو قد وجدتموه

والمعاني فهي ذنوب بالاستقرار و ذكر الامام النووي ان مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب ان من عزم
على المعصية و وطن نفسه عليها أثم في اعتقاده و عزمه و يجعل ما وقع في امثال قوله عليه الصلاة
والسلام اذا هم عدي بسينة فلا تكتبوا عليه فان عملها فآكتبوها سينة الحديث فيمن لم يوطن نفسه على
المعصية و انما من ذلك بفكره من غير استقرار و يسمى هذا هما و يفرق بين الهم و العزم و هذا
مذهب القاضي أبي بكر و خالفه كثير من الفقهاء و المحدثين و أخذوا بظاهر الحديث و قال القاضي
عياض عامة السلف و أهل العلم من الفقهاء و المحدثين على ما ذهب اليه القاضي أبو بكر للاحادِيث
الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب لكنهم قالوا ان هذا العزم يكتب سينة و ليست السينة التي هم
بها لكونها لم يعملها و قطع عنها قاطع غير خوف الله تعالى و الا نابة لكن الاصرار و العزم معصية فصار تركه
لخوف الله تعالى و مجاهدته نفسه الامارة حسنة فاما الهم الذي لا يكتب فهي الخواطر التي لا يوطن
النفس عليها و لا يصحبها عقد و لاية و عزم و ذكر بعض المتكلمين خلافا فيما اذا تركها لغير خوف
الله تعالى بل لخوف الناس هل تكتب حسنة قال لا لانه انما حمله على تركها العياء و هذا الخلاف
ضعيف لا وجه له هذا آخر كلام القاضي و هو ظاهر حسن لا مزيد عليه و قد تظاهرت نصوص الشرع
بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر من ذلك قوله تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا
لهم عذاب أليم و قوله اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن أثم و الآيات في هذا كثيرة و قد
تظاهرت نصوص الشرع و اجماع العلماء على تحريم الحسد و احتقار المسلمين و ارادة المكروه بهم
و غير ذلك من أعمال القلوب و عزمها و قد تقدم الفرق بين ماله تعلق بالعمل و بين ما ليس له تعلق
به و الله تعالى أعلم و قيل يؤاخذ بالهم بالمعصية في حرم مكة دون غيرها و هو رواية عن أحمد و به
قال ابن مسعود لقوله تعالى و من يرد فيه بالعدا بظلم الآية و يرد بان الارادة هي القصد و هو
العزم الذي هو أخص من الهم (متفق عليه) في الجامع الصغير رواه الجماعة عن أبي هريرة بلفظ ان الله
تجاوز لآتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به (و عنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال
جاء ناس) أي جماعة (من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبي عليه الصلاة والسلام فسألوه انا
نجد) واقع موقع الحال أي سأله لوه بخبرين انا نجد أو قائلين على احتمال فتح الهمزة و الكسر و قيل على
الفتح مفعول ثان لسألوه ثم الكسر أو جه حتى يكون بيانا للسؤال عنه و هو مجمل يفسره الحديثان
الآتيان (في أنفسنا ما يتعاضم أحدنا أن يتكلم به) أي نجد في قلوبنا أشياء قبيحة نجو من خلق الله و كيف
هو و من أي شئ و ما اشبه ذلك مما يتعاضم النطق به لعلمنا أنه قبيح لا يليق شئ منها أن نعتقه
و نعلم انه قديم خالق الاشياء غير مخلوق فما حكم جريان ذلك في خواطرنا و تعاضم تفاعل بمعنى
المبالغة لان زيادة المبنى لزيادة المعنى فان الفعل الواحد اذا جرى بين اثنين يكون مزاولته اشق من مزاولته
و حده و لذاقيل المفاعلة اذا لم تكن للمعابلة فهي للمبالغة أي نستعظم غاية الاستعظام و قوله أحدنا روى
برقع الدال و معناه يجد أحدنا التكلم به عظيما لتبعه و يجوز النصب على نزع الخافض أي يعظم و
يشق التكلم به على أحدنا (قال أو قد وجدتموه) الهمزة للاستفهام التقريري و الواو المقرونة بها للعطف
على مقدر أي حصل ذلك و قد وجدتموه و الضمير لما يتعاضم أي ذلك الخاطر في أنفسكم تقريرا
و تأكيدا فالوجدان بمعنى المصادفة أو المعنى حصل ذلك الخاطر القبيح و علمتم أن ذلك منسوم

قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله وليته

غير مرضى فالوجدان بمعنى العلم (قالوا نعم قال ذلك) اشارة الى مصدر وجد أى وجدانكم فتح ذلك الخاطر أو مصدر يتعاطم أى علمكم بفساد تلك الوسوس و تباينها عن النوره بها (صريح الايمان) أى خالصه يعنى انه امارته الدالة صريحا على رسوخه فى قلوبكم و خلوصها من التشبيه و التعطيل لان الكافر يصير على ما فى قلبه من تشبيه الله سبحانه بالمخلوقات و يعتقد حقا و من استجبها و تعاطمها لعلمه بيقبحها و أنها لا تليق به تعالى كان مؤمنا حقا و موقنا صدقا فلا تزغزه شبهة و ان قويت ولا تحل عقد قلبه ربية و ان موته و لان من كان ايمانه مشوبا يقبل الوسوسة ولا يردھا و قيل المعنى ان الوسوسة اماره الايمان لان اللص لا يدخل البيت الخالى ولذا روى عن على رضی الله عنه و كرم الله وجهه ان الصلاة التى لا وسوسة فيها انما هى صلاة اليهود و النصارى (رواه مسلم وعنه) أى عن أبى هريرة رضی الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الشيطان) أى يوسوس ابليس أو أحد أعوانه من شياطين الانس و الجن على طريق التلبيس (أحدكم فيقول من خلق كذا) يعنى السماء مثلا (من خلق كذا) يعنى الارض و غرضه أن يوقعه فى الغلط و الكفر و يكسر السؤال على هذا المنوال (حتى يقول من خلق ربك) و هو قديم خالق كل شئ (فاذا بلغه) ضمير الفاعل لأحدكم و ضمير المفعول راجع الى مصدر يقول أى اذا بلغ أحدكم هذا القول يعنى من خلق ربك أو التقدير بلغ الشيطان هذا القول (فليستعذ بالله) طردا للشيطان اشارة الى قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين و ايماء الى قوله عليه الصلاة والسلام لاجل و لا قوة الا بالله فان العبد مجوله و قوته ليس له قوة المغالبة مع الشيطان و مجادلته فيجب عليه أن ينتجى الى مولاه و يعتصم بالله من الشيطان الذى أوقعه فى هذا الخاطر الذى لا أتح منه فيقول بلسانه أو عذبه بالله من الشيطان الرجيم و يلوذ بحبانه الى جنبه أن يدفع عنه شره و كيدہ فانه مع اللطف الالهى لا أضعف منه و لا أذل فانه مشبه بالكلب الواقف على الباب و لذا قال تعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا أى بالنسبة الى القوة الالهية فلا ينافى قوله تعالى حكاية ان كيد كن عظيم (و لينته) بسكون اللام و تكسر أى ليترك التفكير فى هذا الخاطر و ليستغل بأمر آخر لثلا يستحوذ عليه الشيطان فانه انما أوقعه فيه رجاء أن يقف معه و يتمكن فى نفسه فيحصل لها شك و ريب فى تنزيهه تعالى عن سمات الحدوث و ان دقت و خفيت فمن تبه و كف عن الاسترسال مع ذلك الخاطر و أشغل نفسه حتى انصرفت عنه فقد خلاص و من لا فقد ارتبك فيخشى عليه منزلة القدم فى قعر جهنم و انما أمر بذينك دون الاحتجاج و التامل لامرئين أحد هما ان العلم باستغناء الله تعالى عن المؤثر و الموجد ضرورى لا يقبل احتجاجا و انما ذلك شئ يلقى الشيطان اما ليحجك ان جادلته لانه مسلط على القلوب بالقاء الوسوس عليها ليختبر ايمانها و وسواسه غير مشاهدة فمتى عارضته بمسلك وجد مسلكا آخر الى ما يريدہ من المغالطة و التشكيك و اما ليضع وقتك و يكدر عيشك ان استرسلت معه و ان حججته فلا أخلص لك من الاعراض عنه جملة و الاتجاء الى الله تعالى بالاستعاذة منه كما قال عز من قائل و اما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ثانيهما أن الغالب فى موارد هذه الخواطر انه انما ينشأ من ركود النفس و عدم اشتغالها بالمهمات المطلوبة منها فهذا لا يزيدہ فكره فى ذلك الا الزبغ عن الحق فلا علاج له الا الاتجاء بحول الله و قوته و الاعتصام بكتاب الله و سنة رسوله قال الخطابى لو أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى محامجه لكان الجواب سهلا

متفق عليه و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله و رسله متفق عليه و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن و قرينه من الملائكة

على كل موحد أى باثبات البراهين القاطعة على أن لا خالق له تعالى بابطال التسلسل و نحوه كاستحضار أن جميع المخلوقات داخلية تحت اسم الخلق فلوجاز أن يقال من خلق الخالق لادى الى ما لا يتناهى و هو باطل قطعاً و فيه اشعار بمذمة علم الكلام و دلالة على حرمة المراء و المجادلة فيما يتعلق بذات الله و صفاته و ايماء الى صحة ايمان المقلد (متفق عليه و عنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضاً عن العلوم و الموجودات و التساؤل جريان السؤال بين الاثنين فصاعداً و يجوز أن يكون بين العبد و الشيطان أو النفس أو انسان آخر أى يجرى بينهما السؤال في كل نوع (حتى) يبلغ السؤال الى أن (يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله) قيل لفظ هذا مع عطف بيانه المحذوف و هو المقول مفعول يقال أقيم مقام الفاعل و خلق الله تفسير لهذا أو بيان أو بدل و قيل مبتدأ حذف خبره أى هذا القول أو قولك هذا خلق الله الخلق معلوم مشهور فمن خلق الله و الجملة أقيمت مقام فاعل يقال (فمن وجد من ذلك شيئاً) إشارة الى القول المذكور و من ذلك حال من شيئاً أى من صادف شيئاً من ذلك القول و السؤال أو وجد في خاطره شيئاً من جنس ذلك المقال (فليقل) أى فوراً من حينه (آمنت بالله و رسله) أى آمنت بالذى قال الله و رسله من وصفه تعالى بالتوحيد و القدم و قوله سبحانه و اجماع الرسل هو الصدق و الحق فماذا بعد الحق الا الضلال ثم هذا القول يحتمل أن يكون على وجه العلم و التحقيق و يحتمل أن يكون على طريق التقليد هذا الذى ظهر فى هذا المقام و أما ما ذكره الطيبى و تبعه ابن حجر من أن هذا القول كفر فمن تكلم به فليتداركه بكلمة الايمان ففى كونه مراداً نظر ظاهر لانه لا يصح بالنسبة الى السائل المجادل الذى هو من جملة شياطين الانس أو الجن على التغليب كما ينصره الحديث السابق و لا من السؤال لانه مؤمن صريح الايمان و لان قوله فى هذا الحديث فليقل انما هو بالنسبة الى المسؤول كقوله فليستعد فى الحديث الذى تقدم و الله أعلم و لذا قيل يسن له أن يستعد ثم يقول آمنت بالله و رسله و رواه ابن أبى الدنيا عن ابن عمر و زاد فى آخره فان ذلك يذهب عنه (متفق عليه) روى مسلم هذا الحديث على هذا السياق عن أبى هريرة و رواه أيضاً عن أنس و فى روايته حتى يقال هذا خلق الله الخلق و كذلك رواه البيهارى فى كتابه عن أبى هريرة و الحديث على هذا السياق محتمل لغير ما ذكر و هو ان يكون هذا الله مبتدأ و خبراً أو هذا مبتدأ و الله عطف بيان و خلق الخلق خبره و أكثر رواة هذا الحديث يروونه على هذا السياق فيرجح اذا على السياق المذكور فى المصاييح وان كلاهما من الصحاح (و عن ابن مسعود) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد) ما نافية و من زائدة لاستغراق النفي لجميع الافراد و من فى منكم تبعية أى ما أحد منكم (الا و قد وكل به) على بناء المجهول لان فاعله معلوم من التوكيل بمعنى التسليط (قرينه من الجن) أى صاحبه منهم ليأمره بالشر و اسمه الوسواس و هو ولد يولد لابليس حين يولد لبني آدم ولد و قوله (و قرينه من الملائكة) أى ليأمره بالخير و اسمه السلم و ليس هذا فى المصاييح لكن ذكره الحميدى فى كتابه و الصفاتى فى المشارق عن مسلم كذا نقله الطيبى و ذكر ابن الملك فى شرح المصاييح و فى رواية قد وكل به قرينه من الجن و قرينه من الملائكة رواه ابن مسعود اه فصاحب المشكاة اختار هذه الرواية الجامعة و الله أعلم ثم الحكمة

قالوا و اياك يا رسول الله قال و اياى و لكن الله اعانى عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير رواه مسلم و عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم

في ذلك ظهور خسة العاصى و شرف الطائع (قالوا و اياك يا رسول الله) اى لك قرين من الجن و القياس و أنت يا رسول الله بصيغة المرفوع المنفصل و كذا في الجواب يعنى (قال و اياى) اى ولى ذلك و القياس أن يقول و انا فاقام الضمير المنصوب مقام المرفوع المنفصل و هو سائغ شائع و يحتمل أن يكون المعنى و اياك نعنى في هذا الخطاب فقال نعم و اياى لان الخطاب في منكم عام لا يخص المخاطبين من الصحابة بل كل من يصح ان يخاطب داخل فيه كانه قبل ما منكم يا بنى آدم من أحد و هذا ان قلنا ان المتكلم لا يدخل في عموم الخطاب و قيل عطف على محل الضمير المجرور المقدر تقديره قالوا قد و كل به و اياك قال و كل به و اياى (و لكن الله) بالتشديد و يخفف (اعانى عليه) اى بالعصمة أو بالخصوصية (فاسلم) بضم الميم أو فتحها في جامع الترمذى قال ابن عيينة فاسلم بالضم اى أسلم أنا منه و الشيطان لا يسلم و في جامع الدلاوى قال أبو محمد أسلم بالفتح اى استسلم و ذل و اتقاد و الخطابى ذهب الى الاول و القاضى عياض الى الثانى و هما روايتان مشهورتان قال التوربشتى الله تعالى قادر على كل شئ فلا يستبعد من فضله أن يخص نبيه بهذه الكرامة اعنى اسلام قرينه و بما فوقها قيل و يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام (فلا يامرني الا بخير) قلت الاظهر انه مؤيد للاول فتأمل و قيل اسلم أفعل تفضيل خبر مبتدأ محذوف اى فانا أسلم منكم لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجرى بعض الزلات في بعض الساعات بوسوسة فيكون المراد بقوله فلا يامرني الا بخير في أعين الاوقات كذا قيل و فيه نظر اذ يحتمل كون الوسوسة من النفس دون الشيطان و عن بعض المشايخ ان القرين من الجن ربما يدعو الى الخير و قصده في ذلك الشربان بدعوه الى الفضول فيمنعه عن الفاضل أو أن يدعو الى الخير ليجره الى ذنب عظيم لا يفي خيره بذلك الشر من عجب أو غيره ولذا قيل معصية أورت ذلا و استحقاقا خير من طاعة أورت عجا و استكبارا قال ابن حجر الظاهر ان استبعاد سفيان لاسلامه انما هو لكونه غفريتا لا لكونه من ذرية ايليس لما في حديث حسن ان هامة بن ايليس جاء للنبي صلى الله عليه وسلم و ذكر انه حضر قتل هابيل و انه اجتمع بنوح فمن بعده ثم طلب من النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن نقل السلام من عيسى فرد عليه الصلاة والسلام و طلب أن يعلمه شيا من القرآن فعلمه الواقعة و المرسلات و عم يتساء لون و اذا الشمس كورت و المعوذتين و قل هو الله أحد رواه مسلم (و عن انس) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان) اى كيد و وسواسه (يجرى) اى يسرى (من الانسان) اى فيه و قيل عدى يجرى بمن على تضمين معنى التمكن اى يتمكن من الانسان في جريانه (مجرى الدم) اى في جميع عروقه و المجرى اما مصدر ميمي اى يجرى مثل جريان الدم في انه لا يحس بجريته كالدلم في الاعضاء شبهه سريان كيد و جريان وسواسه في الانسان بجريان دمه في عروقه و جميع اعضائه فهو كناية عن تمكنه من اغواء الانسان و اضلاله تمكينا تاما و تصرفه فيه تصرفا كاملا بواسطة نفسه الامارة بالسوء الناشئ قواها من الدم و لقد صدق يحيى بن معاذ حيث قال الشيطان فارغ و أنت مشغول و هو يراك و أنت لا تراه و أنت تنسى الشيطان و هو لا ينساك و من نفسك للشيطان عليك عون و قد قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير و قال عز وجل الا ان حزب الله هم المفلحون أو اسم مكان ظرف ليجرى و من الانسان حال منه اى يجرى في الانسان مجرى الدم كائنا من الانسان أو يدل البعض

متفق عليه و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من بنى آدم مولود الا يمسسه الشيطان حين يولد فيستهبل صارخا من مس الشيطان غير مريم و ابنها متفق عليه

من الانسان اى يجرى فى الانسان حيث يجرى فيه الدم أو معناه أن الشيطان لا ينفك عن الانسان ما جرى دمه فى عروقه اى ما دام حيا و قيل يجوز ارادة الحقيقة فان الشياطين اجسام لطيفة قادرة باقدار الله تعالى على كمال التصرف ابتلاء للبشر (متفق عليه) و فى الجامع الصغير ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم رواه أحمد و الشيخان و أبو داود عن أنس و رواه الشيخان و أبو داود و ابن ماجه عن صفية (و عن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من بنى آدم) اى ما من اولاده و المراد هذا الجنس (مولود الايمسه الشيطان) رفع مولود على أنه فاعل الظرف لاعتماده على حرف النفي و المستثنى منه أعم عام الوصف فالاستثناء مفرغ يعنى ما وجد من بنى آدم مولود متصف بشئ من الاوصاف حال ولادته الا بهذا الوصف اى مس الشيطان له كأنه عليه الصلاة و السلام يرد على من زعم أن الانبياء و الاولياء لا يمسهم الشيطان فهو من قصر القلب الذى يلقى لمعتقد العكس و قيل ما هى غير عملة هنا حتى عند الحجازية لتقدم الخبر و هو من بنى آدم على مبتدئه و هو مولود (حين يولد) قالوا المراد بالمس الحسى لتقوله عليه الصلاة والسلام كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبه حين يولد و قال ابن الملك الوجه ان يراد من المس الطمع فى الاغواء فبرده ظاهر قوله (فيستهبل) اى يصيح (صارخا) رافعا صوته بالبكاء و هو حال مؤكدة أو مؤسفة اى مبالغفة فى رفعه أو المراد بالاستهلال مجرد رفع الصوت و بالصراخ البكاء (من مس الشيطان) اى لاجله قال الطيبى و فى التصريح بالصراخ اشارة الى ان المس عبارة عن الاصابة بما يؤذيه لا كما قالت المعتزلة من ان مس الشيطان تحييل و استهلاله صارخا من مسه تصوير لطمعه فيه كأنه يمس و يضرب بيده عليه و يقول هذا بمن اغويه و أما قول ابن الرومى

لان يؤذن الدنيا بها من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
اذا أبصر الدنيا استهبل كأنه * بما هو لاق من اذاها يهدد
و الا فما ييكبه منها و انه * لاوسع مما كان فيه و أرغد

فمن باب حسن التعليل فلا يستقيم تنزيل الحديث عليه مع أنه لاينابيه (غير مريم و ابنها) حال من مفعول يمس قاله ابن حجر و استثنأوهما لاستعاذة امها حيث قالت انى أعيدها بك و ذريتها من الشيطان الرجيم و تفرد عيسى و أمه بالعصمة عن المس لا يدل على فضلها على نبينا صلى الله عليه وسلم اذ له فضائل و معجزات لم تكن لاحد و لايلزم أن يكون فى الفاضل جميع صفات المفضول كذا قاله الطيبى و نظيره خبر الطبراني ما أحد من بنى آدم الا وقد أخطأ أو هم بخطيئة الا يحى بن زكريا قلت و أبلغ من هذا أن شيطانه أسلم (متفق عليه) قال ابن حجر و فى رواية للبخارى كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن قطعن فى الحجاب و فى أخرى للحاكم و غيره كل وليد الشيطان نائل منه تلك الطعنة ولها يستهبل المولود صارخا الا ما كان من مريم و ابنها فان امها حين وضعتها قالت انى أعيدها بك و ذريتها من الشيطان الرجيم فضرب دونها حجاب قطعن اه و لعل الله تعالى ألهمها بان دعت هذا الدعاء حال الوضع لا بعده فقوله حين وضعتها اى أرادت وضعها فلا يشك ان المس يكون حال الوضع فكيف امتنع لاجل ذلك الدعاء و قولها فى الآية و انى أعيدها بمعنى أخذتها و عدل الى المضارع لارادة الاستمرار أو لحكاية الحال الماضية و انه أعلم و المفهوم من الجامع الصغير

وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح المولود حين يقع نزعته من الشيطان وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس فأذناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ينجي أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم ينجي أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الأعمش أراه

أن الحديث باللفظ المذكور سابقا هو من أفراد البخارى قوله متفق عليه محل نظر الا أن يقال مراده أنه متفق عليه معنى واللفظ للبخارى لكن ذكر أن لفظ كل بنى آدم الخ أيضا من أفراد البخارى فتأمل (وعنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح المولود) أى سبب صحبته في بكائه (حين يقع) أى يسقط ويفصل عن أمه (نزعته من الشيطان) أى إصابة بما يؤذيه وقيل النزغ طعنة خفيفة أو وسوسة فإن النزغ هو الدخول في أمر الفساد والشيطان إنما يضيى بلمته أفساد ما ولد المولود عليه من الفطرة اه والمعول هو الاول اذلا أفساد عند الولادة (متفق عليه) المذكور في الجامع الصغير أنه من أفراد البخارى (وعن جابر) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ابليس يضع عرشه) أى سريره (على الماء) وفي رواية على البحر والصحيح حمله على ظاهره و يكون من جملة تمرده وطغيانه وضع عرشه على الماء يعنى جعله الله تعالى قادرا عليه استدراجا ليعتر بان له عرشا على هيئة عرش الرحمن كما في قوله تعالى وكان عرشه على الماء ويفر بعض السالكين الجاهلين بالله انه الرحمن كما وقع لبعض الصوفية على ما ذكر في النسخات الانسية في الحضرات القنسية ويؤيده قصة ابن صياد حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرى عرشا على الماء فقال له عليه الصلاة والسلام ترى عرش ابليس وقيل عبر عن استيلائه على الخلق وتسلطه على اضلالهم بهذه العبارة (ثم يبعث) أى يرسل سراياه جمع سرية وهى قطعة من الجيش توجه نحو العدو لتتال منه وفي النهاية هى طائفة من الجيش يبلغ أعضاها أربعمائة تبعث الى العدو وسماو بذلك لانهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشئ السرى وهو النفيس وقيل لانهم يبعثون سرا وردبان لانه راء ولامها باه (يفتنون الناس) بفتح الباء وكسر التاء أى يضلونهم أو يمتحنونهم بتزيين المعاصى اليهم حتى يقعوا فيها (فأذناهم) أى أقربهم (منه) أى من ابليس (منزلة) مرتبة (أعظمهم فتنة) أى أكبرهم اضلالا أو أشدهم ابتلاء (ينجي أحدهم) جملة مبينة لقوله أعظمهم فتنة (فيقول) أى أحدهم (فعلت كذا وكذا) أى أمرت بالسرقة وشرب الخمر مثلا (فيقول) أى ابليس (ما صنعت شيئا) أى امرأ كبيرا أو شيئا معتداه (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (ثم ينجي أحدهم فيقول ما تركته) أى فلانا (حتى فرقت بينه وبين امرأته) هذا وإن كان بحسب الظاهر أمرا مباحا وظاهره خير ولذا قال تعالى وإن يتفرقا يغفر الله كلا من سعته ولكنه من حيث انه قد يجر الى المفاسد يصير مذموما ويحث عليه الشياطين ويفرح به كبيرهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام أبعض الحلال الى الله الطلاق وقال تعالى فيعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه (قال) عليه الصلاة والسلام (فيدنيه منه) أى يقرب ابليس ذلك المقوى من نفسه من الادناء وهو التقريب (فيقول) وفي نسخة صحيحة ويقول أى ابليس للمغوى (نعم أنت) أى نعم الولد أو العون أنت على انه فعل مدح وفاعله مضمر على خلاف القياس وقيل حرف إيجاب وأنت مبتدأ خبره محذوف أى أنت صنعت شيئا عظيما وقول ابن الملك هو الصواب هو الخطأ لانه مخالف للنسخ المصححة الدالة على الرواية مع احتياجه الى التكلف والتعسف في توجيه صحة الدراية (قال الأعمش) وهو أحد رواة هذا الحديث (أراه) بضم أوله أى أظن أباسفيان طلحة بن نافع السكى وهو

قال فيلتزمه رواء مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد آيس من أن يعبد
المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم رواء مسلم
* (الفصل الثاني) * عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال اني أحدث نفسي بالشئ
لان أكون حممة أحب الى من ان أتكلم به

الراوى عن جابر كذا في الأزهار نقله السيد جمال الدين وقال الطيبي ضمير الفاعل للاعمش و ضمير
المفعول لجابر وقيل أظن النبي عليه الصلاة والسلام وهو الظاهر من قوله (قال فيلتزمه) فانه اما عطف
على فيديه أو بدل منه كذا قيل والاقرب انه عطف على يقول والله أعلم والمعنى فيعاقبه من غاية
حبه التفريق بين الزوجين وذلك لانه يحب كثرة الزنا وغلبة اولاد الزنا لفسدوا في الارض ويهتكوا
حدود الشرع ومن ثم ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد زانية رواء الدارمي في سنته
لان ولد الزنا يمسر عليه اكتساب الفضائل ويتيسر له أخلاق الرذائل (رواء مسلم) وكذا أحمد
(وعنه) أى عن جابر رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يحتمل الجنس و
الاطهر أن المراد به ابليس رئيسهم (قد آيس) أى صار محروما ويش (من أن يعبد المصلون) اختصر
القاضى كلام الشراح وقال عبادة الشيطان عبادة الصنم لانه الأمر به والداعى اليه بدليل قوله
يا أبت لا تعبد الشيطان والمراد بالمصلين المؤمنون كما في قوله عليه الصلاة والسلام نهيتكم عن قتل
المصلين نعموا بذلك لان الصلاة أشرف الاعمال وأظهر الأفعال الدالة على الايمان ومعنى الحديث
آيس من أن يعود أحد من المؤمنين الى عبادة الصنم ويرتد الى شركه (في جزيرة العرب) ولا يرد على
ذلك ارتداد أصحاب مسيعة ومانعى الزكاة وغيرهم ممن ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم لانهم
لم يعبدوا الصنم اه وفيه أن دعوة الشيطان عامة الى أنواع الكفر غير مختص بعبادة الصنم فالاولى
أن يقال المراد ان المصلين لا يجتمعون بين الصلاة وعبادة الشيطان كما فعلته اليهود والنصارى ثم
الجزيرة هي كل أرض حولها الماء فعيلة بمعنى مفعولة من جزر عنها الماء أى ذهب وقد اكتنفت تلك
الجزيرة البحار والانهار كبحر البصرة و عمان و عدن الى بركة بنى اسرائيل التي أهلك الله فرعون
بها و بحر الشام و النيل و دجلة و الفرات أضيفت الى العرب لانها مسكنهم ونقل عن الامام مالك
رضي الله عنه أن جزيرة العرب مكة والمدينة واليمن قيل انما خص جزيرة العرب لان الدين يومئذ لم يتعد
عنها وقيل لانها معدن العبادة ومهبط الوحي (ولكن في التحريش) خبر لمبتدأ محذوف أى هو في
التحريش أو ظرف لمقدر أى يعسى في التحريش (بينهم) أى في اغراء بعضهم على بعض و التحريش
بالشر بين الناس من قتل و خصومة والمعنى لكن الشيطان غير آيس من اغراء المؤمنين وحملهم
على الفتن بل له مطمح في ذلك قيل ولعله صلى الله عليه وسلم أخبر عما يجرى فيما بعده من التحريش
الذى وقع بين أصحابه أى آيس الشيطان أن يعبد فيها لكن طمع في التحريش بين ساكنيها وكان كما
أخبر فكان معجزة له عليه الصلاة والسلام (رواء مسلم) وكذا أحمد و الترمذي

* (الفصل الثاني) * (عن ابن عباس) رضى الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال) أى
الرجل (اني أحدث نفسي) أى أكلمها بالسر يعنى توسوسنى فانه غير اختياري أو معناه أرد عليها
(بالشئ) هو في قوة التكرة معنى وان كان معرفة لفظا لان آل فيه للجنس و الجملة الاسمية بعده دقة
له وهى قوله (لان أكون حممة) بضم ففتح أى فحما (أحب الى من أن أتكلم به) أى بشئى لكونى
حممة أحب الى من التكلم بذلك الشئى من غاية قبحه لتعلقه بالخوض في ذات الله تعالى وما لا يليق به

قال الحمد لله الذى رد أمره الى الوسوسة رواه أبو داود و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة لابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم

سبحانه من تجسم وتشبيه أو تعطيل ونحوها واللام للقسم أو الابتداء وأما قول ابن الملك اللام موطنه للقسم فغير صحيح لانها انما تدخل على أداة الشرط للايذان بان الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لاعلى الشرط ومن ثم تسمى لام المؤذنة وتسمى الموطنه لانها وطأت الجواب للقسم أى مهدته له نحو لئن أخرجا لأخرجون معهم الآية كذا ذكره فى معنى الاسباب (قال عليه الصلاة والسلام (الحمد لله) شكرا لما أنعم عليه وعلى أمته (الذى رد أمره الى الوسوسة) الضمير فيه يحتمل أن يكون للشيطان وان لم يمر له ذكر لدلالة السياق عليه ويحتمل ان يكون للرجل والامر يحتمل أن يكون واحد الاوامر وأن يكون بمعنى الشان يعنى كأن الشيطان يأمر الناس بالكفر قبل هذا واما الآن فلا سبيل اليهم سوى الوسوسة ولا بأس بها مع العلم بانها قبيحة والتعوذ بالله منها أو المعنى الحمد لله الذى رد شان هذا الرجل من الكفر الى الوسوسة وهى مغفوة (رواه أبو داود وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان) أى ابليس أو بعض جنده (لمة) اللمة بالفتح من الامام ومعناه النزول والقرب والاصابة والمراد بها ما يقع فى القلب بواسطة الشيطان أو الملك (بابن آدم) أى بهذا الجنس فالمراد به الانسان (و للملك لمة) قلعة الشيطان تسمى وسوسة و لمة الملك الهاما (فاما لمة الشيطان فايعد بالشر) كالكفر والفسق والظلم (و تكذيب بالحق) أى فى حق الله أو حق الخلق أو بالامر الثابت كالترحم والنبوة والبعث والقيامة والنار والجنة (و اما لمة الملك فايعد بالخير) كالصلاة والصوم (و تصديق بالحق) ككتب الله ورسوله والايعاد فى اللتين من باب الافعال والوعيد فى الاشتقاق كالوعد الا أن الايعاد اختص بالشرعفا يقال أوعد اذا وعد بشر الا أنه استعمله فى الخير للزواج والامن عن الاشتباه بذكر الخير بعده كذا قالوا والظاهر أن هذا التفصيل عند الاطلاق كما قال الشاعر

وانى وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

و اما عند التقييد فالأولى أن يقال بالتجريد فيها أو باصل اللغة واختيار الزيادة لاختيار المبالغة (ومن وجد) أى فى نفسه أو أدرك وعرف (ذلك) أى لمة الملك على تأويل الامام أو المذكور (فليعلم أنه من الله) أى منة جسيمة ونعمة عظيمة واصلة اليه ونازلة عليه اذ أمر الملك بان يلهمه (فليحمد الله) أى على هذه النعمة الجليلة حيث أهله لهداية الملك ودلالته على ذلك الخير تصديقا وتخصيلا ثم معرفة الخواطر والتمييز بينها محل بسطها كتب الصوفية وقد بينها الغزالي فى منهاج العابدين تبيينا لطيفا واتفق المشايخ على أن من كان ما كلفه من الحرام لا يميز بين الوسوسة والالهام بل قال الدقاق من كان قوته معلوما أى بان لم يتوكل على الله حق توكله لا يفرق بينهما ثم الالهام وان كان غير معتبر فى حق الاحكام لكنه معتبر فى معرفة وساوس النفس ومكاييد الشيطان و انما قدمها هنا وأخرها أولا لان لمة الشيطان شر والابتلاء بها أكثر فكانت الحاجة بيانها أمس ولما فرغ منه قدم لمة الملك تعظيما لسانها واشعارا بان رحمته سبقت غضبه (ومن وجد الاخرى) أى لمة الشيطان (فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وليخالفه وفيه ايماء الى أن الكل من الله تعالى و انما الشيطان عبد مسخر أعطى له التسليط على بعض افراد الانسان كما قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان

ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء رواه الترمذی وقال هذا حديث غريب وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك قتلوا الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم ليتقل عن يساره ثلاثا وليستعد بالله من الشيطان الرجيم رواه أبو داود وسنذكر حديث عمر وبن الاحوص في باب خطبة يوم النحر ان شاء الله تعالى * (الفصل الثالث) * عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا خلق كل شئ

وانما لم يقل هنا فلعلهم انه من الله تأديبا معه اذ لا يضاف اليه الا الخير (ثم قرأ) صلى الله عليه وسلم استشهدا (الشيطان يعدكم الفقر) أى يخوفكم به (و يأمركم بالفحشاء) أى بالبخل والحرص وسائر المعاصي فان حب الدنيا رأس كل خطيئة أو معناه الشيطان يعدكم الفقر ليعنكم عن الاتفاق في وجوه الخيرات ويخوفكم الحاجة لكم اولادكم في ثانی الحال سيما في كبر السن وكثرة العيال ويأمركم بالفحشاء أى المعاصي وهذا الوعد والامرهما المرادان بالشر في الحديث وتتمة الآية (والله يعدكم مغفرة) أى لذنوبكم على الصبر في الفقر والطاعة (منه) أى من عنده عدلا (وفضلا) أى يعدكم زيادة الخير على المغفرة و ثواب الطاعة بالضعاف المضاعفة أو خلفا في الدنيا و عواض في العقبى (والله واسع عليم) تذييل للكلام السابق اشارة الى سعة مغفرته ورحمته ووفور علمه باحوال العباد ومصالحهم (رواه الترمذی وقال هذا حديث غريب) و تعريف الغرابة و تفصيلها متنا و استنادا مذکور في اصول الحديث (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الناس يتساءلون) أى لا ينتظعون عن سؤال بعضهم بعضا في أشياء (حتى يقال هذا خلق الله الخلق) مر البيان فيه (فمن خلق الله) فلما جر كثرة السؤال الى الجرأة على الملك المتعال نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كثرة السؤال و عن قبل و قال أو المراد بالسؤال حكاية النفس و حديثها و وسوستها و هذا هو الظاهر من النقل و الاستعاذة و يؤيد الاول قوله (فاذا قالوا ذلك قتلوا الله أحد) يعنى قولوا في رد هذه المقالة أو الوسوسة الله تعالى ليس مخلوقا بل هو أحد و الأحد هو الذى لاثنى له في الذات و لا في الصفات (الله الصمد) المرجح في الحواج المستغنى عن كل أحد (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) تقدم (ثم لينقل) بسكون اللام الاولى و يكسر و بضم الفاء و يكسر أى ليصق أحدكم أو هذا الرجل يعنى الموسوس (عن يساره) كرامة للبعين وقيل اللمة الشيطانية عن يسار القلب و الرحمانية عن يمينه (ثلاثا) أى ليلق البزاق من القم ثلاث مرات و هو عبارة عن كراهة الشئ و النفور عنه كمن يجد جيفة و التكرار مراعاة للشيطان و تبعيد له لينفر منه و يعلم أنه لا يطيعه فيه و يكره الكلام المذکور منه (و ليستعد) ضبط بالوجهين (بالله من الشيطان الرجيم) و الاستعاذة طلب المعاونة على دفع الشيطان (رواه أبو داود وسنذكر حديث عمر و بن الاحوص) ألا لا يئبني جان الا على نفسه (في باب خطبة يوم النحر ان شاء الله تعالى)

* (الفصل الثالث) * (عن انس) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يبرح الناس) أى لن يزالوا و لن ينقطعوا و افادته الاثبات لانه كزال يفيد معنى النفي و اذا دخل عليه نفي آخر أثبتته لان نفي النفي اثبات (يتساءلون) أى متسائلين يسأل بعضهم بعضا أو تحدثهم أنفسهم بالوسوسة (حتى يقولوا هذا الله) مبتدأ و خبره (خائق كل شئ) استئناف أو حال وقد مقدره و العامل معنى اسم الاشارة أو هذا مبتدأ و الله عطف بيان وخلق كل شئ خبره كذا قاله الطيبي و الثاني هو الظاهر

فمن خلق الله عزوجل ورواه البخاري و لمسلم قال قال الله عزوجل ان امتك لا يزالون يقولون ما كذا ما كذا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله عزوجل و عن عثمان بن ابي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني و بين صلاتي و بين قراءتي يلبسها على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه و اتفل على يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فاذهب الله عني رواء مسلم و عن القاسم بن محمد

(فمن خلق الله عزوجل) قاسوا القديم على الحادث فانه يحتاج الى محدث و يتسلسل الى ان ينتهي الى خالق قديم واجب الوجود لذاته و محل تحقيق هذا المرام كتب الكلام (رواه البخاري و لمسلم قال) اى النبى صلى الله عليه وسلم (قال الله عزوجل) فيكون الحديث قدسيا (ان امتك) اى امة الدعوة او بعض امة الاجابة بطريق الجهالة او الوسوسة من الامور العامة (لا يزالون يقولون) اى بعضهم لبعض او في خواطرهم من غير اختيارهم (ما كذا ما كذا) كناية عن كثرة السؤال و قيل و قال اى ما شأنه و من خلقه (حتى يقولوا) اى حتى يتجاوزوا الحد تعالى لنيبه عليه الصلاة والسلام بما سيق من امته ليحذرهم منه (و عن عثمان بن ابي العاص) هو الثقفى استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على الطائف فلم يزل عليها حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم و خلافة ابي بكر و سنتين من خلافة عمر ثم عزله عمر و ولاه عمان و البحرين و كان وقد على النبى صلى الله عليه وسلم في وفد ثقف و هو احد ثم سنوا له تسع و عشرون سنة و ذلك سنة عشر و سكن البصرة و مات بها سنة احدى و خمسين و لما مات النبى صلى الله عليه وسلم و عزمت ثقف على الردة قال لهم يا معشر ثقف كنتم آخر الناس اسلاما فلا تكونوا اول الناس ردة فامتنعوا عن الردة و روى عنه جماعة من التابعين رضى الله عنه (قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني و بين صلاتي و بين قراءتي) اى يمنعني من الدخول في الصلاة او من الشروع في القراءة بدليل تثايت التفل و ان كان في الصلاة و ليفتل ثلاث مرات غير متواليات و يمكن حمل التفل و التعوذ على ما بعد الصلاة و المعنى جعل بيني و بين كمالهما حاجزا من وسوسة المانعة من روح العبادة و سرها و هو الخشوع و الخضوع (يلبسها على) بالتشديد للمبالغة و في نسخة صحيحة ظاهرة بفتح اوله و كسر ثالثة اى يخالطني و يشككني فيها اى في الصلاة او القراءة او كل واحدة و الجملة بيان لقوله حال و ما يتصل به (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم نون ساكنة ثم زاي مكسورة او مفتوحة كذا في النسخ المصححة و هو من الاوزان الرباعية كزبرج و درهم و يقال ايضا بفتح الخاء و الزاي حكاة القاضى عياض و نظيره جعفر و يقال ايضا بضم الخاء و فتح الزاي على ما في النهاية قال ابن حجر و يصح فتح الخاء مع ضم الزاي و فيه انه لم يوجد هذا الوزن في الرباعي المجرد و ليس في النسخ المصححة و هو في اللغة الجريء على الفجور على ما يفهم من القاموس (فاذا احسسته) اى ادركته و علمته (فتعوذ بالله منه) فانه لا خلاص من وسوسته الا بحول الله و قوته و حفظه و معونته (و اتفل) بضم الفاء و يكسر (على يسارك) اى عن يسارك كما في نسخة اشارة الى التنفر و التباعد عن الوسوسة التي تجر الى كتابة صاحب اليسار او الى طريقة اصحاب الشمال (ثلاثا) اى ثلاث مرات لزيادة المبالغة في المبالغة (ففعلت ذلك) اى ما ذكر من التعوذ و التفل (فاذهب الله) اى الوسواس (عني) ببركته عليه الصلاة والسلام (رواه مسلم و عن القاسم بن محمد) اى ابن ابي بكر

أن رجلا سأله فقال اني أهم في صلاتي فيكبر ذلك على فقال له امض في صلاتك فانه لن يذهب ذلك عنك حتى تنصرف و أنت تقول ما أتمت صلاتي رواه مالك
 * (باب الايمان بالقدر) * * (الفصل الاول) * عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض

الصديق أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالمدينة من أكبر التابعين وكان أفضل أهل زمانه قال يحيى بن سعيد ما أدر كنا بالمدينة أحدا نفضله على القاسم بن مهدي روى عن جماعة من الصحابة منهم عائشة ومعاوية وعنه خلق كثير مات سنة احدى ومائة وله سبعون سنة (ان رجلا سأله فقال اني أهم) بكسر الهاء وتخفيف الميم (في صلاتي) يقال وهمت في الشئ بالفتح أهم وهما اذا ذهب وهما اليه و أنت تريد غيره ويقال وهمت في الحساب أوهم وهما اذا غلظت فيه وسهوت (فيكبر) بالموحدة المضمومة أى يعظم (ذلك) أى الوهم (على) وروى بالمثلثة من الكثرة أى يقع كثيرا هذا الوهم على (فقال له امض في صلاتك) سواء كانت الوسوسة خارج الصلاة أو داخلها ولانلقت الى مواعها (فانه لن يذهب ذلك عنك) فانه ضمير للشان والجملة تفسير له وذلك اشارة الى الوهم المعنى به الوسوسة والمعنى لا يذهب عنك تلك الخطرات الشيطانية (حتى تنصرف) أى تفرغ من الصلاة (و أنت تقول) للشيطان صدقت (ما أتمت صلاتي) لكن ما أقبل قولك ولا أتتها ارغا ما لك وتقضا لما أردته منى وهذا أصل عظيم لدفع الوسواس وقمع هواجس الشيطان فى سائر الطاعات والحاصل ان الخلاص من الشيطان انما هو بعبود الرحمن والاعتصام بظواهر الشريعة وعدم الالتفات الى الخطرات والوسواس الذميمة والاحول والاقوة الابالله العلى العظيم (رواه مالك) * (باب الايمان بالقدر) *

هذا نوع تخصيص بعد تعميم أو ذكر جزئى بعد الكلى اهتماما به واعتناء باتصافه لما وقع فيه من الاختلاف الناشئ عن التحير في هذا الامر الذى هو عظيم الشأن بين أهل الايمان والقدر بالفتح وتسكن ما يقدره الله تعالى من التضايق قال في شرح السنة الايمان بالقدر فرض لازم وهو ان يعتقد ان الله تعالى خالق أعمال العباد خيرا وشرها و كتبها فى اللوح المحفوظ قبل ان خلقهم والكل بقضائه وقدره و ارادته ومشيئته غير أنه يرضى الايمان والطاعة و وعد عليهما الثواب ولا يرضى الكفر والمعصية و أوعد عليهما العقاب والقدر سر من اسرار الله تعالى لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل بل يجب أن يعتقد ان الله تعالى خلق الخلق فجعلهم فرقتين فرقة خلقهم للنعيم فضلا وفرقة للجهنم عدلا وسأل رجل على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال أخبرنى عن القدر قال طريق مظلم لا تسلكه و أعاد السؤال فقال بجر عميق لا تلج فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه والله در من قال

تبارك من أجرى الامور بحكمه * كما شاء لا ظلما آزاد و لا هضمنا

فمالك شئ غير ما الله شاءه * فان شئت طب نفسا وان شئت شئت كظما

* (الفصل الاول) * (عن عبدالله بن عمرو) رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلائق) جمع مقدارو هو الشئ الذى يعرف به قدر الشئ و كميته كالمكيال والميزان وقد يستعمل بمعنى القدر نفسه وهو الكمية والكيفية (قبل أن يخلق السموات والارض) ومعنى كتب الله أجرى الله القلم على اللوح المحفوظ بايجاد ما بينهما من التعلق و أثبت فيه مقادير

بخمسين ألف سنة قال وكان عرشه على الماء رواه مسلم و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس

الخلق ما كان وما هو كائن الى الابد على وفق ما تعلق به ارادته اذلا كائبات الكاتب ما في ذهنه بقلعه على لوحه و قيل أمر الله القلم أن يثبت في اللوح ما سيوجد من الخلاق ذاتا و صفة و فعلا و خيرا و شرًا على ما تعلق به ارادته و حكمة ذلك اطلاع الملائكة على ما سيقع ليزدادوا بوقوعه ايمانا و تصديقا و يعلموا من يستحق المدح و الذم فيعرفوا لكل مرتبته أو قدره و عين مقاديرهم تعيينا لا يتأتى خلافه بالنسبة لما في علمه القديم المعبر عنه بأمر الكتاب أو معلقا كان يكتب في اللوح المحفوظ فلان يعيش عشرين سنة ان حج و خمسة عشر ان لم يحج و هذا هو الذي يقبل المحو و الاثبات المذكورين في قوله تعالى يمحو الله ما يشاء و يبث و عنده أم الكتاب أى التى لا محو فيها و لا اثبات فلا يقع فيها الا ما يوافق ما أبرم فيها كذا ذكره ابن حجر و في كلامه خفاء اذ المعلق و المبرم كل منهما مثبت في اللوح غير قابل للمحو نعم المعلق في الحقيقة مبرم بالنسبة الى علمه تعالى فتغيره بالمحو انما هو من التردد الواقع في اللوح الى تحقيق الامر المبرم المبهم الذى هو معلوم في أم الكتاب أو محو أحد الشقين الذى ليس في علمه تعالى فتأمل فانه دقيق و بالتحقيق حقيق (و قوله بخمسين ألف سنة) معناه طول الامد ما بين التقدير و الخلق من المدد أو تقديره ببرهة من الدهر الذى يوم منه كالف سنة مما تعدون و هو الزمان أو من الزمان نفسه فان قلت كيف يحمل على الزمان و لم يخلق الزمان و لا ما يتحدد به من الايام و الشهور و السنين قلت يحمل الزمان حينئذ على مقدار حركة الفلك الاعظم الذى هو العرش و هو موجود حينئذ بدليل أنه (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (و عرشه على الماء) و في المصاييح و كان عرشه على الماء يعنى كان عرش الله قبل أن يخلق السموات و الارض على وجه الماء و الماء على متن الريح و الريح على القدرة و هذا يدل على ان العرش و الماء كانا مخلوقين قبل خلقهما و قيل ذلك الماء هو القلم و قيل فيه دليل لمن زعم أن أول ما خلق الله في العالم الماء و انما أوجد سائر الاجسام منه تارة بالتلطيف و تارة بالتكثيف قال ابن حجر اختلف الروايات في أول المخلوقات و حاصلها كما بينتها في شرح شمائل الترمذى ان أولها النور الذى خلق منه عليه الصلاة والسلام ثم الماء ثم العرش (رواه مسلم و عن ابن عمر) رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر) بفتح الدال أى بمقدار مرتب مكتوب في اللوح المحفوظ قبل أن يوجد في الخارج على حسب ما اقتضته الحكمة (حتى العجز و الكيس) بفتح الكاف روى برقمها عطفًا على كل أو على انه مبتدأ حذف خبره أى حتى العجز و الكيس كذلك أى كائنان بقدر الله تعالى و بحرهما عطفًا على شئ قيل و الاوجه أن يكون حتى هنا جارة بمعنى الى لان معنى الحديث يقتضى الغاية لانه أراد بذلك ان اكتساب العباد و افعالهم كلها بتقدير خالقهم حتى الكيس الذى يتوسل صاحبه به الى البغية و العجز الذى يتأخر به عنها و قيل المراد من العجز هنا عدم القدرة أو ترك ما يجب فعله و التسويف به و التأخير عن وقته أو العجز عن الطاعة و الكيس ضد العجز و هو النشاط و الحذق بالامور و معناه ان العاجز قد قدر عجزه و الكيس قد قدر كئسه و قيل الكيس هو كمال العقل و شدة معرفة الامور و تمييز ما فيه النفع مما فيه الضر و العجز مقابله و قيل قول الكيس بالعجز على المعنى لان المقابل الحقيقى للكيس البلادة و للعجز القوة و فائدة هذا الاسلوب تقييد كل من اللفظين بما يقابل الآخر كانه قيل حتى الكيس و التوبة و العجز و البلادة من قدر الله تعالى فهو رد على من أثبت القدرة و الاختيار للعباد لان مصدر الفعل الداعية و منشؤها

رواه مسلم و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم و موسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و أسجد لك ملائكته و أسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك الى الارض

القلب الموصوف بالكياسة و البلادة ثم القوة و الضعف و مآكلها الأعضاء و الجوارح و اذا كان الكلب يقضاه الله و قدره فأى شئ يخرج منهما و قال التوربشتى الكيس جودة القريحة و انما قوبل بالعجز لانه الخصلة التي تقضى بصاحبها الى الجلادة و اتيان الامور من أبوابها و ذلك نقض العجز و العجز هنا عدم القدرة و قال المظهر يعنى ان من كان عاجزا و ضعيفا في الجنة أو الرأى و التمييز أو ناقص الخلقة لا تعيره فان ذلك بتقدير الله تعالى و خلقه اياه على هذه الصفة و من كان كامل العقل بصيرا بالامور تام الجنة فهو أيضا بتقدير الله تعالى و ليس ذلك بتوته و قدرته فانه لاجل ولاقوة الابا لله قيل الوجه ما ذكره التوربشتى (رواه مسلم) و كذا أحمد (و عن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج) أى تحتاج (آدم و موسى) أى طلب كل منهما الحججة من صاحبه على ما يقول قيل هذه المعاجة كانت روحانية في عالم الغيب و يؤيده قوله (عند ربهما) أى عند تجليه تعالى عليهما حال تفاوضهما و يجوز أن تكون جسمانية بأن أحياهما أو أحيا آدم في حياة موسى و اجتماعا في حضائر القدس كما ثبت في حديث الاسراء أنه عليه الصلاة والسلام اجتمع مع الانبياء أو لان الانبياء أحياهم في قبورهم يصلون (فحج آدم موسى) أى غلبه في الحججة بأن ألزمه بأنه لم يكن مستقلا فيما صدر عنه متمكنا من تركه بل كان أمرا مقضيا فاللوم بعد زوال التكليف و التوبة و العفو عنه لاسيما ممن شاهد سرالله من وراء الاستار في التدر المحتوم مما لا يحسن عقلا و أما ما ترتب عليه شرعا من الحدود و التعزيز فحسنة من الشارع لا يتوقف على غرض و ان كان فيه فائدة (قال موسى) الخ جملة مبينة لمعنى ما قبلها (أنت آدم الذى خلقك الله بيده) أى قدرته خصه بالذكر اكراما و تشريفا له و أنه خلق ابداعا من غير و اسطة أب و أم و التياس خلقه ليعود الضمير على الموصول حتى يصح و قوع الجملة صلة فالفتت تلذذا يخاطب الاب العائز لهذا الشرف الاكبر كذا قيل و الاظهر أنه لغة كقول على رضى الله عنه * أنا الذى سمى أمى حيدره * (و نفخ فيك من روحه) الاضافة للشريف و التخصيص أى من الروح الذى هو مخلوق و لا يدل لاحد فيه و لا يخفى ما في الحديث من الاشارة الى ما في القرآن (و أسجد لك ملائكته) أى أمرهم أن يسجدوا لك أو اليك تعظيما قال ابن عباس كان سجودهم له انحاء لاخروا على الذنق و قال ابن مسعود أمروا بأن يأتوا به فسجد و سجدوا لله فالتقدير أمرهم بأن يسجدوا لله لاجل سجودك اياه أو اللام للتوقيت و قال أبى بن كعب خضعوا له و أقروا بفضلهم فالسجدة لغوية بمعنى الانقياد (و أسكنك) أى جعلك ساكنا أو جعل لك سكنى (في جنته) الخاصة به و فيه رد لفظا و معنى على المعتزلة حيث قالوا في بستان من بساتين الدنيا (ثم أهبطت الناس بخطيئتك) أى التي صدرت منك غير لائمة بعلومناك و هى أكلك من الشجرة و ان كان نيرانا أو خطأ في الاجتهاد لان الكمل يعاتبون و يؤاخذون بما لا يؤاخذ به غيرهم فان حسنات الابرار سيئات العقرين أى صرت سببا لاهباطهم و النزاهم و اسقاطهم فانهم و ان لم يكونوا موجودين لكنهم كانوا على شرف الوجود فكأنه جعلهم مهبطين منها (الى الارض) متعلق بأهبطت يعنى ان الله تعالى أنعم عليك بهذه النعم الجليلة و أنت عصيته بأكل الشجرة حتى أخرجت من الجنة بسببها و بقى اولادك في دار المشقة و البلوى و الابتلاء من الله تعالى بالفقر و المرض و غير ذلك و لو استمروا في الجنة لم يحصل لهم

قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته و بكلامه أعطاك الألواح فيها تبيان كل شئى و قرىبك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها نعى آدم ربه ففوى قال نعم قال أفتلومنى على ان عملت عملا كتبه الله على ان أعمله قبل ان يخلقنى بأربعين سنة

شئى من ذلك بل كانوا في غاية من النعيم الذى لا نعيم فوقه و ليس في هذا ما يخجل بالأدب مع الاب لان مقام الاحتجاج يسمع فيه بمثل ذلك (قال آدم أنت موسى الذى اصطفاك) أى اختارك (الله برسالاته) بالجمع لارادة الانواع أو بالأفراد لارادة الجنس كما قرئ بالوجهين في قوله تعالى يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى و بكلامى و الجمهور على الجمع و ليس فيه ما ينفي رسالة آدم لان كلا ذكر ما هو الاشراف من صفات صاحبه و تخصيص الشئى بالذكر لا ينفي ما عده مع أنه يمكن أن يكون المراد اصطفاه بالجمع بين الرسالة و التكليم و اختص بذلك لانه لم يسمع كلام الله القديم أحد في الارض غيره و فيه تلميح الى قوله تعالى و كلم الله موسى تكليما (و بكلامه) أى بتكليمه اياك (و أعطاك الألواح) و هى ألواح التوراة (فيها تبيان كل شئى) أى بيانه على وجه المبالغة لان زيادة الحرف تدل على زيادة المعنى و الجملة استثنائية مبنية أو صفة أى الألواح التى فيها اظهار كل شئى مما يحتاج اليه في أمرا الدين من الأخبار بالغيوب و القصص و المواعظ و العقائد و الحلال و الحرام و الحدود و الاحكام و غير ذلك و هذا مستمد من قوله تعالى و كتبنا له فى الألواح من كل شئى موعظة و تفصيلا لكل شئى (و قرىبك نجيا) النجى المناجى يستوى فيه الواحد و الجمع و هو من يجرى بينك و بينه كلام في السراى و كلمك الله من غير واسطة ملك أو المعنى و خصك بالنجوى كما قال تعالى و ناديتاه من جانب الطور الايمن و قربناه نجيا حال من الفاعل أو المقول (فبكم) محيظه محذوف أى فبكم زمانا أو فباى زمان (وجدت الله) أى علمته أو صادفت حكمه (كتب التوراة) أى أمر بكتب التوراة فى الألواح لما سبق أن ما فى اللوح المحفوظ كتب قبل ذلك بخمسين ألف سنة (قبل ان أخلق) على صيغة المجهول (قال موسى بأربعين عاما) المراد منه التحديد أو التأكيد (قال آدم فهل وجدت فيها) أى فى التوراة و قرأت و علمت مضمون قوله تعالى (و عصى آدم ربه) أى بمخالفة أمره (ففوى) أى فخرج بالعصيان من أن يكون رائدا في فعله و ليس المراد أن لفظه بهذا التركيب بل معناه بالعبرية قال ابن حجر و هذا منه في غاية التواضع لله و ادعان لما جاء عن الله و له تعالى أن يخاطب عبده و يصفهم بما يشاء اذ المعصية و الغواية يطلقان على مطلق المخالفة ولو مع النسيان كما هنا فان آدم لم يعتمد الاكل من الشجرة المنهى عنها بل تأول أو نسى قال تعالى و لقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى و مع ذلك وصفه ربه بأنه عصى و غوى اقامة لناسوس الربوبية عليه لا ليتأسى به الناس في وصفه بذلك لعصاة الانبياء من الكبار و الصغائر قبل النبوة و بعدها فلم يوصف بذلك في غير القرآن لانه يوهم العامة و وقوع معصية منه عليه الصلاة و السلام (قال) أى موسى (نعم قال) أى آدم (أفتلومنى) أى أتجدد فى التوراة هذا فتلومنى (على أن عملت عملا كتبه الله على) أى فى الألواح (أن أعمله) بدل من ضمير كتبه المنصوب (قبل أن يخلقنى بأربعين سنة) قال التوربشتى ليس معنى قول آدم كتبه الله على أن أزمه اياى و أوجهه على فلم يكن لي في تناول الشجرة كسب و اختيار و انما المعنى ان الله تعالى أنبته في أم الكتاب قبل كوفى و حكم بأنه كائن لا محالة فهل يمكن أن يصدر عنى خلاف علم الله تعالى فكيف تغفل عن العلم السابق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففج آدم موسى رواه مسلم و عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما

و تذكر الكسب الذي هو السبب و تنسى الاصل الذي هو القدر و أنت من اصطفاك الله و من المصطفين الذين يشاهدون سر الله من وراء الستر و اعلم أن هذه القصة تشتمل على معان محررة لدعوى آدم عليه الصلاة والسلام مقررة لوجهتها منها أن هذه المحااجة لم تكن في عالم الاسباب الذي لم يجوز فيه قطع النظر عن الوسائط و الاكتساب بل في عالم العلوى عند ملتقى الارواح و منها أن آدم عليه الصلاة والسلام احتج بذلك بعد اندفاع مواجب الكسب منه و ارتفاع أحكام التكليف عنه و منها أن اللائمة كانت بعد سقوط الذنب و موجب المغفرة قبل مذهب أهل الجبر أثبات التقدير لله تعالى و نفى القدرة عن العبد أصلا و المعتزلة على خلافه و كلاهما على شرف جرف هار و الطريق المستقيم القصد بين الأمرين كما هو مذهب أهل السنة اذ لا يجوز اسقاط الاصل الذي هو القدر و لا ابطال الكسب الذي هو السبب (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففج آدم موسى) لا متناع رد علم الله في حقه حيث أخبر به عنه انه انما خلقه للارض و أنه لا يتركة في الجنة بل انه ينقله منها الى الارض ليكون خليفته تعالى فيها قال الطيبي اعادته فذلكة للتفصيل تبيينا للانفس على هذا الاعتقاد و يحتمل أن يقال ان قوله ففج أولا تحرير للدعوى و ثانيا اثبات لها فالفاء في الاول للعطف و في الاخير للنتيجة اه و هما متغايران في المعنى (رواه مسلم و عن ابن مسعود) رضى الله عنه (قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو الصادق المصدوق) الاولى أن تجعل هذه الجملة اعتراضية لا حالية لتم الاحوال كلها و أن يكون من عادته ذلك فما أسن موقعه ههنا ومعناه الصادق في جميع أفعاله حتى قبل النبوة لما كان مشورا فيما بينهم بمحمد الأمين المصدوق في جميع ما أتاه من الوحي الكريم صدقه زيد راست كفت با و زيد قال النبي صلى الله عليه وسلم في أبي العاص بن الربيع فصدقتى و قال في حديث أبى هريرة صدك و هو كذوب و قال على رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأعمك سل الجارية تصدتك و نظائره كثيرة كذا قال السيد جمال الدين وفيه رد على ما قيل ان الجمع بينهما تأكيد اذ يلزم من أحدهما الآخر اللهم الا أن يخض به (ان خلق أحدكم) بكسر الهمزة فتكون من جملة التحديث و يجوز فتحها أى مادة خلق أحدكم أو ما يخلق منه أحدكم (يجمع في بطن أمه) أى يقرر و يحرز في رحمها و قال في النهاية و يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم (أربعين يوما) يتخمر فيها حتى يتبين للخلق قال الطيبي و قد روى عن ابن مسعود في تفسير هذا الحديث ان النطفة اذا وقعت في الرحم فأراد الله أن يخلق منها بشرا طارت في بشرة المرأة تحت كل ظفر و شعر ثم تمكث أربعين ليلة ثم تنزل دما في الرحم فذلك جمعها و الصحابة أعلم الناس بتفسير ما سمعوه و أحقهم بتأويله و أكثرهم احتياطا فليس لمن بعدهم أن يرد عليهم قال ابن حجر و الحديث رواه ابن أبى حاتم و غيره و صرح بتفسير الجمع بمعنى آخر وهو ما تضمنته قوله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اذا أراد خلق عبد فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق و عضو منها فاذا كان يوم السابع جمعه الله ثم أحضره كل عرق له دون آدم في أى صورة ماشاء و ركيب و يشهد لهذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام لمن قال له ولدت امرأتى غلاما أسود لعله نزع عرق و أصل النطفة الماء القليل سمى بها الحى لقلته و قيل لظنائه أى سيلانه لانه ينظف نطفة أى يسبل قال الصوفية خصوصية الأربعين لمواقته تخمير طينة آدم و ميقات موسى ثم انه يعجن النطفة بتراب قبره

نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغه مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا

كما ورد في تفسير قوله تعالى منها خلقناكم ان الملك يأخذ من تراب مدفنه فيبدها على النطفة ولكونه سلالة من الطين جاء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف اجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين فيه حرص النملة والفارة وشهوة العصفور وغضب الفهد وكبر النمر وبغل الكلب وشره الخنزير وحقن الحية وغير ذلك من ذمائم الصفات وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء الكلب وبكور الغراب وهمة البازي ونحوها من محاسن الاخلاق (نطفة) حال من فاعل يجمع (ثم يكون) أى خلق أحدكم (علقه) أى دما غليظا جامدا قال ابن حجر أى ثم عقب هذه الاربعين يكون في ذلك المحل الذى اجتمعت فيه النطفة علقه والظاهر أن قوله يكون بمعنى يصير والضمير الى ما جمع في بطن أمه نطفة وقيل يصير خلقه علقه لانها اذا ذاك تعلق بالرحم اه وفيه أنه يلزم منه أن الصيرورة في اربعين وليس كذلك فالظاهر أن يقدر و يبقى أو يمكث (مثل ذلك) اشارة الى محذوف أى مثل ذلك الزمان يعنى اربعين يوما (ثم يكون مضغه) أى قطعة لحم قدر ما يمضغ (مثل ذلك) و يظهر التصوير في هذه الاربعين قال المظهر في هذا التحويل مع قدرته على خلقه في لمحة فوائده وعبر منها أنه لو خلقه دفعة لشق على الام لعدم اعتيادها وربما تظن علة فجعل أولا نطفة لتعتاد بها مدة وهكذا الى الولادة ومنها اظفار قدرته ونعمته ليعبدها ويشكروه حيث قلبهم من تلك الاطوار الى كونهم انسانا حسن الصورة متحليا بالعقل والشهامة ومنها ارشاد الناس وتبهيهم على كمال قدرته على الحشر لان من قدر على خلق الانسان من ماء مهين ثم من علقه ثم من مضغه هبة لنتفخ الروح فيه يقدر على حشره ونفخ الروح فيه قتل ومنها بل أظهرها تعليم العباد في تدريج الامور وعدم تعجيلهم فيها فانه تعالى مع كمال قدرته وقوته على خلقه دفعة حيث خلقه مدرجا فان الانسان اولى به التانى في فعله كما قالوا مثل هذا في قوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة ايام تحصلت المطابقة والمناسبة والمواقة بين الآيات الآفاقية والدلالات الانفسية قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ومنها تبهيهم وتفهمهم أصلهم وفرعهم فلا يعتروا بقوة أبدانهم وأعضائهم وحواسم ويعرفوا أنها كلها عطايا وهدايا بل على وجه العارية موجودة عندهم لينظروا في مبدئهم كما قال تعالى فليظنر الانسان مم خلق وفي الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه (ثم يبعث الله اليه) أى الى خلق أحدكم أو الى أحدكم يعنى في الطور الرابع حين ما يتكامل بنيانه ويتشكل أعضاؤه (ملكا) وفي الاربعين ثم يرسل اليه الملك والمراد بالارسل أمره بها ويتصرف فيها لانه ثبت في الصحيحين انه موكل بالرحم حين كان نطفة أو ذاك ملك آخر غير ملك الحفظ فان قلت قد ورد في صحيح مسلم برواية حذيفة بن أسيد خلاف ابن مسعود كما في المشارق انه اذا امر بالنطفة ثنتان و اربعون ليلة يبعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظامها ثم يقول يا رب اذكرا أم أنثى فيقتضى ربه ما شاء ثم يكتب أجله ورزقه فعلم منه أن التصوير بعد الاربعين الاولى وهو مناف لهذه الرواية فجاوبه أن لتصرف الملك أو قاتا أحدها حين يكون نطفة ثم ينقلب علقه وهو أول علم الملك بأنه ولد وذلك عقيب الاربعين الاولى و حينئذ يبعث اليه ربه يكتب رزقه وأجله وعمله وخلقته وصورته ثم يتصرف فيه بتصويره وخلق أعضائه وذلك في الاربعين الثالثة ثم ينفخ فيه الروح فالمراد بتصويرها بعده أنه يكتب ذلك ثم يفعله في وقت آخر لان التصوير الاول بعد الاربعين الاولى

بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أو سعيد

غير موجود عادة كذا في شرح مسلم ولا يخفى ما فيه وقد استفاض بين النساء ان النطفة اذا قدرت ذكرا تصور بعد الاربعين الاولى بحيث يشاهد منه كل شئ حتى السواة فتحمل رواية ابن مسعود على البنات أو الغالب (بأربع كلمات) أى بكتابتها وكل قضية تسمى كلمة قولاً كان أو فعلاً (فيكتب عمله) من الخير والشر (وأجله) مدة حياته أو انتهاء عمره (ورزقه) يعنى أنه قليل أو كثير وغيرهما مما ينتفع به حلالاً كان أو حراماً ما كولا أو غيره فيعين له و ينتش فيه بعد أن كانت مكتوبة في اللوح المحفوظ ما يليق به من الاعمال والاعمار والارزاق حسب ما اقتضته حكمته وسبقت كلمته فمن وجده مستعداً لقبول الحق واتباعه ورآه أهلاً للخير وأسباب الصلاح متوجهاً اليه أثبتته في عداد السعداء ومن وجده متجافياً قاسى القلب متأبياً عن الحق أثبتته في ديوان الأشقياء وكتب ما يتوقع منه من الشرور والمعاصي هذا اذا لم يعلم من حاله ما يقتضى تغيير ذلك وان علم من ذلك شيئاً كتب له أوائل أمره وأواخره وحكم عليه حسب ما يجتبه به عمله فان ملاك العمل خواتيمه وهو الذى يسبق اليه الكتاب فيعمل بأهل الجنة والنار وقيل المراد بكتبه هذه الاشياء اظهاره للملك والاقضاؤه سابق على ذلك قال مجاهد يكتب هذه الكلمات في ورقة وتعلق في عنقه بحيث لا يراها الناس قال تعالى وكل انسان الزمناه طائرته في عنقه قال أهل المعاني أراد بالطائر ما قضى عليه أنه عامله وهو صائر اليه من سعادة أو شقاوة وخص العنق لانه موضع الفلادة والاطواق قلت وهو كناية عن الذمة فكان هذه الاشياء في ذمته أن يفعلها ولا يقدر أن ينفك عنها وقيل يؤمر بكتابة الاحكام المقدرة له على جهته أو بطن كفه واعلم أن الكتابة التي في أم الكتاب تعم الاشياء كلها وهذا ما يخص به كل انسان اذ لكل كتابة سابقة وهي ما في اللوح ولاحقة تكتب ليلة القدر ومتوسطة أشير اليها في الحديث وفي أصل الاربعين يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد وهو يدل كل من قوله أربع اذ المضاف مقدر فيه ويروى يكتب على الاستئناف (وشقى) خبر مبتدا محذوف أى يكتب هو شقى (أو سعيد) قيل كان من حق الظاهر أن يقال ويكتب سعادته وشقاوته فعدل اما حكاية لصورة ما يكتبه الملك لانه يكتب أشقى أو سعيد والتقدير أنه شقى أو سعيد فعدل لان الكلام سوق اليهما والتفصيل وهو قوله فوالذى الخ وارد عليهما والسعادة معاونة الامور الالهية للانسان على نيل الخيرات وتضادها الشقاوة وهي اما قلبية أو يدنية أو ماحول البدن فالقلبية هي المعارف والحكم والكمالات العلمية والعملية القلبية والخلقية والبدنية الصحة والقوة والذات الجسمانية وماحول البدن من الاموال والاسباب وقدم الشقاوة ليعلم أن الشر كالخير من عند الله وتقديره ردا على السوية المشبتين شريكاً فاعلا للشر لانهم طلبوا الحكمة في أنفعا لله فقالوا مدير العالم لو كان واحداً لم يخص هذا بأنواع الخيرات والصحة والغنى وذلك بأصناف الشرور فرد عليهم الرب بقوله لايسئل عما يفعل وما أحسن قول الشاعر

كم من أديب فهم قابه * مستكمل العقل مقل عديم
وكم جهول مكثر ماله * ذلك تقدير العزيز العليم

وتحقيق هذا المقام أن يقال ان لله صفتى لطف وقهر والحكمة تقتضى أن يكون الملك سيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من أوصاف الكمال ولايقوم أحدهما مقام الآخر ولايتحقق كل منهما الا بوجود الآخر كما لاتتبين البذة الا بالالم وبضدها تتبين الاشياء ولايد لكل منهما من مظهر السعداء وأعمالهم مظاهر اللطف وفائدة بعثة الانبياء والكتب ترجع اليهم انما أتت منذر من غشاها

ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لاله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها

كما أن فائدة نور الشمس لاهل البصر والاشقياء وأفعالهم مظاهر القهر وفائدة البعثة لهم الزمام العجبة لتلايكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهي في الحقيقة نعم عليهم بالشقاوة (ثم ينفخ) على البناء للمجهول وقيل انه معلوم (فيه الروح) بالوجهين أى ثم بعد هذا البعث لآتيه وعكس ذلك الواقع في رواية البيهقي المراديه ترتيب الاخبار فقط على أن رواية الشيخين مقدمة على غيرها كما ذكره ابن حجر لكن وقع في الاربعين النووية بلفظ فينفخ فيه الروح ويؤمر الخ ونسب الى الشيخين فتأمل فعلهما لهما روايتان والله أعلم (فوالذي لاله غيره) القسم لآفاده التحقيق وتأكيد التصديق أى اذا كان الشقاوة والسعادة مكتوبة فوالله الذى لاله غيره وليعلم في أمر القضاء ان الكسب لا يدخل له في الحقيقة (ان أحدكم) ولفظ المصاييح فان الرجل أى الشخص (ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون) في الموضوعين بالرفع لا لان ما النافية كافة عن العمل بل لان المعنى على حكاية حال الرجل لا الاخبار عن المستقبل كما قاله السيد جمال الدين وقال المظهر حتى هي الناصبة وما نافية ولفظة يكون منصوبة بحتى وما غير مانعة لها من العمل وقال ابن الملك الاوجه أنها عاطفة ويكون بالرفع عطاف على ما قلبه (بينه وبينها) أى بين الرجل وبين الجنة (الاذراع) تمثيل لغاية قربها (فيسبق عليه الكتاب) ضمن معنى يغلب ولذا عدى يعلى والافهو متعد بنفسه أى يغلب عليه كتاب الشقاوة والتعريف للعهد و الكتاب بمعنى المكتوب أى المقدر أو التقدير أى التقدير الأزلى والفاء للتعقيب يدل على حصول السبق بلاهمله (فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) فيه اشارة الى أن دخول النار لا يكون بمجرد تعاق العلم الالهى بل لابد من ظهور العمل المخاوق فلا يكون جبراً محضاً ولا تقديراً محضاً وهذا مما صنع لى وقيل لان بذر الشقاوة والسعادة قد اختفى في الاطوار الانسانية لا يبرز الا اذا انتهى الى الغاية الايمانية أو الطغيانية والله أعلم (وان أحدكم) أى الآخر (ليعمل بعمل أهل النار) من الكفر والمعاصى (حتى ما يكون) بالوجهين (بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب) قبل فيه دلالة ظاهرة على أن الأعمال أمارات لاموجبات وان مصيرها الى ما جرى به المقادير في البداية (فيعمل بعمل أهل الجنة) بان يستغفر ويتوب (فيدخلها) أول في الحديث تنبيه على ان السالك ينبغي أن لا يفتخر باعماله الحسنة ويحتجب العجب والتكبر والاخلاق السيئة ويكون بين الخوف والرجاء ومسلماً بالرضا تحت حكم القضاء وكذا اذا صدرت منه الأعمال السيئة فلا يأس من روح الله تعالى الطيبة فانها اذا بدت عين العناية المحبب الآخرة بالسابقة وكذا الحال بالنسبة الى الغير في الأعمال فلا يحكم لاحد بأنه من أهل الجنة والدرجات وان عمل ما عمل من الطاعات أوظهر عليه من خوارق العادات ولا يجزم في حق أحد بأنه من أهل النار والعقوبات ولو صدر منه جميع السيئات والمظالم والتبعات فان العبرة بخواتيم الحالات ولا يطلع عليها غير عالم الغيب والشهادات ثم اعلم أن ما يجري في العالم من الإيمان والكفر والسعادة والشقاوة من الكليات والجزئيات بتقدير الله وإياداه اذ لا مؤثر في الوجود الا الله المتعالى عن الشريك ذاتاً وصفة وفعلاً يفعل الله ما يشاء لاعة لفعله ولا معتقب لحكمه لإرسال عما يفعل ولا مجال للعقل في تحسین الاعمال وتبيحها بل يحسن صدورها كلها عنه والاستقلال للعباد في الاعمال والدمح والدمح باعتبار المعجلة لا باعتبار الفاعلية كما يمدح الشئ بحسنه والثواب والعقاب كسائر الامور العادية فان الله أجرى

متفق عليه وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل أهل النار وانه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانا الاعمال بالخواتيم متفق عليه وعن عائشة رضی الله عنها قالت دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يارسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة

عادته بأن يوجد الاسباب أولا ثم يوجد المسببات عقبيها نكل منهما صادر عنه ابتداء واما البعثة والتكليف فلان الله يحب اتصافه بالامر والنهي والوعد والوعيد ولا بد لها من مظهر كما كان كذلك في جميع الصفات فكلف العباد بهما ورتب عليه الوعد والوعد اظهارا لمقتضى سلطنته كما قال كنت كنتا مخفيا فارتدت أن أعرف فخلقت الخلق لان أعرف (متفق عليه وعن سهل بن سعد) أى الساعدي الانصارى يكنى أبا العباس وكان اسمه حزنا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلا ومات النبي صلى الله عليه وسلم وله خمس عشرة سنة ومات سهل بالمدينة سنة احدى وتسعين وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة روى عنه ابنه العباس والزهرى وأبو حازم (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد) أى عيد من عبيد الله (ليعمل عمل أهل النار) أى ظاهرا وصورة أو أولا أو فى نظر الخلق (وانه من أهل الجنة) أى باطنا ومعنى أو آخر أو فى علم الله تعالى والواو حالية وان مكسورة بعدها (ويعمل) أى عيد آخر (عمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانا الاعمال) أى باعتبارها (بالخواتيم) أى بما ينجم عليه أمر عملها وهو تذييل لما قبله مشتمل على حاصله فرب كافر متعدي يسلم فى آخر عمره ورب مسلم متعدي يكفر فى غاية أمره قيل فى هذا الحديث حث على مواظبة الطاعات ومحافظة الاوقات عن المعاصي والسيئات خوفا من أن يكون ذلك آخر عمله وفيه زجر عن العجب فان العبد لا يدري ماذا يصيبه فى العاقبة وفيه انه لا يجوز الشهادة لاحد بالجنة ولا بالنار قيل وفيه أيضا أنه تعالى يتصرف فى ملكه كيف يشاء وكل ذلك عدل و صواب ولا اعتراض بل لانجاة الا بالتسليم لقضاء الله تعالى وقدره (متفق عليه وعن عائشة رضی الله عنها) هى أم المؤمنين بنت أبى بكر الصديق واما أم رومان بنت عامر بن عويمر خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها بمكة فى شهر شوال سنة عشر من النبوة وقيل الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك وأعرس بها بالمدينة فى شوال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشرة شهرا ولها تسع سنين وبقيت معه تسع سنين ومات عنها ولها ثمانى عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وكانت قبيحة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة بايام العرب وأشعارها روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان وأمرت أن تدفن ليلا فدفنت بالقيع وصلى عليها أبوهريرة وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة فى أيام معاوية مروياتها ألف ومائتا حديث وعشرة احاديث (قالت دعى) مجهول (رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى للصلاة (الى جنازة صبي) يفتح الجيم وتكسر (من الانصار فقلت يارسول الله طوبى لهذا) طوبى فعلى من طاب يطيب قلبت الباء واوا وكسرت الباء فى ييض جمع ايض ابقاء للاصل واختلوا فى معناه فقال ابن عباس فى قوله تعالى طوبى لهم معناه فرح وقرّة عين لهم وقيل الحسنى لهم وقيل خير وكرامة لهم وقيل اسم الجنة بالجشية وقيل اسمها بالهندية وقيل اسم شجر فى الجنة وقيل معناه أصيب خيرا على الكناية لان اصابة الخير مستلزمة لطيب العيش ولانه يقال فى حق المصيب طوبى لك فاطلق اللازم على الملازم وقيل طوبى تأنيث أطيب أى الراحة وطيب العيش حاصل لهذا الصبي (هو عصفور) أى طير صغير (من عصافير الجنة)

لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك بإعاشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم

أى هو مثلها من حيث انه لا ذنب عليه و ينزل في الجنة حيث يشاء قال ابن الملك شبهته بالعصفور كما هو صغير اما بالنسبة الى ما هو أكبر منه من الطيور و اما لكونه خاليا من الذنوب من عدم كونه مكلفا و الاظهر الثاني فهو تشبيه بليغ و ما قبل من أن هذا ليس من باب التشبيه لانه لا عصفور في الجنة فممنوع لما ورد في الحديث ان في الجنة طيرا كاشال البيخ تاتي الرجل فيصيب منها ثم تذهب كأن لم ينقص منها شئ و قد قال تعالى ولحم طير مما يشتهون و اما ما ذكره ابن حجر من حديث ان ارواح الشهداء في أجواف طيور خضر و خبز نسمة المؤمن أى روحه طائر تعلق في شجر الجنة فليس يصلح سندا للمنع كما لا يخفى (لم يعمل السوء) بضم السين و يجوز فتحه أى الذنب قال الفظفر أى لم يعمل ذنبا يتعلق بحقوق الله و أما حقوق العباد كاتلاف مال مسلم و قتل نفس فيؤخذ منه الغرم و الدية و اذا سرق يؤخذ منه المال ولا تقطع يده لانه من حقوق الله قلت لاتسمى هذه الاقتال منه ذنوبا فتأمل (ولم يدركه) أى ولم يلحقه السوء فيكون تأكيذا أولم يدرك هو السوء أى وقته لموته قبل التكليف فضلا عن عمله و التأسيس أولى و مع افادة المبالغة أحرى (فقال أو غير ذلك) يفتح الواو وضم الراء و كسر الكاف هو الصحيح المشهور من الروايات و التقدير اعتقدين ما قلت و الحق غير ذلك وهو عدم الجزم بكونه من أهل الجنة فالواو للحال و في الفائق الهزمة للاستفهام أى الانكارى و الواو عاطفة على محذوف و غير مرفوع بضمير تقديره أو وقع هذا و يحتمل غير ذلك قيل و روى أو بسكون الواو التى لاحد الامرين أى الواقع هذا أو غير ذلك و قيل التقدير أو هو غير ذلك و روى بنصب غير أى أو يكون غير ذلك أو التقدير أو غير ما قلت و قيل يجوز أن يكون أو بمعنى بل كقوله تعالى مائة ألف أو يزيدون أى بل غير ذلك محتمل أو يحتمل غير ذلك و كانه عليه الصلاة والسلام لم يرتض قولها لعاقبه من الحكم بالجزم بتعيين إيمان أبوى الصبي أو أحدهما إذ هو تبع لهما و مرجع معنى الاستفهام الى هذا لانه لا انكار للجزم و تقرير لعدم التحيين قلت وفيه دلالة على أن أولاد الكفار ليسوا من أهل الجنة بل منهم من أهل النار كما يدل عليه قوله (بإعاشة ان الله خلق للجنة أهلا) يدخلونها و يتعمون بها (خلقهم لها) كرهه لاناطة أمر زائد به و هو قوله (وهم في أصلاب آبائهم) و الجملة حال اهتماما قيل و يحتمل أن يراد به خلق الذر في ظهر آدم و استخراجها ذرية من صلب كل واحد الى افتراض العالم و قيل عين في الازل من سيكون من أهل الجنة و من سيكون من أهل النار فغير عن الازل باصلا بآباء تقريبا لفهام العامة (و خلق للنار أهلا) فيه إيماه الى أنه لا اعتراض فانهم أهل لها أهلية لا يعلمها إلا خالقها (خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم) و انما يظهر منهم من الاعمال ما قدر لهم في الازل قال القاضي في حديث عائشة رضى الله عنها إشارة الى أن الثواب و العقاب لا لاجل الاعمال و الاصلن ذرارى المسلمين و الكافرين لا من أهل الجنة ولا من أهل النار بل الموجب هو اللطف الرباني و الخذلان الالهى المتدر لهم وهم في الاصلا فالواجب التوقف و عدم الجزم و قال النووي أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على ان من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة و توقف في ذلك بعض لهذا الحديث و أجابوا عنه بأنه لعله نهاها عن المسارعة الى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع و يحتمل انه عليه الصلاة والسلام قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة اه و الاصح ما تقدم من انه لم يرتض هذا القول منها لما فيه من الحكم بالغيب و الجزم بإيمان

رواه مسلم و عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا ونُدع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له

أصل الولد لانها أشارت الى طفل معين فالحكم على شخص معين بأنه من أهل الجنة لا يجوز من غير ورود النص لانه من علم الغيب وقد يقال التبعية في الدنيا من الايمان والكفر وحكمها من أمور الآخرة فبها ارشاد للامة الى التوقف في الامور المبهمة والسكوت عما لا علم لهم به وحسن الادب بين يدي علام الغيوب قال ابن حجر ولعل هذا كان قبل ما نزل عليه في ولدان المؤمنين والكفار اذ هم في الجنة اجماعا في الاول وعلى الاصح في الثاني (رواه مسلم و عن علي رضي الله عنه) هو أمير المؤمنين على ابن أبي طالب يكنى أبا الحسن و أبا تراب القرشي و هو أول من أسلم من الذكور في أكثر الاقوال ومن الصبيان في جميعها وقد اختلف في سنه يومئذ فقيل كان له خمس عشرة سنة وقيل ثمان سنين وقيل عشر سنين شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها غير تبوك فانه خلفه في أهله وفيها قال له أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى كان آدم شديد الامة عظيم العيتين أقرب الى القصر من الطول ذابطن كثير الشعر عريض الحية اصلع الرأس واللحية استخلف يوم قتل عثمان و هو يوم الجمعة لعثمان عشرة فخلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين و ضربه عبدالرحمن بن ملجم المرادي بالكوفة ضيعة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين ومات بعد ثلاث ليال من ضربته وغسله ابناه الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر وصلى عليه الحسن و دفن سحرا وله من العمر ثلاث وستون سنة وكانت خلافته أربع سنين و تسعة أشهر و أياما روى عنه بنوه الحسن والحسين ومجد و خلائق من الصعابة والتابعين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد) من مزيدة لاستغراق النفي (الا وقد كتب مقعده من النار) الواو للحال والاستثناء مفرغ أى ما وجد أحد منكم في حال من الاحوال الا في هذه الحالة أى الا وقد قدر مقعده من النار (ومقعده) الواو بمعنى أو بدليل قوله في الحديث أفلا نتكل وقد ورد في بعض الروايات بلفظ أو كذا حرره السيد جمال الدين أى موضع قعوده (من الجنة) قال الطيبي كنى عن كونه من أهل الجنة أو النار باستقراره فيها و ظاهر الكلام يقتضى أن يكون لكل أحد مقعد من النار ومقعد من الجنة وهذا وإن ورد في حديث آخر يعنى في عذاب القبر رواه أنس لكن التفصيل الآتى يابى حمله على ذلك فيجب أن يقال ان الواو بمعنى أو قال المظهر قد ورد هذا الحديث بلفظ الواو في بعض الروايات وليس في شرح السنة الا بلفظ أو (قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا) المقدر لنا في الازل قيل الفاء في جواب الشرط أى اذا كان الامر كما ذكرت يا رسول الله أفلا نعتد على ما كتب لنا في الازل (ونُدع العمل) أى تتركه لانه لافائدة في اتعاب أنفسنا بالاعمال لان قضاياه لا تتغير فلم يرخص عليه السلام في ذلك الاتكال و ترك الاعمال حيث (قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له) بل أمرهم بالتزام ما يجب على العبد من امتثال أمر مولاه من العبودية عاجلا وتقويض الامر اليه بحكم الربوبية آجلا و أعلمهم بان ههنا أمرين لا يبطل أحدهما الآخر باطن و هو حكم الربوبية و ظاهر و هو سمة العبودية فأمر بكليهما ليمتدق الخوف بالباطن المغيب والرجاء بالظاهر البادى ليستكمل العبد بذلك صفات الايمان ونعوت الايقان و مراتب الاحسان يعنى عليكم بالتزام ما أمرتم واجتنب ما نهيتهم من التكليف الشرعية بمقتضى العبودية و اياكم والتصرف في الامور الربوبية ولا تتجملوا الاعمال أسبابا للسعادة والشقاوة بل أشارات لهما و علامات لكل موفق و مهياً لما خاق له أى لامر قدر ذلك الامر له من الخير والشر والفناء في لكل لسببية والتنون عوض عن المضاف اليه

أما من كان من أهل السعادة فميسر لعمل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فميسر لعمل الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الآية متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس

والحاصل ان الامر المبهم الذى ورد عليه البيان من هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم هو أنه بين ان القدر في حق العباد واقع على تدبير الربوبية وذلك لا يبطل تكليفهم العمل بحق العبودية فكل من الخلق ميسر لما دبر له في الغيب فيسوقه العمل الى ما كتب له في الازل من سعادة أو شقاوة فعنى العمل التعرض للشواب والعقاب ونظيره الرزق المقصوم مع الامر بالكسب ثم فصل عليه الصلاة والسلام ما أجمله بقوله (أما من كان) أى في علم الله أو كتابه أو في آخر أمره وخاتمة عمله (من أهل السعادة) أى الايمان في الدنيا والجنة في العقبى (فميسر) أى يسهل ويوافق ويهيا لعمل السعادة) أى لعمل أهلها (وأما من كان من أهل الشقاوة) وهو ضد السعادة وفي المصايح بلفظ الشقوة بكسر الشين وهو مصدر بمعنى الشقاوة (فميسر لعمل الشقاوة) أى أهلها من الكفرة والتجربة (ثم قرأ) أى النبي صلى الله عليه وسلم استشهدا أو اعتضادا (فاما من أعطى) أى حق الله من المال أو الامتثال (واتقى) أى خاف مخالفته أو عقوبته واجتنب معصيته (وصدق بالحسنى) أى بكلمة لا اله الا الله وأخر في الذكر ترقيا أو اشارة الى حسن الخاتمة (الآية) لا يخفى ان الحسنى رأس آية فالمراد ما بعدها من الآيات المتعلقة بها المناسبة لها وهي (فميسره لليسرى) قال البيضاوى أى فسنيته للخلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة (وأما من بغل) أى بما أمر به (واستغنى) يشهوات الدنيا عن نعم العقبى (وكذب بالحسنى) أى بكلمة التوحيد (فميسره لليسرى) أى للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار وفي الكشاف سمي طريقة الخير باليسرى لان عاقبته اليسر وطريقة الشر باليسرى لان عاقبته العسر وفي المعالم فسنيته أى نهيته في الدنيا لليسرى للخلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه وأما من يغفل بالنفقة في الخير واستغنى عن ثواب الله تعالى ولم يرغب فيه فسنيته لليسرى أى سنيته للشريان نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله ويستوجب به النار قال مقاتل يعسر عليه بان يأتي خيرا ه و لا يخفى ان ما في البيضاوى غير ملائم لمعنى الحديث لان معاكسة بالمعنى المقصود منه فالمدار على ما في المعالم والكشاف لكن السين في الآية تحمل على مجرد التأكيد لا على الاستقبال والله أعلم بالعال (متفق عليه وعن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب) أى أثبت في اللوح المحفوظ (على ابن آدم حظه) أى نصيبه (من الزنا) بالقصر على الافصح ومن بيانية وما يتصل بها حال من حظه وجعلها تيمينية كما ذكره ابن حجر غير ظاهر والمراد من الحظ مقدمات الزنا من التنى والتخطى والتكلم لاجله والنظر واللمس والتغلى وقيل أثبت فيه سببه وهو الشهوة والميل الى النساء وخلق فيه العينين والأذنين والقلب والفرج وهي التى تجد لذة الزنا أو المعنى قدر في الازل أن يجرى عليه الزنا في الجملة (أدرك) أى أصاب ابن آدم وجد (ذلك) أى ما كتبه الله وقدره وقضاه أو حظه (لامحالة) بفتح الميم ويضم أى لا بد له ولا فراق ولا احتيال منه فهو واقع البتة (فزنا العين) بالافراد لارادة الجنس وفي نسخة بالنتية (النظر) أى حظها النظر على قصد الشهوة فيما لا يحل له وقد ورد النظر سهم مسوم من سهام ابليس لان النظر قد يجر الى الزنا فتسمية مقدمة الزنا بالزنا مبالغة أو اطلاق للمسبب على السبب (وزنا اللسان المنطق) أى التكلم على وجه الحرمة كالمواعدة (والنفس) أى القلب

تمنى وتشبهى والفرج يصدق ذلك و يكذبه متفق عليه وفي رواية لمسلم قال كتب علي ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه

كما في الرواية الآتية ولعل النفس اذا طلبت تبعها القلب (تمنى) بحذف احد التاءين (و تشبهى) لعله عدل عن ستن السابق لافادة التجدد أى زنا النفس تمنيتها واشتهاؤها وقوع الزنا الحقيقي والتمنى أعم من الاشتهاء لانه قد يكون في الممنوعات دونه وفيه دلالة على ان التمنى اذا استقر في الباطن وأصر صاحبه عليه ولم يدفعه يسمى زنا فيكون معصية و يترتب عليه عقوبة ولو لم يعمل فتأمل (والفرج يصدق ذلك و يكذبه) قال الطيبي سمي هذه الاشياء باسم الزنا لانها مقدمات له مؤذنة بوقوعه ونسب التصديق والتكذيب الى الفرج لانه منشؤه ومكانه أى يصدقه بالاثبات بما هو المراد منه و يكذبه بالكف عنه و قيل معناه ان فعل بالفرج ما هو المقصود من ذلك فقد صار الفرج مصدقا لتلك الاعضاء وان ترك ما هو المقصود من ذلك فقد صار الفرج مكذبا قال ابن حجر فان حقق زناه فيوقع صاحبه في تلك الكبيرة و إن كذبه بأن لا يزنى فيستمر زنا تلك الاعضاء على كونها صغيرة أقول الاظهر أن يقال والفرج أى عمله يصدق ذلك التمنى و يكذبه وهو أقرب لفظا وأنسب معنى وقيل معنى كتب انه أثبت عليه ذلك بان خلق له الحواس التي يجد بها لذة ذلك الشئ وأعطاه القوى التي بها يقدر على ذلك الفعل فبالعينين وبما ركب فيها من القوة الباصرة تجد لذة النظر وعلى هذا وليس المعنى أنه الجأء اليه وأجره عليه بل ركز في جبلته حب الشهوات ثم انه تعالى برحمته وفضله يعصم من يشاء كذا قاله بعض الشراح وقيل هذا ليس على عمومته فان الخواص معصومون عن الزنا ومقدماته و يحتمل أن يبقى على عمومته بأن يقال كتب الله على كل فرد من بني آدم صدور نفس الزنا فمن عصمه الله عنه بفضله صدر عنه من مقدماته الظاهرة و من عصمه بمزيد فضله ورحمته عن صدور مقدماته وهم خواص عباد صدر عنه لامحالة بمقتضى الجيلة مقدماته الباطنة وهي تمنى النفس واشتهاؤها اه قلت المراد بالمقدمات الباطنة الخواطر الذميمة التي غير اختيارية ويؤيده قوله تعالى و لقد همت به وهم بها (متفق عليه) ورواه أبو داود (وفي رواية) أخرى (لمسلم قال كتب) مجهول وقيل معلوم (على ابن آدم) أى هذا الجنس أو كل فرد من أفرادها واستثنى الانبياء (نصيبه) أى حظهم أو مقدار ما قدر له (من الزنا مدرك) بالتثنية و يجوز الاضافة (ذلك) يعنى هو أى ابن آدم واصله حظهم و نصيبه أو نصيبه المقدر يدركه و يصيبه (لامحالة) أى لا حائل بينه وبينه أو لاحيلة له في دفعه فلا بد منه اذا حذر من القدر ولا قضاء مع القضاء (العينان زناهما النظر) فانه حظهما و لذتهما (والاذنان) بضم الذال وتسكن (زناهما الاستماع) أى الى كلام الزانية أو الوساطة فهو حظهما و لذتهما به قال ابن حجر أى الى صوت المرأة الأجنبية مطلقا بناء على انه عورة أو بشرط الفتنة بناء على الاصح انه ليس بعورة (واللسان زناه الكلام) أى مع الأجنبية بالمواعدة على الزنا أو مع من يتوسل به اليها على وجه الحرام و يدخل فيه انشاء الشعر و انشاده فيها (واليد زناها البطش) أى الأخذ واللمس و يدخل فيه الكتابة اليها و رمي الحصا عليها و نحوهما (والرجل زناها الخطا) جمع خطوة وهي ما بين القدمين يعنى زناها نقل الخطا أى المشى أو الركوب الى ما فيه الزنا (والقلب يهوى) بفتح الواو أى يحب و يشتهي (و يتمنى و يصدق ذلك) أى ما ذكر من المقدمات أى ما تتمناه النفس و تدعو اليه الحواس وهو الجماع (الفرج) أى يواقفه و يطابقه بالفعل (و يكذبه) أى بالترك

و عن عمران بن حصین ان رجلین من مزینة قالایا رسول الله آرايت ما یعمل الناس الیوم و یکدحون فیہ
أشئی قضی علیهم و مضی فیهم من قدر سبق أو فیما یتقبلون به

و الکف عنه فان ترکہ خوفا من الله فیناب علیه و ان ترکہ اضطرابا لا یعاقب علیه فقط (و عن عمران
ابن حصین) مصغرا رضی الله عنهما ینکنی أبا نجد بضم النون و فتح الجیم و سکون الباء بعدها دال
مهملة الخزاعی الکعبی أسلم عام خیبر سکن البصرة الی أن مات بها سنة اثنتین و خمسین و کان من قضلاء
الصحابة و فقہائهم أسلم هو و أبوه روى عنه أبو رجاء و مطرف و زرارۃ بن أبی أوفی (ان رجلین من مزینة)
بالتصغیر اسم قبيلة (قالایا رسول الله آرايت) أى أخبرنی من اطلاق اسم السبب علی المسبب لان
مشاهدة الأشياء طریق الی الاخبار عنها و الهمزة فیہ مقررۃ أى قدر ایت ذلك فأخبرنی به (ما یعمل
الناس) من الخیر و الشر (الیوم) أى فی الدنیا (و یکدحون فیہ) أى یسعون فی تحصیلہ بجد و کد
(أشئی) خبر مبتدأ محذوف أى أهو شیئ (قضی علیهم) بصیغة المجهول أى قدر فعله علیهم (و مضی
فیهم) بصیغة الفاعل أى نفذ فی حقهم (من قدر سبق) أى فی الازل و من اما یأتیة لشیئ و یکون
القضاء و القدر شیئا واحدا كما قاله بعضهم أو علی الاطلاق القوی و اما تعلیلیة متعلقة بقضی أى قضی
علیهم لاجل قدر سبق و اما ابتدائیة أى القضاء نشأ و ابتداء من خلق مقدر فیکون القدر سابقا علی القضاء
قال فی النهاية المراد بالقدر التقدير و بالقضاء الخلق لقوله تعالی قضاهن من سج سموات فالتضاء و القدر
متلازمان لان أحدهما هو القدر بمنزلة الأساس و الآخر هو القضاء بمنزلة البناء و قال الراغب
القضاء من الله تعالی أخص من القدر لانه الفصل بین التقدير و القدر هو التقدير و القضاء هو الفصل
و القطع و قد ذکر بعض العلماء ان القدر بمنزلة المعد لکلیل و القضاء بمنزلة الکیل و لهذا لما قال
أبو عبیدة لعمر رضی الله عنهما لما أزد الفرار من الطاعون بالشام أنقر من القضاء قال أنقر من قضاء الله
الی قدر الله تنبئها علی ان القدر ما لم یکن قضاء فمرجوا ان یدفعه الله فاما اذا قضی فلا یتدفع و یشهد
لذلك قوله تعالی و کان أمرا مقضیا و قوله حتما مقضیا تنبئها علی أنه صار بحیث لا یمکن تلافیه و هذا
مخالف لما نقلناه عن القاضي فی حدیث جبریل علیه السلام قال بعض العارفين القدر کتقدير النقاش
الصورة فی ذهنه و القضاء کرسمه تلك الصورة للتلعیز بالاسرب و وضع التنفيذ الصبغ علیها متما لرسم
الاستاذ هو الکسب و الاختیار و التامیز فی اختیاره لا یمخرجه عن رسم الاستاذ كذلك العید فی اختیاره
لا یمکنه الخروج عن القضاء و القدر (أو فیما یتقبلون به) قال السید جمال الدین کذا وقع بصیغة
المجهول فی أصل سماعنا من صحیح مسلم و هو الأرجح معنی أيضا لکن وقع فی أكثر نسخ المشکاة
بصیغة المعروف و قال الطیبی کذا یعنی أوفی صحیح مسلم و کتاب العمیدی و جامع الأصول و وقع
فی نسخ المصابیح أم فیما یتقبلون قبل علی کلنا الروایتین لیس السؤال عن تعین أحد الأمرین لان
جوابه علیه الصلاة والسلام و هو قوله لا غیر مطابق له فنقول أم منقطعة أو بمعنی بل فان السائل
لما رأى أن الرسل یأمرون أممهم و ینهون عن الأمر أنف كما زعمت المعتزلة فأضرب عن السؤال
الأول و الهمزة للتقیر و الأثبات فلذلك نفی رسول الله صلی الله علیه وسلم ما أثبتته و قرره و أكدته بیل و لو
کان السؤال عن التعین لقال السائل أشئی قضی علیهم أم شیئ یتقبلونه و قبل کان حق العبارة أشئی
قضی علینا أم شیئ نستقبله بالتکلم فغیر العبارة و عدل عن التکلم الی الغیبة و عمم الامم کلها و أنبأهم
فدل ذلك علی صحة ما قبل من الاضراب و قبل و هو الاظهار المعنی أم شیئ لم یقض علیهم فی الازل
بل هو کائن فیما یتقبلون من الزمان فیہ یتوجهون الی العمل و یقصدون من غیر سبق تقدير قبل ذلك

سما أناهم به نبههم وثبتت الحججة عليهم فقال لا بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عزوجل ونفس وما سواها فالههنا فجورها وتقواها رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله انى رجل شاب وأنا أخاف على نفسى العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء كأنه يستأذنه فى الاختصاص قال فسكت عنى ثم قلت مثل ذلك فسكت عنى ثم قلت مثل ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاخص على ذلك أو ذر

(سما أناهم) أى جاءهم (به نبههم) الباء للتعدية ولفظ من فى مما أناهم بيان لما فى قوله ما يعمل الناس أو بيان لما فى قوله ما يستقبلون والأول أولى كما قال السيد جمال الدين (وثبتت الحججة عليهم) قال تعالى قل لله الحججة البالغة (فقال لا) أى لا تردد (بل شئ قضى) أى قدر (عليهم ومضى) أى سبق (فيهم وتصديق ذلك) إشارة الى ما ذكر انه قضى عليهم (فى كتاب الله عزوجل ونفس) بالجر على الحكاية (وما سواها) فالههنا فجورها وتقواها (وجه الاستدلال من النبى صلى الله عليه وسلم بالآية أن أهمها بلفظ الماضى يدل على أن ما يعملونه من الخير والشر قد جرى فى الأزل والواو فى نفس القسم أو للعطف على القسم به والمراد نفس آدم لأنه الأصل فالنتونين للتقليل وقيل المراد جمع النفوس كقوله تعالى علمت نفسى ما أحضرت فالنتونين للتكثير وما فى ما سواها بمعنى من أى ومن خلقها يعنى به ذاته تعالى أى خلقها على أحسن صورة وزينها بالعقل والتمييز وفى الحديث اللهم آت نفسى تقواها وزكها فأنت خير من زكها أنت وليها ومولاها (رواه مسلم وعن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قلت يا رسول الله انى رجل شاب) أى قوى الشهوة (وأنا أخاف) قال الشيخ وفى البخارى وانى أخاف (على نفسى) بفتح القاء وتسكن (العنت) بفتحتن أى الزنا أو مقدماته وأصل العنت المشقة سعى به الزنا لأنه سبب العذاب فى الدنيا والعقبى (ولا أجد) أى من المال (ما أتزوج به النساء) أراد به الجنس أى مقدار ما أتزوج به امرأة وأنفق عليها فإذا عجز عن تزوج المرأة فالعجز عن شراء الجارية أولى (كأنه يستأذنه فى الاختصاص) بالمد أى قطع الاثنيين أو سلهما ويحتمل قطع الذكر أيضا فيكون الاختصاص تغليبا هذا كلام الراوى عن أبي هريرة قال الابهرى وليس هذا فى البخارى (قال) أى أبو هريرة (فسكت) أى النبى صلى الله عليه وسلم (عنى) أى عن جوابى (ثم قلت مثل ذلك) أى القول (فسكت عنى) ثانيا (ثم قلت مثل ذلك) لعله يجيبنى (فسكت عنى) ثالثا (ثم قلت مثل ذلك) أى الحاحا ومبالغة (فقال النبى) وفى نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق) أى ملاق بما تفعله وتقوله ويجرى عليك قال التور بشتى جف القلم كناية عن جريان القلم بالمقادير ومضائها وخراج منها لان الفروع بعد الشروع يستلزم جفاف القلم عن مداده فأطلق اللازم على الملزوم وهذه العبارة من مقتضيات الفصاحة النبوية (فاخص) قال التور بشتى الرواية الصحيحة فاخص بتخفيف الصاد من الاختصاص وقد صحفه بعض أهل النقل فرواه على ما هو فى المصاييح يعنى فاخص بزيادة الراء قال ولا يشبهه ذلك الا على عوام أصحاب النقل وفى شرح الطيبى قال المؤلف الحديث فى البخارى وكتاب الحميدى وشرح السنة وبعض نسخ المصاييح كما ذكره التور بشتى (على ذلك) فى موضع الحال يعنى اذا علمت أن كل شئ مقدر فاخص حال كون فعلك وتركك واقعا على ما جف القلم (أو ذر) أى اترك الاختصاص وأذن وسلم للقضاء وأو للتخير قال المظهر أى ما كان وما يكون مقدر فى الأزل فلا فائدة فى الاختصاص فان شئت فاخص وان شئت فاترك وليس هذا اذنا فى الاختصاص بل توبيخ ولوم على الاستئذان فى قطع عضو بلا فائدة وقيل

رواه البخارى و عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن

أو للتسوية على ما ذكر في أكثر نسخ المصاييح من قوله فاختصر أو ذر بمعنى أن الاختصار على التقدير والتسليم له و تركه و الاعراض عنه سواء فإن ما قدر لك من خير أو شر فهو لامحالة لا يتك و ما لا فلا و ذكر أن عبد الله بن الطاهر دعا الحسين بن الفضل فقال أشكل على قوله تعالى كل يوم هو في شأن و قول النبي صلى الله عليه وسلم جف القلم بما أنت لاق فأجاب بأنها شؤون يديها لا شؤون يبتدى بها فقام عبد الله و قبل رأسه (رواه البخارى و عن عبد الله بن عمرو) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بنى آدم) أى هذا الجنس و خص لخصوصية قابلية التقلب به و أكد بقوله (كلها) ليشمل الانبياء و الاولياء و الفجرة و الكفرة من الاشقياء قال التوريشى ليس هذا الحديث مما ينتزه انسلف عن تأويله كحاديث السمع و البصر و اليد و ما يقاربه في الصحة و الوضوح فإن ذلك يحمل على ظاهره من غير أن يشبهه بسميات الجنس أو يحمل على معنى الاتساع و المجاز بل يعتقد أنها صفات الله لا كيفية لها و انما تنزهوا عن تأويل القسم الاول لانه لا يلتئم معه و لا يحمل ذلك على وجه يرتضيه العقل الا و يمنع منه الكتاب و السنة من وجه آخر و أما مثل هذا الحديث فليس في الحقيقة من أقسام الصفات و لكن ألفاظ مشاكلة لها في وضع الاسم فوجب تخريجه على وجه يناسب نسق الكلام قبل المشابهة قسمان الاول لا يقبل التأويل و لا يعلم تأويله الا الله كالنفس في قوله و لا أعلم ما في نفسك و المعجى في جاء ريبك و فواتح السور و الثاني يقبله ذكر شيخ الشيوخ السهروردى قدس الله سره أخبر الله و رسوله بالاستواء و النزول و اليد و القدم و التعجب و كل ماورد من هذا القبيل دلائل التوحيد فلا يتصرف فيه بتشبيه و تعطيل قيل هذا هو المذهب المعول و عليه السلف الصالح و من ذهب الى القول الاول شرط في التأويل أن كل ما يؤدي الى تعظيم الله فهو جائز و الا فلا قال ابن حجر أكثر السلف لعدم ظهور أهل البدع في أزمستهم يفوضون علمها الى الله تعالى مع تنزيهه سبحانه عن ظاهرها الذى لا يليق بجلال ذاته و أكثر الخلف يؤولونها بحملها على محاسن تليق بذلك الجلال الاقدس و الكمال النفس لاضطرابهم الى ذلك لكثرة أهل الزيغ و البدع في أزمستهم و من ثم قال امام الحرمين لو بقي الناس على ما كانوا عليه لم نؤمر بالاشتغال بعلم الكلام و أما الآن فقد كثرت البدع فلا سبيل الى ترك أسواج الفتن لتلطم و أصل هذا اختلافهم في الوقف في قوله تعالى و ما يعلم تأويله الا الله و الراسخون في العلم فالأكثر على الوقف على الجلالة و الاقلون على الوقف على العلم و من أجلهم ابن عباس فكان يقف عليه و يقول حملا للناس على سؤاله و الاخذ عنه أنا من الراسخين في العلم على أنه يمكن رفع الخلاف بأن المشابهة على قسمين مالا يقبل تأويلا قريبا فهذا محمل الوقف الاول و ما يقبله فهذا محمل الثانى و من ثم اختار بعض المحققين قبول التأويل ان قرب من اللفظ و احتمله و ضاع و رده ان بعد عنه و الحاصل أن السلف و الخلف مؤولون لاجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره و لكن تأويل السلف اجمالى لتفويضهم الى الله تعالى و تأويل الخلف تفصيلى لاضطرابهم اليه لكثرة المبتدعين (بين اصبعين) بكسر الهمزة و فتح الباء هو المشهور و الا فيه تسع لغات قال في القاموس الاصبع مثلث الهمزة و الباء (من اصابع الرحمن) اطلاق الاصبع عليه تعالى مجاز أى تقليب القلوب في قدرته يسير يعنى انه تعالى متصرف في قلوب عباده و غيرها كيف شاء لا يمتنع منها شئ ولا يفوته ما اراده كما يقال فلان في قبضتي أى كفى لا يراد أنه في كفه بل المراد أنه تحت قدرتي

كقلب واحد يصرفه كيف يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة

وفلان بين أصبعي أقبه كيف شئت أى أنه حين على قهره والتصرف فيه كيف شئت وقيل المراد بأصبعين صفتا الله وهما صفة الجلال والاكرام فبصفة الجلال يلهمها فجورها وبصفة الاكرام يلهمها تقواها أى يقابها تارة من فجورها الى تقواها وتارة من تقواها الى فجورها وقيل معناه بين أنرين من آثار رحمته وقهره أى قادر أن يقلبها من حال الى حال من الايمان والكفر والطاعة والعصيان قال القاضى نسب تقليب القلوب اليه تعالى اشعارا بأنه تعالى تولى بذاته أمر قلوبهم ولم يكله الى أحد من ملائكته وخص الرحمن بالذكرا ايذانا بأن ذلك التولى محض رحمته كيلا يطلع أحد غيره على سرايرهم ولا يكتب عليهم ما فى ضمائرهم وقوله (كقلب واحد) بالوصف يعنى كما أن أحدكم يقدر على شئ واحد الله تعالى يقدر على جميع الأشياء دفعة واحدة لا يشغله شأن عن شأن ونظيره قوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قيل ليس المراد أن التصرف فى القلب الواحد أسهل بالقياس اليه اذ لا صعوبة بالقياس اليه تعالى بل ذلك راجع الى العباد والى ما عرفوه فيما بينهم (يصرفه) بالتشديد أى يقلب القلب الواحد أو جنس القلب وفى بعض نسخ المصاييح بتأنيث الضمير أى القلوب كذا ذكره العيني وهو تحقيق لوجه الشبه (كيف يشاء) حال على تأويل هينا سهلا لا يمنعه مانع أو مصدر أى تقلبها سريعا سهلا وفى كتاب الحميدى وفى مسلم حيث يشاء قاله العيني (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم) أصله يا الله تحذف حرف النداء وعوض عنه الميم ولذا لا يجتمعان وقيل أصله يا الله أمنا بخير أى اقصدنا تحذف ما حذف اختصارا (مصرف القلوب) بالإضافة صفة اللهم عند الجبرد والاختش لان يا لا يمنع من الوصف فكذا بدلها ونادى برأسه عند سبويه وقد حذف منه النداء لان ضم الميم للجلالة منع وصفها (صرف قلوبنا على طاعتك) أى اليها أو ضمن معنى التحييت ويؤيده ما ورد اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قيل وفيه ارشاد للامة والظاهر ان كل أحد من العباد كما أنه مفترق اليه تعالى فى الابداد لا يستغنى عنه ساعة من الامداد (رواه مسلم وعن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود) أى من التقلين (الا يولد على الفطرة) قيل مولود مبتدأ خبره يولد أى ما من مولود يوجد على أمر من الامور الا على هذا الامر والفطرة تدل على نوع من الابتداء والاختراع الذى هو معنى الفطرة كالجلاسة والام فيها اشارة الى معهود وهو قوله فطرة الله وهى الايمان اذ المراد بأتم وجهك للدين حنيفا ثبت على ايمانك القديم الواقع منك فى عالم الذر يوم الست بربكم ويؤيد ذلك رواية الترمذى وغيره الملة بدل الفطرة لان ما صدقهما واحد قال تعالى دينا قياما لبراهيم حنيفا كذا ذكره ابن حجر والظاهر أن الملة أخص من الدين ولذا قيل باتحاد دين الانبياء وهو الاسلام والتوحيد واختلاف مللهم لاختلاف شرائعهم وفى معنى هذا الحديث خلقت عبادى حنفاء كلهم وانهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم والمعنى ما أحد يولد الا على هذا الامر الذى هو تمكن الناس من الهدى فى أصل الجبلية والتبجؤ لتبول الدين فاو ترك على تمكنه وتميؤه المذكورين لاستمر على الهدى والدين ولم يفارقه الى غيره لان حسنة ركز فى النفوس فلم يقع لها عدول عنه الا لآفة بشرية أو تقليد للغير ولذا قال تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فجعل الهدى رأس المال الحاصل عندهم ثم عرضه للزوال ببذله فى أخذهم الضلالة البعيدة عنهم (فابواه يهودانه) بتشديد الواو أى يعلمانه اليهودية ويجعلانه يهوديا

بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله

(أو ينصرانه أو يمجسانه) والفاء اما للتعقيب وهو ظاهر واما للتسبب أي اذا كان كذا فمن تغير كان بسبب أبويه غالبا (كما تنتج البهيمة) صفة لمصدر محذوف وما مصدرية أي يولد على الفطرة وولادة مثل نتاج البهيمة أو يغيرانه تغييرا كتغييرهم البهيمة وقيل حال أي شبيها شبعولادته على الفطرة بولادة البهيمة السليمة غير أن السلامة حسية ومعنوية وعلى التقديرين الأعمال الثلاثة أي يهودائه وما عطف عليه تنازعت في كما تنتج المفيد لتشبيه ذلك المعقول بهذا المحسوس المعان ليتضح به أن ظهوره بلغ في الكشف والبيان مبلغ هذا المحسوس المشاهد في العيان وهو يروى على البناء للفاعل وهو الأصح وعلى بناء المفعول يقال نتج الناقة ينتجها اذا تولى نتاجها حتى وضعت فهو ناج وهو للبهائم كالفيلة للنساء والأصل نتجها أهلها ولذا يتعدى الى مفعولين فاذا بنى للمفعول الأول قيل نتجت ولدا اذا وضعت و اذا بنى للثاني قيل نتج الولد اذا وضعت (بهيمة) وقيل مصغرة ونصبها على انه مفعول ثان للنتج والاول أقيم مقام فاعله وقيل انه منصوب على الحال بتقدير كون نتج مجهولا أي ولدت في حال كونها بهيمة أو على انه مفعول اذا كان معروفا من نتج اذا ولد وأغرب ابن حجر حيث قال كما تنتج بالبناء للمفعول لاغير (جمعاء) أي سليمة الاعضاء كاملتها سميت بذلك لاجتماع سلامة اعضائها من نحو جدد وكى (هل تحسون فيها) أي في البهيمة الجمعاء والمراد بها الجنس وتحسون بضم التاء وكسر الحاء وقيل بفتح التاء وضم الحاء أي هل تدركون والجملة في موضع الحال أي بهيمة سليمة مقولا في حقها هذا القول وفيه نوع من التأكيد يعنى كل من نظر اليها قال هذا القول لظهور سلتها وقيل هو صفة أخرى بتقدير مقولا في حقها (من جدعاء) بالمهملة أي مقطوعة الأذن وفي المصاييح حتى تكونوا أنتم تجدعونها قيل تخميص الجدد ايماء الى أن تصميمهم على الكفر انما كان ليصميمهم عن الحق (ثم يقول) ظاهره انه من بقية الحديث الرفوع وليس كذلك بل هو من كلام أبي هريرة أخرجه في الحديث بينه مسلم من طريق الترمذى عن الزهري ولفظه ثم يقول أبو هريرة اترؤا ان شتمت فطره الله التي فطر الناس عليها الآية كذا قاله الشيخ ابن حجر في شرح صحيح البخارى أقول وكذا وقع التصريح بذلك في رواية البخارى من طريق يونس عن الزهري عن أبي سلمة الرازى عن أبي هريرة ولفظه ثم يقول أبو هريرة فطره الله التي فطر الناس عليها أخرجه في كتاب الجائز كذا حقه ميرك شاه قال الطيبى الظاهر ثم قرأ فعدل الى القول وأتى بالمضارع لحكاية الحال استحضارا كآته يسمع منه عليه الصلاة والسلام الآن اه وفيه أن العلة المذكورة لاتصلح أن تكون للمدول الى القول فالظاهر ما قاله ابن حجر ان ظاهر السياق ثم قرأ فعدل عنه لفظا اشارة فيما يظهر والله أعلم ان اللفظ القرآنى في مقام الاستدلال لايجرى عليه أحكام القرآن لان ذكره للاستدلال به صارف له عن القرآنية اه ويؤيده ترك الاستعاذة في ابتدائه ثم قوله (فطره الله) أي الزموها وهى ما ذكر من الاستعداد للمعرفة (التي فطر الناس عليها) أي خلقهم ابتداء و جبلهم عليها (لا تبديل لخلق الله) أي فيكم من قبول الاسلام وهو مؤول بأنه من شأنه أو الغالب فيه انه لايدل أو يقال الخبر بمعنى النهى ولايجوز أن يكون اخبارا بمحصل التبدل قال حماد بن سلمة في معنى الحديث هذا عندنا حيث أخذنا العهد في أصلاب آباؤهم فقلوا بلى قال الخطابي هذا معنى حسن وكأنه ذهب الى أنه لاعبارة بالايان الفطرى في أحكام الدنيا واما يعتبر الايمان الشرعى المكتسب بالارادة الا ترى أنه يقول فابواه يهودانه في حكم الدنيا فهو مع وجود الايمان الفطرى فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين قيل وتلخيصه أن العالم اما عالم الغيب واما عالم الشهادة

ذلك الدين القيم متفق عليه و عن أبي موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله لا ينام ولا يئس له أن ينام يخفض القسط ويرفعه

فاذا نزل الحديث على عالم الغيب أشكل معناه و اذا صرف الى عالم الشهادة الذي عليه مبنى ظاهر الشرع سهل تعاطيه و تحريره أن الناظر اذا نظر الى المولود نفسه من غير اعتبار عالم الغيب و انه ولد على الخلق التي خلق الله الناس عليها من الاستعداد لمعرفة و قبول الحق و التأني عن الباطل و التمييز بين الخطأ و الصواب حكم بأنه لو ترك على ما هو عليه ولم يعتوره من الخارج ما يصدده عن النظر الصحيح من التقليد و الالف بالمحسوسات و الانهماك في الشهوات استمر على ما كان عليه من الفطرة السليمة ولم يتغير عليه شيأ و ينظر فيما نصب من الدلائل على التوحيد و صدق الرسول و غير ذلك نظرا صحيحا يوصله الى الحق و يهديه الى الرشد و عرف الصواب و اتبع الحق و دخل في الملة الحنيفية ولم يلتفت الى ما سواها لكن يصدده عن ذلك أمثال هذه العوائق و نظير ذلك أمر الغلام الذي قتله الخضر فان موسى عليه الصلاة والسلام نظر الى عالم الشهادة و ظاهر الشرع فانكر و الخضر عليه الصلاة والسلام نظر الى عالم الغيب و انه طبع كافرا فقتله و لذلك لما اعتذر الخضر بالعلم العنفي الغائب أسك موسى عليه الصلاة والسلام عن الاعتراض كذا قالوه و لعل معنى انه طبع كافرا أى خلق و قدر و جبل انه لو عاش بصير كافرا لثابتناقضه هذا الحديث (ذلك) أى التوحيد الذى هو معنى الفطرة هو (الدين القيم) أى المستقيم الذى لا عوج له و لا ميل الى تشبيه و تعطيل و لا قدر و لا جبر (متفق عليه و عن أبي موسى) أى الأشعري رضى الله عنه كما في نسخة (قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم) و كان اذا وعظ قام (بخمس كلمات) و الكلمة الجملة المفيدة أى ستفوها بخمس فصول و قيل قام فينا كناية عن التذكير أى خطبنا و ذكرنا بخمس كلمات و قال الطيبي قوله فينا و بخمس اما حالان مترادفان أو متداخلان أى قام خطيبا مذكرا لنا و اما أن يتعلق فينا بقام على تضمين قام معنى خطب و يكون بخمس حالا و قام على الوجهين بمعنى القيام و هناك وجه ثالث و هو أن يتعلق بخمس بقام و يكون فينا بيانا كانه لما قيل قام بخمس قيل في حق من قتل في حقنا و على هذا قام بمعنى قام بالامر أى تشمر له أى قام بحفظ تلك الكلمات فينا قال ابن حجر و يؤيد الحقيقة حديث كان عليه الصلاة والسلام ينصرف بنا بعد العشاء فيحدثنا قائما على رجله حتى يراوح بين قدميه من طول القيام و فيه أن كون القيام حقيقة في بعض المقام لا يستلزم استمراره في المرام (فقال ان الله لا ينام) قال تعالى لا تأخذه سنة و لا نوم و السنة النعاس و هو نوم خفيف أو مقدسة النوم (ولا يئس له أن ينام) نفي للجواز تأ كيدا لنفي الوقوع على سبيل التسييم أى لا يكون ولا يصح ولا يستقيم ولا يمكن له النوم لان النوم أخو الموت ولان النوم لاستراحة القوى و الله تعالى منزه عن ذلك و هذه الثانية من الخمس و أغرب ابن حجر بقوله اعتراض قتال و الثالثة هي قوله (يخفض القسط ويرفعه) قال التور بشئى فسر بعضهم القسط بالرزق أى يقتره و يوسعه و عبر به عن الرزق لانه قسط كل مخلوق أى نصيبه و فسره بعضهم بالميزان و يسمى الميزان قسط لما يقع به من المعدلة بالقسط أى في التسمه و غيرها و هذا المعنى أولى لما في حديث أبي هريرة يرفع الميزان و يخفضه و المراد من الميزان ما يوزن من ارزاق العباد النازلة من عنده و أعمالهم المرتفعة اليه يعنى فيخفضه تارة بتقدير الرزق و الخذلان بالمعصية و يرفعه أخرى بتوسيع الرزق و التوفيق للطاعة و في الخفض و الرفع هنا و فيما بعده تضاد و مطابقة و هما مستعاران من المعاني من الاعيان و يحتمل انه أراد الإشارة الى انه تعالى كل يوم هو في شان و انه يحكم في خلقه بميزان

يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار و عمل النهار قبل عمل الليل حجابہ النور لو كشفه لاحترب
سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه

العدل و بين المعنى بما شُهد من وزن الميزان الذى يزن فيخفف يده و يرفعها قبل و هذا التأويل
يناسب قوله ولا ينبغي له ان ينم أى كيف يجوز عليه ذلك و هو الذى يتصرف أبداً في ملكه بميزان
العدل و الرابعة (يرفع اليه) قال القاضى أى الى خزائنه كما يقال حمل المال الى الملك (عمل الليل)
أى المعمول فيه (قبل عمل النهار) أى قبل أن يؤق بعمل النهار فيضبط الى يوم الجزاء أو يعرض عليه
و ان كان هو أعلم به ليأسر ملائكته باضياء ما قضى لفاعله جزاء على فعله و قبل معناه يقبل الله أعمال
المؤمنين فيكون عبارة عن سرعة الاجابة (و عمل النهار) عطف على عمل الليل (قبل عمل الليل)
اشارة الى السرعة فى الرفع و العروج الى ما فوق السموات فانه لافاصل بين الليل و النهار و قيل قبل
رفع عمل الليل و الاول أبلغ قال ابن حجر و هو بيان لمسارعة الملائكة الموكلين برفع أعمال النهار بعد
العصر و الليل بعد الصبح و انهم يقطعون فى هذا الزمن القليل تلك المسافة الطويلة التى تزيد على
سبعة آلاف سنة على ما روى أن مسيرة ما بين الارض و السماء الدنيا خمسمائة سنة و ما بين كل سماء بين
كذلك و سمك كل سماء كذلك و تقدير رفع فى الاول و رفع أو فعل فى الثانى هو الذى دل عليه الحديث
الآخر ان أعمال النهار ترفع بعد صلاة العصر و أعمال الليل ترفع بعد صلاة الصبح فلا يقع رفع عمل
الليل الا بعد فعل من عمل النهار و أما رفع عمل النهار فيقع قبل فعل أو رفع شئ من عمل الليل لان
بين ابتداء رفعها و عمل الليل فاصلا يسع ذلك بالنسبة الى القدرة الباهرة فالحاصل ان قوله قبل عمل
النهار يتعين فيه تقدير رفع ولا يصح تقدير فعل فيه و قوله قبل عمل الليل يصح فيه كل منهما و تقدير
الفعل أبلغ لان الزمن أقصر فتأمل ذلك لتعلم فساد ما أطلقه بعض الشارحين اه كلامه و الخامسة
(حجابہ النور) أى المعنوى (لو كشفه) استئناف جوابا عن قال لم لانشاهده أى لو أزال الحجاب و رفعه
(لاحترب سبحات وجهه) بضم أوليه جمع سبعة بالضم أى أنوار وجهه و الوجه الذات و قد قال بعض
أهل التحقيق هى الانوار التى اذا رآها الراؤن من الملائكة سبحوا و هللوا لما يروعه من جلال الله
و عظمته لان كلمة سبحان الله كلمة تعجب و تعجيب على ما قاله ابن الاثير و قال الكشاف فيها معنى
التعجب و الاصل فى ذلك ان يسمح الله فى رؤية العجب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب
منه و قيل حجابہ النور أى حجابہ خلاف الحجب المعهودة فهو محتجب عن خلقه بأنوار عزه و جلاله
و لو كشف لذلك الحجاب و تجلى لما وراءه من حقائق الصفات و عظمة الذات لم يبق مخلوق الا احترق
و أصل الحجاب الستر العائلى بين الرأى و المرئ و هو ههنا يرجع الى منع الابصار من الاصابة بالرؤية
فهو كناية عن منع رؤيته تعالى فى الدنيا أو عن الاحاطة بذاته فى الدنيا و العقبى و جملة لو كشفه الخ
استثنائية مبينة للكلام السابق كانه قيل لم خص حجابہ بالنور أو لم يكشف ذلك الحجاب فاجيب بانه
لو كان من غيره أو لو كشفه لاحترب العالم و انما أورد الجمل السابقة فليمة مضارعية لافادة التجدد
مع الاستمرار و أما هذه الجملة الاسمية فتدل على الثبات و الدوام فى هذا العالم و اذا صفت المؤمنون
عن الكدورات البشرية فى دار الثواب فيروته بلاحجاب كما أن النبى عليه الصلاة والسلام رأى فى
الدنيا لانقلابه نوراً كما قال فى الدعاء اللهم اجعل فى قلبى نوراً و فى بصرى نوراً الى قوله و اجعلنى نوراً
(ما انتهى) أى وصل (اليه) الضمير لما (بصره) تعالى و قبل الضمير فى بصره راجع الى ما هو
موصول مفعول به لاحترب و ضمير اليه راجع الى وجهه تعالى و (من خلقه) بيان لما أو متعلق باحترق

رواه مسلم و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدالله ملائى لاتغيبها نفقة سحاء الليل و النهار أرايتم ما أنفق بذخلق السماء و الارض فانه لم يفض ما فى يده و كان عرشه على الماء و بيده الميزان يخفض ويرفع متفق عليه و فى رواية لمسلم يمين الله ملائى قال ابن نمير ملائى سحاء لا يغيثها شئ الليل و النهار و عنه

و المراد من خلقه جميع الموجودات (رواه مسلم) قيل معناه مسبوك من معنى آية الكرسي فهو سيد الاحاديث كما أنها سيدة الآيات (و عن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدالله) كناية عن محل عطائه أى خزائنه (ملائى) على زنة فعلى تائيت ملائى كناية عن كثرة تلك النعمة و عمومها (لاتغيبها) بالتأيت و قيل بالياء أى لاتنقصها (نفقة) أى انفاق (سحاء) بالمهملتين و المد من سح الماء اذا سال من فوق و من سححت الماء أى صببته صفة لنفقة أوليد و هو الاصح و قوله (الليل و النهار) منصوبان على الظرف أى دائمة الصبب فى الليل و النهار و ثبت فى صحيح مسلم سحا بلفظ المصدر و فى رواية لمسلم سح الليل و النهار بفتح الحاء و الاضافة قاله الابهرى و فيه اشارة الى أنها المعطية عن ظهر غنى لان الماء اذا انصب من فوق انصب بسهولة و الى جزالة عطايه لان السح يستعمل فيما بلغ و ارتفع عن القطر حد السيلان و الى أنه لمانع لاعطائه لان الماء اذا أخذ فى الانصباب لم يستطع أحد أن يرده (أرايتم) أخبروني و قيل أعلمتم و أبصرتم (ما أنفق) ما مضدرية أى انفاق الله و قيل ما موصولة متضمنة معنى الشرط (مذخلق السماء و الارض) أى من أول زمان خلق أهلها (فانه) أى الانفاق (لم يفض) بفتح الياء و كسر العين لم ينتفض (ما فى يده) موصولة مفعول أى فى خزائنه و قال الطيبى يدالله ملائى أى نعمته غزيرة كقوله تعالى بل يدها مسوطنان فان بسط اليد مجاز عن الجود و لا قصد الى اثبات يد و لا بسط كذا فى الكشاف و قال المظهر يدالله أى خزائن الله قيل اطلاق اليد على الخزائن لتصرفها فيها و المعنى بالخزائن قوله كن فيكون لانه له القدرة على ايجاد المعدوم و لذلك لا ينتفض أبداً و قوله ملائى و لا يغيثها و سحاء و أرايتم على تاويل القول أى مقول فيها أخبار مترادفة ليدالله و يجوز ان تكون الثلاثة الاخيرة وصفاً لملائى و أن يكون أرايتم استثناءنا و قوله (و كان عرشه على الماء) حال من ضمير خلق و كذا قوله (و بيده الميزان) حال منه أو من خبر كان أو من اسمه على رأى سيويه و سياتى تحقيق معنى قوله و كان عرشه على الماء فى باب بدء الخلق و معنى قوله يده الميزان بقدرته و تصرفه ميزان الاعمال و الارزاق (يخفض و يرفع) أى ينقص التصيب و الرزق باعتبار ما كان يمنحه قبل ذلك و يزيد بالنظر اليه بعمق قدره الذى هو تفصيل لتضائه الاول أو يخفض و يرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة اليه يقللها لمن يشاء و يكثرها لمن يشاء كمن يده الميزان يخفض تارة و يرفع أخرى و قيل المراد به العدل يعنى ينقص العدل فى الارض تارة بغلبة الجور و أهله و يرفع تارة بغلبة العدل و أهله (متفق عليه و فى رواية لمسلم يمين الله ملائى) قيل خص اليمين لانها مظنة العطاء أو اشارة الى يمن العطاء و بركته فمن تلقاه بالقبول و الرضا بورك له فى قليله حتى فاق على كثير ليس كذلك على ما هو مشاهد و ورد فى الحديث و كلتا يديه يمين أى مباركة قوية قادرة لازمة لاحداهما على الاخرى و لعله أراد باليدين التصريف من اعطاء الجزيل و القليل (قال ابن نمير) بالنصغير أى عبدالله فى روايته (ملائى) أى رواه كذا قال النووى قالوا هذا غلط منه و صوابه ملائى بالتأيت كما فى سائر الروايات قال الطيبى ان أرادوا رده رواية و نقلها فلا نزاع و ان أرادوا رده لعدم المطابقة فان اليد مؤنثة فأمره سهل لان معنى يدالله احسانه و افضاله قلت و فيه انه لا يلائمه قوله (سحاء لا يغيثها شئ الليل و النهار و عنه) أى عن أبي هريرة رضى الله عنه

قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المشركين قال الله أعلم بما كانوا عاملين متفق عليه
* (الفصل الثاني) * عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما خلق الله
القلم فقال له اكتب قال

(قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المشركين) جمع ذرية وهى نسل الانس والجن ويقع
على الصغار والكبار اما من الذر بمعنى التفريق لان الله تعالى فرقهم في الارض أو من الذرة بمعنى
الخلق فتركت الهمزة أو ابدلت وال مراد عن حكم أولادهم اذا ماتوا قبل البلوغ انهم من أهل النار
أو الجنة واعلم أن الولد تابع لاشرف الابوين دينا فيما يرجع الى أمور الدنيا وهو معنى قوله صلى الله
عليه وسلم في بعض الروايات هم من آياتهم و اما فيما يرجع الى أمور الآخرة من الثواب والعقاب
فموقوف موكول الى علم الله تعالى لان السعادة والشقاوة ليستا معللتين عندنا بالاعمال بل الله تعالى خلق
من شاء شقيا ومن شاء سعيدا وجعل الاعمال دليلا على السعادة والشقاوة (قال الله أعلم بما كانوا
عاملين) أى الله أعلم بماهم صائرون اليه من دخول الجنة أو النار أو الترك بين المنزلتين وقد
اختلفوا في ذلك فقيل انهم من أهل النار تبعيا للابوين وقيل من أهل الجنة نظرا الى أصل الفطرة
وقيل انهم خدام أهل الجنة وقيل انهم يكونون بين الجنة والنار لاسمعين ولامعذنين وقيل من
علم الله منه أنه يؤمن ويموت عليه ان عاش أدخل الجنة ومن علم منه أنه يعجز ويكفر أدخله النار
وقيل بالتوقف في أمرهم وعدم القطع بشئى وهو الأولى لعدم التوقف من جهة الرسول صلى الله عليه
وسلم فلم يقطع عليه الصلاة والسلام بكونهم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل أمرهم بالاعتقاد الذى
عليه أكثر أهل السنة من التوقف في أمرهم كذا ذكره ابن الملك في شرح المصاييح وفيه أن
الترك بين المنزلتين غير ثابت في الكتاب والسنة وأهل الاعراف مالهم الجنة وقيل انهم ينتحون
بداخل النار في تلك الدار والله أعلم وقال ابن حجر هذا قيل أن ينزل فيهم شئ فلا يتأني ان الاصح
انهم من أهل الجنة (متفق عليه)

* (الفصل الثاني) * (عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما خلق الله القلم)
بالرفع وهو ظاهر وروى بالنصب قال بعض المغاربة رفع القلم هو الرواية فان صح النصب كان على
لغة من ينصب خبران وقال المالكي يجوز نصبه بتقدير كان على مذهب الكسائي كقوله * ياليت أيام
الصبا رواجما * وقال المغربي لا يجوز أن يكون القلم مفعول خلق لان المراد أن القلم أول مخلوق
و اذا جعل مفعولا لخلق أوجب أن يقال اسم ان ضمير الشأن وأول ظرف فينبغي أن تسقط الفاء من
قوله فقال اذ يرجع المعنى الى أنه قال له اكتب حين خلقه فلا اخبار بكونه أول مخلوق اه وانما أوجب
ما ذكر لانه بدونه يفسد أصل المعنى اذ يصير التقدير ان أول شئ خلق الله القلم وهو غير صحيح
وقيل لو صحت الرواية بالنصب لم تمنع الفاء ذلك اذ يقدر قبل فقال أمره وهو العامل في الظرف
كذا حقه الطيبي وفيه أنه حينئذ لا يكون تنصيص على أولية خلق القلم الذى يدل عليه رواية الرفع
الصحيحة وفي الأزهار أول ما خلق الله القلم يعنى بعد العرش والماء والريح لقوله عليه الصلاة والسلام
كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بمئتين ألف سنة وعرشه على الماء
رواه مسلم وعن ابن عباس سئل عن قوله تعالى وكان عرشه على الماء على أى شئى كان الماء قال على متن
الريح رواه البيهقي ذكره الابهرى فالأولية اضافية والأول العنقبي هو النور الحمدى على ما بينته في
المورد للمول (فقال) أى الله وفي نسخة صحيحة (له) أى للقلم (اكتب) أمر بالكتابة (قال) وفي

ما أكتب قال اكتب القدر فكتب ما كان وما هو كائن الى الابد رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب اسنادا وعن مسلم بن يسار قال سئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن هذه الآية واذ أخذ ربك من نبي آدم من ظهورهم

نسخة بالفاء (ما أكتب) ما استفهامية مفعول مقدم، على الفعل (قال اكتب القدر) أى المقدر المقضى وفى المصايح قال القدر ما كان الخ قال شراحه أى اكتب القدر فنصبه بفعل مقدر وما كان بدل من المقدر أو عطف بيان (فكتب ما كان) المضى بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام قال الطيبي ليس حكاية عما أمر به القلم والا لقليل فكتب ما يكون وإنما هو اخبار باعتبار حاله عليه الصلاة والسلام أى قبل تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لا قبل القلم لان الغرض أنه أول مخلوق نعم اذا كانت الاولوية نسبة صح أن يراد ما كان قبل القلم (وما هو كائن) ما موصولة (الى الابد) قال الابهرى ما كان يعنى العرش والماء والرجع وذات الله وصفاته اه ويمكن أن يحمل ما كان على القضاء وما هو كائن على القدر والله أعلم * ظهرلى * فيه اشكال والله أعلم بالحال وهو أن ما لا يتناهى فى المال كيف يتحصر وينضب تحت القلم فى الاستقبال سيما مع قوله عليه الصلاة والسلام جف القلم اللهم الا أن يقال المراد به كتابة الامور الاجمالية الكلية لا الاحوال التفصيلية الجزئية وهو خلاف ظواهر الأدلة المرورية ثم رأيت الابهرى نقل عن زين العرب ان الابد هو الزمان المستمر غير المنقطع فالجمع بينه وبين الى متمم لانه لا يمكن وصول شئ اليه حتى ينتهى قلت يحمل الابد على الزمان الطويل اه وفيه أن الزمان الطويل الله أعلم أنه انقراض العالم أو استقرار الفريقين فى الموضعين ويازم منه أن لا تكون أحوال الدارين مكتوبة والله أعلم ثم رأيت فى الدر المختور نقلا عن ابن عباس ان أول شئ خلقه الله القلم فقال له اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب القدر يجرى من ذلك بما هو كائن الى أن تقوم الساعة ثم طوى الكتب ورفع القلم رواه البيهقى وغيره والحاكم وصححه وفى الدر أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول شئ خلقه الله القلم ثم النون وهى الدواة ثم قال له اكتب قال وما أكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة من عمل أو أثر أو رزق أو أجل فكتب ما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة ثم ختم على فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة أخرجه الحكيم الترمذى هذا وروى ان أول ما خلقه الله العقل وان أول ما خلقه الله نورى وان أول ما خلقه الله روحى وان أول ما خلقه الله العرش والاولية من الامور الاضافية فيقول ان كل واحد ما ذكر خلق قبل ما هو من جنسه فالقلم خلق قبل جنس الاقلام ونوره قبل الانوار والاقدمت ان العرش قبل خلق السموات والارض فتطلق الاولية على كل واحد بشرط التقييد فيقال أول المعاني كذا وأول الانوار كذا ومنه قوله أول ما خلقه الله نورى وفى رواية روحى ومعناهما واحد فان الارواح نورانية أى أول ما خلقه الله من الارواح روحى (رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب اسنادا) أى لامتنا والمراد به حديث يعرف منته عن جماعة من الصحابة وانفرد واحد بروايته عن صحابي آخر ومنه قول الترمذى غريب من هذا الوجه واستيفاء هذا المبحث فى أصول الحديث (وعن مسلم بن يسار) أى الجهنى قال الترمذى حديثه حسن الا أنه لم يسمع عمر كذا ذكره المصنف فى التابيعين (قال سئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن هذه الآية) أى عن كيفية أخذ الله ذرية نبي آدم من ظهورهم المذكور فى الآية (واذ أخذ) أى أخرج (ربك من نبي آدم من ظهورهم) بدل البعض قاله ابن الملك وكذا ذكره البيضاوى وقال السيموطى انه بدل الاشتمال وواقفه أبو البقاء وهو الاظهر معنى وان كان

ذريتهم الآية قال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه

الاول أظهر لفظاً وقد حققته في حاشيتي الجمالين على الجلالين (ذريتهم) الجمهور على الافراد وبعضهم على الجمع (الآية) بالحركات الثلاث (قال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل) بصيغة المفعول (عنها) أى عن هذه الآية (قال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره) أى ظهر آدم (بيمينه) أى بقدرته وقوته قال الطيبي ينسب الخير الى اليمين ففيه تنبيه على تخصيص آدم بالكرامة وقيل يد بعض ملائكته وهو الملك الموكل على تصوير الاجنة أسند تعالى للتشريف أو لانه الأمر والمتصرف كما أسند اليه التوفى في قوله تعالى الله يتوفى الانفس وقال تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ويمتل أن يكون الماسح هو الله تعالى والمسح من باب التصوير والتمثيل وقيل هو من المساحة بمعنى التقدير كانه قال قدر وبين ما في ظهره من الذرية وقال البيضاوى في تفسيره ان معنى الآية أنه نزل تمكين بنى آدم من العلم بربوبيته ينصب الدلائل وخلق الاستعداد فيهم وتمكنهم من معرفتها والاقرار بها منزلة الاشهاد والاعتراف تشيلاً وتحصيلاً فلا قول ثم ولاشهادة حقيقة اه وفيه ان هذا يرجع الى مذهب المعتزلة وان كان أصله نقل عن الحسن البصرى وقال الامام الرازى أظنت المعتزلة على أنه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الحديث لان قوله من ظهورهم يدل من بنى آدم فالمعنى واذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم فلم يذكر أنه أخذ من ظهر آدم شيئاً ولو كان المراد الاخذ من ظهر آدم لقل من ظهره وأجاب بأن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى أخرج الذرية من ظهور بنى آدم وأما انه أخرج تلك الذرية من ظهر آدم فلا تدل الآية على اثباته ونفيه والخبر قد دل على ثبوته فوجب القول بهما بما أن بعض الذر من ظهر بعض الذر والسكل من ظهر آدم صونا للآية والحديث عن الاختلاف قال بعض المحققين ان بنى آدم من ظهره فكل ما أخرج من ظهورهم فيما لا يزال الى يوم القيامة هم الذين أخرجهم الله تعالى فى الازل من صلب آدم وأخذ منهم الميثاق الازلى ليعرف منه أن النسل المخرج فيما لا يزال من أصلاب بنيه هو المخرج فى الازل من صلبه وأخذ منهم الميثاق الثانى وهو العاقبى الازلى كما أخذ منهم فيما لا يزال بالتدرج حين أخرجوا الميثاق الثانى وهو العاقبى الازلى والحاصل ان الله تعالى لما كان له ميثاقان مع بنى آدم أحدهما تهتدى اليه العقول من نصب الأدلة الحاملة على الاعتراف الحالى و ثانيهما المقاتل الذى لا يهتدى اليه العقل بل يتوقف على توقف واقف على أحوال العباد من الازل الى الابد كالانبياء عليهم الصلاة والسلام أراد عليه الصلاة والسلام أن يعلم الامة ويخبرهم أن وراء الميثاق الذى يهتدون اليه بعقولهم ميثاقاً آخر أزلياً فقال ما قال من مسح ظهر آدم فى الازل واخراج ذريته وأخذ الميثاق عليهم اه وبهذا يزول كثير من الاشكالات فتأمل فيها حق التأمل وقال القاضى فى شرحه للمصابيح التوقى ينهما أن يقال المراد من بنى آدم هو أولاده فكانه صار اسماً للنوع كالانسان والمراد من الاخراج توليد بعضهم من بعضهم على مر الزمان واقتصر فى الحديث على آدم لانه الاصل اه وفيه أن التوليد على المر الزمان ينافى الميثاق الموصوف بالاتى فكيف يكون الحديث تفسيراً للآية ثم منح لى بالبال أنه يمكن ان يقال انما اقتصر فى الآية على الذرية لظهور أمر آدم بالادلة العقلية والعقلية خصوصاً من الاضافة الابنية كما هو مقتضى الفصاحة القرآنية والبلاغة الفرقانية الموصوفة بالاعجاز التى من جملة دلالاته صنعة الاطباء والايجاز ولما فهم عليه الصلاة والسلام من السؤال بقرينة الحال موضع الاشكال لما وقع فيه من الاجمال اقتصر على مقدار

فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل فقيم العمل يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار رواه مالك والترمذي و أبو داؤد و عن عبد الله بن عمرو قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم و في يديه كتابان فقال أتدرون

الحاجة من المقال فقال (فاستخرج منه ذرية) قيل قيل دخول آدم الجنة بين مكة والطائف وقيل يبطن نعمان وأنه يقرب عرفة وقيل في الجنة وقيل بعد النزول منها بارض الهند وروى عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنشرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا وسيحجى في الفصل الثالث ما يدل على أن المراد من هذا الحديث هذا ولما كان السائل بليغا عارفا بصناعة الكلام سكت عند حصول الغرام ونقل السيد السند عن الأزهاري أنه قيل شق ظهره واستخرجهم منه وقيل انه استخرجهم من ثقب رأسه والاقرب أنه استخرجهم من مسام شعرات ظهره (فقال خلقت هؤلاء للجنة) وفي تقديمهم إشارة الى معنى الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي (ويعمل أهل الجنة) أى من الطاعات (يعملون) اما في جميع عمرهم أو في خاتمة أمرهم (ثم مسح ظهره) أى بيده كما في نسخة ولم يقل هنا يمينه بخلافه فيما تقدم لان اليمن مظهر الخير ولظهور الفرق بين أهل الجنة والنار ولم يقل هنا بشماله تأديبا ومن ثم ورد كلنا يدي الرحمن يمين لان الشر المحض ليس له وجود في الكون (فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار) أى من السيئات (يعملون) كما سبق وفي الجمع بين الخلق والعمل إشارة لطيفة الى مذهب أهل السنة والجماعة المتوسطة بين الجبرية والقدرية (فقال رجل فقيم العمل يا رسول الله) الفاء دخل جواب الشرط المقدر ۳ وفي وقع موقع لام الغرض أى اذا كان كما ذكرت يا رسول الله من سبق القدر ففى أى شئ يفيد العمل أو باى شئ يتعلق العمل أو فلقى شئ أمرنا بالعمل يعنى أنه حيث خلق له ولا يتصور تغييره وتبديله يستوى عمله وتركه ولما كان هذا جبرا محضا مزجه بنوع من القدر المتعلق بالعمل ليعتدل الأمر المستقيم والدين القويم الذى هو عبارة عن الجمع بين خلق الله وكسب عبده (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله) أى جعله عاملا ووقفه للعمل (يعمل أهل الجنة) فيه إشارة الى تقوية الجبر ولذا لا يذم الا محض الجبر (حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة) إشارة الى أن المدار على عمل مقارن بالموت (فيدخله به الجنة) الادخال بالافضال والدرجات بالأعمال والخلود بالنية في الأحوال (و اذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار) الادخال بالعدل والدرجات بالعمل والخلود بالنية وطول الأمل فلا يرد ان ظاهر العدل بالنسبة الى من كفر سبعين سنة أن لا يعذب زيادة عليها فان نية الكافر أن لو عاش أبد الآباد لاصر على كفره اما جهلا واما على وجه العناد (رواه مالك والترمذي و أبو داؤد) وحسنه وأحمد وعبد الله بن حميد والبخارى في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والآجری كذا في الجامع الصغير وفي الكبير فلذلك أتول جف القلم على علم الله رواه الطبراني وابن جرير والبيهقي في السنن (وعن عبد الله ابن عمرو) بالواو (رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم و في يديه) وفي بعض النسخ و في يده كما في أكثر نسخ المصابيح فيراد بها الجنس (كتابان) والواو للحال (فقال أتدرون)

ما هذان الكتابان قلنا لا يارسل الله الا أن تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة و أسماء آبائهم و قبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا

أى أتعلمون (ما هذان الكتابان) الظاهر من الاشارة أنهما حسيان وقيل تمثيل واستحضار للمعنى الدقيق الخفى في مشاهدة السامع حتى كأنه ينظر اليه رأى العين فالنبي صلى الله عليه وسلم لما كوشف له بحقيقة هذا الامر و أطلع الله عليه اطلاعا لم يبق معه خفاء صور الشئ الحاصل في قلبه بصورة الشئ الحاصل في يده و أشار اليه اشارة الى المحسوس (قلنا لا) أى لا ندري (يارسل الله الا أن تخبرنا) استثناء مفرغ أى لا نعلم بسبب من الاسباب الا باخبارك ايانا وقيل الاستثناء منقطع أى لكن ان أخبرتنا علمنا و كانتهم طلبوا بهذا الاستدراك اخباره اياهم (فقال للذي في يده اليمنى) أى لاجله و في شأنه أو عنه وقيل قال بمعنى أشار فاللام بمعنى الى (هذا كتاب من رب العالمين) خصه بالذكر دلالة على انه تعالى مالكهم و هم له مملوكون يتصرف فيهم كيف يشاء فيسعد من يشاء و يشقى من يشاء و كل ذلك عدل و صواب فلا اعتراض لاحد عليه و قيل الظاهر أن هذا كلام صادر على طريق التصوير و التمثيل مثل الثابت في علم الله تعالى أو المثبت في اللوح بالمثبت بالكتاب الذى كان في يده و لا يستبعد اجراءه على الحقيقة فان الله تعالى قادر على كل شئ و النبي صلى الله عليه وسلم مستعد لادراك المعاني الغيبية و مشاهدة الصور المصوغة لها (فيه أسماء أهل الجنة و أسماء آبائهم و قبائلهم) الظاهر ان كل واحد من أهل الجنة و أهل النار يكتب أسماؤهم و أسماء آبائهم و قبائلهم سواء كانوا من أهل الجنة أو النار للتمييز التام كما يكتب فى الصكوك قال الأشرف أهل الجنة تكتب أسماؤهم و أسماء آبائهم و قبائلهم الذين هم أهل النار فى الكتاب الذى باليمين و بالعكس فى أهل النار والأفلاكياء و الابناء اذا كانوا من جنس أهل الجنة أو من جنس أهل النار فلاحاجة الى افراد ذكرهم لدخولهم تحت قوله فيه أسماء أهل الجنة و فيه أسماء أهل النار (ثم أجمل على آخرهم) من قولهم أجمل الحساب اذا تم و ورد التفصيل الى الاجمال و أثبت فى آخر الورقة مجموع ذلك و جملته كما هو عادة المحاسبين أن يكتبوا الاشياء مفصلة ثم يوقعوا فى آخرها فذلكت ترد التفصيل الى الاجمال و ضمن أجمل معنى أوقع فعدى يعلى أى أوقع الاجمال على من انتهى اليه التفصيل و قيل ضرب بالاجمال على آخر التفصيل أى كتب و يجوز أن يكون حالا أى أجمل فى حال انتهاء التفصيل الى آخرهم فعلى بمعنى الى (فلا يزداد فيهم) جزاء شرط أى اذا كان الامر على ما تقرر من التفصيل و التعيين و الاجمال بعد التفصيل فى الصك فلا يزداد فيهم (و لا ينقص) بصيغة المجهول (منهم أبدا) لان حكم الله لا يتغير و أما قوله تعالى لكل أجل كتاب يمحوا الله ما يشاء و يثبت فمعناه لكل انتهاء مدة وقت مضروب فمن انتهى أجله يمحوه و من بقى من أجله يثبت على ما هو مثبت فيه و كل ذلك مثبت عند الله فى أم الكتاب و هو القدر كما أن يمحو و يثبت هو القضاء فيكون ذلك عين ما قدر و جرى فى الازل كذلك فلا يكون تغييرا أو المراد منه محو المنسوخ من الاحكام و اثبات الناسخ أو محو السيئات من النائب و اثبات الحسنات بمكاناته و غير ذلك و يمكن أن يقال المحو و الاثبات يتعلقان بالامور المتعلقة دون الاشياء المحكمة و الله أعلم ففى الجامع الصغير برواية الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا ان الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلعه نور و كتابه نور لله فى كل يوم ستون و ثمانمائة لحظة يخلق و يبرؤ و يميت و يحيى و يعز و يذل و يفعل ما يشاء قال ابن حجر و لا يتناهى قوله تعالى يمحوا الله ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب لما أمر أن المحو و الاثبات انما هو بالنسبة لما فى اللوح

ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار و أسماء آبائهم و قبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحابه ففهم العمل يا رسول الله ان كان أمر قد فرغ منه فقتل سدودا و قاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة و ان عمل أى عمل و ان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار و ان عمل أى عمل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فينذ هما ثم قال فرغ ربكم

المحفوظ و علم الملائكة لان الاشياء فيه قد تكون معلقة على أسباب يتغير بوجودها و فقد ها لا لام الكتاب المراد بها علم الله تعالى القديم لانه لا محو فيه و لا اثبات و سر ذلك التعليق مع انه لا يلقح الا الموافق للعلم القديم مزيد التعمية على الملائكة المطلعين على ذلك و تحقيق انفراده تعالى بعلمه القديم و انه لا يمكن احدا أن يطلع عليه الا بالنسبة لجزئيات معينة كاعلامه عليه الصلاة والسلام لجماعة من أصحابه على التعيين انهم من أهل الجنة (ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار و أسماء آبائهم و قبائلهم) و الفاسق مسكوت عنه كما هو دأب الآيات القرآنية و الاحاديث النبوية في جميع الاحكام الوعدية و الوعيدية ليكون بين الخوف و الرجاء راضيا بما جرى عليه من القضاء و الاظهر انه مكتوب في أهل الجنة لان ما له اليها و ان دخل النار فان الخاتمة هي المدار عليها (ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحابه) رضي الله عنهم (فقيم العمل يا رسول الله ان كان أمر قد فرغ منه) بصيغة المجهول يعني اذا كان المدار على كتابة الازل فأى فائدة في اكتساب العمل (فقتل سدودا) أى اجعلوا أعمالكم مستقيمة على طريق الحق (و قاربوا) أى اطلبوا قربة الله تعالى بطاعته بقدر ما تفيقونه و الجواب من أسلوب الحكيم أى قيم أنتم من ذكر القدر و الاحتجاج به و انما خلقتكم للعبادة فاعملوا و سدودا و قاربوا قاله الطيبي و قال الشيخ ابن حجر في شرح البخاري سدودا أى الزموا السداد و هو الصواب من غير افراط و تفريط و قاربوا أى ان لم تستطيوا الاخذ بالاكمل فاعملوا بما يقرب منه و قال الكرمانى و قاربوا في العبادة و لا تباعدوا فانكم ان باعدتم في ذلك لم تبغوه أو معناه ساعدوا يقال قاربت فلانا اذا ساعدته أى ليساعد بعضكم بعضا في الامور و حاصل الجواب و الله أعلم بالصواب نفى الجبر و اثبات الحكم باعتدال الامرين كتابة الازل و سرية العمل أو لان الاعمال امارات و علامات فلا بد من وجودها اذ لا يعمل الله تعالى بمجرد علمه و الله أعلم و لذا قال صلى الله عليه وسلم (فان صاحب الجنة يختم له) بصيغة المجهول (يعمل أهل الجنة) أى يعمل مشر بإيمانه و مشير بأيقانه (و ان عمل) أى و لو عمل قبل ذلك (أى عمل) من أعمال أهل النار (و ان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار) أعم من الكفر و المعاصى (و ان عمل أى عمل) أى قبل ذلك (من أعمال أهل الجنة) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أى أشار (بيديه) العرب تجعل القول عبارة عن جميع الاعمال تنطقه على غير الكلام و اللسان فتقول قال يديه أى أخذوا قال بجرله أى مشى

و قالت له العينان سماعا و طاعة * و حذرتا كالدر لما يقب

أى أومات و قال بالماء على يده أى قلب و قال يوبه أى رفعه (فنبذهما) أى طرح ما فيها من الكتابين قبل وراء ظهره و في الازهار الضمير في نبذهما للبين لان نبذ الكتابين بعيد من دأبه اه و فيه أن نبذهما ليس بطريق الاهانة بل اشارة الى أنه نبذهما الى عالم الغيب ثم هذا كله اذا كان هناك كتاب حقيقي و أما على التمثيل فيكون المعنى نبذهما أى اليدين قال بعضهم قوله قال بيديه فنبذهما بمنزلة قوله جف القلم بما أنت لان كناية عن ان هذا لا مرقد فرغ منه فصار كما تخلفه وراء

من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير رواه الترمذی و عن أبي خزامة عن أبيه قال قلت يا رسول الله رأيت رق نسترقها ودواء نتداوى به وتقاة ننتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله رواه أحمد و الترمذی و ابن ماجه و عن أبي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر

ظهر ك فيكون معنى قوله (ثم قال فرغ ربكم) تفسيرا لهذا الفعل ويكون نتيجة لهذا الكلام (من العباد) قال الاشراف أى من أمر العباد والمراد بالامر الشأن أى قدر أمرهم لما قسمهم قسمين و قدر لكل قسم على التعيين كونه من أهل الجنة أو النار بحيث لا يقبل التغيير فكأنه فرغ من أمرهم و الا فالفرغ لا يجوز عليه تعالى (فريق في الجنة و فريق في السعير) يمكن أن يكون هذا استهادا من القرآن و اعتضادا بالفرقان على ان أمر الفريقين مبهم عندنا و مجمل و معلوم عنده تعالى و مفصل و الالهية و الله تعالى أعلم (رواه الترمذی و عن أبي خزامة) بكسر الخاء و تخفيف الزاء (عن أبيه) و قد اختلف فيه فروى هكذا وروى عن ابن أبي خزامة عن أبيه و الاول أصح و في اسم الراوى أبي خزامة خلاف للمحدثين قال المصنف هو أبو خزامة بن يعمر أحد بني الحرث بن سعد روى عن أبيه و عنه الزهري و هو تابعي (قال قلت يا رسول الله رأيت رق نسترقها) جمع رقية كظم جمع ظلمة و هي ما يقرأ لطلب الشفاء و الاسترقاء طلب الرقية (ودواء) بالنصب (نتداوى به) أى نستعمله (و تقاة) بضم أوله (نتقيها) أى نلتجئ بها أو نحذر بسببها و أصل تقاة وقاة من وق و هي اسم ما يلتجئ به الناس من خوف الاعداء كالترس و هو ما يقي من العدو و أى يحفظ و يجوز أن يكون مصدرا بمعنى الانتفاء فالضمير في ننتقيها للمصدر قيل و هذه المنصوبات أعنى رق و ما عطف عليها موصوفات بالأفعال الواقعة بعدها و متعلقة بمعنى رأيت أى أخبرت عن رق نسترقها نصبت على نزع الخافض و يجوز أن يتعلق بلفظ رأيت و المفعول الاول الموصوف مع الصفة و الثاني الاستفهام بتأويل مقولا في حقتها (هل ترد) أى هذه الاسباب (من قدر الله شيئا قال هي) أى المذكورات الثلاث (من قدر الله) أيضا يعنى كما أن الله قدر الداء قدر زواله بالدواء و من استعمله و لم ينفعه فليعلم أن الله تعالى ما قدره قال في النهاية جاء في بعض الاحاديث جواز الرقية كقوله عليه الصلاة والسلام استرقواها فان بها النظرة أى اطلبوا لها من يرقها و في بعضها النهي عنها كقوله عليه الصلاة والسلام في باب التوكل الذين لا يسترقون و لا يكتوبون و الاحاديث في القسمين كثيرة و وجه الجمع ان ما كان من الرقية بغير أسماء الله تعالى و صفاته و كلامه في كتبه المنزلة أو بغير اللسان العربي و ما يعتقد منها أنها نافعة لا محالة فينكل عليها فانها منتهية و اياها أراد عليه الصلاة والسلام بقوله ما توكل من استرق و ما كان على خلاف ذلك كالتعوذ بالقرآن و أسماء الله تعالى و الرق الرومية فليست بمنتهية و لذلك قال عليه الصلاة والسلام للذي رقى بالقرآن و أخذ عليه أجرا من أخذ برقية باطل فقد أخذت برقية حق و أما قوله عليه الصلاة والسلام لا رقية الا من عين أو حمة فمعناه لا رقية أولى و أنفع منهما قال ابن حجر و بتحريم الرقية بغير العربي صرح أئمة المذاهب الاربعة (رواه أحمد و الترمذی) و قال حسن صحيح و صححه الحاكم أيضا (و ابن ماجه و عن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم و نحن نتنازع) أى حال كوننا نتباحث (في القدر) أى في شأنه يقول بعضنا اذا كان الكل بالقدر فلم الثواب و العقاب كما قالت المعتزلة و الآخر يقول فما الحكمة في تقدير بعض للجنة و بعض

فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما قفى في وجنتيه حب الرمان فقال أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت اليكم
انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الامر عزمت عليكم عزمت عليكم أن لاتنازعوا فيه رواه
الترمذى وروى ابن ماجه نحوه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده و عن أبي موسى قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم من قبضة

لنار فيقول الآخر لان لهم فيه نوع اختيار كسبى فيقول الآخر فمن أوجد ذلك الاختيار والكسب
وأقدرهم عليه و ما أشبه ذلك (فغضب حتى احمر وجهه) أى نهاية الاحمرار (حتى) أى حتى
صار من شدة حرته (كأنما قفى) بصيغة المفعول أى شق أو عصر (في وجنتيه) أى خديه (حب
الرمان) فهو كناية عن مزيد حمرة وجهه المنبثة عن مزيد غضبه و انما غضب لان القدر سر من أسرار
الله تعالى وطلب سر الله منى و لان من يبحث فيه لا يأمن من أن يصير قدريا أو جبريا والعباد
مأمورون بقول ما أمرهم الشرع من غير أن يطلبوا سر مالا يجوز طلب سره (فقال) عليه الصلاة
والسلام (أبهذا) أى أباالتنازع في القدر (أمرتم) و همزة الاستفهام للانكار و تقديم المجرور
لمزيد الاهتمام (أم بهذا أرسلت اليكم) أم منقطعة بمعنى بل و الهمزة وهى للانكار أيضا ترقيا من
الاهون الى الاغظ و انكارا غب انكار (انما هلك من كان قبلكم) أى من الاسم جملة مستأنفة
جوابا عما اتجه لهم أن يقولوا لم تسكر هذا الانكار البالغ (حين تنازعوا في هذا الامر) و هذا يدل على
أن غضب الله و اهلاكهم كان من غير امهال فقيه زيادة و عيد (عزمت) أى أقسمت أو أوجبت
(عليكم) قيل أصله عزمت بالقاء العين و الزامها عليكم (عزمت عليكم أن لاتنازعوا) بجذف
احدى التاءين (فيه) و لا تبخثوا في القدر بعد هذا قال ابن الملك أن هذه يمتنع كونها مصدرية
و زائدة لان جواب القسم لا يكون الا جملة و أن لا تزداد مع لا فهى اذا مفسرة كاقسمت أن لا ضربت
و تنازعوا جزم بلا التاهية و يجوز أن تكون مخففة من الثقيلة لانها مع اسمها و خبرها سدت مسد الجملة
كذا قاله زين العرب (رواه الترمذى) أى بهذا اللفظ عن أبي هريرة و قال لا نعرف الحديث الا من
رواية صالح المري و له غرائب ينفرد بها اهـ و قال في ميزان الاعتدال صالح بن بشير الزاهد المري
الواعظ ضعفه ابن معين وغيره (و روى ابن ماجه نحوه) أى بالمعنى (عن عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده) اعلم أن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص أبو عبد الله على الصحيح أحد علماء زمانه
روى عن البخارى أن أحمد و جماعة يحتجون بحديث عمرو لكن البخارى ما احتج به في جامعه قال
أبو زرعة انما أنكروا حديثه لكثرة روايته و انما سمع أحاديث بسرة و أخذ صحيفة كانت عندها فرواها
وشعيب لا نعرفه و لكن ما علمت أحدا وثقه بل ذكره ابن حبان في تاريخ النقات و قال ابن عدى عمرو بن
شعيب ثقا لانه اذا روى عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون مراسلتا قد ثبتت سماعه عن عبد الله
وهو الذى ربا حتى قيل ان هذا مات في حياة أبيه عبد الله وكفل شعيبا جده عبد الله كذا في الميزان للذهبي وقال بعض
المحققين الصحيح ان الضمير في جده راجع الى شعيب و كثيرا ما وقع في رواية أبي داود و النسائي
و غيرهما بلفظ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص فحديثه لا طعن فيه و قال الامام
النووى أنكر بعضهم حديث عمرو عن أبيه عن جده باعتبار ان شعيبا سمع من محمد لا عن جده عبد الله
فيكون حديثه مراسلا لكن الصحيح أنه سمع من جده عبد الله فحديثه بهذا الطريق متصل لكن لاحتمال
أن يراد بجده في الاستناد محمد لا عبد الله لم يدخل حديثه بهذا الاستناد في الصحاح و ان احتجاجه و قال
الشيخ ابن حجر في شرح البخارى ترجمة عمرو قوية على المختار حيث لا تعارض و الله أعلم كذا حره

قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والايض والاسود و بين ذلك
و السهل و الحزن و الخبيث و الطيب رواه أحمد و الترمذى و أبو داود و عن عبدالله بن عمرو قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق خلقه في ظلمة

ميرك شاه رحمه الله (و عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم من قبضة)
بالضم و يفتح و من ابتدائية متعلقة بخلق أو بيانية حال من آدم (قبضها) أى أمر الملك بقبضها
والقبضة بالضم ملء الكف وربما جاء بفتح القاف كذا في الصحاح و في القاموس القبضة و ضمه أكثر ما
قبضت عليه من شئ و في النهاية القبض الاخذ بجميع الكف و القبضة العرة منه و بالضم الاسم منه (من جميع
الارض) يعنى و جهها أى من جميع ما قدر الله أن يسكنه بنو آدم من الارض و ليس مراده من جميع
الارض لان من الارض ما لا يصل اليه قدم آدمى و القابض من جميع الارض هو عزرائيل عليه الصلاة والسلام
فنسب الفعل اليه تعالى لانه بامر و ارادته و لما كان عزرائيل متولى القبضة و لى قبض الارواح من أجسادها
ليرد وديعة الله التى قبضها من الارض اليها كذا قاله زين العرب و فيه إشارة الى آية منها خلقناكم
و فيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى هذا و ذكر السيوطى رحمه الله في الدر المنثور عن أبي هريرة
قال خلق الكعبة قبل الارض بالفى سنة قالوا كيف خلقت قبل و هى من الارض قال كانت خشقة على
الماء و هى بالخاء و الشين المعجمتين و الفاء أى حجرة أو أكمة أو جزيرة عليها ملكان يسبحان الليل
و النهار ألفى سنة فلما أراد الله أن يخلق الارض دحاها منها فجعلها في وسط الارض فلما أراد الله أن يخلق
آدم بعث ملكا من حملة العرش يأتي بتراب من الارض فلما هوى لياخذ قالت الارض أسألك بالذى أرسلك
أن لاتأخذ منى اليوم شياً يكون منه للار نصيب غدا فتركها فلما رجع الى ربه قال ما منعك أن تأتى بما
أمرتك قال سألتى بك ف عظمت أن أرد شياً سألتى بك فأرسل آخر فقال مثل ذلك حتى أرسلهم كلهم فأرسل
ملك الموت فقالت له مثل ذلك قال ان الذى أرسلنى أحق بالطاعة منك فآخذ من وجه الارض كلها
من طيبها و خبيثها حتى كانت قبضة عند موضع الكعبة فجاء به الى ربه فصب عليه من ماء الجنة
فجاء حمأ مستونا فخلق منه آدم بيده الحديث (فجاء بنو آدم على قدر الارض) أى سلبها من الالوان
و الطباع (منهم الاحمر و الابيض و الاسود) بحسب مراتبهم و هذه الثلاثة هى أصول الالوان
و ماعداها مركب منها و هو المراد بقوله (و بين ذلك) أى بين الاحمر و الابيض و الاسود باعتبار
أجزاء أرضه (و السهل) أى و منهم السهل أى اللين (و الحزن) بفتح الحاء و سكون الزاى أى
الغليظ (و الخبيث) أى خبيث الخصال (و الطيب) على طبع أرضهم و كل ذلك بتقدير الله تعالى لونا
و طبعا و خلقا قال الطبيعى و لما كانت الاوصاف الاربعة ظاهرة في الانسان و الارض أجريت على حقيقتها
و أولت الاربعة الاخيرة لانها من الاخلاى الباطنة فان المعنى بالسهل الرفق و اللين و بالحزن الخرق
و العنف و بالطيب الذى يعنى به الارض العذبة المؤمن الذى هو نفع كله و بالخبيث الذى يراد به
الارض السبخة الكافر الذى هو ضر كله و الذى سبق له الحديث هو الامور الباطنة لانها داخله في
حديث القدر بالخبر و الشر و أما الامور الظاهرة من الالوان و ان كانت مقدرة فلا اعتبار لها فيه اه
و يمكن أن يكون لها اعتبار إشارة الى أن هذه الاوصاف و الآثار بمنزلة هذه الالوان في كونها تحت
الاقدار غايته أن الاوصاف قابلة للزيادة و نقصان بحسب الطاعة و الامكان لمجادة الانسان بخلاف
الالوان و ان نظرت الى الحقيقة فلا تبديل ولا تغيير لخلق الله و هذا معنى قوله جف القلم على علم الله
(رواه أحمد و الترمذى و أبو داود) و كذا الحاكم و البيهقى (و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال سمعت

فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله رواء أحمد و الترمذى و عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فقلت يا نبي الله آتنا بك و بما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق خلقه أى الثقليين من الجن و الانس لا الملائكة (في ظلمة) أى كائنين في ظلمة النفس الامارة بالسوء المجلولة بالشهوات المرديّة و الاهواء المضلة و الركون الى المحسوسات و الغفلة عن عالم الغيب (فألقى) أى رش (عليهم) شيئاً (من نوره) فمن نوره صفة محذوف أى شيئاً منه و من لتبيين أو للتبويض أو زائدة و المراد منه نور الايمان و المعرفة و الايقان و الطاعة و الاحسان (فمن أصابه من ذلك النور) أى نوره المعنوى الواصل اليه و النور مجرور و يجوز أن يرفع على انه فاعل أصابه و من ذلك حال منه ذكره العيني (اهتدى) أى الى طريق الجنة (و من أخطأه) أى ذلك النور يعنى جاوزه و لم يصل اليه (ضل) أى خرج عن طريق الحق و قيل المراد بالنور الملقى اليهم ما نصب من الشواهد و الحجج و ما أنزل اليهم من الآيات و النذر اذ لولا ذلك لبقوا في ظلمات الضلالة في يياد الجهالة و قيل المراد بالظلمة كالحرص و الحسد و الكبر و غيرها من الاخلاق الذميمة و بالنور التوفيق و الهداية يطلع ذلك فمن وقفه لذلك اهتدى و من لم يوقفه ضل و غوى و قيل المراد بالظلمة الجهالة و بالنور المعرفة يعنى خلق الله الخلق جاهلين به و بصفاته فعرفهم ذاته و صفاته ليعرفوه و قيل المراد انه خلق أرواحهم في ظلمة و حيرة فألقى عليهم نور الرحمة و الهداية و لولا ذلك لم يهتد اليه أحد

لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

قيل و يمكن أن يحمل الحديث على خلق الذر المستخرج في الازل من صلب آدم فعبر بالنور عن اللطاف الالهية التى هي تبايخ صبح الهداية و اشراق لمعات برق العناية ثم أشار بقوله أصاب و أخطأ الى ظهور تلك العناية فيما لا يزال من هداية بعض و ضلال بعض (فلذلك) أى من أجل أن الاهتداء و الضلال قد جرى (أقول جف القلم على علم الله) أى على ما علم الله و حكم به في الازل لا يتغير ولا يتبدل و جفاف القلم عبارة عنه و قيل من أجل عدم تغير ما جرى في الازل تقديره من الايمان و الطاعة و الكفر و المعصية أقول جف القلم قبل وجه التوفيق بين هذا المعنى و بين قوله ما من مولود أن يقال الانسان مركب من الروحانية التى تقتضى العروج الى عالم القدس و هي مستعدة لتبول فيضان نور الله تعالى و النحل بالكلمات و من النفسانية المائلة الى ظلمات الشهوات و الضلال فهذا الحديث يسوق في القدر بدليل قوله جف القلم فبنيه فيه على ان الانسان خلق على حالة لا تنفك عن ظلمة الا من أصابه من النور الملقى عليهم و في هذا الحديث لمح الى القضاء كقوله ما من مولود فأجرى الكلام على ما مر بيانه (رواه أحمد و الترمذى و عن أنس) رضى الله عنه (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر) من الاكثار (أن يقول) هذا القول (يا مقلب القلوب) أى مصرفها تارة الى الطاعة و تارة الى المعصية و تارة الى الحضرة و تارة الى الغفلة (ثبت قلبى على دينك) أى اجعله ثابتاً على دينك غير مائل عن الدين القويم و الصراط المستقيم و الخلق العظيم (فقلت يا نبي الله آتنا بك) أى بنبوتك و رسالتك (و بما جئت به) من الكتاب و السنة (فهل تخاف علينا) يعنى ان قولك هذا ليس لنفسك لانك في عصمة من الخطأ و الزلة خصوصاً من تقلب القلب عن الدين و الملة و انما المراد تعليم الامة فهل تخاف علينا من زوال نعمة الايمان أو الانتقال من الكمال الى النقصان (قال نعم) يعنى أخاف عليكم

ان القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقبلها كيف يشاء رواه الترمذى وابن ماجه و عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل القلب كريحشة بأرض فلاة يقبلها الرياح ظهرا لبطن رواه أحمد و عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله و أنى رسول الله بعثنى بالحق و يؤمن بالموت و البعث بعد الموت

(ان القلوب بين أصبعين من أصابع الله) وفي خبر مسلم من أصابع الرحمن والفرق انه ابتداء به ثمة فالرحمة سبقت الغضب فناسب ذكر الرحمن وهنا وقع تأييدا للخوف عليهم فالمقام مقام هيبية واجلال فناسب ذكر مقام الجلالة والالهية المقتضية لان يخص من شاء بما شاء من هداية أو ضلالة (يقبلها) أى القلوب (كيف يشاء) مفعول مطلق أى تقبلياً يريد به أحوال من الضمير المنصوب أى يقبلها على أى صفة شاءها (رواه الترمذى وابن ماجه و عن أبي موسى) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل القلب) أى صفة القلب العجيبة الشأن وما يرد عليه من عالم الغيب من الدواعى وسرعة تقلبه بسببها (كريحشة) أى كصفة ريشة وهى وحدة الريش (بارض) بالتونين وقيل بالأضافة (فلاة) صفة أى مفازة خالية من النبات قيل ذكر الأرض مقحم لان الفلاة تدل عليها فالمقصود التأكيد لدفع التجوز كما فى أصرتها بعنى وتخصيص الفلاة لان التقلب فيها أشد من العمران (يقبلها الرياح) بالتذكير وقيل بالتأنيث قال الطيبى صفة أخرى لريشة وجمع الرياح للدلالة على ظهور التقلب اذ لو استمر الريح على جانب واحد لم يظهر التقلب (ظهرا لبطن) أى وبطناً لظهر يعنى كل ساعة يقبلها على صفة فكذا القلب يتقلب ساعة من الخير الى الشر و بالعكس وقوله ظهرا بدل البعض من الضمير فى يقبلها و اللام فى لبطن بمعنى الى كقولته تعالى مناديا ينادى للإيمان و يجوز أن يكون ظهرا لبطن مفعولاً مطلقاً أى تقبلياً مختلفاً و أن يكون حالاً يعنى مقدرة أى يقبلها مختلفة ولهذا الاختلاف والانتقال يسمى القلب قلباً (رواه أحمد) و رواه ابن ماجه بلفظ مثل القلب مثل الريشة يقبلها الرياح بفلاة (و عن علي رضى الله عنه) وفى نسخة كرم الله وجهه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد) هذا نفي أصل الإيمان أى لا يعتبر ما عنده من التصديق القلبي (حتى يؤمن بأربع يشهد) منصوب على البذل من قوله حتى يؤمن وقيل مرفوع تفصيل لما سبقت أى يعلم و يتيقن (أن لا اله الا الله و أنى رسول الله) أى يؤمن بالتوحيد و الرسالة و عدل الى لفظ الشهادة أمناً من الالباس بأن يشهد و لم يؤمن أو دلالة على أن النطق بالشهادتين أيضاً من جملة الأركان فكأنه قيل يشهد باللسان بعد تصديقه بالجنان أو إشارة الى أن الحكم بالظواهر و الله أعلم بالسرائر (بعثنى بالحق) استئناف كأنه قيل لم يشهد فقال بعثنى بالحق أى الى كافة الانس و الجن و يجوز أن يكون حالاً مؤكدة أو خبراً بعد خبر فيدخل على هذا فى حيز الشهادة و قد حكى صلى الله عليه وسلم على القولين كلام الشاهد بالمعنى اذ عبارته ان محمداً و بعثه (و يؤمن بالموت) بالوجهين (و البعث) أى يؤمن بوقوع البعث (بعد الموت) و تكرير الموت ايذان للاهتمام بشأنه قال الابهري فان قلت لم أكد الموت بذكر لفظ يؤمن دون البعث مع أن الموت ظاهر لا يتكرر و البعث خفى يتكرر قلت إشارة الى أن أدلة البعث ظاهرة و الى أنهم متعادون فى الغفلة عن ذكر الموت اه قلت و لهذا قال الغزالي ليس يقين أشبه بالشك من الموت قال الراغب و الموت أحد الأسباب الموصلة الى النعيم فهو فى الظاهر فناء و فى الحقيقة ولادة ثانية و بقاء و هو باب من أبواب الجنة فذلك من على الانسان مجلته حيث قال خلق الموت و الحياة و قدم لانه الموصل الى الحياة الحقيقية فالتغيرات الواقعة لاجله كما فى النوى المزروع اذ لا يصير نخلاً الا بفساد جثته و كما فى البر اذا أردنا أن نجعله زيادة

و يؤمن بالقدر رواه الترمذى و ابن ماجه و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صفان من
أتى ليس لهما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب

في أبداننا و كما في البئر اذا زرع قبل فكان ذلك الفساد ظاهرا هو عين الصلاح باطنا فرضا النفس
بالبقاء في الدنيا انما هو لقدارتها و رضاها بالاعراض الدنية كما رضى الجعل بالانفماس في العذرة دائما
بل قيل انه اذا شم المسك مات لوقته (و يؤمن) بالوجهين (بالقدر) قال المظهر المراد بهذا الحديث
نفي أصل الايمان لا نفي الكمال فمن لم يؤمن بواحد من هذه الاربعة لم يكن مؤمنا الاول الاقرار
بالشهادتين و أنه مبعوث الى كافة الانس و الجن و الثاني أن يؤمن بالموت أى يعتقد فناء الدنيا و هو
احتراز عن مذهب الدهرية القائلين بقدم العالم و بقاءه أبدا قلت و في معناه التناسخى و يحتمل أن يراد
اعتقاد أن الموت يحصل بامر الله لا بفساد المزاج كما يقوله الطبيعي و الثالث أن يؤمن بالبعث
و الرابع أن يؤمن بالقدر يعنى بان جمع ما يجرى في العالم بقضاء الله و قدره (رواه الترمذى و ابن ماجه
و عن ابن عباس) رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صفان) أى نوعان (من أتى)
أى أمة الاجابة (ليس لهما في الاسلام نصيب) أى حظ كامل أو ليس لهما في كمال الاقنياد لما قضى
و قرر على العباد مما أراد نصيب أى حظ مطلقا قال التوريشى ربما يتمسك به من يكفر الغريقين
و الصواب أن لا يسارع الى تكفير أهل البدع لانهم بمنزلة الجاهل أو المجتهد المخطئ و هذا قول
المحققين من علماء الأمة احتياطا فيحمل قوله ليس لهما نصيب على سوء الحظ و قلة النصيب كما يقال
ليس للبخيل من ماله نصيب و أما قوله عليه الصلاة والسلام يكون في أتى خسف و قوله ستة لعنتهم
و أمثال ذلك فيحمل على المكذب به أى بالقدر اذا أتاه من البيان ما يتعظق به العذر أو على من
تقضى به العصبية الى تكذيب ما ورد فيه من النصوص أو الى تكفير من خالفه و أمثال هذه الاحاديث
واردة تغليظا و زجرا و قال ابن حجر فمن أطلق تكفير الغريقين أخذنا بظاهر هذا الخير فقد استروح
بل الصواب عند الاكثرين من علماء السلف و الخلف انا لا تكفر أهل البدع و الاوهاء الا أن أتوا
بمكفر صريح لا استلزامى لأن الاصح أن لازم المذهب ليس بلازم و من ثم لم يزل العلماء يعاملونهم
معاملة المسلمين في نكاحهم و اتكاهم و الصلاة على موتاهم و دفنهم في مقابرهم لانهم و ان كانوا
مخطفين غير معذورين حقت عليهم كلمة الفسق و الضلال الا أنهم لم يقصدوا بما قالوه اختيار الكفر
و انما بذلوا و سعمهم في اصابة الحق فلم يحصل لهم لكن لتصييرهم بتحكيهم عقولهم و أهويتهم
و اعراضهم عن صريح السنة و الآيات من غير تأويل سائق و بهذا فارقوا مجتهدى الفروع فان خطأهم
انما هو لعذرهم بقيام دليل آخر عندهم مقاوم لدليل غيرهم من جنسه فلم يقصروا و من ثم أثبوا على
اجتهادهم (المرجئة) يهيمز ولا يهيمز من الارجاء مهموزا و معتلا و هو التأخير يقولون الاتعال كلها
بتقدير الله تعالى و ليس للعباد فيها اختيار و انه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة
كذا قاله ابن الملك و قال الطبي قيل هم الذين يقولون الايمان قول بلا عمل فيؤخرون العمل عن
القول و هذا غلط بل الحق أن المرجئة هم الجبرية القائلون بان اضافة الفعل الى العبد كاضافته الى
الجمادات سموا بذلك لانهم يؤخرون أمر الله و نهيها عن الاعتداد بهما و يرتكبون الكبائر فهم على
الافراط (و القدرية) على التفريط و الحق ما بينهما اه و القدرية يفتح الدال و تسكن وهم المنكرون
لقدر القائلون بان أفعال العباد مخلوقة بقدرتهم و دواعيهم لا بقدره الله و ارادته و انما نسبت هذه
الطائفة الى القدر لانهم يبحثون في القدر كثيرا (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب) عده

وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في أمي خسف ومسح وذلك في المكذبين
بالقدر رواه أبو داود وروى الترمذى نحوه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الأمة

في الخلاصة من الموضوعات لكن قال في جامع الاصول أخرجه الترمذى قال صاحب الازهار حسن غريب
وكتب مولانا زاده وهو من أهل الحديث في زماننا أنه رواه الطبراني و اسناده حسن ونقل عن بعضهم
أيضا من رواته مجهولون كذا ذكره العيني وقال الفيروزابادى لا يصح في ذم المرجئة والقدرية
حديث وفي الجامع الصغير بعد ذكره الحديث المذكور رواه البخارى في تاريخه والترمذى وابن ماجه
عن ابن عباس وابن ماجه عن جابر والخطيب عن ابن عمر والطبراني في الاوسط عن أبي سعيد
ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس ولفظه صفان من أمي لاتألهن شفاعتى يوم القيامة المرجئة
والقدرية (وعن ابن عمر) رضي الله عنهما (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في أمي)
أى أمة الاجابة (خسف ومسح) يقال خسف الله به أى غاب به في الارض والمسح تحويل صورة الى
ما هو أفتح منها (وذلك) أى ما ذكر من الخسف والمسح واقع (في المكذبين بالقدر) بهذا
الحديث تبين أن القدرية المذمومة انما هم المكذبة بالقدر لا المؤمنة به كما زعمت المعتزلة ونسبوا أهل
السنة والجماعة الى القدرية لما هو مقتضى المقابلة بالجبرية وانما عاقبهم الله بهما لاضاتهما الكوائن
الى غير الله محتوا خلق الله ومسحوا صور خلقه فجازاهم الله بمسح ومسح قال الشريف معنى الحديث ان
يكن مسح وخسف يكونان في المكذبين بالقدر قال الطيبى لعله اعتقد أن هذه الأمة المرجومة مأمونة
منها فخرج الكلام مخرج الشرطية وقوله ذلك أى في الحديث يدل على استحقاق ما سبق أى من
الخسف والمسح لاجل ما بعده من التكذيب وقد سبق عن التوريشتى أن الحديث من باب التغليف
فلا حاجة الى تقدير الشرط وأبو سليمان الخطابي ذهب الى وقوع الخسف والمسح في هذه الأمة حيث
قال قد يكونان في هذه الأمة كما في سائر الأمم خلاف قول من زعم ان ذلك لا يكون انما مسحها
بقلوبها ذكره في اعلان السنن قيل المراد بالخسف الاذهاب في الارض كما فعل بقارون وأمواله
وبالمسح تبديل الابدان الى التردة والخنازير وغيرها كما فعل بقوم داود وعيسى وقيل المراد
بالخسف تسويد الوجه والابدان مأخوذ من خسوف القمر وبالمسح تسويد قلوبهم و اذهاب معرفتهم
وادخال التساوة والجهل والتكبر فيها كذا ذكره الأبهري ولا يبعد أن يكون مسحها يوم القيامة
بتسويد وجوهها كما قاله بعض المفسرين في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وجوه أهل السنة
وتسود وجوه وجوه أهل البدعة وخسفهما انهبهما من الصراط في النار أو نزولهما في قعر دار
البوار والله أعلم بالاسرار (رواه أبو داود) أى بهذا اللفظ (وروى الترمذى نحوه) أى بالمعنى
(وعنه) أى عن ابن عمر (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الأمة) أى أمة
الاجابة لان قولهم أفعال العباد مخلوقة بقدرهم يشبه قول المجوس الفائلين بان للعالم الهين خالق الخيرو هو
يزدان وخالق الشر وهو أمر من أى الشيطان وقيل المجوس يقولون الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة
كذلك القدرية يقولون الخير من الله والشر من الشيطان ومن النفس وقال الخطابي لاحداثهم في
الاسلام مذهبها يشبه مذهب المجوس من وجه هو انهم يضيفون الكائنات أعيانا واحداثا الى الهين أحدهما
لايصدر عنه الا ما هو خير والثاني لا يصدر عنه الا ما هو شر وقول القدرية يشبه ذلك لكن في
الاحداث لا الاعيان لاضاتهم الخير الى الله والشر الى النفس اه ولعله مذهب فرقة من المعتزلة والا
المشهور عنهم ما صرح به الزمخشري منهم وهو أن الحسنة التي هي الخصب والصحة والسيئة التي

ان مرضوا فلا تعودوهم و ان ماتوا فلا تشهدوهم رواه أحمد و أبو داود و عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا أهل القدر ولا تفتاحوهم رواه أبو داود و عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة لعنتهم و لعنهم الله و كل نبي يجاب

هي الفطط و المرض من الله تعالى و أما الطاعة فمن العبد لكن الله تعالى قد لطف به في أدائها و بعثه عليها و كذلك المعصية منه أيضا و الله تعالى برىء منها قال ابن حجر و على هذا فوجه تسميتهم بجوسا أنه يلزم على قولهم هذا تعدد الاله أيضا لأن الباعث على الطاعة غير الباعث على المعصية عندهم كما تقرر (ان مرضوا فلا تعودوهم و ان ماتوا فلا تشهدوهم) النهي محمول على الزجر و التغليظ و تبيح اعتقادهم على قول من لم يحكم بكفرهم و على الحقيقة على قول من حكم بكفرهم اذ الفاسق لا تبع ولا كراهة في شهود جنازته بخلاف المريض فضلا عن كفرة يمنع عن عيادته كذا ذكره ابن حجر و هو مخالف لمذهبنا فان عيادة المريض من المسلمين فرض كفاية كشهود جنازتهم و خص هاتين الخصلتين لانهما ألزم و أولى من سائر الحقوق فانهما حالتان مفتقرتان الى الدعاء بالصحة و المغفرة فيكون النهي عنهما أبلغ في المقصود (رواه أحمد و أبو داود) و كذا الحاكم (و عن عمر) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا أهل القدر) بضم أوله أى لا توادوهم ولا تحابوهم فان المجالسة و نحوها من المماشة من علامات المحبة و امارات المودة فالمعنى لا تجالسوهم مجالسة تأنيس و تعظيم لهم لانهم اما أن يدعوكم الى بدعتهم بما زينهم لهم شيطانهم من الحجج الموهمة و الادلة المزخرفة التي تجلب من لم يتمكن في العلوم و المعارف اليهم يبادى الرأى و أما أن يعود عليكم من نقصهم و سوء عملهم ما يؤثر في قلوبكم و أعمالكم اذ مجالسة الاغيار تجر الى غاية البوار و نهاية الخسار قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين و لا ينافى اطلاق الحديث تقييد الآية في المناقضين حيث قال الله تعالى فلا تتعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم و كذا قوله عز وجل و اذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلم يثمه عن مجالستهم مطلقا لان الحديث يعمل على من لم يأمن على نفسه منهم فيمنع عن مجالستهم مطلقا و الآية على من أمن فلا حرج عليه في مجالسته لهم بغير التأنيس و التعظيم ما لم يكونوا في كفر و بدعة و كذا اذا خاضوا و قصد الرد عليهم و تسفيه أدلتهم و مع هذا البعد عنهم أولى و الاجتناب عن مباحثتهم أخرى (ولا تفتاحوهم) من الفتاحة بضم الفاء و كسرهما أى الحكومة و منه قوله تعالى ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق أى لا تحاكموا اليهم فانهم أهل عناد و مكابرة و قيل لا تبدؤوهم بالسلام أو بالكلام و قال المظهر لا تناظروهم فانهم يوقعونكم في الشك و يشوشون عليكم اعتقادكم أى و ان لم تجالسوهم فهو عطف مغاير و قيل عطف خاص لان المجالسة تشتمل على المؤاكلة و المؤانسة و المعاداة و غيرها و فتح الكلام في القدر أخص من ذلك (رواه أبو داود) و كذا أحمد و الحاكم (و عن عائشة) رضى الله عنها (قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة) أى اشخاص أو أقوام (لعنتهم) أى دعوت عليهم بالبعد عن رحمة الله (و لعنهم الله) بالواو العاطفة و بدونها و هو الاصح و لم يعطفه على جملة قبله اما لانه دعاء و ما قبله خير و اما لكونه عبارة عما قبله في المعنى لان لعنة الله هي لعنة رسوله و بالعكس و اما لكونه استئنافا كأنه قيل فماذا بعد فأجيب لعنهم الله و الثانية منبهة عن الاول أو قيل لم ذبا بالعكس و على هذا قوله (وكل نبي يجاب) معترض بين البيان و المبين يعنى من شأن كل نبي أن يكون مستجاب الدعوة و كل نبي مبتدأ خبره يجاب على بقاء المفعول من المضارع أى يجاب دعوته

الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليعز من أذله الله ويذل من أعزه الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي رواه البيهقي في المدخل وريزين

وهو الرواية المشهورة ويروى بالميم أى مجاب الدعوة والجملة على الروایتين اما ابتدائية واما عطف على ستة لعنتهم أو حال من فاعل لعنتهم وجملة لعنهم الله انشائية معترضة بين الحال وصاحبها وقال التوربشتي لا يصح عطف وكل نبي مجاب على فاعل لعنتهم ومجاب صفة وصححه الاشرقي لوجود الفاصل قال الطيبي وفيه نظر لان المانع عطف الجملة على المفرد يعنى لا العطف على الضمير المرفوع المتصل وفيه ان قوله مجاب صفة يدل على أنه لا يريد عطف الجملة ثم قال الطيبي ولا يجوز أن يجعل مجاب صفة لاخيرا اذ يلزم أن يكون بعض الانبياء مجاب الدعوة ومنه فرالتوربشتي وأبطل رواية الجري في مجاب اه ويمكن أن يجعل صفة كاشفة (الزائد في كتاب الله) أى القرآن وسائر كتبه بأن يدخل فيه ما ليس فيه وتأويله بما يباه اللفظ ويخالف الكتاب والسنة بدعة وقال ابن حجر أى الزائد في كتاب الله في نظمه وحكمه كفر النبي صلى الله عليه وسلم زاعما قرآنيها لحرمه القراءة بالشواذ وان صحت عنه عليه الصلاة والسلام لانها حينئذ في حكم الخبر لا القرآن فلا تذكر الالبيان تفسير أو زيادة حكم فمن أتى بها على أنها قرآن مع اعترافه بأن القرآن لا يثبت الا بالتواتر كما عليه عامة العلماء صدق عليه أنه زاد في كتاب الله فيشملة اللعن لنفسه بل كفره ان استباح مطلق الزيادة في القرآن (والمكذب بقدر الله) تقدم حكمه (والمستلط بالجبروت) أى الانسان المستولى المقوى الغالب أو الحاكم بالتكبر والعظمة الناشئ عن الشوكة والولاية والجبروت فعלות مبالغة من الجبر وهو القهر قيل وانما يطلق ذلك في صفة الانسان على من يجبر نقيصته بادعاء منزلة من تعالى ولا يستحقها أو بتولية المناصب من لا يستحقها ومتعها من يستحقها (ليعز من أذله الله ويذل من أعزه الله) قيل اللام في لعز للعاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وفي الحديث لدوا للموت وابتوا للخراب لا للتعليل اذ يلزم جواز التسلط بغير ذلك ظاهرا أى من أذله الله لنفسه أو لكفره يرفع مرتبته على المسلمين أو يحكمه فيهم كما فعل كثير من حكام الجور يرفع اليهود والنصارى على كثير من المسلمين والفسقة على العدول المبرزين ويذل من أعزه الله بان يخفض مراتب العلماء والصلحاء أو نحوهم (والمستحل لحرم الله) بفتح الحاء والراء يريد حرم مكة بأن يفعل فيه ما لا يحل فيه من الاصطياد وقطع الشجر ودخوله بلا احرام كذا قاله الطيبي وضم الحاء على أنه جمع حرمة تصحيف كذا قاله بعض الشراح ونقل ميركشاه عن التخرج انه بضم الحاء وفتح الراء وزعم بعضهم أنه بفتحها وما قدنا أهم الا أن تكون الرواية كما قال ولم يثبت ذلك اه والنسختان صحيحتان لكن يؤيد الاول باعتبار المعنى قوله (والمستحل من عترتي ما حرم الله) أى من ايدائهم وترك تعظيمهم والعترة الاقارب القريبة وهم اولاد فاطمة وذريتهم وتخصيص ذكر الحرم والعترة وكل مستحل محرم ملعون لشرفهما وان أحدهما منسوب الى الله والاخر الى رسول الله فعلى هذا من في من عترتي ابتدائية قال الطيبي ويحتمل أن تكون بيانية بان يكون المستحل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه تعظيم الجرم الصادر عنهم قال ابن حجر هو بضم الحاء وهذا كافر اذ يدخل تحت عموميه من استباح محرما بالاجماع معلوما من الدين بالضرورة كفر بل قال كثيرون لا يشترط علمه ضرورة (والتارك لسنتي) أى المعرض عنها بالكيفية أو بعضها استخفافا وقلة مبالاة كافر وملعون وتاركها تهاونا وتكسلا لا عن استخفاف عاص وللعتة عليه من باب التعليل (رواه البيهقي في المدخل) بفتح الميم والحاء (ورزين)

فی کتابہ و عن مطر بن عکاس قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اذا قضی اللہ لعبد ان يموت بارض جعل له البيا حاجة رواه أحمد و الترمذی و عن عائشة رضی اللہ عنہا قالت قلت یا رسول اللہ ذراری المؤمنین قال من آباؤهم قتلت یا رسول اللہ بلا عمل قال اللہ أعلم بما كانوا عاملین قتل من آباؤهم قتل بلا عمل قال اللہ أعلم بما كانوا عاملین

۱۱ ورواه زرین (فی کتابہ) ای الذی جمع فیہ بین الصحاح لکنہ لم یوف بذلك فقد ذکر فیہ حتی الموضوع کخبیر الصلاة لیلۃ النصف من شعبان و الرغائب کذا قالہ ابن حجر و فی الجامع الصغیر رواہ النسائی و العاکم عن عائشة و العاکم عن علی (و عن مطر بن عکاس) رضی اللہ عنہ بضم العین و کسر المیم السملی عدادہ فی الکوفیین لہ حدیث واحد ولم یرو عنہ غیر أبی اسحق السبعمی (قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اذا قضی اللہ) ای أراد أو قدر او حکم (لعبد أن يموت بارض و هو فی غیرہا جعل) ای أظهر اللہ (لہ البيا حاجة) ای فیأتیہا و يموت فیہا اشارة الى قوله تعالى و ماتدری نفس بأی أرض تموت (رواہ أحمد و الترمذی) و قال غریب لا يعرف لمطر غیر هذا الحدیث و رواہ العاکم و قال صحیح و فی الجامع الصغیر اذا أراد اللہ قبض عبد بارض جعل له بها حاجة رواہ أحمد و الطبرانی و أبونعیم فی الحلیة عن أبی عزة یفتح المہملۃ و تشدید الزای (و عن عائشة) رضی اللہ عنہا (قالت قلت یا رسول اللہ ذراری المؤمنین) خبر مبتدأ محذوف ای ما حکم ذراریہم أهم فی الجنة أم النار (قال من آباؤهم) من اتصالیة کقولہ تعالی المنافقون و المنافات بعضهم من بعض و قولہ صلی اللہ علیہ وسلم ما أنا من دد ولا الدد منی ای اللہو و اللعب فالمعنی انہم متصلون بآباؤہم و قبل من تبعیضیة و المعنی ہم بعض آباؤہم فلہم حکمہم ای یعلم حکمہم من حکم آباؤہم یعنی ان کان آباؤہم من أهل الجنة فہم كذلك و قال التوربشتی ای معدودون من جملتہم لان الشرع یحکم بالاسلام لاسلام أحد الابوین و یأمر بالصلاة علیہم و برعاة احکام المسلمین و كذلك یحکم علی ذراری المشرکین بالاسترقاق و برعاة احکامہم فیہم قبل ذلك و بانتفاء التوارث بینہم و بین المسلمین فہم ملحقون فی ظاہر الامر بآباؤہم (قتلت یا رسول اللہ بلا عمل) هذا وارد منها علی سبیل التعجب اذ لا موجب للشواب و العقاب و المعنی ایدخلون الجنة بلا عمل و اللہ تعالی یقول اذ خلوا الجنة بما کنتم تعملون. (قال صلی اللہ علیہ وسلم اللہ أعلم بما كانوا عاملین) ای لو بلغوا ردا لتعجبہا و اشارة الى القدر و لهذا اورد الحدیث فی باب القدر (قتلت فذراری المشرکین) ای فما حکمہم (قال من آباؤهم) ای یعلم من حکم آباؤہم أو معناه أتباع لا بائہم (قتلت بلا عمل قال اللہ أعلم بما كانوا عاملین) قال التوربشتی یعنی انہم تبع لهم فی الدنیا و أما الآخرة فموکول أمرہم الى علم اللہ تعالی بہم قال القاضی الشواب و العقاب لیس بالاعمال و الا لم یکن ذراری المسلمین و الکفار من أهل الجنة و النار بل الموجب اللطف الالہی و الخذلان المقدر لهم فی الازل فالواجب فیہم التوقف و عدم الجزم فان أعمالہم موکولة الى علم اللہ فیما یعود الى أمر الآخرة و الاعمال دلائل السعادة و الشقاوة و لا یلزم من انتفاء الدلیل انتفاء المدلول قال النووی فی شرح صحیح مسلم اختلف العلماء فی أطفال المشرکین فمنہم من یقول ہم تبع لا بائہم فی النار و منہم من توقف و الصحیح انہم من أهل الجنة و استدلل علیہ بأشیاء منها حدیث ابراہیم الخلیل علیہ الصلاة والسلام حین رآہ النبی صلی اللہ علیہ وسلم و حوله اولاد الناس قالوا یا رسول اللہ و اولاد المشرکین قال و اولاد المشرکین رواہ البخاری فی صحیحہ و منها قولہ تعالی و ما کننا معذبین حتی نبعث رسولا و لا تکلیف علی المولود حتی یلزم

رواه أبو داؤد وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموودة في النار

الحجة وهذا متفق عليه قال الطيبي والحق مذهب التوقف لما ورد في أولاد خديجة كما سياتى وحديث الوائدة والموودة في النار مخالف لحديث ابراهيم عليه الصلاة والسلام قالوجه أن يبني الكلام على حديث عائشة رضي الله عنها وقولها عصفور من عصافير الجنة في شأن ولد من أولاد المسلمين فإنه عليه الصلاة والسلام أنكر عليها لأن الجزم بذلك جزم بان الابوين أو أحدهما في الجنة فعلى هذا أولاد المشركين الذين كانوا بين يدي ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام هم المشركون الذين لم يسلموا حينئذ ثم في المال آمنوا وأما أولاد خديجة والموودة فهم الذين مات آبائهم على الكفر وأما قوله تعالى وما كنا معذبين فيحتمل أن يراد بالعذاب الاستئصال في الدنيا لأن حتى تقتضى ظاهرا أن يكون العذاب في الدنيا ويؤيده ما أتبعه من قوله وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترقيها فلاتيم الاستدلال بالآية وقال البيضاوي وكما أن البالغين منهم شقي وسعيد فالاطفال منهم من سبق القضاء بأنه سعيد من أهل الجنة فهو لو عاش عمل أهلها ومنهم من جف القلم بأنه من أهل النار فهو لو عاش عمل أهلها ويؤيده قضية الغلام الذي قتله الخضر انه طبع كافرا فهو ممن علم الله أنه لو عاش وبلغ أشرك وجاء في بعض الروايات انهم يمتحنون في الآخرة برمي أنفسهم في النار فمن أطاع دخل الجنة ومن أبى دخل النار وكذا المجانين وأهل الفترة قال ابن حجر والحق أيضا فمن مات من أهل الفترة أنهم ليسوا في النار لتلك الآية وأما الاخبار الدالة على خلاف ذلك كخبر مسلم أبي وأبوك في النار مؤولة وعن أكثر العلماء أنهم في النار اه وقد أفردت في هذه المسئلة رسالة مستقلة (رواه أبو داؤد وعن ابن مسعود) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموودة في النار) وأدبته يثدها وأدا فهي موودة إذا دفنها في القبر وهي حية وهذا كان من عادة العرب في الجاهلية خوفا من الفقر أو فرارا من العار وبعضهم كانوا يخاونها ويربونها على طريق الذل والهوان قال تعالى وأذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب إلا ساء ما يحكمون أى حكمهم بآيات البنات لله بقولهم الملائكة بنات الله والحال انهم يكروهون البنات قال القاضي كانت العرب في جاهليتهم يدفنون البنات حية فالوائدة في النار لكفرها وفعالها والموودة فيها لكفرها وفي الحديث دليل على تعذيب اطفال المشركين وقد تؤول الوائدة بالتأيلة لرضاها به والموودة بالموودة لها وهي أم الطفل فحذفت الصلة إذ كان من ديدتهم ان المرأة إذا أخذها الطلق حفروا لها حفرة عميقة فجلست المرأة عليها والتأيلة ورامها ترقب الولد فان ولدت ذكرا أسكتته وان ولدت أنثى ألقته في الحفرة وأهالت التراب عليها قال السيد جمال الدين وإيراد المصنف في هذا الباب يأبى عن هذا التأويل تامل وقيل هذا الحديث والذي قبله إنما أوردنا في هذا الباب استدلالا على إثبات القدر وتعذيب اطفال الكفار ومن أراد تأويلها بغير ذلك وجب عليه أن يخرجها من هذا الباب قال ابن حجر ان أريد بهذا الحديث ما يعم أهل الفترة كان مبنيا على ما نقل عن الاكثريين انهم في النار أو ما يختص بأهل الاسلام كان محمولا في الموودة على البالغة اه وهذا بعيد جدا فإنه لا يعرف من العرب من دفن ولده حيا بعد باؤغمه وأما قولهم ورد هذا الحديث في قصة خاصة وهي أن ابني مليكة أنيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن أم لهما كانت تند قتال عليه الصلاة والسلام الحديث أما الوائدة فلانها كانت كافرة وأما الموودة فلانها ولد الكافر ويحتمل أنها كانت بالغة ويحتمل انها تكون غير بالغة ولكن علم عليه الصلاة والسلام بالمعجزة كونها من أهل النار وقيل ورد في

رواه أبو داؤد * (الفصل الثالث) * عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل فرغ الى كل عبد من خلقه من خمس من أجله وعمله ومضجعه وأثره وزرته رواه أحمد وعنه عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تكلم في شيء من القدر

حق امرأة أسقطت حملها من الزنا وماتا فلا يتعين القطع بهذا الحديث على تعذيب اطفال المشركين لانه ورد في قضية خاصة فلا يجوز حمله على العموم مع الاحتمال فجاوبه ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب نعم روى الدارمي في جامع الصحيح أن رجلا قال يا رسول الله انا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان فكنا نقتل الاولاد وكانت عندي ابنة لي فلما أحانت وكانت مسرورة بدعائي اذا دعوتها دعوتها يوما فاتبعني فمررت حتى أتينا بثرا من أهلي غير بعيد فأخذت بيدها فرديت بها في البئر وكان آخر عهدي بها أن تقول يا أبتاه يا أبتاه فبكي عليه الصلاة والسلام حتى وكف دمع عينيه فقال له رجل من جلساء النبي صلى الله عليه وسلم أحزنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كف فانه يسأل عما أمه ثم قال له أعد على حديثك فأعاده فبكي حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته ثم قال له ان الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا فأستأنف عملك قال ابن حجر فظاهر قوله ما عملوا أن المراد بهم أهل الفترة قلت ليس كذلك بل معناه أنه وضع عنهم ما عملوا اذا أسلموا ولذا قال تسلية له فاستأنف عملك فهو كحديث الاسلام يهدم ما كان قبله وكقوله تعالى عفا الله عما سلف (رواه أبو داؤد) وسكت عليه هو والمنذرى وقال ابن عبد البر لا أعلم أحدا روى هذا الحديث عن الزهري غير أبي معاذ وهوناسي الحديث لا يحتج يحدیثه كذا نقله ميرك شاه رحمه الله

* (الفصل الثالث) * (عن أبي الدرداء) رضی الله عنه هو عويمر بن عامر الانصاري الخزرجي اشتهر بكنيته و الدرداء ابنته تأخر اسلامه قليلا فكان آخر أهل داره اسلاما وحسن اسلامه وكان فقيها عالما حكيما سكن الشام ومات بدمشق سنة اثنتين وثلاثين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل فرغ الى كل عبد) فرغ يستعمل باللام ومنه قوله تعالى سنفرج لكم أیه الثقلان واستعماله بالي هنا لتضمن معنى الانتهاء أو يكون حالا بتقدير منتهيا والمعنى انتهى تقديره في الازل من تلك للمامور الخمسة الى تدبير هذا العبد بابدانها كما سبق من قوله شؤون يديها لا يتدنى بها ويجوز أن يكون الى بمعنى اللام يقال هدها الى كذا وكذوالقوله (من خلقه) صلة فرغ أي من خلقته وما يختص به وبالأبد له منه من الاجل والعمل وغيرهما وقوله (من خمس) عطف عليه ولعل سقوط الواو من الكاتب ويمكن ان يقال انه بدل منه باعادة الجار والوجه ان يذهب الى ان الخلق بمعنى المخلوق ومن فيه بيانية أو تبعيضية ومن في من خمس متعلق بفرغ أي فرغ الى كل عبد كائن من مخلوقه من خمس (من أجله) بفتححتين من بيانية للخمس أو بدل باعادة الجار والمراد بالاجل مدة عمره (وعمله) خيره وشره (ومضجعه) بفتح الجيم أي سكونه وقراره (وأثره) بحركتين أي حركته واضطراره (وزرته) حاله وحرامه وكثيره وقيل المراد بأثره مشيه في الارض قال السيد جمال الدين و جمع بين مضجعه وأثره وأراد سكونه وحركته ليشمل جميع أحواله من الحركات والسكنات وقال نجله السيد الاظهر ان يقال المراد من مضجعه محل قبره وانه بأى أرض يموت ومن أثره ما يحصل له من الثواب والعقاب وانه من أهل الجنة أو النار والله أعلم (رواه أحمد وعنه عائشة) رضی الله عنها (قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تكلم في شيء) أي وان قل (من القدر) أعم من النفي والاثبات والحق والباطل قال الطيبي هذا أبلغ من أن يقال

سئل عنه يوم القيامة و من لم يتكلم فيه لم يسئل عنه رواه ابن ماجه و عن ابن الديلمي قال أتيت
أبي بن كعب فقلت له قد وقع في نفسى شئ من القدر فحدثني لعل الله أن يذهب من قلبى فقال

في القدر لافادة المبالغة في القلة و النسي عنه اه و الظاهر و الله أعلم أن المراد النسي عن التكلم
بالادلة العقلية المتعلقة بمسئلة القدر بعد الايمان باثباته لان انتباهها عند أرباب العلم و العمل الى قوله
تعالى لا يسئل عما يفعل (سئل عنه يوم القيامة) أى كسائر الاقوال و الأعمال و جوزى كل ما يستحقه
و لعلها اشارة الى تخصيص قوله تعالى و هم يسئلون (و من لم يتكلم فيه لم يسئل عنه) لان الخلق
مكلفون بالايمان بالقدر بمقتضى الادلة العقلية غير مأمورين بتحقيقه بموجب الادلة العقلية فالشخص اذا
آمن بالقدر و لم يبحث عنه لا يرد عليه سؤال الاعتراض بعدم التفحص فانه غير مأمور به و لذا قال
صلى الله عليه وسلم فيما تقدم على طريق الانكار بهذا أمرتم أى بالتنازع في البحث بالقدر و قال أيضا اذا
ذكر القدر فامسكوا و الله أعلم (رواه ابن ماجه و عن ابن الديلمي رضى الله عنه) هو أبو عبد الله و قيل
أبو عبد الرحمن و قيل أبو الضحاك فيروز الديلمي و يقال له الحميرى لنزوله في حمير و هو من أبناء
الفرس الذين بعثهم كسرى الى اليمن قال محمد بن سعيد و من أهل الحديث من يقول فيروز بن الديلمي
و هو واحد و قد فيروز على رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو قاتل الاسود العنسى الكذاب المدعى للنبوة قتله
في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم و وصل خبر قتله اياه اليه في مرض الموت فقال عليه الصلاة والسلام
قتله الرجل الصالح فيروز فاز فيروز و يقال ان فيروز ابن أخت النجاشى روى عن ابن الضحاك
و عبد الله و غيرهما توفى في خلافة عثمان و قيل في زمن معاوية بعد الخسنيين كذا في تهذيب الاسماء
قال ميرك شاه هذا كلام صحيح في نفس الامر ليس المراد من ابن الديلمي في هذا المحل هو فيروز
الديلمي بل المراد ابن الضحاك بن فيروز و هو تابعى مقبول من أوسط التابعين و أبوه معدود في
الصحابة و له احاديث و يحتمل أن يكون المراد به عبد الله بن فيروز أخا الضحاك و هو ثقة من كبار
التابعين و منهم من ذكره في الصحابة و هذا الاحتمال عندى أظهر و الله أعلم اه و قد ذكر المصنف
في أسماء الرجال للمشكاة ابن الديلمي هو الضحاك بن فيروز تابعى حديثه في المصرين روى عن أبيه
و الديلمي بفتح الدال منسوب الى الديلم و هو الجيل المعروف بين الناس و فيروز بفتح الفاء و سكون
الياء تحتها تقطنان و ضم الراء و بالزاي (قال أتيت أبى بن كعب) أقرأ الصحابة رضى الله عنهم قال
المصنف هو أبى بن كعب الأكبر الانصارى الخزرجى كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي و هو
أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانصار و عمر سيد المسلمين مات بالمدينة سنة تسعة
عشر روى عنه خلق كثير (قتلت له) بحكم قوله تعالى فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون (قد وقع
في نفسى شئ من القدر) أى حزاة و اضطراب عظيم من جهة أمر القضاء و القدر باعتبار العقل لا بموجب
النقل قال ابن حجر أى من بعض شبه القدر التى ربما تؤدي الى الشك فيه كاعتقاد أن الانسان يخلق
فعل نفسه كما قالته المعتزلة أو أنه مجبور على الفعل كما قالته الجبرية كيف يعذب و أنا أريد الخلاص
منه أى من هذا المبحث (فحدثنى) أى بحديث (لعل الله أن يذهب من قلبى) أى رجاء أن يزيل
ذلك منى و قال أولا في نفسى و ثانيا من قلبى اشعارا بان ذلك تمكن منه و أخذ بجوامع من ذاته و قلبه
كذا قالد الطبي و الاظهر أن الحزاة تنشأ من الخطرات النفسية و الليات و الاطمئنان من الصفات القلبية ثم قوله
ان يذهب خبر لعل أعطاه حكم عسى في دخول ان في خبره (فقال) أى أبى رضى الله عنه متحررا غاية

لو أن الله عزوجل عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد ذهابا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وإن ما أعطاك لم يكن ليصيبك ولو ست على غير هذا لدخلت النار قال ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك ثم أتيت زيد بن ثابت

البيان الشافي ونهاية الارشاد الواقي (لو) أى فرض (ان الله عذب أهل سمواته) من الملائكة المقربين (و أهل أرضه) من الانبياء والمرسلين (عذبهم) وفيه اشكال ودقعه ان الشرطية غير لازمة الوقوع (وهو غير ظالم لهم) الواو للحال لانه متصرف في ملكه وملكه فعذابه عدل و ثوابه فضل قيل فيه ارشاد عظيم و بيان شاف لازمة ما طلب منه لانه يهدم منه قاعدة الحسن و التبع العقليين لانه مالك الجميع فله ان يتصرف كيف شاء و لا يظلم أصلا (و لو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم) أى الصالحة اشارة الى ان رحمته ليست بسبب من الاعمال و ايجابها اياها اذ هي لا توجبها عليه كيف و هي من جملة رحمته بهم فرحمته اياهم محض فضل منه تعالى عليهم فلو رحم الاولين و الآخريين فله ذلك و لا يخرج عن حكمة غايته أنه أخبر ان المطيعين لهم الثواب و ان العاصين لهم العقاب كما هو مثبت في أم الكتاب فالامر المقدر لا يتبدل و لا يتغير و هذا هو الصواب في الجواب (ولو أنفقت مثل أحد) بضمين جبل عظيم قريب المدينة المعظمة (ذهبا) تمييز (في سبيل الله) أى مرضاته وطريق خيافته (ما قبله الله) أى ذلك الاتفاق أو مثل ذلك الجبل (منك) و هو تمثيل على سبيل الفرض لا تحديد اذ لو فرض اتفاق ملء السموات و الارض كان كذلك (حتى تؤمن بالقدر) أى بان جميع الامور الكائنة خيرا و شرها و حلوها و مرها و نفعها و ضررها و قليلها و كثيرها و كبيرها و صغيرها بقضائه و قدره و ارادته و أمره و انه ليس فيها لهم الا مجرد الكسب و مباشرة الفعل و المراد هنا كمال الايمان و سلب القبول مع فقدته يؤذن بان المتبذعة لا تقبل لهم أعمال أى لا يثابون عليها ما داموا على بدعتهم و يؤيده خبر أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يتوب من بدعته و فيه اشعار بان أهل البدعة ليسوا من المتقين لقوله تعالى انما يقبل الله من المتقين و انه لا يجبههم فان الله يحب المتقين (و تعلم) تخصيص بعد تعميم (ان ما أصابك) من النعمة و البلية أو الطاعة و المعصية مما قدره الله لك أو عليك (لم يكن ليخطئك) أى يجاوزك (و ان ما أعطاك) من الخير و الشر (لم يكن ليصيبك) و هذا وضع موضع المحال كأنه قيل محال أن يخطئك و فيه ثلاث مبالغات دخول ان و لحوق اللام المؤكدة للنفي و تسليط النفي على الكينونة و سرايته في الخير و هو مضمون قوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا و فيه حث على التوكل و الرضا و نفي الحول و القوة و ملازمة القناعة و الصبر على المصائب (و لومت) بضم الميم من مات يموت و بكسرها من مات يميت (على غير هذا) أى على اعتقاد غير هذا الذى ذكرت لك من الايمان بالقدر (لدخلت النار) يحتمل الوعيد و يحتمل التهديد (قال) أى ابن الديلمى (ثم أتيت عبد الله بن مسعود) صاحب السجادة و المخددة و النعلين و المطهرة رضى الله عنه (فقال مثل ذلك) أى مثل جواب أبى في سؤالى (قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان) مر ذكره و هو صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم و أبوه اسمه حسيل بالتصغير و اليمان لقب له و قتل بأحد شهيدا رضى الله عنهما (فقال مثل ذلك) فالحديث من طرقهم صار موقوفا (ثم أتيت زيد بن ثابت) أفضل كتبة الوحي و أفرض الصحابة قال المصنف هو زيد بن ثابت

فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك رواه أحمد وأبو داؤد وابن ماجه وعن نافع ان رجلا أتى ابن عمر فقال ان فلانا يقرأ عليك السلام فقال انه بلغني انه قد أحدث فان كان قد أحدث فلا تقرئه مني السلام فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في أمي أو في هذه الأمة خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر رواه الترمذى وأبو داؤد وابن ماجه وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب وعن علي قال سألت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية

الانصارى كاتب النبي صلى الله عليه وسلم كان له حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة احدى عشرة سنة وكان أحد فقهاء الصحابة الاجلة القائم بالفرائض وهو أحد من جمع القرآن وكتبه في خلافة أبي بكر ونقله من المصحف في زمن عثمان روى عنه خلق كثير مات بالمدينة سنة خمس وأربعين وله ست وخمسون سنة (فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك) فصار الحديث من طريقه مرفوعاً قال الطيبي في سؤاله من الصحابة واحداً بعد واحد واتفقهم في الجواب من غير تغيير ثم انتهت الجواب الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم دليل على الاجماع المستند الى النص الجلي فمن خالف ذلك فقد كابر الحق الصريح (رواه أحمد وأبو داؤد وابن ماجه وعن نافع) أي ابن سرجس مولى عبد الله بن عمر كان دليماً وهو من كبار التابعين سمع ابن عمر وأبا سعيد روى عنه خلق كثير منهم الزهري ومالك بن أنس وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به معظم حديث ابن عمر دائر عليه قال مالك كنت اذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي أن لا أسمع من غيره مات سنة سبع عشرة ومائة وسرجس بفتح السين المهملة الاولى وسكون الراء وكسر الجيم (ان رجلا أتى ابن عمر فقال) أي الرجل (ان فلانا يقرأ) وفي نسخة يقرئ (عليك السلام) في القاموس قرأ عليه السلام أي بلغه كآثره أو لا يقال آثره الا اذا كان السلام مكتوباً (قال) أي ابن عمر (انه) أي الشأن وتفسيره الخبر وهو قوله (بلغني انه قد أحدث) أي ابتدع في الدين ما ليس منه من التكذيب بالقدر (فان كان قد أحدث) أي ما ذكر (فلا تقرئه مني السلام) كناية عن عدم قبول سلامه كذا قاله الطيبي والظاهر أن مراده أن لا تبليغه مني السلام أو رده فانه يبدعه لا يستحق جواب السلام ولو كان من أهل الاسلام قال ابن حجر لا تقرئه مني السلام لانا أمرنا بمهاجرة أهل البدع ومن ثم قال العلماء لا يجب رد سلام الفاسق والمبتدع بل لا يسن زجرهما ومن ثم جاز هجرهم لذلك (فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في أمي أو في هذه الأمة) يحتمل الدعوة والاجابة على ما تقدم أو للشك (خسف) في الأرض (ومسخ) وفي نسخة أو مسخ أي تغيير في الصورة (أو قذف) أي رمى بالحجارة كقوم لوط قال ميرك شاه والظاهر أنه شك من الراوى وقال الطيبي يحتمل التنوع أيضاً وهذا صحيح ان لم يكن عطف مسخ على خسف بالواو تأمل (في أهل القدر) بدل بعض من قوله في أمي باعادة الجار (رواه الترمذى وأبو داؤد وابن ماجه وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب) اعلم ان الغرابة قد تكون في الحديث الحسن أو الصحيح ولكن في الجمع بين الحسن والصحة اشكال اذ الحسن قاصر على الصحيح فليل يريده الترمذى به انه روى بأسنادين أحدهما يقتضى الصحة والآخر الحسن أو المراد بالحسن معناه التقوى وهو ما تميل اليه النفس وتستحسنه وهذا المعنى لا ينافي الصحيح فاندفع التناقض وقد يقال المراد أنه حسن لذاته صحيح لغیره فان الحسن اذا روى من وجه آخر ترقى من الحسن الى الصحيح لقوته من الجهتين فيمتدح أحدهما بالآخر (وعن علي) رضى الله عنه (قال سألت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار قال فلما رأى الكراهة في وجهها قال لو رأيت مكانهما لا بغضتكما قالت يا رسول الله فولدى منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم في الجنة و ان المشركين و اولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم و الذين آمنوا و اتبعتم ذريتهم

أى عن شأنهما و انهما في الجنة أو النار و قال المؤلف هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية كانت تحت نبي هالة بن زرارة ثم تزوجها عتيق بن عائذ ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم و لها يومئذ من العمر أربعون سنة و لم يتكح النبي صلى الله عليه وسلم قبلها امرأة و لا تكح عليها حتى ماتت و هي أول من آمن من كافة الناس من ذكرهم و أنثاهم و جمع أولاده منها غير ابراهيم فانه من مارية و ماتت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين و قيل بأربع سنين و قيل بثلاث و كان قد مضى من النبوة عشر سنين و كان لها من العمر خمس و ستون سنة و كانت مدة مقامها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً و عشرين سنة و دفنت في الحجون (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار قال) أى على (فلما رأى) أى النبي صلى الله عليه وسلم (الكراهة) أى أثرها من الكآبة و الحزن (في وجهها قال) أى تسلية لها (لو رأيت مكانهما) و هو جهنم (لا بغضتكما) و في نسخة لا بغضتكما با شباع الكسرة ياء أى لو أبصرت منزلتهما في الحنارة و البعد عن نظر الله تعالى لرأيت الكراهة و أبغضتكما أو لو علمت مكانهما أى منزلتهما و بغض الله إياهما لا بغضتكما و تبرات منهما تبرأ ابراهيم عن أبيه حيث تبين أنه عدو لله (قالت يا رسول الله فولدى منك قال في الجنة) و المراد باولادها منه صلى الله عليه وسلم القاسم و عبد الله و قيل الطيب و الظاهر أيضا و قيل هما لقبان لعبد الله و هو قول الأكثر و الله أعلم (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين و اولادهم في الجنة) و هذا لا خلاف فيه يعتد به (و ان المشركين و اولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم و الذين آمنوا و اتبعتم ذريتهم بايمان) و في نسخة صحيحة ذرياتهم و هما قراءتان متواترتان قال الطيبي و في الحديث أن الاولاد تابعة لابائهم لا لامهاتهم و لذلك استشهد لذلك بقوله تعالى أعتابهم ذريتهم و أما طريق الاستشهاد للحاق اولاد المشركين بالآباء فان يقال لا ريب ان هذا الالحاق لكرامة آباؤهم و مزيد سرورهم و غبطتهم في الجنة و الا فينقص عليهم كل نعيم و من ثم قيل و الذين آمنوا في محل نصب على تقدير و أكرمنا الذين آمنوا أعتابهم على شريطة التفسير و في الكشف الذين آمنوا مبتدأ و بايمان أعتابهم ذريتهم خبره و الذى بينهما اعتراض و التكرير في ايمان للتعظيم و المعنى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل و هو ايمان الآباء أعتابهم بدرجاتهم ذريتهم و ان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم و على آباؤهم ليتهم سرورهم و ليكمل نعيمهم و هذا المعنى مفقود في الكفار اه قلت بل كون اولادهم معذيين معهم سبب لزيادة عذابهم و شدة عقابهم ثم ما ذكره الشراح من تفسير الآية ليس صريحا في المدعى من الحديث أن اولاد المؤمنين الصغار تبع لآبائهم في دخول الجنة أو في رفع الدرجة و انما يستفاد من تفسير البغوى حيث قال اختلفوا في تفسير الآية فقال قوم معناها و الذين آمنوا و اتبعتم ذريتهم بايمان يعنى اولادهم الصغار و الكبار فالكبار بايمانهم بأنفسهم و الصغار بايمان آباؤهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعاً لاحد الابوين أعتابهم ذريتهم المؤمنين في الجنة بدرجاتهم و ان لم يبلغوا باعمالهم درجات آباؤهم تكرمه لآبائهم لتقر بذلك أعينهم و هي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما و قال آخرون معناها و الذين آمنوا و اتبعتم ذريتهم البالغون بايمان أعتابهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آباؤهم

رواه أحمد و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط عن ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان منهم ويصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه ويصا ما بين عينيه قال أي رب من هذا قال داؤد فقال أي رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال رب زده من عمري أربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الا أربعين جاءه ملك الموت فقال آدم أو لم يبق من عمري أربعون سنة

وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس أخبر الله عز وجل انه يجمع لعبد المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئا فذلك قوله وما ألتناهم أي ما نقصناهم يعني الآباء من علمهم من شئ وفي الحديث عن ابن عباس مرفوعا أن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لترقيه عينه ثم قرأ و الذين آمنوا و اتبعناهم ذرياتهم الآية اه و ظاهر الآية ان الذين آمنوا أمم من الآباء و الامهات و لعل أولاد خديجة في النار لانها حال موتهم لم تكن مؤمنة فلا ينافي قول العلماء الولد الصغير يحكم بالسلامة تبعاً لاحد الابوين و حينئذ ليس كلام الطيبي على صرافته فتدبر (رواه أحمد و عن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره) تقدم (فسقط) أي خرج (من ظهره) و في نسخة صحيحة عن ظهره أي بواسطة و غيرها (كل نسمة) أي ذي روح و قيل كل ذي نفس مأخوذة من النسيم قاله الطيبي و في القاموس النسمة محرقة نفس الروح كالنسمة محرقة و نفس الريح اذا كان ضعيفا كالنسيم (هو خالقها من ذريته) الجملة صفة نسمة ذكرها ليتعلق بها قوله (الي يوم القيامة) و من بيانية و في هذا الحديث دليل بين على أن اخراج الذرية كان حقيقيا (و جعل بين عيني كل انسان) أي منهم على نسخة و الاصح بين عيني ثانی مفعول جعل و يجوز أن يكون بمعنى خلق فيكون ظرفا له (ويصا) أي بريقا و لمعانا (من نور) و في ذكره اشارة الى الفطرة السليمة و في قوله بين عيني كل انسان ايدان بان الذرية كانت على صورة الانسان على مقدار الذر (ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال) تعالى هم (ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه ويص ما بين عينيه قال) يغير الفاء (أي رب من هذا قال) تعالى (هو داؤد) قيل تخصيص التعجب من ويص داؤد اظهار لكرامته و مدح له فلا يلزم تفضيله على سائر الانبياء لان المفضول قد يكون له مزية بل مزايها ليست في الفاضل و لعل وجه الملاءمة بينهما اشتراك نسبة الخلافة (فقال رب) و في نسخة صحيحة أي رب (كم جعلت عمره) بضم العين والميم وقد تسكن و كم مفعول لما يعلمه و قد علمه لعله المصدر أي كم سنة جعلت عمره (قال ستين سنة قال رب زده من عمري) يعني من جملة الانس و من عمري صفة أربعين قدمت فعادت حالا وقوله (أربعين سنة) مفعول ثان لقوله زده كقوله تعالى رب زدني علما قال أبو البقاء زاد يستعمل لازما كقولك زاد الماء و يستعمل متعديا الى مفعولين كقوله زدته درهما و على هذا جاء قوله تعالى فزادهم الله مرضا كذا ذكره الطيبي قال ابن حجر و قد يستعمل متعديا لواحد كزاد المال درهما قال السيد جمال الدين و فيه أن الامثلة ليست نصا في التعدية الى مفعولين لاحتمال التمييز تأمل (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الا أربعين) أي سنة كما في نسخة (جاءه ملك الموت فقال آدم أو لم يبق) يفتح الياء و القاف (من عمري أربعون سنة) بهمة الاستفهام الاتكاري المنصب على نفي البقاء فيفيد ابائته و قدمت على الواو لصدارتها و الواو استثنائية لمجرد الربط بين ما قبلها و ما بعدها

قال أو لم تعطها ابنك داود فجدد آدم فجددت ذريته و نسي آدم فاكل من الشجرة فنسبت ذريته و خطأ آدم و خطأت ذريته رواه الترمذى و عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فاخرج ذرية بيضاء كالنهم الذر و ضرب كتفه اليسرى فاخرج ذرية سوداء كالنهم الحمم فقال للذى فى يمينه

فان قلت ما الفرق بين انقضى عمره الا اربعين و بين بقى من عمر آدم اربعون قلت فى الاستثناء توكلت ليس فى غيره قاله الطبيعى قلت لان غيره يحتمل الاكثر و هو نص فى بقاء الاربعين كلها كقوله تعالى فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما مع زيادة الافادة فى الآية من الاقربية الى الضبط و الدلالة على العدد المشهور فى الكثرة و الاشارة الى جواز الغاء الكسر كما هو جار على السنة العامة (قال أو لم تعطها) أى أتقول ذلك ولم تعطها أى الاربعين (ابنك) مفعول ثان (داود) بدل أو عطف بيان (فجدد آدم) أى ذلك لانه كان فى عالم الذر فلم يستحضره حالة مجيء ملك الموت له قاله ابن حجر (فجددت ذريته) لان الولد سرايه (ونسي آدم) اشارة الى أن الجدد كان نسيانا أيضا اذ لا يجوز جده عنادا (فأكل من الشجرة) قيل نسي أن النهى عن جنس الشجرة أو الشجرة بعينها فاكل من غير المعينة و كان النهى عن الجنس و الله أعلم (فنسبت ذريته) ولذا قيل أول الناس أول الناس (و خطأ) بفتح الطاء أى فى اجتهاده من جهة التعيين و التخصيص (و خطأت ذريته) و الاظهر أن خطأ بمعنى عصي لقوله تعالى و عصى آدم ربه و لقوله عليه الصلاة والسلام كلكم خطأؤن و خير الخطائين التوابون قال الطبيعى و فى الحديث اشارة الى ما نقله الشيخان يهرم ابن آدم و يشب فيه اثنان الحرص على المال و الحرص على العمر و ابن آدم و اورد على سبيل الاستطراد و ان ابن آدم مجبول من أصل خلقته على الجحد و النسيان و الخطأ الا من عصمه الله (رواه الترمذى و عن أبي الدرداء) رضى الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم حين خلقه) قال الطبيعى ظرف لقوله (فضرب) و لا يمنع الغاء من العمل لانه ظرف على أن الغاء السببية أيضا غير مانعة لعمل ما بعدها فيما قبلها فان لا يلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا على تقدير الشرط أى امالا فليعبده كذا فى الكشاف تقول العرب امالا أى ان كنت لاتفعل غيره فانفعل هذا قال القاضى أى ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبده لاجل ايلانهم و قال السيد جمال الدين و يحتمل أن يكون ظرفا لقوله خلق الله و المقصود الاشارة الى عدم العلم بزمان خلقه تأمل اه و قيل تقديم الظرف مع وجود التعقيب للدلالة على أن الاخراج لم يتخلف عن خلقه عليه الصلاة والسلام و فيه نظر لان الدلالة حاصلة و ان تأخر الظرف و قوله فضرب قبل أمر بالضرب فضرب الملك (كتفه اليمنى) بفتح الكاف و كسر التاء كذا مضبوط فى النسخ المصححة و فى القاموس كتف كفتح و مثل و جبل (فاخرج ذرية بيضاء) أى نورانية (كانهم الذر) فى أكثر النسخ بفتح الذال المعجمة فالتشبيه فى الهيئة و قيل أى الابيض بدليل مقابله الآتى و فى بعضها بضم الدال المهملة فالتشبيه باعتبار اللون و الصفاء و لا يأتى هذا ما تقدم من أن بين عيني كل انسان منهم و بيضا حتى يحتاج الى أن يحتمل على تكرار الاخراج على صفات مختلفة كما صنعه ابن حجر (و ضرب كتفه اليسرى فاخرج ذرية سوداء) أى ظلمانية (كانهم الحمم) بضم الحاء جمع حممة يقال حممت الجمره كفرتحم بالفتح اذا صارت فحما (فقال للذى فى يمينه) أى فى جهة يمين آدم من ذرية المؤمنين بعد اخراجهم من كتفه اليمنى و قال ابن حجر أى للذى فى كتفه اليمين بدليل فى كتفه اليسرى الآتى فيكون باعتبار ما كان اه والمعنى يعنى قال تعالى لا آدم لاجل الذى فى يمينه و عن قبلهم و فى حقه نحو قوله تعالى و قال الذين كفروا

الى الجنة ولا أبالي و قال للذى فى كتفه اليسرى الى النار ولا أبالي رواه أحمد وعن أبي نضرة أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبدالله دخل عليه أصحابه يهودونه و هو يبكي فقالوا له ما يبكيك ألم يقل لك رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني قال بلى ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عزوجل قبض بيمينه قبضة و أخرى باليد الأخرى و قال هذه لهذه و هذه لهذه ولا أبالي ولا أدري فى أى القبضتين أنا

للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه و الذى صفة لفريق نحو قوله تعالى كالذى خاضوا (الى الجنة) خبر مبتدأ محذوف أى هؤلاء أو صلهم أو أصبحهم الى الجنة و يمكن أن يكون الامر للمشاهدة و التقدير أنتم هؤلاء صلتم أو أصبحكم الى الجنة و قوله (ولا أبالي) حال من الضمير المستكن فى الخبر أى و الحال انى لأبالي باحد كيف و أنا الفاعل لما اريد و الخلق كلهم لى عبيد و هو نحو قوله و ان رغم أنف أبى ذر فإنه تعالى علم أن بعض المتبدعة يقول بخلافه فرد عليهم بنفسه مبالغة فى تحقيرهم و تسفيه عقولهم و انهم كالهباء الذى لايبالى أحد به و ان فعل ما فعل (و قال للذى فى كتفه اليسرى) يفتح الكاف و تشديد الفاء كذا فى أصل السيد جمال الدين و فى بعض النسخ أى فى يده و هو المناسب للمعنى المقابل بقوله فى يمينه و فى أكثر النسخ كتفه اليسرى و لعله باعتبار ما كان قال الطبي و ذكر اليمين و الكف لتصوير العظمة اه و الظاهر ان ضمير يمينه و كفه الى آدم و المراد جهاته و رواية كتفه صريحة فى هذا المعنى و اليسرى أيضا فانها لا تطلق على يده تعالى فان كلنا: يديه يمين على ما ورد فى بعض الاحاديث (الى النار ولا أبالي) فيه إيماء الى أنه لا يجب على الله شئ و ان الاعمال-أمارات لا سوجبات فهو المحمود فى كل أفعاله خلق فريقا للجنة بطريق الفضل و جعل طائفة للنار على سبيل العدل لا يستل عما يفعل وهم يستلون (رواه أحمد و عن أبي نضرة) هو ابن المنذر بن مالك العبدي عده فى تابعى البصرة مات قبل الحسن بقليل سمع ابن عمر و أبى سعيد و ابن عباس و روى عنه ابراهيم التيمي و قتادة و سعيد بن يزيد (أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبدالله) و جهالة الصحابي لا تضر حيث عدول (دخل عليه أصحابه) أى من الصحابة أو التابعين و الاول أظهر لما سأتى (يعودونه) من العبادة التى هى أفضل من العبادة لفظا و معنا (و هو يبكي) الجملة حالية (فقالوا له ما يبكيك) أى أى شئ جعلك باكيا وما السبب و الباعث لبكائك (ألم يقل لك رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ من شاربك) أى بعضه يعنى قصه و هو مقدار ما يساوى الشفة (ثم أقره) يفتح الهمزة و كسر القاف و تشديد الراء أى دم عليه (حتى تلقاني) أى فى الحوض أو غيره و حتى تحتمل الغاية و العلة قال الطبي الهمزة للانكار دخلت على النفي فافادت التقرير و التعجب أى كيف تبكى و قد تقرر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد بانك تلقاه لاحالة و من لثيه راضيا عنه مثلك لاخوف عليه (قال بلى) أى أخبرنى بذلك (ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عزوجل قبض) أى بعض الذرية (بيمينه قبضة) أى واحدة (و أخرى) أى و قبض قبضة أخرى لبعض الذرية الأخرى (باليد الأخرى) لم يقل يساره أدبا ولذا ورد فى حديث آخر و كلنا يديه يمين و فى هذا تصوير لجلال الله و عظمته لتعاليه عن الجسم و لوازمه (و قال هذه) أى القبضة التى قبضها باليمين يعنى من فيها أو هذه المقبوضة (لهذه) أى للجنة (و هذه) أى القبضة التى قبضها بالأخرى (لهذه) أى للنار (ولا أبالي) أى فى الحالين (ولا أدري) أى ولا أعلم (فى) و فى نسخة من (أى القبضتين أنا) و حاصل الجواب أنى أخاف من عدم الاحتفال و الاكترت فى قوله ولا أبالي كذا قاله الطبي يعنى

رواه أحمد و عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنشرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ألت بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا

غلب على الخوف بالنظر الى عظمته و جلاله بحيث متعنى عن التأمل في رحمته و جماله فانه تعالى لذاته و عدم مبالاة له أن يفعل ما يريد ولا يجب عليه شئ للعبيد و أيضا لغلبة الخوف قد ينسى البشارة و الرجاء بها مع ان البشارة مقيدة بالثبات و الدوام و الإقامة على طريق السنة و الاستقامة و هو أمر دقيق و بالخوف حقيق و الله أعلم قال الطيبي و في الحديث اشارة الى أن قص الشارب من السنن المتأكدة و المداومة عليه موصلة الى قرب دار النعيم في جوار سيد المرسلين فيعلم أن من ترك سنة أى سنة فقد حرم خيرا كثيرا فكيف المواظبة على ترك سائرها فان ذلك قد يؤدى الى الزندقة (رواه أحمد و عن ابن عباس) رضى الله عنهما (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق) يعنى العهد أى أراد أخذه بدليل قوله فأخرج (من ظهر آدم) أى من الذرية التى تظهر من ظهره (بنعمان) قال الجوهري نعمان بالفتح واد في طريق الطائف يخرج الى عرفات و في القاموس واد وراء عرفة و هو نعمان الأراك و في النهاية جبل يقرب عرفة و يقال له نعمان السحاب لانه لا يركد فوqe لعلاه فلهجاورته لها قال أى الراوى (يعنى عرفة فأخرج من صلبه) بضم أوله و هو فقار الظهر (كل ذرية ذراها) بالهمز أى خلقها الى يوم القيامة من ذر الله الخلق أوجد أشخاصهم يعنى بعضهم بواسطة و بعضهم بغيرها (فنشرهم) أى فرقهم و نشرهم (بين يديه) أى قدام آدم أو بعضهم في يمينه و بعضهم في شماله (كالذر) أى مشبهين بالنمل في صغر الصورة (ثم كلمهم) أى خاطبهم سبحانه و تعالى (قبلا) بضمتين و قيل كعنب و صرد و قتل و جبل و هو حال أى كلمهم عيانا و مقابلة لامن وراء حجاب ولا بأن يأمر أحدا من ملائكته (قال) استئناف بيان و قال ابن حجر بدل من كلمهم أى و قال لهم (ألت بربكم قالوا بلى) أنت ربنا قال ابن عباس لو قالوا بدل بلى نعم لكفروا قال ابن حجر لانها لتقرير النفى و بلى رد له و نفى النفى أثبات قال في المعنى و لذا قال جماعة من الفقهاء لو قال أليس لك على ألف قتال بلى لزمه و لو قال نعم لم يلزمه و قال آخرون يلزمه فيها و جروا في ذلك على مقتضى العرف ثم قال و لكن يقع في كتب الحديث ما يقتضى أنها يجب بها الاستفهام المجرد ففي صحيح البخارى في كتاب الايمان انه عليه الصلاة و السلام قال لاصحابه أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قالوا بلى و في صحيح مسلم في كتاب الهبة أيسرك أن يكونوا لك في البرساء قال بلى قال فلا اذن و فيه أيضا انه قال أنت الذى لتقتنى بمكة فقال له المجيب بلى ثم قال لكن هذا قليل فلا يتخرج عليه التنزيل اه ولا يخفى ان هذه الاشئلة ليست من قبيل المتنازع فيه في الأزهار و الصحيح ان جوابهم بقول بلى كان بالنطق و هم أحياء عقلاء و قيل بلسان الحال ثم قيل تجلى للكفار بالهبة فقالوا بلى مخافة فلم ينفعهم ايمانهم و تجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى طوعا فنفعهم ايمانهم (شهدنا) هو يحتمل أن يكون من تمة المقول أى شهدنا على أنفسنا بذلك و أقرنا بوحدانيتك و انما احتاجوا الى هذا مع ان بلى يعنى عنه لقوله تعالى و اذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم و يحتمل أن يكون من ابتداء كلام الله تعالى أى شهدنا على اقراركم و يؤيد الأول تقدير الطيبي فعلنا ذلك كراهة (أن تقولوا) أى احتجاجا و قيل لثلاث تقولوا في الجمهور بالخطاب و أبو عمرو بالنبية في الموضعين على الالتفات و قال بعض المفسرين قال الله تعالى للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا و قال بعضهم قال الله شهدنا يعنى نفسه و الملائكة

يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل و كنا ذرية من بعد هم انتهلكتنا بما فعل المبطلون رواه أحمد

و السموات و الارض قال سهل بن عبدالله أنا أتذكر ذلك الميثاق (يوم القيامة) ظرف أن تقولوا أى حين يحاسبون على كفرهم بالله و بكتبه و رسله و العقول (انا كنا عن هذا) أى الميثاق أو الاقرار بالربوبية و الاعتراف بالعبودية (غافلين) أى جاهلين لانعرفه و لانبينا عليه (أو تقولوا) أى البعض المتأخرون احتجاجا آخر (انما اشرك آباؤنا من قبل) أى من قبل ظهورنا و وجودنا أو من قبل اشراكنا (و كنا ذرية من بعدهم) فاتقدينا بهم فاللوم عليهم لاعلينا (انتهلكتنا) أى اتعلم ذلك فتعذبنا (بما فعل المبطلون) من آباؤنا بتأسيس الشرك و المعنى لايمكنهم الاحتجاج بذلك مع اشهادهم على انفسهم بالتوحيد و التذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس (رواه أحمد) و قال ابن حجر رواه أحمد و النسائي و ليس النسائي موجودا في النسخ و لعله الحاق في الشرح لكنه يستبعد منه لانه ليس من دأبه قال ميرك شاه كذا رواه أحمد مرنوعا و الصحيح انه موقوف على ابن عباس و رواه ابن أبي حاتم و غيره من طرق كثيرة و الله أعلم اه و قال التوريشي هذا الحديث مخرج في كتاب أبي عبد الرحمن النسائي ولايحتمل من التأويل ما يحتمله حديث عمر رضي الله عنه ولا أرى المعتزلة يقابلون هذه الحجة الا بقولهم حديث ابن عباس هذا من الآحاد فلاترك به ظاهر الكتاب و اتما هربوا عن القول في معنى الآية بما يقتضيه ظاهر الحديث لمكان قوله تعالى أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فقالوا ان كان هذا الاقرار عن اضطرار حيث كوشفوا بحقيقة الامر و شاهدوه عين اليقين فلهم يوم القيامة أن يقولوا شهدنا يومئذ فلما زال عنا علم الضرورة و وكنا الى آرائنا كان منا من أصاب و منا من أخطأ و ان كان عن استدلال و لكنهم عصموا عنده من الخطأ فلهم أن يقولوا أيذا يوم الاقرار بالتوفيق و العصمة و حرمانها من بعد و لو مددنا بهما لكانت شهادتنا في كل حين كشهادتنا في اليوم الاول فقد تبين أن الميثاق ماركز الله فيهم من العقول و آتاهم و آباءهم من البصائر لانها هي الحجة الباقية المانعة لهم أن يقولوا انا كنا عن هذا غافلين لان الله تعالى جعل هذا الاقرار حجة عليهم في الاشراك كما جعل بعث الرسل حجة عليهم في الايمان بما أخبروا به من الغيوب قال الطيبي و خلاصة ما قالوه انه يلزم أن يكونوا محتجين يوم القيامة بانه زال عنا علم الضرورة و وكنا الى آرائنا فيقال لهم كذبتم بل أرسلنا رسلا تترى يوقظونكم من سنة النفلة و لما قوله حرمانا عن التوفيق و العصمة من بعد ذلك فجوابه ان هذا مشترك الالزام اذ لهم أن يقولوا لامتفعة لنا في العقول و البصائر حيث حرمانا عن التوفيق و العصمة و الحق أن تحمل الاحاديث الواردة على ظواهرها و لا يقدم على الطعن فيها بانها آحاد لمخالفتها لمعتقد أحد و من أقدم على ذلك فقد حرم خيرا كثيرا و خالف طريقة السلف الصالحين لانهم كانوا يشتون خبر واحد عن واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم و يجعلونه سنة حمد من تيمها و عيب من خالفها اه و قال في الكشف نزل تمكين بنى آدم من العلم بربوبيته نصب الدلائل و خلق الاستعداد فيهم و تمكينهم من معرفتها و الاقرار بها منزلة الاشهاد و الاعتراف تمهيدا و تحميلا لا تقول ثمة و لاشهادة حقيقة أقول لامنع من الجمع و به يلتزم العقل و السمع قال المولى العلامة قطب الدين الشيرازي رحمه الله قد تقرر في بداية العقول ان بنى آدم من ظهر آدم فيكون كل ما أخرج من ظهور بنى آدم فيما لايزال هم الذين قد أخرجهم الله تعالى في الازل من ظهر آدم و أخذ منه الميثاق الازلي ليعرف منه أن هذا النسل الذي يخرج فيما لايزال من أصلاب بنى آدم هو الذر الذي لخرج في الازل من صلب آدم

و عن أبي بن كعب في قول الله عزوجل و اذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم قال جمعهم فجعلهم أزواجا ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى قال فاني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا أنه لاله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيئا انى سأرسل اليكم رسلى يذكرونكم عهدى وميثاق و أنزل عليكم كتيبى قالوا شهدنا بأنك ربنا والهنا

و أخذ منهم الميثاق الاول وهو الميثاق الازلى كما أخذ منهم فيما لايزال بالتدرج حين أخرجوا الميثاق الثانى و هو العالى اللابزالى لله سبحانه ميثاقان مع بنى آدم أحدهما تهتدى اليه العقول من نصب الادلة الباعثة على الاعتراف العالى و ثانيهما الميثاق الذى لا تهتدى اليه العقول بل يتوقف على توقيف واقف على أحوال العباد من الازال الى الابد كالانبياء فأراد عليه الصلاة والسلام أن يعلم الامة بأن وراء الميثاق الذى يهتدون اليه ميثاقا آخر أزليا فقال ما قال من مسح ظهر آدم فى الازل الخ و هو فى غاية التحقيق و نهاية التدقيق و الله أعلم (و عن أبي بن كعب) رضى الله عنه (فى قول الله عزوجل) أى فى تفسير قوله تعالى (و اذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) و فى نسخة صحيحة ذرياتهم وهما قراءتان متواترتان (قال) أى أبى (جمعهم) أى الله بعد أن أخرجهم (فجعلهم أزواجا) أى ذكورا و انثاا أو أصنافا و هو الاظهر ولذا قال الطيبى أى أراد جعلهم أصنافا وفسر الاصناف بقوله الآتى فرأى الفنى والفقر (ثم صورهم) أى على صورهم التى يكونون عليها بعد (فاستنطقهم) أى خلق فيهم العقل وطلب منهم النطق (فتكلموا) بما شاء الله أو بما سياتى (ثم) أى بعد التصوير و الاستنطاق بحكم تقدير الخلاق (أخذ عليهم العهد) أى بالتوحيد (والميثاق) و هو تأكيد العهد بالاقرار أو المراد بالعهد لئى جاءتهم الرسل ليؤمنن بهم و الميثاق الايمان المؤكدة ليوفن بذلك (و أشهدهم على أنفسهم) أى على ذواتهم أو بعضهم على بعض أو قال لهم اشهدوا على أنفسكم و على كل تقدير يؤيد قول من يقول شهدنا بقولهم (أست بربكم) اما استئناف بيان و اما التثدير أشهدهم بقوله أست بربكم أى استشهدهم بهذا (قالوا بلى) كذا فى أكثر النسخ المصححة و فى بعضها متروك لفظا و ان كان مقدرا معنى اذ المعنى قالوا بلى شهدنا (قال فاني أشهد عليكم السموات السبع) أى نفسها بأن ركب فيها عقولا مع أن المحققين على أن لجميع الموجودات علما بموجودها أى نفسها أو أهلها (و الأرضين) بفتح الراء و تسكن (السبع) كذلك أى زيادة على شهادتكم على أنفسكم و كنى بالله شهيدا و قال الطيبى اشارة الى نصب الدليل الظاهر فاشهد بمعنى انصب و أبين و يؤيد الاول ظاهر قوله (و أشهد عليكم أباكم آدم) و أول الطيبى هذا أيضا بأنه الى قوله يذكرونكم اشارة الى النصوص الشاهدة الواردة من جهة الرسل (أن تقولوا) بالخطاب لاغير (يوم القيامة لم نعلم) أى لم نوقن بهذا (اعلموا) أى تحققتوا الآن قبل مجيء ذلك الزمان و تبين الامر بالعيان (أنه لاله غيرى) معبود (ولا رب غيرى) موجود (ولا تشركوا بى شيئا) فاني مقصود (انى) قيل بالفتح بدل اشتمال مما قبله و بالكسر استئناف و هو الاظهر أى انى مع هذا البيان (سأرسل اليكم) فى مستقبل الزمان (رسلى) بالبرهان (يذكرونكم) بتشديد الكاف (عهدى وميثاق و أنزل عليكم كتيبى) بواسطة رسلى و فيها تبيان كل شئ مما يتعلق بعهدى و ميثاق ولذا قال تعالى أو فوا بعهدى أوف بعهدكم و هذا كالتصریح لما قدمنا من الجمع بين الميثاق الميثاقى و العالى و العهد الحسى و المعنوى (قالوا شهدنا) أى علمنا و اعترفنا (بأنك ربنا) و رب كل شئ رضينا بربوبيتك (و الهنا) واله كل شئ فتهوم بحق عبوديتك بمقتضى ألوهيتك

لا رب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك فأقروا بذلك ورفع عليهم آدم عليه السلام ينظر إليهم فرأى الغنى والفقر وحسن الصورة ودون ذلك قتال رب لولا سويت بين عبادك قال اني احببت ان أشكر ورأى الانبياء فيهم مثل السرج عليهم النور خصوصا بعيثاق آخر في الرسالة والنبوة وهو قوله تبارك وتعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم الى قوله عيسى بن مريم

(لاربنا غيرك) فانك رب العالمين (ولاله لنا غيرك) فانك اله العابدين قال ابن حجر كان وجه تقديمهم هنا مقام الربوبية ان شهود تربية الحق حامل أى حامل على الايمان بالالوهية فكان أحق بالتقديم هنا وانما عكس ذلك في كلامه تعالى لان مقام الالوهية هو الاحق بأن ينبه عليه لانه الاصل وساعده وسيلة له كما تقرر (فأقروا بذلك) أى يجمع ما ذكر (ورفع) بالبناء للمفعول أى أشرف (عليهم آدم عليه الصلاة والسلام) من مقام عال (ينظر إليهم) حال أو مفعول له بتقدير ان كما في قوله * احضر الوغى * (فرأى) أى آدم منهم (الغنى) صورة ومعنى باعتبار الآثار اللامحة واللامعة (والفقير) يدا وقبا وفي نسخة بتقديم الفقير (وحسن الصورة) أى الظاهرة والباطنة (ودون ذلك) أى في الحسن أو غير ما ذكر (فقال رب لولا) أى هلا (سويت) يعنى لم ماسويت (بين عبادك) والتصدي به أن يبين له حكمته (قال اني احببت ان أشكر) بالبناء للمفعول أى أعرف بالانعام وأشكر على الدوام على لسان الانام وهذا المعنى يصحح معنى ما ينقل حديثا ولم يصح لفظا كنت كنزا متغنيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لان أعرف ولذا قال ابن عباس في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أى ليعرفون والمعنى ينظر الغنى الى الفقير فيشكر وينظر الفقير الى دينه فيرى نعمته فوق الغنى فيشكر ويرى حسن الصورة جماله فيشكر وبيح الصورة حسن خصاله فيشكر كذا قاله الطيبي وهو موهوم أن حسن الصورة والسيرة لا يجتمعان وان الغنى والدين متافيان فالاحسن ما قاله شيخنا ابن حجر المكي ان الغنى يرى عظيم نعمة الغنى والفقير يرى عظيم نعمة المعافاة من كدر الدنيا وتكدها وتعبها الذى لاحاصل له غير طول الحساب وترادف المحن وتوالى العذاب وحسن الصورة يرى ما منحه من ذلك الجمال الظاهر الدال على الجمال الباطن غالبا وغيره يرى ان عدم الجمال أدفع للفتنة وأسلم من المحنة فكل هؤلاء يرون مزيد تلك النعم عليهم فيشكرون عليها ولو تساوا في وصف واحد لم يتيقظوا لذلك (ورأى) أى آدم (الانبياء) وهم أئمة من الرسل (فيهم) أى حال كونهم مندرجين في جملتهم (مثل السرج) جمع سراج (عليهم النور) أى يغلب كأنه بيان لوجه شبههم بالسراج فان الخلق خلقوا في ظلمة والانبياء أنوار الله عليهم لائحة يهتدون بهم الى ربهم وفيه اشارة الى أن الانبياء أيضا لا يخلون عن ظلمة الاخلاق البشرية لكن يغلب عليهم العصمة الالهية والانوار الربانية ولذا (خصوصا بعيثاق آخر) بعد ما دخلوا في عموم ميثاق العوام للاهتمام التام بمرامهم عليهم الصلاة والسلام بقوله خصوصا استئناف أوصفة للانبياء (في الرسالة والنبوة) أى في شأنهما والقيام بعقدهما والفرق بينهما ان النبي من أنبا عن الله سواء أمر بأن أنبى عن الله أم لا والرسول من أمر بتبليغ الرسالة (وهو قوله تبارك وتعالى) أى هذا العيثاق هو المراد من قوله (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم الى قوله عيسى بن مريم) وما قبله ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ففيه تخصيص بعد تعميم فان الخمسة هم اولو العزم على الاصح وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم في الذكر لتقدمه في الرتبة أو في الوجود أيضا لقوله أول ما خلق الله روحى وقوله كنت نبيا و آدم بين الروح والجسد ثم قال تعالى وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أى عظيما مؤكدا يسأل الصادقين عن صدقهم

كان في تلك الأرواح فأرسله الى مريم عليها السلام فحدث عن أبي أنه دخل من فيها رواه أحمد وعن أبي الدرداء قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نتذاكر ما يكون اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم يجبل زال عن مكانه فصدقوه و اذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به فإنه يصير الى ما جبل عليه

و الظاهر منه ان الميثاق الخاص هو العهد بالصدق و الاخلاص و الاظهر أن ميثاق الانبياء انما هو مظاهره بعضهم بعضا بالايمان و التصديق و النصره و المعاونة كما قال تعالى في موضع آخر و اذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقرتم و أخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى قالوا أقرنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين و هذا الميثاق الخاص يحتمل أن يكون بعد العام و الاظهر أن يكون قبله في عالم الأرواح تعظيما لهم و تكريما ولذا قال عليه الصلاة والسلام كنت نبياً و آدم بين الروح و الجسد و يدل عليه قوله (كان) اى عيسى (في تلك الأرواح فأرسله) اى روحه وهو يذكر و يؤثّر يعنى مع جبريل عليه الصلاة والسلام (الى مريم عليها السلام) بصيغة التثنية هو الصحيح (فحدث) بصيغة المجهول اى روى (عن أبي أنه دخل) اى الروح الى جوفها ثم رحمها و انما ذكر الروح بتاويل المنفوخ أو عيسى كذا قاله الطيبي و في القاموس الروح بالضم ما به حياة الانفس و يؤثّر اه فيجعل التذكير أصلاً كما هو الاصل في اللفظ (من فيها) اى من فيها كذا قاله الأبهري و هو اشارة الى قوله تعالى فنفخنا فيه اى في فيها و قرأ ابن مسعود فيها اى في مريم و هو يحتمل أن يكون المراد في فيها أو في جيب درعها و يجمع بينهما بفرض ثبوتها بأن بعض تلك النفخة دخلت من جيبها و بعضها من فيها و تخصيص عيسى و تقييده بقوله دخل من فيها تسجيل على النصارى بركاكة عقولهم اى كيف يتخذها من دون الله من هذا حاله كذا قاله الطيبي و نظيره قوله تعالى كانا ياكلان الطعام قيل هو كناية عن يولان و يغوطان (رواه أحمد و عن أبي الدرداء قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نتذاكر) اى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مع بعضنا بحضوره و هو يسمع (ما يكون) ما موصولة اى الذى يحدث من الحوادث أهو شئ مقضى مفروغ منه فتوجد تلك الحوادث على طبقه أو شئ يوجد أنفاً من غير سبق قبائه (اذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم يجبل زال عن مكانه فصدقوه) اى لامكانه بل حكى وقوعه كما قيل ان بعض جبال المغرب سار عن محله مسافة طويلة (و اذا سمعتم برجل تغير عن خلقه) بضم اللام و تسكن اى خلقه الاصلى بالكلى (فلا تصدقوا به) اى بالخبر عنه بذلك فإنه غير ممكن عادة ولذا قال تعالى و الكاظمين الغيظ و لم يقل و العادين له (فانه) اى الرجل و المراد به الجنس (يصير) في كل ما يريد أن يفعله و يحدّثه (الى ما جبل) اى خلق و طبع (عليه) من الاخلاق قال ابن حجر اى على وفق ما سبق به القضاء و القدر الذى لا يمكن أن يبدل و يغير فالكيس مثلاً لا يصير ليذا و السخى لا يصير بخيلاً و الشجاع لا يصير جباناً و عكسها و هذا مثال تقريبي باعتبار استبعاد العادة لزوال الجبل عن مكانه استبعاداً يلحقه بالمحال العقلى و حينئذ فلا يقدر في ذلك اسكان زوال الجبل عن مكانه دون الخلق المقدر عما قدر عليه اه فان قلت مدار الصوفية على تبديل الاخلاق فكيف هذا الحديث قلت التحقيق أن كل أحد خلق و طبع فيه الاخلاق جميعها و هي صالحة باصلها أن تكون حميدة و أن تكون ذميمة و انما تمدد اذا كانت متوسطة بين طرفي الافراط و التفريط و الذميمة ضدها فمثلاً السخاوة صفة معتدلة بين الاسراف و البخل و كذا الشجاعة بين التهور و الجبن و كذا

رواه أحمد و عن أم سلمة قالت يا رسول الله لا يزال يصيبك في كل عام ورجع من الشاة المسمومة التي أكلت قال ما أصابني شئ منها الا و هو مكتوب علي و آدم في طينته

التواضع بين الضعة والتكبر والغالب على الناس عادة عدم الاعتدال فالصوفية يجاهدون و يرتاضون في الاخلاق ليبدلوها عن مقتضى العادة و يعدلوها على سنن الاستقامة والعبادة ولذا قيل الارادة ترك العادة و من جعلتها البغض وحالة اعتداله المحمود أن يكون في عمله العرضي عندالله على القدر المحدود في الشرع وكذلك خذه المحبة ولذا قال صلى الله عليه وسلم من أحب الله و أبغض الله فقد استكمل ايمانه و أما ازالة صفة البخل من أصلها بالكيفية فغير ممكنة الا بالجذبية الالهية ولذا قال تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لاسكنتم خشية الانفاق و كان الانسان قورا أى بخيلا و قال عليه الصلاة والسلام لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب بل قيل لو أزيلت الصفات الذميمة بالكيفية عن الانسان يكون ناقصا اذ كماله أن تغلب صفاته الحميدة و بهذا فضل نوع الانسان على نوع الملك و الله أعلم و الحاصل أن التبدل الاصلى الذاتي غير ممكن كما أشار اليه الحديث النبوي و أما التبدل الوصفي فهو ممكن بل العبد مأمور به و يسمى تهذيب النفس و تحسين الاخلاق قال تعالى قد أفلح من زكأها و في الحديث حسنتوا أخلاقكم و في الدعاء اللهم كما حسنت خلقي و حسن خلقى و اللهم اهدنى لصالح الاعمال و الاخلاق لا يهتدى لصالحها الا أنت و من أراد الاستيقاظ فعليه بالاحياء و يمكن أن يقال ان الخلق المبرم لا يبدل و الخلق المعلق يغير و هو مبهم عندنا معلوم عندالله فعلىنا المجاهدة فكل مسير لما خلق له و لهذا ترى كثيرا من المرتاضين لم تحسن أخلاقهم في أزمته طويلا و بعضهم تبدل أخلاقهم الذميمة بالحميدة في مدة قليلة أو النفي محمول على العادة من غير حصول الاسباب العادية و الاثبات على خرقها و هو تارة يكون بالجذبية الالهية و تارة بالرياضات النفسية و تارة بالعلوم و المعارف الربانية قال ابن حجر و في الحديث اشارة الى أنه ينبغي استحضار هذا في النظر للخلق بعد وقوع الافعال منهم حتى تقام أعذارهم في كثير من أحوالهم التي لا يرتب على اقامتها فيها محذور فان كلا يجرى في تيار ما قدر له لا يخرج عنه مثال ذرة في حركاته و سكناته (رواه أحمد) و كذا ابن أبي حاتم و الطبراني و ابن مردويه في تفسيرهم كلهم من طريق أبي جعفر الراوى عن الربيع عن أنس عن أبي العالية عن أبي و كان مقتضى دأب المصنف أن يقول روى الاحاديث الخمسة أحمد (و عن أم سلمة) هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية رضی الله عنها و كانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت أبي سلمة فلما مات أبو سلمة سنة أربع تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من سؤال من السنة التي مات فيها أبو سلمة و ماتت سنة تسع و خمسين و دفنت بالبقيع و كان عمرها أربعاً و ثمانين سنة و روى عنها ابن عباس و عائشة و زينب بنتها و ابن المسيب و خلق سواهم كثير من الصحابة و التابعين (قالت يا رسول الله لاتزال) بالخطاب و قيل بالنفية (يصيبك) أى يحصل لك (في كل عام) أى سنة (و جمع) بفتح الجيم أى ألم (من الشاة) أى من أجل أثر الشاة (المسمومة) أى بالسلم الذى بالغ اليهودى في اصطناعه و اقتانه ليقتل في وقته و ساعته (التي أكلت) أى في خير كما في نسخة (قال ما أصابني شئ منها) أى من تلك الشاة أو من تلك الاكلة (الاوهر) أى ذلك الشئ من الالم (مكتوب على و آدم في طينته) قال الطيبى مثل لتقدير السابق لا تمييز فان كون آدم في طينته أيضا مقدر قبله كما يقال ما لاح كوكب و ما أقام ثبير في التأييد و ان لم يكن مؤبداه و يؤيده قوله تعالى ما أصاب من مصيبة في الارض و لا في

رواه ابن ماجه * (باب اثبات عذاب القبر) * * (الفصل الاول) * عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وفي رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت نزلت في عذاب القبر

أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها أي نخلقها وقضية الشاة تأتي في باب المعجزات ان شاء الله تعالى (رواه ابن ماجه) * (باب اثبات عذاب القبر) *

قال الامام النووي مذهب أهل السنة اثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه الأدلة من الكتاب والسنة قال تعالى النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وأما الأحاديث فلا تحصى كثرة ولا مانع في العقل من أن يعيد الله الحياة في جزء من الجسد أو في الجميع على خلاف بين الأصحاب فيثيبه ويعذبه ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه كما يشاهد في العادة أو أكلته السباع والطيور وحيثان البحر لشمول علم الله تعالى وقدرته فإن قيل نحن نشاهد الميت على حاله فكيف يسئل ويقعد ويضرب ولا يظهر أثر فالجواب انه ممكن وله نظير في الشاهد وهو النائم فانه يجد لذة وألماً يحسه ولا نحسه وكذا يجد اليقظان لذة وألماً يسمعه ويتفكر فيه ولا يشاهد ذلك جلسه وكذلك كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيوحى بالقرآن المجيد ولا يراه اصحابه * (الفصل الاول) * (عن البراء بن عازب) هو وأبوه صحابيان وهو أبو عمار الانصاري الحارثي نزل الكوفة وانتج الرى سنة أربع وعشرين وشهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان ومات بالكوفة روى عنه خلق كثير وعماراة بضم العين المهملة وتخفيف الميم وعازب بعين مهملة وكسر الزاي بعدها موعدة رضى الله عنهما (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم) وفي معناه المؤمن والمراد به الجنس فيشمل المذكور والمؤنث أو حكمها يعرف بالتبعية (اذا سئل في القبر) التخصيص للعادة أو كل موضع فيه مقره فهو قبره والمسؤل عنه محذوف أي سئل عن ربه ودينه وتبته لما ثبت في الأحاديث الآخر (يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله) أي يجيب بأن لا رب الا الله ولا اله سواه وبأن نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ويلزم منه أن دينه الاسلام (فذلك) أي فمصدق ذلك الحكم وقال الطيبي اشارة الى سرعة الجواب التي يعطها جعل اذا ظرفاً ليشهد والفاء للسببية وفيه بحث فان الظاهر أن الآية سبب لما في الحديث دون العكس فالاولى أن يقال ان الفاء تفرعية أو تفصيلية (قوله) أي تعالى كما في نسخة (يثبت الله الذين آمنوا) أي يجرى لسانهم (بالقول الثابت) وهو كلمة الشهادة المتمكنة في القلب بتوفيق الرب قال الطيبي واللام اشارة الى كلمة طيبة اه وهذا مقتبس من قوله تعالى ومثل كلمة طيبة وهي شهادة أن لا اله الا الله كما جاء عن ابن عباس وغيره كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وهي النخلة على ما في الصحيح قبل الباء للسببية متعلقة بيبث وكذا (في الحيوة الدنيا) بان لا يزالوا عنه اذا فتوا ولم يرتابوا بالشبهات وان القوا في النار (وفي الآخرة) أي البرزخ وغيره وقيل في القبر عند السؤال وهو الصحيح كما وقع به التصريح قال الطيبي وأعاد الجار ليدل على استقلاله في التثبيت (وفي رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يثبت الله) مبتدأ أي آية يثبت الله (الذين آمنوا بالقول الثابت) أي الى قوله ويضل الله الظالمين أي الكافرين ويفعل الله ما يشاء (نزلت في عذاب القبر) أي في اثباته قال فان قيل ليس في الآية دليل على عذاب المؤمن فما معنى قوله نزلت في عذاب القبر قلت لعلى سمي أحوال العبد في القبر بعذاب القبر

يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبى محمد متفق عليه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه يسمع قرع نعالهم آتاه ملكان فيقتدانه

على تغليب فتنة الكافر على فتنة المؤمن ترهيبا ولان القبر مقام الهول والوحشة و لان ملاقات الملكين مما يهيب المؤمن أيضا اه وفيه أن المراد اثبات عذاب القبر مجملًا غايةً أن عذاب المؤمن الفاسق مسكوت عنه كما هو دأب القرآن في الانتصار على حكم الفريقين كما ورد في اعطاء الكتاب باليمين والشمال وخفة الميزان و ثقله و امثالهما وهذا المقدار من الدليل حجة على المخالف اذ لا قائل بالفصل (يقال له) أى لصاحب القبر (من ربك) فان كان مسلما ازال الله الخوف عنه و ثبت لسانه في جواب الملكين (فيقول ربى الله ونبى محمد) زاد في الجواب تبجيحا أو من نبيك متدرفى السؤال أو لان السؤال عن التوحيد يستلزمه اذ لم يعتد به دونه وزاد في المصاييح والاسلام ديني فيجئذ يكون منعما في القبر و أما الكافر فيغلب عليه الخوف والحيرة والدهشة والوحشة ولا يقدر على جوابها فيكون معذبا فيه قيل و لم يذكر حال الكافر لان الضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده فاكتفى به عنه (متفق عليه و عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد) المراد به الجنس (اذا وضع في قبره) شرط و آتاه جوابه و الجملة خبران (و تولى) أى أدبر و أعرض (عنه أصحابه) أى عن قبره و العبرة بالاكثر أو عن وضعه و المعنى دفنوه و التعبير عنهم بالاصحاب نظرا للثالب و الاول هو الاظهر لقوله يسمع قرع نعالهم (انه) بالكسر وهو اما حال يحذف الواو كما في أحد وجهي قوله تعالى و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أى و وجوههم على أن الرؤية بمعنى الابصار و هو على حد كلمته فوه الى فى أو يكون انه جواب الشرط على حذف الفاء فيكون آتاه حالا من فاعل يسمع و قد مقدرة و يحتمل أن يكون اذا ظرفا محضا و قوله انه تأكيد لقوله ان العبد (ليسمع) بفتح اللام لتأكيد (قرع نعالهم) بكسر النون جمع نعل قيل أى يسمع صوتها لو كان حيا فان جسده قبل أن يأتبه الملك فيقعداه ميت لا يحس بشئ و هو ضعيف اذ ثبت بالأحاديث ان الميت يعلم من يكفنه و من يصلى عليه و من يحمله و من يدفنه و قال ابن الملك أى صوت ذقها وفيه دلالة على حياة الميت في القبر لان الاحساس بدون الحياة ممنوع عادة و اختلفوا في ذلك فقال بعضهم يكون باعادة الروح و توقف أبوحنيفة في ذلك اه و لعل توقف الامام فى أن الاعادة تتعلق بجزءه اليدين أو كله قال فى شرح السنة يجوز المشى بالنعل فى القبور (آتاه ملكان) أى قبل ان يمضى زمان طويل (فيقتدانه) من الاقصاد و قد وقع فى بعض الروايات فيجلسانه من الاجلاس و هو أولى لان القعود عند الفصحاء فى مقابلة القيام و الجلوس فى مقابلة الاضطجاع و الاستلقاء و يؤيد ما حكى أن النضر بن شميل مثل بين يدي المأمون قال اجلس فقال يا أمير المؤمنين لست مضطجعا فاجلس قال كيف أقول قال قل اقمعد و يحتمل أن يراد بالاقتماد الايقاظ والتنبيه و انما يسألان عنه باعادة الروح و يمكن أنه يقوم من القزع و الخوف و الهيبة و الدهشة و الحيرة فيقعدانه قال الطيبى و لعل من روى فيقتدانه ظن أن اللافظين يزلان فى المعنى منزلة واحدة و قد فاته دقة المعنى ولهذا نهى كثير من السلف عن رواية الحديث بالمعنى قال النووى القعود و الجلوس مترادفان و استعمال القعود مع القيام و الجلوس مع الاضطجاع مناسبة لفظية و نحن نقول بموجبه اذا كانا مذكورين و أما اذا لم يذكر الا احدهما فلم نقل انه كذلك الأثرى الى حديث جبريل عليه السلام حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم أقول صرح فى القاموس بانهما لغتان حيث قال القعود الجلوس أو هو من القيام و الجلوس من الضجعة و من السجود اه و يؤيد اللغة الثانية استعمال الفقهاء فى أعمال الصلاة

فیقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد فاما المؤمن فيقول أشهد انه عبد الله و رسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراها جميعا و أما المنافق و الكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت و لا تلتيت

القعدة الأولى و القعدة الأخرى و الله أعلم (فيقولان) أى له (ما كنت تقول) أى أى شئى كنت تقولوه أى تعتقد (في هذا الرجل) أى في شأنه و اللام للعهد الذهني و في الإشارة إيماء الى تنزيل الحاضر المعنوي منزلة الصوري مبالغة (لمحمد) بيان من الراوي للرجل أى لاجل محمد (صلى الله عليه وسلم). كذا قاله الطيبي و شراح المصابيح و قال السيد جمال الدين الأولى ان يقال لمحمد من جملة قول الرسول و التعبير بمحمد دون النبي و الرسول يؤذن بذلك اه قال الطيبي و دعاؤه بالرجل من كلام الملك فعبر بهذه العبارة التي ليس فيها تعظيم امتحانا للمسؤل لثلاثي تغظيم عن عبارة القائل ثم يثبت الله الذين آمنوا و في رواية عند أحمد و الطبراني ما تقول في هذا الرجل قال من قال محمد فيقول الخ قال ابن حجر و لا يلزم من الإشارة ما قيل من رفع الحجب بين الميت و بينه صلى الله عليه وسلم حتى يراه و يسئل عنه لان مثل ذلك لا يثبت بالاحتمال على انه مقام امتحان و عدم رؤية شخصه الكريم أقوى في الامتحان قلت و على تقدير صحته يحتمل أن يكون مفيدا لبعض دون بعض و الاظهر أن يكون مختصا بمن أدركه في حياته عليه الصلاة و السلام و تشرف برؤية طلعت الشريفة (فاما المؤمن فيقول) أى في جوابه لهما مع اعترافه بالتوحيد كما مر (أشهد انه عبد الله و رسوله) لا كما زعمت النصارى من الوهية بينهم و لا كما زعمت الفرق الضالة انه ليس برسوله (فيقال له) الظاهر انه على لسانها تعجبا لمسرتة و تبشيرا لعظيم نعمته (انظر الى مقعدك من النار) أى لو لم تكن مؤمنا و لم تجب الملكين (قد أبدلك الله به) أى بمقعدك هذا (مقعدا من الجنة) أى بإيمانك و العودتها أيضا مستعمل في المعنى الأعم (فيراها) أى المقعدين (جميعا) ليزداد فرحه (و أما المنافق و الكافر) تعميم بعد تخصيص (فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري) أى حقيقة أنه لئى أم لا (كنت أقول) أى في الدنيا (ما يقول الناس) أى المؤمنون و هذا قول المنافق لانه كان يقول في الدنيا لاله الا الله محمد رسول الله تقياً لا اعتقادا و أما الكافر فلا يقول في القبر شياً أو يقول لا أدري فقط لانه لم يقل في الدنيا محمد رسول الله و يحتمل ان يقول الكافر أيضا دفعا لعذاب القبر عن نفسه و قال ابن حجر ان أراد بالناس المسلمين فهو كذب منه حتى في المناق لانه ليس المراد مجرد قول اللسان بل اعتقاد القلب و ان أراد من هو بصفته فهو جواب غير نافع له اه و الثاني أظهر و هو ان يراد بالناس الكفار و مراده بيان الواقع لا الجواب النافع و على تقدير ان يراد بالناس المسلمون لا محذور أيضا في كذبهم اذ هذا دأبهم و قد أخبر الله تعالى عنهم بقوله يوم يعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم و يحسبون أنهم على شئى الا أنهم هم الكاذبون أى في قولهم و الله ربنا ما كنا مشركين (فيقال) أى له كما في نسخة (لا دريت) أى لا علمت ما هو الحق و الصواب (و لا تلتيت) أى لا تبعت الناجين يعنى ما وقع منك التحيق و التسديد و لا صدر منك المتابعة و التقليد و قيل دعاء عليه و هو بعيد قال السيد جمال الدين أى لا قرأت فاصله تلوت قلبت الواو ياء لزدواج دريت أى ما علمت بالنظر و الاستدلال أى العقل انه رسول و ما قرأت كتاب الله لتعلمه منه أى بالدليل النقل و ينسبه قوله عليه الصلاة و السلام في الفصل الثالث ان المؤمن يقول هو رسول الله فيقولان ما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به و صدقت كذا في الازهار و قيل لا تلتيت لا اتبعت العلماء بالتقليد اه و قال ابن الملك قوله

و يضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعا من يليه غير الثقلين متفق عليه و لفظه للبخارى و عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة و العشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة و ان كان من أهل النار فمن أهل النار

ولا تليت من تلا يتلو اذا قرأ أى و لا قرأت الكتاب دعاء عليه أى بدوام الجهل أو اخبار قيل رواية ولا تليت خطأ والصواب و لا أتليت من أتلاه اذا أتبعه فالمعنى ما علمت بالنظر و الاستدلال حقيقة نبوته ولا تليت العلماء بالتقليد فيكون اخبارا اه هذا و فى القاموس تلوته كدعوته و رسمته تبعته و القرآن أو كل كلام قرأته و اتلته اياه اتبعته فهذا يظهر تكلف بعض و خطأ بعض فى هذا المقام و الله أعلم بالمرام ثم ذكر فى الازهار فان قيل كيف يكلم الملكان جميع المكلفين و كيف يسألانهم فى وقت واحد مع كثرتهم فى الاقاق و الاطراف و بعد المسافة شرقا و غربا و أى فائدة من سؤال اثنين من واحد قيل يكون لهما أعوان كما لملك الموت و قيل جميع الارض مكشوف لهما و فى نظرهما كما لملك الموت و ان أحدهما يسأل المسلمين و الآخر الكافرين اه و فى قول الأخير نظر ظاهر لانه مخالف لظواهر الاحاديث و يمكن أن يقال حكمة الاثنين لانهما بمنزلة الشاهدين أو عوض الملكين الكائنين و الله أعلم (ويضرب) أى الكافر (بمطارق) و فى المصاييح مطرقة و هى آلة الضرب (من حديد) لانه من بين الفلزات أشد شديدا (ضربة) أى بين أذنيه كذا قاله ابن الملك قال الطيبى أفرد الضربة و جمع المطارق على نحو قوله * معى جياعا * ليؤذن بان كل جزء من تلك المطرقة مطرقة يرأسها مبالغة اه و الاظهر أن المطارق على حقيقته من معنى الجمعية سواء يكون أقله اثنان أو ثلاثة و المراد من ضربة دفعة واحدة من الضرب و الله أعلم ثم رأيت ابن حجر قال كان وجه افرادها مع جمع المطارق للإشارة الى أنها تجتمع عليه فى وقت واحد فصار كالضربة الواحدة صورة ثم قال و فى كلام الطيبى نظر لان فيه اخراج المطارق عن حقيقته و هى الدلالة على الجمع الذى هو أبلغ فى التكالم و العذاب من غير داع لذلك (فيصيح) أى يرفع صوته بالبكاء من تلك الضربة (صيحة يسمعا) أى تلك الصيحة (من يليه) أى يقرب منه من الدواب و الملائكة و غير بمن تغلبا للملائكة لشرفهم و لا يذهب فيه الى المفهوم من أن من بعد لا يسمع لما ورد فى الفصل الثانى فى حديث البراء بن عازب من أنه يسمعا ما بين المشرق و المغرب و المفهوم لا يعارض المنطوق (غير الثقلين) أى الأئس و الجن سمي بهما لانهما قفلا على الارض و نصب غير على الاستثناء و قيل بالرغ على البدلية و استثنيا لانهما بمعزل عن سماع ذلك لثلاثي فبوت الايمان بالغيب لانه يصير الايمان به لو سمعوه ضروريا و الايمان الضرورى لا يفيد ثوبا فيرتفع الابتلاء و الامتحان و قيل لو سمعوه لا عرضوا عن التدابير و الصنائع و نحوها فيقطع المعاش و يختل نظام العالم و لذا قيل لولا الحمقى لخرت الدنيا و قيل الغفلة رحمة و قيل لولا الاصل لاختل العمل (متفق عليه) أى بحسب المعنى (و لفظه للبخارى) قال ميرك شاه و فيه نظر لان رواية مسلم انتهت الى قوله فيهما جميعا فيحمل الاتفاق على الأكثر فتدبر (و عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده) أى أظهر له مكانه الخاص من الجنة أو النار و هو لابن ابي عرض مقعد آخر فرضيا كما تقدم (بالغداة و العشي) أى طرق النمار أو المراد بهما الدوام (ان كان) أى الميت (من أهل الجنة فمن أهل الجنة) أى فالمرعوض عليه من مقاعد أهل الجنة أو مقعده من مقاعد أهل الجنة يعرض عليه (و ان كان من أهل النار فمن أهل النار) قال الطيبى يجوز أن يكون المعنى فمن كان من أهل الجنة فيشرب بما لا يكتنه كنهه و يفوز بما لا يقدر قدره و ان كان من أهل النار

يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة متفق عليه و عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال نعم عذاب القبر حق قالت عائشة فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة الا تعوذ بالله من عذاب القبر

فبالعكس لان الشرط والجزاء اذا اتحد دل الجزاء على الفخامة كقوله من أدرك الضمان فقد أدرك (فيقال) أى لكل منهما (هذا) أى المقعد المعروض عليك (مقعدك) أى مقعدك الذى أنت مستقر فى نعيم عرضه أو جحيمه و مستمر (حتى يبعثك الله اليه) قال السيد جمال الدين الضمير فى اليه اما أن يرجع الى المقعد فالمعنى هذا مقعدك تستقر فيه حتى تبعث الى مثله فى الجنة أو النار كقوله تعالى قالوا هذا الذى رزقنا من قبل أى مثل الذى ويجوز أن يكون الضمير راجعا الى الله تعالى أى الى لقائه و يجوز أن يكون الضمير راجعا الى المقعد المعروض أو الى المقعد الذى هو القبر و الى بمعنى من أى المعروض عليه مقعدك يعد و لا تدخله الآن حتى يبعثك الله اليه أو القبر مقعدك حتى يبعثك الله منه الى مقعدك الآخر المعروض عليك اه و قال الطيبي الضمير يرجع الى يوم الحشر أى هذا الآن مقعدك الى يوم الحشر فتري عند ذلك كرامة أو هو ان تنسى عنده هذا المقعد (يوم القيامة) بالنصب على الظرفية قال التوربشتي و هذا لفظ المصاييح و قد روى فى الاحاديث الصحاح حتى يبعثك الله الى يوم القيامة أى هذا مشترك الى يوم القيامة و يجوز أن يكون التقدير حتى يبعثك الله الى محشر يوم القيامة اه و فى الإزهار المراد بالقيامة هنا النفخة الاولى لا الاخرى لان ما بين النفختين لا يعذب أحد من الكفار و المسلمين قلت لا حاجة الى هذا التأويل فان قوله هذا مقعدك مطلق متناول للعذاب وغيره مع ان النفخة الاولى حالة اماتة المخلوقات و غشيان للاسوات و ما ثم هناك بعث فتأمل (متفق عليه و عن عائشة) رضى الله عنها (أن يهودية دخلت عليها) قال ابن حجر لا يلزم من ذلك رؤية اليهودية لعائشة المحرم عندنا لمفهوم قوله تعالى أو نسائين المقتضى لحرمة كشف المسلمة شيئا من بدنها لكافة لانها قد تصفها لكافر فيفتنها اه و مفهوم المخالفة عندنا غير معتبر و لم ينقل أحد أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم و الصحابة كن يحتجن عن نساء الكفار (فذكرت) أى اليهودية (عذاب القبر قتالت) أى اليهودية و هو يحتمل أن يكون تفسيراً أو تفرعاً (لها) أى لعائشة (أعاذك الله) أى حفظك و أبارك (من عذاب القبر) جاز علم اليهودية بعذاب القبر لقراءتها فى التوراة أو لسمعها من قرأ فى التوراة و كانت عائشة لم تعلم ولم تسمع ذلك (فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر) أى أحق هو (فقال نعم عذاب القبر حق) أى ثابت و متحقق و كائن و صدق (قالت عائشة فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد) أى بعد سؤالى ذلك (صلى صلاة الا تعوذ بالله من عذاب القبر) و هو يحتمل داخل الصلاة و خارجها و الاول أظهر و من ثم أوجب ذلك بعض العلماء قيل يحتمل أنه ما علم ذلك قبل أو علم ولم يتعوذ حتى سمع من اليهودية فتعوذ أو كان يتعوذ و لم تشعره عائشة و قيل كان يتعوذ منه قبل هذا سرا فلما رأى تعجباً منه أعلن به خلف كل صلاة ليثبت فى قلبها و ليقنئى به أمته و ليستبره ذلك بين الأمة و يترسخ فى عقائدهم و ليكونوا على خيفة منه و جاز أنه عليه الصلاة والسلام كان قبل هذا يتعوذ منه سرا متوقفاً فى شأن أمته فيه قبل أن يوحى اليه ثم تعوذ منه أعاذنا الله بطفه منه قال التوربشتي روى الطحاوى أنه عليه الصلاة والسلام سمع اليهودية قالت ذلك فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أوحى اليه بفتنة القبر و وجدت فى حديث آخر أن عائشة رضى

متفق عليه و عن زيد بن ثابت قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه اذ حادت به فكادت تلقيه و اذا أتر ستة أو خمسة فقال من يعرف أصحاب هذه الاقبر قال رجل أنا قال فمتى ماتوا قال في الشرك فقال ان هذه الامة تبلى في قبورها فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه

الله عنها قالت لا أدري أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ قبل ذلك ولم أشعربه أو تعوذ بقول اليهودية قال الطيبى فعلى هذا فيه تواضع منه عليه الصلاة والسلام و ارشاد للخلق الى قبول الحق من أى شخص كان فان الحكمة صالة المؤمن و فيه انه يبعد انه عليه الصلاة والسلام يعتمد في المسئلة الاعتقادية على مجرد قول اليهودية بل انه اعتمد على الوحي كما تقدم و الله أعلم و أما قول ابن حجر و ما نقل عن الطحاوى يحتاج الى نقل فهو غريب لان نقله نقل فانه من المعذبين المشهورين المعروفين بالثقة و العدالة و الضبط في الغاية لاسيما و هذا ليس مما يقال بالرأى فيجب حسن الظن به و من العجيب انه لو نقل مثل هذا عن هو دونه في الرتبة من أصحاب مذهبه كان سندا معتمدا عنده ثم في الحديث تشبيه على انه لا يجوز لاحد من خلق الله أن يأمن من عذاب الله (متفق عليه و عن زيد بن ثابت قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط) أى كائن في بستان (لبني النجار) قبيلة من الانصار (على بغلة له) حال من المستتر في الخبر (و نحن معه) حال متداخلة لانه حال من الضمير في الحال (اذ حادت) بالحاء المهملة على الصحيح و قيل بالجيم من الجودة بالضم اى مالت و نفرت (به) أى ملتبسة به فيه حال و اذ بسكون الذال للمفاجأة بعد بينا نص على ذلك سيويه على ما في المعنى (فكادت تلقيه) من الالتقاء أى تسقطه و ترميه عن ظهرها (و اذا أتر) بفتح فسكون فضم (سته أو خمسة) اذا بالالف للمفاجأة و الواو للحال أى نحن على ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و اذا أتر أى ظهرت لنا قبور معدودة فاجانأنا (فقال من يعرف أصحاب هذه الاقبر) أى ذواتهم و صفاتهم و تاريخ و فاتهم و أيام حياتهم (قال رجل أنا) أى أعرفهم (قال) صلى الله عليه وسلم اذا كنت تعرفهم (فمتى ماتوا) أى في الجاهلية أو بعدها مشركين أو مؤمنين (قال في الشرك) أى في زمنه أو صفته و قال ابن حجر أى بعد بعثتك بدليل قوله ان هذه الامة تبلى في قبورها أى بالعذاب فيها قال و انما حملته على ذلك ليوافق الاصح ان أهل الفترة لعقاب عليهم اه و فيه ان أهل الفترة على ما حققوا فيه نادر الوجود فكيف يعمل على أهل الشرك (فقال ان هذه الامة) أى جنس الانسان فهذه اشارة لما في الذهن و خبره بيان له كهذا أخوك و أصل الامة كل جماعة يجتمعهم أمر واحد اما دين أو زمان أو مكان (تبلى) بصيغة المجهول أى تمتحن (في قبورها) ثم تنعم أو تعذب (فلولا أن لاتدافنوا) يحذف احدى التاءين أى لو لا مخافة عدم التدافن اذا كشف لكم (لدعوت الله) أى سألته (أن يسمعكم) من الاسماع مفعول ثان على تضمين سألته أن يجعلكم سامعين (من عذاب القبر) يحتمل أن تكون من للتبعض و يحتمل أن تكون زائدة قال في الازهار قيل المعنى المانع من الدعاء هو الخوف و الحيرة و الدهشة و انخلاع القلب و قيل المانع ترك الاعانة في الدفن و قال النور بشتى لو سمعوا ذلك لهم كل واحد منهم خويصة نفسه و عنهم من ذلك البلاء العظيم حتى أفضى بهم الى ترك التدافن و خلع الخوف أفندتهم حتى لا يكادوا يتربون جيفة ميت (الذى أسمع منه) أى الذى أسمعهم من القبر و قال ابن حجر أى مثل الذى أسمعهم مفعول ثان ليسمع أى أن يوصل الى آذانكم أصوات المعذبين في القبر فانكم لو سمعتم ذلك تركتم التدافن من خوف قلع صياح الموتى أفندتكم أو خوف الفضيحة في القرائب

ثم أقبل علينا بوجهه فقال تعوذوا بالله من عذاب النار قالوا تعوذوا بالله من عذاب النار قال تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا تعوذوا بالله من عذاب القبر قال تعوذوا بالله من الفتنة ما ظهر منها و ما بطن قالوا تعوذوا بالله من الفتنة ما ظهر منها و ما بطن قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا تعوذوا بالله من فتنة الدجال رواه مسلم * (الفصل الثاني) * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير

لثلا يطلع على أحوالهم وهذا الحديث مثل قوله عليه الصلاة والسلام لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا وفيه أن الكشف بحسب الطاقة و من كوشف بما لايسعه يطيح و يهلك و قال ابن حجر و وجه هذا التلازم ان الكشف عن ذلك العذاب يؤدي جهلة العامة الى ترك التدافن خوفا عليهم منه و يؤدي الخاصة الى اختلاط عقولهم و انخلاع قلوبهم من تصور ذلك الهول العظيم فلا يقربون جيفة ميت و بهذا التفصيل الذي ذكرته يندفع ما قيل كيف يليق بمؤمن أن يترك الدفن المأمور به حذرا من عذاب القبر بل يلزمه أن يعتقد ان الله اذا أراد تعذيب أحد عذبه و لو في بطن الحيتان و حواصل الطيور (ثم أقبل علينا بوجهه) تأكيد كقوله رأيته بعيني (فقال تعوذوا بالله من عذاب النار) أى اطلبوا منه أن يدفع عنكم عذابها (قالوا تعوذوا بالله من عذاب النار) أى نعتصم به منها (قال تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا تعوذوا بالله من عذاب القبر) و لعل تقدم عذاب النار في الذكر مع ان عذاب القبر مقدم في الوجود لكونه أشد و أبقي و أعظم و أقوى (قال تعوذوا بالله من الفتنة) جمع فتنة و هي الامتحان و تستعمل في المكر و البلاء و هو تعميم بعد تخصيص (ما ظهر منها و ما بطن) بدل من الفتنة و هو عبارة عن شمولها لان الفتنة لا تخلو منهما أى ماجهر و أسر و قيل ما يجرى على ظاهر الانسان و ما يكون في القلب من الشرك و الرياء و الحسد و غير ذلك من مذومات الخواطر (قالوا تعوذوا بالله من الفتنة ما ظهر منها و ما بطن) أى كل فتنة تجر الى عذاب القبر أو الى عذاب النار (قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال) خص فانه أكبر الفتنة حيث يجبر الى الكفر المفضى الى العذاب المخلد (قالوا تعوذوا بالله من فتنة الدجال رواه مسلم)

* (الفصل الثاني) * (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قبر الميت) أى دفن و هو قيد غالبى و الا فالسؤال يشمل الاموات جميعها حتى أن من مات و أكلته السباع فان الله تبارك و تعالى يعلق روحه الذى فارقه بجزئته الاصلى الباقي من أول عمره الى آخره المستمر على حاله حالى النمو و الذبول الذى تتعلق به الروح أولا فيحيا و يجيا بحياته سائر أجزاء البدن ليستل فيثاب أو يعذب و لا يستبعد ذلك فان الله تعالى عالم بالجزئيات و الكليات كلها حسب ما هى عليها فيعلم الاجزاء بتفاصيلها و يعلم مواقعها و محالها و يميز بين ما هو اصل و فصل و يقدر على تعليق الروح بالجزء الاصلى منها حالة الافراد و تعليقه به حال الاجتماع فان البنية عندنا ليست شرطا للحياة بل لا يستبعد تعليق ذلك الروح الشخصى الواحد بكل واحد من تلك الاجزاء المتفرقة في المشارق و المغارب فان تعلقه بتلك الاجزاء ليس على سبيل الحلول حتى يمنع الحلول في جزء آخر (أتاه ملكان أسودان) منظرها (أزرقان) أعينهما و انما يعيثنهما الله على هذه الصفة لما في السواد و زرقة العين من الهول و الوحشة و يكون خوفهما على الكفار أشد ليتحيروا في الجواب و أما المؤمنون فلمهم في ذلك ابتلاء فيشبهتهم الله فلا يخافون و يأسون جزاء لخوفهم منه في الدنيا (يقال لاحدهما المنكر) مفعول من أنكر بمعنى نكر اذا لم يعرف أحدا (وللآخر النكير) فعيل بمعنى مفعول من نكر بالكسر

فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له ثم فيقول أرجع الى أهلي فأخبرهم فيقولان ثم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا أحب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك

إذا لم يعرفه أحد فهما كلاهما ضد المعروف سببا بهما لأن الميت لم يعرفهما ولم ير صورة مثل صورتهما ثم يحتمل أن يمثل الملكان للميت بهذا اللون حقيقة لانهما ميقوضان والزرقة أبيض اللون عند العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون غالبا ويحتمل أن يراد بالزرقة العمى قال تعالى ونحشر الجحيم يومئذ زرقا أي عميا ويؤيده ما ورد في الحديث الآخر فيقضى أي يقدر له أمى أسم ويحتمل أن يكون المراد بالسواد قبح الصورة وفضاعة المنظر على طريق الكناية وبالزرقة تقليب البصر فيه وتحديد النظر اليه يقال زرقت عينه نحوى إذا انقلبت وظهر بياضها وهو كناية عن شدة الغضب (فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل) قيل يصور صورته عليه الصلاة والسلام فيشار اليه (فيقول هو عبدالله ورسوله) هذا هو الجواب وذكر الشهادتين اطنابا للسلام ابتهاجا وسرورا وانتخارا وتلذا (أشهدان لا اله الا الله وأن) وفي نسخة وأشهدان (محمدا عبده ورسوله) ولذا قد أخبر بذلك فيما هنالك ونظيره قوله وما تلك يمينك يا موسى قال هي عصا أتوكأ عليها الخ فاطنبا استلذا إذا بمخاطبة الحق واستذكارا بنعمته كذا قاله الشراح والظاهر أن قوله هو عبدالله ورسوله ليس جوابا شرعيا لتوقفه على لفظ الشهادة عند بعضهم وعلى التوحيد عند الكل فيجمع بينهما دلالة على الايمان على جهة الايقان بخلاف المناق الآتى ذكره حيث يدعى الايمان لكن من غير دراية وبرهان (فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا) أي الاترار بالوحدانية والرسالة وعلما بذلك اما باختيار الله تعالى اياهما بذلك أو بمشاهدتهما في جبينه أثر السعادة وشعاع نور الايمان والعبادة (ثم يفسح) مجهول مخفف وقيل مشدد أي يوسع (له في قبره سبعون ذراعا) يحتمل انه بذراع الدنيا المعروف عند المخاطبين وهو الظاهر ويحتمل انه بذراع الملك الاكبر من ذلك بكثير قال الطيبي أصله يفسح قبره مقدار سبعين ذراعا فجعل القبر طرفا لسبعين وأسد الفعل الى السبعين مبالغة في السعة (في سبعين) أي ذراعا كما في نسخة أي في عرض سبعين يعني طوله وعرضه كذلك قيل لانه غالب اعمار أمته عليه الصلاة والسلام فيفسح له في مقابلة كل سنة عند الله فيها ذراعا والظاهر أن المراد به الكثرة ولذا ورد في بعض الروايات مدبره ويمكن أن يختلف باختلاف الأشخاص والله أعلم (ثم ينور له فيه) أي يجعل النور له في قبره الذي وسع عليه (ثم يقال له ثم) أمر من نام ينام (فيقول) أي الميت لعظيم ما رأى من السرور (أرجع) أي أزيد الرجوع كذا قيل والظاهر ان الاستفهام مقدر (الى أهلي فأخبرهم) أي بان حال طيب ولاحزن لي لفرحوا بذلك قال ياليت قومي يعلمون (فيقولان) أي له معرضين عن الجواب لاستحالتهم كذا قاله العسقلاني وأقول قوله (ثم) متضمن للجواب ومغن عن الاطناب (كنومة العروس) هو يطلق على الذكر والانثى في أول اجتماعهما وقد يقال للذكر العريس (الذي لا يوقظه) الجملة صفة العروس وانما شبه نومته بنومة العروس لانه يكون في طيب العيش وقيل المراد في تمام طيب العيش (الا أحب أهله اليه) قال المظهر عبارة عن عزته وتعظيمه عند أهله يأتيه غداة ليلة زفافه من هو أحب وأعطف فيوقظه على الرفق واللطف (حتى يبعثه الله) هذا ليس من مقول الملكين بل من كلامه عليه الصلاة والسلام اعلمنا لامته بان هذا النعيم يدوم له ما دام في قبره وحتى متعلق بمجنون أي ينام طيب العيش حتى يبعثه الله (من مضجعه ذلك) بفتح الميم والجيم موضع الضجع وهو

وان كان مناقا قال سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله لأدرى فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التثمي عليه فتلتثم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك رواه الترمذى وعن البراء بن عازب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دبنى الاسلام فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقته

النوم وقيل يحتمل أن يتعلق حتى يتم على سبيل الالتفات من الخطاب الى الغيبة اشارة الى غيبته عنهما بانصرافه عنهما (وان كان مناقا قال) وفي نسخة فقال (سمعت الناس) أى المسلمین أو الكفار فانهم أكثر الناس قال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين و الاول أظهر (يقولون قولاً) هو أن يهدا رسول الله (فقلت مثله) أى مثل قولهم (لا أدرى) أى انه نبي في الحقيقة أم لا وهو استئناف أى ما شعرت غير ذلك القول قال ابن الملك بحمله النصب على الحال أو صفة لمثله وفي الثاني نظر (فيقولان قد كنا نعلم) أى بالوحي أو برؤيتنا وجهك أثر الشقاوة وظلمة الكفر (انك تقول ذلك) أى القول (فيقال للارض) أى لتبر من قبلهما أو من قبل ملك آخر (التثمي) أى انضمي واجتمعي (عليه) ضاغطة له يعنى ضمتي عليه وهو على حقيقة الخطاب لأنه تخييل لتعذيبه وعصره (فتلتثم عليه) أى يجتمع أجزاءها عليه بأن يقرب كل جانب من جبهه الى الجانب الآخر فيضمه ويعصره (فتختلف اضلاعه) بفتح الهمزة جمع ضلع وهو عظم الجنب أى تزول عن الهيئة المستوية التي كانت عليها من شدة التثامها عليه وشدة الضغطة والعصار أعضائه وتجاوز جنبه من كل جنب الى جنب آخر (فلا يزال فيها) أى في الارض أو في تلك الحالة أو في تربته (معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك) وهذه الجملة من قوله عليه الصلاة والسلام لانقطاع الحكاية من الملكين (رواه الترمذى) وقال حسن غريب (وعن البراء) بالتخفيف والمد على المشهور وقيل بالقصر نقله الكرمانى (ابن عازب) رضى الله عنهما (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتيه ملكان) قال ابن الملك روى هذا الحديث البراء كما رواه أبو هريرة الا ان ألفاظهما مختلفة قال في رواية البراء يأتيه أى المؤمن ملكان (فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله) بفتح الباء وتسكن ولو كان الميت أعجمياً صار عربياً (فيقولان له ما دينك) أى الذى اخترته من بين الاديان (فيقول دبنى الاسلام فيقولان) أى له كما في نسخة (ما هذا الرجل الذى بعث فيكم) أى ما وصفه لأن ما يسئل به عن الوصف كذا قاله الطيبي وتبعه ابن حجر وقال أى ما وصفه أرسول هو أو ما اعتقذك فيه والاظهرا ان ما بمعنى من ليوافق بقية الروايات بلفظ من نبيك (فيقول هو رسول الله) وفي نسخة صلى الله عليه وسلم (فيقولان له) أى للميت (وما يدريك) أى أى شئ أعلمك وأخبرك بما تقول من الربوبية والاسلام والرسالة وقيل انما وصل بالواو العاطفة هنا لاتصاله بما قبله بخلاف ما دينك وما هذا الرجل فان كلا منهما مستقل منقطع عما قبله (فيقول قرأت كتاب الله) أى القرآن (فآمنت به) أى بالقرآن فان الايمان به مستلزم للايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم أو آمنت بالنبي انه حق (وصدقته) أى صدقته بما قال أو صدقت بما في القرآن فوجدت فيه فاعلم أنه لاله الا الله وذلكم الله ربكم خالق كل شئ وغير ذلك من الآيات الدالة على أن ربى ورب المخلوقات واحد وهو الله تعالى وفيه أيضاً ان الدين عند الله الاسلام ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه فعلمت انه لادين مرضيا عنده غير الاسلام وفيه أيضاً يهدا رسول الله وقيل يأتيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً وغير ذلك كذا قاله ابن الملك وقال الطيبي قرأت كتاب الله ورأيت فيه من الفصاحة والبلاغة ففرحت أنه

فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية قال فينادى مناد من السماء ان صدق عبيد فافرشوه من الجنة و البسوه من الجنة وانتحوا له بابا الى الجنة فيفتح قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفتح له فيها مدبصره و أما الكافر فذكر موته قال و يعاد روحه في جسده و يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه

معجز فآمنت به أو تفكرت فيما فيه من البعث على مكارم الاخلاق وقواضل الاعمال ومن ذكر القيوب و اخبار الاسم السالفة من غير أن يسمع من أحد فعرفت أنه من عند الله فآمنت به (فذلك) أى مصداق هذا (قوله) أى جريان لسانه بالجواب المذكور هو التثبيت الذى تضمنه قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (فينادى مناد) أى للملكين (من السماء) أى من جهتها (أن صدق عبيد) أن مفسرة للنداء لانه فى معنى القول وجوز أن تكون مصدرية مجرورا بتقدير اللام وهو غير صحيح معنى الا أن يتعلق بقوله (فأفرشوه) والمعنى صدق عبيد فيما يقول فانه كان فى الدنيا على هذا الاعتقاد فهو مستحق للاكرام ولذا سماه عبدا وأضاهه الى نفسه تشريفا فأفرشوه بهمة القطع (من الجنة) و الفاء فيه جواب شرط مقدر أى اذا صدق عبيد فاجعلوا له فرشامن فرش الجنة فيكون أفرش بمعنى فرش كذا قيل وقال الطيبى ليس فى المصادر الاقراش بهذا المعنى انما هو أفرش أى أقلع عنه فهذا اللفظ بهذا المعنى من باب القياس بالعاق الا فى الثلاثى فلو كان من الثلاثى لكان حقه الوصل ولم يجز الرواية الا بالقطع اه لكن قال فى القاموس أفرش عنه أتمعه و أفرشه أعطاه فرشاً من الابل أى صغاراً و أفرش فلانا بساطاً بسطه له كفرشه فرشاً و فرشته فرشاً و قال السيد جمال الدين أصله أفرشوا له فحذف لام الجر و وصل الضمير بالفعل اتساعاً و قيل معناه أعطوه فرشاً منها و قيل معناه اجعلوه ذافرش من الجنة وقال ابن حجر يفتى عن سماعه صحة الرواية اه و كله تكلف مستغنى عنه بما ذكر فى القاموس (و البسوه) يقطع الهمة أى اكسوه أو أعطوه لباساً (من الجنة) أى من حلقها (و انتحوا له باباً الى الجنة) أى حقيقة أو مكشوفة كذا فى الأزهار و الاظهر هو الاول لما يأتى (فيفتح) و فى نسخة و يفسح أى له كما فى نسخة (قال) صلى الله عليه وسلم (فيأتيه) أى المؤمن (من روحها) أى بعض روحها و الروح بالفتح الراحة و نسيم الريح (و طيبها) أى بعض تلك الرائحة و الطيب أى شئ منها ولم يؤت بهذا التعبير الا ليفيد أنه مما لا يقدر قدره ولا يوصف كنهه و كل طيب روح ولا عكس و قيل من زائدة على مذهب الاخفش (و يفسح) و فى نسخة يفتح و هو غير ملائم لمدا البصر (له فيها) أى فى تربته و هى قبره و يدل عليه مقابله الآتى و يضيق عليه قبره و قال ابن الملك أى فى الجنة و هو بعيد و قال ابن حجر أى فى رؤيته و هو لا يخلو عن تكلف (مدبصره) المعنى أنه يرفع عنه الحجاب فىرى ما يمكنه أن يراه قيل نصب مد على الظرف أى مداء و هى الغاية التى ينتهى اليها البصر و الاصوب أن نصبه على المصدر أى فسحا قدر مد بصره و قيل فى التوفيق بين هذا و بين قوله سبعون ذراعاً فى سبعين ان هذه الفسحة عبارة عما يعرض عليه من الجنة و تلك عن توسع مرقده عليه أو كلاهما كناية عن التوسعة من غير تحديد و يحتمل أن يكون بحسب اختلاف أحوال الاشخاص فى الاعمال و الدرجات و قال ابن حجر مدبصره بالفتح فى نسخة معتمدة فله نائب الفاعل و برقمه فى نسخ ويؤيده سبعون ذراعاً السابق (و أما الكافر فذكر) أى صلى الله عليه وسلم كما فى نسخة (موته) أى حال موت الكافر و شدته (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (و يعاد) بالتذكير و قيل بالتأنيث (روحه) أى بعد الدفن (فى جسده) أى بعضه أو كله (و يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان) أى له (من ربك

لا أدري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوه من النار والبسوه من النار وانتحواله بابا الى النار قال فيأتيه من حرها وسموها قال ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه ثم يقبض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد لوضرب بها جبل لصار ترابا فيضرب به بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح

فيقول هاه هاه) يسكون الهاء فيهما بعد الالف كلمة يقولها المتحير الذي لا يقدر من حيرته للخوف أو لعدم الفصاحة أن يستعمل لسانه في فيه (لا أدري) هذا كانه بيان و تفسير لقوله هاه هاه فالمعنى لا أدري شيئا أولا أدري ما أجيب به (فيقولان له) أى للكافر (ما دينك) من الاديان (فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان) أى له (ما هذا الرجل الذي بعث فيكم) يعنى ما تقول في حقه أنبى أم لا (فيقول هاه هاه لا أدري) قال تعالى فمن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى (فينادي مناد من السماء أن كذب) أن مفسرة للنداء أيضا أى كذب هذا الكافر في قوله لا أدري لأن دين الله تعالى و نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان ظاهرا في مشارق الارض ومغربها بل جحد نبوته بالقول أو بالاعتقاد بناء على أن كفره جهل أو عناد (فافرشوه من النار والبسوه من النار) قال تعالى سرايلهم من قطران (و انتحو له بابا الى النار قال) صلى الله عليه وسلم (فيأتيه) أى الكافر (من حرها) أى حر النار وهو تأثيرها (وسموها) وهى الريح الحارة (قال ويضيق) بتشديد الباء المفتوحة (عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه ثم يقبض) أى يسلط ويوكل ويقدر (له) فيستولى عليه استيلاء التقيض على البيض وأصله من التقيض وهو القشر الأعلى من البيض (أعمى) أى زبانية لاسين له كيلا يرحم عليه وهو يحتمل أن لا يكون له عين لاجله أو كناية عن عدم نظره اليه (أصم) أى لا يسمع صوت بكائه واستغاثته فيرقله (معه مرزبة من حديد) المسموع في الحديث تشديد الباء وأهل اللغة يخففونها وهى التى يندق بها المدر ويكسر قال ابن حجر المرزبة بفتح الموحدة المشددة عند المحدثين واعترضوا بان الصواب تخفيفها اه ولعل وجهه أن مفعلة بتشديد اللام لا يعرف في انواع الميزان الصرفى وقال الطيبى أما المرزبة فالمحدثون يشددون الباء والصواب تخفيفه وانما تشدد الباء اذا أبدلت الهمزة من الميم وهى الازرزية وأنشد الفراء * ضربك بالمرزبة العود النخر * اه أقول أخطأ الطيبى رحمه الله فى تحمطه المحدثين وتصويب اللغويين إذ نقل الاولين من طرق العدول على وجه الرواية ونقل الآخرين من سبيل الفضول على جهة الحكاية واما استشهاده بانشاد الفراء فضعيف إذ يحتمل تخفيفه ضرورة أول لغة أخرى وقد ذكرهما صاحب القاموس روح الله أهدأ قتال الازرزية والمرزبة مشددتان أو الأولى قط عصبية من حديد اه فظهر أن التشديد فيها لغة مشهورة عند أكثر أهل اللغة فلو وافق بعض اللغويين جميع المحدثين لاشك ولا ريب أنه هو الصواب فكيف بالاكتر مع أنه عند التعارض أيضا يرجح جانب المحدثين لما تقدم وأغرب من هذا طعن بعض علماء العربية فى القراءات المتواترة حيث لم تكن على وفق مسموعهم وهو كفر ظاهر والله ولى دينه وحافظ كتابه وقادر على ثوابه وعقابه (لو ضرب بها) أى بالمرزبة (جبل لصار ترابا) أى اندق أجزاءه كالتراب (فيضربه بها) وفى نسخة بها ساقط (ضربة يسمعها) أى صوتها وحسها (ما بين المشرق والمغرب) الظاهر أن ما بمعنى من (الا الثقلين) أى الجن والانس وهل الاموات منهما مستثنى أم الله أعلم بهما فظاهر الاطلاق يؤيد الاول والمعلة التى ذكروها يؤيد الثانى (فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح) كمر اعادة الروح فى الكافر بيانا لشددة العذاب ولانه كان ينكر الاعادة فيقال له ذق هذا جزء ما كنت تتكبره ولا يبعد أن يتمسك به من يقول ان

رواه أحمد و أبو داود و عن عثمان انه كان اذا وقف على قبر بكي حتى يبل لحيته فقبل له تذكّر الجنة و النار فلا تبكي و تبكي من هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القبر أول منزل من منازل الآخرة فان نجما منه فمابعده أيسر منه و ان لم ينجم منه فمابعده أشد منه قال و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرا قط الا و القبر أظف من

في القبر امانتين و احياءتين في تفسير قوله تعالى ربنا أمتنا الثنتين و احييتنا اثنتين على أن المراد بالثنتية التكرير و التثنية نحو قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين و قولهم ليبيك و سعديك و يحتمل أن يراد به حقيقة التثنية و هو ظاهر الحديث و هذا معنى قول ابن حجر و معلوم استمرار العذاب عليه في قبره فيحتمل انها اذا أعيدت تضرب أخرى فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح و هكذا و يحتمل أن تلك الاعادة لا تتكرر و ان عذابه يكون بغير ذلك و هو ظاهر الحديث و قال ابن الملك يعني لا ينقطع عنهم العذاب بموتهم بل تعاد فيهم الروح بعد موتهم ليزدادوا غذايا و يمكن و الله أعلم أن تكون اعادة الروح كناية عن رجوعهم الى حالتهم الاولى ولا يلزم من صيرورتهم ترابا خروج الروح منهم لان أسور الآخرة سبئية على خرق العادة (رواه أحمد و أبو داود و عن عثمان) رضى الله عنه (انه كان) أى دائما أو غالبا (اذا وقف على قبر) أى على رأس قبر أو عنده (بكي حتى يبل) بضم الموحدة أى بكؤه يعني دموعه (لحيته) أى يجملها مبلولة من الدموع (فقبل له تذكّر الجنة و النار فلا تبكي) أى من خوف النار و اشتياق الجنة يعني لا تبكي منهما دائما (و تبكي من هذا) أى من القبر يعني من أجل خوفه * قيل انما كان يبكي عثمان و ان كان من جملة الشهداء لهم بالجنة اما لاحتمال أن شهادته عليه الصلاة والسلام بذلك كانت في غيبته ولم تصل اليه أو وصلت اليه أحادا فلم يفد اليقين أو كان يبكي ليعلم أنه اذا كان يخاف مع عظم شأنه و شهادة النبي صلى الله عليه وسلم له بالجنة فغيره أولى بان يخاف من ذلك و يهتز منه قاله ابن الملك و الأظهر في الجواب و الله أعلم بالصواب أنه لا يلزم من التبشير بالجنة عدم عذاب القبر بل ولا عدم عذاب النار مطلقا مع احتمال أن يكون التبشير مقيدا بقدر معلوم أو مبهم و يمكن أن ينسى البشارة حينئذ لشدة الفظاعة أو بكؤه لفقد النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه أو لابتلائه بزمن الجور و أربابه و يمكن أن يكون خوفا من ضغطة القبر كما سيأتى في حديث سعد الدال على انه لم يخلص منه كل سعيد الا الانبياء و يمكن أن يكون بكؤه رحمة للمؤمنين (فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القبر أول منزل من منازل الآخرة) و منها عرصة القيامة عند العرض و منها الوقوف عند الميزان و منها العرور على الصراط و منها الجنة أو النار و في بعض الروايات و آخر منزل من منازل الدنيا ولذا يسمى البرزخ (فان نجما) أى خاص المقيور (منه) أى من عذاب القبر (فمابعده) أى من المنازل (أيسر منه) و أسهل لانه لو كان عليه ذنب لسفر بعذاب القبر (و ان لم ينجم منه) أى لم يتخلص من عذاب القبر و لم يكفر ذنوبه به و بقي عليه شئ مما يستحق العذاب به (فما بعده أشد منه) لان النار أشد العذاب و التبر حفرة من حفر النيران و قال ابن حجر فما بعده أيسر لتحقق ايمانه المنقذ له من اليم العذاب و ما بعده أشد لتحقق كفره الموجب لتوالي الشدائد المتزايدة عليه و فيه بحث ظاهر (قال) أى عثمان (و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرا) يفتح الميم و الضاء أى موضعا ينظر اليه و عبر عن الموضع بالمنظر مبالغة لانه اذا نفي الشئ مع لازمه ينتفى بالطريق البرهاني (قط) بفتح القاف و تشديد المضمومة أى أبدا و هو لا يستعمل الاق الماضى (الا و القبر أظف منه) من فظع بالضم أى صار متكررا معنى أشد و أنزع و أنكر من ذلك النظر قبل

رواه الترمذى و ابن ماجه و قال الترمذى هذا حديث غريب و عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لآخيكم ثم سلوا له بالثبیت فانه الآن يسئل رواه أبو داود و عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلط على الكافر في قبره تسعة و تسعون تيننا

المستثنى جملة حالية من منظر و هو موصوف حدثت صفته أى ما رأيت منظرا فظيعا على حالة من أحوال الفظاعة قط الا فى حالة كون القبر أفتح منه فالاستثناء مفرغ و انما كان أفتح لانه مقدمة العقاب و نهاية التعلق بالمال و الولد و الاصحاب و غاية الرجوع الى موضع الذل و الظلمة و الدهشة و الحيرة و الوحشة و الغربة و الدود و التراب و مطالعة ملائكة العذاب و مشاهدة الحساب و مراقبة الحجاب حيث لا ينفعه الا رب الارباب (رواه الترمذى و ابن ماجه و قال الترمذى هذا حديث غريب و عنه) أى عن عثمان (قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ) معلوم و قيل مجهول (من دفن الميت) المراد منه الجنس و هو قريب من النكرة (وقف عليه) أى على رأس القبر (فقال) أى لاصحابه (استغفروا لآخيكم) أى اطلبوا المغفرة لذنوب آخيكم المؤمن و ذكر الاخ للعطف عليه و استنكار الدعاء له و فيه دليل على ان دعاء الاحياء ينفع الاموات خلافا للمعتزلة (ثم سلوا له بالثبیت) ضمن السؤال معنى الدعاء ولذا عدى بالياء كقولته تعالى سأل سائل بعذاب أى ادعوا له بدعاء الثبیت يعنى قولوا ثبته الله بالقول الثابت أو اللهم ثبته بالقول الثابت و هو كلمة الشهادة عند منكر و تكبير و هذا أفضل من التلقين المختلف فيه و لكن أكثر الناس عنه غافلون (فانه الآن يسئل) قال الخطابي و ليس فيه دلالة على التلقين عند الدفن كما هو العادة و لا يجد فيه حديثا مشهورا و لا بأس به اذ ليس فيه الا ذكر الله تعالى و عرض الاعتقاد على الميت و العاضرين و الدعاء له و للمسلمين و الارغام لمنكرى الحشر و كل ذلك حسن و أورد الغزالي فى الاحياء و الطبراني فى كتاب الادعية حديثا فى تلقين الميت عند الدفن ولم يصححه بعض المحدثين و أما قوله عليه الصلاة والسلام لقنوا موتاكم قول لاله الا لله فالمراد عند الموت لا عند دفن الميت و قال ابن حجر و فيه إيماء الى تلقين الميت بعد تمام دفنه و كيفيته مشهورة و هو سنة على المعتمد من مذهبنا خلافا لمن زعم انه بدعة كيف و فيه حديث صريح يعمل به فى الفضائل اتفاقا بل اعتضد بشواهد يرتقى بها الى درجة الحسن و ذكر فى الاذكار عن الشافعى و أصحابه انه يستحب أن يقرأ عنده شئ من القرآن قالوا و ان ختموا القرآن كله كان حسنا و فى سنن البيهقى ان ابن عمر استحج أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة و خاتمتها قاله الطيبى و فى رواية يقرأ أول البقرة عند رأس الميت و خاتمتها عند رجله (رواه أبو داود) و قال ميرك شاه باسناد حسن (و عن أبي سعيد) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلط) بفتح اللامين و تشديد الثانية (على الكافر فى قبره) أى و الله ليجعل موكلا عليه للتعذيب و الاذى (تسعة و تسعون تيننا) بكسر التاء و النون المشددة و هى حبة عظيمة كثيرة السم و وجه تخصيص العدد لا يعلم الا بالوحي و يحتمل أن يقال ان لله تعالى تسعة و تسعين اسما فالكافر أشرك بمن له هذه الاسماء فسلط عليه بعدد كل اسم تيننا أو يقال قد روى ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها واحدة فى الدنيا بين الانس و الجن و البهائم و الهوام فيها يتعاطفون و بها يتراحمون و بها تعطف الوحش على و لدها و أخر تسعة و تسعين الى الآخرة لعباده المؤمنين فيسلط على الكافر بمقابلة كل رحمة للمؤمنين تيننا كذا قاله ابن الملك و قال حجة الاسلام عدد التين بعدد الاخلاق الذميمة التى فيه فانها تنقلب فى الآخرة الى الحياة لان الدنيا عالم الصورة و الآخرة عالم المعنى قال الطيبى و ان أول التينيات بما ينزل بالشخص من التبعات

تنهسه و تلدغه حتى تقوم الساعة لو أن تنينا منها نفخ في الارض ما أثبتت خضراء رواه الدارمی وروى الترمذی نحوه و قال سبعون بدل تسعة و تسعون
 * (الفصل الثالث) * عن جابر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ حين توفى فلما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم و وضع في قبره وسوى عليه سيج رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبحنا طويلا ثم كبر فكبرنا

و المكروهات ففيه من طريق العربية مساع و لكن الاخذ بالظواهر أولى باولى الالباب و أما استحالة ذلك بطريق العقول فانها سبيل من لاخلق له في الدين عصمنا الله تعالى من عثرة العقل و فتنة الصدر (تنهسه) بالتأنيث و قيل بالتذكير و هو بالمهملة و روى بالمعجمة في النهاية النهس أخذ اللحم باطراف الاسنان و النهش الاخذ بجمعها و في القاموس نهس اللحم كمنع و سمع أخذه بمقدم أسنانه و تنفه و نهشه كمنعه نهسه و لسعه و عضه أو أخذه باضراسه و بالسین أخذه باطراف الاسنان (و تلدغه) بفتح الدال المهملة قيل نهس و لدغ بمعنى واحد جمع بينهما تأكيدا أو لبيان أنواع العذاب و قيل النهس القطع بالسِّن من غير ارسال السم فيه و اللدغ ضرب السن بلا قطع لكن مع ارسال السم فيه كذا ذكره الابهرى (حتى تقوم الساعة لو أن تنينا منها نفخ) بالمعجمة و قيل بالمهملة (في الارض) أى لو وصل ریح فمه و حرارته اليها (ما أثبتت) أى الارض (خضراء) بفتح الخاء و كسر الصاد أى نباتا أخضر و روى بسكون الضاد ممدودا على فعلاء كحمراء و المراد بها الأخضر كذا قيل و الاظهر أن يكون التقدير حبة خضراء (رواه الدارمی) أى بهذا اللفظ (وروى الترمذی نحوه) أى بالمعنى (و قال سبعون بدل) بالنصب ظرف (تسعة و تسعون) بالرفع على الحكاية قال العيني هذه الرواية الاخيرة ضعيفة على ما في الازهار قال ابن حجر و بتقدير و رودهما يجمع بأن الاول للمبتوعين من الكفار و الثاني للتابعين أو بان سبعين يعبر بها في لسان العرب عن العدد الكثير جدا فيعنيئذ هي لاتتاقى الاولى لانها مجملة و تلك مبينة لها قلت و يحتمل أن يكون باختلاف احوالهم فان الامام الغزالي رحمه الله صرح بان عذاب الكافر الفقير في النار أعون من عذاب الكافر الغني

* (الفصل الثالث) * (عن جابر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ) أى جنازته و هو سيد الاوس من الانصار أسلم بالمدينة بين العتبة الاولى و الثانية و أسلم باسلامه بنو عيدا الاشهل و دارهم أول دار أسلمت من الانصار و سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانصار و كان مقدما مطاعا شريفا في قومه من أجلة الصحابة و أكابره شهد بدرًا و أهدا و ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ و روى يوم الخندق في اكحله فلم يرقأ الدم حتى مات بعد شهر و ذلك في ذى القعدة الحرام سنة خمس و هو ابن سبع و ثلاثين سنة و دفن بالقيع روى عنه نفر من الصحابة (حين توفى) بضم تين و حكي بفتحها و هو قراءة شاذة أى مات (فلما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم و وضع في قبره و سوى عليه) أى التراب و دفن و الفعلان مجهولان (سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم) و لعل التسييح كان للتعجب أو للتزويه لارادة تزويه تعالى ان يظلم أحدا ثم رأيت ابن حجر قال و مناسبة تسييحه لمشاهدة التضيق على هذا العبد الصالح ظاهرة اذ بشهود ذلك يستحضر الانسان مقام جلال الله و عظمته و انه يفعل ما يشاء بمن يشاء و هذا المقام يناسبه التزويه لانه مقام العزة الكبرى المقضية لذلك التزوه فناسل (فسبحنا) أى تعالاه (طويلا) قيد للفعليين أى زمانا طويلا أو تسييحا طويلا يعنى كثيرا (ثم كبر) و لعل التكبير كان بعد التفريغ (فكبرنا) أى عقب تكبيره اقتداء به قال ابن حجر و لم يقل طويلا اما للاكتفاء بذكره

فقيل يارسلو الله لم سبحت ثم كبرت قال لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه رواه أحمد و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الذي تحرك له العرش و فتحت له أبواب السماء و شهدته سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه رواه النسائي و عن أسماء بنت أبي بكر قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء

أولا أولانه هنا لم يطول لانه العما كبر عند وقوع التفرج عن سعد و هذا هو الظاهر لان التكبير يغلب ذكره عند مشاهدة الامر الباهر (فقيل يارسلو الله لم سبحت ثم كبرت) اى مع أن المقام لا يستدعى ذلك (قال لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره) هذا اشارة الى كمال تمييزه و رفع منزلته ثم وصفه بالعبد و نعتة بالصلاح لمزيد التخويف و الحث على الالتجاء الى الله سبحانه من هذا المنزل الفظيع اى اذا كان حاله كذا فما حال غيره (حتى فرجه الله) بالتشديد و يخفف اى ما زلت واقفا للتسبيح حتى فرجه الله اى كشفه و أزاله (عنه) قال الطيبي و حتى متعلقة بمعذوف اى ما زلت أكبر و تكبرون و أصبح و تسبحون حتى فرجه الله اه و الانسب تقديم التسبيح و التكبير على هذا لاطفاء الغضب الالهى و لهذا ورد استجاب التكبير عند رؤية التحريق و الله أعلم (رواه أحمد و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا) اشارة الى سعد المذكور و هو للتعظيم كما فى الحديث الاول (الذى تحرك) و فى رواية اهتز (له العرش) فى النهاية أصل الهز الحركة و اهتز اذا تحرك و استعمله فى معنى الارتياح اى ارتاح يصعده و استبشر لكرامته على ربه و كل من خف لامر و ارتاح فقد اهتز قال ابن حجر لان العرش و ان كان جمادا فغير بعيد أن الله يجعل فيه ادراكا يميز به بين الارواح و كمالاتها و هذا أمر ممكن ذكره الشارع بيانا لمزيد فضل سعد و ترهيبا للناس من ضغطة القبر فتعين الحمل على ظاهره حتى يرد ما يصرفه عنه و قيل أراد فرج أهل العرش بموته لصعود روحه و أقام العرش مقام من حمله أو على تقدير مضاف و قال السيوطى فى مختصر النهاية اهتز العرش لموت سعد و هو سرير الميت و اهتزازه فرجه لحمل سعد عليه الى مدفنه (و فتحت) بالتخفيف و قيل بالتشديد للتكثير (له أبواب السماء) لانزال الرحمة و نزول الملائكة أو تزينا لقدمه و طلوع روحه لان محل ارواح المؤمنين الجنة و هى فوق السماء السابعة أو عرضا للابواب بان يدخل من اى باب شاء لعظم كماله كفتح أبواب الجنة الثانية لبعض المؤمنين (و شهدته) أى حضر جنازته (سبعون ألفا من الملائكة) أى تعظيما له (لقد) جواب قسم مقدر (ضم) بالضم أى عصر سعد فى قبره (ضمة) أى واحدة و التنوين يحتمل التفعيم و التقليل و الاول أظهر لتطويل تسبيح رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم فرج عنه) أى فرج الله عنه ببركة نبيه عليه الصلاة والسلام (رواه النسائي و عن أسماء) غير منصرف بالعلمية و التأنيث المعنوى و قيل أصله و سماء فهو فعلاء (بتت أبى بكر) رضى الله عنهما أم عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما و تسمى ذات النطاقين لانها شقت نطاقها ليلة خرج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا فجعلت واحدا شدادا لسفرته و الآخر عصاما لقبته و قيل جعلت النصف الثانى نطاقا لها أسلمت بمكة قديما قيل أسلمت بعد سبعة عشر انسانا و هى أكبر من أختها عائشة بعشر سنين و ماتت بعد قتل ابنها بعشرة أيام و قيل بعشرين يوما بعد ما أنزل ابنها من العشبة و لها مائة سنة و لم يقع لها سن و لم يتكر من عقلها شئ و ذلك سنة ثلاث و سبعين بمكة و روى عنها خلق كثير (قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا) حال اى واعظا (فذكر فتنة القبر) أى و عذابه أو ابتلاءه و الاستحسان فيه (التي يفتن) بصيغة المفعول أى بيتلى (فيها المرء) صفة لفتنة يعنى ذكر الفتنة بتفاصيلها كما يجرى على

فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة رواه البخارى هكذا و زاد النسائي حالت بينى وبين أن أفهم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سكنت ضجتهم قلت لرجل قريب منى أى بارك الله فيك ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر قوله قال قال قد أوحى الى انكم تفتنون فى القبور قريبا من فتنة الدجال وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا ادخل الميت القبر مثلت له الشمس عند غروبها فيجلس يمسح عينيه ويقول دعونى أصلى

المرة فى قبره ومن ثم (فلما ذكر ذلك) أى ما ذكر أو الفتنة بمعنى الافتتان (ضج المسلمون) أى صاحوا وجزعوا (ضجة) التنوين للتعظيم (رواه البخارى هكذا) أى من غير زيادة (و زاد النسائي) أى بعد ضجة (حالت) صفة ضجة (بينى وبين أن أفهم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى بعد هذا (فلما سكنت ضجتهم) أى صيحتهم و ارتفاع صوتهم (قلت لرجل قريب منى) أى مكانا أو نسا (وهو الانسب بالنسبة الى المرأة (أى) المنادى محذوف أى فلان (بارك الله فيك) أو زادك الله علما وحلما وهذا من جملة آداب المتعلم (ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر قوله) أى بعد الصياح (قال) أى الرجل (قال) عليه الصلاة والسلام (قد أوحى الى) أى وحيا جليا أو خفيا (انكم) أيها الامة (تفتنون) بصيغة المجهول أى تمتحنون (فى القبور قريبا) أى افتنانا قريبا (من فتنة الدجال) وقال الطيبى أى فتنة قريبة و ذكر كما فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين أى فتنة عظيمة اذ ليس فيها أى فى الفن اعظم من فتنة الدجال (و عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا ادخل الميت القبر) بالنصب على الظرفية (مثلت له الشمس) أى صورت وخيلت (عند غروبها) حال من الشمس أى حال كونها قريبة الغروب و قال ابن حجر حال كونها غاربة لا ظرف لمثلت لاتضائه أن التمثيل لا يكون الا ذلك الوقت و ليس كذلك لما يستقر أنه عند نزول الملكين أو بعد السؤال و الجواب وهذا لا يقيد بذلك الوقت بل هو عام فى سائر أجزاء الليل و النهار فتعين أن التمثيل بها حالة كونها غاربة عام فى سائر الأزمنة أيضا و ذلك لا يكون الا حق المؤمن و لعل ذلك عند نزول الملكين اشارة الى مسارعتة الى الخيرات و ايماء الى قولهم كما تعيشون تموتون و كما تموتون تحشرون و يمكن أن يكون هذا بعد السؤال و الجواب تنبيها على رفاهيته و قياما بشكر نعمته هذا حاصل كلام الطيبى و الاول هو الظاهر لقوله (فيجلس) و هو معلوم و قيل مجهول (يمسح) أى حال كونه ماسحا (عينيه) على هيئة المستيقظ لان النوم أخو الموت و ورد الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا (و يقول دعونى) أى اتركوها كلامى و السؤال منى (أصلى) أى أنا أريد أن أصلى خوف الفوت قبل الموت كأنه يظن انه بعد فى الدنيا و يؤدى ما عليه من الفرض و يشغله من قيامه بعض الاصحاب و ذلك من رسوخه فى أدائه و مداومته عليه فى الدنيا و أما تخصيص ذكر الغروب فإنه يناسب الغريب فانه أول منزل ينزله عند الغروب قاله الطيبى و قال ابن حجر لان الغالب ان ابتداء السفر يكون أول النهار فآخر أول مرحلة يكون عند الغروب و يمكن ان يقال أن وجهه الاشارة الى تأكد صلاة العصر وانها الوسطى فمثل له آخر وقتها ليطلب صلاحها اعلاما بمزيد فضلها و تأكدها أو الى الاحتراس عن أحوال المناقبتين فانهم يجلسون يراقبون الغروب حتى اذا دنت الشمس اليه تقروا أربع ركعات لا يذكرون الله فيها الا قليلا كما فى الحديث فبادر الميت اذ زال مانعه و مثل له هذا الوقت الى الصلاة ليسلم من وصيتهم اه و الاظهر ان الغروب اشارة الى ارتحاله من الدنيا و زواله و غروبه عنها فان القبر آخر منزل من منازل الدنيا و البرزخ مشبه بالليل الفاصل بين اليوم السابق و اليوم

رواه ابن ماجه . و عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يصير الى القبر فيجلس الرجل في قبره غير فزع و لا مشغوب ثم يقال فيم كنت في الاسلام فيقال ما هذا الرجل فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له هل رأيت الله فيقول ما ينبغي لاحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار فينظر اليه يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر الى ما وراقك الله ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر الى زهرتها و ما فيها

الآخر اللاحق وقد يقال ان ذلك التمثيل يناسب ظلمة القبر و ظهور نور المؤمن الكامل المؤدى للصلاة في أوقاتها و الله سبحانه و تعالى أعلم (رواه ابن ماجه و عن أبي هريرة) رضى الله عنه (عن النبي) و في نسخة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم قال ان الميت) اللام للجنس (يصير الى القبر) و كل ما استقر فيه بعد الموت فهو قبره (فيجلس) قيل مجهول (الرجل) أى الصالح كما في نسخة (في قبره غير فزع) بكسر الزاى و نصب غير على الحالية و قوله (و لا مشغوب) تأكيد من الشغب و هو تهيج الشر و الفتنة قال ابن حجر فزع صفة مشبهة يدل على المبالغة كذا قيل و فيه نظر لابهامه هنا اذ سلب ما هو كذلك لا يدل على سلب أصل الفعل كما قالوه في و ما ربك بظلام للعبيد فتعين أن المراد غير ذى فزع كما أن تقدير الآية بذى ظلم أقول تقدير الآية مسلم و أما الحديث فلا يحتاج الى تأويل فان بقاء أصل الفزع غير منفي كما يدل عليه الاحاديث بل النفي منسب على شدة الفزع و لا دلالة في قوله و لا مشغوب على ما ذكره في مدعاه (ثم يقال) أى له كما في نسخة (فيم كنت) أى في أى دين عشت (فيقول كنت في الاسلام) هذا يدل على غاية تمسكه من الاسلام خلاف المناق لان الجواب الظاهر أن يقول في الاسلام (فيقال) أى له (ما هذا الرجل) ما استفهام مبتدأ وهذا الرجل خبره أى ما وصفه و نعته أو ما اعتقاده فيه (فيقول محمد) أى صاحب هذا الاسم المفخّم المشتهر الذى لا يخفى على أحد ثم وصفه بقوله (رسول الله) و هو يحتمل ان يكون خبرا لمبتدأ محذوف أو خبرا بعد خبر و الاظهر أنه خبر لمحمد و الجملة مقول و هو متضمن للجواب عن وصفه و قوله (جاءنا بالبينات) أى الايات الظاهرات أو المعجزات الباهرات جملة استثنائية مبنية للجملة الاولى و يحتمل أن يكون رسول الله صفة و جاءنا خبرا و الاول أوجه (من عند الله) متعلق بجاء أو صفة أو حال (فصدقناه) أى بجمع ماجاه من عند الله (فيقال له هل رأيت الله) قيل نشأ هذا السؤال من قوله من عند الله أى كيف تقول من عند الله فهل رأيت الله في الدنيا (فيقول ما ينبغي) أى لا يصح (لاحد) جواب بالاعم فانه للمقصود أتم (أن يرى الله) أى يبصره بصره (في الدنيا) أو يحيط بكنهه مطلقا (يفرج له) بالتشديد و قيل بالتخفيف و كلاهما على بناء المفعول أى يكشف و يفتح له (فرجة) بضم الفاء و قيل بفتحها و هو مرفوع على نيابة الفاعل و في بعض النسخ بالنصب على تقدير أعنى (قبل النار) بكسر الناف و فتح الباء أى جهتها منصوب على الظرف أى يرفع الحجب بينه و بينها حتى يراها (فينظر) أى المؤمن (اليه) ذكر ضمير النار بتأويل العذاب و أنت في قوله (يحطم بعضها بعضا) نظرا الى اللفظ و الحطم الحسب في الموضع المتضابق الذى يتحطم فيه الخيل أى يدوس بعضها بعضا و المعنى يكسر و يغلب و يأكل بعضها بعضا لشدة تلهبها و كثرة وقودها (فيقال له انظر الى ما وراقك الله) أى حفظك بحفظه تعالى اياك من الكفر و المعاصي التى تجر الى النار (ثم يفرج له فرجة قبل الجنة) و في تقدير فرجة النار لان المسرة بعد المضرة أنفع و في النفس أوقع و اشارة الى فضله بعد ظهور عدله (فينظر الى زهرتها) بفتح الزاى أى حسنها و بهجتها (و ما فيها) من الحور

فيقال له هذا مقعدك على اليقين كنت و عليه مت و عليه تبعث ان شاء الله تعالى و يجلس الرجل السوء في قبره فرعا مشغوبا فيقال له قيم كنت فيقول لا أدري فيقال له ما هذا الرجل فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت له فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر الى زهرتها و ما فيها فيقال له انظر الى ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجة الى النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا فيقال له هذا مقعدك على الشك كنت و عليه مت و عليه تبعث ان شاء الله تعالى رواه ابن ماجه * (باب الاعتصام بالكتاب و السنة) *

و القصور و غيرها من الخير الكثير و الملك الكبير (فيقال له هذا مقعدك) أي في العقبى (على اليقين) حال و العامل ما في حرف التنبيه من معنى الفعل المتضمن لصاحب الحال و التعريف في اليقين للجنس و قوله (كنت) صفة له و على هذا ينزل قوله على الشك و التقدير أنه هك حال كونك ثابتا أو مشتبا على يقينك و يمكن أن يقال على اللوجوب في الموضوعين أي هذا مقعدك حال كونه واجبا على الله تعالى و عدا أو وعيدا على اليقين أو الشك كذا حقه الطيبي و فيه تكلف بل تعسف و الظاهر أن قوله على اليقين كنت جملة مستأنفة متضمنة للتعليل أي هذا مقعدك لانك كنت في الدنيا على اليقين في أسرار الدين و تقديم الخير للاهتمام و الاختصاص التام ثم رأيت ابن حجر قدم قولي على قول الطيبي و يدل أيضا على انفصال قوله على اليقين عما قبله قوله (و عليه مت) يضم الميم و كسرهما (و عليه تبعث) يعني كما تعيش تموت و كما تموت تحشر (ان شاء الله تعالى) للتبرك أو للتحقيق كقوله تعالى ان شاء الله آمين (و يجلس الرجل) بالوجهين كما تقدم (السوء) بفتح السين و تضم ضد الصالح (في قبره فرعا) أي خائفا غاية الفزع (مشغوبا) أي مرعوبا (فيقال له) أي للرجل السوء (فيهم كنت) أي من أسرار الدين (فيقول لا أدري) ما الدين أو للهية نسي دينه و قال ابن حجر أي ما الذي كنت فيه و هو كذب منه و تمويه عن أن يجيب بالجواب المطابق و هو أنه كان في الكفر أو النفاق اه و قد تقدم أن هذا كلام الرجل المدهوش المتحير الذي لا يدرى الجواب المطلق مطابقا أو غير مطابق صوابا أو غير صواب (فيقال له ما هذا الرجل) أي الذي رأيته أو سمعته (فيقول سمعت الناس) أي المؤمنين أو الكفار أو أعم منهما (يقولون) أي في حقه (قولا) بالحق أو بالباطل على زعمه (فقلته) أي تقليدا لا تحقيا و اعتقادا (يفرج له) أي فرجة كما في نسخة (قبل الجنة) قبل النار لان المحنة بعد النعمة أقوى و أشد (فينظر الى زهرتها و ما فيها) كما كان ينظر في الدنيا الى الآيات الالهية من الانفسية و الاقضية من غير أن ينتفع بها (فيقال له انظر الى ما صرف الله عنك) حيث خذلك و لم يهدك و لم يوفقك الى ما يجرك الى الجنة اخترت من الاعمال و الاوزار ما يقضي الى النار و لهذا (ثم يفرج) أي له كما في نسخة صحيحة (فرجة الى النار فينظر اليها) هنا بتأنيث الضمير (يحطم) يكسر الطاء (بعضها بعضا) اشارة الى عظمة النار (فيقال له هذا مقعدك) أي مكانك اللازم و محللك الدائم (على الشك كنت و عليه مت و عليه تبعث ان شاء الله تعالى) و الكل بقضائه و بقدره و بهذا تحصل المناسبة بين هذا الباب و ما قبله (رواه ابن ماجه)

* (باب الاعتصام بالكتاب و السنة) *

العصمة المنع و العاصم المانع الحامى و الاعتصام الاستمسك بالشئ افتعال منه قال تعالى و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تمسكوا بالرقآن و السنة على سبيل الاستعارة كذا قيل و المشهور أن المراد بحبل الله هو القرآن كما ورد في بعض الاحاديث و الاعتصام به مستلزم للاعتصام بالسنة لقوله تعالى و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و المراد بالسنة هنا أقواله و أعماله و أحواله المعبر عنها

* (الفصل الاول) * عن عائشة رضی اللہ عنہا قالت قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم من أحدث فی أمرنا هذا ما لیس منه فہو رد متفق علیہ

بالشریعة و الطریفة و الحقیقة و لذا قال بعثت لاتمم مکارم الاخلاق و فی نظم الباب بالنسبة الی ما قبلہ اشارة الی ان بحث القضاء و القدر لا یتمم الا بالدلیل الثقلی فان الدلیل العقلی هو الذی ورتب القدریة و الجبریة فی یداء الظلمة و العیرة غایة ما فی الباب أن یتكون من الحکم المجهولة عندنا قال تعالی و ما اوتیتم من العلم الا قلیلا و التبعذ المحض هو من کمال العبودیة المقتضی للقیام بحقوق الربوبیة * (الفصل الاول عن عائشة رضی اللہ عنہا) * بالهمز و اما بالیاء فلحن عامی (قالت) اى روى عنها انها قالت (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث) اى جدد وابتدع أو أظهر و اخترع (فی أمرنا هذا) اى فی دین الاسلام و فی ایراد اسم الاشارة بدلا أو صفة افادة التعظیم و اشارة الی تمييز الدین اکمل تمييز و عبر عنه بالامر تنبیها علی أن هذا الدین هو أمرنا الذی نهتم له و نشتغل به ببحث لا یخلو عنه شیء من اقوالنا و أفعالنا قال القاضی الامر حقیقة فی القول الطالب للفعل مجاز فی الفعل و الشأن و الطریق أطلق هنا علی الدین من حیث انه طریقہ و شأنه الذی یتعلق به (ما لیس منه) کذا فی الصحیحین و الحمیدی و جامع الاصول و شرح السنة و فی المشارق و بعض نسخ المصابیح ما لیس فیہ (فهو) اى الذی أحدثه (رد) اى مردود علیہ قال ابن حجر و یصح الکسر اھ و الصواب أنه غیر مراد لانه علی ما فی التاموس یعنی العماد قال القاضی المعنی من أحدث فی الاسلام رأیا لم یتکن له من الکتاب و السنة سند ظاہر أو خفی ملفوظ أو مستنبط فهو مردود علیہ قبل فی وصف الامر بهذا اشارة الی أن أمر الاسلام کمل و انتهى و شاع و ظهر ظهور المحسوس ببحث لا یخفی علی کل ذی بصر و بصیرة فمن حاول الزیادة فقد حاول أمرا غیر مرضی لانه من قصور فهمہ رآه ناقصا فعلى هذا یتناسب أن یقال ان هو راجع الی من اى فذلک الشخص ناقص مردود عن جانبنا مطرود عن بابنا فان الدین اتباع آثار الآیات و الاخبار و امتیاط الاحکام منها فالضعیر الی الشخص ابلغ و الی الامر اظهر و فی قوله ما لیس منه اشارة الی أن لحدث ما لا یتنازع الکتاب و السنة کما سنقره بعد لیس بمذموم (متفق علیہ) و رواه أبو داود و ابن ماجه و ذکر فی الاربعین النوویة و فی روایة لمسلم من عمل عملا اى من أتى بشئ من الطاعات أو بشئ من الاعمال الذنیویة و الاخریة سواء کان محدثا أو سابقا علی الامر لیس علیہ أمرنا اى و کان من صفته انه لیس علیہ اذننا بل أتى به علی حسب هواه فہو رد متفق علیہ

مردود غیر مقبول فهذه الروایة اعم و هذا الحدیث عماد فی التمسک بالعروة الوثقی و أصل فی الاعتصام بجبل اللہ الاعلی و رد للمحدثات و البدع و الهوی و قد أنشد فی هذا المعنی
اذا ما دجا اللیل البہیم و اظلمنا * بأمر فظیح شق أسود أدهما
فأعلى البرایا من الی السنن اعترى * و أعمی البرایا من الی البدع انتهى
و من ترك القرآن قذضل سعيہ * و هل یترك القرآن من كان مسلما

قال بعض العارفين اعلم أن الانسان له روح نورانی من عالم الملكوت و نفس ظلمانیة و لكل منهما نزاع و شوق الی عالمه فغایة بعثة الانبیاء تزکیة النفوس عن ظلمة اوصافها و تحلیتها بأنوار الارواح حتی ینجلي فیها أن الموجود الحقیقی ذات اللہ و صفاته و أعماله فالواجب علی العبد أن یدق بمطرفة کلمة التوحید تمرد النفس الی أن تؤمن بذلك و تکفر بطاغوت وجوده و وجود ما سوى اللہ هذا هو الدین الحنیفی فمن أحدث فیہ بتسویل الشیطان غیر ذلک بان أیس عن الحق و شک فی مواعیده و تعلق

و عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد و شر الأمور محدثاتها و كل بدعة ضلالة .

قلبه بغيره ولم ينسوخ عن صفاته وأفعاله ولم تنطمس ظلمات ذاته في أنواره فهو مردود لم يتبع الأسيطانا مريدا لعنه الله و بهذا يتعين لك وجه قول أبي عبيدة انه عليه الصلاة والسلام جمع جميع أمر الآخرة في هذه الكلمة و جمع أمر الدنيا في كلمة انما الاعمال بالنيات و كأنه حمل الاعمال على الاعمال المباحة فانها تختلف باختلاف النيات و الله أعلم (و عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد) المفهوم من قوله أما بعد أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك في أثناء خطبته أو موعظته لانه فصل الخطاب و أكثر استعماله بعد تقدم قصة أو حمد الله سبحانه و الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله بعد مبنى على الضم بحذف المضاف اليه مع تية معناه أى بعد ما تقدم من الحمد و الصلاة (فان خير الحديث) أى ما يتحدث به و يتكلم فالفاء لما في اما من معنى الشرط أى مهما يكن من شئ بعد ما ذكر فان خير الحديث أى الكلام (كتاب الله) لاشتماله على ما تميز به من دقائق علوم الفصاحة و البلاغة و اشتمل عليه من بيان كل شئ تصريحا أو تلويحا قال تعالى و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ أى ما يحتاج اليه من أمر الدين و الدنيا و العقبى كالعلوم الاعتقادية و الاعمال الشرعية و الأخلاق البهية و الاحوال السنية و غيرها و قد ورد فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه و فيه اشارة واضحة الى أن كلام الله تعالى غير مخلوق (و خير الهدى) بالنصب عطا على اسم ان و روى بالرفع عطا على محل ان و اسمها (هدى محمد) و الهدى بفتح الهاء و سكون الدال السيرة و يقال هدى هديه اذا سار سيرته و لا تكاد تطلق الا على طريقة حسنة و لذا حسن اضافة التخيير اليه و الشر الى الامور قال ابن حجر و يصح ضم الهاء و فتح الدال اه و اللام في الهدى للاستفراق لان اسم التفضيل يضاف الى ما هو بعض منه و أيضا المقصود تفضيل دينه على سائر الاديان و هذا توطئة لقوله (و شر الامور) بالنصب و قيل بالرفع (محدثاتها) بفتح الدال يعنى البدع الاعتقادية و التولية و الفعلية (و كل بدعة) بالرفع و قيل بالنصب (ضلالة) قال في الازهار أى كل بدعة سيئة ضلالة لقوله عليه الصلاة والسلام من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها و اجر من عدل بها و جمع أبو بكر و عمر القرآن و كتبه زيد في المصحف و جدد في عهد عثمان رضى الله عنهم قال النووي البدعة كل شئ عمل على غير مثال سبق و في الشرع احداث ما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم و قوله كل بدعة ضلالة عام مخصوص قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في آخر كتاب التواعد البدعة اما واجبة كتعلم النحو لفهم كلام الله و رسوله و كتدوين أصول الفقه و الكلام في الجرح و التعديل و اما محرمة كذهب الجبرية و القدرية و المرجئة و المجسمة و الرد على هؤلاء من البدع الواجبة لان حفظ الشريعة من هذه البدع فرض كفاية و اما مندوبة كاحداث الربط المدارس و كل احسان لم يعهد في الصدر الاول و كالتراويج أى بالجماعة العامة و الكلام في دقائق الصوفية و اما مكروهة كزخرفة المساجد و تزويق المصاحف يعنى عند الشافعية و أما عند الحنفية فمباح و اما مباحة كالمصاحفة عقيب الصبح و العصر أى عند الشافعية أيضا و الا عند الحنفية مكروه و التوسع في لذائذ المآكل و المشارب و المساكن و توسيع الاكمام و قد اختلف في كراهة بعض ذلك أى كما قدمنا قال الشافعي رحمه الله ما أحدث مما يخالف الكتاب أو السنة أو الاثر أو الاجماع فهو ضلالة و ما أحدث من الخير مما لا يخالف شيئا من ذلك فليس بمذموم و قال عمر رضى الله عنه في قيام رمضان نعمت البدعة هذا هو آخر

رواه مسلم وعنه ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الناس الى الله ثلاثة ملحد في الحرم ومبتغ في الاسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه رواه البخاري وعنه أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمي يدخلون الجنة الا من أبي قبيل ومن أبي

كلام الشيخ في تهذيب الاسماء واللغات وروى عن ابن مسعود مارة المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وفي حديث مرفوع لا يجتمع أمتي على الضلالة (رواه مسلم) وكذا أحمد والنسائي وابن ماجه بلطف أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله وان أفضل الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار الحديث (وعنه ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الناس) هو أفضل تفضيل من المفعول على الشذوذ واللام في الناس للمهد والمراد منه عصاة المسلمين وما قاله بعض من أنها للجنس فبعيد اذ لامعصية أعظم من الكفر اللهم الا أن يحمل على التهديد (الى الله) أي وان كان أحبهم الى غيره (ثلاثة) أي أشخاص أهدمهم أو منهم (ملحد في الحرم) أي ظالم أو عاص فيه فانه عاص لله تعالى وهاتك حرمة الحرم والاحقاد العيل عن الصواب ومنه اللحد قال الأبهري فان قلت فاعل الصغيرة فيه مائل عن الحق فيكون أبغض من صاحب الكبيرة المفعولة في غيره قلت نعم مقتضاه ذلك بل مردها كذلك قال تعالى ومن يرد فيه بالجاد بظلم نذقه من عذاب أليم والظلم فسرناه هنا بعض السلف بشتم الخادم (ومبتغ) أي طالب (في الاسلام سنة الجاهلية) اطلاق السنة على فعل الجاهلية اما على أصل اللغة أو على التهكم وهي مثل النباحة والمسر والتيروز وقتل الاولاد وبغض البنات وجزاء شخص بجناية من هو من قبيلته (ومطاب) بالتونين (دم امرئ) بالنصب وقيل بالاضافة وهو بتشديد الطاء من الاطلاب أي مكلف في الطلب قال السيد جمال الدين أي مجتهد في الطلب وأصله متطلب فحذف التاء وشد الطاء ايذانا بالتاء وأدغم فيها كذا في زين العرب والازهار وهذا يقتضي أن تكون اللام مشددة يعني كالمزمل لكن المسموع من أفواه المشايخ تشديد الطاء دون اللام اه فيكون كالمذكر ووجهه أن مطلب أصله متطلب على متعل فأبدلت التاء طاء وأدغمت وهذا موافق للقياس دون الاول والله أعلم (مسلم) كذا في نسخة صحيحة صفة امرئ (بغير حق) فالقاتل ارتكب ما كرهه الله من وجهين أحدهما ظالم والثاني انه يسوء العبد والله يكره مساءته (يهريق) بفتح الهاء ويسكن (دمه) من هراق الماء اذا صبّه والاصل أراق قلبت الهمزة هاء وفيه لغة أخرى وهي اهراق بفتح الهمزة وسكون الهاء والحاصل ان أبغض عصاة المسلمين هذه الثلاثة لانهم جمعوا بين الذنب وما يزيد به تبعا من الاحقاد وكونه في الحرم واحداث البدعة في الاسلام وكونه من أمر الجاهلية وقتل النفس لا لغرض صحيح بل لكونه قتلا كما يفعل شطار زماننا واليه أشار بقوله ليهريق دمه ومزيد القبح في الاول باعتبار المحل وفي الثاني باعتبار الفاعل وفي الثالث باعتبار الفعل وفي كل من لفظي المبتغى والمطلب مبالغة وذلك ان هذا الوعيد اذا ترتب على الطالب والمتنهي فكيف بال مباشر (رواه البخاري وعنه أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمي يدخلون الجنة) على صيغة الفاعل وقيل على بناء المفعول (الامن أبي) أي امتنع عن قبول ماجئت به قال ابن الملك ان أريد من الامة أمة الاجابة فالاستثناء منقطع وان أريد أمة الدعوة فالاستثناء متصل وقال الطيبي المراد اما أمة الدعوة فالآتي هو الكافر أو أمة الاجابة فالآتي هو العاصي استثناء زجرا وتغليظا (قيل ومن أبي) هذه عطف على مجذوف عطف جملة على جملة أي عرفنا الذين يدخلون الجنة ومن الذي

قال من اطاعني دخل الجنة و من عصاني فقد ابي رواه البخاري و عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم و هو نائم فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا قال بعضهم انه نائم و قال بعضهم ان العين نائمة و القلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا و جعل

أبي الذي ابي لانعرفه و حق الجواب اختصارا أن يقول من عصاني تعدل عنه صلى الله عليه وسلم الى ما سيأتي لارادة التفصيل (قال من اطاعني دخل الجنة و من عصاني فقد ابي) تنبيها على أنهم ما عرفوا هذا و لاذك أو التقدير من اطاعني و تمسك بالكتاب و السنة دخل الجنة و من اتبع هواه و زال عن الصواب و ضل عن الطريق فقد دخل النار و وضع ابي موضع هذا و ضعا للسبب موضع السبب و لهذا أورد الحديث في باب الاعتصام بالكتاب و السنة (رواه البخاري و عن جابر) رضى الله عنه (قال جاءت ملائكة) أي جماعة من الملائكة (الى النبي صلى الله عليه وسلم و هو نائم) الجملة حالية قال السيد جمال الدين هذا الحديث يحتمل أن يكون حكاية سمعها جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم فعكاه و أن يكون اخبارا عما شاهد هو بنفسه و انكشف له قال ميرك شاه و الاحتمال الاول متعين لما في رواية الترمذي عن حديث جابر أيضا قال تخرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال اني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي و ميكائيل عند رجلي الخ قال الترمذي بعد تحريجه من طريق قتبية بن سعيد عن الليث ابن سعد عن خالد بن يزيد المصبري أحد الثقات عن سعيد بن أبي هلال عن جابر هذا حديث مرسل سعيد بن أبي هلال له يدرك جابر بن عبد الله أشار البخاري في صحيحه الى روايته سعيد بن أبي هلال تعليقا و جاء من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم من اسناد أصح من هذا قال و في الباب عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم توشد تحذه فرقد و كان اذا نام نفخ فينا انا قاعد اذا أنا برجال عليهم ثياب ييض الله أعلم بما لهم من الجعالم فجلست طائفة منهم عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم و طائفة منهم عند رجليه ثم ذكر نحو حديث جابر ثم قال هذا حديث صحيح اه قال الشيخ ابن حجر العسقلاني و وصف الترمذي لحديث سعيد بن أبي هلال بأنه مرسل يريد أنه منقطع بين سعيد و جابر وقد اعتضد هذا المنقطع بحديث ربيعة الجرمي يعنى الآتي في اول الفصل الثاني قال و هو عند الظيراني بسند جيد و حديث ابن مسعود أخرجه أحمد و ابن خزيمة أيضا و صححه و الظاهر أنها واقعتان و الله أعلم اه كلام ميرك شاه رحمه الله تعالى (فقالوا) أي بعض الملائكة لبعض (ان لصاحبكم) أي لمحمد (هذا) إشارة الى عهد و المخاطب بعض الملائكة (مثلا) بفتحين أي صفة كمال تبهر العقول اذ المثل هو الصفة العجيبة الشأن (فاضربوا) أي بينوا و اجعلوا له (مثلا) أي تمثيلا و تصورا للمعنى المعقول في صورة الامر المحسوس ليكون أوقع تأثيرا في النفوس (قال) بغير الفاء (بعضهم انه نائم) أي فلا يسمع فلا يفيد ضرب المثل شيئا (و قال بعضهم) وهم الاكملون لمعرفتهم به ما لم يعرفه الاولون (ان العين نائمة و القلب) بالنصب و قيل بالرغ (يقظان) غير منصرف و قيل منصرف لمجيء فعلاية منه قال زين العرب يقظان منصرف لمجيء فعلاية لكنه قد صح في كثير من نسخ المصاييح على أنه غير منصرف يعنى فلا يفوته شئ بما تقولون فان المدار على المدارك الباطنية دون الحواس الظاهرية قال الطيبي هذه مناظرة جرت بينهم بيانا و تحقيقا لما أن النفوس القدسية لا يضعف ادراكها بضعف الحواس أي الحسية لاستراحة القوى البدنية بل ربما يقوى ادراكها عند ضعفها كما هو مشاهد عند أرباب الصوفية (فقالوا) مثله كمثل رجل) أي عظيم كرم (بنى دارا) يعنى تصبته كهذه التصبة عن آخرها لأن حاله كحال هذا الرجل فانه في مقابلة الداعي لالباني اللهم الا أن يقدر مضاف و يقال كمثل داعي رجل بنى دارا (و جعل)

فيها مآذبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المآذبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المآذبة فقالوا أولوها له يفقهها قال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا الدار الجنة والداعي مهدي فمن أطاع مهديا فقد أطاع الله ومن عصى مهديا فقد عصى الله ومهدي فرق بين الناس رواء البخاري وعن أنس قال جاء ثلاثة رهط الى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم

أى الباقى (فيها) أى فى الدار (مآذبة) بضم الدال وفتح طعـام عام يدعى الناس اليه كالوليمة وقيل بالفتح مصدر ميمى بمعنى الادب وهو الدعاء الى الطعام كالمعـتبه بمعنى العتبه فعلى هذا يتعين الضم (و بعث داعيا) يدعو الناس اكراما لهم (اليها) أى الى ما يوصل اليها ايماء الى قوله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان (فمن أجاب الداعي) أى قبل دعائه (دخل الدار و أكل من المآذبة) بل طرد من وجه الاكرام و تمام الانعام (و من لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المآذبة) بل طرد من الباب و حرم من الثواب و استحق العقاب (فقالوا) أى قال بعض الملائكة لبعض (أولوها له) أى فسروا الحكاية التثليلية لمحمد صلى الله عليه وسلم من أول تأويلها اذا فسر بما يؤل اليه الشئ (يفقهها) بالجزم جواب الامر أى يفهمها ثم يفهمها (قال بعضهم) باعتبار ما فى ظنه (انه نائم) فهو غير فاهم (وقال بعضهم ان العين) أى عينه (نائمة والقلب) أى قلبه (يقظان) فيدرك البيان و كرروا هذا لئنه السامعون الى هذه المتبحة العظيمة و هى نوم العين و يقظة القلب (فقالوا الدار) أى مثلها (الجنة) أى نفسها فانها دارالمؤمنين كما فى القرآن المبين و المآذبة نعيمها و ترك بيانها لظهورها و قيل لاشتمال الجنة عليها لانها دارالمآذبة (و الداعي مهدي) قال تعالى فى حقه و داعيا الى الله باذنه (فمن أطاع) الفاء للسببية أى لما كان هو الداعي فمن أطاع (مهديا فقد أطاع الله) قال الطيبى روعى فى التأويل حسن أدب حيث لم يصرح بالمشبه بالرجل لكن لمح اليه فى قوله فقد أطاع الله (و من عصى مهديا) أظهر الضمير مبالغة فى تعظيمه و حمده قال ابن حجر و به يندفع وهم الرجوع الى غيره (فقد عصى الله و مهدي فرق بين الناس) روى مشددا على صيغة الفعل و مخففا على المصدر كذا قاله الطيبى و قال السيد جمال الدين مصدر وصف به للمبالغة أى فارق بين المؤمن و الكافر و الصالح و الفاسق و قال ميرك شاه كذا وقع عند أكثر رواة البخارى بسكون الراء و التثوين (رواه البخارى و عن أنس) رضى الله عنه (قال جاء ثلاثة رهط) الـرهط العصابة دون العشرة و قيل دون الاربعة و قيل هم على و عثمان بن مظعون و عبدالله بن رواحة كذا ذكره الطيبى و قيل المقداد بن الاسود بدل عبدالله كذا نقله ابن الملك و قال الكرماني انما جاء تفسير الثلاثة بالرهط لانه بمعنى الجماعة فـكانه قيل ثلاثة أنفس و الفرق بين الـرهط و التفرة انه من الثلاثة الى العشرة و نفر من الثلاثة الى التسعة قال الشيخ و وقع فى مرسل سعيد بن المسيب عن عبدالرزاق أن الثلاثة المذكورين هم على بن أبى طالب و عبدالله بن عمرو بن العاص و عثمان بن مظعون قال لكن فى عد عبدالله بن عمرو منهم نظيران عثمان ابن مظعون مات قبل أن يهاجر عبدالله فيما أحسب كذا ذكره الابهري و ذكر فى الخالخالى مكان عبدالله المقداد و الله أعلم (الى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم) أى عبادته فى البيت و المراد معرفة قدر عادة و وظائفه فى كل يوم و ليلة حتى يفعلوا ذلك (فلما أخبروا) على صيغة المجهول أى أخبرتهم (بها) أى عبادته (كانهم تقالوها) تفاعل من القلة أى استقلوها وجدوها أو عدوها قليلة لما فى نفوسهم انها أكثر مما أخبروا به بكثير (فقالوا أين نحن من النبي

و قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبداً و قال الآخر أنا أصوم النهار أبداً و لا أنظر و قال الآخر أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فقال أنتم الذين قتلتم كذاً و كذاً أما

صلى الله عليه وسلم) أي بيننا و بينه بون بعيد فانا على صدد التفريط و سوء العاقبة و هو معصوم مأون الخاتمة أولان له معاملة باطنية مع الله تعالى ساعة منها أفضل من طاعة ستة ظاهرية من غيره كما ورد تفكر ساعة خير من عبادة سنة أوستين سنة لاسيما في العلوم و المعارف و قيل فانا مذبذبون و محتاجون الى المغفرة (و قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) فينبغي أن تكون العبادة نصب أعيننا و لا نصرف عنها و جوهنا ليلا و نهارا ثم الذنب ماله تبعه دينية أو دنيوية مأخوذ من الذنب و لما كان النبي صلى الله عليه وسلم معاتباً بترك الأولى تأكيذاً للعصمة أطلق عليه اسم الذنب أو يكون من باب حسنة الأبرار سيئات المقربين قال ابن حجر أي سترينه و بينه بعصمته منه فلم يمكن صدوره منه ولو صغيرة قبل النبوة على الصواب هذا معنى المغفرة في حق الأنبياء و معناها في غيرهم ستره بينهم و بين عقوبة ذنوبهم اه و في قوله على الصواب تحفظ لكثر أهل العلم و هو غير صواب فكان حقه أن يقول على الصحيح بناء على مذهبه و الله أعلم بالصواب و قال بعض المحققين و إجماع الصحابة على التماسي به صلى الله عليه وسلم في أقواله و أعماله و سائر أحواله حتى في كل حاله من غير بحث و لا تفكر بل بمجرد ظاهره أو باطنه شئ لا يتأسي به فيه مما لم يقم دليل على اختصاصه به اه و الجمهور جوزوا وقوع الكبائر سهواً و الصغائر عمداً لكن المحققون منهم اشترطوا أن ينهوا عليه فينتهوا عنه فعلى هذا قول الجمهور لا ينافي الإجماع المذكور قال المظهر ظنوا أن وظائف رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة فلما سمعوا عدوها قليلة و قد راغوا الأدب حيث لم يسبوه الى التقصير بل أظهروا كماله و لا وما أنفهم في مقابلتهم اياها بالنبي صلى الله عليه وسلم و فيه تعليم للمريد بأن لا ينظر الى الشيخ بعين الاحتقار و ان رأى عبادته قليلة فيلظفر عذره و ليلم نفسه ان جرى فيها انكار على شيخه لان من اعترض على شيخه لم يفتاح أبداً و فيه ان قلة وظائف النبي صلى الله عليه وسلم كانت رحمة على الأمة لئلا يتضرروا بالاعتداء اذ لانفسهم عليهم حق و لازواجهم عليهم حق فان الانسان محتاج الى الطعام ليتقوى صابه و الرجال محتاجون الى النساء لبقاء النسل (فقال أحدهم أما أنا) أي أما رسول الله فقد خص بالمغفرة العامة فلا عليه أن لا يكثر العبادة و اما أنا فليست مثله (فاصلى الليل) أي أحياه بالصلاة و الظاهر أنه و ما قبله عزم على ما ذكر و يحتتم الأخبار عن ذلك (أبداً) أي طول الليل أو دائما غير مختص بليل دون ليل (و قال الآخر أنا أصوم النهار) أي أبداً كما في نسخة لكن يستغنى عنه بقوله (ولا أنظر) أي بالنهار يعني غير الايام الخمسة المنهية (و قال الآخر أنا اعتزل النساء) أي اجتنبهن (فلا أتزوج) أي منهن أحداً (أبداً) فانهن و الاشتغال بهن يمنع الشخص عن العبادة و يوقعه في طلب الدنيا و الحرص على تحصيلها في العادة و هو خلاف سلوك أهل الإرادة من السادة (فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليهم) و قد علم ذلك بان جاء الى أهله فأخبروه و اما بالوحي (فقال أنتم) أي أنتم فعدلت همزة الاستفهام التي للانكار من قبل أنتم الذي هو الفاعل المعنوي المزال عن مفره على حد ألت قلت للناس اتخذوني و أمي الهين من دون الله مبالغة في الانكار عليهم (الذين قتلتم كذاً و كذاً) كناية عما تقدم (أما) بالتخفيف حرف تنبيه و استفتاح بمنزلة الأ و يكثر قبل التسم و قيل معناه حقا و أغرب ابن حجر و قال الهمزة

والله انى لآخشاكم لله و اتقاكم له لكنى اصوم و افطر و اصلى و ارقد و اتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى متفق عليه و عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شياً

للاستفهام الانكارى وما حرف تنبيه (والله انى لآخشاكم) قال القاضى اى انا اعلم به وبما هو اعز لديهِ و اكرم عنده فلو كان ما استأثرتموه من الافراط فى الرياضة احسن مما انا عليه من الاعتدال لما عرضت عنه و قوله (لله) مفعول به لآخشاكم و اقل لا يعمل فى الظاهر الا فى الظرف (و اتقاكم له) اشارة الى ان الخشية التى لا تورث التقوى لاعبرة بها (لكنى اصوم) استدراك عن محذوف اى انا اخشاكم لله فينبغى على زعمكم اوفى الحقيقة ان اقوم فى الرياضة الى اقصى مدها لكن اقتصد و اتوسط فيها فاصوم فى وقت (و افطر) فى آخر (و اصلى) بعض الليل (و ارقد) فى بعضه (و اتزوج النساء) ولا ازهد فيهن و كمال الرجل ان يقوم بجهن مع القيام بحق الله تعالى و التوكل عليه و التفويض اليه و هذا كله ليقتدى بي الامة (فمن رغب) اى مال و اعرض (عن سنتى) اى استهانة و زهدا فيها لا كسلها و تهاونا (فليس منى) اى من اشياعى وضع قوله عن سنتى مكان ذلك ليشمل كل ما جاء به من المذكور و غيره و من فى منى اتصالية و ذكر الابهري عن الشيخ انه قال لمح بذلك الى طريقة الرهبانية فانهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى و قد عابهم بانهم ما وافوا بما التزموه اه قلت ما هو تلميح بل هو تصريح على ما ذكره البغوى فى المعالم فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتحرموا طبيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قال أهل التفسير ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يوماً و وصف القيامة فرق له الناس و بكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى وهم ابوبكر الصديق و على بن أبى طالب و عبدالله بن مسعود و عبدالله بن عمرو و أبوذر الغفارى و سالم مولى أبى حذيفة و المقداد بن الاسود و سلمان الفارسى و معقل بن مقرن و تشاوروا و اتفقوا على ان يترهبوا و يلبسوا الصوح جمع المسح و هو الصوف و يجبوا مذاكيرهم اى يقطعوها و يصوموا الدهر و يقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم و الودك اى الدسم من السمن و الدهن ولا يقربوا النساء و الطيب و يسبحوا فى الارض فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته ام حكيم بنت أبى امية و اسمها الجولاء و كانت عطارة أحق ما بلغنى عن زوجك و أصحابه فكرهت ان تكذب و كرهت ان تبدي على زوجها اى تظهر فقالت يا رسول الله ان كان أخبرك عثمان فقد صدقت فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو و أصحابه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أنبأ أنكم اتفتم على كذا و كذا قالوا بلى يا رسول الله وما أردنا الا الخير فقال عليه الصلاة والسلام انى لم أؤمر بذلك ثم قال ان لافئسكم عليكم حقا فصوموا و افطروا و قوموا و ناموا فانى اقوم و أنام و اصوم و افطر و أكل اللحم و الدسم و أتى النساء و من رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس و خطبهم فقال ما بال أقوام حرموا النساء و الطعام و الطيب و النوم و شهوات الدنيا انى لست آمركم ان تكونوا قيسيين و رهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم و النساء ولا اتخاذ الصوامع و ان سياحة أمى الصوم و رهبانيتهم الجهاد و اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً و حجوا و اعتمروا و أتيموا الصلاة و أتوا الزكاة و صوموا رمضان و استقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشد الله عليهم فاولئك بقاياهم فى الديارات و الصوامع فانزل الله هذه الآية (متفق عليه و عن عائشة) رضى الله عنها (قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً) اى من المباحات قال الراغب الصنع اجادة الفعل فكل صنع فعل ولا يتعكس ولا ينسب الى الحيوانات و الجمادات كما ينسب

فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتزهون عن الشئ أصنعه فواته انى لاعلمهم بالله وأشدهم له خشية متفق عليه وعن رافع بن خديج قال قدم نبى الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يؤبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلمكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت قال فذكروا ذلك له فقال انما أنا بشر

اليها الفعل (فرخص) أى للناس (فيه) أى فى ذلك الصنع أو من أجله (فتنزه عنه) أى عن ذلك الصنع (قوم) ولم يفعلوا ذلك الصنع فلما منهم ان فعله ينافى الكمال وانه صلى الله عليه وسلم انما فعله لبيان الجواز قال الشيخ لم أعرف أعيان القوم المشار اليهم ولا الشئ الذى ترخص فيه وأما ابن بطال الى انه القبلة للصائم وقيل الفطر فى السفر كذا ذكره الأبهري والأظهر ان القوم هم المذكورون فيما تقدم والشئ المرخص ما ذكر فيما سبق (فبلغ ذلك) أى تزهرهم (رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب) أى أراد أن يخطب كذا قاله الطيبي ويمكن أن يكون قوله (فحمد الله) الخ تفسيرا لما قبله (ثم قال) أى فى أثناء خطبته أو بعد فراغها معرضا لا مصرحا سترأ على الفاعل ورحمة به (ما بال أقوام) استفهام انكارى بمعنى التوبيخ أى ما حالهم (يتنزهون) صفة أقوام وقع موقع الحال نحو مالك قائما وكقوله تعالى مالك لا ترجون الله وقارا أى يتباعدون ويحترزون (عن الشئ) من النوم بالليل والاكل بالنهار والتزوج بالنساء كذا قاله ابن الملك (أصنعه) حال من الشئ وأل فيه للعهد المذكورى السابق فى قوله شيا وقيل اللام فى الشئ للجنس وأصنعه صفة (فواته انى لاعلمهم بالله) قال المظهر أى فان احتزوا عنه لخوف عذاب الله فانا أعلم بقدر عذاب الله فانا أولى بالاحتراز (وأشدهم له خشية) إشارة الى القوة العملية وقدم العلم على الخشية لانها نتيجةه ولذا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال الطيبي هذا أبلغ من أخشاهم على الاصل فانه عدل عنه وجعل أشد ثم فسر خشية ليدل على ان الأشد نفسه (متفق عليه) وعن رافع بن خديج (رضى الله عنه) يكنى أبا عبدالله العارثى الاثارى أصابه سهم يوم أحد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا شهيد لك يوم القيامة وانتقت جراحته زمن عبد الملك بن مروان فمات سنة ثلاث وسبعين بالمدينة وله ست وثمانون سنة روى عنه خلق كثير وخديج يفتح الغاء المعجمة وكسر الدال المهملة والجيم (قال قدم نبى الله) وفى نسخة النبى (صلى الله عليه وسلم المدينة) أى طابة السكينة (وهم) أى أهلها (يؤبرون النخل) جملة حالية أى يلتحون كما فى رواية طلحة بن عبيد الله يعنى يجعلون الذكر فى الاثنى وهو بتشديد الباء وروى يأبرون بتخفيف الباء المكسورة وقد يضم والابر والابار والتأبير الاصلاح والمعنى يشقون طلع الاثان ويذرون فيه طلع الذكر ليجيء ثمره جيدا اذ النخلة خلقت من فضلة طينة آدم على ما ورد فلا بد عادة فى صلاح نتائجها من اجتماع طلع الذكر مع طلع الاثنى كما أنه لابد عادة فى تحلق ابن آدم من اجتماع منى الذكر والاثنى (فقال ما تصنعون) ما استفهامية (قالوا كنا نصنعه) أى هذا دأبنا وعادتنا (قال لعلمكم لو لم تفعلوا كان) وفى نسخة لكان (خيرا) أى تتعبون فيما لا ينفع كما جاء فى تلك الرواية ما أظن يفتى ذلك شيا (فتركوه) أى التأبير (فنقصت) أى النخل ثمارها أو انتقصت ثمارها فان النقص متعد ولازم أى لم يأت منها شئ صالح (قال) أى رافع (فذكروا) أى أصحاب النخل (ذلك) أى النقصان (له) عليه الصلاة والسلام (فقال انما أنا بشر) أى فليس لى اطلاع على المغيبات وانما ذلك شئ قلته بحسب الظن لشهودى اذ ذلك الى سبب الاسباب واستغراق فى عجائب قدرته وغرائب قوته التى لاتتوقف على سبب لكنه تعالى قضى ليظهر حكمته الباهرة وتفاوت شهود عباده فى الدنيا والآخرة

اذا امرتكم بشئ من امر دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشئ من رأيي فانما انا بشر رواه مسلم وعن
ابن موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل انى قوما قتال ياقوم
انى رايت الجيش بعينى وانى انا النذير العريان فالنجاه النجاه فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا

بان دائرة الاسباب لابد من مراعاتها (اذا امرتكم) وفى نسخة امرتم فى الموضوعين (بشئ من دينكم)
وفى نسخة صحيحة من امر دينكم أى مما يتفكركم فى امر دينكم (فخذوا به) أى افعلوه فانى انما نطقت به عن الوحي
(واذا امرتكم بشئ من رأيي) وفى نسخة من رأى أى متعلق بالدنيا التى لا ارتباط لها بالدين واخطأت
فلا تتبععدوا وقيل فمن شاء فعله ومن شاء لم يفعله (فانما انا بشر) أى فانى بشر اخطئى واصيب
كما جاء فى خبر احمد والظن يخطئى ويصيب وفى الحديث دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما كان
يلتفت غالبا الا الى الامور الاخرية وفى المصاييح فقال عليه الصلاة والسلام انتم اعلم بامر دنياكم
(رواه مسلم) وعن ابن موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلى (المثل بفتحين الصفة العجيبة
وهو فى الاصل بمعنى المثل الذى هو الظنير ثم استعير للقول السائر الممثل مضربه بمورده وذلك
لا يكون الا قولاً فيه غرابة من قصة وحال وصفة (ومثل ما بعثنى الله به) أى الى امتى وقيل ما
بمعنى من أى من ارسلنى اليه (كمثل رجل) قيل هذا من التشبيهات المفروقة وهى أن يؤتى بمشبه
ومشبه به ثم بآخر وآخر وسيأتى بيانه (انى قوما) أى لينذرهم بقرب عدوهم منهم وانهم لا قدرة
لهم على لقاءه وانما الذى يتجسسهم منه انهم يهربون عنه وذلك الرجل من اجلتهم وامين فى اختياره
عندهم (فقال ياقوم انى رايت) أى ابصرت (الجيش) أى العسكر الكثير المتوجه اليكم (بمعنى) للتأكيد
ودفع توهم المجاز وهو بالثنية وتشديد الباء الاخيرة وروى بالانفراد وتخفيف الباء (وانى انا النذير)
فيه الحصر (العريان) أى بلا غرض والنذير العريان مثل مشهور سائر بين العرب يضرب لشدة الامر
ودنو المحذور وبراءة المحذر عن التهمة واصله ان الرجل اذا رأى العدو قد هجم على قومه وأراد
أن يفاجئهم وكان يخشى لحقوقهم قبل لحوقه تجرد عن ثوبه وجعله على رأس خشية وصاح لياخذوا
حزهم وقيل هو الذى غشيه العدو وكان ريشة قومه أى جاسوسهم فاخذوه وتعلقوا بشيابه فانسل
سها ولحق بقومه فانذرهم فلما راوه على حالته تلك ارتحلوا عن آخرهم وقيل انه الذى سلب العدو
ما عليه من الثياب فأتى قومه عريانا يجرهم فصدقوه لما عليه من آثار الصدق وخص العريان بالذكر
لانه ابين فى العين وأغرر وأسنع عند البصر (فالنجاه النجاه) فى أكثر النسخ مرتين وفى نسخة مرة
وهو بالمد على الاصح مصدر نجا اذا أسرع يقال ناقة ناجية أى مسرعة قال ابن الملك بالفاء والمد
والقصر نصب على الاعراء أى اطلبوا النجاه أو على المصدر أى انجوا وهو الاسراع كمرر للتأكيد قيل فى
شرح السنة وبعض نسخ المصاييح مرة وفى كثير منها مرتين قال الطبرى روى الامام عن القاضى عياض
المعروف فى صحيح البخارى اذا أفرد النجاه مد وحكى أبو زيد فيها القصر وأما اذا كرر ففيه المد والقصر
سواء ونقل الابهري عن الشيخ بالمد فيهما وبمد الاولى وقصر الثانية وبالقصر فيهما تخفيفا وهو
متصوب على الاعراء أى اطلبوا النجاه بان تسرعوا الهرب اشارة الى أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك
الجيش (فاطاعه طائفة من قومه) قال الطبرى الاطاعة تتضمن التصديق يعنى فيحسن مقابلته بقوله كذبت
فيما يأتى (فادلجوا) بهمة قطع ثم سكون هو الصحيح أى ساروا أول الليل أو ساروا الليل كله على
اختلاف فى مدلول هذه اللفظة وأما بالوصل والتشديد على ان المراد به سير آخر الليل فلا يناسب
هذا المقام كذا ذكره الابهري وقال الطبرى أى ساروا فى الدليجة وهى الظلمة وقال السيد

فانطلقوا على مهلهم فنجا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من أطاعني فاتبع ماجئت به ومثل من عصاني وكذب ماجئت به من الحق متفق عليه وعن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل
الفراسخ وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبهن

جمال الدين والدليجة أيضا السير في الليل وكذا الدليج بفتح اللام وادلجوا بتشديد الدال ساروا آخر
الليل (فانطلقوا) أي ذهبوا وساروا (على مهلهم) بفتح الميم والهاو ويسكن قال الطيبي المهمل
بالحركة الهيئة والسكون وبالسكون الامهال قال الامام النووي في نسخ مسلم بضم الميم واسكان
الهاء وبتاء بعد اللام وفي الجمع بين الصحيحين مهلهم بحذف التاء وفتح الميم والهاء وكلاهما
صحيحان اه لكن لم يوجد في نسخ المشكاة الا بدون التاء اختيارا للفظ البخاري على لفظ مسلم لكونه
أصح (فنجوا) أي بسبب تصديق المنذرين (وكذبت طائفة منهم) قال الطيبي التكذيب يستتبع العصيان يعني
فيه إيماء إلى ما قد سناه (فأصبحوا مكانهم) أي دخلوا وقت الصباح في مكانهم (فصبحهم) بتشديد الباء
(الجيش) أي أتاهم جيش العدو صباحا للإغارة (فأهلكهم واجتاحهم) بالجيم في الأولى والمهمل في
الثانية أي استأصلهم وأهلكهم بالكيفية بشؤم التكذيب وهذا فائدة الجمع بينهما (فذلك) أي المثل
المذكور (مثل من أطاعني فاتبع) وفي نسخة بالواو (ما جئت به) أي من الحق وهذا ليعلم أنه
لا ينبغي أن يستروح بظاهر الطاعة من اتباع ما جاء به (ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق)
قال السيد جمال الدين من التشبيهات المفروقة شبه ذاته عليه الصلاة والسلام بالرجل وما بعثه الله به من
انذار القوم بعذاب الله القريب بانذار الرجل قومه بالجيش المصحح وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه
بمن صدق الرجل في انذاره وكذبه اه فهو على حد قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويايس * لدى وكرها العناب والحشف البالي

شبه القلوب الرطبة بالعناب واليابسة بالحشف على التفريق بطريق اللف والنشر المرتب (متفق عليه
وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي) أي صفتي العجيبة الشأن معكم أيها الأمة
أومع الناس (كمثل رجل استوقد) أي أوقد وزيدت السين للتأكيد (نارا) أي عظيمة (فلما أضاءت)
الاضاءة فرط الانارة يتعدى ولا يتعدى وهنا متعد ويجوز أن يكون لازما وقاعله (ما حولها) والتأنيث
باعتبار الاماكن قال زين العرب و لك أن تجعل ما مزيدة أو بدلا من الضمير في أضاءت وفي كل
منهما نظر وقوله ما حولها رواية مسلم فالضمير للنار أي أضاءت النار جوانب تلك النار وفي رواية
البخاري ما حوله فالضمير للمستوقد كذا ذكره الطيبي وما ظهر لي وجه عدول صاحب المشكاة إلى
رواية مسلم من رواية البخاري مع كونها أصح ومع ثبوت موافقتها للفظ القرآن الاصح ودلائها على
المقصود بالطريق الاوضح مع قوله في آخر الحديث هذه رواية البخاري فتأمل فانه محل خطل (جعل)
أي شروع (الفراسخ) هو بفتح الفاء دويبة طير تتساقط في النار يقال بالفارسي پروانة (وهذه الدواب)
قيل عطف تفسير للفراسخ وأنه نظرا لخبره أو لكون الفراسخ اسم جنس كقوله تعالى وأوحى ربك إلى
النحل أن اتخذى وقال ابن الملك إشارة إلى غير الفراسخ (التي تقع في النار) أي عاداتها القاء نفسها
في النار كالبق والبعوض اه وهو غير ظاهر نعم الجراد بعضه كذلك (يقعن) أي الفرارخ والدواب
(فيها وجعل) أي المستوقد (يحجزهن) بضم الجيم أي يمنعهن من الوقوع فيها قال الأبهري وفي
رواية البخاري يزعهن بالتحانية والزاي وضم المهمل أي يدفعهن (ويغلبهن) أي للوقوع فيها

فيتضمن فيها فانا أخذ بحجزكم عن النار و أنتم تتحمون فيها هذه رواية البخارى ولمسلم نحوها و قال في آخرها قال فذلك مثل و مثلكم انا أخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني تتحمون فيها

(فيتضمن فيها) أى يدخلن فيها بشدة و مزاحمة قبل التحم هو الدخول فى الشئ من غير روية و يعبر به عن الهلاك و الفناء النفس فى الهلاك و قال الطبي التحم الاقدام و الوقوع فى أمر شاق (قالا) الفاء فصيحة أى اذا صاح هذا التمثيل بانى كالمستوقد و أنتم كالغراش فيما ذكر فانا (أخذ) قال النووى يروى على وجهين أحدهما اسم فاعل بكسر الغاء و تنوين الذال و الثانى فعل مضارع بضم الغاء و الاول أشهر وهما صحيحان (بحجزكم) بضم الغاء و فتح الجيم بعد هازى جمع الحجرة و هى معتد الأزار و من السراويل موضع التكة قال الأبهري و يجوز ضم الجيم فى الجمع (عن النار) و انما خص الحجز لان محل الزنا الذى هو أفضى الفواحش تحتها أولان أخذ الوسط أقوى و أوثق من الاخذ بأحد الطرفين فى التباعد كذا ذكره ابن الملك و الاول بعيد (و أنتم تتحمون فيها) من باب التفعّل بمحذ احدى التلحين و فى نسخة صحيحة تتحمون من باب الافعال (هذه) أى هذه الالفاظ أو ما ذكر من أول الحديث الى هنا و التأنيث باعتبار الخبر و فى نسخة هذا أى هذا اللفظ (رواية البخارى ولمسلم نحوها) أى رواية البخارى معنى و فى شرح ابن حجر مثلها و هو غير صحيح رواية و دراية (و قال) أى مسلم (فى آخرها) أى آخر روايته (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (فذلك) أى المثل المذكور (مثل و مثلكم) قال ابن حجر هذا تأكيد احتج اليه لطول الكلام و الالفه معلوم من أوله كقولنا انا أخذاه و الظاهر انه يبان للفرق بين الروايتين و يبان ان رواية البخارى فانا أخذ الخ و رواية مسلم فذلك مثل و مثلكم انا أخذ الخ و قوله (انا أخذ) بالوجهين (بحجزكم) أى للتبديد (عن النار) و أقول (هلم عن النار هلم عن النار) كسر لفرط الاهتمام و المعنى اسرعوا الى و ابعدوا أنفسكم عن النار قال الخليل أصله لم أى لم أنفسكم البنا بالقرب منا وها للتبديد و انما حذف ألفها لكثرة الاستعمال و جعلها اسما واحدا يستوى فيه الواحد و الجمع و المذكر و المؤنث فى لغة أهل الحجاز و بها جاء القرآن و قيل أصله هل أم أى هل لك فى كذا أم يفتح الهمزة أى قصد فركب الكلمتان و فيه أنه لم يظهر وجه ضم اللام و قيل معناه اقرب البنا و ابعد عن النار فالخطاب عام و محل هلم نصب على الحال أى أخذ بحجزكم و أنتمكم قائلا هلم (تغلبوني) النون شديدة اذ أصله تغلبونى فأدغم نون الجمع فى نون الوقاية و أغرب ابن حجر حيث قال بادغام نون الرفع فى نون التأكيده و روى بتخفيفها على حذف احدى النونين و اختار الشاطبى حذف الاخيرة قال الطبي الفاء للسببية على التعميس كاللام فى ليكون لهم عدوا (تتحمون) أى تتحمون (فيها) و هو حال عن فاعل تغلبونى و قيل بدل مما قبله قال الطبي و قد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل بوقوع الفراش فى النار لجهله بما يعقب التحم فيها من الاحتراق و لتخثير شأنها قال و هذه الدواب كقوله تعالى ماذا أراد الله بهذا مثلا و تخصيص ذكر الدواب و الفراش لايسمى دابة عرفا لبنا جهلها كقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الآتية كل ذلك تعريض لطالب الدنيا المتهالك فيها جعل عليه الصلاة والسلام المهلكات نفس النار و ضعا للسبب موضع المسبب كقوله تعالى فى بطونهم نارا و شبه اظهاره بمعارم الله و نواهيه ببياناته الشافية الكافية من الكتاب و السنة باستيقاد الرجل النار و شبه نشو ذلك الكشف فى مشارق الارض و مغاربها باضاعة تلك النار ماحول المستوقد و شبه الناس و عدم مبالاتهم بذلك البيان و الكشف و تعديهم حدود الله و حرصهم على الذات و منع رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم باخذ حزمهم بالفراش التى يتضمن فى النار و يغلبن المستوقد و كما أن غرض المستوقد هو التفاع

متفق عليه و عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله به من الهدى و العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قيات الماء فأبنت الكلا و العشب الكثير و كانت منها أجادب أسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا و سقوا و زرعوا

الخلق به من الاهتداء و الاستدفاء و غير ذلك و الفراش لجهلها جعلته سببا لهلاكها كذلك كان القصد بتلك البيانات اهتداء تلك الامة و احتماها عما هو سبب هلاكهم وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها موجبة لترديهم و في قوله أخذ بججزكم استعارة مثلت حاله في منع الامة عن الهلاك بحال رجل أخذ بجيزة صاحبه الذي يهوى في تعريضه مردية (متفق عليه) فيه أن هذا مستغنى عنه بما سبق فأيراه لعمد التأكيد على أن المراد بالاتفاق هنا بحسب المعنى في الاكثر (و عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله به من الهدى و العلم) الهدى الدلالة على الخير مطلقا أو الموصلة الى الحق و من الاول قوله تعالى و أما ثمود فهديناهم و من الثاني قوله تعالى انك لاتهدى من أحببت و لكن الله يهدي من يشاء و المراد بالعلم هنا الظاهر و الخفي و الهدى وسيلة الى العلم قلذا قدمه و في العوارف العلم جملة موهبة من الله للقلوب و المعرفة تمييز تلك الجملة و الهدى وجدان القلوب ذلك و قيل العلم صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض و عطفه على الهدى اما لرجوعه للنفس و رجوعها للغير أو لانها الدلالة و العلم المدلول أو المراد منها الطريقة و العمل و من ثم ورد من ازداد علما ولم يزد هدى أى قربا من الله لم يزد من الله الابعدا (كمثل الغيث) أى المطر الكثير و اختار اسم الغيث ليؤذن باضطرار الخلق اليه اذ جاءهم على فترة من الرسل و الغيث يحيى البلد الميت و العلم يحيى القلب الميت (أصاب أرضا) أى صالحه و الجملة صفة للغيث على تقدير أن تكون اللام فيه للجنس أو زائدة و يجوز أن تكون حالا (فكانت منها) أى من تلك الارض (طائفة) أى قطعة و منها صفة طائفة قدمت عليها فصارت حالا (طيبة) أى غير خبيثة بسباخ و نحوه قال النووي طائفة طيبة كذا في جميع نسخ مسلم و وقع في البخارى فكانت منها لقية بنون فظاف مكسورة فتحية مشددة و هى بمعنى طيبة اه و قال ابن حجر و روى غير ذلك مما لا يصح هنا اه و طيبة مرفوعة على أنها صفة طائفة و قوله (قبلت الماء) أى دخل الماء فيها للينها منصوبة بخبر كانت و قيل هى منصوبة على انها خبر كانت و قبلت الماء صفة لطيبة و يجرى هذا الخلاف في لفظ اجادب و قال ابن حجر و رواية قبلت بالتحية المشددة قيل تصحيف و قيل صحيحة و معناه شربت من القيل و هو شرب بعض الاثمار (فأبنت الكلا) بالهمز مفتوحة من مقصورا (و العشب الكثير) هما مع الحشيش اسماء للنبات لكن الحشيش مختص باليابس و العشب بالضم و الكلا مقصورا مختصان بالرطب و الكلا بالهمز على زنة جبل يقع على اليابس و الرطب فالكلا بالهمز أنسب ليكون عطف الاخص على الاعم للاهتمام بشأنه (و كانت منها) أى من الارض الصالحة أو من الارض الطيبة (اجادب) كذا في رواية الجمهور بالجيم و الدال المهمله بعدها باء موحدة جمع اجذب و هى الارض الصلبة التى تمسك الماء من الجذب و هو القحط سماها اجادب لانها لصلابتها لاتنبت و في رواية أبي ذر اخاذات بكسر الهمزة و الغاء و الذال المعجمتين و آخره مثناة من فوق قبلها ألف جمع اخاذة و هى الارض التى تمسك الماء قال ابن حجر و صوبه بعضهم و روى اجاذب بجم و ذال معجمة و معناه قريب من الاول و فيه روايات أخر مردودة (أسكت) أى تلك الارض أو الاجادب (الماء نفع الله بها) أى بالاجادب أو بتلك الارض (الناس فشربوا و سقوا) أى دوابهم قال ابن حجر و يجوز اسقواقت لا يجوز لانه غير وارد و تجوز اللغوى غير مراد (و زرعوا) قال النووي في جميع نسخ مسلم و رعا من الرعى و وقع في البخارى

وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تثبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعمله و علمه و مثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به

زرعوا وكلاهما صحيح اهـ وفي جميع نسخ المشكاة زرعوا موافقاً لما في البخاري وهو الاول بان يكون أصلاً وقال ابن حجر ورعوا من الرعي ورواية وزرعوا قيل تصحيف وأجب بان المراد به زرعوا به غير تلك الأرض اهـ وفيه انه لا يظهر ربط بين السؤال والجواب ثم قال وهذا بناء على ان رواية رعو تشويش النثر لان الشرب والسقي للقسم الثاني والرعي للقسم الاول قلت لا مانع من ان يكون القسم الثاني جامعا للثلاث مع أنه يلزم من حصول الزرع وحصول الرعي بخلاف العكس وفيه اشارة الى ان أهل القسم الثاني مرزوقون من جميع النعم منفقون على غيرهم فهم كاملون مكملون على ما يدل عليه قوله فنفع الله بها الناس بخلاف أهل القسم الاول ويكون التقسيم ترفيهاً ثم تدلياً (وأصاب) أى الغيث (منها) أى من الأرض (طائفة) أى قطعة (أخرى إنما هي) تلك الطائفة (قيعان) بكسر القاف جمع قاع وهي الأرض المستوية (لا تمسك ماء ولا تثبت كلاً) لانها سبخة (فذلك) أى المذكور من أنواع الأرض (مثل من فقه) بضم القاف وكسرهما والمشهور الضم اذا فهم وأدرك الكلام والضم أجود لدلالته على أن الفقه الشرعي صار سجيية له (في دين الله ونفعه الله بما بعثني الله به) أى بالعمل (فعمله و علمه) بتشديد اللام هذا مثل الطائفة الاولى التي قبلت الماء وأثبتت الكلاً فتقول الماء اشارة الى العلم واثبات الكلا اشارة الى التعليم كذا قاله ابن الملك (ومثل من لم يرفع بذلك) أى بما بعثني الله به (رأساً) أى للتكبر كما في نسخة يقال لم يرفع فلان رأسه بهذا أى لم يلتفت اليه من غاية تكبره قال ابن الملك عدم رفع رأسه بالعلم كناية عن عدم الانتفاع به لعدم العمل أو الاعراض عنه الى حطام الدنيا وهذا مثل الطائفة التي لا تمسك ماء ولا تثبت كلاً (ولم يقبل هدى الله) بضم الهاء وفتح الدال (الذي أرسلت به) قال الطيبي عطف تفسيري وفي الحديث اشارة الى ان الاستعدادات ليست بمتكسبة بل هي مواهب ربانية وكمالها أن تستفيض من مشكاة النبوة فلا خير فيمن يشتغل بغير الكتاب والسنة وان الفقيه من علم وعمل قال المظهر ذكر في تقسيم الأرض ثلاثة وفي تقسيم الناس قسمين من فقه ومن أبي ولم يرفع وذلك لان القسم الاول والثاني من الأرض كقسم واحد من حيث انه منتفع به وكذلك الناس قسمان من يتقبل العلم وأحكام الدين ومن لم يقبلهما وأما في الحقيقة فالناس على ثلاثة أقسام أحدها من يقبل بقدر ما يعمل به ولا يبلغ درجة الفتوى والتدريس وثانيها من يبلغها وثالثها من لا يقبل العلم قال الطيبي اتفق الشارحون على الوجه الثاني والحديث ينصر الاول فعلى هذا ذكر في الحديث الطرقات العالی في الاهتداء والغالى في الضلال وترك قسمان من انتفع بالعلم في نفسه ومن لم ينتفع في نفسه ولكن نفع في غيره اهـ وجعل الخطابي القسمة ثنائية بجعل العلماء قسماً والجهلاء قسماً وقال النووي دلالة اللفظ على كون الناس ثلاثة أنواع غير ظاهرة اهـ وخالفهم ابن حجر وجعل القسمة ثلاثية وأغرب حيث جعل القسم الاول أفضلها مع أن التشبيه بالأرض لا يساعده ثم أخطأ في اجتهاده حيث جعل الطبقة العليا منحصرة في الفقهاء وجعل بقية العلماء من المحدثين والقراء وغيرهم في الطبقة السفلى وجعلهم كالتابع للطائفة الاولى والصواب أن كل من فاق أقرانه في فن من العلوم الشرعية من غير اختصاص بالفرع الفقهية فهو من الائمة المجتهدين والعلماء الراسخين الكاملين المكملين فكانه ذهل عن قول

متفق عليه و عن عائشة قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات و قرأ الى وما يذكر الا اولو الالباب قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رأيت و عند مسلم رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين ساء لهم الله فاحذروهم

حجة الاسلام الغزالي ضيعت قطعة من العمر العزيز في تصنيف البسيط والوسيط والوجيز لكنه كما قال تعالى قد علم كل اناس مشربهم وكل حزب بما لديهم فرحون فالظاهر كلام المظهر في هذا المقام والله أعلم بالمرام ثم لا يخفى ما في التشبيه من اللطافة حيث جعل العلم الحاصل بسبب الوحي مشبها بالماء النازل من السماء ثم انه عليه الصلاة والسلام من حيث انه قاسم و واسطة في اصال الفيض من الحق الى الخلق مشبه بالسحاب العام لجميع العالم و قلوب العباد مشبهة بالاراضي المختلفة فالاول من تشبيه المعقول بالمحسوس وغيره من قبيل المحسوس بمثله ومنه قوله تعالى و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه و الذى حيث لا يخرج الا انكدا ثم الخبيث كأنه مقتبس من قوله تعالى أنزل من السماء الآية و قد قيل على ما في البغوى قوله أنزل من السماء ماء هذا مثل للقرآن و الاودية مثل للقلوب يريد ينزل القرآن فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين و العقل و الشك و الجهل و قال الواسطي فاحتمل السيل زبدا راييا رؤيتك لاعمالك فاما الزبد فيذهب جفاء عند أهل التوحيد و أما ما يتفق الناس فهو اليقين (متفق عليه و عن عائشة رضی الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب) أى القرآن (منه) أى بعضه (آيات محكمات) وهى ما أمن من احتمال التأويل كالنصوص الدالة على ذاته و صفاته (و قرأ الى وما يذكر الا اولو الباب) يحتمل الاختصار في الذكر من عائشة أو من دونها و التهمة هن أى تلك الآيات أم الكتاب أى أصله و آخر أى آيات آخر مشابهاة المتشابه ما بلغ في الخفاء غايته ولا يرجى معرفته كقوله يد الله فوق أيديهم فاما الذين في قلوبهم زيغ أى ميل عن اتباع الحق الى الباطل فيتبعون ما تشابه منه أى يبحثون فيه ابتغاء الفتنة أى لطلب الفتنة يعنى ايقاع الشك و الخصومة بين المسلمين و ابتغاء تأويله لاستنباط معانيه و ما يعلم تأويله الا الله المذهب الصحيح الوقف عليه و الرايون مبتدأ أى الثابتون في العلم أى في علم الدين يقولون آتاه به أى بالمشابهة و لكننا علمه الى عالمه كما قال الامام مالك لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم و الكيف مجهول و الايمان به واجب و السؤال عنه بدعة كل أى من المحكم و المتشابه من عند ربنا أى نزل من عنده وهو حق و صواب و حكمة و وقوع المتشابه فيه اعلام للمعقول بقصورها لتسليم لبارئها و تعترف بعجزها و تسلم من الغرور و العجب و التكبر و التعزز و ما يذكر أى يتعظ و ينتفع بما فيه من الموعظة الا اولو الالباب أى أصحاب المعقول السليمة من علل الخواطر السقيمة (قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رأيت) بفتح التاء على الخطاب العام أى أيها الرائي و حكى بالكسر على ان الخطاب لعائشة و ان كان المراد عاما (و عند مسلم رأيتم) و هو يؤيد الاول (الذين يتبعون ما تشابه منه) يحتمل أن يكون المراد بهم الذين يقتضرون على تتبع المتشابه و يحتمل الاطلاق سدا للباب (فاحذروهم) بفتح الكاف و قيل بالكسر (الذين ساء لهم الله) أهل الزيغ أو زانغين بقوله في قلوبهم زيغ (فاحذروهم) في بعض نسخ المصاييح رأيت بفتح التاء على الخطاب العام و لهذا جمعه في فاحذروهم و في بعضها بكسر التاء على خطاب أم المؤمنين عائشة بيانا لشرها و غزارة علمها كما يقال يا فلان افعلوا كيت و كيت لرئيس القوم اظهارا لشره و تقدمه و منه قوله تعالى يا أيها النبي اذا

متفق عليه و عن عبدالله بن عمرو قال هجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما قال
 قمع اصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال
 انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب

طلتتم النساء اه و تبعه ابن حجر و فيه ان هذا التحقيق يستدعي حضور قوم معها ويمكن ان يحمل خطاب
 الذكر و الجمع على تعظيمها تنزيلا لها منزلة الرجال لكمال عقلها كقوله تعالى وكانت من القانتين و الله
 أعلم قال النووي حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اختلاف يؤدي الى الكفر و البدعة كاختلاف اليهود
 و النصارى و ذلك مثل الاختلاف في نفس القرآن اوفي معنى لا يسوغ الاجتهاد فيه أو فيما يوقع في شك
 و شبهة و فتنة و خصومة و أما الاختلاف لاستنباط فروع في الدين منه و مناظرة أهل العلم فيه على سبيل
 النائدة و اظهار الحق فليس بمنهي عنه بل هو مأمور به و فضيلته ظاهرة و قد أجمع المسلمون عليه من
 عهد الصحابة الى الآن اه و قال ابن حجر هذا بناء على ما عليه الجمهور من الوقف على الجلالة ليفيد ان
 علم المتشابه على حقيقة ما هو عليه مختص بالله تعالى. ولا ينافي هذا جعل ابن عباس و الآخرين الوقف
 على العلم المقيد ان الراسخين فيه يعلمون تاويل المتشابه لانهم و ان علموه لم يدر كوا حقيقته المرادة
 لله تعالى منه و انما علموه بصرف ظاهره عن الله تعالى لاستحالته بلا خلاف بين الفريقين و من ثم اتفق
 السلف و الخلف على تنزيه الله تعالى عن ظواهر المتشابهات المستحيلة على الله تعالى ثم اختلفوا بعد
 فأسك أكثر السلف عن الخوض في تعيين المراد من ذلك المتشابه و فوضوا علمه الى الله تعالى و هذا
 أسلم لان من أول لم يأمن من أن يذكر معنى غير مراد له تعالى فيقع في ورطة التعيين و خطره
 و خاض أكثر الخلف في التأويل لكن غير جازمين بأن هذا مراد الله تعالى من تلك النصوص و انما
 قصدوا بذلك صرف العامة عن اعتقاد ظواهر المتشابه و الرد على المبتدعة المتمسكين بأكثر تلك
 الظواهر الموافقة لاعتقاداتهم الباطلة و قال الشافعي لا يحل تفسير المتشابه الا بسند عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أو خبر عن أحد من الصحابة أو اجماع العلماء (متفق عليه و عن عبدالله بن عمرو) بالواو
 رضى الله عنهما (قال هجرت) بالشديد أى أتيت في الهجرة أى الظهيرة (الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم) قال المظهر التهجير السير في الهجرة و هى وقت شدة الحر و لعل خروجه في هذا الوقت
 ليدركه عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الحجرة فلا يفوته شئ من أقواله و أفعاله و فيه حث على
 تحمل المشقة و الاسراع الى المسجد و طلب العلم (يوما) أى من الايام أو التتوين لاتعظيم (قال)
 أى عبدالله (قسمع) أى النبى صلى الله عليه وسلم من حجرتة (اصوات رجلين) صرح الرضى بأنه اذا
 أضيف الجزآن الى متضمنيهما و كان المتضمنان بلفظ واحد فلفظ الافراد في المضاف أولى من لفظ المثنى
 و لفظ الجمع فيه أولى من الافراد لكن في عد الاصوات أجزاء منها محل نظر و الظاهر ان جمع الاصوات
 على حقيقته فان كل حرف من كلمات الرجلين صوت معتمد على مخرجه و في تفسير الجلالين عند قوله
 تعالى فقد صغت قلوبكما أطلق قلوب على قلوبين و لم يعبر به لاستئصال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة
 الواحدة (اختلفا) صفة رجلين أى تنازعا و اختصما (في آية) أى في معنى آية متشابهة و يحتمل
 أن يكون اختلافهما في لفظها اختلاف قراءة (فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف) على بناء
 المجهول (في وجهه الغضب) الجملة حالية من فاعل خرج و كان عليه الصلاة والسلام لا يغضب لنفسه
 و انما كان يغضب لله فيشتد به ذلك الغضب حتى يرى أثره من حمرة اللون و نحوها في وجهه الكريم
 (فقال انما هلك من كان قبلكم) أى من اليهود و النصارى (باختلافهم في الكتاب) أى المنزل على

رواه مسلم وعن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسئلته متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم

نبههم بان قال كل واحد منهم ماشاء من لقاء نفسه و تقدم في كلام النووي بيان الاختلاف المنبى (رواه مسلم وعن سعد بن أبي وقاص) رضى الله عنه هو من العشرة المبشرة بالجنة يكنى أبا اسحق واسم أبي وقاص مالك بن وهيب الزهرى القرشى أسلم قديما وهو ابن سبع عشرة سنة وقال كنت ثالث الاسلام و أول من رمى بسهم في سبيل الله شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان مجاب الدعوة مشهورا بذلك تخاف دعوته وترجى لاشتهار اجابتها عندهم و ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلل فيه اللهم سدد سهمه وأجب دعوته و جمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزير أبويه فقال لكل واحد منهما فذاك أبي وأمي ولم يقل ذلك لاحد غيرها مات في قصره بالعقيق قريبا من المدينة فحمل على رقاب الرجال الى المدينة و صلى عليه مروان بن الحكم وهو يوسئذ والى المدينة و دفن بالبقيع سنة خمس وخمسين و له بضع و سبعون سنة و هو آخر العشرة موتا و لاه عمر و عثمان الكوفة روى عنه خلق كثير من الصحابة و التابعين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعظم المسلمين في المسلمين) أى في حقهم وجهتهم (جرما) تمييز أى ذنبا و ظلما كما نفيهم قال الطيبى اصله أجم المسلمين فعدل الى أعظم ثم فسر بجرما ليدل على أن الاعظم نفسه جرم (من سأل) أى نبيه (عن شئ) بالتنكير (لم يحرم) بصيغة المجهول من التحريم (على الناس) الجملة صفة شئ بأن يسأل هل هو حرام أم لا (فحرم من أجل مسئلته) أى فحرم ذلك الشئ لاجل سؤاله لانه تعدد في سؤاله اذ أمر بالسكوت ونهى عن النطق فموجب بتحريم ما سأل عنه كذا قاله بعض الشراح و قال الطيبى هذا في حق من سأل عبثا و تكلفا فيما لا حاجة به اليه كمسئلة بنى اسرائيل في شأن البقرة دون من يسأل سؤال حاجة فانه يثاب و احتج بهذا الحديث من قال أصل الاشياء الاباحة قبل ورود الشرع حتى يقوم دليل الحظر و قال ابن الملك لانه ان سكت عليه الصلاة والسلام عن جوابه يكون ردعا لسائله وان أجاب عنه كان تغليظا له فيكون بسببه تغليظا على غيره و انما كان أعظم جرما لتعدى جنايته الى جميع المسلمين بشؤم لجاجه و أما من سأل لاستبانة حكم واجب أو مندوب أو مباح قد خفى عليه فلا يدخل في هذا الوعيد قال تعالى فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (متفق عليه) قيل لفظ في المسلمين ليس للبخارى و كذا لفظ على الناس (و عن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان) أى آخر زمان هذه الامة (دجالون) من الدجل وهو التلبس جمع الدجال وهو كثير المكر والتلبس أى الخداعون يعنى سيكون جماعة يقولون للناس نحن علماء و مشايخ ندعوكم الى الدين و هم (كذابون) في ذلك (يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم) أى يتحدثون بالاحاديث الكاذبة و يبتدعون أحكاما باطلة و اعتقادات فاسدة اه كلام المظهر و يجوز أن تحمل الاحاديث على المشهور عند المحدثين فيكون المراد بها الموضوعات و أن يراد ما بين الناس أى يحدونكم بالذى ما سمعتم عن السلف من علم الكلام قال في شرح السنة اتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدل في الصفات و عن الخوض في علم الكلام و تعلمه قال مالك اياكم و البدع قيل و ما البدع قال أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته و كلامه و علمه و قدرته و لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة و التابعون و لو كان الكلام علما لتكلموا فيه

فأياكم و إياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم رواه مسلم وعنه قال كان أهل الكتاب يقولون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل لنا الآية

كما تكلموا في الأحكام وسئل سفيان الثوري عن الكلام فقال دع الباطل أين أنت من الحق اتبع السنة ودع البدعة وقال وجدت الأمر في الاتباع وقال عليكم بما عليه الجمالون والنساء في البيوت والصبيان في الكتاب من الأقرار والعمل وقال الشافعي لأن يبئلى الرجل بمانهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبئلى بالكلام وقال مرة أخرى لأن ألقى الله بكل ذنب ما خلا الشرك بالله أهون من أن ألقاه بمسئلة في علم الكلام وقال رأيي وحكمي في أهله أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في الأسواق أو في العشائر والقبائل ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة واشتغل بالكلام فان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قول الامام النووي فيما سبق ان علم الكلام من البدعة الواجبة أوجب بأن الوجوب من حيث الضرورة من غلو البدعة والملحدة فيجئذ وجب على المسلمين دفعهم والمحدور جعله صنعة وعادة ولهذا كان تعلم علم الكلام من فروض الكفايات كسائر الصناعات المباحة كذا ذكره الطيبي وقد ألف الامام الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله رسالة في تحريم المنطق والكلام وفيها استيفاء الكلام على وجه التمام (فأياكم) أى ابعادوا أنفسكم عنهم (وإياهم) أى بعدوهم عنكم (لا يضلونكم) استئناف جواب لقاتل لم تبعدهم لئلا يضلوكم فحذف الجار والناصب فعاد الفعل الى الرفع كذا ذكره بعضهم وقال الطيبي كأنه قيل ماذا يكون بعد الحذر فأجيب لا يضلونكم اه قال ابن حجر نظيره قوله تعالى عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم على قراءة الرفع اه وفيه أنه ان أراد بقوله على قراءة الرفع قراءة الجمهور فهو ليس صريحا في المقصود فانه يحتمل الرفع على أنه مستأنف ويؤيده ان قرئى لا يضركم ويحتمل الجزم على الجواب أو النهي والقياس الفتح لكنه ضمت الزاء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم يفتح الراء وان أراد بالرفع أثبات النون فهو غير محفوظ والله أعلم مع أنه من لغة أكلوني البراغيث أو نقول هو خبر في معنى النهي مبالغة فيكون تأكيدا للأمر بالحذر ولا يجوز أن يكون جواب الأمر لوجود النون (ولا يفتنونكم) أى لا يوقعونكم في الفتنة وهى الشرك قال تعالى والفتنة أشد من القتل أو يراد بها عذاب الآخرة قال تعالى ذوقوا نتنتكم (رواه مسلم وعنه) أى عن أبي هريرة (قال كان أهل الكتاب) أى اليهود (يقرون التوراة بالعبرانية) بكسر العين (ويفسرونها) أى يترجمونها (بالعربية لأهل الإسلام) أهم ممن آمن منهم أو ممن غيرهم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا) أى فيما لم يتبين لكم صدقه لاحتمال أن يكون كذبا وهو الظاهر من أحوالهم (أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى لانهم حرفوا كتابهم (ولا تكذبوهم) أى فيما حدثوا من التوراة والانجيل ولم يتبين لكم كذبه لاحتمال ان يكون صدقا وان كان نادرا لان الكذب قد يصدق وفيه اشارة الى التوقف فيما أشكل من الأمور والعلوم فلا يقضى بجواز ولا بطلان وعليه الساف وكانوا يقولون لا أدري فيما يستلون عنه من ذلك ومن ثم قالوا من أخطأ لا أدري أصيبت مقاتله (وقولوا آمنا بالله) أى صدقناه معترفين به أو موافقين به (وما أنزل لنا) من القرآن (الآية) تمامها وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى أى من التوراة والانجيل وهذا محل الشاهد والمقصود رفع النزاع يعنى تؤمن إيماننا اجماليا وما أوتى النبيون من ربهم تعميم بعد تخصيص لا نفرق بين أحد منهم أى في الإيمان

رواه البخارى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع رواه مسلم
وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي الا كان له في أمته
حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون
و يفعلون ما لا يؤمرون

بهم و بكتيهم ونحن له أي لله أو لما أنزل مسلمون أي مطيعون أو متقادون (رواه البخارى وعنه)
أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء) مفعول كفى والباء زائدة (كذبا)
تمييز وهو بفتح الكاف وكسر الذال ويجوز كسر الكاف وسكون الذال وفي رواية إنما بدل كذبا
(أن يحدث) فاعل كفى (بكل ما سمع) يعنى لولم يكن للمرء كذب الاتحديته بكل ما سمع من
غير تيقن أنه صدق أم كذب لكفاه من الكذب أن لا يكون بريئا منه وهذا زجر عن التحديث بشئ
لم يعلم صدقه بل على الرجل أن يبحث في كل ما سمع خصوصا في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ولذا
ورد هذا الحديث في باب الاعتصام (رواه مسلم وعنه ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من نبي) زيادة من لاستغراق النفي وهو يحمل على الغالب لانه جاء في حديث أن نبيا يعنى يوم
القيامة ولم يتبعه من أمته الا واحد (بعثه الله في أمته) وفي نسخة أمة (قبلي) قيل على رواية أمته
بالهاء يتعلق قبلي ببعث أو يكون حالا من أمته وعلى رواية في أمة يكون قبل صفة لامة قال التوربشتي
نحن نروى من كتاب مسلم وغيره في أمة بغيرهاء وفي بعض نسخ المصاييح بالهاء بعد التاء والاول
هو الصواب والامثل في فصيح الكلام قال المؤلف وقد وجدت في كتاب الحميدى والجامع والشارق
بغيرهاء وفي صحيح مسلم كما في المصاييح وقال الظاهر الرواية بالهاء أصح قيل قوله نبي نكرة
و المناسب أن يوقى بأمة نكرة اذ المعنى ما من نبي من الانبياء في أمة من الامم لانتضاء ما النافية ومن
الاستغراقية ذلك ولان قوله (الا كان له من أمته) وفي نسخة صحيحة في أمته عبارة عن النكرة فهو
كالتعريف باللام بعد النكرة (حواريون) بتشديد الباء وخفف في الشواذ أي ناصرون قال الطيبي
حوارى الرجل صفوته وخالصته الذى أخلص ونقى من كل عيب وقيل صاحب سره سمي بذلك لخلوص
نيتته و صفاء طويته من الحور بفتحيتين وهو شدة البياض وقيل الحواري القصار بلفظ النبط وكان
أصحاب عيسى قصارين لانهم يحورون الثياب أي يبيضونها فقلب عليهم الاسم ثم استعير لكل من ينصر
نبيا ويتبع هداة حتى اتباعه تشبيها بأولئك (وأصحاب) يحتمل أن يكون عطفًا تفسيريا وأن يكون
الأصحاب غير الحواريين أعم منهم (يأخذون بسنته) أي بهديه وسيرته (ويقتدون بأمره) أي
يتبعونه في أمره ونهيه (ثم) اما على الحقيقة في التراخي الزماني واما على معنى البعد في العربة
(انها) الضمير للقصة (تخلف) بضم اللام أي تحدث (من بعدهم خلوف) بضم الخاء جمع خلف
بسكون اللام مع فتح الخاء الردى من الاعقاب أو ولد السوء كعدل و عدول قال تعالى فخلف من بعدهم
خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات والخلف بفتحيتين يجمع على أخلاف كما يقال سلف وأسلاف
و هو الصالح منهم (يقولون ما لا يفعلون) وصف الخلوف بانهم متصفون وتمدحون بما ليس
عندهم حيث يقولون فعلنا ما أمرنا ولم يفعلوا شيا من ذلك بل فعلوا ما نهوا عنه وهو المعنى بقوله
(و يفعلون ما لا يؤمرون) وهو إيماء الى قوله تعالى لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا و يجيئون أن
يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وقوله عزوجل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون و أما السلف الصالح فأنهم لما اقتدوا بسنة

فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقباه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل رواه مسلم. وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا

سيد المرسلين وسيرة امام المتقين صلى الله عليه وسلم انخرطوا في سلك الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (فمن جاهدهم) جزاء شرط محذوف أى اذا تقر ذلك فمن حاربهم وأنكر عليهم (بيده فهو) يضم الهاء وتسكن (مؤمن) بالهمزة ويبدل (ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم) أى أنكر عليهم (بقلبه) بأن يغضب عليهم ولو قدر لحاربهم باليد أو باللسان (فهو مؤمن) قيل التنكير في مؤمن للتويع فان الاول دل على كمال الايمان والثالث على نقصانه والثاني على القصد فيه (وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل) هي اسم ليس ومن الايمان صفة قدمت فصارت حالا ووراء ذلك خبره ثم ذهب المظهر الى أن ذلك اشارة الى الايمان في المرتبة الثالثة ويحتمل أن يشاربه الى الايمان في المراتب الثلاث من مراتب الايمان فانه ان لم ينكر بالقلب رضى بالمنكر وهو كثر فتكون هذه الجملة المصدرية بليس معطوفة على الجملة قبلها بكما لها كذا قاله الطيبي والاول هو الظاهر أى وراء الجهاد بالقلب يعنى من لم ينكرهم بالقلب بعد العجز عن جهادهم بيده ولسانه فلم يكن فيه حبة خردل من الايمان لان أدنى مراتب أهل الايمان أن لا يستحسن المعاصى وينكرها بقلبه فان لم يفعل ذلك فقد خرج عن دائرة الايمان ودخل فيمن استحل محارم الله واعتقد بطلان أحكامه (رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى) قال الطيبي الهدى اما الدلالة الموصلة أو مطلق الدلالة والمراد هنا ما يهدى به من الاعمال الصالحة وهو بحسب التنكير شائع في جنس ما يقال هدى فاعظمه هدى من دعا الى الله وعمل صالحا وأذانه هدى من دعا الى اماطة الاذى عن طريق المسلمين (كان له) أى للداعى (من الاجر مثل اجور من تبعه) فعمل بدلالته أو امثله (لا ينقص) يضم الفاق (ذلك) اشارة الى مصدر كان كذا قيل والظاهر انه راجع الى الاجر (من اجورهم شيئا) قال ابن الملك هو مفعول به أو تمييز بناء على أن النقص يأتى لازما ومتعديا اه والظاهر أن يقال ان شيئا مفعول به أى شيئا من اجورهم أو مفعول مطلق أى شيئا من النقص (ومن دعا الى ضلالة) أى من أرشد غيره الى فعل اثم وان قل أو أمره به أو أعانه عليه (كان عليه) وفي نسخة له فاللام للاختصاص أو للمشاكلة من الاثم (مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) قال القاضى أعمال العباد وان لم تكن موجبة للثواب والعقاب الا أن عادة الله سبحانه جرت بربطها بها ارتباطا بالمسببات بالاسباب وفعل العبد ما له تأثير في صدوره بوجه فكما يترتب الثواب والعقاب على ما يشاره يترتب أيضا على ما هو مسبب عن فعله كالأشارة اليه والحث عليه ولما كانت الجهة التى استوجب بها المسبب الاجر غير الجهة التى استوجب بها المباشر لم ينقص أجره من أجره شيئا اه وبهذا يعلم أن له صلى الله عليه وسلم من مضاعفة الثواب بحسب تضاعف أعمال أمته مما لا يعد ولا يعد وكذا السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وكذا بقية السلف بالنسبة الى الخفاف وكذا العلماء المجتهدون بالنسبة الى اتباعهم وبه يعرف فضل المتقدمين على المتأخرين في كل طبقة وحين قال ابن حجر تنبيه لوثاب الداعى للآثم وبقي العمل به فهل ينقطع اثم بدلالته بتوبته لان التوبة تجب ما قبلها ولا لان شرطها رد الظلامة والاتقال وما دام العمل بدلالته موجودا فالفعل منسوب اليه فكأنه لم يرد ولم يقل كل محتمل ولم أر

رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ الاسلام غربيا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء
رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى
جحرها متفق عليه وسذكر حديث أبي هريرة ذروني ما تركتكم في كتاب المناسك وحديثي معاوية
وجابر لايزال من أمي أو لايزال طائفة من أمي في باب ثواب هذه الامة ان شاء الله تعالى

في ذلك نقلا والمتدح الآن الثاني اه والاطهر الاول والايلزم أن نقول بعدم صحة تويته وهذا لم يقل
به أحد ثم رد المظالم مقيدا بالممكن واقلاع كل شئ بحسبه حتما وأيضا استمرار ثواب الاتباع سبى على
استدامة رضا المتبوع به فاذا تاب وندم انقطع كما أن الداعي الى الهدى ان وقع في الردى نعوذ بالله
منه انقطع ثواب المتابعة له وأيضا كان كثير من الكفار دعاة الى الضلالة وقبل منهم الاسلام لما
أن الاسلام يجب ما قبله فالتوبة كذلك بل أقوى فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (رواه مسلم
وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ الاسلام غربيا) في الازهار بدأ بلاهزمة
أي ظهر لكن قال النووي ضبطناه بالهزمة من الابتداء كذا نقله الابهري وفي شرح الطيبي قال
يحيى السنة بدأ بالهزمة من الابتداء كذا ضبطناه قال التوريشي يريد أن الاسلام لما بدأ في أول الوهلة نهض
باقامته والذب عنه ناس قليلون من الصحابة فشردهم عن البلاد فأصبحوا غرباء أو فيصبح أحدهم معتزلا
مهجورا كالغرباء ثم يعود آخرا الى ما كان عليه لا يكاد يوجد من القائلين به الا الافراد وهذا معنى قوله
(وسيعود) أي في آخر الزمان (كما بدأ) ويحتمل أن تكون المعاملة بين الحالة الأولى والاخيرة نقله
من كانوا يتدينون به في الاول وقلة من كانوا يعملون به في الآخر (فطوبى للغرباء) المتشبهين بذيله
يعنى المسلمين الذين في أوله وآخره لصبرهم على الأذى وقيل المراد بالغرباء المهاجرون الذين
هجروا الى الله والاطهر أنهم هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعده من سنته كما ورد مقسرا في
الحديث الآتي للترمذي قال الطيبي اما أن يستعار الاسلام للمسلمين والغربة هي القرينة فيرجع معنى
الوحدة والوحشة الى نفس المسلمين واما أن يجرى الاسلام على الحقيقة فالكلام على التشبيه والوحشة
باعتبار ضعف الاسلام وقلته فعلى هذا غربيا اما حال أي بدأ الاسلام مشابها للغريب أو مقعولا مطلقا
أي ظهور الغرباء فريدا وحيدا لا مأوى له حتى تبوأ دار الايمان أعنى طيبة فطوبى له وطاب عيشا ثم أتم الله
نوره في المشارق والمغرب فيعود آخر الأمر وحيدا شريدا الى طيبة كما بدأ فطوبى له ولهفي عليه كما
ورد الايمان ليأرز اه (رواه مسلم وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الايمان
ليأرز) بالكسر عند الأكثر وروى بالفتح وحكى بالضم (الى المدينة) أي ياوى ويتنضم ويتقبض
ويتلجج اليها (كما تأرز الحية الى جحرها) أي تهبس من أرزت الحية الى جحرها اذا رجعت الى ذنبها
القهقري قبل هي أشد قرارا وانضماما من غيرها فلهدا شبه بها والمراد أن أهل الايمان يفرون بايمانهم
الى المدينة ونفاية بها عليه أولاتها ووطنه الذي ظهر وقوى بها وهذا اجبا عن آخر الزمان حين يقل الاسلام
وقيل هذا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لاجتماع الصحابة في ذلك الزمان فيها أو المراد بالمدينة جميع
الشام فانها من الشام خصت بالذكر لشرفها وقيل المراد المدينة وجوانبها وحواليها ليحمل مكة فيوافق
رواية الحجاز وهذا أظهر والله أعلم (متفق عليه وسذكر حديث أبي هريرة ذروني ما تركتكم) أي الى آخره
(في كتاب المناسك) متعلق بقوله سذكر (وحديثي معاوية) بالنصب عطف على حديث أبي هريرة
(وجابر) عطف على معاوية (لايزال من أمي) أي أحدهما أوله هذا (و) الآخر (لايزال) بالياء أو التاء
(طائفة من أمي) كلاهما (في باب ثواب هذه الامة ان شاء الله تعالى) وهو اعتذار متضمن لاعتراض تأمل

* (الفصل الثاني) * عن ربيعة الجرشي قال أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقيل له لتتم عينك ولتسمع أذنك وليقتل قلبك قال فنامت عيني وسمعت أذناي وعقل قلبي قال فقيل لى سيد بنى دارا فصنع فيها مادبة وأرسل داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المادبة ورضى عنه السيد ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المادبة وسخط عليه السيد قال فأنه السيد ومجد الداعي والدار الاسلام والمادبة الجنة

* (الفصل الثاني) * (عن ربيعة) هو ابن عمرو (الجرشي) بضم الجيم وفتح الراء المهملة ناحية من اليمن وقد سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ابن أبي حاتم انه ليس له صحبة كذا في الاستيعاب وذكره المصنف في الصحابة (رضى الله عنه قال أتى) على صيغة المجهول (نبي الله صلى الله عليه وسلم) أى أنه أتى (فقيل له) أى للنبي (لتتم عينك ولتسمع) بسكون اللام وكسرهما (أذنك) بضم الذال وسكونها (وليقتل قلبك) قال المظهر أى أتى ملك اليه وقال له ذلك ومعناه لا تنظر بعينك الى شئ ولا تمص باذنك الى شئ ولا تجر شئاً في قلبك أى كن حاضراً حضوراً تاماً لفهم هذا المثل (قال فنامت عيني) بالانفراد وفي نسخة عيناى (وسمعت أذناي وعقل قلبي) يعنى فاجابه بانى قد فعلت ذلك قيل الاوامر الثلاثة واردة على الجوارح ظاهراً وهى فى الحقيقة له عليه الصلاة والسلام بان يجمع بين هذه الخلال الثلاث نوم العين وحضور السمع والقلب وعلى هذا جوابه بقوله فنامت أى استتلت لما أمرت به ويجوز أن لا يكون ثمة قول ولا جواب كما قال تعالى انثيا طوعاً أو كرها قالنا آتينا طائعين وقال تعالى اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين الكشاف اخطر ببالك النظر فى الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال أسلمت فنظر فعرف والمعنى فى الحديث أن الله تعالى أراد أن يجمع فيه صلى الله عليه وسلم المعاني فاجتمعت فيه كذا حرره الطيبي ورده ابن حجر بانه لامع من حمله على ظاهره بان يركب فى الجماد عقل ويخاطب ويكون معنى أسلم استسلم لامرى استسلاماً يليق بخلتك وجعل النوم على حقيقته والمراد بالامر به الاخبار عنه أى أنت نائم سامع واع لان الملك انما جاءه وهو نائم فقال له ذلك أقول الاظهر ان الامر للاستمرار فى الكل قال ويؤخذ منه أن نوم الانبياء كما لا يستولى على قلوبهم لا يستولى على أسماعهم وكان فى وجهه أن نومهم انما يستولى على ظواهر أبدانهم ومنها العين دون اللطيفة التى تسمع لانها فى جوف الرأس فهى فى حكم الباطن كالقلب اه والظاهر أن السماع الباطنى غير مسلوب عنه بالنوم فانه من أحوال القلب وأما السماع الظاهرى فموقوف على السماع لانه من أحكام الظاهر والله أعلم بالسرائر (قال) عليه الصلاة والسلام (فقيل لى) أى بطريق المثل من جهة الملك (سيد) أى سيد عظيم الشأن كثير الاحسان خير مبتدأ محذوف يعنى هو وقوله (بنى دارا) صفة أى مثل سيد بنى دارا ويجوز أن يكون مبتدأ وبنى خبره والتونين للتعظيم أو سوغه كونه فاعلاً معنى (فصنع مادبة) بضم الدال وقيل بالفتح أى طعاماً (و أرسل داعياً) يدعو الناس الى الطعام (فمن أجاب الداعي دخل الدار) بالاكرام (و أكل من المادبة) على وجه الانعام (و رضى عنه السيد) بسبب الاجابة واللام للعهد (و من لم يجب الداعي) تكبراً و عناداً أو جهلاً واستبعاداً (لم يدخل الدار) بل طرد من الباب (ولم يأكل من المادبة) بل عذب بالحجاب (و سخط عليه السيد) فترتب عليه أنواع العذاب قيل السخط فوق الغضب والمقت فوق السخط (قال) أى النبي صلى الله عليه وسلم أو الملك والاول هو الاظهر والتقدير ان أردت بيان هذا المثال (فأنه السيد) أى الباقى المرسل وفيه جواز اطلاق السيد عليه تعالى (و مجد الداعي والدار الاسلام والمادبة الجنة) كان مقتضى ظاهر مقام التفسير والتأويل أن يجعل المذكورات فى التمثيل كلها مبتدآت ويخبر عنها بالصفات المتميزات ولعل

رواه الدارمی و عن أبي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقين أحدكم مبتكنا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه رواه أحمد وأبو داود و الترمذی و ابن ماجه و البيهقي في دلائل النبوة و عن المقدم

وجه تغير الاسلوب ان الله و هذا علمان و العلم لكونه أعرف من المعروف باللام أولى بان يكون محكوما عليه و يقرب منه ما ذكره أهل المعاني في الفرق بين زيد أخوك و عمرو المنطلق و عكسهما حيث قالوا و الضابط في التقديم انه اذا كان للشئ صفتان من صفات التعريف و عرف السامع اتصافه باحدهما دون الاخرى فإيهما كان بحيث يعرف السامع اتصاف الذات به و هو كالطالب بحسب زعمك ان تحكم عليه بالاخرى يجب أن تقدم اللفظ الدال عليه و تجعل مبتداً و إيهما كان بحيث يجهل اتصاف الذات به و هو كالطالب ان تحكم بشيئته للذات أو انتفائه عنه يجب أن يؤخر اللفظ الدال عليه فتجعله خبراً فان قلت كيف شبه في الحديث السابق الجنة بالدار و في هذا الحديث الاسلام بالدار و جعل الجنة مادة أجيبت بانه لما كان الاسلام سبباً لدخولها اكتفى في ذلك بالسبب عن السبب و لما كانت الدعوة الى الجنة لانتم بالالدعوة الى الاسلام وضع كل منهما مقام الآخر و لما كان نعيم الجنة و يهيجتها هو المطلوب الاصلى جعل الجنة نفس المادة مبالغة كذا حققه الطيبي قال ابن الملك و هذا يؤذن بان الاسلام أوسع من الجنة قلت هو كذلك و يشير اليه حديث ما وسعني أرضي و ولا سمائي و لكن يسعني قلب عبدي المؤمن (رواه الدارمی و عن أبي رافع) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه أسلم و غلبت عليه كنيته كان قبطياً و كان للعباس فوجهه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبي عليه السلام بالسلام عباس أعقته و كان اسلامه قبل بدر روى عنه خلق كثير مات قبل قتل عثمان يسير رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقين) بالنون المؤكدة من الالف أى لا أجدن (أحدكم) و هو كقولك لا أريك ههنا نهي نفسه أن تراه على هذه الحالة و المراد نهيهم عن تلك الحالة على سبيل المبالغة (متكنا) حال أو مفعول ثان (على أريكته) أى سريره المزين بالحلل و الاثواب في قبة أو بيت كما للعروس يعنى الذى لزم البيت و قدع عن طلب العلم قيل المراد بهذه الصفة الترفه و الدعة كما هو عادة التكبر المتعجب القليل الاهتمام بأمر الدين (يأتيه الأمر) أى الشأن من شؤون الدين و قيل اللام زائدة (من أمرى) بيان الأمر أو معناه أمر من أمرى أى الشأن من شؤونى (مما أمرت به) بدل من أمرى (أو نهيت عنه) عطف عليه لان الشأن أعم من الأمر (فيقول) مرتب على يأتيه و الجملة كما هي حال أخرى من المفعول و يكون النهي منصبا على المجموع لا على ألقين أحدكم و الحال انه متكنا و يأتيه الأمر فيقول (لا أدري) أى لا أعلم غير القرآن ولا أتبع غيره و لا أدري قول الرسول (ما وجدنا) ما موصولة أو موصوفة (في كتاب الله) أى القرآن (اتبعناه) يعنى و ما وجدناه في غيره لاتبعنا أى و هذا الأمر الذى أمر به عليه الصلاة والسلام أو نهي عنه لم نجد في كتاب الله فلاتبعنا و المعنى لا يجوز الاعراض عن حديثه عليه الصلاة والسلام لان المعرض عنه معرض عن القرآن قال تعالى و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و قال تعالى و ما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى و أخرج الدارمی عن يحيى بن كثير قال كان جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن كذا في الدرثم من قال بانه عليه الصلاة والسلام كان مجتهدا ينزل اجتهاده منزلة الوحي لانه لا يخطئ و اذا أخطأ ينبه عليه بخلاف غيره (رواه أحمد و أبو داود و الترمذی و ابن ماجه و البيهقي في دلائل النبوة) الجار متعلق بالبيهقي باعتبار متعلقه المقدر (و عن المقدم) آخره ميم كاوله و هو أبو كريمة على الأشهر و هو كندى يعد في أهل الشام و حديثه فيهم روى عنه خلق كثير مات بالشام

ابن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أتى أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شعبان على أركبته يقول عليكم بهم القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما حرم رسول الله كما حرم الله

سنة سبع وثمانين وله احدى وتسعون سنة ذكره المؤلف في الصحابة (ابن معديكرب) بفتح الكاف وكسر الراء و أما الباء فيجوز كسرهما مع التنوين على الاضافة ويجوز فتحه على البناء كذا في تهذيب الاسماء والثاني هو الصحيح من النسخ (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا) حرف تنبيه أى أنبهكم فتنبهوا (انى أوتيت) أى أتانى الله (القرآن ومثله) أى أعطيت القرآن ومثل القرآن حال كونه منضما (معه) وهو يحتمل تأويلين أحدهما انه أوتى من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر والثاني انه أوتى الكتاب وحيا وأوتى من التأويل مثله أى أذن له أن يبين في الكتاب فيعمم ويخصم ويزيد وينقص فيكون ذلك في وجوب العمل ولزوم قبوله كالأظاهر المتلو من القرآن يعنى أوتيت القرآن واحكاما ومواظف وأمثالا تماثل القرآن في كونها واجبة القبول أو في المقدار (ألا) في تكرير كلمة التنبيه توييح وتقرع نشأ من غضب عظيم على من ترك السنة والعمل بالحديث استغناء بالكتاب فكيف بمن رجع الرأى على الحديث كذا ذكره الطيبى ولذا رجع الامام الاعظم الحديث ولو ضعيفا على الرأى ولو قويا (يوشك) بكسر الشين والفتح لغة رديئة أى يقرب (رجل شعبان) بالضم من غير تنوين قال القاضى انما وصفه بالشيع لان الحامل له على هذا القول اما البلادة وسوء الفهم ومن أسبابه الشيع وكثرة الأكل واما الحماقة والبطر ومن موجباته التعمم والغرور بالمال والجاه والشيع يكنى به عن ذلك (على أركبته) أى متكنا أو جالسا عليها وفيه تأكيد لحماقة القائل وبطره وسوء أدبه قال الأبهري المتكئى القاعد المتقوى على وطء متمكنا والعامة لاتعرف المتكئى الا من مال في قعوده معتمدا على أحد شقيه اه ولا شك أن الاتكاء عام في اللغة شامل لكلام الخاصة والعامه والمقام يخصه ولذا قال صاحب القاموس فقوله عليه الصلاة والسلام أما أنا فلا أكل متكنا أى جالسا جلوس المتمكن المترع ونحوه من الهيئات المستعدية لكثرة الأكل بل كان جلوسه للأكل مستوفزا مقعيا غير مترع ولا متمكن وليس المراد على شق كما يظنه عوام الطلبة اه ولا يخفى ان مقامنا يقتضى الميل الى أحد الشقين الناشئ عن التكبر وفيه إيماه الى أن من كثر أكله لا يقدر على استمساك نفسه ويمكن أن يكون قوله شعبان كناية عن غروره بكثرة علمه وادعائه ان لاسزيد على فضله وفيه اشارة الى أن السالك ينبغي أن يكون دائما حريصا في طلب العلم كالجميعان في طلب الرزق قال تعالى وقل رب زدنى علما وقال عليه الصلاة والسلام منهومان لا يشيعان طالب العلم وطالب الدنيا وفيه دلالة على المباينة بينهما (يقول) أى لأصحابه وهو خبر يوشك (عليكم بهذا القرآن) أى الزموه واعملوا به ولا تلتفتوا الى غيره (فما وجدتم فيه) أى في القرآن (من حلال) بيان لما (فأحلوه) أى اعتقدوه حلالا أو احكموا بانه حلال واستعملوه (وما وجدتم فيه من حرام فحرموه) أى اجتنبهوا أو انسبوه الى الحرام اعتقادا وحكما قال الخطابي ذكره ردا على ماذهب اليه الخوارج وأصحاب الظواهر فانهم تعلقوا بظواهر القرآن وتركوا السنة التى تضمنت بيان القرآن فتجروا وضلوا (وان) هذا ابتداء الكلام من النبى صلى الله عليه وسلم والواو للحال وفيه التفات ويحتمل أن يكون من كلام الراوى وهو بعيد (ما حرم) قال الأبهري ما موصولة معنى مفصولة لفظا أى الذى حرمه (رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى في غير القرآن (كما حرم الله) أى في القرآن وفي الإقتصار على التحريم من غير ذكر التحليل اشارة الى ان الاصل في الاشياء

اللايحل لكم الحمار الاهلي و لا يذئ ذئب من السباع و لا لقطعة معاهد الا أن يستغنى عنها صاحبها و من نزل يقوم فعليهم أن يقروه فان لم يقروه فله أن يعقيمهم بمثل قراه

اباحتها و قال ابن حجر أى ما حرم و أحل رسول الله كما حرم و أحل الله و سياتى الكلام عليه (اللايحل لكم الحمار) شروع في بيان ما ثبت بالسنة و ليس له أثر في الكتاب على سبيل التمثيل للتحديد كذا قاله الطيبي و قوله ليس له أثر أى أثر ظاهر و الا فى آية و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينة الاثر موجود و لكنه خفى دقيق أدركه أبو حنيفة و كره لحم الخيل أيضا و الله أعلم (الاهلي) التخصيص بالصفة لنفى عموم الحكم لان البرى حلال (ولا كل ذئب من السباع) أى سباع الوحوش كالاسد و الذئب أو ذئ مخلب من الطيور كما في حديث آخر لانها من الخيائث و قد قال تعال و يحرم عليهم الخيائث (ولا لقطعة) بضم اللام و فتح الفاء ما يلتقط ما ضاع من شخص يسقط أو غفلة (معاهد) أى كافر بينه و بين المسلمين عهد بامان في تجارة أو رسالة كذا قاله ابن الملك و في معناه الذمى (الا أن يستغنى عنها صاحبها) أى يتركها لمن أخذها استغناء عنها بأن كانت شيئا حقيقيا يعلم أن صاحبه لا يطلبه كالنواة و قشر الرمان و نحوها فيجوز الانتفاع به و هذا تخصيص بالاضافة و يثبت الحكم في لقطعة المسلم بطريق الاولى كذا قاله ابن الملك و يمكن أن يكون وجه التخصيص الاهتمام بشأن المعاهد لعهد لان النفس ربما تتساهل في لقطته لكونه كافرا و لانه بعيد عن المسامحة بخلاف المسلم و الله أعلم قال ابن حجر و هذه يمكن أخذها من عموم قوله تعالى لهما ما كسبت اذ الالتقاط اكتساب فاللقطة من الكسب و من ثم صرح النووي في شرح مسلم بأن من تملك لقطعة بشروطها لا يحاسب عليها لانها من كسبه بخلاف الديون اه و الظاهر أنها مأخوذة من قوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم فان قوله تعالى لهما ما كسبت و عليها ما اكتسبت انما هى في الاعمال من الطاعة و المعصية على ما عليه المفسرون من ان اللام للمنعفة و على للمضرة مع عدم ملاءمته لقوله اذ الالتقاط اكتساب و اللقطعة من الكسب (و من نزل يقوم) أخرجه من سياق المنهيات حيث لم يقل ولايحل للمعصية أن لا يكرم ضيفه و ابرزه في معرض الشرط و الجزء دلالة على انه ليس بمحرم و لكن خارج من سمت أهل الرواة و هدى أهل الايمان ويستأهل صاحبه أن يخذل ويستهنج فعله و يجازى بكل قبيح و المعنى من استضاف قوما (فعليهم) أى على القوم (أن يقروه) بفتح الياء و ضم الراء أى يضيفوه من قرية الضيف قرى بالكسر و القصر و قراه بالفتح و المد اذا أحسنت اليه قال الاشراف أى سته و استحبابا لان قرى الضيف غير واجب قطعا لحديث الاعرابي هل على غيرهن قال لا الا أن تطوع اه و قيل واجب لان كلمة على للوجوب و هو مذهب أحمد و أجاب عنه الاكثرون القائلون بندب الاضافة لقوله عليه الصلاة و السلام في الحديث الصحيح لايحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس و لقوله عزوجل لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم بأن هذا الحديث معمول على المضطر فانه يجب اطعامه اجماعا و قيل هذا كان في بدء الاسلام فانه عليه الصلاة والسلام كان يبعث الجيوش الى الغزوة و كانوا يعمرون في طريقهم باختيار العرب ليس هناك سوق يشترون منه الطعام و لا معهم زاد فاوجب عليهم ضيافتهم لئلا ينقطعوا عن الغزوة فلما قوى الاسلام و غلبت الشفقة و الرحمة على الناس نسخ الوجوب و بقى الجواز و الاستحباب (فان لم يقروه فله) أى لتنازل (أن يعقيمهم) من الاعقاب بأن يتبعهم و يجازيهم من ضيعه يقال عقبه بطاعته اذا جازاه و روى بالشديد و في نسخة بفتح الياء و ضم الفاء (بمثل قراه) بالكسر و القصر لا غير قال في نهاية الجزرى أى فله

رواه أبو داود و روى الدارمی نحوه و كذا ابن ماجه الى قوله كما حرم الله و عن العرباض بن سارية قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعسب أحدكم متكئا على أريكته يظن أن الله لم يحرم شيئا الا ما في هذا القرآن الا واني و الله قد أمرت و وعظت و نهيت

أن يأخذ منهم عوضا عما حرموه من القرى يقال عقبهم مشددا و مخففا و أعقبهم اذا أخذ منهم عتبي و عقبة و هو أن يأخذ منهم بدلا عما قاته و هذا في المضطر أو منسوخ و يؤيده حديث العرباض الآتي و ان الله لم يجعل لكم الى قوله اذا أعطوكم الذي عليهم و قيل للضيف أن يأخذ من الذين نزل بهم من أهل الذمة من سكان البادية اذا وضع عليهم الامام ضيافة المسلم المار بهم بقدر ضيافته بأى وجه يقدر فقرا أو خفية و يحتمل أن الامر بأخذ مقدار القرى من مال المنزول به كان من جملة العقوبات التي نسخت بوجود الزكاة و يرد بان النسخ لا يثبت بالاحتمال و قال ابن حجر فان قلت انما ذكر صلى الله عليه وسلم ما حرمه فإين ما أحله قلت قد ذكره أيضا بالنص حيث قال الا أن يستغنى عنها صاحبها و قال فله أن يعقبهم الخ و عجيب من الطبيي حيث استشكل ذلك ثم أجاب عنه بما لا يدفعه مع ما فيه من النظر و هو أن الاصل في الاشياء الاباحة الا ما خصه الدليل لقوله تعالى خلق لكم ماني الارض جميعا فخصت منها اشياء بنص التنزيل و بقي ما عداها في معرض التعليل و خص منها بنص الحديث بعض بقى سائرهما على أصل الاباحة فكانه عليه الصلاة والسلام نص على تحليلها فلا يزيد ولا ينقص اه و كلام الطبيي كالمسك لان الاستثناء لا يدل على التعليل الابتدائي نصابا بل فيه اشارة الى علة التحريم في المستثنى منه و هو احتياج الناس الى ما في أيديهم و أما قوله فله أن يعقبهم فترجع على مخالفتهم في قبول الامر الواجب و مجازاة لهم بل في الحقيقة اجازة لان يأخذ حقه بيد القوة منهم فإين هذا من التعليل الذي هو جعل الشئ الحرام حلالا مع أن الجمهور على أن هذا مختص بالمضطر فيكون من باب الاباحة المعلوم من قوله تعالى الا ما اضطررتهم اليه فكيف يقال انه تحليل مختص بالحديث مع نصه في الكتاب القديم (رواه أبو داود) و الترمذى بهذا اللفظ (و روى الدارمی نحوه) بالمعنى (و كذا) روى نحوه (ابن ماجه) لكن (الى قوله كما حرم الله و عن العرباض) بكسر العين و هو من أصحاب الصفة البكائين المشتاقين الى الله تعالى يقول في دعائه كبرت سنى و وهن عظمى فاقبضنى اليك (ابن سارية) يكنى أبا نعيم يفتح النون و كسر الجيم و بالحاء المعهلة سكن الشام و مات بها سنة خمس و سبعين روى عنه أبو اسامة و جماعة من التابعين و مروياته أحد و ثلاثون حديثا (قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى خطيبا أو خطب (فقال أيعسب) بكسر السين و فتحها أى أيعظن (أحدكم) حال كونه (متكئا على أريكته يظن) قال الاشراف بدل من يحسب بدل الفعل من الفعل أى لليبان و التفسير و قال الطبيي و يجوز أن يكون التكرار للتأكيد كما في قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الى قوله فلا تحسبنهم بمغازة من العذاب (ان الله لم يحرم شيئا الا ما في هذا القرآن) أى العظيم الشأن الكثير البيان (ألا) للتنبيه (واني) الواو للحال (والله قد أمرت و وعظت و نهيت) فيه ثلاث تأكيدات قال الطبيي الواو هنا بمنزلة الواو في وانما في الحديث السابق لان الهمزة للانكار أى همزة أيعسب و وهم ابن حجر حيث قال فالهمزة في أيعسب للانكار و كذا في ألا و حرف التنبيه مقم الخ مع مناقضته لقوله السابق من أن ألا للتنبيه مركبة من همزة الاستفهام و لا النافية تفيد تحقق ما بعدها و من ثم صدرت بما يصدر به جواب القسم و مثلها اما اه و وقع في أما فيما تقدم كما وقع هنا في ألا نعم أهل هذه الهمزة للانكار لانها اذا دخلت على النفي أفادت التحقيق على ما صرح به

عن أشياء انما لمثل القرآن أو أكثر وان الله لم يجعل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب الا باذن ولاخرب
نساءهم ولا أكل ثمارهم اذا أعطوكم الذي عليهم رواه

صاحب القاموس لكنها غير قابلة للانفصال فتأمل فانه مزية للرجال والمعنى أيجب أحدكم ان الله تعالى حصر المحرمات في القرآن والحال اني قد حرمت فاتجم حرف التنبيه المتضمن للانكار بين الحال وعاملها كما أتجم حرف الانكار بين المبتدأ والخير في قوله تعالى آمن حق عليه كلمة العذاب أفادت تنقذ من في النارجاء الهمزة مؤكدة معادة بين المبتدأ المتضمن للشرط وبين الخير ذكره الزجاج (عن أشياء) متعلق بالنهي فحسب ومتعلق الامر والموعظة محذوف أي باشياء (انها) أي الاشياء المأمورة والمنهية على لسانى بالوحي الخفى قال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (لمثل القرآن) في المقدار (أو أكثر) أي بل أكثر قال المظهر أوفى قوله أو أكثر ليس للشك بل انه عليه الصلاة والسلام لا يزال يزداد علما طورا بعد طور والهاما من قبل الله ومكشفة لحظة فليحظة فكوشف له أن ما أوتى من الاحكام غير القرآن مثله ثم كوشف له بالزيادة متصلا به ذكره الابهري وفيه تأمل وقد يستشكل هذا بقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئى بناء على بقاءه على عمومه أي فيما يحتاج اليه في الدين ويجاب بان نسبة هذا اليه صلى الله عليه وسلم انما هو لكونه الذى استنبطه واستخرجه من القرآن ولذا قال الشافعى كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما قيمه من التران ثم أخرج ما يؤيده وهو قوله صلى الله عليه وسلم انى لا أحل الا ما أحل الله في كتابه ولا أحرم الا ما حرم الله في كتابه وقال جميع ما تقوله الائمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال ما نزل باحد من الدين نازلة الا وحي في كتاب الله تعالى وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود اذا حدثتكم بحدیث أنبأكم بتصديقه من كتاب الله وعن ابن جبير ما بلغنى حدیث على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله تعالى (وان الله لم يجعل لكم) من الاحلال (ان تدخلوا بيوت) بكسر الباء وضما (أهل الكتاب) يعنى أهل الذمة الذين قبلوا الجزية (الا باذن) كذا في أصل السيد جمال الدين وليس فيه غيره وفي بعض النسخ المصححة الا باذنتهم أي الا ان يأذنوا لكم بالطوع والرغبة كما لا يجعل لكم أن تدخلوا بيوت المسلمين بغير اذنتهم (ولا ضرب نساءهم) يريد الضرب المعروف بالخشب يعنى لا يجوز أن تضربوا نساءهم محللات لكم كنساء أهل الحرب (ولا أكل ثمارهم) أي بالقهر من بسايتهم فضلا عن بقة أموالهم (اذا أعطوكم الذى عليهم) أي من الجزية والحاصل عدم التعرض لهم بإيذائهم في المسكن والاهل والمال اذا أعطوا الجزية واذا أبوا عنها انتقضت ذمتهم وحل دمهم ومالهم ونساءهم وصاروا كاهل الحرب في قول صحيح كذا ذكره ابن الملك قال الطيبي وانما وضع قوله الذى عليهم موضع الجزية ليوذن بفحامة العلة وبأن عدم التعرض معلل باداء ما عليهم ولو صرح بها لم يفخهاه والظاهر أن الذى عليهم أعم من الجزية فان من جملة ما عليهم أن لا يحدثوا بيعة ولا كسبية في دارنا وأن يتميزوا في زيهم ومركبهم وسرجهم وسلاحهم فلا يركبوا خيلا ولا يلبسوا ما يخص أهل العلم والزهدي والشرف ويركبوا على سرج كالكاف وغيرها مما هو مقرر في كتب الفقه فلا وجه لتخصيص الذى عليهم بالجزية فقط كما لا يخفى غايته أنه وضع اعطوا موضع فعلوا تغليا لجانب الجزية فانها معظم ما عليهم (رواه) كذا في أصل المشكاة بعد قوله رواه وسببه تقدم في الخطبة فالحق ميرك شاه في هذا المحل وقال رواه أبو داؤد وفي امتاده أشعت بن شعبة المصيصي تكلم فيه اه

وعنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كان هذه موعظة نودع فإوصنا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا

وهو بكسر الميم وتشديد المهملة الأولى نسبة الى بلد بالشام (وعنه) أى عن العرابض (قال صلى بنا) أى امانا لنا (رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم) أقدم ذات لدفع المجاز أى نهاها (ثم أقبل علينا بوجهه) تأكيد (فوعظنا) بفتح الظاء أى نصحن رسول الله صلى الله عليه وسلم (موعظة) وهى ما يوعظ به (بليغة) أى تامة فى الانذار قال السيد جمال الدين أى وجيزة اللفظ كثيرة المعنى أو بالغ فيها بالانذار والتخويف اه وقال التوربشتى أى بالغ فيها الانذار والتخويف كقوله تعالى وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا وليس المراد وجازة اللفظ وكثرة المعنى مع البيان كما قاله القاضى لان قوله ذرفت منها العيون يدل عليه اه وفيه أنه لا يلزم من ارادة وجازة اللفظ عدم افادة الانذار الذى سبب البكاء والله أعلم (ذرفت) بفتح الراء أى دامت (منها العيون) أى سالت من موعظته وسوع العيون بضم العين وكسرهما كقوله تعالى ترى أعينهم تفيض من الدمع (ووجلت) بكسر الجيم والوجل خوف مع العذر أى خافت (منها القلوب) لتأثيرها فى النفوس واستيلاء سلطان الخشية على القلوب قال الطبي ذرفت أى سالت واستاده الى العيون مبالغة وفائدة تقديم ذرفت على وجلت وحقه التأخير للإشعار بأن تلك الموعظة أثرت فيهم وأخذت بجماعهم ظاهرا وباطنا اه وتبعه ابن حجر ولا يخفى أن العلة المذكورة انما هى للجمع بينهما لا للتأخير ويمكن أن يقال وجهه أن الظاهر عنوان الباطن ويستدل بالدمعة على الخشية وان كانت هى موجبة للدمعة والله أعلم (فقال رجل) و فى الاربعين قلنا (يا رسول الله كان) بالتشديد (هذه) أى هذه الموعظة و فى الاربعين كانها (موعظة مودع) بالاضافة فان المودع بكسر الدال عند الوداع لا يترك شيئا مما بهم المودع بفتح الدال أى كانك تودعنا بها لمارأى من مبالغته عليه الصلاة والسلام فى الموعظة ويمكن أن يقال لما رأى تأثيرا عجيبا من موعظته فى الظاهر والباطن بحيث أدى الى البكاء فشبّه موعظته بموعظة المودع من حيث التأثير والبكاء أو لكمال التأثير توهموا أنه يعقبه الزوال والله أعلم بحقيقة الحال (فاوصنا) أى اذا كان الامر كذلك فمرنا بما فيه كمال صلاحنا وارشادنا فى معاشنا ومعادنا بعد وفاتك (فقال أوصيكم بتقوى الله) أى بمخافته والحذر من معصيته قال تعالى ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن أتوا الله أى باقسامها الثلاثة وهى تقوى الشرك والمعصية وتقوى ما سوا الله وهذا من جوامع الكلم لان التقوى امثال المأمورات واجتناب المنهيات وهى زاد الآخرة تنجيكم من العذاب الابدى وتبلغكم الى دار السرور وتوجب الوصول الى عتبة الجلال والقدس والنور

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولا قيت بعد الموت من قد تزودا

تدمت على أن لا تكون كمثلته * وانك لم ترصد كما كان أرضدا

وهذا فيما بينهم وبين الله (والسمع) أى وبسمع كلام الخليفة والائمة (والطاعة) لمن يلى أمركم من الأمراء ما لم يأمروا بمعصية عادلا كان أو جائرا والافلاسمع ولاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق لكن لا يجوز محاربهته (وان كان) أى المطاع يعنى من ولاة الامام عليكم (عبدا حبشيا) فاطيعوه ولا تنظروا الى نسبة بل اتبعوه على حسبه ولفظ الاربعين وان تأمر عليكم عيد أى صار أميرا أدنى الخلق فلا تستنكفوا عن طاعته أو ولو استولى عليكم عبد حبشى فاطيعوه مخافة اثاره الفتن فليعلمكم

فانه من يعيش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بستی و سنة الخلفاء الراشدين المهديين

بالصبر و المداراة حتى يأتي أمر الله و قيل هذا وارد على سبيل الحث و المبالغة على طاعة الحكام لا التحقيق كما قال عليه الصلاة والسلام من نبى لله سجدا و لو مغل مفحص قطاة نبى الله له بينا في الجنة و قيل ذكر على سبيل المثل اذ لا تصح خلافته لقوله عليه الصلاة والسلام الامة من قرئش قلت لكن تصح امارته مطلقا و كذا خلافته تسلطا كما هو في زماننا في جميع البلدان و كان ذكر العجشي العبد الاسود فيشمل الزنجي و الهندي ثم التركي يعلم بالاولى (فانه) أى الشان و في الاربعين و انه بالواو (من يعيش) بالجزم و في الاربعين بالرفع (منكم بعدى) قال الطيبي الفاء للسببية جعل ما بعدها سببا لما قبلها يعنى من قبل وصيتى و التزم تقوى الله و قبل طاعة من ولى عليه و لم يهيج الفتن أمن بعدى مما يرى من الاختلاف الكثير و تشعب الآراء و وقوع الفتن اه و كتب السيد جمال الدين تحتة و فيه و ما زاد عليه و وجه نظره ظاهر من وجهين أحدهما عدم ظهور وجه السببية و ثانيهما عدم وجود الانسيبة بل الفاء للتفريع و المعنى الزموا ما قلت لكم فانه من يعيش منكم بعدى لا مخلص له الا نصيحتى (فسيرى اختلافا كثيرا) أى من ملل كثير كل يدعى اعتقادا غير اعتقاد الآخر اشارة الى ظهور أهل البدع و الاهواء أو اختلافا على الملك و غيره كثيرا يؤدي الى الفتن و ظهور المعاصى و ولاية الاخساء حتى العبيد (فعليلكم بستی) اسم فعل بمعنى الزموا أى بطريقتى الثابتة عنى و اجبا أو مندوبا (و سنة الخلفاء الراشدين) فانهم لم يعملوا الا بستی فالإضافة اليهم اما تعلمهم بها أو لاستباطهم و اختيارهم اياها (المهديين) أى الذين هداهم الله الى الحق قيل هم الخلفاء الاربعة أبو بكر و عمر و عثمان و على رضی الله عنهم لانه عليه الصلاة والسلام قال الخلافة بعدى ثلاثون سنة و قد انتهى بخلافة على كرم الله وجهه قال بعض المحققين و وصف الراشدين بالمهديين لانه اذا لم يكن مهتديا في نفسه لم يصلح أن يكون هاديا لغيره لانه يوقع الخلق في الضلالة من حيث لا يشعروهم الصديق و الفاروق و ذوالنورين و أبو تراب على المرتضى رضی الله عنهم أجمعين لانهم لما كانوا أفضل الصحابة و اظہروا على استعمار الرحمة من الصحابة النبوية و خصهم الله بالمراتب العلية و المناقب السنية و وطنوا أنفسهم على مشاق الاسفار و مجاهدة القتال مع الكفار أنعم الله عليهم بمنصب الخلافة العظمى و التصدى الى الرياسة الكبرى لاشاعة أحكام الدين و اعلاء أعلام الشرع المتين رفعا لدرجاتهم و ازديادا لمنوياتهم فخلف الصديق باجماع الصحابة سنتين و ثلاثة أشهر و عشرة أيام لحلمه و وقاره و سلامة نفسه و لين جانبه و الناس متحIRON و الأمر غير ثابت فجمي بيضة الدين و دفع غوائل الردتين و جمع القرآن و فتح بعض البلدان ثم استخلف الفاروق لان الأمر مستقر و التوم مطبوع و الفتن ساكنة فرفع رايات الاسلام في مشارق الارض و مغاربها و فتح أكثر أقاليم الارض لانه كان في غاية الصلاة و كمال الشهامة و مناعة الرأي و حسن التدبير و خلافته عشر سنين و ستة أشهر و عشر ليال ثم بويع لعثمان لشوكة أثاره و بسط أيدي بنى أمية في حكومة الاطراف زمن عمر فلو نصب غيره لوقع الخلاف فانه ظهر في مدة اثنتي عشرة سنة مساعي جميلة في الاسلام و جمع الناس على مصحف واحد بعد ما كانوا يقرؤن بقرآت مختلفة على حسب السماع و بعث به الى الاقواق ولذا نسب المصحف اليه و جعل اماما ثم بويع بعده لعلى المرتضى لانه أفضل الصحابة بعدهم و سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو لم تقع الخلافة على الترتيب المذكور لجرم واحد من ذلك المنصب المشكور و لا يفتي

تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة رواه احمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه الا أنهم لم يذكروا الصلاة وعن عبدالله بن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله

ان هذا من جملة معجزاته عليه الصلاة والسلام الدال على صدق نبوته لانه استبد بذكر هذا الغيب وقال الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوا ووقع كما قال قال التوربشتى وأما ذكر سنتهم في مقابلة سنته لانه علم أنهم لا يخطئون فيما يستخرجون من سنته أو أن بعضها ما اشتهر الا في زمانهم وليس المراد انتفاء الخلافة عن غيرهم حتى ينافى قوله عليه الصلاة والسلام يكون في أمى اثنا عشر خليفة بل المراد تصويب رأيهم وتفخيم أمرهم وقيل هم ومن على سيرتهم من أئمة الاسلام المجتهدين في الاحكام فانهم خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام في احياء الحق وارشاد الخلق واعلاء الدين وكلمة الاسلام (تمسكوا بها) أى بالسنة (وعضوا) بفتح العين (عليها) أى على السنة (بالنواجذ) جمع ناجة بالدال المعجمة وهى الضرس الاخير وقيل هو مرادف السن وقيل هو الناب قال الماوردى اذا تكلمت الانسان فهى ثنتان و ثلاثون منها أربعة ثانيا وهى أوائل ما يبدو للنظر من مقدم الغم ثم أربع رباعيات ثم أربع أنياب ثم أربع ضواحك ثم اثنا عشر أضراس وهى الطواحن ثم أربع نواجذ وهى أواخر الانسان كذا نقله الابهرى والصحيح أن الأضراس عشرون شاملة للضواحك والطواحن والنواجذ والله أعلم والعرض كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها فان من أراد أن يأخذ شيئا أخذها شديدا يأخذها بأسنانه أو المحافظة على هذه الوصية بالصبر على مقاساة الشدائد كمن أصابه ألم لا يريد أن يظهره فيشتد بأسنانه بعضها على بعض قال بعض المحققين هذه استعارة تمثيلية شبه حال المتمسك بالسنة المحمدية بجميع ما يمكن من الاسباب المعينة عليه بحال من يتمسك بشئ بيديه ثم يستعين عليه بأسنانه استظهارا للمحافظة في ذلك لان تحصيل السعادات الحقيقية بعد مجانبة كل صاحب يفسد الوقت وكل سبب يفتن القلب منوط باتباع السنة بأن يمثل الامر على مشاهدة الاخلاص ويعظم النهي على مشاهدة الخوف بل بقتناء آثار الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع موارد ومصادره وحركاته وسكناته ويقظته ونمائه حتى يلجم النفس بلجام الشريعة ويتجلى في القلب حقائق الحقيقة بتصقيه من مفاع الاخلاق وتويره بأنوار الذكر والمعرفة والوقاوت وتعديله باجراء جميع حركات الجوارح على قانون العدل حتى يحدث فيه هيئة عادلة مستوتة من آثار الفضل يستعد لقبول المعارف والحقائق ويصاح أن ينفخ فيه روح الله المخصوص بسلاك أحسن الطرائق هذا وقيل تمسكوا وعضوا فعلا ماض صفتان للخلفاء (واياكم ومحدثات الامور) عطف على قوله فعليكم للتقرير والتوكيد أى احذروا عن الامور التى أحدثت على خلاف أصل من أصول الدين واتقوا أحداثها (فان كل محدثة بدعة) أى فى الشريعة (وكل بدعة) ينصب كل وقيل برفعه (ضلالة) الا ما خص وقد تقدم (رواه احمد وأبو داود والترمذى) وقال حديث حسن صحيح (واين ماجه الا أنهما) أى الترمذى وابن ماجه (لم يذكروا الصلاة) أى لم يوردا أول الحديث وهو قول العرياض صلى بنا رسول الله بل قالا وعظنا كما فى المصاييح فانه افتتح بقوله وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعن عبدالله بن مسعود قال خط لنا) أى لاجلنا تعليما وتفهيما وتقريبا لان التمثيل يجعل المقصود من المعنى كالمحسوس من المشاهد فى العيني (رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا) أى مستويا مستقيما (ثم قال هذا سبيل الله) أى هذا الرأى القويم والصراط المستقيم وهما الاعتقاد الحق والعمل الصالح وهذا الخط لما كان مثالا سماه سبيل الله كذا قاله ابن الملك والظاهر

ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الآية رواه أحمد والنسائي والدارمي وعن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به

ان المشار اليه بهذا هو الخط المستوي والتقدير هذا مثل سبيل الله أو هذا سبيل الله مثلا وقيل تشبيه بليغ معكوس أى سبيل الله الذى هو عليه وأصحابه مثل الخطى كونه على غاية الاستقامة (ثم خط خطوطا) أى سبعة صفارا منحرفة (عن يمينه) أى عن يمين الخط المستوي (وعن شماله) كذلك (وقال هذه) أى الخطوط (سبل) أى غير سبيل الله أو سبيل للشيطان لقوله (على كل سبيل) أى رأسه (منها) أى من السبل (شيطان) من الشياطين (يدعو) ذلك الشيطان الناس (اليه) أى الى سبيل من السبل وفيه إشارة الى أن سبيل الله وسط ليس فيه تفرق ولا افراط بل فيه التوحيد والاستقامة ومراعاة الجانبين فى الجادة وسبل أهل البدع مائلة الى الجوانب وفيها تقصير وغلو وميل وانحراف وتعدد واختلاف كالقدرية والجبرية والخوارج والروافض والمعطلة والمشبهة (وقرأ) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو الظاهر ويحتمل أن يرجع الضمير الى ابن مسعود حكاية عن قول الله تعالى (وان هذا) بالفتح والتشديد وتقريره واتل عليهم أو يقدر اللام والكسر استئناف وبالفتح والتخفيف على ان فيه ضمير القصة وهذا رفع وقوله (صراطى) خبر وهو يسكون الباء وفتحها (مستقيما) نصب على الحال والعامل فيه معنى التبيين أو الإشارة (فاتبعوه) أى صراطى وسبيلى (الآية) بعدها ولاتبعوا السبل أى سبل الشياطين المنحرفة الزائغة المتشعبة من طرق الشرك والبدعة التى أشار اليها صلى الله عليه وسلم بقوله ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا التى على ما كنت عليه أنا وأصحابى وبهذا الحديث يندفع زعم كل فريق انه على الصراط المستقيم فتفرق بكم بحذف احدى التائين عن سيئه إشارة الى انه لا يمكن اجتماع سبيل الحق مع السبل الباطلة ذلكم وصاكم أى الله به لعلكم تتقون أى لئى تتقوه أى عذابه أو مخالفته أو سبل غيره (رواه أحمد والنسائي والدارمي وعن عبدالله بن عمرو) بالواو رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه) أى ميل نفسه سمي به لانه يهوى صاحبه فى الدنيا الى الداهية وفى الآخرة الى الهاوية فكأنه من هوى يهوى هوى اذا سقط (تبعالما جئت به) يجوز أن يجعل هذا على نفي أصل الإيمان أى حتى يكون تابعا متديبا لما جئت به من الشرع عن اعتقاد لا عن اكراه وخوف سيف كالمناقضين وقيل المراد نفي الكمال أى لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون ميل نفسه أى ما تشبیه تبعا لما جئت به من الاحكام الشرعية فان واقفها هواه اشتغل بها لشرعيتها لا لانها هوى وان خالفها اجتنب هواه فحينئذ يكون مؤمنا كاملا قال بعض العارفين أى حتى يكون هواه الذى من أصل صفاته النفسانية بل المعبود الباطل المطاع والمحبوب الاتباع تبعا لما جئت به من السنة الزهراء والملة النقية البيضاء حتى تصير هومنه المختلفة وخواطره المتفرقة التى تنبعث عن هوى النفس وميل الطبع هما واحدا يتعلق بأمر ربه واتباع شرعه تعظيما له وشفقة على خلقه كما قال الشاعر

كانت لقلبي أهواء مفرقة * فاستجمعت اذ رأيتك العين أهواى

و صار يحسدنى من كنت أحسده * وصرت مولى الورى اذصرت مولاى

تركزت لالخلق دنياهم ودينهم * شغلا بجنبك ياديتى ودينى

فلا يميل الا بجنبك الدين ولا يهوى الا بأمر الشرع فهو المؤمن الفريد الكامل الوحيد الذى يقبل منه

رواه في شرح السنة و قال النووي في أربعينه هذا حديث صحيح روينا في كتاب الحججة باسناد صحيح
وعن بلال بن العرث المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدى فإن
له من الاجر مثل اجور من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا

التوحيد و من أعرض عنه متبعيا لما هواه مبتغيا لمرضاة فهو الكافر الخاسر في دنياه و عقباه و من اتبع
أصول الشريعة دون فروعها فهو الفاسق و من عكس فهو المنافق و الهوى مصدر هوَّيه أجبه و شرعا
ميل النفس الى خلاف ما يقتضيه الشرع و أما اذا وافق الهوى الهدى فهو كالزبدة على العسل و نور
على نور و سرور على سرور قال تعالى و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان قلت ما جاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم نور و ضياء و الهوى ظلمة في النفس انبعثت من الطبيعة الترابية كيف يصير الهوى
الظلماتي تبعا للدين النوراني فالجواب ان النفس لطيفة في الجسد تولدت من ازدواج الروح و البدن
واتصالهما و الروح لطيف روحاني و الجسد كثيف ظلماني و النفس متوسطة بينهما تقبل الطاقة الروحانية
و الكثافة الجسمانية و هذا هو التسوية التي قال الله تعالى و نفس وما سواها باستقامة الروح الروحاني
في الروح الحيواني بمثابة النور في الحدقة فصارت النفس بها قابلة للخير و الشر و الفجور و التقوى فاذا
غلب الامر بالتقوى صارت مزكاة عن الكدورات متوجهة الى الدين قابلة لليقين و اذا غلب الامر بالفجور
صارت تابعة للهوى سالكة مسالك الردى

نون الهوان من الهوى مسروقة * فصریح كل هوى صریع هوان

قال الراغب مثل النفس في البدن كسجاده بعث الى ثغري اعى احواله و عقله خليفة مولاة ضم اليه ليرشده
و يشهد له و عليه اذا عاد و بدنه بمنزلة مركوبه و هواه و شهوته سائس خبيث ضم اليه ليفقد مركوبه
و القرآن بمنزلة كتاب آتاه عن مولاة تبيانا لكل شئ و هدى و رحمة و النبي رسول آتاه بالكتاب
المبين ليبين للناس ما نزل اليهم فان جاهد أعداءه و قهرهم و استعان بالعقل و سلطه حمد اذا عاد الى
حضرته و هو من المنفلحين و من ضيع ثغره و أهمل رعيته و صرف همه الى تفقد مركوبه و أقام سائس المركوب
بمقام خليفة ربه فهو في الآخرة من الخاسرين (رواه) أى البغوى (في شرح السنة) أى باسناد (و قال
النوى) بالقصر و يجوز مده (في أربعينه) أى الاربعين حديثا الذى صنفه (هذا حديث صحيح روينا)
بصيغة المعلوم و قيل مجهول (في كتاب الحججة) أى في اتباع المحجة اسم كتاب لابي القاسم اسمعيل
ابن محمد بن الفضل الاصفهاني التيمي (باسناد صحيح و عن بلال بن العرث) و في نسخة حارث (المزني)
أبو عبد الرحمن مدني سكن بالاستعري وراه المدينة روى عنه ابنه العرث و علقتة بن الوقاص مات سنة
ستين و له ثمانون سنة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا سنة) أى من أظهرها و أشاعها
بالتقول أو العمل (من سنتي) قال الاشرف ظاهر النظم يقتضى ان يقال من سننى لكن الرواية بصيغة
الافراد اه فيكون المراد بها الجنس أى طريقة من الطرق المنسوبة الى واجبة أو مندوبة أخذت عنى
بنص أو استنباط كما أفاده اضافة سنة الى الضمير المتضمنة للعموم (قد أميتت بعدى) قال ابن الملك
أى تركت تلك السنة عن العمل بها يعنى من أحياها من بعدى بالعمل بها أو حث الغير على العمل
بها (فان له من الاجر) أى الثواب الكامل (مثل اجور من عمل بها) قال ابن الملك يشمل باطلاقة
العمال قبل الاحياء و بعده و فيه أن شموله لما قبل الاحياء في غاية من البعد (من غير أن ينقص) متعد
و يحتمل اللزوم (من اجورهم) من للتبعيض أى من اجور من عمل بها فانأرد أولا رعاية للفظه و جمع
ثانيا لمعناه (شيئا) مفعول به أو مفعول مطلق لانه حصل له باعتبار الدلالة و الاحياء و الحث و للعلماني

و من ابتدع بدعة ضلالة لا يرضها الله ورسوله كان عليه من الاثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا رواه الترمذى ورواه ابن ماجه عن كثير بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عن جده و عن عمرو بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تآرز الحية الى جحرها و ليعقلن الدين من الحجاز معقل الاروية من رأس الجبل

باعتبار الفعل فلم يتواردا على محل واحد حتى يتوهم أن حصول أحدهما ينقص الآخر (و من ابتدع بدعة ضلالة) يروى بالإضافة و يجوز أن ينصب نعنا و منعوتا و هي ما أنكره أئمة المسلمين كالبناء على القبور و تخصيصها و قيد البدعة بالضلالة لاخراج البدعة الحسنة كالمئارة كذا ذكره ابن الملك (لا يرضها الله ورسوله) صفة كاشفة للضلالة أو احترازية للبدعة (كان عليه من الاثم) أى الوزر (مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك) أى ذلك الاثم (من أوزارهم شيئا) مفعول به لا غير و حكمة ذلك أن من كان سببا في ايجاد شئى صحت نسبة ذلك الشئى اليه على الدوام و بدوام نسبته اليه يضاعف ثوابه و عقابه لانه الاصل فيه (رواه الترمذى) أى عن بلال (و رواه ابن ماجه عن كثير بن عبد الله بن عمرو) أى ابن عوف مزنى مدنى روى عن أبيه و غيره و اتفقوا على ضعفه حتى قال الشافعى هو أحد الكذابين (عن أبيه عن جده) أى جد كثير و هو عمرو بن عوف كان قديم الاسلام و هو ممن نزل فيه تولوا و أعينهم تقيض من الدم روى عنه ابنه عبد الله كذا ذكره المصنف قال الطبي الشارحون في أكثر نسخ المصاحيب رواه زيد بن ملحمة عن أبيه عن جده و هو غلط لان زيد بن ملحمة جد عمرو بن عوف كذا في التهذيب و عده المصنف في التابعين و قال ابن حبان له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة و أما الترمذى فروى عن حديثه الصلح جائز بين المسلمين و صححه فلذا لا يعتمد العلماء على تصحيحه كذا في ميزان الاعتدال و الصواب أن راوى هذا الحديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده فان زيد بن ملحمة جاهل لم يدرك الاسلام (و عن عمرو بن عوف) هو مزنى كان قديم الاسلام و هو ممن نزل فيه تولوا و أعينهم تقيض من الدم سكن المدينة و مات بها في آخر أيام معاوية روى عنه ابنه عبد الله (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين ليأرز) بفتح اللام و سكون الهمزة و يبدل و كسر الراء على الاصح و حكى الفتح و الضم أى ينضم عند ظهور الفتن و استيلاء الكفرة (الى الحجاز) و هو اسم مكة و المدينة و حواليهما من البلاد و سميت حجازا لانها حجزت أى منعت و فصلت بين بلاد نجد و الغور قيل التوفيق بينه و بين ما سبق ان سلم ان الدين و الايمان مترادفان أنه يأرز أولا الى الحجاز اجمع ثم الى المدينة لانها مستقره أولا فعاد اليها لتكون مستقره آخرها أيضا فان النهاية هي الرجوع الى البداية و لان المدينة مغيب النبوة فتصير مغيب الشريعة (كما تآرز الحية الى جحرها و ليعقلن) جواب قسم محذوف أى و الله ليعتصمن (الدين) قال ابن حجر عطف على ليارز أو على ان و معمولها أى ليتحصن و ينضم و يلتجئ الدين أبرزه و حقه الاضمار اعلاما بعظم شرقه و مزيد فخامته و من ثم ضوعفت أدوات التأكيد و أتى بالقسم المقدر (من الحجاز) أى يمكن منه أو مكانا منه يقال عقل الوعل أى امتنع بالجمال العوالى يعقل عقولا أى ليعتمن بالحجاز و يتخذن منه حصنا و ملجأ (معقل الاروية) بضم الهمزة و تكسر و تشديد الياء الاثنى من المعز الجبلى و هو مصدر بمعنى العقل و يجوز أن يكون اسم مكان أى كاتخاذ الاروية (من رأس الجبل) حصنا و خص الاروية دون الوعل لانها أندر من الذكر على التمكّن من الجبال الوعرة و المعنى ان الدين في آخر الزمان عند ظهور الفتن و استيلاء

ان الدين بدأ غربيا وسيعود كما بدأ فطوي للغرباء وهم الذين يصلحون ما أسند الناس من بعدى من سنتي رواه الترمذى وعن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتي كما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وان بنى اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة

الكفرة والظلمة على بلاد أهل الاسلام يعود الى العجاز كما بدأ منه وقبل معناه ان بعد انضمام أهل الدين الى الحجاز ينقضون عنه ولم يبق منهم فيه أحد (ان الدين بدأ) بالهمز هو الصحيح (غربيا) أى كالغريب أو حال (وسيعود) أى غربيا (كما بدأ) يعنى أن أهل الدين فى الاون كانوا غرباء ينكرهم الناس ولا يخالطونهم فكذا فى الآخر (فطوي للغرباء) أى أولا وآخرا وسموا غرباء لعدم تعلقهم بالدينا وأهلها (وهم الذين يصلحون ما أسند الناس من بعدى من سنتي) أى يعملون بها ويظهرونها بقدر طاقتهم (رواه الترمذى وعن عبدالله بن عمرو) بالواو رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتي) الايتان العجى بسهولة وعدى بلى لمعنى الغلبة المؤدية الى الهلاك ومنه قوله تعالى ماتذر من شئ أتت عليه والمراد بعض أمة الدعوة اما من أهل القبلة بقرينة كونه أضافهم الى نفسه أو مطلقا فيشمل ملل الكفر أيضا (كما أتى على بنى اسرائيل) فاعل ليأتين مقدر يدل عليه سياق الكلام والكاف منصوب عند الجمهور على المصدر أى ليأتين على أمتي زمان ايتانا مثل الايتان على بنى اسرائيل أو ليأتين على أمتي مخالفة لما أنا عليه مثل المخالفة التى أتت على بنى اسرائيل حتى أهلكتهم و جوز أن يكون الكاف فاعلا أى ليأتين على أمتي مثل ما أتى على بنى اسرائيل (حذو النعل بالنعل) حذو النعل استعارة فى التساوى وقيل الحذو والقطع والتقدير أيضا يقال حذوت النعل بالنعل اذا قدرت كل واحدة من طاقاتها على صاحبها لتكونا على السواء ونصبه على المصدر أى يحذونهم حذوا مثل حذو النعل بالنعل أى تلك المماثلة المذكورة فى غاية المطابقة والواقفة كمطابقة النعل بالنعل (حتى ان كان منهم) حتى ابتدائية والواقع بعده جملة شرطية وقوله الآتى لكان اما جواب قسم مقدر والمجموع جواب الشرط واما ان بمعنى لو كما يقع عكسه وليست ان هذه مخففة من المثقلة كما زعم كذا نقله السيد جمال الدين عن زين العرب وفى الأزهار بكسر الهمزة وسكون النون مخففة أى حتى انه كذا ذكره الابهري وهذا الخلاف مبنى على انه هل يجوز حذف ضمير الشأن من ان المكسورة منعه ابن الحاجب وجوزه ابن مالك (من أتى أمه علانية) ايتانها كناية عن الزنا ويحتمل أن يكون المراد بها زوجة الاب أو موطواته وسائر من حرم عليه برضاع أو مصاهرة و الاول أظهر لان الغرابة والاستبعاد فيه أكثر ولذا قيده بعلانية (لكان فى أمتي من يصنع) أى يفعل (ذلك) أى الايتان (وان بنى اسرائيل) يعنى النصرارى أو أهل الكتاب قال ابن حجر أبرز ضمير هم زيادة فى تقييح صنيعهم و بيان كون ذلك دأبهم وعادتهم اه و الاظهر انه أبرز حتى لا يرجع الضمير الى غيرهم (تفرقت على ثنتين وسبعين ملة) سمي عليه الصلوة والسلام طريقة كل واحد منهم ملة اتساعا وهى فى الاصل ما شرع الله لعباده على السنة انبيائه ليتوصلوا به الى القرب من حضرته تعالى ويستعمل فى جملة الشرائع دون آحادها ولا تكاد توجد مضافة الى الله تعالى ولا الى آحاد أمة النبى بل يقال ملة محمد صلى الله عليه وسلم أو ملتهم كذا ثم انها اتسعت فاستعملت فى الملل الباطلة لانهم لما عظم تفرقهم وتديت كل فرقة منهم بخلاف ماتدين به غيرها كانت طريقة كل منهم كالملة الحقيقية فى الدين فسميت باسمها مجازا وقيل الملة كل فعل وقول اجتمع عليه جماعة وهو قد يكون حقا وقد يكون باطلا والمعنى

و تفرقت أمي على ثلاث و سبعين ملة كلهم في النار الامة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه و أصحابي رواه الترمذى و في رواية أحمد و أبي داود عن معاوية ثنتان و سبعون في النار و واحدة في الجنة و هي الجماعة

انهم يفترون فرقا تندين كل واحدة منها بخلاف ماتندين به الاخرى (و تفرقت أمي على ثلاث و سبعين ملة) قيل فيه اشارة لتلك المطابقة مع زيادة هؤلاء في ارتكاب البدع بدرجة ثم قيل يحتمل أمة الدعوة فيندرج سائر الملل الذين ليسوا على قبلتنا في عدد الثلاث و السبعين و يحتمل أمة الاجابة فيكون الملل الثلاث و السبعون منحصرة في أهل قبلتنا و الثاني هو الاظهر و نقل الابهرى أن المراد بالامة أمة الاجابة عند الاكثر (كلهم في النار) لانهم يتعرضون لما يدخلهم النار فكفارهم مرتكبون ما هو سبب في دخولها المؤبدة عليهم و مبتدعهم مستحقه لدخولها الا أن يعفو الله عنهم (الاملة) بالنصب أى الا أهل ملة (واحدة قالوا من هي) أى تلك الملة أى أهلها الناجية (يا رسول الله قال ما أنا عليه و أصحابي) أى هي ما أنا عليه و أصحابي قيل جعلها عين ما هو عليه مبالغة في مدحها و بيانها لباهر اتباعها حتى يخيل أنها عين ذلك المتبع أو المراد بما الوصفية على حد و نفس و ما سواها أى القادر العظيم الشأن سواها فكذاها المراد هم المهتدون المتمسكون بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين من يعدى فلا شك و لارباب أنهم هم أهل السنة و الجماعة و قيل التقدير أهلها من كان على ما أنا عليه و أصحابي من الاعتقاد و القول و الفعل فان ذلك يعرف بالاجماع فما أجمع عليه علماء الاسلام فهو حق و ما عداه باطل و اعلم أن أصول البدع كما نقل في المواقيث ثمانية المعتزلة القائلون بأن العباد خالقو أعمالهم و بنى الرؤية و بوجوب الثواب و العقاب و هم عشرون فرقة و الشيعة المفرطون في محبة على كرم الله وجهه و هم اثنان و عشرون فرقة و الخوارج المفرطة المكفرة له رضى الله عنه و من أذنب كبيرة و هم عشرون فرقة و المرجئة القائلة بأنه لا يضر مع الايمان معصية كما لا يضر مع الكفر طاعة و هي خمس فرق و النجارية الموافقة لأهل السنة في خلق الافعال و المعتزلة في نفي الصفات و حدوث الكلام و هم ثلاث فرق و الجبرية القائلة بسلب الاختيار عن العباد فرقة واحدة و المشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسمية و الحلول فرقة أيضا فتلك اثنان و سبعون فرقة كلهم في النار و الفرقة الناجية هم أهل السنة البيضاء المحمدية و الطريقة النقية الاحمدية و لها ظاهر سمي بالشرعية شرعة للعامة و باطن سمي بالطريقة منهاجا للخاصة و خلاصة خصت باسم الحقيقة معراجا لأخص الخاصة فالاول نصيب الايدان من الخدمة و الثاني نصيب القلوب من العلم و المعرفة و الثالث نصيب الأرواح من المشاهدة و الرؤية قال القشيري و الشرعية أمر بالتزام العبودية و الحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شرعية غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول و كل حقيقة غير مقيدة بالشرعية فغير محصول فالشرعية قيام بما أمر و الحقيقة شهود لما قضى و قدر و أخفى و أظهر و الشرعية حقيقة من حيث انها وجبت بامر و الحقيقة شرعية أيضا من حيث ان المعارف به سبحانه وجبت بامر و لله در من قال من أرباب الحال

ألا فالزوا سنة الانبياء * ألاففظوا سيرة الاصفياء

و من يتدع بدعة لم يكرم * بوجدانه رتبة الاتقياء

(رواه الترمذى) أى عن ابن عمرو و كذا (و في رواية أحمد) أى أحمد بن حنبل (و أبي داود عن معاوية) أى بعد قوله و ان هذه الامة ستفرقت على ثلاث و سبعين فرقة (ثنتان و سبعون في النار و واحدة في الجنة و هي الجماعة) أى أهل العلم و الفقه الذين اجتمعوا على اتباع آثاره عليه الصلاة والسلام

وانه سيخرج في أمي أقوام تتجاري بهم تلك الاهواء كما يتجاري الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يجمع أمي أو قال أمة محمد على ضلالة و يدالله على الجماعة و من شذذ في النار رواه الترمذى و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعول السواد الاعظم

في القفر و القطمير و لم يتدعوا بالتحريف و التغيير قال شريح ان السنة قد سبقت قياسكم فاتبع و لا يتبدع فانك لن تضل ما أخذت بالآثر و قال الشعبي انما رأى بمنزلة هبة اذا احتجبت اليها أكتنيتها و عن سفيان لو أن فقيها على رأس جبل لكان هو الجماعة (و انه سيخرج) و في المصالحح و زاد في رواية و انه سيخرج أى يظهر (في أمي) و في نسخة من أمي (أقوام) أى جماعات (تتجاري) بالبناء أى تدخل و تجرى و تسرى (بهم) أى في مفاصلهم (تلك الاهواء) جمع هوى و هو ميل النفس الى ما تشتهيه و المراد هنا البدعة فوضعها موضعها و ضاعا للسبب موضع المسبب لان هوى الرجل هو الذى يحمله على ابداع الرأى الفاسد أو العمل به و ذكر الاهواء بصيغة الجمع تنبيها على اختلاف أنواع الهوى و أصناف البدع يقال تجاروا في الحديث اذا جرى كل منهم مع صاحبه (كما يتجاري الكلب) يفتحن داء مخوف يحصل من عض الكلب المجنون و ينفوق أثره (بصاحبه) أى مع صاحبه الى جمع أعضائه أى مثل جرى الكلب في العروق (لا يبقى منه عرق) بكسر العين (و لا مفصل الا دخله) فكذلك تدخل البدع فيهم و تؤثر في أعضائهم قبل الكلب داء يعرض للانسان من عضه الكلب أى المكروب و هو المجنون فيصبيه شبه الجنون و لا يعرض المجنون أحدا الا الكلب أى جن و يعرض له اعراض رديئة تشبه المالمخوليا مهلكة غالبا و يتمتع من شرب الماء حتى يموت عطشا و اجمعت العرب ان دواءه قطرة من دم يخلط بماء فيسقه (و عن ابن عمر) رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يجمع أمي أو قال أمة محمد على ضلالة) قال المظهر في الحديث دليل على حقية اجماع الأمة قيل قوله أو قال أمة محمد شك من الراوى و لعل هذا أطرب في الدراية منها لدلالته على ان يكون المنسوب اليه من اسمه محمد يقتضى هذه الفضيلة التى امتازت بها أمته عن سائر الأمم و قال ابن الملك المراد أمة الاجابة أى لا يجمعون على ضلالة غير الكفر و لذا ذهب بعضهم الى أن اجتماع الأمة على الكفر ممكن بل واقع الا انها لا تبقى بعد الكفر أمة له و المنفى اجتماع أمة محمد على الضلالة و انما حمل الأمة على أمة الاجابة لما ورد ان الساعة لا تقوم الا على الكفار فالحديث يدل على ان اجتماع المسلمين حق و المراد اجماع العلماء و لا عبرة باجماع العوام لانه لا يكون عن علم و قال الابهرى قوله على ضلالة أى على خطأ و قيل على كفر و معصية (ويد الله) كناية عن النصرة و الغلبة أو الحفظ و الرحمة أو معناه احسانه و توفيقه لاستنباط الاحكام و الاطلاع على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه من الاعتقاد و العمل (على الجماعة) أى المجتمعين على الدين يحفظهم الله من الضلالة و الخطأ أو للتوفيق لموافقة اجماع هذه الأمة (و من شذ) أى انفرد عن الجماعة باعتقاد أو قول أو فعل لم يكونوا عليه (شذ في النار) أى انفرد فيها و معناه انفرد عن أصحابه الذين هم أهل الجنة و ألتى في النار (رواه الترمذى و عنه) أى عن ابن عمر (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوا السواد الاعظم) يعبره عن الجماعة الكثيرة و المراد ما عليه أكثر المسلمين قيل و هذا في أصول الاعتقاد كآركان الاسلام و أما الفروع كيطان الوضوء بالمس مثلا فلا حاجة فيه الى اجماع بل يجوز اتباع كل واحد من المجتهدين كالأمة الاربعة

فانه من شذشذ في النار رواه ابن ماجه من حديث أنس و عن أنس قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتسمى وليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة رواه الترمذى و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمسك بسنتي عند فساد أمي فله أجر مائة شهيد رواه وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال انا نسع أحاديث من يهود

وما وقع من الخلاف بين الماتريدية والاشعرية في مسائل فهي ترجع الى الفروع في الحقيقة فانها ظليات فلم تكن من الاعتقادات المنية على اليقنيات بل قال بعض المحققين ان الخلاف بينهما في الكل لفظي وقيل المراد جمع المسلمين الذين هم في طاعة الامام وهو السلطان الاعظم وقيل الجماعة من أهل الايمان وقيل الكتاب والسنة لكثرة معانيهما وقيل كل عالم عامل بالكتاب والسنة في الازهار اتبعوا السواد الاعظم يدل على ان أعظم الناس العلماء وان قل عددهم ولم يقل الاكثر لان العوام والجهال أكثر عددا (فانه) أى الشأن (من شذ) أى في الدين يخرجوه عن متابعة الاكثرين (شذ في النار رواه) (بعده بياض والحق ميرك شاه (ابن ماجه من حديث أنس) وزاد الطيبي وابن عاصم في كتاب السنة (وعن أنس) رضى الله عنه (قال قال لي) أى وحدي أو مخاطبا لي من بين أصحابي (رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني) بضم الباء تصغير ابن وهو بكسر الياء ونحها والكسر أكثر وهو تصغير لطف ومرحمة ويدل على جواز هذا لمن ليس ابنه ومعناه اللطف وانك عندى بمنزلة ولدى في الشفقة (ان قدرت) أى استطعت والمراد اجتهد قدر ما تقدر (ان تصبح وتسمى) أى تدخل في وقت الصباح والمساء والمراد جمع الليل والنهار (وليس في قلبك) الجملة حال من الفاعل تنازع فيه الفعلان أى وليس كأننا في قلبك (غش) ضد النصح الذى هو ارادة الخير للمنصوح له (لاحد) وهو عام للمؤمن والكافر فان نصيحة الكافر ان يجتهد في ايمانه ويسعى في خلاصه من ورطة الهلاك باليد واللسان والتأف بما يقدر عليه من المال كذا ذكره الطيبي (فاعل) جزاء كناية عما سبق في الشرط أى افعل نصيحتك (ثم قال يا بني وذلك) أى خلو القلب من الغش قال الطيبي وذلك اشارة الى انه رفع العربة أى بعيد تناول (من سنتي) أى طريقتي (ومن أحب سنتي) فعمل بها (فقد أحبني) أى حبا كاملا لان محبة الآثار علامة على محبة مصدرها (ومن أحبني كان معي) بفتح الياء وسكونها أى معية مقاربة لامعية متعددة في الدرجة (في الجنة) فان المرء مع من أحب كما في حديث وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية (رواه الترمذى و عن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمسك) أى عمل (بسنتي عند فساد أمي) أى عند غلبة البدعة والجهل و الفسق فيهم (فله أجر مائة شهيد) لما يلحقه من المشقة بالعمل بها و باحيائها وتركهم لها كالشهيد المقاتل مع الكفار لاحياء الدين بل أكثر (رواه) (بعده بياض والحق به ميرك وغيره البهقي في كتاب الزهد له من حديث ابن عباس (وعن جابر) رضى الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال) أى عمر (انا نسع أحاديث) أى حكايات ومواظ (من يهود) قال الزمخشري الاصل في يهود ومجوس ترك اللام لانهما علمان لقومين ومن عرف فانه أجرى يهوديا ويهود مجرى شعيرة وشعيراه وقال الأبهري يهود غير منصرف للعلمية والتأنيث لانه يجرى مجرى القبيلة وقيل الاول أن يقال للعلمية و وزن الفعل لان أسماء القبائل التي ليس فيها تأنيث لفظي يجوز

تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها فقال أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جنتكم بها
بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي رواه أحمد والبيهقي في شعب الايمان وعن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل طيبا وعمل في سنة وأمن الناس بوائه

صرفها حملا على الحي وعدم صرفها حملا على القبيلة ويهود لا يجوز فيه الا عدم الصرف (تعجبنا)
بضم التاء وكسر الجيم أى تحسن عندنا وتميل قلوبنا اليها (أفترى) يفتح التاء أى أحسن لنا
استماعها فترى يعنى فتأذن (أن نكتب بعضها فقال) عليه الصلاة والسلام زجراله ولا مثاله (أمتهوكون)
أى أمتهوون فى دينكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبىكم (أنتم) للتأكيد (كما تهوكت
اليهود والنصارى) أى كتحرهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواء أجسامهم وربانهم
(لقد جنتكم) جواب قسم محذوف (بها) أى بالملة الحنيفة بقرينة الكلام (بيضاء) أى واضحة
حال من ضمير بها (نقية) صفة بيضاء أى ظاهرة صافية خالصة خالية عن الشرك والشبهة
وقيل المراد بها أنها مصونة عن التبديل والتحريف والاصر والاغلال خالية عن الكاليف
الشاقة لأن فى دين اليهود اخراج ربع مالهم زكاة وقطع موضع النجاسة بدلا عن الغسل وغير ذلك كتحتنم
النصاص فى دين اليهود وتحت المدينة فى دين النصارى وأخر نقية لانها صفة بيضاء اذ يقال أبيض نقى
دون العكس وقال الطيبى بيضاء نقية حالان مترادفان من الضمير المفسر بالملة اه قيل ووصف
الملة بالبياض تنبيها على كرمها وفضلها وكرمها افادتها كل ما يحتاج اليه لان البياض لما كان أفضل لون
عند العرب عبر به عن الكرم والفضل والحاصل انه عليه الصلاة والسلام أشار بذلك الى أنه أتاهم
بالاعلى والأفضل واستبدال الأدنى عنه مظنة للتخير (ولو كان موسى حيا ما وسعه) أى ما جاز له (الا
اتباعى) فى الأقوال والافعال فكيف يجوز لكم أن تطلبوا فائدة من قومه مع وجودى قال تعالى واذا
أخذالله ميثاق النبين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول الآية قال على بن أبى طالب لم يبعث
الله تعالى نبيا آدم ومن بعده الا أخذ عليه العهد فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ العهد على قومه
ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وهذا معنى قول ابن عباس كذا فى تفسير البغوى فيكون التنكير
فى رسول للتعظيم فهو نبي الانبياء وامام الرسل ولذا قال آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة
(رواه أحمد) أى فى مستنده (والبيهقى فى شعب الايمان) قال الأبهري لكن فى استاده مجالد بن سعيد
وهو ضعيف قال ابن حبان كان ردىء العفظ يقلب الاسانيد ويرفع المراسيل لايجوز الاحتجاج
به وقال الشافعى الحديث عن حرام بن عثمان حرام وعن مجالد تجالده وعن أبى العالية الرياحى رباح وقال
أحمد بن حنبل حديث مجالد حلم الا أن هذا الحديث جاء عن غير مجالد فتايد به (وعن أبى سعيد الخدري)
رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل طيبا) أى من كان قوته حلالا ولم يقل حلالا
لان الطيب ما يفوح عنه ريح الورد أخذنا من الطيب فما اكتسب على وجه تعلق بسوابقه أو قرائنه
أو لواحقه معصية لم يكن طيبا (وعمل فى سنة) أى فى موافقة سنة وردت فيه أى وعمل كل فعل يفعل
وكل قول يقوله على وفق الشرع يعنى ويكون متمسكا فى كل عمل بسنة أى بحديث جاء فى ذلك العمل
حتى قضاء الحاجة واماطة الأذى فالمراد شمول كل سنة لاواحدة منها غير معينة وقيل تنكيرها للاشعار
بأن العمل فى موافقة واحدة منها مع أختها مما يوجب دخول الجنة وقدم أكل الحلال لانه مورت للعمل
الصالح كما قال تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا (وأمن الناس بوائه) الباقية الداخية وهى
المحنة العظيمة والمرادها الشورور وقد فسرت البوائق فى بعض الأحاديث فروى ظلمه وغشه

دخل الجنة قتال رجل يارسل الله ان هذا اليوم لكثير في الناس قال وسيكون في قرون بعدى رواه الترمذى وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجوا رواه الترمذى وعن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ما ضربوه لك

(دخل الجنة) أى استحق دخول الجنة دخولا أوليا (قال رجل يارسل الله ان هذا) أى الرجل الموصوف المذكور (اليوم) ظرف مقدم لخبران (لكثير في الناس) بحمد الله فما حال المستقبل (قال) عليه الصلاة والسلام (وسيكون) أى هم كثيرون اليوم وسيوجد من يكون بهذه الصفة (في قرون بعدى) في الأزهار القرن أهل عصر وقيل أهل كل مدة أو طبقة وقيل ثلاثون سنة وقيل أربعون وقيل ثمانون وقيل مائة اه و الاصح أن القرن ههنا أهل العصر فان كل عصر هو أبعد من زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون الصلحاء فيهم أقل من قبلهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام خير الترون قرنى ثم الذين يلونهم الحديث وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث نفيًا للاستعجاب عن أصحابه رضى الله عنهم أجمعين كذا قيل وأقول وفيه تسلية لمن بعدهم من التابعين وأتباعهم الى يوم الدين وقال التوربشتى يحتمل أنه ذكر ذلك حمد الله وتحدثا بنعمه فقال ان ذلك غير مختص بهذا القرن (رواه الترمذى) وكذا الحاكم (وعن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم) أيها الصحابة (في زمان) أى زمان عظيم من عزة الاسلام وأمن أهله وهو زمان نزول الوحي وسماع كلام صاحب الرسالة (من ترك منكم) أى فيه وهو الرابط لجملة الشرط بموصوفها وهو زمان (عشر) يسكون الشين وضها (ما أمر به) أى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ لا يجوز صرف هذا القول الى عموم المأمورات لانه عرف أن مسلما لا يعذر فيما يهمل من الفرض الذى تعلق بخاصة نفسه هكذا قاله الشراح قال الطبي ولعل هذا غير مناسب لباب التمسك بالكتاب والسنة وفيه بحث لان الأمر بالمعروف لا يعرف الا منها ثم قال بل لو حمل على ما مر في الحديث السابق وهو من عمل في سنة على ما بيناه كان أنسب ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالطريق الأولى ويجرى معنى قوله ما أمر به في أمر اللذب اه وفيه أن الهلاك لا يرتب على ترك اللذب مطلقا فضلا عن عشره ثم رأيت ابن حجر واقفى في المجلين (هلك) لان الدين عزيز والحق ظاهر وفي أنصاره كثرة فالترك يكون تقصيرا منكم فلا يعذر أحد منكم في التهاون (ثم يأتي زمان) يضعف فيه الاسلام ويكثر الظلمة والفاسق وقل أنصاره فيعذر المسلمون في الترك اذ ذلك لعدم القدرة لا للتقصير (من عمل منهم بعشر ما أمر به نجوا) لانقضاء تلك المعاني المذكورة (رواه الترمذى) وعن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه) أى على الهدى (الا أوتوا الجدل) أى أعطوه وهو حال وقد مقدرة والمستثنى منه أعم عام الاحوال وصاحبها الضمير المستتر في خبر كان والمعنى ما كان ضللتهم و وقوعهم في الكفر الا بسبب الجدل وهو الخصومة بالباطل مع بيبيهم وطلب المعجزة منه عنادا أو جحودا وقيل مقابلة الحججة بالحجة وقيل المرادها العناد والمراء في القرآن ضرب بعضها ببعض لترويح مذاهبتهم وآراء مشايخهم من غير أن يكون لهم نصرة على ما هو الحق وذلك محرم لا المناظرة لغرض صحيح كإظهار الحق فانه فرض كفاية (ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية) أى استشهادا على ما قرره (ما ضربوه) أى هذا المثل (لك) يابهم وهو قولهم ألهتنا خير أم أارادوا بالالهة هنا الملائكة (يعنى الملائكة خير أم عيسى يريدون أن الملائكة خير من عيسى فاذا عبت النصارى عيسى فخن نعبد

الاجدلا بل هم قوم خصون رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه و عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لاتشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع و الديار رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم رواه أبو داود و عن أبي هريرة

الملائكة أى ما قالوا ذلك القول (الاجدلا) أى الالخاصمتك و ايدائك بالباطل لالطلب الحق كذا قاله بعض الشراح و الاصح في معنى الآية ان ابن الزبيرى جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم آلهتنا أى الاصنام خير عندك أم عيسى فان كان في النار فتكن آلهتنا معه و الله أعلم ثم رأيت ابن حجر ذكر مثل ما ذكرته و أما الجواب عن هذه الشبهة فأولا أن ما لغير ذوى العقول فالاشكال نشأ عن الجهل بالقواعد العربية ثانيا أن عيسى و الملائكة خصوا عن هذا بقوله تعالى ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها سبدون (بلهم) أى الكفار (قوم خصون) أى كثير و الخصومة (رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه) و كذا الحاكم (و عن أنس) رضى الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول) فيه اشارة الى التكرار و الاستمرار (لاتشددوا على أنفسكم) أى بالاعمال الشاقة كصوم الدهر و احياء الليل كله و اعتزال النساء لثلاثضعوا عن العبادة و اداء الحقوق و الفرائض (فيشدد الله عليكم) بالنصب جواب النهي أى يفرضها عليكم فتقوا في الشدة أو بان يفوت عليكم بعض ما وجب عليكم بسبب ضعفكم من تحمل المشاق كذا قاله الشراح و الظاهر أن المعنى لاتشددوا على أنفسكم بإيجاب العبادات الشاقة على سبيل النذر أو اليمين فيشدد الله عليكم فيوجب عليكم بإيجابكم على أنفسكم تضعفوا عن القيام بحقه و تملوا و تكلوا و تركوا العمل فتقوا في عذاب الله تعالى و هذا المعنى هو الملائم للتعليل بقوله (فان قوما) أى من بنى اسرائيل (شددوا على أنفسهم) بالعبادات الشاقة و الرياضات الصعبة و المجاهدات التامة تشدد الله عليهم باتمامها و القيام بحقوقها و قيل شددوا حين أمروا بدمج بقرة على صفة لم توجد على تلك الصفة الا بقرة واحدة لم يعيها صاحبها الا بملء جلدتها ذهباً و يؤيد المعنى الاول ما سياتى من قوله (فتلك) الفاء للتعقيب و تلك اشارة الى ما في الذهن من تصور جماعة باقية من أولئك المشددين بقيت في الصوامع يفسرها قوله (بقاياهم) أى بقايا قوم شددوا على أنفسهم (في الصوامع) جمع صومعة و هى موضع عبادة الرهبان من النصارى قيل هو بناء صغير على شكل دائرة (و الديار) جمع الدير و هو الكنيسة و هى معبد اليهود قيل و هو بناء واسع فيه محل العبادة و باقيه لنحو نزول العارة و ايواء الغرب (رهبانية) نصب بفعل يفسره ما بعده أى ابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) يقال ابتدع اذا أتى بشئ بديع أى جديد لم يفعل قبله أحد و الرهبانية بالفتح الخصلة المنسوبة الى الرهبان و هو الخائف فعلان من رهب رهبته أى خاف و بالضم نسبة الى الرهبان جمع راهب و فى الآية قرأت بالضم شاذاً و قيل الرهبنة الخوف و المبالغة فى العبادة و الرياضة و الانقطاع عن الناس و يطلق على عبادة الرهبان و هو جمع الراهب أى عابد النصارى و هى ما يفعلون من لقاء أنفسهم (ما كتبناها) أى ما فرضنا تلك الرهبانية (عليهم) من ترك التلذذ بالطعمة و ترك الزوج و الاعتزال عن الناس و التوطن في رؤس الجبال و المواضع البعيدة عن العمران و الانتصار على هذا يدل على ان الاستثناء فيما بعده و هو قوله تعالى (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أى ولستهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله قال تعالى (فما رعوها حق رعايتها) أى لم يراعوا الرهبانية حق رعايتها

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال فاحلوا الحلال وحرّموا الحرام واعملوا بالمحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال هذا لفظ المصاييح وروى البيهقي في شعب الايمان ولفظة فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر ثلاثة أمرين رشده فاتبعه وأمر بين غيه فاجتنبه وأمر اختلف فيه فكله الى الله عزوجل رواه أحمد

وضيعوا وكفروا بدين عيسى قتهودوا وتصروا ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهّب وأقام منهم أناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا بها صلى الله عليه وسلم فاستوا به فذلك قوله عزوجل فاتينا الذين آمنوا منهم أجمعهم وكثير منهم فاستقون كذا في المعالم (رواه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن) أي بطريق الاجمال (على خمسة أوجه) من وجوه الكلام (حلال) بالجور وهو بدل بعد العطف قبل الربط كقوله تعالى كلوا من طبيات ما رزقناكم وقوله أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح وغيرها (وحرام) كقوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية وغيرها (ومحكم) كقوله تعالى قل تعالوا أتبعوا ما حرم ربكم عليكم وغير ذلك من الامر والنهي والموعظة (ومتشابه) كقوله تعالى وجاء ربك وامثال ذلك (وامثال) يعني قصص الاسم العاضية كقوم نوح وصالح وغيرها كذا قيل و الاظهر ان الامثال مثل قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت ولذا عيّنه تعالى بقوله وتلك الامثال تضربها للناس وما يعقلها الا العالمون (فاحلوا الحلال) أي اعتقدوا حليته وجوزوا منفعتة (وحرّموا الحرام) أي اجتنبوه واعتقدوا حرمة و احكموا بمضرته (واعملوا بالمحكم) من الامر والنهي (وآمنوا بالمتشابه) من غير اشتغال بكيفيته (واعتبروا بالامثال) أي الظاهرية أو المعنوية (هذا) أي المذكور من الحديث المروي (لفظ المصاييح وروى البيهقي في شعب الايمان) أي معناه وحذف هذا للعلم به (ولفظه) أي لفظ البيهقي (فاعملوا بالحلال) ولتجنبوه (واجتنبوا الحرام) ولا تتركبوه (واتبعوا المحكم) ولا تتركوه ففيه نوع اعتراض من المصنف على صاحب المصاييح (وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر) واحد الامور أي الحكم والشان والحال في الاعمال التكليفية (ثلاثة) أي ثلاثة انواع (امر) أي منها امر أو احدها امر (بين رشده) أي ظاهر صوابه كاصول العبادات مثل وجوب الصلاة والزكاة (فاتبعه وأمر بين غيه) أي ضلّته كموافقة أهل الكتاب في اعيادهم كذا قاله ابن الملّك والانسب بحسن المقابلة أن يقال في الاول كاصول العقائد من التوحيد والنبوة والقيامة وفي الثاني قتل النفس والزنا (فاتجنبه) أي احتز عنه (و امر اختلف فيه) على بناء المجهول و ضبط في نسخة السيد جمال الدين بضم الهزرة لكن الاولى ان لا تكون الضمة مكتوبة أو تكتب بالحمره ليكون فرقا بين هزرة الوصل والقطع حتى في المصحف في نحو قوله تعالى القارعة والهالك ثم هزرة اختلف مضمومة في الابتداء واذا سقطت في الدرج يجوز ضم التنوين وكسره كما هو مقرر في محله قال الطيبي يحتمل أن يكون معناه اشبه وخفي حكمه ويحتمل ان يراد به اختلاف العلماء أي والادلة وقيل الاولى أن يفسر هذا الحديث بما ورد في آخر الفصل الثالث من حديث أبي ثعلبة اه وقيل المراد ما لم يبينه الشرع مثل المتشابهات وقال ابن الملّك أي اختلف فيه الناس من تلقاء أنفسهم من غير أن يبين الله ورسوله حكمه كمتعين وقت يوم القيامة وحكم أطفال الكفرة (لكلّه) امر من وكل يكل (الى الله عزوجل) أي فوض امره الى الله تعالى فلا تقل فيه شيئا من نفي أو اثبات (رواه أحمد)

* (الفصل الثالث) عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاذة والقاصية والناحية واياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامه. رواه أحمد وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فدخل رقة الاسلام من عنقه رواه أحمد و أبو داود وعن مالك بن أنس مرسلًا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تركت فيكم أمرين لن تضلوا

* (الفصل الثالث) * (عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ذئب الانسان) الذئب مستعار للنفسد والمهلك وهو بالهمز ويدل (كذئب الغنم) أى فى العداوة و الاهلاك قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الآية (يأخذ) أى ذئب الغنم و الظاهر أنه استئناف مبين و قال الطيبي صفة الذئب لانه بمنزلة النكرة كمثل الحمار و يجوز أن يكون حالاً منه و العامل معنى التشبيه اه ولا يخفى ان ما قاله بالنسبة الى الآية ظاهر و أما بالنسبة الى الحديث فالإطلاق أولى من التقييد و المعنى يأخذ غالباً أو بسهولة من غير تدارك (الشاذة) بتشديد الذال المعجمة أى النافرة التى لم تؤنس باخواتها ولم تختلط بهن (و القاصية) التى قصدت البعد عنهن لاجل المرعى مثلاً للالتفات (و الناحية) التى غفل عنها و بقيت فى جانب منها فان الناحية هى التى صارت فى ناحية من الأرض عن اخواتها لغفلتها قال الأبهري كذا قاله الطيبي و ظاهر كلامه أن الناحية بالحاء المهملة و فى النهاية فى باب النون مع الجيم النجاء السرعة يقال نجا ينجو اذا أسرع و نجا من الامر اذا خلص و انجى غيره و منه انما يأخذ الذئب القاصية و الشاذة و الناحية أى السريعة هكذا روى عن الحرابي بالجيم اه و مفهومه أن المعتمد هو الحاء و أما الجيم فانما هو رواية شاذة ولهذا طبقت نسخ المشكاة على الحاء و الله أعلم (و اياكم و الشعاب) بالكسر و النصب من الشعب و هو الوادى ما اجتمع منه طرف و تفرق طرف منه ولذلك قيل شعبت الشئ اذا جمعت و شعبته اذا فرقت و المراد المنعطفات فى الادوية لانها محل السباع و الهوام و قطاع الطريق و السراق و أما كنى الجن ولما فرغ من التمثيل أكده بقوله و اياكم و عقبه بقوله (و عليكم بالجماعة) تقريراً بعد تقرير (و العامه) أى عامة الجماعة يعنى عليكم بمتابعة جمهور العلماء من أهل السنة و الجماعة أو عليكم بمخالطة عامة المسلمين و اياكم و مفارقتهم و العزلة عنهم و اختيار الجبال و الشعاب البعيدة عن العمران و هذا أظهر لفظ التمثيل و الاول أوفق لمعناه و الله أعلم (رواه أحمد و عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا) أى ولو ساعة أو ولو فى قليل من الاحكام قال الأبهري مفارقة الجماعة ترك السنة و اتباع البدعة اه و الظاهر أن مفارقة الجماعة متاركة اجماعهم و يؤيده قوله (فدخل) أى نزع (ريقة الاسلام) أى ذمته (من عنقه) الا ان يعمل الاسلام على كماله أو المراد المبالغة فى التخويف و التنفير عن هذه المفارقة و المخالفة للإعلام بان المداومة على ذلك تؤدى الى الخلع الحقيقى و قال الطيبي الريقة عروة فى جبل تجعل فى عنق البهيمة أويدها تمسكها فاستعيرت لانقياد الرجل و استسلامه لاحكام الشرع و خلعها ارتداده و خروجه عن طاعة الله و طاعة رسوله (رواه أحمد و أبو داود و عن مالك بن أنس) و هو الامام مالك صاحب المذهب (مرسلاً) اعلم أن المرسل هو أن يقول التابعى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو المشهور عند أهل الحديث لكن المعروف فى الفقه و أصوله أن قول من دون التابعى أيضاً يسمى مرسلاً و به ذهب الخطيب لكن قال الا أن أكثر ما يوصف به رواية التابعى عن النبى صلى الله عليه وسلم اه فهذا محمول على قوله فان الامام مالك من أتباع التابعين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تركت فيكم أمرين) أى شيئين عظيمين أو حكمتين ففتحهما (لن تضلوا) أى لن تقموا فى

ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله رواه في الموطأ وعن غضيف بن الحرث الثعالبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث قوم بدعة الا رفع مثلها من السنة فتمسك بسنة خير من احدث بدعة

الضلالة (ما تمسكتم) أى مدة تمسككم (بهما) أى بالامرئين معا (كتاب الله) أى القرآن (وسنة رسوله) أى حديث رسوله وهما منصوبان على البديلية أو بتقدير أئني وقيل بالرفع على الخبرية بتقديرهما ثم في العدول عن سنتي مبالغة في زيادة شرفه والحث على التمسك بسنته بذكره السبب في ذلك وهو خلافته عن الله وقيامه برسالته وان ما جاء به ليس الا من تلك الرسالة لا من تلقاء نفسه (رواه) أى مالك وفيه انه يصير التقدير رواه مالك عن مالك في (الموطأ) فكان حق المصنف أن يذكر التابعي مكان مالك في أول الحديث ثم يقول في الآخر رواه مالك مرسلًا لانه من المخرجين أو يقول كذا في الموطأ مع أنه يبتى مناقشة أخرى في قوله عن فانه يحتاج الى راو عنه وهو غير موجود ثم الموطأ بالهزم وقيل بالالف كتاب مشهور مصنف للإمام مالك قرأ فيه الشافعي ومهد وغيرهما من الائمة عليه وقال الشافعي في حقه هو أصح الكتب بعد كتاب الله لكن هذا قبل وجود الصحيحين والا فصحيح البخاري هو الاصح مطلقا على الاصح والله أعلم (وعن غضيف) بالمعجمتين مصغرا وقيل بالظاء مختلف في صحبته ومنهم من فرق بين غضيف فأثبت صحبته وغظيف تابعي وهو أشبه كذا في الترمذي وذكره المصنف في الصحابة وقال يكنى أبا أسماء شامي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في صحبته وقال ولدت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته وصاحني وسمع عمر وأبا ذر وعائشة وروى عنه مكحول وسليم بن عامر (ابن الحرث الثعالبي) بضم الثاء المثناة وتخفيف الميم نسبة الى ثمالة بطن من الازد (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث) أى أبدع وجدد (قوم بدعة) أى مزاحمة لسنة (الارفع مثلها) أى مقدارها في الكمية أو الكيفية (من السنة) وقال ابن حجر سمى الضد مثلا لانه أقرب خطورا بالبال عند ذكره وأسرع ثبوتا عند ارتفاعه فكان بينهما تناسب ما (تمسك) جواب شرط محذوف أى اذا عرفت ذلك فتمسك (بسنة) أى صغيرة أو قليلة كحياه آداب الخلاة مثلا على ما ورد في السنة وأما قول الطيبي أى سنة قدرة فلفظة قلم وزلة قدم مما ينفر عنه الطبع ويمجه السمع قال ابن حجر ولو لا اشتها علم الرجل وتحقيقه وحسن حاله وطريقته لقضى عليه بهذه الكلمة بأمر عظيم كيف وأصحابنا مصرحون بان من استقدر شيئا منسوبيا اليه عليه الصلاة والسلام كفر والسنة منسوبة اليه بوصفها بالقدارة يقع في تلك الورطة لولا امكان تأويله بانه لم يصفها بالقدارة من حيث كونها سنة بل من حيث تعلق فعلها بمستقدر وهذا يفرض قبوله انما يمنع الكفر فحسب لا الشناعة والقبح وسوء الأدب (خير من احدث بدعة) أى أفضل من حسنة عظيمة كبناء زباط ومدرسة قال الطيبي ويمكن أن يجعل من قبيل العسل أحلى من العسل وعلى حد أى الفريقين خير فالتقدير حينئذ التمسك بسنة فيه خير عظيم وببدعة لا خير فيه أصلا وأما قول ابن حجر وهذا هو الصواب وما مثله الطيبي أولا غير مسلم أما أولا فلان البدعة الحسنة ملحقة بالسنة المنصوصة لكن لما لم تؤلف في الصدر الاوول سميت بدعة وأما ثانيا فنحو المدرسة نفعها عام دائم وثوابها متضاعف باق يبقائها فكيف يفضل عليها ما نفعه قاصر وثوابه منقطع بانتضاء فعله هذا مما لا يعقل اه والظاهر أن مراده عليه الصلاة والسلام المبالغة في متابعته وأن سنته من حيث انها سنة أفضل من بدعة ولو كانت مستحسنة مع قطع النظر عن كونها متعدية أو قاصرة أو دائمة أو منقطعة الا ترى ان ترك سنة أى سنة تكسلا يوجب اللوم والعتاب وتركها استخفافا

رواه أحمد و عن حسان قال ما ابتدع قوم بدعة في دينهم الا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها اليهم الى يوم القيامة رواه الدارمي و عن ابراهيم بن مسيرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام رواه البيهقي في شعب الايمان مرسلًا و عن ابن عباس قال من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا و وقاه يوم القيامة سوء الحساب و في رواية قال من اتدى بكتاب الله لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا هذه الآية فمن اتبع هداي

يبث العصيان والعقاب و انكارها يجعل صاحبه مبتدعا بلا ارتياب و البدعة لو كانت مستحسنة لا يترتب على تركها شيء من ذلك و اما جعل خير بغير معنى التفضيل فبعيد بل تحصيل حاصل معلوم عند المخاطبين فلا يكون فيه فائدة تامة و لا مبالغة كاملة و الله أعلم (رواه أحمد) قال ميرك بسند جيد (و عن حسان) غير منصرف على أنه فعلا و قد ينصرف على أنه فعال و هو ابن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى أبا الوليد الانصاري الخزرجي و هو من فحول الشعراء قال أبو عبيدة أجمع العرب على أن أشعر أهل المدر حسان بن ثابت روى عنه عمرو و أبو هريرة و عائشة و مات قبل الأربعين في خلافة علي و قبل سنة خمسين و له مائة و عشرون سنة عاش منها ستين في الجاهلية وستين في الاسلام (قال) أي حسان (ما ابتدع قوم بدعة) أي سيئة مزاحمة لسنة (في دينهم الا نزع الله من سنتهم مثلها) أي في العدد و القدر أو من شامة ارتكاب البدعة يجرمون من بركات السنة (ثم لا يعيدها) أي الله تلك الحسنة (اليهم) أي الى ذلك القوم الذين اتفقوا على ابتداء السيئة (الى يوم القيامة) قال الطيبي و ذلك أن السنة كانت متصلة مستقرة في مكانها فلما أزيلت عنه لم يمكن اعادةها كما كانت أبدا فقتلها كمثل شجرة ضربت عروقها في تخوم الارض فاذا قلعت لم يمكن اعادةها كما كانت (رواه الدارمي) أي موقوفا لكن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي لاشتماله على اخبار غيب و هو قوله ثم الى الخ فيكون في حكم المرفوع (و عن ابراهيم بن مسيرة) بفتح السين الطائفي يعد في التابعين ثقة صحيح الحديث حديثه في أهل مكة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قر) بالتشديد أي عظم أو نصر (صاحب بدعة) سواء كان داعيا لها أم لا قال ابن حجر كأن قام و صدره في مجلس أو خدمه من غير عذر يلجئه الى ذلك (قد أعان على هدم الاسلام) أي اسلامه أو كمال اسلامه أو على هدم أهل الاسلام أو المراد بالاسلام السنة قال الطيبي و هو من باب التغليظ فاذا كان حال الموقر كذا فما حال المبتدع و فيه أن من قر صاحب سنة كان الحكم بخلافه و كذا من أهان صاحب بدعة يخالف حكمه (رواه البيهقي في شعب الايمان مرسلًا) لاسقاط الصحابي من السند (و عن ابن عباس قال) أي موقوفا (من تعلم كتاب الله) نظرا أو حفظا أو علما بمعناه (ثم اتبع ما فيه) من الامر و النبي (هداه الله من الضلالة) ضمن هدى معنى آمن فعده بمن أي آمنه الله من ارتكاب المعاصي كذا قاله الطيبي و الاظهر أن معناه من اتبع القرآن ثبته الله على الهداية و وقاه من الوقوع في الضلالة مادام يعيش (في الدنيا و وقاه) أي حفظه (يوم القيامة سوء الحساب) أي مناقشته المؤدية الى سوء كما ورد في الحديث من نوقش في الحساب عذب قال الطيبي و فيه أن سعادة الدارين منوطة بتابعة كتاب الله اه و متابعتة موقوفة على معرفة سنة رسوله عليه الصلاة والسلام و متابعتة فهما متلازمان شرعا لا ينفك أحدهما عن الآخر (و في رواية قال) أي ابن عباس (من اتدى بكتاب الله) أي في الاعتقادات و العبادات وغيرها (لا يضل) أي لا يقع في الضلالة (في الدنيا ولا يشقى) أي لا يعذب و لا يعذب (في الآخرة) ثم تلا هذه الآية (فمن اتبع هداي)

فلا يضل ولا يشقى رواه زرّين و عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما و عن جنّتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة و على الأبواب ستور مرخاة و عند رأس الصراط داع يقول استقيموا على الصراط ولا تعوجوا و فوق ذلك داع يدعو كلّما هم عبد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال و يحك لاتفحة فانك ان تفتحه تلجه ثم فسرّه فاخبر أن الصراط هو الاسلام و أن الأبواب المفتحة محارم الله و أن الستور المرخاة حدود الله

أى ما يهدى به أو أريد به المصدر مبالغة و هو القرآن بقرينة الإضافة أى الهداية المخصوصة بى المنسوبة الى و فى معناها الهداية النبوية و السنة المصطفوية و لذا قال فى المعالم أى الكتاب و السنة (فلا يضل و لا يشقى) ظاهر كلام ابن عباس أن نفى الضلالة فى الدنيا و نفى التعب فى الآخرة و عليه جمهور المفسرين و قال سهل بن عبد الله تسترى من اتبع الهدى و هو ملازمة الكتاب و السنة لا يضل عن طريق الهدى و لا يشقى فى الآخرة و الأولى فكأنه لم يعد التعب الدنيوى مع النعيم الآخوى تعباً أو لانشرح صدره و اطمئنان قلبه و تسليمه تحت القضاء مع الرضا ارتفع التعب كله و الله أعلم (رواه زرّين و عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا) أى بين مثلا (صراطا مستقيما) بدل من مثلا لا على اهدام المبدل كما فى قولك زيد رأيت غلامه رجلا صالحا (و عن جنّتي الصراط) يفتح النون كذا فى النهاية نقله ميرك أى عن طرفيه و جانبيه يعنى يمينه و يساره (سوران) و الجملة حال عن صراطا (فيهما أبواب مفتحة) الجملة صفة سوران أى جدران فاصلان بين الصراط المستقيم و طرفيه الخارجين عن الصراط القويم المشبهين بسور البلد من جنّتيه أحد جانبيه من أهله و الآخر من العدو و فيه إيماة الى قوله تعالى فضرّب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب و الله أعلم بالصواب (و على الأبواب ستور) جمع الستر بالكسر (مرخاة) أى مرسلّة و الجملة حال من ضمير الأبواب فى مفتحة و وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى صاحبها لإفادة التفضيح (و عند رأس الصراط) أى عليه (داع) معطوف على و عن جنّتي الصراط (يقول) أى الداعى (استقيموا) أى استوتوا (على الصراط و لا تعوجوا) بتشديد الجيم من الاعوجاج كذا فى نسخة السيد و غيره و فى نسخة بتشديد الواو على حذف إحدى التاءين و هو تأكيد لما قبله أى لا تحيلوا الى الأطراف قال الطيبى عطف على استقيموا على الطرد و العكس لأن مفهوم كل منهما يقرر منطوق الآخر و بالعكس (و فوق ذلك) عطف على و عند رأس الصراط و المشار إليه بذلك الصراط أو الداعى (داع يدعو كلّما هم عبد) أى قصد و أراد (أن يفتح شيئا) أى قدرنا يسيرا (من تلك الأبواب) أى ستورها قال الطيبى كما ظنّف يستدعى الجواب و هو قال اه و الضمير فى (قال) راجع الى الداعى (و يحك) زجر له عن تلك الهمة و هى كلمة ترحم و توجع تقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها كذا قاله الطيبى يعنى ثم استعمل ليجرد الزجر عما هم به من الفتح (لا تفتحه) أى شيئا من تلك الأبواب أى ستورها و قال الأبهري هذا يدل على أن تلك الأبواب مردودة فمعنى قوله سابقا أبواب مفتحة غير مغاظة اه و هو خلاف الظاهر (فانك ان تفتحه تلجه) أى تدخله يعنى لا تقدر أن تملك نفسك و تمسكها عن الدخول بعد الفتح (ثم فسرّه) أى أراد تفسيره (فاخبر أن الصراط هو الاسلام) و هو طريق مستقيم و المطلوب من العبد الاستقامة عليه (و أن الأبواب المفتحة محارم الله) فانها أبواب للخروج عن كمال الاسلام و الاستقامة و الدخول فى العذاب و الملازمة (و أن الستور المرخاة حدود الله) قال الطيبى الحد الفاصل بين العبد و محارم الله كما قال الله تعالى تلك

و أن الداعی علی رأس الصراط هو القرآن و أن الداعی من فوقه هو واعظ الله فی قلب كل مؤمن رواء
 رزین و رواء أحمد و البیهقی فی شعب الایمان عن النواس بن سیمان و كذا الترمذی عنه الا أنه ذكر
 أخصر منه و عن ابن مسعود قال من كان مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا تؤمن علیه الفتنة أولئك
 أصحاب مھدصلی الله علیه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة

حدود الله فلا تقربوا له و الظاهر و الله أعلم أن المراد من الستور الامور المستورة الغير المبينة من
 الدين السماعة بالشبهة المعبر عنها بحول الحمی فی الحديث المشهور (و أن الداعی) و فی نسخة
 و الداعی بالرفع (علی رأس الصراط هو القرآن و أن الداعی من فوقه) أى فوق الصراط أو من فوق
 الداعی الاول (هو واعظ الله فی قلب كل مؤمن) قال الطیبی هو لمة الملك فی قلب المؤمن و اللمة
 الاخری هی لمة الشيطان اه أى التى أثرها الهم و كان الاظهر أن يقول و الهم لمة الشيطان (رواه
 رزین) أى عن ابن مسعود (و رواء أحمد و البیهقی فی شعب الایمان عن النواس) بفتح النون
 و تشدید الواو (ابن سیمان) بكسر الصین المهملة و قبل بفتحها و سكون المیم و بالعين المهملة
 كلاي سكن الشام و هو معدود منهم روى عنه جبیر بن نفي و أبو داود الخولاني و كان من أصحاب
 الصفة (و كذا الترمذی عنه) أى روى عن النواس (الا أنه) أى الترمذی (ذكر أخصر منه) أى من
 هذا الحديث أو أخصر ما ذكر غيره (و عن ابن مسعود قال من كان مستنا) بتشدید النون أى مقتديا
 بسنة أحد وطريقته (فليستن بمن قد مات) أى على الاسلام و العلم و العمل و علم حاله و كماله
 على وجه الاستقامة قال الطیبی أخرج الكلام مخرج الشرط و الجزاء تنبيها به على الاجتهاد و تحرى
 طريق الصواب بنفسه بالاستنباط من معانى الكتاب و السنة فان لم يتمكن فليقتد بأصحاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لانهم نجوم الهدى و كان ابن مسعود يوصى القرون الآتية بعد قرون الصحابة و التابعين
 باقتناء أثرهم و الاهتداء بسيرهم و أخلاقتهم اه و الظاهر أنه يوصى التابعين و من بعدهم تبع لهم
 بالافتداء بالصحابة لكن خص أمواتهم لانه علم استقامتهم على الدين و استدامتهم على اليقين بخلاف
 من بقى منهم حيا فانه يمكن منهم الافتتان و وقوع المعصية و الطغيان بل الردة و الكفران لان العبرة
 بالخاتمة و هذا تواضع منه فی حقه رضی الله عنه لكمال خوفه على نفسه و لما رأى من الفتن العظيمة و وقوع
 الهالكين فيها و الا فهو ممن يقتدى به حيا و ميتا و قد شهد له عليه الصلاة والسلام بالجنة و قال رضيت
 لامتى ما رضى لهم و أنه أفنته الصحابة بعد الخلفاء الاربعة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين و لذا اختار الامام
 الاعظم تشهده على تشهد ابن عباس و يؤيد ما قلنا قوله (فان الحي لا تؤمن علیه الفتنة) قال الطیبی
 الفتنة كالبلاء يستعملان فيما يدافع اليه الانسان من الشدة و الرخاء اه و هما فی الشدة أظهر و أما قول
 الطیبی لان أصحاب النبی صلى الله عليه وسلم كانوا قد آمنوا من الفتنة قال تعالى ان الذين يغضون
 أبصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة و أجر عظيم ففیه نظر
 ظاهر (أولئك أصحاب مھدصلی الله علیه وسلم) إشارة الى من مات أفرد الضمير في مات نظرا الى اللفظ
 و قال أولئك نظرا الى المعنى كذا ذكره الطیبی و فيه إشارة الى أن الصحابي الحقيقى هو الذى لقي النبی
 صلى الله عليه وسلم و آمن به و مات على الایمان و أما من عاش منهم فهو فی خطر من الردة سواء آمن
 بعدها أم لا فان بالردة تبطل الصحبة فی مذهبنا (كانوا أفضل هذه الأمة) أى أمة الاجابة و هم خير
 أمة تكاثروا أفضل الامم قال الطیبی إشارة الى ما فی الذهن من أمة مھدصلی الله علیه وسلم الى انقراض العالم
 اه أو يقال الإشارة الى الموجودين فی القرن الثانى و یازم منه الافضلية على سائر القرون لحديث

أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا اختارهم الله لصحبة نبيه ولاقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم
واتبعوهم على أثرهم

خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم الحديث (أبرها قلوبا) أى أطوعها وأحسنها وأخلصها وأعلمها أو
أكثرها إيمانا قال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الآية وقال عز وجل أولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى أى ضربهم بأنواع المحن والتكليفات الصعبة والشدائد التى لا تطاق لأجل
الرضا أو أخلصها للتقوى. من قولهم امتحن الذهب وفتنته إذا أذنته بالنار حتى خرج خالصا نقياً أو
أذهب الشبهات والحظوظ الدنيوية عنها كما قاله عمر رضى الله عنه (وأعمقها علما) أى أكثرها
غورا من جهة العلم وأدقها فهما وأوفرها حظا من العلوم المختلفة كالتفسير والحديث والفقه
والقراءة والفرائض والتصوف لسعة صدورهم وشرح قلوبهم فكان كل واحد منهم أمة جامعا للشمال
والسنية والفضائل البهية لا توجد غالبا الا فى جماعة وأما من بعدهم فقد اترقوا فبعضهم صار مفسرا
والشيخ جلال الدين السيوطى على العلامة التفتازانى فى قوله عند قوله تعالى يسئلونك عن الاهله أن
الجواب من أسلوب الحكيم فانهم ما كانوا يدركون تحقيق ماهية الاهله ولذا عدل الى قوله قل هي
راقت للناس والحج مع أن السائل من أجلاء الصحابة وهو معاذ بن جبل الذى قال عليه الصلاة
والسلام فى حقه هو أعلمكم بالحلال والحرام (وأقلها تكلفا) أى فى العمل فانهم كانوا يشون حفاة
ولا يتكلمون الا فيما يعينهم ويقولون فيما لا يدرون لاندري وكانوا يتدافعون الفتوى عن أنفسهم
ويشيرون الى من هو أعلم منهم وكذا فى القراءة فانهم كانوا يتلون القرآن حق تلاوته على لحن
العرب من غير الثغرات والتمطيطات وغيرها وكذا فى الأحوال الباطنية فانهم ما كانوا يرتصون
ولا يصيحون ولا يطيحون ولا يطرقتون ولا يجتمعون للغناء والمزامير ولا يتلحفون للاذكار والصلوات
برفع الصوت فى المساجد ولا فى بيوتهم بل كانوا فرشين بآدابهم عرشين بارواحهم كائنين
مع الخلق فى الظاهر بائنين عن الخلق مع الحق فى الباطن وكانوا يلبسون ماتيسر لهم من الصوف
والقطن والكتان غير متقدين بالأوصاف المخصوصة والمرعات المنتقشة وكانوا يأكلون ماتجبا لهم من
الحلالات والمستلذات غير محترزين من اللحم أو اللبن أو الفواكه وغير ذلك وكل هذا بترية النبى
صلى الله عليه وسلم العربى الكاسل المكمل الذى قال أدبى رضى فاحسن تأديبى كما أشار اليه رضى الله عنه
بقوله (اختارهم الله) أى من بين الخلائق (لصحبة نبيه) الذى كان كالاكسير فى كمال التأثير
(ولاقامة دينه) فانهم نقلت أقاله وحمله أحواله الى من بعدهم وأيضا جاهدوا حق الجهاد حتى
فتحو البلاد وأظهروا الدين للعباد مع اشتغالهم بأحوال المعاش والمعاد جزاهم الله عن المسلمين
خير الجزاء فى يوم التناد (فاعرفوا لهم فضلهم) أى على غيرهم وإن كان بعضهم أفضل من بعض أى
زيادة قدرهم فى كل شىء من العلم والعمل والفز والالفاق ومزية الثواب وغيرها كما قال تعالى
لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا
(واتبعوهم) بتشديد التاء أى كونوا متبعين لهم حال كونكم ماشين (على أثرهم) بفتحهما وبكسر الهمزة
وسكون المثناة أى عقبهم فى العلم والعمل فانهم اتبعوا أثر النبى صلى الله عليه وسلم على ما شاهدوا من

و تمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم و سيرهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم رواه رزين و عن جابر أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسخة من التوراة فقال يا رسول الله هذه نسخة من التوراة فسكت فجعل يقرأ و وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير فقال أبو بكر ثكلتك الثواكل ما ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر عمر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أعوذ بالله من غضب الله و غضب رسوله رضينا بالله ربا و بالاسلام ديننا و بمحمد نبيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم و الذي نفس يدي بيدك لو بدا لكم موسى فاتبتموه و تركتموني لضلتمت عن سواء السبيل ولو كان حيا و أدرك نبوتك لاتبعتني

الاقوال و الاحوال و الافعال و لذا قال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم (و تمسكوا) أى خذوا و اعملوا (بما استطعتم) و فيه إشارة الى عجز المتأخرين عن المتابعة الكاملة لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله و المحبة على قدر المتابعة كما أن المتابعة على قدر المحبة قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (من أخلاقهم) الحميدة (و سيرهم) السعيدة (فانهم كانوا على الهدى المستقيم) لانهم كانوا أتباع الرسول الكريم في الدين القويم قال الطيبي في قوله فاعرفوا لهم قد أجمل ههنا ثم فصل بقوله فضلهم كما في قوله تعالى رب اشرح لي صدري و المراد من العرفان ما يلازمه من متابعتهم و محبتهم و التخلق بأخلاقهم فان قوله و اتبعوهم عطف على اعرفوا على سبيل البيان و قوله على أثرهم حال مؤكدة من فاعل اتبعوا نحو قوله تعالى ثم وليتم مدبرين و يجوز أن يكون من المفعول اه و خطر بالبال و الله أعلم بالحال أن هذا من ابن مسعود رضی الله عنه شهادة على حقة الاصحاب المتقدمين ردا على الرافضة و الملحدين (رواه رزين و عن جابر أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسخة) بضم التون أى بشئ نسخ و نقل (من التوراة فقال يا رسول الله هذه نسخة من التوراة) أى فقبل تأذن لنا أن نطالع فيها لنطلع على ما فيها من أخبار الامم و شرائع موسى عليه الصلاة و السلام (فسكت) من كمال حلمه و غاية لينه و رحمته (فجعل) أى شرع عمر (يقرأ) تلك النسخة ظنا ان السكوت علامة الرضا و الاذن (ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير) من أثر الغضب (فقال أبو بكر رضی الله عنه لعمر ثكلتك) بكسر الكاف أى فقدتک (الثواكل) أى من الامهات و البنات و الاخوات و أصله دعاء للموت لكن العرب تستعمله في محاوراتهم غير قاصدين به حقيقة ذلك كترت عينه و رغم أنه (ما ترى) ما نافية بتقدير الاستفهام (ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم) ما هذه موصولة أو موصوفة (فنظر عمر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم) فعرف آثار الغضب فيه (فقال أعوذ بالله من غضب الله و غضب رسوله) غضب الله توطئة لذكر غضب رسوله ايذانا بأن غضبه غضبه كذا قاله الطيبي و ايماء الى ان التعوذ انما هو من غضب الله حقيقة و انما يتعوذ من غضب رسوله لانه سبب لغضبه تعالى و الله أعلم (رضينا بالله ربا و بالاسلام ديننا و بمحمد نبيا) قاله اعتذرا عما صدر عنه و جمع الضمير ارشادا للسامعين كذا قاله الطيبي أو ايماء الى أني مع الحاضرين في مقام الرضا طلبا للرضا و اجتنابا عن الغضب (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم و الذي نفس يدي بيدك) أى بقدرته و ارادته (لو بدا) بالالف دون الهمزة أى ظهر (لكم موسى) على الفرض و التقدير (فاتبعتموه و تركتموني) لم يقتصر على الاتباع لانه بمجردة لا محذور فيه و انما المحذور في اتباعه يؤدي الى الترك (لضلتمت عن سواء السبيل) فكيف مع وجودى و عدم ظهور موسى تتبعون كتابه المنسوخ و تتركون الاخذ منى (و لو كان) أى موسى كما في نسخة (حيا) أى في الدنيا فان الانبياء احياء عند ربهم (و أدرك نبوتك) أى زمانها (لاتبعتني) لان دينه صار منسوخا في زمانى و لاخذ العيثاق منه و من سائر الانبياء على ذلك كما

رواه الدارمي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامي لا ينسخ كلام الله وكلام الله ينسخ كلامي وكلام الله ينسخ بعضه بعضا وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احاديثنا ينسخ بعضها بعضا كمنسوخ القرآن وعن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض

قال تعالى واخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية قبل رسول عام فالتونين للتذكير وقيل خاص وهو محمد صلى الله عليه وسلم فالتونين للتعظيم والله أعلم وفي الحديث نهى بليغ عن العدول من الكتاب والسنة الى غيرهما من كتب الحكماء والفلاسفة (رواه الدارمي وعنه) أي عن جابر (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامي لا ينسخ كلام الله) النسخ لغة التبديل وشرعا بيان لانتهاه الحكم الشرعي المطلق ثم نسخ الكتاب بالسنة لا يجوز عند الثوري والشافعي وأحمد في رواية وفي رواية يجوز وهو مذهب أبي حنيفة ومالك ومنه نسخ الوصية للوالدين والاقربين بقوله عليه الصلاة والسلام لاوصية لوارث وأجيب بأن النسخ انما هو آية الميراث وفيه بحث اذ الكلام في الوصية لا في مقدار الموصى به ومن هذا التبيل قوله عليه الصلاة والسلام نحن معاشر الانبياء لانورث (وكلام الله ينسخ كلامي) وهذا يؤيد مذهب أبي حنيفة في الجواز خلافا للشافعي ومثاله نسخ التوجه الى بيت المقدس فانه صلى الله عليه وسلم كان متوجها الى الكعبة ثم تحول الى بيت المقدس بالسنة ثم نسخ بقوله تعالى قول وجهك شطر المسجد الحرام قال ابن حجر في كل من هذين خلاف للاصوليين والاصح أنه يجوز نسخ كل بالآخر لاستوائهما من حيث ظنية الدلالة في كل منهما ولقوله تعالى وانزلنا اليك الذر لتبين للناس ما نزل اليهم ولا يرد عليهم ما في هذا الحديث لتوقف ذلك على صحته أو حسنه على أنه يمكن تأويله بجملة على انه لا ينسخ لفظه (وكلام الله ينسخ بعضه بعضا) وهذا لا خلاف فيه كآيات المسالمة وآيات القتال والمنسوخ أنواع منها التلاوة والحكم معا وهو ما نسخ من القرآن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بالانساء حتى روى أن سورة الاحزاب كانت تعدل سورة البقرة ومنها الحكم دون التلاوة كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين ومنها التلاوة دون الحكم كآية الرجم وهي الشيخ والشحعة اذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وبقى في الحديث قسم رابع وهو نسخ السنة بالسنة وجوازه متفق عليه ومثاله كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فاجتمع في هذا الحديث النسخ والمنسوخ وهو مستفاد من الحديث الآتي وهو قوله (وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احاديثنا) أي بشرط صحتها (ينسخ بعضها بعضا) أي بشرط معرفة التاريخ (كنسخ القرآن) أي كما ينسخ بعض آياته بعضها والتشبيبه في مجرد النسخ لا في انواعه كما تقدم (وعن أبي ثعلبة) مشهور بكنيته واسمه جرثوم بن ناضر (الخشني) بضم المعجمة الاولى وفتح الثانية بطن من قضاة وهو من أهل بيعة الرضوان كذا في التهذيب وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم الى قومه فأسلموا ونزل بالشام ومات بها سنة خمس وسبعين وروياته أربعون حديثا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض) بالهمز جمع فريضة بمعنى مفروضة والتاء للتقل من الوصفية الى الاسمية وهي ما يترتب على فعله الثواب وعلى تركه العقاب من العبادات قال في الصحاح الفرض ما أوجبه الله سمي بذلك لان له معالم وحدودا واصطلاحا هو ما يمدح فاعله شرعا ويذم تاركه قصدا مطلقا ويرادته الواجب هذا عند الشافعي وعند أبي حنيفة ما ثبت بدليل قطعي والواجب بدليل ظني كذا في شرح الاربعين والواجب عندنا فرض عملي أيضا يترتب على تركه العقاب لكن دون عقاب الفرض والمقام يناسب المعنى الاعم أي أوجب أحكامها مقدرة مقطوعة كالإيمان والاسلام

فلا تضيعوها و حرم حرمان فلا تشبهوها و حد حدودا فلا تعدوها و سكت عن أشياء
من غير نسيان فلا تجثوا عنها

و كالصلاة و الزكاة و سائر الفرائض العلمية و العملية سواء يكون من فروض الكفاية أو العينية و سواء
أوجه الله في كتابه أو على لسان رسوله (فلا تضيعوها) بتركها رأساً أو بترك شروطها و أركانها
أو بالسمة و الرياء أو بالعجب و الغرور قال بعض المحققين و عند العارفين هي المعرفة الإلهية التي
هي بمقصود الخلق كما أشار إليه الحق بقوله تعالى و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون أي ليعرفون
ولا تحصل المعرفة غالباً إلا بالمجاهدة و هي تركية النفس عن ظلمة أخلاقها و تحليتها عن أوصاف
الذائل و تحليتها بانوار الفضائل كالنوبة و التقوى و الزهد و الاستقامة و سائر الأخلاق الحميدة
و الارتقاء من حال إلى حال و التصاعد من مقام إلى آخر حتى تتجلى شمس صفات الجلال و تظهر طوابع
أنوار الجمال و يستولى سلطان الحقيقة على ممالك الخليفة و يطوى بإيدي سطوات الجود سرادقات
الوجود فمابقي الأرض و لا السماء و لا الظلمة و لا الضياء و تلاشي العبد في كعبة العندية و نودي
بفناء الفناء من عالم البقاء رفعت التبلية و ما بقي إلا الله قائماً تولوا فثم وجه الله و هذا حال السالك
المجذوب أو المجذوب السالك و معنى الجذبة أنه ينجح المجذوب من أسر الملكوت ما يدesh
عقله و يأخذه عن نفسه (و حرم حرمان) أي محرمات من المعاصي و في الأربعين للنووي و حرم أشياء
أي كالميتة و الدم (فلا تشبهوها) أي لا تقربوها فضلاً عن أن تتناولوها كما قال تعالى و لا تقربوا
الزنا و قال في الصحاح انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل و قيل الانتهاك خرق محارم الشرع كذا ذكره
السيد جمال الدين و قال ميرك و هو عند الطائفة الصوفية متابعة الشيطان و الهوى و الإقبال على الدنيا
و الاعراض عن العقبى اذ يجب أن ينقطع المحب عن كل مطلوب بل ينقطع عما سوى المحبوب (و حد
حدوداً) أي بين و عين حدوداً في المعاصي من القتل و الضرب (فلا تعدوها) أي لا تتجاوزوا عن الحد
لا بالزيادة و لا بالتقصان قال في النهاية الحدود هي محارم الله تعالى و عقوباتها التي قرنها بالذنوب و أصل الحد
المنع و الفصل بين الشئين فكان حدود الشرع فصلت بين الحلال و الحرام فمنها ما لا يقرب كالفواحش
المحرمة و منه قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها و منها ما لا تعدى كالموارث المعينة و تزويج
الأربعة و منه قوله تعالى تلك حدود الله فلا تعدوها و التلخيص أن حدود الله ما منع من مخالفتها بعد
ان قدرها بمقادير مخصوصة و صفات مضبوطة و منه تعيين الركعات و الاوقات و ما وجب اخراجه في
الزكوات و إثباتها في الحج و حدود العقوبات فكانه تقرير و تأكيد للتسمين المتقدمين هذا و في كلام
الصوفية أن العبد يتقلب في جميع الاوقات على الحدود و لكل عمل حد و لكل وقت حد و لكل حال و مقام حد
فمن تجاوزها فقد ضل سواء السبيل (و سكت عن أشياء) أي ترك ذكر أشياء أي حكمها من الوجوب و الحرمة
و الحل (من غير نسيان) بل من رحمة و احسان و في الأربعين رحمة لكم غير نسيان ينصب رحمة
على العلة و نصب غير على الحالية و النسيان هو ترك الفعل بلا قصد بعد حصول العلم بخلاف السهو
(فلا تجثوا عنها) أي لا تفتشوا عن تلك الأشياء دل على أن الاصل في الأشياء الاباحة كتوله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً هذا و قال بعض العارفين اعلم أن الله تعالى تجلى على عامة
عباده بافعاله و آياته المنبئة في أرضه و سمائه و لخواص أصفائه بصفاته العظمى و لاعظم أنبيائه بذاته
و حقائق صفاته و خصه بذلك دون غيره من عرفائه رحمة لهم غير نسيان اذ ما قام عظيم عند عظمته
الاكل و زل و لا استقام كبير دون كبريائه الاهام و قام كما قال جل جلاله و عم نواله لايرانى حى الامات

روى الاحاديث الثلاثة الدارقطنى * (كتاب العلم) * * (الفصل الاول) * عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغوا عنى ولو آية

ولا يابس الا تدعهه ولارطب الا تفرق و انما يرائى أهل الجنة الذين لآتموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم ولذا قال فلا تبحثوا عنها أى لا تتفكروا فيها فان الباب الى وصول معرفة كنه الذات مردود والطريق الى كنه الصفات مسدود تفكروا فى آله الله ولا تتفكروا فى ذات الله

العجز عن درك الادراك ادراك * والبعث عن سر ذات الرب اشراك

(روى الاحاديث الثلاثة الدارقطنى) و قال النووى فى الاخير حديث حسن رواه الدارقطنى وغيره

* (كتاب العلم) *

أى فضله وفضل تعلمه وتعليمه وبيان ما هو علم شرعا وهو أعم من الكتاب والسته فيكون ذكره بعد باب الاعتصام من باب التعميم بعد التخصيص والعلم نور فى قلب المؤمن مقتبس من مصابيح مشكاة النبوة من الاقوال المجمدية والافعال الاحمدية والاحوال المحمودية يهتدى به الى الله وصفاته وأفعاله وأحكامه فان حصل بواسطة البشر فهو كسبى والا فهو العلم اللدنى المنتظم الى الوحي والالهام والفراسة فالوحي لغة اشارة بسرعة واصطلاحا كلام الهى يصل الى القلب النبوى فما أنزل صورته ومعناه ولا يكون الا بواسطة جبريل فهو الكلام الالهى وما نزل معناه على الشارع فعبر عنه بكلامه فهو الحديث النبوى وهذا قد يكون بغير واسطة فى محل الشهود كما قال تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى وقد يكون بواسطة نزول الملك أى بنزوله من الصورة الملكية الى الهيئة البشرية وتحققة أن المشكك الحقيقى هو الحق فكلم أولا همدا بواسطة جبريل وثانيا أصحابه بواسطة محمد وثالثا التابعين بواسطة الصحابة وهم جرا وقد يكون بنفثه فى قلبه بان يلقى معناه من غير أن يتمثل بصورة ان روح القدس نفث فى روعى والالهام لغة الابلاغ وهو علم حق يقذفه الله من الغيب فى قلوب عباده قل ان ربي يقذف بالحق والفراسة علم يتكشف من الغيب بسبب تفرس آثار الصور اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فالفرق بين الالهام والفراسة أنها تكشف الامور الغيبية بواسطة تفرس آثار الصور والالهام كشفها بلا واسطة والفرق بين الالهام والوحي أنه تابع للوحي من غير عكس ثم علم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان بطريق الكشف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال لورود زائد الوصال * (الفصل الاول) * (عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغوا عنى) أى انقلوا الى الناس وأفيدوهم ما أمكنكم أو ما استطعتم مما سمعتموه منى وما أخذتموه عنى من قول أو فعل أو تقرير بواسطة أو بغير واسطة (ولو آية) أى ولو كان المبلغ آية وهى فى اللغة العلامة الظاهرة قال زين العرب و انما قال آية لانها اقل ما يفيد فى باب التبليغ ولم يقل حديثا لان ذلك يفهم بطريق الاولى لان الآيات اذا كانت واجبة التبليغ مع انتشارها وكثرة حملتها لتواترها وتكفل الله تعالى بحفظها وصولها عن الضياع والتحريف لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فالحديث مع أنه لاشئ فيه ما ذكر أولى بالتبليغ واما لشدة اهتمامه عليه الصلاة والسلام بنقل الآيات لبقائها من سائر المعجزات ولمساس الحاجة الى ضبطها ونقلها اذ لا بد من تواتر ألفاظها والآية ما وزعت السورة عليها اه والثانى أظهر كما لا يخفى وقال المظهر المراد بالآية الكلام المفيد نحو من صمت نجا والدين النصيحة أى بلغوا عنى أحاديثى ولو كانت قليلة فان قيل فلم قال ولو آية ولم يقل ولو حديثا مع انه المراد قلنا لوجهين أحدهما انه أيضا داخل فى هذا الامر لانه عليه الصلاة والسلام مبلغهما وثانيهما أن طباع

وحدثوا عن نبي اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار

المسلمين مائلة الى قراءة القرآن وتعلمه وتعليمه ونشره ولانه قد تكفل الله بحفظه اه والظاهر ان المراد الكلام المقيد وهو اعم من الآية والحديث وانما اختير لفظ الآية لشرفها أو المراد من الآية الحكم الوحي اليه صلى الله عليه وسلم وهو اعم من المتلوة وغيرها بحكم عموم الوحي الجلي والخي أو لان كل ما صدر عن صدره فهو آية دالة على رسالته فان ظهور مثل هذه العاوم من الامى معجزة والله أعلم قال الطيبي وفي الحديث فوائد منها التحريض على نشر العلم ومنها جواز تبليغ بعض الحديث كما هو عادة صاحب المصاييح والمشارق ولا بأس به اذ المقصود تبليغ لفظ الحديث مفيدا سواء كان تاما أم لا (وحدثوا عن نبي اسرائيل ولا حرج) الحرج الضيق والاثم وهذا ليس على معنى اباحة الكذب عليهم بل دفع لتوهم الحرج في التحديث عنهم وان لم يعلم صحته واستاده لبعده الزمان كذا في شرح السنة وتبعه زين العرب وأشار اليه المظهر وهو مقيد بما اذا لم نركذب ما قالوه علما أو ظنا قال السيد جمال الدين ووجه التوفيق بين النبي عن الاشتغال بما جاء عنهم وبين الترخيص المفهوم من هذا الحديث ان المراد بالحدث ههنا التحدث بالتقصص من الآيات العجيبة كحكاية عوج ابن عتق وقتل نبي اسرائيل أنفسهم في تويتهم من عبادة العجل وتفصيل القصص المذكورة في القرآن لان في ذلك عبرة وموعظة لا لاولى الالباب وان المراد بالنهي هناك النهي عن نقل أحكام كتبهم لان جميع الشرائع والاديان منسوخة بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم اه لكن قال ابن قتيبة وما روى عن عوج انه رفع جبلا قدر عسكر موسى عليه السلام وهم كانوا ثلثمائة ألف ليضعه عليهم فنفره هدهد بمنقاره وثبته ووقع في عنقه فكذب لأصل له كذا نقله الابهري وروى الفقيه أبو الليث السمرقندي باسناده في تنبيه الغافين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حدثوا عن نبي اسرائيل ولا حرج فانه قد كانت فيهم أعاجيب ثم أنشأ يحدث أي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خرجت طائفة من نبي اسرائيل حتى انتهوا الى مقبرة فقالوا لوصيلنا ثم دعونا ربنا حتى يخرج الله لنا بعض الموتى فيخبرنا عن الموت ففعلوا ذلك ثم دعوا ربهم فبيناهم كذلك اذا رجل قد أطلع رأسه من قبره وهو أسود خلا شيبا أي يبيض رأسه يخالط سواده وقال ياهؤلاء ما أردتم فوالله لقد مت منذ تسعين سنة فما ذهبت مراة الموت مني حتى كأنه الآن فادعوا الله ان يعيدني كما كنت وكان بين عينيه أثر السجود (ومن كذب على) قال الكرماني معنى كذب عليه نسب الكلام كاذبا اليه سواء كان عليه أوله اه وبهذا يتدفع زعم من جوز وضع الاحاديث للتحريض على العبادة كما وقع لبعض الصوفية الجهلة في وضع احاديث في فضائل السور وفي الصلاة الليلية والنهارية وغيرها والظاهر ان تعديته يعلى لتضمن معنى الاقتراء (متعمدا) نصب على الحال وليس حالا مؤكدة لان الكذب قد يكون من غير تعمد وفيه تنبيه على عدم دخول النار فيه (فليتبوا مقعده من النار) يقال تبوا الدار اذا اتخذها مسكنا وهو أمر معناه الخبر يعني فان الله بيوته وتعبيره بصيغة الامر للاهانة ولذا قبل الامر فيه للتهكم والتهديد اذ هو ابلغ في التلغيز والتشديد من أن يقال كان مقعده في النار ومن ثم كان ذلك كبيرة بل قال الشيخ أبو محمد الجويني انه كفر يعني لانه يرتب عليه الاستخفاف بالشريعة ويؤخذ من الحديث ان من قرأ حديثه وهو يعلم انه يلحن فيه سواء كان في أدائه أو اعراه يدخل في هذا الوعيد الشديد لانه بلحنه كاذب عليه وفيه اشارة الى أن من نقل حديثا وعلم كذبه يكون مستحقا للنار الا أن يتوب لا من نقل عن راوعته عليه السلام أو رأى في كتاب ولم يعلم كذبه قال الطيبي فيه ايجاب التحرز عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لا يحدث عنه

رواه البخاری و عن سمرة بن جندب و المغيرة بن شعبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حدث عني بحديث يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين

الابا يصح بنقل الاستناد قال ابن حجر و ما أوهمه كلام شارح من حرمة التحديث بالضعيف مطلقا مردود اه و الظاهر ان مراد الطيبى بقوله الابا يصح الصحة اللغوية التي بمعنى الثبوت لا الاصطلاحية و الا لاوهم حرمة التحديث بالحسن أيضا ولا يحسن ذلك ولا يظن به هذا اذ من المعلوم أن أكثر الاحاديث الدالة على الفروع حسان و من المقرر ان الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال فيتين حمل كلامه على ما ذكرناه و كلامه أيضا مشعر بذلك اذ لم يقل بنقل الاستناد الصحيح ولكنه موهم أنه لايد من ذكر الاستناد وليس كذلك لان المراد أنه لا يحدث عنه الابا ثبت عنه و ذلك الثبوت انما يكون بنقل الاستناد و فائدته أنه لوروى عنه ما يكون معناه صحيحا لكن ليس له اسناد فلا يجوز أن يحدث به عنه والله في الاستناد للعهد أى الاستناد المعتبر عند المحدثين و الا فقد يكون للحديث الموضوع اسناد أيضا قال عبد الله بن المبارك الاستناد من الدين ولو لا الاستناد لقال من شاء ما شاء قال ابن حجر و لكون الاستناد يعلم به الموضوع من غيره كانت معرفته من فروض الكفاية قيل بلغوا عني بحديث وجهين أحد هما اتصال السند بنقل الثقة عن مثله الى منتهاه لان التبليغ من البلوغ و هو انتهاء الشئ الى غاية و الثانى أداء اللفظ كما سمع من غير تغيير و المطلوب في الحديث كلا الوجهين لوقوع بلغوا مقابلا لقوله حدثوا عن بنى اسرائيل (رواه البخارى) أى مجموع الحديث و كذا رواه أحمد و الترمذى و أما قوله من كذب الخ فرواه أحمد و الشيخان و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و أبوداود و الحاكم و الطبرانى و الدارقطنى و الخطيب و ابن عدى و غيرهم عن جمع كثير من الصحابة قال ابن الصلاح حديث من كذب على من المتواتر و ليس في الاحاديث ما في مرتبته من التواتر فان ناقليه من الصحابة جم غفير قيل اثنان و ستون من الصحابة فيهم العشرة المبشرة و قيل لانعرف حديثا اجتمع فيه العشرة الا هذا ثم عدد الرواة كان في التزايد في كل قرن (و عن سمرة) يفتح السين و ضم الميم (ابن جندب) بضم الجيم و الدال و يفتح الفزاري حليف الانصار كان من الحفاظ الكثيرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه جماعة مات بالبصرة آخر سنة تسع و خمسين (و المغيرة بن شعبه) بضم الميم و كسرهما و الضم أشهر قيل انه أحسن ثلثمائة امرأة في الاسلام كذا في التهذيب ثقتى أسلم عام الخندق و قدم مهاجرا نزل الكوفة و مات بها سنة خمسين و هو ابن سبعين سنة و هو أميرها لمعاوية بن أبى سفيان روى عنه نفر (قالا) رضى الله عنهما (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حدث عني بحديث) أى ولو بواحد (يرى) روى بضم الباء من الاراءة أى يظن و يفتحها من الرأى أى يعلم (انه) أى الحديث (كذب) يفتح الكاف و كسر الذال و جوز كسر الكاف و سكون الذال يعنى ولم يبين كذبه (فهو) بضم الهاء و سكونها (أحد الكاذبين) جمع باعتبار كثرة النقلة قال الأشرف سماه كاذبا لانه يعين المفترى و يشاركه بسبب اشاعته فهو كمن أعان ظالما على ظلمه قال الشيخ محمى الدين النووى يرى ضبطاه بضم الباء و الكاذبين بكسر الباء و فتح النون على الجمع و هذا هو المشهور في اللفظين و قال القاضى عياض الرواية عندنا على الجمع و رواه أبو نعيم الاصفهاني في المستخرج من حديث سمرة على التنبية و احتج به على أن الراوى له يشارك البادى بهذا الكذب ثم رواه أبو نعيم من رواية المغيرة الكاذبين أو الكاذبين على الشك في التنبية و الجمع و ذكر بعض الائمة جواز فتح الباء من يرى بمعنى يعلم و هو ظاهر حسن فأما من ضم الباء فمعناه يظن و يجوز أن يكون الفتح بمعنى يظن أيضا فقه حكى رأى

رواه مسلم و عن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين و انما أنا قاسم و الله يعطي مستقى عليه و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس معادن كعادن الذهب و الفضة

بمعنى ظن و قيل انه لا يأثم الا برواية ما يعلمه أو يظنه كذبا و أما ما لا يعلمه ولا يظنه فلا أثم عليه في روايته و ان ظنه غيره كذبا أو علمه اه كلام الشيخ محيي الدين النووي رحمته السيد جمال الدين في تجويزه فتح الباء بمعنى يعلم تأمل و لعل وجه التأمل ان الظن يكفي في هذا المقام بل أبلغ في اعادة المرام فلا يحتاج الى العلم التام و يمكن دفعه بان المراد العلم بالمعنى الاعم يقينيا أو ظنيا و الله أعلم (رواه مسلم) و أحمد و ابن ماجه (و عن معاوية) رضي الله عنه هو معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي أمه هند بنت عتبة كان هو و أبوه من مسلمة الفتح ثم من المؤلفات قلوبهم وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم و قيل لم يكتب له من الوحي شيئا انما كتب له كتيبه روى عنه ابن عباس و أبو سعيد تولى الشام بعد أخيه يزيد في زمن عمر و لم يزل بها متوليا حاكما الى أن مات و ذلك أربعون سنة منها في أيام عمر أربع سنين أو نحوها و مدة خلافة عثمان و خلافة علي و ابنه الحسن و ذلك تمام عشرين سنة ثم استوفى له الأمر بتسليم الحسن بن علي اليه في سنة احدى و أربعين و دام له عشرين سنة و مات في رجب بدسحق و له ثمان و سبعون سنة و كان اصابتة في آخر عمره لقوة و كان يقول في آخر عمره ليتنى كنت رجلا من قريش بذي طوى و لم أر من هذا الأمر شيئا و كان عنده ازار رسول الله صلى الله عليه وسلم و رداؤه و قميصه و شئ من شعره و أظفاره فقال كفنونى في قميصه و أدرجوني في رداءه و أزروني بازاره و احشوا منخري و شدق و مواضع السجود من شعره و أظفاره و خلوا بيني و بين أرحم الراحمين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا) تنكيهه للتفخيم أى خيرا كثيرا (يقفه) بتشديد القاف أى يجعله عالما (في الدين) أى أحكام الشريعة و الطريقة و الحقيقة و لا يختص بالفقه المصطلح المختص بالأحكام الشرعية العملية كما ظن فقدهوى الدارمى عن عمران قال قلت للحسن يوما في شئ قاله يا أباسعيد هكذا يقول الفقهاء قال و يحك هل رأيت فقيها قط انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بأمر دينه المداوم على عبادة ربه و في رواية انما الفقيه من انفقت عينا قلبه فنظر الى ربه اه و يؤيده ما في رواية من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين و يلهمه رشده رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود (و انما أنا قاسم) أى للعالم (و الله يعطي) أى الفهم في العلم بمبناه و التفكير في معناه و العمل بامتضاه قال الطيبى الواو في و انما للحال من فاعل يفقهه أو من مفعوله أى أنا أقسم العلم بينكم فأتى اليكم جميعا ما يليق بكل أحد و الله يوفق من يشاء منكم لفهمه قال ابن حجر و من ثم تفاوتت أفهام الصحابة مع استواء تبليغه عليه الصلاة والسلام بل فاق بعض من جاء بعد الصحابة بعضهم في الفهم و الاستنباط كما أشار لذلك الخبر الاتى رب حامل فقه ليس بفقير و رب حامل فقه الى من هو أفقه منه و قيل معناه أنا أقسم المال بينكم و الله يعطيه فلا يكون في قلوبكم سخط و تنكر عن التفاضل في القسمة فانه أمر الله و الظاهر أن المعنى أنا أقسم العلم بينكم و الله يعطى العلم كذا قاله بعض الشراح و الاظهر أن لا منع من الجمع و ان كان المقام يقتضى العلم و الله أعلم قيل و لم يقل معطلان اعطاه متجدد ساعة فساعة (متفق عليه) و رواه أحمد عنه و كذا أحمد و الترمذى عن ابن عباس و ابن ماجه عن أبي هريرة (و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس معادن) جمع معدن و المراد به مستقر الاخلاق كذا ذكره الابهري (كعادن الذهب و الفضة) و غيرها الى أن ينتهى الى الابد

خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا قهوا رواه مسلم و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها متفق عليه و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله

فمن كان استعداده أقوى كانت فضيلته أتم و فيه إشارة الى أن ما في معادن الطباع من جواهر مكارم الاخلاق ينبغي أن يستخرج برباطة النفوس كما تستخرج جواهر المعادن بالمقاساة والتعب كذا ذكره ابن الملك وقال الطبيب المعدن المستقر من عدت البلد اذا توطنته ومنه المعدن لمستقر الجواهر ومعادن خير المبتدا ولايصح حمله الا بأحد وجهين إما على التشبيه كقولك زيد أسد وحينئذ يكون كمعادن الذهب بدلا منه أى الناس كمعادن الذهب واما على أن المعادن مجاز عن التفاوت فالمعنى أن الناس متفاوتون يعنى في مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات تفاوتا مثل تفاوت معادن الذهب والمراد بالتفاوت تفاوت النسب في الشرف والضعمة يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر فمن معادن العرب تالوثني قالوا نعم أى أصولها التى ينسبون إليها ويتفاخرون بها وانما جعلت معادن لما فيها من معنى الاستعدادات المتفاوتة فمنها قابلة لفيض الله سبحانه على مراتب المعادن ومنها غير قابلة وقوله (خيارهم في الجاهلية) الخ جملة مبينة شبيههم بالمعادن في كونها أوعية للجواهر النفيسة والفلزات المنتفع بها المعنى بها العلوم والحكم فالتفاوت في الجاهلية بحسب الأنساب و في الاسلام بالاحساب ولايعتبر الاول الا بالثاني فالمعنى خيارهم بمكارم الاخلاق في الجاهلية (خيارهم في الاسلام) أيضا بها (اذا قهوا) بضم القاف وقيل بالكسر أى اذا استروا في الفقه و الا فالشرف للاقته منه قال في النهاية فقه الرجل بالكسر اذا علم وفقه بالضم اذا صار فقيها عالما وجعله العرف خاصا بعلم الشريعة وتخصيصا بعلم الفروع (رواه مسلم و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحسد) و هو تمنى زوال نعمة أحد وانتقالها اليه كذا قيل والحق انه أعم و هو مذموم اذا عمل بمقتضاه من تصميم أو قول أو فعل ولذا قال تعالى و من شر حاسد اذا حسد واستثنوا من ذلك اذا كانت النعمة لكافر أو فاسق يستعين بها على معاصي الله والمراد هنا الغيبة وهى تمنى حصول مثلها له وأطلق الحسد عليها مجازا وقال الطبيب أى لارخصة فيه والظاهر ان معناه لوجاز الحسد لما جاز الا فيما ذكر و أما ما قيل من انه يؤخذ من الحديث اباحة نوع من الحسد لتضمنه المنفعة في الدين فقير صحيح (الا في اثنتين) أى في نفيسين أو خصلتين وروى بالتذكير أى في شأن اثنتين (رجل) روى مجرورا على البدل و هو أوثق الروايات وروى مرفوعا مبتدأ وقال الطبيب روى لاحسد الا في اثنتين فيكون رجل بدلا منه وروى في اثنتين أى خصلتين اثنتين فلا بد من تقدير مضاف ليستقيم المعنى فاذا روى في اثنين يقدر في شأن اثنين و اذا روى اثنتين يقدر خصلة رجل (آتاه الله) بالمذم أى اعطاه (مالا) أى مالا كثيرا أو نوعا من المال ولا بد أن يكون حلالا (فسلطه) أى وكله الله وفقه (على هلكته) بفتح الحاء أى انفاقه و اهلاكه و عبر بذلك ليدل على انه لا يبقى منه شيا و كمله بقوله (في الحق) ليزيل الاسراف المذموم والرياء الملووم و لاسرف في الخير كما لاخير في السرف (و رجل) بالوجهين للعطف (آتاه الله الحكمة) وهى اصابة الحق بالعلم والعمل أو علم أحكام الدين قال الكرمانى عرف الحكمة لان المراد بها معرفة الاشياء التى جاءت بها الشريعة وازاد التعريف بلام العهد (فهو يقضى) أى يعمل و يحكم (بها) أى بالحكمة التى أوتيتها (ويعلمها) أى غيره (متفق عليه و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله) أى أعماله بدليل الاستثناء والمراد فائدة عمله لانقطاع عمله يعنى لا يوصل اليه أجر و ثواب من شئ

الامن ثلاثة الامن صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا

من عمله (الامن ثلاثة) أى من ثلاثة أشياء فإن فالتتها لانتقطع عنه لما ثبت عنه سبحانه أنه يثيب المكاف بكل فعل يتوقف وجوده بوجه ما على كسبه سواء فيه المباشرة والتسبب (الامن صدقة) قال الطبيى في بعض نسخ المصابيح أسقطوا الاو وهى مثبتة فى صحيح مسلم وكتاب الحميدى وجامع الاصول والمشارك وهو الى آخره بدل من قوله الامن ثلاثة فعلى التكرير فيه مزيد تقرير واعتناء بشأنه اه وقال الابهرى من زائدة والتنوين عوض الاعمال وقيل بل الضمير فى عنه زائد ومعناه اذا مات الانسان انتقطع عن أعماله الامن ثلاثة ويحتمل أن يقال كلناهما أصليتان ومعناه اذا مات الانسان انتقطع عنه عمله والقطع هو عن عمله الامن ثلاثة أعمال (جارية) يجرى نفعها فيدوم أجرها كالوقف فى وجوه الخير وفى الازهار قال أكثرهم هى الوقف وشبهه مما يدوم نفعه وقال بعضهم هى القناة والعين الجارية المسبلة قلت وهذا داخل فى عموم الاول ولعلمهم أرادوا هذا الخاص لكن لوجه للتخصيص (أو علم ينتفع به) أى بعد موته قال ابن الملك قيد العلم بالمنفع به لان غيره لا يؤتى به اجرا والمراد بالمنفع به العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته ويدخل فيه علم الكلام أى العقائد والعلم بكتبه ويدخل فيه التفسير وبملكوته أرضه وسمائه ويدخل فيه علم الرياضى أقول وفيه نظر قال والعلم بشريعة يهدى الله عليه وسلم ويدخل فيه التفسير أيضا والحديث والفقه وأصوله قلت الاولى الاقتصار على الأخير المشتمل على التفسير والقطمير (أو ولد صالح) أى مؤمن كما قاله ابن حجر المكي (يدعوله) قال ابن الملك قيد الولد بالصالح لان الاجر لا يحصل من غيره وانما ذكر دعاه تحريضا للولد على الدعاء لايه حتى قيل للوالد ثواب من عمل الولد الصالح سواء دعا لايه أم لا كما أن من غرس شجرة يجعل للغارس ثواب باكل ثمرتها سواء دعاه الاكل أم لا قال الطبيى الاستثناء متصل تقديره ينقطع عنه ثواب أعماله من كل شئ كالصلاة والزكاة ولاينقطع ثواب أعماله من هذه الثلاثة يعنى اذا مات الانسان لا يكتب له أجر أعماله لانه جزاء العمل وهو منقطع بموته الا فعلا دائم الخير مستمر النفع مثل وقف أرض أو تصنيف كتاب أو تعليم مسئلة يعمل بها أو ولد صالح وجعل الولد من العمل لانه السبب فى وجوده اه ولاتتافى بين هذا الحصر وبين قوله عليه الصلاة والسلام من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة لان السنة المسنونة من جملة المنتفع به وكذا لاتتافى بينه وبين قوله عليه الصلاة والسلام كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينموه عمله الى يوم القيامة لان التامى من عمل المرابط ما قدمه فى حياته وأما الثلاثة المذكورة فانها أعمال تحدث بعد وفاته فلا تنقطع عنه لانه سبب تلك الاعمال فهذه الاشياء يلحقه منها ثواب طار خلاف أعماله الذى مات عليها أولان معناه ان الرجل اذا مات لايزاد فى ثواب ما عمل ولا ينقص منه شئ الا الغاى فان ثواب مرابطته ينمو ويتضاعف وليس فيه ما يدل على أن عمله يزداد بضم غيره أولا يزداد وقيل يمكن أن تجعل المرابطة داخلة فى الصدقة الجارية اذ المتصود نصرته المسلمين اه وهو الاظهر (رواه مسلم وعنه) أى عن أبي هريرة رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس) بالتشديد أى فرج قال الطبيى كأنه فتح مداخل الانفاس فهو مأخوذ من قولهم أنت فى نفس أى سعة كأن من كان فى كربة سد عنه مداخل الانفاس فاذا فرج عنه فتحت بمعنى من أزال وأذهب (عن مؤمن) أى مؤمن ولو كان فاسقا مراعاة لايامانه (كربة) أى أى حزن وعتاة وشدة ولو حقيرة (من كرب الدنيا)

نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله

الفانية المنقضية ومن تبعيضية أو ابتدائية (نفس الله عنه كربة) أي عظيمة (من كرب يوم القيامة) أي الباقية الغير المتناهية فلا يرد انه تعالى قال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فانه أعم من أن يكون في الكمية أو الكيفية و لما كان الخلق كلهم عيال الله و تنفيس الكرب احسان فجزاه الله جزاء وفاقا ليقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان (و من يسر على معسر) أي سهل على فقير و هو يشمل المؤمن و الكافر أي من كان له دين على فقير فسهل عليه بماهال أو بترك بعضه أو كله (يسر الله عليه) بدل تيسيره على عبده مجازاة بجنسه (في الدنيا والآخرة) أي في الدارين أو في أمورهما قال بعض العارفين لا يخفى أن المعسر و صاحب الكربة هو المرید في وادي الغربة المحتاج إلى قطع العقبان التضائية و المنازل الظلمانية و النورانية كما اشتهر عن الكتاني ان بين العبد و الحق ألف مقام من نور و ظلمة و يتلقاه الوسواس و الهواجس فعلى شيخه أن ينفس كربة الوسواس عنه بأمره بترك المبالاة بها و التأمل في الحجج العقلية و الأدلة الثقلية ان استأمله و استدامة الذكر و الابتغال إلى المولى و يسهل عليه سواء الطريق و يذيقه حلاوة التحقيق حتى يسقط في قلبه أنوار القلوب و يطلع في سره شمس الوصول إلى المحبوب (و من ستر مسلما) أي في قبيح يفعله فلا يفضحه أو كساه توبيا (ستره الله) أي عيوبه أو عورته (في الدنيا والآخرة) كما تقدم و في شرح مسلم أي ستر يذنه باللباس أو عيوبه بعدم الغيبة له و الذب عن معايبه و هذا على من ليس معروفا بالفساد و أما المعروف به فيستحب أن ترتفع قصته إلى الوالى و لوراءه في عصية فينكرها بحسب القدرة و ان عجز يرفعها إلى الحاكم اذا لم يترتب عليه مفسدة قال بعض المحققين وفيه إشارة لمن وقف على شئ من مقامات أهل العرفان و كرامات ذوى الايقان أن يحفظ سره و يكتم عن غيره أمره فان كشف الاسرار على الاغيار يسد باب العناية و يوجب الحرمان و الغواية

من اطلعوه على سر قباح به * لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا

(و الله في عون العبد) الواو للاستئناف و هو تذييل للكلام السابق (ما كان) أي مادام (العبد) مشغولا (في عون أخيه) أي المسلم كما في نسخة أي في قضاء حاجته و فيه إشارة إلى فضيلة عون الاخ على أموره و المكافأة عليها بجنسها من العناية الالهية سواء كان بقلبه أو بدنه أو بهما لدفع المضار أو جذب المسارذ الكل عون و لما فرغ من الحث على الشفقة على خلق الله اتبعه بما ينبئ عن التعظيم لامر الله لان العلم وسيلة إلى العمل فقال (ومن سلك) أي دخل أو مشى (طريقا) أي قريبا أو بعيدا قبل التنوين للتعظيم اذ النكرة في الاثبات قد تفيد العموم أي بسبب أي سبب كان من التعليم و التعلم و التصنيف و مفارقة الوطن و الانفاق فيه (يلتمس فيه) حال أو صفة (علما) نكرة يشمل كل نوع من أنواع علوم الدين قليلة أو كثيرة اذا كان بنية القربة و النفع و الانتفاع و فيه استحباب الرحلة في طلب العلم و قد ذهب موسى إلى الخضر عليهما الصلاة والسلام و قال له هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا و رحل جابر بن عبدالله من مسيرة شهر إلى عبدالله بن قيس في حديث واحد كذا نقله ابن الملك (سهل الله له به) أي بذلك السلوك أو الطريق أو الائتماس أو العلم (طريقا) أي موصلا و منها (إلى الجنة) مع قطع العقبان الشاقة دونها يوم القيامة (و ما اجتمع قوم) أي جمع (في بيت) أي مجمع (من بيوت الله)

يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة و حفتهم الملائكة
و ذكرهم الله فيمن عنده

بكر الباء وضمها و احتز به عن مساجد اليهود و النصرى فانه يكره الدخول فيها و العدول عن
المساجد الى بيوت الله ليشمل كل ما يبني تقربا الى الله تعالى من المساجد و المدارس و الربط (يتلون)
حال من قوم لتخصيصه (كتاب الله) أى القرآن و ليس المراد بالتلاوة مجرد اجراء الالفاظ على
اللسان بل لابد أن يقدر العبد أنه يقرأ على الله واقفا بين يديه و هو ناظر اليه بل يشهد بقلبه كأن ربه
يعاطبه بل يستغرق بمشاهدة المتكلم غير ملتفت الى غيره سامعا منه كما قال الامام الصادق و قد
سئل عن حالة لفته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قال مازلت أردد الآية على قلبى حتى
سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته ثم يتفكر فيما يتعلق بذات الله و صفاته و أنعائه
و يقتبس معرفة الجلال و العظمة و فيما يتعلق باهلاك الاعداء و يقتبس معرفة العزة و الاستغناء و القهر
و الافناء و فيما يتعلق بأحوال الانبياء و الاحياء و يقتبس معرفة اللطف و الفضل و النعماء و فى الآيات
الدالة على التكليف و الارشاد و يقتبس معرفة اللطف و الحكم و يعمل بمقتضاه (و يتدارسونه بينهم)
و التدارس المراد بالتدارس المدارس المتعارفة بأن يقرأ بعضهم عشرا مثلا و بعضهم عشرا آخر وهكذا فيكون
أخص من التلاوة أو مقابلا لها و الاظهر أنه شامل لجميع ما يناط بالقرآن من التعليم و التعلم (الانزات
عليهم السكينة) يجوز في مثل هذا التركيب كسر الهاء و ضم الميم و هو الاكثر و ضمها و كسرهما
و السكينة هى الوقار و الخشية يعنى الشئ الذى يحصل به سكون القلب و الطمأنينة و الوقار و نزول
الانوار قيل و المراد هنا صفاء القلب بنوره و ذهاب الظلمة النفسانية و حصول الذوق و الشوق و قيل
السكينة ملك يسكن قلب المؤمن و يؤمنه و يأمره بالخير و ذكر الطيبى عن ابن مسعود السكينة مغنم
و تركها مغرم (و غشيتهم الرحمة) أى أتتهم و غلظتهم و غطتهم (و حفتهم الملائكة) أى ملائكة
الرحمة و البركة أحدقوا و أحاطوا بهم أو طافوا بهم و داروا حولهم الى سماء الدنيا يستمعون القرآن
و دراستهم و يحفظونهم من الآفات و يزورونهم و يصفحونهم و يؤمنون على دعائهم قيل و لسان
الاشارة بيوت الله عبارة عما يذكر فيه الحق من النفس و القلب و الروح و السر و الخفى فذكر بيت
النفس الطاعات و ذكر بيت القلب التوحيد و المعرفة و ذكر بيت الروح الشوق و المحبة و ذكر
بيت السر المراقبة و الشهود و ذكر بيت الخفى بذل الوجود و ترك الموجود و قوله الانزات الخ
اشارة الى ثمرات التلاوة و هى الانس و الحضور مع الله و تمثل الانبياء و الملائكة و الارواح المقدسة
فى صور لطيفة و الصعود من حضيض البشرية الى ذروة المالكوت الاعلى بل الفرح بالبقاء و الدخول
تحت الفناء و القرب من اللاهوت و التبرى من الناسوت و هذا مقام يضيق عن اعلانه اطاق النطق
و لا يسع اظهاره فى ظهور الحروف و ان قميصا خيط من نسج تسعة و عشرين حرفا من معانيه قاصر قال
الشيخ أبو سعيد الخزاز اذا أراد الله تعالى أن يوالى عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فاذا استأذ
بالذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه الى مجالس الانس ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجاب
و أدخله دار الفردانية و كشف له حجاب الجلال و العظمة فاذا وقع بصره على الجلال و العظمة بقى
بلا هو فيحنثذ صار العبد زمانا فانيا فى حفظ سبحاته و برئى من دعاوى نفسه (و ذكرهم الله فيمن عنده)
أى الملاء الاعلى و الطبقة الاولى من الملائكة و ذكره سبحانه للمباهة بهم يقول انظروا الى عبيدى

و من بطأ به علمه لم يسرع به نسبه رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال جرىء قد قيل

يد كروى و يقرؤن كتابى (و من بطأ) بتشديد الطاء من التبطئة ضد التعجل كالإبطاء و البطء نقيض السرعة و الباء في (به) للتعدية أى من آخره و جعله بطيئا عن بلوغ درجة السعادة (عمله) السبى في الآخرة أو تفریطه للعمل الصالح في الدنيا (لم يسرع به نسبه) من الاسراع أى لم يقدمه نسبه يعنى لم يجبر نقيصته لكونه نسبيا في قومه اذ لا يحصل التقرب الى الله تعالى بالنسب بل بالاعمال الصالحة قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم و شاهد ذلك أن أكثر علماء السلف و الخلف لا أنساب لهم يتفاخر بها بل كثير من علماء السلف موال و مع ذلك هم سادات الامة و يتابع الرحمة و ذوو الانساب العلية الذين ليسوا كذلك في مواطن جهلهم نسبيا منسيا و لذا قال عليه الصلاة والسلام ان الله يرفع بهذا الدين أقواما و يضع به آخرين و يؤيده ما ورد في الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام يا صفة عمه محمد يا فاطمة بنت محمد اتتوني يوم القيامة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا أغني عنكم من الله شيئا و ما نقل عن أبي يزيد قدس الله سره ان مريدا له تتبع خطاه من خلفه فأقبل عليه قائلا والله والله لوساغت جلد أبي يزيد و لبسته لم تتل مثال خردل من مقاماته ما لم تعمل عمله و أشد

ما بال نفسك أن ترضى تدنسها * و ثوب جسمك مغسول من الدنس
ترجو التجارة و لم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

(رواه مسلم) قال النووي في الاربعين بهذا اللفظ (وعنه) أى عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول الناس يقضى عليه) قيل هو صفة للناس لانه نكرة في المعنى أى يحاسب و يسئل عن أعماله قبل و يستفاد منه انه أول المقضى عليهم لامطقا (يوم القيامة) أى ثلاثة (رجل استشهد) على بناء المفعول أى قتل في سبيل الله (فاتى به) أى بالرجل للحساب (عرّفه) بالتشديد أى ذكره تعالى (نعمته) على صيغة المفرد ههنا و الباقيتان على صيغة الجمع هكذا جاء في صحيح مسلم و الحديدى و جامع الاصول و في الرياض للنووى و في بعض نسخ المصاييح و لعل الفرق اعتبار الافراد في الاولى و الكثرة في الاخيرتين كذا ذكره الطيبي و لعل المراد بالكثرة أصناف العلوم و الاموال و الله أعلم بالحال و ليس المراد بالافراد نعمة الشهادة كما يتوهم فانه لا يلائمه ما بعده بل المراد افراد جنسية النعمة فان المفرد المضاف للعموم بخلاف الاخيرتين فانه جمع فيهما لارادة الانواع أو أفرد في الاولى لنعمته البدنية فقط بخلاف الاخيرتين فانه انضم معها النعمة المالية أو العلمية (فعرّفها) بالتخفيف أى تذكرها فكأنه من الهول و الدهشة نسبيا و ذهل عنها (فقال تعالى فما عملت فيها) أى في مقابلتها شكرا لها أى في أيامها لينفعك اليوم (قال) أى الرجل (قاتلت فيك) أى جاهدت في جهتك خالصا لك كذا ذكره الطيبي أى حاربت لاجلك ففي تعليقه (حتى استشهدت) الظاهر ان هذا المقول صدر منه على زعمه قال تعالى و يحسبون أنهم يحسنون صنعا و يحتمل انه مبالغة في التمجيد المعتاد به على ما ورد كما يعيشون يموتون و كما يموتون يحشرون و قد قال تعالى يوم يعنهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم و يحسبون أنهم على شئى ألا انهم هم الكاذبون (قال) تعالى (كذبت) أى في دعوى الاخلاص أو في هذا القول (و لكنك قاتلت لان يقال) أى في حثك انك أو هو (جرىء) فعيل من الجراءة فهو مهموز و قد يدغم أى ١ فقد قيل ٢ أى ذلك القول لك و في شأنك

ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ورجل تعلم العلم و علمه و قرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم و علمته و قرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال انك عالم و قرأت القرآن ليقال هو قارى' فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ورجل وسع الله عليه و أعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار رواه مسلم و عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا

فحصل مقصودك و غرضك (ثم أمر به) أى قيل لخزنة جهنم اقنوه في النار (فسحب) أى جر (على وجهه حتى ألقى في النار) مبالغة في تنكيله (و رجل تعلم العلم) أى الشرعى (و علمه) أى الناس أى وصل الى مرتبة الكمال و التكميل (و قرأ القرآن) فهو تخصيص بعد تميم أو المراد به مجرد تلاوة القرآن يعنى التعلم و التعليم لم يمنعاه عن الاشتغال بالقرآن و هذا أظهر (فأتى به) الى محضر الحساب (فعرفه نعمه) تعالى أو نعم الرجل (فعرفها) فكأنه لغفلة عنها كان أنكرها (قال) تعالى (فما عملت فيها) أى هل صرفتها في مرضاتي أم في غيرها (قال تعلمت العلم و علمته و قرأت فيك القرآن) أى صرفت نعمتى التى أنعمت بها على في الاشتغال بالعلم و العمل و القراءة ابتغاء لوجهك و شكرا لنعمتك (قال كذبت) في دعوى مقام الاخلاص أو على مقتضى عادتك (ولكنك تعلمت العلم ليقال انك عالم) و لعله لم يقل و علمت العلم ليقال انك معلم للاختصار و اكتفاء بالديسة أو لان أساس الشئى اذا لم يكن على الاخلاص فيبعد بناؤه أن يكون على وجه الاختصاص (و قرأت القرآن ليقال هو قارى' فقد قيل) لك عالم و قارى' فما لك عندنا أجر (ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار) نعوذ بالله منها (و رجل وسع الله عليه) أى كثر ماله (و أعطاه) عطف بيان (من أصناف المال كله) كالنقود و المتاع و العقار و المواشى (فأتى به) على رؤس الخلاق للانتضاح (فعرفه نعمه فعرفها قال) تعالى (فما عملت فيها) أى في مقابلة النعم أو في الاموال (قال ما تركت من سبيل) من زايدة تأكيد لاستغراق النفي (تحب أن ينفق فيها) كبناء المساجد و المدارس و اعطاء الزكاة و الصدقات (الا أنفقت فيها لك قال كذبت) أى في قولك لك (ولكنك فعلت ليقال هو جواد) أى سخى كريم (فقد قيل) و فيه اشارة الى أن الله لا يضيع أجر من عمل لا شئ غرض يكون (ثم أمر به فسحب على وجهه) ثم هذا هو الاصل الصحيح من النسخ في هذا المحل و في نسخة هنا أيضا (حتى ألقى في النار رواه مسلم و عن عبد الله بن عمرو) أى ابن العاص (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبض العلم) المراد به علم الكتاب و السنة و ما يتعلق بهما (انتزاعا) مفعول مطلق على معنى يقبض فنحورج التفتخرى و قوله (ينتزعه من العباد) صفة مبينة للنوع كذا قاله السيد جمال الدين و قال ابن الملك انتزاعا مفعول مطلق للفعل الذى بعده و الجملة حالية يعنى لا يقبض العلم من العباد بان يرفعهم من بينهم الى السماء (ولكن يقبض العلم) أى يرفعه (يقبض العلماء) أى يموتهم و رفع ارواحهم (حتى) هى التى تدخل على الجملة و هى هنا الشرط و الجزاء يعنى (اذا لم يبق) أى الله (عالما) يقبض روحه من الابقاء و في نسخة حتى اذا لم يبق يفتح الياء و القاف و عالم بالرفع و يؤيد الاول رواية مسلم حتى اذا لم يترك عالما (اتخذ الناس رؤسا) أى خليفة و قاضيا و مفتيا و اماما و شيخا (جهالا)

فستلوا فانوا بغير علم فضلوا و أضلوا متفق عليه و عن شقيق قال كان عبدالله بن مسعود يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن لوددت انك ذكرتنا في كل يوم قال أما انه يعنى من ذلك انى أكره أن أسلمكم و انى أتخولكم بالموعظة كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السأمة علينا متفق عليه و عن أنس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه و اذا أتى على قوم قسّم عليهم سلم عليهم ثلاثا

جمع جاهل أى جهلة بما يناسب منصبه قال الشيخ محمى الدين النووى ضبطناه فى البخارى رؤسا بضم الهمزة و التنوين جمع رأس و ضبطه فى مسلم هنا بوجهين أحدهما هذا و الثانى رؤساء جمع رئيس و كلاهما صحيح و الاول أشهر (فستلوا فانوا) أى أجابوا و حكموا (بغير علم فضلوا) أى صاروا خالين (و أضلوا) أى مضلين لغيرهم فيعم الجهول العالم (متفق عليه) و رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه (و عن شقيق) هو ابن أبى سلمة يكنى أبى وائل الاسدى أدرك زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه و هو ثقة حجة روى عن خلق من الصحابة منهم عمر بن الخطاب و ابن مسعود و كان خصيصا به من أكابر الصحابة و هو كثير الحديث مات زمن الحجاج قاله المصنف (قال كان عبدالله بن مسعود يذكر) بالشديد أى يعظ (الناس) و يخوفهم أى يذكر كلام الله و حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم (فى كل خميس) و لعل وجه التخصص ليصل بركته الى يوم الجمعة (فقال له رجل) يحتل الراوى و غيره (يا أبا عبد الرحمن لوددت) أى احببت أو تمنيت (انك ذكرتنا فى كل يوم) لقلبة الغفلة علينا ليعود بتذكيرك الحضور الينا (قال أما) يعنى ألا للتنبية (انه) يكسر الهمزة و الضمير للشان (يعنى من ذلك) أى من التذكير كل يوم (انى أكره) بفتح الهمزة فاعل يعنى أى كراحتى (أن أسلمكم) مفعول أكره أى املاككم يعنى ايقاعكم فى الملالة (وانى) بكسر الهمزة عطف على انه أو حال (أتخولكم) من التخول و هو التعهد و حسن الرعاية (بالموعظة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا) من التخول و فى بعض الروايات بالحاء المهملة و هو تفقد الحال و روى يتخولنا بالحاء المعجمة و النون بمعنى يتخولنا قيل الرواية باللام أكثر و زعم بعضهم أن الصواب يتحولنا بالحاء المهملة لكن الرواية فى الصحاح بالحاء المعجمة و كان أبو عمرو يقول انما هو يتخولنا و التخول التعهد و قد رد على الاعمش روايته باللام و كان الاصمعى يقول ظلمه ابو عمرو و يقال يتخولنا و يتخولنا جميعا كذا ذكره الطيبى و يدل عليه اختلاف الرواة فى حديث واحد يعنى يتقدنا (بها) أى بالموعظة فى مظان القبول ولا يكثر علينا ولا يعظنا متواليا (مخافة السأمة علينا) و فى المصاييح كراهة السأمة أى الملالة اذ لا تأثير للموعظة عند الملالة قال ابن الملك أى يعظنا يوما دون يوما و وقتا دون وقت و يروى بالحاء المهملة أيضا أى يتأمل أحوالنا التى نشط فيها للموعظة فيعظنا فيها و كذلك يفعل المشايخ و الوعاظ فى تربية المريدين (متفق عليه) و عن أنس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم أى غالبا أو أحيانا (اذا تكلم بكلمة) أى بجملة مفيدة (أعادها) أى كررها (ثلاثا حتى تفهم) أى تلك الكلمة (عنه) أى فهما قويا راسخا فى النفس و فيه إشارة الى أن المراد بالكلمة الكلام الذى لا يفهم الا بالاعادة ثم الاعادة يحتل أن تكون فى مجلس أو مجالس و الاقتصار على الثلاث و الله أعلم بمقتضى مراتب فهوم الناس من الأدنى و الاوسط و الأعلى ولذا قيل من لم يفهم فى ثلاث مرات لم يفهم أبدا (و اذا أتى) أى مر (على قوم) أو أشرف عليهم (فسلم عليهم) أى فأراد السلام عليهم (سلم عليهم ثلاثا) قال ابن القيم لعل هذا كان هديه فى السلام على الجمع الكثير الذين لا يلبثهم سلام واحد و ذلك

رواه البخاری و عن أبي مسعود الانصاری قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انه ابدع بي فاحملي فقال ما عندى فقال رجل يارسول الله انا أدله على من يعمله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دل على خير فله مثل اجر فاعله رواه مسلم و عن جرير قال كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه قوم عراة مجتبي النمار أو العباء متقلدى السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتعمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة

بان يسلم على المواجهين ثم يمته ثم يسرة و قيل هذا عند الاستئذان أى اذا لم يؤذن بكرة أو مرتين سلم عليهم ثلاثا ثم ينصرف كما جاء في حديث الاستئذان و قيل سلم للاستئذان و للتحية عند الدخول و للوداع عند الخروج و هذه التسليمات الثلاث سنة لكل أحد أتى شخصا أو قوما و كان عليه الصلاة و السلام يواطب عليها كما أفادته كان المقتضية لتكرير الفعل وضعا عند جماعة و عرفا عند آخرين و هو الاصح كما قاله ابن حجر (رواه البخارى و عن أبي مسعود الانصارى) هو أبو مسعود عقبة ابن عمرو الانصارى البدرى شهد العقبة الثانية و لم يشهد بدرًا عند جمهور أهل العلم بالسير و قيل انه شهدها و الاول أصح و إنما نسب الى ماء بدر لانه نزله فنسب اليه و سكن الكوفة و مات في خلافة على روى عنه ابنه بشير و خلق سواه (قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انه الضمير للشان (أبدع بي) على بناء المفعول يقال أبدعت الراحلة اذا انقطعت عن السير لكلال جعل انقطاعها عما كانت مستمرة عليه ابداعا عنها أى انشاء أمر خارج عما اعتيد منها و معنى أبدع بالرجل انقطع به راحلته كذا حقه الطيبي أى انقطع راحتي بي و لما حول للمفعول صار الظرف نائبه كسير بعرو (فاحملي) بهمة الوصل أى ركبتى و اجعلنى محمولا على دابة غيرها (فقال) صلى الله عليه وسلم (ما عندى) أى لا أجد ما أحملكم عليه (فقال رجل يارسول الله انا أدله على من يعمله) أى من أغنياء المسلمين كعثمان أو ابن عوف (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دل) أى بالقول أو النعل أو الاشارة أو الكتابة (على خير) أى علم أو عمل مما فيه اجر و ثواب (فله) قللاد (مثل اجر فاعله) أى من غير أن ينقص من أجره شئ (رواه مسلم) و روى البزار عن ابن مسعود و الطبراني عن سهل بن سعد و عن أبي مسعود بلفظ الدال على الخير كفاعله و رواه أحمد و عبدالرزاق في الجامع و الضياء عن بريدة و ابن أبي الدنيا عن أنس بلفظ الدال على الخير كفاعله و الله يحب اغائة اللهفان كذا في الجامع الصغير (و عن جرير) هو جرير بن عبدالله أبو عمرو و سلم في السنة التى توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جرير أسلمت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين يوما و نزل الكوفة و سكنها زمانا ثم انتقل الى قرقيسيا و مات بها سنة احدى و خمسين روى عنه خلق كثير (قال كنا في صدر النهار) أى اوله (عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه قوم عراة) أى يغلب عليهم العرى حال كونهم (مجتبي) هو بالجيم و بعد الالف باء أى لا يسي (العباء) بكسر التون و هى أكسية من صوف مخططة واحدها نمرة بفتح التون كذا قاله الطيبي (أو العباء) و الظاهر أنه شك من الراوى أو للتون فى القاموس انه كساء معروف و النمرة شملة فيها خطوط بيض و سود أو برده من صوف يلبسها الاعراب فعلى الاول حال متداخلة أو مترادفة و المراد انهم متقلدون للسيوف من جوانبهم (ومتقلدى السيوف) كذا في نسخة السيد جمال الدين بالواو و عليه صح بالحجرة لكن في بعض النسخ هذه الواو غير موجودة و يدل عليه اختلاف الرواة في حديث واحد (عامتهم) أى أكثرهم (من مضر) كعمر قبيلة عظيمة (بل كلهم من مضر) أى مبالغة (فتعمر) بالتشديد أى تغير (وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم) و ظهر عليه آثار الحزن (لما رأى بهم من الفاقة)

قد دخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الى آخر الآية ان الله كان عليكم رقبيا والآية التى فى العشر اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد تصدق رجل

أى الفقر الشديد ومن بيان لما يعنى لما لم يكن عنده من المال ما يجبر كسرهم ويعنى فقرهم ويكسبهم ويعطيهم ما يغنيهم وهذا من كمال رأفته ورحمته خصوصا فى حق أمته (قد دخل) أى فى بيته لعله يلقى شيئا من زيادة النفقة أو لتجديد الطهارة والتنهية للموعظة (ثم خرج فأمر بلالا) أى بالاذان (فأذن وأقام فصلى) أى احدى الصلوات المكتوبة بدليل الاذان والاقامة والظاهر أنها الظهر أو الجمعة لقوله فى صدر النهار (ثم خطب) أى وعظ وهو يحتمل أن يكون قائما أو قاعدا فوق المنبر أو دونه (فقال يا أيها الناس) أى المؤمنون فما قال بعض السلف من أن كل ما فى القرآن من قوله يا أيها الناس خطاب للكفار غالبى (اتقوا ربكم) أى عذابه أو مخالفته (الذى خلقكم) أى بالواسطة (من نفس واحدة) وهى آدم (الى آخر الآية) وتمامها وخلق منها أى من ضلعها زوجها أى حواء والواو لمطلق الجمع أو للرجال وقد تقدر أولاتقدر وبت منهما أى فرق من أولادها بوسط أو غير وسط روى ان بنى آدم لصلبه أربعون فى عشرين بطنا وعن ابن عباس قال ولد لآدم أربعون ولدا عشرون غلاما وعشرون جارية رجالا كثيرا ونساء أى كثيرة فاكنتى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكن أكثر ونساء أى كثيرة فاكنتى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان اتقوا الله الذى تساءلون بالتشديد والتخفيف به أى بالله والارحام بالنصب عند الجمهور عطفًا على الجلالة أى اتقوا قطعها وبالجر عطفًا على الضمير المجزور من غير إعادة الجار وهو جائز فصيح وأخطأ من ضعفه وكان العرب يقول بعضهم لبعض أسألك بالله وبالرحم كذا (ان الله كان عليكم بالنصب عطفًا من حيث المعنى على قوله يا أيها الناس اتقوا على تأويل قال بقرأ أى قرأ هذه الآية والآية (التي فى العشر) اه وأولها يا أيها الذين آمنوا وبعده (اتقوا الله ولتنظر نفس) وهى نكرة تفيد العموم أى كل نفس كتقوله تعالى علمت نفس (ما قدمت) وأخرت أى لتتفكر وتتأمل النفوس ما قدمت أى أى شئ من العبادات والخيرات أرسلته الى الآخرة (لغد) أى لنفغ الغد من الزمان وهو يوم القيامة وتمامها واتقوا الله وهو تكرير للتأكيد أو الاول معناه اتقوا مخالفته والثانى اتقوا عقوبته أو بالمعنى وهو الاظهر لقوله ان الله خير بما تعملون أى عالم بأعمالكم فيخبركم بها ويميزكم عليها وهو مشتمل على الوعد والوعيد وفيه جواز قطع الآية والحديث بأن يؤتى ببعض كل منهما على حسب الحاجة والله أعلم (تصدق رجل) بفتح القاف وتسكن قال الطيبى لعل الظاهر ليتصدق رجل ولام الامر للغائب محذوف وجوزه ابن الابارى ونقل عن بعض أهل اللغة أن نيك فى قفانك مجزوم على تأويل الامر أى فلنيك واحتج بقوله تعالى ذرهم يأكلوا أى فليأكلوا وقوله تعالى قل للذين آمنوا يفتروا أى ليفتروا ولو حمل تصدق على الفعل الماضى لم يساعده قوله ولو بشق تمره اذ المعنى ليتصدق رجل ولو بشق تمره وكذا قوله فجاء رجل الخ لانه بيان لامثال أمره عليه الصلاة والسلام عقب الحث على الصدقة ولن يجبره على الاخبار وجه لكن فيه تعسف غير خاف اه قال الابهرى ويأبى عن الحمل على حذف اللام عدم حرف المضارعة اه فيتعين حمله على أنه خير لفظا وأمر معنى واتيان الاخبار بمعنى الانشاء كثير فى الكلام فليس فيه تكلف فضلا عن تصف ومنه قوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله ويجاهدون فى سبيل الله قيل انهما بمعنى آمنوا وجاهدوا ومنه ما تقدم فى الحديث

من دينار من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال و لو بشق تمره قال فجاه رجل من الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كوسين من طعام و ثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها و اجر من عمل بها من بعده

تعبد الله بمعنى عبد الله بل قيل انه ابلغ فكأنه أمره و امثل به فاخبر عنه به و الله أعلم لايقال هذا الاخبار مضارع و الكلام في الماضي لان الخبر من حيث انه خبر لا تفاوت فيه ماضيا أو مضارعا مع أن الاباغية المذكورة أظهر في الماضي لدلالته على تحقق وقوعه لان الحديث الآتي فمن أخذه أخذ بحظ وافر حمل بعضهم أخذ الثاني على معنى الامر (من دينار من درهمه من ثوبه من صاع بره) بضم الموحدة أى من قمعه وحنظله و في معناه من شعيره (من صاع تمره) و اعادة العامل تفيد الاستقلال و تدفع أن يكون الصاع منهما قال الطيبي رجل نكرة وضعت موضع الجمع المعروف لافادة الاستغراق في الأفراد و ان لم تكن في سياق النفي كشجرة في قوله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام فان شجرة وقعت موقع الاشجار و من ثم كرر في الحديث مرارا بلا عطف أى ليتصدق رجل من دينار من درهمه و هلم جرا و من في من دينار اما تبعية أى ليتصدق بما عنده من هذا الجنس و اما ابتدائية متعلقة بالفعل فالإضافة بمعنى اللام أى ليتصدق بما هو مختص به و هو منقترن اليه على نحو قوله تعالى و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (حتى قال) النبي صلى الله عليه وسلم ليتصدق كل رجل منكم (و لو بشق تمره قال) أى الراوى (فجاه رجل من الانصار بصرة) بالضم أى ربطلة من الدراهم أو الدنانير (كادت كفه) أى قاربت (تعجز) بكسر الجيم و تفتح (عنها) أى عن حمل الصرة لثقلها لكثرة ما فيها (بل قد عجزت) بفتح الجيم و تكسر (ثم تتابع الناس) أى توالوا في اعطاء الخيرات و اتيان المبرات (حتى رأيت كوسين) الكومة بالفتح الصبرة (من طعام) الظاهر انه هنا حبوب و لعل الاتصاف عليه من غير ذكر النقود لغايته (و ثياب حتى رأيت) بدل من حتى الاولى أو غاية لها أى حتى ابصرت (وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل) أى يستنير و يظهر عليه امارات السرور (كأنه مذهب) بضم الميم و سكون المعجمة و فتح الهاء بعده موحدة و هى ماموه بالذهب و في نسخة بالمهملة و ضم الهاء و النون و هو ما يجعل فيه الدهن قال النووى هو بالذال المعجمة و فتح الهاء و الباء الموحدة و قال القاضى عياض و غيره صحفه بعضهم قتال مدهنة بدال مهمل و ضم الهاء و بالنون و كذا ضبطه الحميدى و الصحيح المشهور هو الاول و المراد به على الوجهين الصفاء و الاستنارة كذا ذكره السيد جمال الدين (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة) أى أتى بطريقة مرضية يقتدى به فيها (فله اجرها) أى اجر تلك السنة أى ثواب العمل بها و في نسخة اجره أى اجر من سن يعنى اجر عمله قال النور شتى في عامة نسخ المصاييح فله اجرها و هو غير شديد رواية و معنى انما الصواب اجره و الضمير لصاحب الطريقة أى له اجر عمله و اجر من عمل بسنته و ظن بعض الناس ان الضمير راجع الى السنة و قد وهم فيه بعض الناس المتأخرين من رواة الكتابين و ليس ذلك من رواية الشيخين في شئ قال المؤلف هذا الحديث لم يورده البخارى انما هو من افراد مسلم و وجد في نسخ متعددة من مسلم اجرها و على هذا شرح الامام النووى و الاضافة لادنى ملابسة فان السنة سبب ثبوت الاجر فجازت الاضافة كذا ذكره الطيبي قلت و يؤيد ما ذكره المؤلف اتفاق النسخ على وزرها و الله أعلم (و اجر من عمل بها) أى بتلك الحسنة (من بعده) من بيان

من غير أن ينقص من أجورهم شئى و من سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئى رواه مسلم و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل متفق عليه و سنذكر حديث معاوية لا يزال من أمتى في باب ثواب هذه الامة ان شاء الله تعالى * (الفصل الثاني) * عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاهه رجل فقال يا ابا الدرداء اني جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لعديث بلغنى انك تعدته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة

من و في المصاييح و أجر من عمل بعده قال ابن الملك أى بعد مات من سننها قيد به لما يتوهم ان ذلك الاجر يكتب له ما دام حيا اه قلت وفيه انه يتوهم حينئذ ان الاجر لا يكتب له و هو حى فلاحسن أن يقال من بعد ما سنه (من غير أن ينقص) على البناء للمفعول و جوز أن يكون معلوما لانه متعد و لازم (من أجورهم شئى) أى من النقص (و من سن في الاسلام سنة سيئة) أى بدعة مذمومة عمل بها (كان عليه وزرها) أى اثمها (و وزر من عمل بها من بعده) أى من جهة تبعيته (من غير أن ينقص) تقدم (من أوزارهم شئى) جمع في الموضعين باعتبار معنى من كما أفرد في ينقص باعتبار لفظه (رواه مسلم و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما) نصب على التمييز (الا كان على ابن آدم الاول) صفة لاین و هو قاييل قتل أخاه هابيل حين تزوج كل باخته التي مع الآخر في بطن واحد لان شريعة آدم أن بطون حواء كانت بمنزلة الاقارب الابعاد و حكمته تعذر التزوج فاقتضت مصلحة بقاء النسل تجوز ذلك فعينئذ قتل أخاه لان زوجته كانت أجمل و بسط هذه العصة في التفسير قال التوربشتي انما قيد بالاول لثلايشبهه اذ في نبي آدم كثرة و هذا يدل على ان قاييل كان اول مولود من نبي آدم كذا ذكره الطيبي و تبعه ابن حجر و فيه نظر ظاهر لان المفسرين ذكروا ان قضيتهما كانت بعد بطون متعددة و الله أعلم فالأظهر أن اللام للعهد أى الاول من القصة (كفل) أى نصيب (من دمها) أى دم النفس (لانه اول من سن القتل) وهذا يؤيد ما قلنا (متفق عليه و سنذكر حديث معاوية لا يزال من أمتى في باب ثواب هذه الامة ان شاء الله تعالى) و تقدم وجهه * (الفصل الثاني) * * (عن كثير بن قيس) ذكره المصنف في التابعين (قال كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق) بكسر الدال و فتح الميم و يكرر أى الشام (فجاهه) أى أبا الدرداء (رجل) أى من طلبة العلم (فقال يا ابا الدرداء) يقرأ الهمز بعد حرف النداء و لا يكتب رسما (انى جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم) قال ابن حجر كره الشافعي أن يقال ذلك لانه لفظ مشترك بين رسول الله و رسول غيره و لا يرد عليه يا أيها الرسول الآتية لان خطاب الله لبيه تشراف له بأى لفظ كان و له تعالى أن يخاطب عبده بما شاء و من ثم أخذ من قوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا أنه يحرم نداءه باسمه كيا مهد أو بكيته كيا أبا القاسم قال و انما ينادى يتجو يا رسول الله يا نبي الله اه و فيه ان القرينة المانعة من ارادة الاشراك قائمة فانه لا يفهم بل لا يتوهم من مدينة الرسول غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما اذا انضم اليه صلى الله عليه وسلم و نحوه (لحديث) أى لاجل تحصيل حديث (بلغنى انك تعدته) أى ذلك الحديث (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) و هو يحتمل أن يكون سمعه اجمالا و يحتمل أن يكون سمع الحديث لكن أراد ان يسمعه بلا واسطة لافادة العلم و زيادة يقينه أو لعلو الاسناد فانه من الدين (ماجئت) الى الشام (لحاجة) أخرى

قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم

غير ان أسمع الحديث ثم تحدث أبي الدرداء بما حدثه يحتمل أن يكون مطلوب الرجل بعينه أو يكون بياناً ان سعيه مشكور عند الله و لم يذكر هنا ما هو مطلوبه و الاول أغرب و الثاني أقرب (قال) أي أبو الدرداء (فاني) أي اذا كان الامر كذلك فاعلم اني (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك) أي دخل أو مشى (طريقا) أي قريبا أو بعيدا (يطلب فيه) أي في ذلك الطريق أو في ذلك المسلك أو في سلوكه (علما) قال الطيبي و انما أطلق الطريق و العلم ليشملا في جنسهما أي طريق كان من مفارقة الاوطان و الضرب في البلدان الى غير ذلك كما سبق و أي عام كان من علوم الدين قليلا أو كثيرا رفيعا أو غير رفيع و في شرح السنة عن الثوري ما أعلم اليوم شيأ أفضل من طلب العلم قيل له ليس لهم نية قال طلبهم له نية أي سببها و لذا قال بعضهم طلبنا العلم لغير الله فأي أن يكون الا لله و عن الشافعي رحمه الله طلب العلم أفضل من صلاة النافلة اه لانه اما فرض عين أو فرض كفاية و هما أفضل من النافلة و قال الامام مالك العلم الحكمة و هو نور يهدى الله به من يشاء و ليس بكرة المسائل اه و لعله يشير الى معنى الآية يؤق الحكمة من يشاء (سلك الله به) الضمير المجرور عائد الى من و الباء للتهدية أي جعله سالكا و وقته ان يسلك طريق الجنة و قيل عائد الى العلم و الباء للسببية و سلك بمعنى سهل و العائد الى من محذوف و المعنى سهل الله له بسبب العلم (طريقا من طرق الجنة) نمر الاول سلك من السلوك و على الثاني من السلك و المفعول محذوف كقوله تعالى يسلكه عذابا صعدا قال عذابا مفعول ثان و على التقديرين نسبة سلك الى الله تعالى على طريق المشاكلة كذا قاله الطيبي و قال ابن الملك فيه اشارة الى أن طرق الجنة كثيرة و كل عمل صالح طريق من طرقها و طرق العلم أقرب الطرق اليها و أعظم اه قلت و الاظهر ان كل علم طريق الى الجنة كما يستفاد من تكبيرهما و فيه ايماء الى ان طرق الجنة محصورة في طرق العلم فان العمل الصالح لا يتصور بدون العلم و الله أعلم بقول الصوفية الطرق الى الله بعدد أنفاس المخلوقات سبني على المعرفة و هي نوع من أنواع العلم و لان طريق غير العلم هو طريق الجهل و ما اتخذ الله و ليا جاهلا و لو اتخذ له لعله (وان الملائكة) اللام للجنس أو للعهد أي ملائكة الرحمة قال ابن حجر و يحتمل ان الملائكة كلهم و هو أنسب بالمعنى المجازي في قوله (لتضع أجنحتها رضا) حال أو مفعول له على معنى ارادة رضا ليكون فعلا لتفاعل الفعل المعال (لطالب العلم) اللام متعلق برضا و قيل التقدير لاجل الرضا الواصل منها اليه أو لاجل ارضائها لطالب العلم بما يصنع من حيازة الوراثة العظمى و سلوك السنن الاسني قال زين العرب و غيره قيل معناه انها تتواضع لطالبه توقيرا لعلمه كقوله تعالى و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة أي تواضع لهما أو المراد الكف عن الطيران و النزول للذ ذكر كقوله في الحديث السابق و حفت بهم الملائكة أو معناه المعونة و تيسير المؤنة بالسعي في طايبه أو المراد تليين الجانب و الانقياد و الفناء عليه بالرحمة و الانعطاف أو المراد حقيقته و ان لم تشهد و هي فرش الجناح و بسطها لطالب العلم لتحمله عليها و تبلغه مقده من البلاد نقله السيد جمال الدين و نقل ابن القيم عن أحمد بن شعيب قال كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بهذا الحديث و في المجلس شخص من المعتزلة فجعل يستهزئ بالحديث فقال و الله لا طرقت غدا نعلي و أطأ بها أجنحة الملائكة ففعل و مشى في النعائم فجبقت رجلاه و وقعت فيهما الاكلة و قال الطبراني سمعت ابن يحيى الساجي يقول كنا نمشي في أزقة البصرة

وان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيثان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما

الى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشى وكان معنا رجل ما جن منهم في دينه قال ارتفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لاتكسروها كالمستهمزي* بالحديث فما زال عن موضعه حتى حفت رجلاه وسقط الى الارض اه و الحفاء رقة القدم على ما في القاموس وفي رواية في السنن والمسائيد عن صفوان بن عسال قال قلت لرسول الله جئت أطالب العلم قال مرحبا يطالب العلم ان طالب العلم لتحف به الملائكة وتظله بأجنحتها فير كب بعضها على بعض حتى تبلغ السماء الدنيا من حبهم لما يطالب نقله الشيخ ابن القيم وقال الحاكم اسناده صحيح (وان العالم يستغفر له) قال الطيبي هو مجاز من ارادة استقامة حال المستغفر له اه والحقيقة أولى (من في السموات) لانهم عرفوا بتعريف العلماء وعظموا بقولهم (ومن في الارض) قيل فيه تغليب والمراد ما في الارض لان بقاءهم و صلاحهم مربوط برأى العلماء وقواهم ولذلك قيل ما من شئ من الموجودات حياها وميتها الاوله مصلحة متعلقة بالعلم (والحيثان) جمع الحوت (في جوف الماء) خص لدفع إيهام ان من في الارض لايشمل من في البحر أو تعميم بعد تعميم بان يراد بالحيثان جميع دواب الماء وهي أكثر من عوالم البر لما جاء أن عوالم البر أربعائة عالم و عوالم البحر ستمائة عالم قال ابن الملك وخص بالذكر بعد دخولها في الجملة المذكورة اذ هي في الماء اه و بين كلاميه تناقض نعم يصلح أن يكون سؤالا و جوابا ثم قال و ان سلم أن قوله من في الارض يشملها فذكرها للايماء الى أن العلم ماء ولذلك استغفر للعالم لان السبب لبقائه مختص به قال تعالى أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها قال ابن عباس الماء العلم والادوية القلوب اه كلامه وفيه ما فيه و قال الطيبي تخصيص الحيثان للدلالة على أن انزال المطر ببر كتبهم حتى أن الحيثان تعيش بسببهم اه وفي الحديث بهم تمطرون وبهم ترزقون (وان فضل العالم) أي الغالب عليه العلم وهو الذي يقوم بنشر العلم بعد أدائه ما توجه اليه من الفرائض والسنن المؤكدة (على العابد) أي الغالب عليه العبادة وهو الذي يصرف أوقاته بالانواقيل مع كونه عالما بما تصح به العبادة (كفضل القمر ليلة البدر) أي ليلة الرابع عشر و به أول طه على حساب الجمل وأريد به النبي صلى الله عليه وسلم يعنى المشبه به في نهاية النور و غاية الظهور فيكون فيه تلميح الى قوله كفضل على أدناكم كما في قوله (على سائر الكواكب) إيماء الى قوله سبحانه كالجوهر بايهم اقتديتم اعتديتم فان نور المؤمن ولو كان ابدا ضعيف اذا لم يكن عالما و انما حملنا الكلام على من غلب عليه أحد الوصفين لا على عالم فقط و عابد فقط لأن هذين لا فضل لهما بل التهما معذبان في النار لتوقف صحة العمل على العلم وكمال العلم على العمل بل ورد ويل للجاهل مرة و ويل للعالم سبع مرات و ورد أشد الناس عذابا يوم القامة عالم لم ينفعه الله بعلمه لانه يكون حينئذ ضالامضلا و قال القاضي شبه العالم بالقمر و العابد بالكواكب لان كمال العبادة و نورها لايتعدى من العابد و نور العالم يتعدى الى غيره فيستضيء بنوره المتلقى عن النبي صلى الله عليه وسلم كلقمر يتلقى نوره من نور الشمس من خالقها عزوجل (وان العلماء ورثة الانبياء) و انما لم يقل ورثة الرسل ليشمل الكل قاله ابن الملك يعنى فان البعض ورثة الرسل كاصحاب المذاهب و الباقرين و رثة الانبياء على اختلاف مراتبهم (وان الانبياء لم يورثوا) بالتشديد (دينارا ولا درهما) أي شيا من الدنيا وخصا لانهمما أغلب أنواعها و ذلك

و انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر رواه أحمد و الترمذى و أبو داود و ابن ماجه و الدارمى و سماء الترمذى قيس بن كثير و عن أبي امامة الباهلى قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ن أحدهما عابد و الآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله و ملائكته و أهل السموات و الارض

إشارة الى زوال الدنيا و أنهم لم يأخذوا منها الا بقدر ضرورتهم فلم يورثوا شيئا منها لثلايتهم أنهم كانوا يطلبون شيئا منها يورث عنهم على ان جماعة قالوا أنهم كانوا لا يملكون مبالغة في تزهمم عنها و لذا قيل الصوفى لا يملك و لا يملك و فيه ايماء الى كمال توكلهم على الله تعالى فى أنفسهم و أولادهم و اشعار بان طالب الدنيا ليس من العلماء الورثة و لذا قال الغزالي أقل العلم بل أقل الايمان أن يعرف أن الدنيا فانية و أن العقبى باقية و نتيجة هذا العلم أن يعرض عن الفانى و يقبل على الباقى قال ابن الملك خصوا الدرهم بالذکر لان نفى الدينار لا يستلزم نفه و فيه أنه لا تخصص هنا و العطف يدل على المغايرة و انما زيدت لانتا كيد النفى و ارادة المبالغة ثم قال و لا يريد الاعتراض بانه عليه الصلاة والسلام كان له صفايا بنى النصير و قدك و خبير الى أن مات و خلفها و كان لشبيب عليه الصلاة والسلام اغنام كثيرة و كان أيوب و ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ذوى نعمة كثيرة لان المراد أنه ما ورثت أولادهم و أزواجهم شيئا من ذلك بل بقى بعدهم معدا لنواب المسلمين اه و يذكر عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه مريوما فى السوق يقوم مشتغلا بتجاراتهم فقال أنتم ههنا و ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فقاموا سراعا اليه فلم يجدوا فيه الا القرآن و الذكر و مجالس العلم فقالوا أين ما قلت يا أبا هريرة فقال هذا ميراث مھدى صلى الله عليه وسلم يقسم بين ورثته و ليس بموارثته دنياكم (و انما ورثوا العلم) لاطهار الاسلام و نشر الاحكام أو باحوال الظاهر و الباطن على تباين أجناسه و اختلاف أنواعه (فمن أخذه) أى العلم (أخذ بحظ وافر) أى أخذ حظا وافرا يعنى نصيبا تاما أى لاحظ أوفر منه و الباء زائدة لنتا كيد أو المراد أخذه متلبسا بحظ وافر من ميراث النبوة و يجوز أن يكون أخذ بمعنى الامر أى فمن أراد أخذه فليأخذ بحظ وافر و لا يقتنع بقليل هذا زبدة كلام الشرح هنا (رواه أحد و الترمذى و أبو داود و ابن ماجه و الدارمى و سماء الترمذى) أى كثير بن قيس (قيس بن كثير) و الصحيح أنه كثير بن قيس قال ميرك شاه و قال المؤلف فى أسماء الرجال للمشكاة قيس بن كثير سمع أبا الدرداء هكذا أخرج حديثه الترمذى عن قيس بن كثير و قال كذا حدثنا محمود بن خدش و انما هو كثير بن قيس و كذلك سماء أبو داود كثير بن قيس و أورده البخارى فى باب كثير لافى باب قيس (و عن أبي امامة الباهلى قال ذكر) على البناء للمفعول أى وصف (لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ن أحدهما عابد) أى كامل فى العبادة (و الآخر عالم) أى كامل بالعلم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لا يستويان و ان كان كل منهما كاملا فى مقامه (فضل العالم) بالعلوم الشرعية مع القيام بفرائض العبودية (على العابد) أى على المتجرد للعبادة بعد تحصيل قدر الفرض من العلوم (كفضلى على أدناكم) و فيه مبالغة لاتخفى فانه لو قال كفضلى على أعلاكم لكفى فضلا و شرفا فيكون نظير قوله صلى الله عليه وسلم واحشرونى فى زمرة المساكين مع افادة التواضع فى الثانى و الظاهر أن اللام فيها للجنس فالحكم عام و يحتمل العهد فقيرها يؤخذ بالمقايسة (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله) استئناف فيه تعليل (و ملائكته) أى حملة العرش (و أهل السموات) تعميم بعد تخصيص (و الارض) أى

حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير رواه الترمذى ورواه الدارمى عن مكحول مرسلا ولم يذكر رجلاَن وقال فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ثم تلا هذه الآية انما يخشى الله من عباده العلماء وسرد الحديث الى آخره وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس لكم تبع وان رجالا

أهل الارض من الانس والجن وجميع الحيوانات (حتى النملة) بالنصب على أن حتى عاطفة وبالجر على أنها جارة وبالرفع على أنها ابتدائية والاول أصح (في جحرها) بضم الجيم وسكون الحاء أى ثبثها قال الطيبى وصلاته بحصول البركة النازلة من السماء (وحتى الحوت) كما تقدم وهما غابتان مستوعبتان لدواب البر والبحر وخصت النملة من دواب البر لانها أكثر الحيوانات ادخارا للثورت في جحرها فهي أحوج الى بركنهم من غيرها وتقدم وجه تخصيص الحوت من دواب البحر وقيل وجه تخصيصهما بالذكر الاشارة الى جنس الحلال والحرام وقيل الى الجنس المنهى عنه القتل وغيره (ليصلون) فيه تغليب للعقلاء على غيرهم أى يدعون بالخير (على معلم الناس الخير) قيل أراد بالخير هنا علم الدين وما به نجاته الرجل ولم يطلق المعلم ليعلم أن استحقاق الدعاء لاجل تعليم علم موصل الى الخير اه وفيه اشارة الى وجه الأفضلية بان نفع العلم متعدد ونفع العبادة قاصر مع أن العلم في نفسه فرض وزيادة العبادة نافلة والله أعلم (رواه الترمذى) يعنى عن أبى أمامة مرفوعا (و رواه الدارمى عن مكحول) وهو من اجلاء التابعين من سبى كابل وكان معلم الاوزاعى قال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشام فلم يكن في زمان مكحول ابصر بالفتيانه وكان لا يفتى حتى يقول لاحول ولاقوة الا بالله هذا رأى والرأى يخطئ* ويصيب كذا ذكره المصنف (مرسلا) يعنى حذف الصحابي (ولم يذكر) أى مكحول (رجلان) رفعه على الحكاية والمراد هو وما بعده من قوله أدهما عابد والآخر عالم ولذا قال (وقال) أى مكحول رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكاية (فضل العالم على العابد) وهو يؤيد الجنسية فيما تقدم (كفضلى على أدناكم) أى أيها الصحابة أو أيها الامة والثاني أكثر مبالغة (ثم تلا) أى مكحول أو رسول الله صلى الله عليه وسلم (هذه الآية) استشهدا أو تصديقا (انما يخشى الله) بالنصب (من عباده العلماء) بالرفع والخشية خوف مع التعظيم وقرئ في الشواذ برفع الجلالة ونصب العلماء أى يعظم على التجريد قيل استشهد لبيان علة الفضل لان العالم الحقيقى أعرف بالله وبجلاله وكبريائه من العابد الذى غلبت عبادته على علمه فيكون العالم أتى قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم اه وحاصله ان العلم يورث الخشية وهى تنتج التقوى وهو موجب الاكرمية والأفضلية وفيه اشارة الى ان من لم يكن علمه كذلك فهو كالجاهل بل هو الجاهل ولذا قيل ويل للجاهل مرة ويل للعالم سبع مرات وأطبق السلف على أن من عصى الله فهو جاهل لقوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة (وسرد) أى ذكر وأورد مكحول (الحديث) أى بقية الحديث السابق (الى آخره) وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس (أى جنسهم) لكم تبع جمع تابع كخدم و خادم وقيل وضع المصدر موضع الفاعل مبالغة كرجل عدل والخطاب لعلماء الصحابة يعنى أن الناس يتبعونكم في أفعالكم وأتوالمكم لانكم أخذتم عنى مكارم الاخلاق فان الشريعة أتت والظريقة أفعالى والحقيقة أحوالى وفيه ماخذ لتسمية التابعى تابعيا وان كانت التبعية عامة بواسطة أو بغير واسطة ولكن المطلق ينصرف الى الكامل (وان رجالا) أو نوعا منهم غلبت عليهم الرجولية

يأتونكم من أقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا رواه الترمذى و عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلمة الحكمة ضالة الحكيم فحيث وجدها فهو أحق بها
رواه الترمذى و ابن ماجه و قال الترمذى هذا حديث غريب و ابراهيم بن الفضل الراوى يضعف في الحديث

الكلمة (يأتونكم) أى باجهد أنفسهم طالبين خالصين متواضعين (من أقطار الارض) أى جوانبها
(يتفقهون) أى يطلبون الفقه (في الدين) و الجملة استثنائية لبيان علة الاتيان أو حال من المرفوع
في يأتونكم و هو أقرب الى الذوق كذا قاله الطيبي (فاذا أتوكم) أى بهذا القصد و أثرها على ان
لافادتها تحقيق وقوع هذا الامر فهو من اعلام نبوته و بواهر معجزته لو وقع ذلك كما أخبر به
(فاستوصوا بهم خيرا) أى في تعليمهم علوم الدين و أخلاق المهتمدين كما قيل في الحديث القدسى
لداود عليه الصلاة والسلام اذا رأيت لى طالبا فكن له نادما و تحقيقه اطلبوا الوصية و النصيحة بهم
من أنفسكم فالسئ للطلب و الكلام من باب التجريد أى ليجرد كل منكم شخصا من نفسه و يطالب منه
التوصية في حق الطالبين و مراعاة أحوالهم و قيل الاستيضاء طلب الوصية من نفسه أو من غيره باحد أو
بشئ يقال استوصيت زيدا بعمرو خيرا أى طابت من زيد أن يفعل بعمرو خيرا و الباء في بهم للتعدية
و قيل الاستيضاء قبول الوصية و معناه اقبلوا الوصية منى بياتئهم خيرا و قيل معناه مروهم بالخير
و عظوهم و علموهم إياه (رواه الترمذى) و كذا ابن ماجه (و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الكلمة) أى الجملة المفيدة (الحكمة) قال مالك هى الفقه في الدين قال تعالى يؤتى
الحكمة من يشاء الآية و قيل التى أحكمت مبانها بالنقل و العقل دالة على معنى فيه دقة مصونة معانيها
عن الاختلال و الخطأ و الفساد و قال السيد جمال الدين جعلت الكلمة نفس الحكمة مبالغة كقولهم رجل
عدل و يروى كلمة الحكمة بالإضافة من اضافة الموصوف الى الصفة و يروى الكلمة الحكيمه على طريق
الاسناد المجازى لأن الحكيم قائلها كقوله تعالى يس و القرآن الحكيم كذا في شرح الطيبي و ذكر
البيضاوى في تفسير قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم وصف بالحكيم لاشتماله على الحكم فعلى هذا هو يفيد
وجها آخر في الكلمة الحكيمه و قيل الحكيمه بمعنى المحكمة أو العاكمة (ضالة الحكيم) أى مطاوبه و الحكيم
هو المتن للامور الذى له فيها غور (فحيث وجدها) أى الحكيم الحكمة (فهو أحق بها) أى بقبولها
قال السيد جمال الدين يعنى ان الحكيم يطلب الحكمة فاذا وجدها فهو أحق بها أى بالعمل بها و اتباعها
أو المعنى ان كلمة الحكمة ربما تقوه بها من ليس لها باهل ثم وقعت الى أهلها فهو أحق بها من قائلها
من غير التفات الى خساسة من وجدها عنده أو المعنى ان الناس يتفاوتون في فهم المعاني و استنباط الحقائق
المنتجة و استكشاف الاسرار الرموزة فينبغى أن لا ينكر من قصر فهمه عن ادراك حقائق الآيات
و دقائق الاحاديث على من رزق فهمها و ألهم تحقيقا كما لا يناع صاحب الضالة في ضالته اذا وجدها
أو كما ان الضالة اذا وجدت مضية فلا تترك بل تؤخذ و يتفحص عن صاحبها حتى ترد عليه كذلك
السامع اذا سمع كلاما لا يفهم معناه و لا يبلغ كنهه فعليه أن لا يضيعه و أن يحمله الى من هو أفقه منه
فعله يفهم أو يستنبط منه ما لا يفهمه و لا يستنبطه هو أو كما أنه لا يجعل منع صاحب الضالة عنها فانه
احق بها كذلك العالم اذا سئل عن معنى لا يجعل له كتمانها اذا رأى في السائل استعدادا لفهمه كذا
قاله زين العرب تبعه للطيبى (رواه الترمذى و ابن ماجه و قال الترمذى هذا حديث غريب و ابراهيم
ابن الفضل الراوى) بتخفيف الياء (يضعف) بصيغة المجهول أى ينسب الى ضعف الرواية (في الحديث)
أى في باب نقل الحديث و رواه ابن عساكر عن علي و كأنه رضى الله عنه أخذ من هذا الحديث ما قال

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد زواه الترمذى وابن ماجه و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طاب العالم فريضة على كل مسلم و واضح العلم عند غير أهله كعقل الخنازير الجوهر و اللؤلؤ و الذهب رواه ابن ماجه و روى البيهقى في

موقفا انظر الى ما قال و لانتظر الى من قال (و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد) أى بقاؤه و حياته (أشد على الشيطان) لان الفقيه لا يقبل اغواه و يأمر الناس بالخير على ضد ما يأمرهم بالشر (من ألف عابد) قيل المراد الكثرة و ذلك لان الشيطان كلما فتح بابا من الاهواء على الناس و زين الشهوات في قلوبهم بين الفقيه العارف بمكائده و مكامن غوائله للمريد السالك مايسد ذلك الباب و يجعله خائبا خاسرا بخلاف العابد فانه ربما يشتغل بالعبادة و هو فى حبال الشيطان و لا يدري (رواه الترمذى و ابن ماجه) قال الربيع حديث لفتيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد رواه البيهقى فى الشعب و الطبرانى فى الاوسط و غيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعا به فى حديث وقال الطبرانى سنده ضعيف و له شواهد أسانيدها ضعيفة اه لكن كثرة طرقه تخبره عن الضعف خصوصا حيث اعتضده برواية الترمذى و ابن ماجه عن ابن عباس (و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم) أى الشرعى (فريضة) أى مفروض فرض عين (على كل مسلم) أو كفاية و التاء للمبالغة أى و مسلسلة كما فى رواية قال الشراح المراد بالعلم ما لا مندوحة للعبد من تعلمه كعمارة الصانع و العلم بوحدايته و نبوة رسوله و كيفية الصلاة فان تعلمه فرض عين و لما بلوغ رتبة الاجتهاد و الفتيا ففرض كفاية قال السيد و يمكن أن يعم العلم و يحمل الكلام على المبالغة اه و فيه تأمل قال الابهري و اختلف فى العلم الذى هو فرض و تحزبوا فيه أكثر من عشرين فرقة فكل فريق نزل الوجوب على العلم الذى يصدده اه قال الشيخ العارف الربانى السهروردى اختلف فى هذا العلم الذى هو فريضة قيل هو علم الاخلاص و معرفة آفات النفس و ما يقصد الاعمال لان الاخلاص مأمور به فصار علمه فرضا آخر و قيل معرفة الخواطر و تفصيلها فريضة لان الخواطر هى منشأ الفعل و بذلك يعلم الفرق بين لمة الشيطان و لمة الملك و قيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال واجبا و قيل علم البيع و الشراء و النكاح اذا أراد الدخول فى شئ منها و قيل علم الفرائض الخمس و قيل هو طلب علم التوحيد بالنظر و الاستدلال و النقل و قيل هو طلب علم الباطن و هو ما يزداد به العبد يقينا و هو الذى يكتسب بصحبة الصالحين و الزهاد المقربين فهم وراث الانبياء صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين اه فان قيل ما الفرض قبل الفرض فقل العلم قبل العمل و ان قيل ما الفرض فى الفرض فقل الاخلاص فى العلم و العمل و ان قيل ما الفرض بعد العمل فقل الخوف و الرجاء (و واضح العلم عند غير أهله) بان يحدثه من لا يفهمه أو من يريد منه غرضا دنيويا أو من لا يتعلمه لله (كعقل الخنازير الجوهر و اللؤلؤ) يسكون الهمز و يبدل (و الذهب) قيل يشعر بان كل علم يختص باستعداد و له أهل فاذا وضعه فى غير موضعه فقد ظلم فمثل معنى النظام بتقليد أسس الحيوانات بانفس الجواهر تمهينا لذلك الوضع و تفتيرا عنه و لذا قال على كرم الله وجهه حدثوا الناس بما يفهمون أو يعرفون أتجنون أن يكذب الله و رسوله أى اذا سمعوا ما لم تحط به عقولهم فانهم يبادرون الى تكذيبه و فى تعقيب هذا التمثيل بقوله طلب العلم اعلام بان المراد بالطلب طلب كل من المستعدين ما يليق بحاله و يوافق منزلته بعد حصول ما هو واجب من الفرائض العامة و على العالم أن يخص كل طالب بما هو مستعد له (رواه ابن ماجه) يعنى بكامله و غيره كذا فى الترغيب للمندرى (و روى البيهقى فى

شعب الایمان الی قوله مسلم و قال هذا حدیث متنه مشهور و استاده ضعیف و قد روی من أوجه كلها ضعیف و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلائك لاتجتمعان فی مناق حسن سمت و لاقته فی الدين رواه الترمذی و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج فی طلب العلم فهو فی سبیل الله حتی یرجع رواه الترمذی و الدارمی و عن سخيرة الأزدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم كان

شعب الایمان الی قوله مسلم و قال) أي البیهقی (هذا حدیث متنه مشهور) أي علی أسنة الناس کذا فی بداية الجزری (و استاده ضعیف) أي و ان كان معناه صحیحاً کذا قاله النووی (و قد روی من أوجه كلها ضعیف) لكن كثرة الطرق تدل علی ثبوته و یقوی بعضه ببعض قال المزنی تلمیذ النووی (و قد روی من أوجه كلها ضعیف) و قال العلقمی فی شرح الجامع الصغیر رأیت له خمسين طریقاً جمعتهما فی جزء و حکمت بصحته لكن من القسم الثاني و هو الصحیح بغيره فنقول الجزری فی البداية لا أصل له أي ليس له أصل صحیح و قد مثل به ابن الصلاح للمشهور الذی ليس بصحیح لكن قال العراقي قد صحح بعض الائمة بعض طرقه هذا و قد ألحق بعض المصنفين بآخر الحدیث و مسلمة و ليس لها ذکر فی شیء من طرقه (و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلائك لاتجتمعان فی مناق) بأن تكون فی واحدة دون الأخرى أو لا يكونا فیہ بأن لاتوجد واحدة منهما فیہ و انما عبر بالاجتماع تحريضاً للمؤمنين علی جمعهما و زجرا لهم عن الانصاف بأحدهما و المناقق اما حقیقی و هو التفاق الاعتقادی أو مجازی و هو المرئی و هو التفاق العلی (حسن سمت) أي خلق و سيرة و طريقة قال الطیبی هو التزی بزی الصالحين و قال ميرك سمت بمعنى الطريق أعنی المقصد و قيل المراد هيئة أهل الخیر و الحسن ما قاله ابن حجر انه تحری طرق الخیر و التزی بزی الصالحين مع التزه عن المعایب الظاهرة و الباطنة (و لاقته فی الدين) عطف بل لان حسن سمت فی سياق النفي فلا لتأکید النفي المساق قال التوربشتی حقیقة الفقه فی الدين ما وقع فی القلب ثم ظهر علی اللسان فأفاد العمل و أورش الخشية و التقوی و أما الذی يتدارس أبواباً منه ليتعزز به و يتأكل به فانه بمعزل عن الرتبة العظمی لان الفقه تعلق بلسانه دون قلبه و لهذا قال علی رضی الله عنه ولكنی أخشى علیکم كل مناقق علم اللسان قيل ليس المراد أن احدهما قد تحصل دون الأخرى بل هو تحريض للمؤمنين علی الانصاف بهما و الاجتناب عن اضدادهما فان المناقق من يكون عارياً منهما و هو من باب التغليظ و نحوه قوله تعالى وويل للمشرکين الذین لا یؤتون الزکاة اذ فیہ حث علی أدائها و تخويف من المنع حیث جعله من أوصاف المشرکين کذا قاله الطیبی (رواه الترمذی و عن أنس) رضی الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج) أي من بیته أو بلدہ (فی طلب العلم) أي الشرعی فرض عين أو کفاية (فهو فی سبیل الله) أي فی الجهاد لما أن فی طلب العلم من احیاء الدين و اذلال الشیطان و اتعاب النفس کما فی الجهاد (حتى یرجع) أي الی بیته و فیہ إشارة الی أنه بعد الرجوع له درجة أعلى لانه حیثئذ وارث الانبياء فی تکمیل الناقصين قال تعالى قلوا لئنر أي خرج من کل فرقة منهم طائفة أي بعضهم لیتفتحوها فی الدين و لینذروا قومهم اذا رجعوا الیهم لعلهم یحذرون (رواه الترمذی و الدارمی) و کذا الضیاء المقدسی (و عن سخيرة) بفتح المهملة و سکون المعجمة و فتح الموحدة یکنی أباً عبد الله (الأزدي) فی القاموس ازد بن الغوث و بالسین أنصح أبوحي من الیمن و من اولاده الانصار کلهم له رواية فی کتاب العلم رواه عنه ابنه ذکره المؤلف فی الصحابة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم) أي لیعمل به (کان)

كفارة لما مضى رواه الترمذی والداری وقال الترمذی هذا حديث ضعيف الاستاد وأبو داود الراوي يضعف
وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يشع المؤمن من خير يسععه حتى يكون
منتهاه الجنة رواه الترمذی وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم علمه
ثم كتبه ألجم يوم القيامة بلجام من نار رواه أحمد وأبو داود والترمذی ورواه ابن ماجه عن أنس
وعن كعب بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم

أى طلبه للعلم (كفارة) وهى ما يستر الذنوب ويزيلها من كفر إذا ستر (لما مضى) أى من
ذنوبه قبل هذا الحديث مع ما فيه من الضعف مخالف للكتاب والسنن المشهورة فى إيجاب الكفارات
والحدود الا اذا قلنا بالتخصيص يعنى بالصغائر وهو موضع بحث كذا فى زين العرب نقله السيد والظاهر
أن الكفارة مختصة بالصغائر أو بحقوق الله التى ليس لها تدارك أو يشمل حقوق العباد التى لا يمكن
تداركها لها ويمكن أن يكون المعنى ان طلب العلم وسيلة الى ما يكفر به ذنوبه كلها من التوبة ورد
الظالم وغيرها والله أعلم (رواه الترمذی والداری وقال الترمذی هذا حديث ضعيف الاستاد
وأبو داود الراوى) أى من رواة هذا الحديث (يضعف) بتشديد العين أى ينسب الى الضعف فى
الرواية وليس أبأ داود المخرج من أصحاب السنن فإنه ثقة امام فى الحديث قوى فى الرواية والدراية
(وعن أبي سعيد الخدري) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يشع المؤمن) أى
الكامل (من خير) أى علم (يسععه حتى) لما كان يشع مضارعا دالا على الاستمرار تعلق به حتى (يكون
منتهاه) أى غايته ونهايته (الجنة) بالنصب على الخبرية أو الرفع على الاسمىة يعنى حتى يموت فبدخل الجنة
(رواه الترمذی وعن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم علمه) وهو
علم يحتاج اليه السائل فى أمر دينه (ثم كتبه) بعدم الجواب أو يمنع الكتاب (ألجم) أى أدخل فى قمه
لجام لانه موضع خروج العلم والكلام قال الطيبى شبه ما يوضع فى فيه من النار بلجام فى ثم الدابة (يوم القيامة
بلجام من نار) مكافأة له حيث ألجم نفسه بالسكوت وشبه بالحيوان الذى سخر ومنع من قصده ما يریده
فان العالم من شأنه أن يدعوا الى الحق قال ابن حجر ثم هنا استبعادية لأن تعلم العلم انما يقصد لنشره ونفعه
الناس وبكتمه يزول ذلك الغرض الاكمل فكان بعيدا من هو فى صورة العلماء والحكماء قال السيد هذا فى
العلم اللازم التعليم كاستعلام كافر عن الاسلام ما هو أو حديث عهد به عن تعليم صلاة حضر وقتها
وكالمستقى فى الحلال والحرام فإنه يلزم فى هذه الامور الجواب لتوافل العلوم الغير الضرورية وقيل
العلم هنا علم الشهادة (رواه أحمد وأبو داود والترمذی) أى عن أبي هريرة (ورواه ابن ماجه عن أنس)
وفى الجامع الصغير رواه أحمد والأربعة والحاكم عن أبي هريرة اه ورواه ابن حبان وأبو يعلى أيضا
قال زين العرب تبعا للاخطاى وقد تكلم فى هذا الحديث بعض العلماء بأنه ضيف بل هو موضوع اه
وفى المقاصد الحسنة للسخاوى من كتبه علما يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار لجماعة وحسنه
الترمذی وصححه الحاكم ويشمل الوعيد حبس الكتب عن الطالب لاسيما عند عدم التعدد والابتلاء
بهذا كثير اه وخصوصا كتاب الوقف (وعن كعب بن مالك) أى الانصارى الخزرجى شهد العقبة
الثانية واختلف فى شهوده بدره والمشهد بعدها غير تبوك وكان أحد شعراء النبى صلى الله عليه وسلم
وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهم كعب بن مالك
وهلال بن أمية ومرارة بن ربعية يجمع أوائل اسمائهم مكة روى عنه جماعة مات سنة خمسين وهو
ابن سبع وسبعين بعد ان عمى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم) أى لالله بل

ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار رواه الترمذى ورواه ابن ماجه عن ابن عمر و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يتبغى به وجهه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ربحها

(ليجاري به) أى ليقاوم به (العلماء) المجاراة المعارضة فى الجرى وقيل المفاخرة وجعل نفسه مثل غيره (أو ليماري) أى يجادل (به السفهاء) جمع سفیه و هو قليل العقل و المراد به الجاهل و المماراة من العرية و هى الشك فان كل واحد من المتحاجين يشك فيما يقول صاحبه و يشككه مما يورد على حجته أو من العرى و هو مسح الحالب ليستنزل ما به من اللبن فان كلا من المتناظرين يستخرج ما عند صاحبه كذا حقه الطبيى ولما كان غرضه فى طلب العلم فاسدا ما احتيج الى الاستثناء فى المجادلة بنحو قوله تعالى الامراء ظاهرا وقوله الا بالتي هى احسن (أو يصرف به) أى يميل بالعلم (وجوه الناس) أى العوام أو الطلبة (اليه) أى ليعظموه أو يعطوا المال له كذا قاله ابن الملك و قيل أى يطلب العلم لمجرد الشهرة بين الناس (أدخله الله النار) الظاهر أن هذا أخبار بأنه استحق دخول النار و يحتمل أن يكون جملة دعائية والله أعلم (رواه الترمذى) أى عن كعب (ورواه ابن ماجه عن ابن عمر و عن أبي هريرة) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يتبغى) من اللبىان أى مما يطلب (به وجه الله) أى رضاء كالعولم الدينية (لا يتعلمه) حال اما من فاعل تعلم أو من مفعوله لانه تخصص بالوصف و يجوز أن يكون صفة أخرى لعلما (الا ليصيب به) أى لينال و يحصل بذلك العلم (عرضا) يفتح الرء و يسكن أى حظا مالا أو جاها (من الدنيا) يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر و الفاجر و نكره ليتناول الانواع و يندرج فيه قليله و كثيره و فى الازهار العرض بفتح العين و الرء المال و قيل ما يتمتع به و قال الجبلى العرض بالسكون أصناف المال غير الذهب و الفضة و بركة الرء جميع المال من الذهب و الفضة و العروض كلها كذا نقله الابهرى قال الطبيى و فيه أن من تعلم لرضا الله تعالى مع اصابة العرض الدينوى لا يتخل تحت الوعيد لان ابتغاء وجه الله تعالى يابى الا أن يكون متبوعا و يكون العرض تابعا و وصف العلم بابتغاء وجه الله اما للتفصيل و التمييز فان بعضا من العلوم مما يستعاذ منه كما ورد أعوذ بالله من علم لا ينفع و اما للمدح و الوعيد من باب التغليظ و التهديد و سمعت بعض العلماء الزاهدين يقول من طلب الدنيا بالعلوم الدينوية كان أهون عليه من أن يطلبها بغيرها من العلوم فهو كمن جر جيفة بألة من آلات اللهو و ذلك كمن جرها باوراق تلك العلوم اه و يؤيده ما روى عن الحسن البصرى انه رأى شخصا يلعب فوق الجبال فقال ان هذا خير من أصحابنا لانه يأكل الدنيا بالدنيا و أصحابنا يأكلون الدنيا بالدين اه لكن قالوا فرق بين من يأخذ الدنيا ليتفرغ لعمل الآخرة و بين من يعمل عمل الآخرة ليأخذ الدنيا فتأمل فانه موضع الزلل ثم الاستثناء من أعم الاوصاف أى لا يتعلم لغرض من الاغراض الا ليصيب به شيأ من تمتعات الدنيا و ان قل و من المعلوم ان قصدها هذا ولو مع قصد الآخرة موجب لللاثم فوجه التقييد ترتب العقاب الآتى عليه أو لان الغالب أن من قصد الدنيا لا يقصد معها الآخرة (لم يجد) حين يجد علماء الدين من مكان بعيد (عرف الجنة) بفتح العين و سكون الرء أى ربحها الطيبة المعروفة بان توجد من مسيرة خمسمائة سنة على ما ورد فى حديث (يوم القيامة يعنى) هذا تفسير الراوى (ربحها) قال التوربشتى قد حمل هذا المعنى على المبالغة فى تحريم الجنة على المختص بهذا الوعيد كقولك ما شممت قنار قدره للمبالغة فى التبرى عن تناول الطعام أى ما شممت رائحتها فكيف بالتناول و ليس كذلك فان المختص بهذا الوعيد ان كان من أهل الايمان

رواه أحمد و أبو داود و ابن ماجه و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نضرائه عبدا
سمع مقالتي فحفظها ووعاها و أداها

فلا بد و أن يدخل الجنة عرف بالنصوص الصحيحة فتأويل هذا الحديث أن يكون تهديدا و زجرا عن
طلب الدنيا بعمل الآخرة و أيضا يوم القيامة يوم موصوف و ذلك من حين يحشر الناس الى أن ينتهي
بهم الامر اما الى الجنة أو الى النار ولا يلزم من عدم وجدانها يوم القيامة فقط عدم وجدانها
مطلقا و بيان ذلك ان الآمنين من الفرع الأكبر و هي النفخة الأخيرة اذا وردوا القيامة يمدون
برائحة الجنة تقوية لقلوبهم و أبدانهم و تسلية لهموسهم و أشجانهم على مقدار حالهم في المعرفة و إيقانهم
و من تعلم للاغراض الفانية و كان من حقه أن لا يتعلمه الا ابتغاء وجه الله يكون كمن حدث مرض في
دماغه يمنعه عن ادراك الروائح فلا يجد رائحة الجنة لما في قلبه من الاغراض المختلفة بالقوى الایمائية
و قال ابن حجر هذا الوعيد مطلق ان استحل ذلك لان تحريم طلب العلم بهذا التصدق فقط مجمع عليه
و معلوم من الدين بالضرورة و أفهم الحديث ان من أخلص قصده فتعلم الله لا يضره حصول الدنيا له
من غير قصدها بتعلمه بل من شان الاخلاص بالعلم ان تأتى الدنيا لصاحبه راحة كما ورد من كان همه
الآخرة جمع الله شمله و جعل غناه في قلبه و تأتية الدنيا و هي راحة (رواه أحمد و أبو داود و ابن ماجه)
و رواه الترمذی عن ابن عمر و لفظه من تعلم علما لغير الله فليتبوأ مقعده من النار (و عن ابن مسعود
و روى مخفيا و متظلا اه و قال النووي التشديد أكثر و قال الأبهري روى أبو عبيدة بالتخفيف و قال هو
لازم و مستعد و رواه الأصمعي بالتشديد و قال المخفف لازم و التشديد للتعمية و على الاول للتكثير و المبالغة اه
و المعنى خصه الله بالبهجة و السرور لما رزق بعلمه و معرفته من القدر و المنزلة بين الناس في الدنيا
و نعمه في الآخرة حتى يرى عليه رونق الرخاء و النعمة ثم قيل انه اخبار يعنى جملة ذاتنصرة و قيل
دعاء له بالنصرة و هي البهجة و البهاء في الوجه من أثر النعمة و قيل المراد ههنا النصرة من حيث الجاه
و القدر كما جاء اطبوا الحوائج من حسان الوجوه أى ذوى الاقدار من الناس لانه جدد بحفظه و نقله
طراوة الدين فجازاه في دعائه بما يناسب عمله قلت لاسمع من الجمع و الاخبار أولى من الدعاء و الله
أعلم قيل و قد استجاب الله دعائه فلذلك تجد أهل الحديث أحسن الناس وجها و أجملهم هيئة و روى
عن سفيان بن عيينة أنه قال ما من أحد يطلب الحديث الا وفى وجهه نضرة أى بهجة صورية أو معنوية
(سمع مقالتي) أى حديثي (فحفظها) أى بالقلب أو بالكتابة و أغرب ابن حجر حيث قال فحفظها بلسانه
(و وعها) أى دام على حفظها ولم ينسها قيل بال تكرار و التذكار اذا حفظها ثلاثين و قيل بالرواية
و التبليغ فيكون عطف (و أداها) عليه تفسيريا أى أوصلها الى الناس و علمها و فيه اشارة الى
الفسحة في الاداء حيث لم يوجب معجلا و أغرب ابن الملك فقال معنى حفظها أى عمل بموجبها فان
الحفظ قد يستعار للعمل قال تعالى و الحافظون لحدود الله أى العاملون بفرائضه اه و في المصايح و أداها
كما سمعها و في الأربعين سمع مقالتي فوعاها فاذاها كما سمعها أى غضا طريا من غير تحريف و تغيير
من زيادة و نقصان أو من غير تغيير للفظها و لامعناها فيكون تبيينها على الوجه الاكمل ثلاثين جواز
الرواية بالمعنى على ما عليه الجمهور مع أن التشبيه يلائم هذا المعنى لان العلية تارة تكون بحسب
اللفظ و المعنى و تارة بحسب المعنى و المدار على المعاني الاصلية دون الحسنات اللفظية لاسيما عند
الضرورة حيث نسي اللفظ بخصوصه و تذكر المعنى بعمومه فلو لم يعبر عنه بلفظ آخر فأت المتعود

قرب حامل فقه غير فقيهه و رب حامل فقه الى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلص العمل لله و النصيحة للمسلمين و لزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط من ورائهم

الاصلي لان ما لا يدرك كله لا يترك كله و محل بسط هذه المسائل علم اصول الحديث (قرب) استعيرت للتكثير و قيل استعماله فيه حقيقة أيضا (حامل فقه) أى علم (غير فقيهه) بالجر صفة حامل و قيل بالرغ فتنديبه هو غير فقيهه يعنى لكن يحصل له الثواب لنفعه بالنقل (و رب حامل فقه) قد يكون فقيها ولا يكون أفقه فيحفظه و يبلفه (الى من هو أفقه منه) فيستنبط منه ما لا يفهمه الحامل أو الى من يصير أفقه منه اشارة الى فائدة النقل و الداعى اليه قال الطيبي هو صفة لمدخول رب استغنى بها عن جوابها أى رب حامل فقه أداء الى من هو أفقه منه (ثلاث) أى ثلاث خصال (لا يغل) بفتح الياء و ضمها و بكسر الغين فالاول من الغل الحقد و الثاني من الاغلال الخيانة (عليهن) أى على تلك الخصال (قلب مسلم) أى كامل و المعنى ان المؤمن لا يخون في هذه الثلاثة الاشياء و لا يدخله ضغن يزيله عن الحق حين يفعل شيا من ذلك قاله النور بشتى و قال الزمخشري في الفائق ان هذه الخلال يستصلح بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الغل و الفساد و عليهن في موضع الحال أى لا يغل قلب مؤمن كأننا عليهن و انما انتصب عن النكرة لتقدمه اه و قيل النفي بمعنى النهي يعنى لا يتركها بل يأتي بها و قيل أى ثلاث لا يغل قلب مسلم حال كونه ثابتا عليهن يعنى من تمسك بهن طهر الله قلبه من الحقد و الخيانة و نقل السيد عن زين العرب انه يروى أيضا بفتح الياء و كسر الغين و تخفيف اللام من الوغول الدخول في الشر و نحوه و المعنى على هذا ان هذه الخلال يستصلح بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الغل و الشر اه ثم قال السيد و هذا المعنى مذکور في الفائق اه و ذكر ابن حجر فتح الياء و ضم الغين و تشديد اللام من غل من المغنم شيا غلولا اذا أخذه في خفية فهو يرجع الى الخيانة أيضا (اخلاص العمل لله) أى منها أو احداها أو الربط بعد العطف على أنه بدل من ثلاث و معنى الاخلاص ان يقصد بالعمل وجهه و رضاه فقط دون غرض آخر دنيوى أو أخروى كنعميم الجنة و لذاتها أو لا يكون له غرض دنيوى من سعة و رياء و الاول اخلاص الخاصة و الثاني اخلاص العامة و قال الفضيل بن عياض العمل لغير الله شرك و ترك العمل لغير الله رياء و الاخلاص أن يخلصك الله منهما (و النصيحة) و هى ارادة الخير (للمسلمين) أى كافتهم (و لزوم جماعتهم) أى موافقة المسلمين في الاعتقاد و العمل الصالح من صلاة الجمعة و الجماعة و غير ذلك (فان دعوتهم تحيط) أى تدور (من ورائهم) و فى نسخة من موصولة و يويد الاول أنه فى أكثر النسخ مرسوم بالياء و المعنى ان دعوة المسلمين قد أحاطت بهم فتحرسهم عن كيد الشيطان و عن الضلالة و فيه تنبيه على أن من خرج من جماعتهم لم ينل بركتهم و بركة دعائهم لانه خارج عما أحاطت بهم من ورائهم و فيه ايماء الى تفضيل الخلطة على العزلة قال الطيبي و كلام صاحب النهاية يرشد الى أن الصواب فتح من موصولا مفعولا لتحيط فانه قال الدعوة المرة من الدعاء أى تويهم و تثبتهم و تحفظهم يريد به أهل السنة و الجماعة اه و الاظهر ان كلام النهاية حاصل المعنى ثم قال الطيبي و قد يجوز أن يكون تقدير الكلام فعلية لزوم الجماعة فان دعوتهم تحيط من ورائهم قلت هذا التقدير غير محتاج اليه و على تقديره يحتاج الى تقدير آخر لان لزوم الجماعة خصلة من الخصال الثلاث و الله أعلم قال ابن حجر و وجه المناسبة بين قوله ثلاث المستأنف و ما قبله انه عليه الصلاة و السلام لما حرض سامع سنته على أدائها بين ان هناك خصالا من شأنه أن ينطوى قلبه عليها لان كلا منها محرض له على ذلك التبليغ و يجوز كون ثلاث بياناً للمقالة التى أكد في تبليغها و كأنه سائل قال ما تلك المقالة فقيل هى ثلاث

رواه الشافعی و البیهقی فی المدخل و رواه أحمد و الترمذی و أبو داود و ابن ماجه و الدارمی عن زید بن ثابت الا ان الترمذی و أبو داود لم یذکرا ثلاث لایقل علیهن الی آخره و عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول نضرائه أسمع منا شیئا یبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع رواه الترمذی و ابن ماجه و رواه الدارمی عن أبي الدرداء و عن ابن عباس رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم اتقوا الحدیث عنی

جامعة لتعظیم أمر الله و الشفقة علی خلق الله (رواه الشافعی) ولم یعلم فی أى کتاب (و البیهقی فی المدخل) بفتح المیم و الخاء کتاب له یعنی کلاهما عن ابن مسعود (و رواه أحمد و الترمذی و أبو داود و ابن ماجه و الدارمی عن زید بن ثابت) أى الحدیث بکماله (الا أن الترمذی و أبو داود لم یذکرا ثلاث لایقل علیهن الخ) و مع هذا کان الاولی أن یصدر الحدیث بقوله عن زید و الله أعلم (و عن ابن مسعود) لم یقل و عنه لثلاثیوهم رجوع الضمیر الی زید (قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول) حال و قيل مفعول ثان (نضرائه) أى نور (امرأ) أى شخصا (سمع منا شیئا) یمع الاقوال و الافعال الصادرة من النبی صلی الله علیه وسلم و أصحابه رضی الله عنهم یدل علیه صفة الجمع فی منا قاله الطیبی و قال ابن حجر قوله منا یمتثل انه للجماعة فیشمل من سمع من الصحابة شیئا من الاقوال و قول شارح المراد من شیئا عموم الاقوال و الافعال الصادرة منه علیه الصلاة والسلام و أصحابه غفلة عن کونه معمولاً لسمع الذى لایکون الا فی القول أقول لما قيل بعموم منا و قد یسمع من الصحابی انه علیه الصلاة والسلام کان یفعل کذا صح أن یتعلق السمع بالفعل بهذا المعنى مع ان المراد بالسمع هو العلم الذى یشمل القول و الفعل و الشامل ایضا و انما خص السمع بالذکر لان مدار العلم علیه غالباً (فیلغه) بالتشدید أى نقل الشئ المسموع للناس (كما سمعه) قال الابهری اما حال من فاعل یبلغه أو من مفعوله و اما مفعول مطلق و ما موصولة أو مصدریة خص مبلغ الحدیث كما سمعه بهذا الدعاء لانه سعی فی نضارة العلم و تجرید السنة فجازه بالدعاء بما یناسب حاله و هذا یدل علی شرف الحدیث و فضله و درجة طلابه حیث خصهم النبی صلی الله علیه وسلم بدعاء لم یشرك فیہ أحد من الامة و لو لم یکن فی طلب الحدیث و حفظه و تبلیغه فائدة سوى أن یتسفيد بركة هذه الدعوة المباركة لکنی ذلك فائدة و غنما و جل فی الدارين حظا و قسما و قال محبی السنة اختلف فی نقل الحدیث بالمعنى و الی جوازه ذهب الحسن و الشعبي و النخعی و قال مجاهد النقص من الحدیث ما شئت و لانتزد و قال سفیان ان قلت حدثکم كما سمعت فلا تصدقونی فانما هو المعنى و قال و کعب ان لم یکن المعنى و اسعاً فقد هلك الناس و قال ایوب عن ابن سیرین کنت أسمع الحدیث عن عشرة و اللفظ یختلف و المعنى واحد و ذهب قوم الی اتباع اللفظ منهم ابن عمر و هو قول القاسم بن محمد و ابن سیرین و مالک بن انس و ابن عیینة و قال محبی السنة الروایة بالمعنى حرام عند جماعات من العلماء و جائزة عند اکثرین و الاولی اجتنابها قلت الا عند سفیان اللفظ (فرب مبلغ) بفتح اللام المشددة أى منقول الیه و موصول لده (أوعى له) أى أحفظ للحدیث و أضبط و أنهم و اتقن له (من سامع) أى ممن سمع أولاً و یبلغه ثانياً (رواه الترمذی و ابن ماجه) أى عن ابن مسعود و کذا رواه أحمد و ابن حبان علی ما فی الجامع الصغیر و روى الترمذی و الضیاء عن زید ابن ثابت و لفظه نضرائه أسمع منا حدیثاً یحفظه حتى یبلغه غیره فرب حامل فقه الی من هو أفقه منه و رب حامل فقه لیس بقیه و فی اختلاف ألفاظ هذا الحدیث دلیل علی جواز روایة الحدیث بالمعنى لان الظاهر أن الخلاف اللفظی انما نشأ عن الرواة و الله أعلم (و رواه الدارمی عن أبي الدرداء و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم اتقوا الحدیث) أى احذروا روایته (عنی) و المعنى لا تحذروا عنی

الاماعلمت من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار رواه الترمذى ورواه ابن ماجه عن ابن مسعود وجابر ولم يذكروا الحديث عنى الاماعلمت و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار و فى رواية من قال فى القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار رواه الترمذى و عن جندب

(الاماعلمت) انه من حديثى قال الطبيى يجوز أن يراد بالحديث الاسم فالمضاف مجذوف أى احذروا رواية الحديث و يجوز أن يكون فعلا بمعنى مفعولا و عنى متعلق به و الاستثناء منقطع و المعنى احذروا مما لاتعلمونه من التحديث عنى لكن لاتحذروا مما تعلمونه و الظاهر أن العلم هنا يشتمل الظن فانهم اذا جوزوا الشهادة به مع أنها اضيق من الرواية اتفاقا فلان تجوز به الرواية أولى و يؤيده انه يجوز فى الرواية الاعتماد على الخط بخلاف الشهادة عند الجمهور (فمن كذب) أى افترى (على متعمدا) أى لاختا (فليتبوا مقعده) أى ليهبى مكانه (من النار) قيل الامر للتهديد و الوعيد و قيل الامر بمعنى الخبر (رواه الترمذى) أى عن ابن عباس (ورواه ابن ماجه عن ابن مسعود وجابر ولم يذكر) أى ابن ماجه (اتقوا الحديث عنى الاماعلمت) يعنى و الغاء أيضا من قوله فمن فانها للتفريع على ما قبله قال ابن حجر فى هذا من المؤلف نظر لان ابن ماجه اذا لم يذكر ذلك هنا فهو حديث البخارى الذى قدمه اول الفصل الاول فلاحاجة به الى ذكره ولا الى نسبته الى ابن ماجه اه و فيه انه ليس هو حديث البخارى بل بعضه فانه مسبوقة بجمل أخرى فى حديثه فأفاد المصنف بهذا أن هذه الجملة حديث مستقل رواه ابن ماجه (و عن ابن عباس) لم يقل عنه لئلا يرجع الضمير الى غيره و فى نسخة عنه لانه الاصل المصدر به فى أول الحديث (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال) أى من تكلم (فى القرآن) أى فى معناه أو قراءته (برأيه) أى من تلقاء نفسه من غير تتبع أقوال الائمة من أهل اللغة و العربية المطابقة للقواعد الشرعية بل بحسب ما يقتضيه عقله و هو مما يتوقف على النقل بانه لا مجال للعقل فيه كاسباب النزول و النسخ و المنسوخ و ما يتعلق بالنقص و الاحكام أو بحسب ما يقتضيه ظاهر النقل و هو مما يتوقف على العقل كالمشاهدات التى أخذ المجسمة بظواهرها و اعرضوا عن استحالة ذلك فى العقول أو بحسب ما يقتضيه بعض العلوم الالهية مع عدم معرفته بيقينها و بالعلوم الشرعية فيما يحتاج لذلك و لذا قال البيهقى المراد رأى غلب من غير دليل قام عليه أما ما يشده برهان فلا محذور فيه فعلم ان علم التفسير انما يتلقى من النقل أو من أقوال الائمة أو من المقاييس العربية أو القواعد الاصولية المبجوت عنها فى علم أصول الفقه أو أصول الدين ثم اعلم ان كل ما تعلق بالنقل لتوقفه عليه يسمى تفسيرا و كل ما تعلق بالاستنباط يسمى تأويلا (فليتبوا مقعده من النار و فى رواية من قال فى القرآن) أى قولا (بغير عام) أى دليل يقينى أو ظنى نقلى أو عقلى مطابق للشعرى (فليتبوا مقعده من النار) قيل يخشى عليه من الكفر قال ابن حجر و أحق الناس بما فيه من الوعيد قوم من أهل البدع سلبوا لفظ القرآن ما دل عليه و أريد به أو حملوه على ما لم يدل عليه و لم يرد به فى كلا الأمرين مما قصدوا نفيه أو اثباته من المعنى فهم مخطئون فى الدليل و المدلول مثل تفسير عبدالرحمن بن كيسان الأصم و الجبائى و عبدالجبار و الرماني و الزمخشري و أمثالهم و من هؤلاء من يدس البدع و التفسير الباطلة فى كلامهم الجزل فيروج على أكثر أهل السنة كصاحب الكشاف و يقرب من هؤلاء تفسير ابن عطية بل كان الامام ابن عرفة المالكي يبالغ فى الحط عليه و يقول انه أفتح من صاحب الكشاف لان كل أحد يعلم اعتزال ذلك فيجتنبه بخلاف هذا فانه يوهم الناس انه من أهل السنة (رواه الترمذى و عن جندب) بضم الجيم و الدال و يفتح كذا فى المعنى و ذكر

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن براهه فأصاب فقد أخطأ

الفاضى عياض في المشارق بفتح الدال وضمها مع ضم الجيم وبكسر الجيم أيضا مع فتح الدال وكسرها وهم ابن حجر فقال جنذب بضم الجيم وتلثيت الدال اذ ليس فعلل بضم الاول وكسر ما قبل الآخر من أوزان الرباعي المجرد والملحق به والله أعلم قال المصنف هو بضم الجيم وسكون النون وضم الدال المهملة وفتحها أيضا ابن عبد الله بن سفيان البجلي العلفي وعلقة بطن من بجيلة مات في سنة ابن الزبير روى عنه جماعة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن) أى في لفظه أو معناه (برأيه) أى بعقله المجرد (فأصاب) أى ولو صار مصيبا بحسب الاتفاق (قد أخطأ) أى فهو مخطئ بحسب الحكم الشرعى قال ابن حجر أى أخطأ طريق الاستقامة بخوضه في كتاب الله بالتخمين والجدس لتعديه بهذا الخوض مع عدم استجماعه لشروطه فكان آثما به مطلقا ولم يعتد بموافقته للصواب لانها ليست عن قصد ولا تخر بخلاف من كملت فيه آلات التفسير وهي خمسة عشر علما باللغة والنحو والتصريف والاشتقاق لان الاسم اذا كان اشتقاقه من مادتين اختلف المعنى باختلافهما كالسيح هل هو من السياحة أو المسح والمعاني والبيان والبديع والقرآت والاصلين واسباب النزول والتقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والاحاديث المهيئة لتفسير المعجم والمبهم وعام الموهبة وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم وبعض هذه العلوم كان موجودا عند السلف بالفعل وبعضها بالطبع من غير تعلم فانه مأجور بخوضه فيه وان أخطأ لانه لا تعدى منه فكان مأجورا أجرين كما في رواية أو عشرة أجور كما في أخرى ان أصاب واجرا ان أخطأ كالمجتهد في الاحكام لانه بذل وسعه في طلب الحق واضطره الدليل الى مراه فلم يكن منه تقصير بوجه وقد أخطأ الباطنية الذين يعتقدون ان للقرآن ظهرا وبطنا وان المراد باطنه دون ظاهره ومن هذا ما يسلكه بعض الصوفية من تفسيرهم فرعون بالنفس وموسى بالقلب ان زعموا ان ذلك مراد من الآية لا اشارات ومناسبات للآيات وقد صرح الغزالي وغيره بأنه يجرم صرف شئ من الكتاب والسنة عن ظاهره من غير اعتصام فيه بنقل من الشارع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل عقلي قال الماوردى وقد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن بآبتهاده وان صحبها شواهد سالمة عن المعارض وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الاحكام منه كما قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم وفي حديث أبي نعيم وغيره القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على احسن وجوهه ومعنى ذلول سهل حفظه وفهمه حتى لا يتصر عنه انهم المجتهدين ومعنى ذو وجوه ان بعض جملة يحتمل وجوها من التأويل أو أنه جمع وجوها من الامر والترغيب والتحليل واضدادها ومعنى فاحملوه الخ احملوه على احسن معانيه وفيه دلالة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى اه وما ذكره عن بعض المتورعة قال به قوم فحرموا التفسير مطلقا ولو على من اتسعت علومه الا ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء من الاثراف على شفا جرف هار واطباق العلماء في سائر الاعصار على خلاف مقالتهم كاف في تفسيهمم وتكذيبهم وقد قال مجيب السنة وآخرون التأويل الذى هو صرف الآية لمعنى يحتمله موافق لما قبلها وما بعدها ليس مخالفا للكتاب والسنة من طريق الاستنباط غير محظور على العلماء بالتفسير بخلاف نحو تاويل البحرين يعلى وفاطمة واللؤلؤ والمرجان بالحسن والحسين فانه من تأويل الجهلة والجمعاء كالروافض قال بعض الشراخ أى من شرع في التفسير من غير أن يكون له وقوف على لغة العرب ووجوه استعمالاتها من الحقيقة والمجاز والمعجم

رواه الترمذی وأبو داود و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء في القرآن كفر رواه أحمد وأبو داود و عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوما يتدارؤون في القرآن

والمفصل والعام والخاص وغير ذلك مما ينبغي أن يكون للمفسر فهو وإن طابق المراد بالآية فهو مخطئ* لانه تكلم في القرآن بغير إذن الشارع وقيل معناه قضى بتأويله واجتهاده على انه مراد الله تعالى ونقل الطيبي عن التوربشتي ان المراد بالرأى ما لا يكون مؤسسا على علوم الكتاب والسنة بل يكون قولاً تقوله برأيه على ما يقتضيه عقله و علم التفسير يؤخذ من أفواه الرجال كسباب النزول والناسخ والنسوخ ومن أقوال الائمة وتأويلاتهم بالمقاييس العربية كالحقيقة والمجاز والمجمل والمفصل والعام والخاص ثم يتكلم على حسب ما يقتضيه أصول الدين فيؤول القسم المحتاج الى التأويل على وجه يشهد بصحته ظاهر التنزيل فمن لم يستجمع هذه الشرائط كان قوله مهجوراً وحسبه من الزاجر انه مخطئ* عند الأصابة فيما بعد ما بين المجتهد والمتكلف فالمتكلف ماجور على الخطأ والمتكلف مأخوذ بالصواب وقال صاحب جامع الأصول يحتمل النهي عن وجهين أحدهما ان له ميلا عن طبعه وهواه فيؤول على وفق رأيه ولو لم يكن له ذلك الهوى لم يباح له ذلك المعنى الثاني أن يسارع الى التفسير بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الاضمار والتقديم ولا مطمع في الوصول الى الباطن بدون معرفة الظاهر (رواه الترمذی وأبو داود) وكذا النسائي (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء) أى الجدل (في القرآن) أى في مشابهته المؤدى الى الجحود (كفر) ساء كفرًا باسم ما يخشى عاقبته وذلك بان يسند أحدهم كلامه الى آية ثم يأتي صاحبه بآية أخرى تدفعه كانه يزعم ان الذى أتيت به نقيض ما استدلت به قال زين العرب المراد بالمرء في القرآن الشك فيه كقوله تعالى فلانك في مربة منه أى في شك يعنى الشك في كونه كلام الله كفر و المرء المجادلة فيما فيه مربة و شك و قال البيضاوى المراد بالمرء فيه التدارؤ و هو أن يروم تكذيب القرآن بالقرآن ليذفع بعضه ببعض فيطرق اليه قدحا و طعنا و من حق الناظر في القرآن أن يجتهد في التوفيق بين الآيات المختلفة ما أمكنه فان القرآن يصدق بعضه بعضا فان أشكل عليه شئ من ذلك ولم يتيسر له التوفيق فليعتقد انه من سوء فهمه وليكلم الى عالمه و هو الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله و الرسول اه و قال في شرح السنة قيل هو المرء في قراءته بان يتكرب بعض القراءات المروية و قد أنزل الله تعالى القرآن على سبعة أحرف فتوعده بالكفر لنتهوا عن المرء فيها و التكذيب بها اذ كلها قرآن منزل يجب الايمان به (رواه أحمد و أبو داود و عن عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص (عن أبيه عن جده) يحتمل أن يكون الضمير راجعا الى عمرو فيكون الحديث مرسلا لان جد عمرو و هو محمد بن عبد الله بن عمرو تابعي و أن يكون راجعا الى شعيب مع ما فيه من تفكيك الضميرين فالحديث متصل لان جد شعيب عبد الله بن عمرو بن العاص صحابي و لهذه العلة تكلموا في صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده لما فيها من احتمال التدليس (قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوما) أى كلام قوم (يتدارؤون في القرآن) أى يختلفون فيه و يتدافعون بعضه ببعض و التدارؤ دفع كل من المتخاصمين قول صاحبه بما يقع من القول أى يدفع بعضهم دليل بعض منه قال المظهر مثال ذلك ان أهل السنة يقولون الخير و الشر من الله تعالى لقوله تعالى قل كل من عند الله و يقول القدرى ليس كذلك بدليل قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله و ما أصابك من سيئة فمن نفسك و هذا الاختلاف منهي أى على هذا الوجه و انما الطريق في مثل تلك الآيات أن يؤخذ

فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه بعض و انما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا و ما جهلتم فكلوه الى عالمه

ما عليه اجماع المسلمين و يؤول الآتية الاخرى كما نقول انعقد الاجماع على ان الكل بتقدير الله تعالى و اما قوله تعالى ما اصابك الخ فذهب المفسرون الى انه متصل بما قبله و المعنى فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يعنى ان المناقنين لا يعلمون ما هو الصواب و يقولون ما اصابك الخ و قبل الآتية مستأنفة أى ما اصابك ما يهجد أو يا انسان من حسنة أى فتح و غنيمة و راحة و غيرها فمن فضل الله و ما اصابك من سيئة أى من هزيمة و تلف مال و مرض فهو جزاء ما عملت من الذنوب كما قال تعالى و ما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم و يعفو عن كثير فالآتية السابقة خارجة عن مسألة القضاء و القدر (فقال) عليه الصلاة والسلام (انما هلك من كان قبلكم) أى من اليهود و النصارى (بهذا) أى بسبب التدارؤ اشارة تحقير أو تعظيم لعظم ضرره و قبل المضاف محذوف أى بمثل هذا الاختلاف المذموم (ضربوا كتاب الله) أى جنسه (بعضه ببعض) بدل بعض و الجملة بيان لاسم الاشارة أى خلط من كان قبلكم التوراة و الانجيل و معناه دفع أهل التوراة الانجيل و أهل الانجيل التوراة و كذلك أهل التوراة ما لا يوافق مرادهم من التوراة و كذلك أهل الانجيل و قيل المراد بكتاب الله القرآن أى خاطوا بعضه ببعض فلم يميزوا بين المحكم و المتشابه و الناسخ و المنسوخ و المطلق و المقيد فحكموها فى كلها حكما واحدا من ضربت اللين بعضه ببعض أى خلطته و الضرب الصرف أيضا فان الراكب اذا أراد صرف الدابة ضربها أى صرفوا كتاب الله عن المعنى المراد الى ما مال اليه أهواؤهم و ينبغي للناظر فى كتاب الله تعالى أن يوفق بين الآيات فانه يصدق بعضه بعضا و من أشكل عليه شئ فليتوقف فيه و يستند الى سوء فهمه و يكمل علمه الى عالمه عزوجل و لذا قال (و انما نزل كتاب الله) المراد به الجنس (يصدق بعضه بعضا) يعنى أن الانجيل مثلابين أن التوراة كلام الله و هو حق و القرآن يبين أن جميع الكتب المنزلة حق و كذلك الناسخ يبين انه لا يعمل بالمنسوخ و المحكم يبين انه لا يعمل بالمتشابه و المؤول لدليل يبين أنه لا يعمل بالظاهر و الخاص و المقيد يبين أن لا يعمل بالعام و المطلق (فلا تكذبوا بعضه ببعض) بل قولوا كل ما أنزله الله على رسوله حق أو بان تنظروا الى ظاهر لفظين منه مع عدم النظر الى القواعد التى تصرف أحدهما عن العمل به بنسخه أو بتخصيصه أو تقيده أو تأويله فان ذلك يؤدى الى قدح فى الدين (فما علمتم منه) أى علما موافقا للقواعد (قولوا) أى به (و ما جهلتم) أى منه كالتشابهات و غيرها (فكلوه) أى ردوه و فوضوه (الى عالمه) و هو الله تعالى أو من هو أعلم منكم من العلماء و لائقوا معناه من لقاء أنفسكم و قد سئل ابن عباس عن آيات ظاهرة التناقى فأجاب عنها منها نفى المسألة يوم القيامة و اثباتها فنفيها فيما قبل النسخة الثانية و اثباتها فيما بعدها قلت و يحتمل أن يكون كلناهما بعد النسخة الثانية بأن يكون النفى فى أوائل المواضع و الاثبات فى أواخرها و منها كتمان المشركين حالهم و انشاؤه فالاول بالسنتهم و الثانى بإيديهم و جوارحهم قلت ولا بعد أن يكون الثانى بالسنتهم أيضا لكن لا باختيارهم كشهادة أيديهم و يدل عليه قوله يوم تشهد عليهم أسنتهم و منها خلق الارض قبل السماء و عكسه و جواب هذا أنه بدأ خلق الارض فى يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن فى يومين و الارض بعد ذلك دحاها و جعل فيها رواسى و غيرها فى يومين فتلك أربعة أيام للارض و قد سألته يهودى فقال تزعمون أن الله كان غفورا رحيفا فكيف هو اليوم و اجاب عنه بأن الماضى انما هو التسمية لان التعاقب انتضى و أما الاتصاف فهو دائم قلت و يترتب منه

رواه أحمد وابن ماجه و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف

ما قال المتكلمون ما ثبت قدمه استحاله عدمه و أجاب أيضا بأن كان يستعمل بها مراد الدوام كثيرا و سئل أيضا عن اليوم المقدر بالف سنة و المقدر بخمسين ألف سنة فقال لا أدري و أكره أن أقول ما لأعلم و في رواية عنه ان الاول أحد الايام الستة التي خلق الله فيها العالم و الثاني يوم القيمة و قال غيره كل منهما يوم القيامة باعتبار قصره على المؤمن العاصي و طوله على الكافر و أما الطابع فيكون عليه بقدر ركعتين كما ورد (رواه أحمد وابن ماجه و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن) أي حال كونه مشتملا (على سبعة أحرف) أي قراءات أو لغات أو أنواع من الاحكام قال الشراح الحرف الطرف و حروف التهجى سميت بذلك لانها أطراف الكلمة فمثل المراد أطراف اللغة العربية فكانه قال على سبع لغات العرب و هم المشهود لهم بالفصاحة كقريش و ثقيف و طي و هوازن و هذيل و اليمن و بنو تميم و قبل و عليه أئمة اللغويين و صححه البيهقي و ابن عطية بمجى التصريح به عن ابن عباس ورد بأن لغاته أكثر من سبع و أوجب بأن المراد أفصحها و يمكن أن يقال المراد بها الكثرة و قيل الكل في بطون قريش لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه و قيل في بطون مضر وردت هذه الاقوال كلها بأن عمر أنكروا على هشام قراءته حتى جره الى النبي صلى الله عليه وسلم و محال أن ينكر عليه لغته وهما من قبيلة و لغة واحدة فدل على أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات كذا ذكره ابن حجر و فيه بحث اذ يحتمل أن يكون انكار عمر قبل العلم بالجواز فلا دلالة حيثئذ على نفي ارادة اللغات مع أن مجرد ورود اللغة لا يجوز قراءته بدون الرواية و قيل أراد بها القراءات السبع التي اختارها الائمة السبعة و قيل اجناس الاختلافات التي يؤل إليها اختلاف القراءات فان اختلافها اما أن يكون في المفردات أو المركبات و الثاني كالتقديم و التأخير مثل و جاءت سكرة الموت بالحق و جاءت سكرة الحق بالموت و الاول اما أن يكون بوجود الكلمة و عدمها نحو فان الله هو النفى الحميد قرئ بالضمير و عدمه أو بتدليل الكلمة بغيرها مع اتفاق المعنى كالعهن المنفوش و الصوف المنفوش أو مع اختلافه مثل و طلع منضود و طلع منضود أو بتغييرها اما بتغيير هيئة كأعراب مثلهن أطهر لكم بالرفع و النصب في الرء أو صورة مثل و انظر الى العظام كيف ننشزها و ننشرها أو حرف مثل باعد و بعدين أسفارنا و قيل أراد في القرآن ما هو مقروء على سبعة أوجه كقوله تعالى و لا تقبل لهما أف فانه قرئ بالضم و الفتح و الكسر متونا و غير متون و بالسكون و قيل معناه انه أنزل مشتملا على سبعة معان الامر و النهي و القصص و الامثال و الوعد و الوعيد و الموعدة و قيل المعاني السبعة هي العقائد و الاحكام و الاخلاق و القصص و الامثال و الوعد و الوعيد و قبل أمر و نهى و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال اجبر الحاكم و البيهقي كان الكتاب الاول ينزل على حرف واحد و نزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر و أمر و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال الحديث و أوجب بأن قوله زاجر استئناف لا تفسير لانه في رواية زاجرا بالنصب أي نزل على هذه الصفة من الابواب السبعة و بتسليم انه تفسير هو تفسير للانزال لا للاحرف أي هي سبعة أبواب من ابواب الكلام و أقسامه أي أنزله الله على هذه الاصناف و لم يقتصر على صنف واحد كغيره من الكتب أي غير التوراة و الانجيل و من ثم قال جمع هذا القول فاسد لان اجماع المسلمين على أن التوسعة التي هي السبب في نزول القرآن على سبعة أحرف لم يقع في تحريم و لا تاحيل و لا في تغيير شئ من تلك المعاني المذكورة و قيل المراد بالأحرف السبعة الاقاليم السبعة يعنى حكم القرآن عام في جميع العالم و قيل المراد الكثرة

لكل آية منها ظهر و بطن و لكل حد مطلع

توسعة لا الحصر في هذا العدد و قيل غير ذلك و قال التوريشتي لما شق على كل العرب القراءة بلغة قريش رخص في ذلك و من الدليل على ذلك ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال إن الله تعالى يأمرك أن تقرأ أنت و أنتك على حرف واحد فقال صلى الله عليه وسلم أسأل الله عزوجل معافاته و مغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك ثم رجع اليه الثانية و ساق الحديث الى قوله أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف قيل فعلى هذا ينبغي أن ينزل قوله (لكل آية منها) أى من تلك السبعة الأحرف و الجملة الاسمية صفة لسبعة و الضمير رابطة فلا وجه لقول ابن حجر و الوجه عندى عوده على القرآن باعتبار جملته ثم أعرب في تعليقه بقوله لان الآية ليست من تلك الأحرف على أى قول من الاقوال (ظهر و بطن و لكل حد مطلع) بتشديد الطاء و فتح اللام على الاختلاف في القراءات كما فعل المظهر حيث قال حد كل حرف معلوم في التلاوة لا يجوز مخالفته مثل عدم جواز ابدال الضاد بحرف آخر و كذا سائر الحروف لا يجوز ابدالها بآخر الاما جاء في القراءة و يلزم من هذا التأويل أن يكون لكل حال من أحوال الكلمة كالإمالة و ابدال الحروف و الادغام ظهر و بطن و حد و مطلع و قيل المقصود وصف القرآن بكثرة ما فيه من العلوم فالمراد بالسبعة الكثرة كقوله تعالى و لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام و البحر يمدد من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله و الأحرف ههنا بمنزلة الكلمات في الآية فوجب أن يحمل الأحرف على أجناس الاختلافات التي لا تدخل تحت الحصر ثم قسم عليه الصلاة والسلام كل حرف تارة بالمظهر و البطن و الأخرى بالحد و المطلع فالظاهر ما بينه النقل و البطن ما يستكشفه التأويل و الحد هو المقام الذي يقتضى اعتبار كل من الظاهر و البطن فيه فلا مجرد عنه و المطلع المكان الذي يشرف منه على توفية خواص كل مقام حده و ليس للحد و المطلع انتهاء لان غايتهما طريق العارفين بالله و ما يكون مرآين الله و بين أنبيائه و أوليائه كذا حقيقه الطبي و قيل الظاهر ما ظهر تأويله و عرف معناه و البطن ما خفى تفسيره و أشكل فحواه و قيل الظاهر اللفظ و البطن المعنى قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم و عن علي لوشيت أن أوقر سبعين بعيرا من تفسير القرآن لفعلت و لهذا قال الفتازاني و أما ما يذهب اليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها و مع ذلك فيها اشارات الى دقائق تتكشف لارباب السلوك يمكن التطبيق بينها و بين الظواهر المرادة فهو من كمال الايمان و محض العرفان اه و نقل ابن الصلاح أن الواحدي قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير فان كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر ثم قال ابن الصلاح الفن لما يوثق به من أهل التصوف كالسلمي فانه من أكابره علماء و معرفة انه لم يذكر ذلك تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكامة فان ذلك مذهب الباطنية و انما ذلك منهم تنظير ما ورد به في القرآن و الله أعلم و قال محيي السنة في معالم التنزيل قيل الظاهر لفظ القرآن و البطن تأويله و المطلع الفهم و قد فتح الله على المتدبر و المتفكر من التأويل و المعاني ما لا يفتحه على غيره و فوق كل ذي علم عليم و التفهم يكون بصدق النية و تعظيم الحرمة و طيب الطعمة و قال زين العرب الظاهر ما ظهر معناه من غير رواية و البطن بخلافه اه و هو قريب من قول الطبي الظاهر ما بينه النقل و البطن ما يستكشفه التأويل قال أبو الظاهر الايمان به و العمل بمقتضاه و البطن التفاوت في فهمه على حسب مراتبهم في الفضيلة أو الظاهر المعنى الجلي و البطن الخفى و هوسر بين الله و بين عباده المصطفين عن أبي الدرداء لا يفتحه الرجل كل الفته حتى يجعل للقرآن وجوها و عن ابن مسعود من أراد علم الاولين و الاخرين فيؤثر القرآن و قوله و لكل حد مطلع الحد المنع و سميت حدود الله بها لمنع تركيبها من

رواه في شرح السنة

العود والمطلع مكان الاطلاع من موضع عال يقال مطلع هذا الجبل من مكان كذا أى مآناه ومصده منه والمعنى ان لكل حد من حدود الله تعالى وهى أحكام الدين التى شرع للعباد موضع اطلاع من القرآن فمن وفق أن يرتقى ذلك المرتقى اطلع منه على ذلك الحد المتعلق بذلك المطلع كذا نقله السيد وقيل أى لكل حد وطرف من الظهر والبطن مطلع أى مصعد أى موضع يطلع عليه بالترقى اليه فمطلع الظهر تعلم العربية وتتبع ما يتوقف عليه معرفة الظاهر من أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك ومطلع البطن تصفية النفس والرياسة بأداب الجوارح واتعابها في اتباع مقتضى الظاهر والعمل بمقتضاه وقال ابن مسعود ما من آية الا عمل بها قوم ولها قوم سيعملون بها وقيل ان ما قصه عن سيق ظاهرها الاخبار باهلاكم وباطنها وعظ السامعين وقيل ظاهرها معناها الظاهر لعلماء الظاهر وباطنها من الاسرار لعلماء البطن وقيل ظاهرها التلاوة ومعناها الفهم (رواه) أى مصنف المصاييح (في شرح السنة) أى باستناده فيه وأخرج الفريابي عن الحسن مرفوعا لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع وأخرج الديلمي خبر القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحتاج العباد وأخرج الطبراني وأبو يعلى والبرز وأبو يعلى وغيرهم عن ابن مسعود موقوفا ان هذا القرآن ليس له حرف الا له حد ولكل حد مطلع وقال ابن حجر الجملة الاولى جاءت من رواية أحد وعشرين صحابيا ومن ثم نص أبو عبيد على انها متواترة أى معنى واختلفوا في معناها على أربعين قولاً منها انه من الشكل الذى لا يدري معناه ومنها انه على سبعة أوجه من المعانى المتفقة بالفاظ مختلفة ونسبه ابن عبد البر لاكثر العلماء ويؤيده خبر أحمد بسند جيد ان جبريل قال يا محمد اقرأ القرآن على حرف قال ميكائيل استزده حتى يبلغ سبعة أحرف قال كل شاف كفى مالم يختم آية رحمة بعدذاب أو عذاب برحمة نحو قولك تعال واقبل وهام واذهب واسرع وعجل هذا لفظ الحديث وفي رواية له أنزل القرآن على سبعة أحرف عليهما حكيميا غفوراً رحيماً وفي أخرى له القرآن كله صواب مالم تجعل مغفرة عذاباً أو عذاباً مغفرة وسندهما جيد قال كثيرون من الائمة انما كان ذلك أى جواز تغيير اللفظ بمرادفه رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة باللفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط واثان الحفظ بالقرشى يشق عليه تخفيف الهزمة واليمنى تركه فلذلك سهل على قبيلة أن تقرأ بلغتها ثم نسخ بزوال العذر وتيسير الكتابة والحفظ قلت وفيه إيماء الى المعتد من مذهبي أن المصلى اذا قرأ مالم يغير المعنى لم يفسد صلاته واعلم انهم اختلفوا على قولين في المصاحف العثمانية أحدهما وعليه جماعات من الفقهاء والقراء والمكلمين انها مشتملة على جميع الاحرف السبعة فلا يجوز على الامة أن تهمل نقل شئ منها وقد أجمع الصحابة على نقلها من الصحف التى كتبها أبو بكر وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك واثنيهما واليه ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف انها مشتملة على ما يحتمله رسمها من الاحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الاخيرة التى عرضها عليه الصلاة والسلام على جبريل متضمنة لها لم يترك حرف منها وأجيب عن الاول بما ذكره ابن جرير أن القراءة على الاحرف السبعة لم تكن واجبة على الامة وانما كان جائزاً لهم ومرخصاً لهم فيه فلما رأى الصحابة أن الامة تفتقر وتختلف اذا لم يجتمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجماعاً شائعاً وهم معصومون من الضلالة ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل حرام ولا شك أن القرآن نسخ منه في العرضة الاخيرة وغير منه فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحققتوا انه قرآن مستقر في العرضة الاخيرة وتركوا ما سوى ذلك اه وقال ابن التين وغيره جمع أبو بكر القرآن في صحف وجمعه

و عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة وما كان سوى ذلك فهو فضل

عثمان في مصحف واحد و الفرق بين الجمعين أن الاول كان لخشية أن يذهب من القرآن شئ يذهب حاسبه لانه لم يكن مجموعا في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتبا لايات سوره على ماوقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم و جمع عثمان لما كان كثير الاختلاف في وجوه القرآن حين قرؤه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض فحشى من تفاقم الامر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره و اقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بانه نزل بلغتهم و ان كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم دفعا للجرح و المشقة في ابتداء الامر فرأى ان الحاجة الى ذلك انتهت فانتصر على لغة واحدة اه و الحاصل أن القرآن جمع ثلاث مرات الاولى بحضرته عليه الصلاة والسلام فقد صح عن زيد بن ثابت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن في الرقاع أى يؤلفون ما ينزل من الايات المفردة و يجمعونها في سورها باشارته عليه الصلاة والسلام قاله البيهقي و من ثم قال الخطابي كتب القرآن كله في عهده صلى الله عليه وسلم لكنه كان غير مجموع في موضع واحد و لا مرتب السور و الثانية بحضرة أبى بكر لما رأى عمر ذلك و من ثم ورد أنه أول من جمعه أى أشار بجمعه واقفه أبو بكر فامر زيدا بجمعه فجمعه في صحف كانت عند أبى بكر فعمر فبنته حفصة و من ثم صح عن على أول من جمع كتاب الله أبو بكر و ما روى عنه أنه جمعه منقطع و على فرض صحته محمول على أنه حفظ صدره و الثالثة بحضرة عثمان مرتبا له على السور (و عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم) أى الذى هو اصل علوم الدين و اللام للعهد الذهنى (ثلاثة) أى معرفة ثلاثة أشياء (آية محكمة) أى غير منسوخة أو ما لا يحتمل الا تأويلا واحدا (أو سنة قائمة) أى ثابتة صحيحة منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معمول بها و أو للتنوع كقولہ (أو فريضة عادلة) أى مستقيمة قيل الرداد بها الحكم المستتنب من الكتاب و السنة بالقياس لمعادلته الحكم المتخصص فيهما و مساواته لهما في وجوب العمل و كونه صدقا و صوابا و قيل فريضة معدلة بالكتاب و السنة أى مزكاة بهما و قيل الفريضة العادلة ما اتفق عليه المسلمون و هو اشارة الى الحكم الثابت بالاجماع و قيل الرداد علم الفرائض و الحاصل أن أدلة الشرع أربعة الكتاب و السنة و الاجماع و القياس و يسمى الاجماع و القياس فريضة عادلة قاله زين العرب ملخصا نقله السيد (وما كان سوى ذلك) أى المذكور (فهو فضل) أى من الفضول يعنى كل عام سوى هذه الثلاثة وما يتعلق بها مما تتوقف هذه الثلاثة عليه زائد لاضرورة الى معرفته كالنحو و التصريف و العروض و الطب و غير ذلك كذا قاله ابن الملك و أما قول ابن حجر و ما كان سوى ذلك كعلم العروض و الطب و الهندسة و الهيئة و الميقات فهو فضل أى زيادة على تلك العلوم فيه أنه تحصيل الحاصل و أنه غير مفيد لبيان العلم النافع الذى طلبه من الله تعالى و غير النافع الذى تعوذه منه بقوله اللهم انى أسألك علما نافعا و أعوذ بك من علم لا ينفع و أيضا من الظاهر أن مراد الشارع أن يبين حصر العلوم الشرعية لتعرض الامة عن غيرها و يتوجهوا اليها و هو لا يحصل الا بنى ما عداها و ذمه بأنه زائد غير محتاج اليه بل فضلة و شاغل عن المقصود ولذا ورد ان من العلم جهلا و من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه و الغريب من ابن حجر أنه جعل هذا القول بعيدا بل قال لا يصح و على بقوله لأن من تلك العلوم الزائدة ما هو فرض كفاية كالطب و تقدم جوابه و قال بل عين كعلم الوقت و القبلة قلت ان كان المراد علمهما اجمالا على ما ثبت في الحديث فهو مسلم و هو داخل في السنة و ان كان المراد علمهما على وفق علماء الهيئة و الحكمة

رواه أبو داود و ابن ماجه و عن عوف بن مالك الأشجعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقص الا أمير أو مأمور أو مختال رواه أبو داود ورواه الدارمي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده و في روايته أو مرآة بدل أو مختال و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتني بغير علم كان أثمه على من أتاه و من أشار على أخيه بأسر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانته

من الفلاسفة فحاشا أن يكون علما فضلا أن يكون فرضا فضلا أن يكون فرض عين والا لكان السلف و أكثر الخلف عاصين بترك هذا العلم وما كانت صلاتهم صحيحة بالتحري في القبلة والله أعلم و قال الطبيب العلم ثلاثة علم الكتاب و اليه أشار بقوله آية محكمة فان المحكمات هن أم الكتاب و يجب رد المتشابهات اليها و لا يحصل الا بما يتعلق به من العلوم كالعربية و الإصوليين يعنى أصول العقائد و أصول الفقه و علم السنة و اليه أشار بقوله سنة قائمة و معنى قيامها ثباتها و دوامها بالمحافظة على أسانيدها و ما يتعلق بها من التعديل و الجرح و معرفة أقسام الحديث أو بالمحافظة على متونها من التغيير بالالتقان و علم الأجماع و القياس و اليه أشار بقوله أو فريضة عادلة و انما سميت عادلة لانها معادلة لما أخذ من الكتاب و السنة في وجوب الاتباع و ما عدا ذلك من الفضول ولا مدخل له في علم الدين و أما الطب فليس بفضول لما ثبت بنصوص السنة الافتقار اليه أقول فيه ان كل ما ثبت بالسنة الافتقار اليه لا يلزم أن يكون علما كالحجامة و الزراعة و النساجة فانها من فروع الكفاية و لا تسمى علوما مع أن العلم بالظب جائز لا يفرض اجماعا و أصله موجود في الكتاب و السنة و الزائد عنهما لا شك أنه فضول كالأزائد من نحو النحو على قدر الحاجة اليه في معرفة الكتاب و السنة (رواه أبو داود و ابن ماجه و عن عوف بن مالك الأشجعي) رضى الله عنه روى عنه جماعة من الصحابة و التابعين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقص) نفى لانهى كذا قاله السيد و وجهه ما قاله الطبيب أنه لو حمل على النهى الصحيح لزم أن يكون المختال مأمورا بالانقصاص ثم القص التكلم بالقصص و الاخبار و المواعظ و قيل المراد به الخطبة خاصة و المعنى لا يصدر هذا الفعل الا من هؤلاء الثلاثة و قوله (الا أمير) أى حاكم (أو مأمور) أى مأذون له بذلك من الحاكم أو مأمور من عند الله كبعض العلماء و الاولياء (أو مختال) أى مبتخر مكتوب طالب للرياسة (رواه أبو داود) أى عن عوف (و رواه الدارمي عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده و في روايته) أى رواية الدارمي و في بعض النسخ و في رواية (أو مرآة بدل أو مختال) بالخاء المعجمة من الاختيال أى التكبر و بالحاء المهملة من العجيلة و الجمهور على الاول قال الابهري و في شرح السنة صحح بالمهملة (و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتني على صيغة المجهول و قيل من المعلوم (بغير علم كان أثمه على من أتاه) قال الأشرف و تبعه زين العرب يجوز أن يكون أتني الثاني بمعنى استفتى و أتني الاول معروفا أى كان أثمه على من استفاه فانه جعله في معرض الاتفاء بغير علم و يجوز أن يكون مجهولا أى قائم اتفائه على من أتاه أى الائتم على المفتى دون المستفتى اه و الاظهر الثاني و هو الاصح من النسخ يعنى كل جاهل سأل عالما عن مسألة فاتفاه العالم بجواب باطل فعمل السائل بها و لم يعلم بطلانها فآثمه على المفتى ان قصر في اجتهاده (و من أشار على أخيه بأسر) قال الطبيب اذا عدى أشار بعلى كان بمعنى المشورة أى استشاره و سأله كيف أفعل هذا الأمر اه و في القاموس أشار عليه بكذا أمره و استشار طلبه المشورة فالظاهر ما قاله بعض الشراح من أن المعنى من أشار على أخيه و هو مستشير و أمر المستشار بأسر (يعلم) و المراد بالعلم ما يشمل الظن (ان الرشد) أى المصلحة (في غيره) أى غير ما أشار اليه (فقد خانته)

رواه أبو داود وعن معاوية قال إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات رواه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض و القرآن و علموا الناس فاني مقبوض رواه الترمذى و عن أبي الدرداء قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخص بصره الى السماء ثم قال هذا أوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقدر روا منه على شئ رواه الترمذى و عن أبي هريرة رواية يوشك ان يضرب الناس أكباد الابل

أى خان المستشار المستشير اذ ورد أن المستشار مؤتمن و من غشنا فليس منا (رواه أبو داود و عن معاوية قال إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات) جمع اغلوطة بضم الهمزة و اللام أى عن سؤال المسائل التى يغالط بها العلماء لاشكال فيها لما فيها من ايداء المسؤل و اظهار فضل السائل قال فى الازهار النهى للتحريم اذا كان ابتداء لانه سبب الايداء و الازياء حرام و تهيج للفتنة و العداوة و فيه اظهار فضل النفس و نقص الغير و أما أن كان جوابا و جزاء فلا يكون حراما لقوله تعالى و جزاء سيئة سيئة مثلها و سئل الشافعى فى مجلس هرون الرشيد عن مسائل مشكلة فأجابها سريعا فقال الشافعى ممن سأل منه عن رجل مات عن ستمائة درهم و لم يخض أخته الادرم فاطرق مليا و عجز فاشار هرون بتصوير فقال مات رجل عن بنتين و أم و زوجة و اثني عشر أنا و أختا و ستمائة درهم كذا نقله الابهرى (رواه أبو داود و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض) قبل هو علم الميراث و قبل ما فرض الله على عباده و قبل الفرائض المشتملة على الاوامر و النواهي و الصحيح أنه أراد جميع ما يجب على الناس معرفته و انما حث على تعلمها لان العقاب لا يتعلق الا بها (و القرآن) قال ابن الملك و انما حث عليه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ و هو الاصل الذى لا بد منه و قال الطيبى و يمكن أنه أراد بالفرائض السنن الصادرة منه عليه الصلاة والسلام المشتملة على الاوامر و النواهي الدالة عليها كأنه قال تعلموا الكتاب و السنة (و علموا الناس فاني مقبوض) أى سأقبض و ينقطعان (رواه الترمذى و عن أبي الدرداء قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخص) أى رفع (بصره) أو نظر بعينه (الى السماء ثم قال هذا أوان) أى وقت (يختلس) صفة أوان كذا قاله الطيبى و فى نسخة بالاضافة أى يختطف و يسلب بسرعة فى هذا الوقت و فى نسخة يختلس فيه (العلم من الناس) أى علم الوحى (حتى لا يقدر روا منه) أى من العلم (على شئ) من رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن الملك و الاظهر على شئ من العلم قال الطيبى فكانه عليه الصلاة والسلام لما نظر الى السماء كوشف باقتراب أجله فاجبر بذلك (رواه الترمذى و عن أبي هريرة رواية) بالنصب على التمييز و هو كناية عن رفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والا لكان موقوفا (يوشك) بالكسر و الفتح لغة رديئة أى يقرب (أن يضرب الناس) هو فى محل الرفع اسم ليوشك و لاجابة الى الخبر لاشتمال الاسم على المسند و المسند اليه (أكباد الابل) أى المعاذى لا كبادها يعنى يرحلون و يسافرون فى طلب العلم و هو كناية عن اسراع الابل و اجهادها فى السير فتستخرب بذلك فتقطع أكبادها من قطع المسافة و يسفها الادواء من شدة العطش فتصير كأنها ضربت أكبادها ما مكان ضربها على السير و قيل أى يجهدون الابل و يركضونها كنى يضرب الاكباد عن السير و الركض لان أكباد الابل و الفرس و غيرها تتحرك عند الركض و يلحقها ضرر قطع و قال الطيبى ضرب أكباد الابل كناية عن السير السريع لان من أراد ذلك يركب الابل و يضرب على أكبادها بالرجل و فى ايراد هذا القول تنبيه على أن طابة العلم أشد الناس حرصا و أعزهم مطبا لان الجد فى الطلب انما يكون بقدر شدة الحرص و عزة المطلب و المعنى قرب أن يأتي

يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة رواه الترمذى و في جامعه قال ابن عيينة انه مالك ابن أنس ومثله عن عبد الرزاق قال اسحق بن موسى و سمعت ابن عيينة انه قال هو العمري الزاهد و اسمه عبد العزيز بن عبد الله و عنه فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عزوجل يعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة

زمان يسير الناس سيرا شد يدان البلدان البعيدة (يطلبون العلم) و هو حال أو بدل (فلا يجدون أحدا) أى في العالم (أعلم من عالم المدينة) قيل هذا في زمان الصحابة و التابعين و أما بعد ذلك فقد ظهرت العلماء الفحول في كل بلدة من بلاد الاسلام أكثر ما كانوا بالمدينة فالإضافة للجنس و قيل المراد به ذاته عليه الصلاة والسلام فالإضافة للمهد (رواه الترمذى و في جامعه) بالواو أى و ذكر الترمذى تفسيره في جامعه بقوله (قال ابن عيينة) اسمه سفيان و هو امام جليل روى عنه الشافعى و ابن المبارك وغيرهما (انه) أى عالم المدينة (مالك بن أنس) و هو امام دار الهجرة و أحد الأئمة الاعلام و هو استاذ الشافعى ولم يكن في زمنه بالمدينة التي هي دار العلم أعلم منه (ومثله) أى مثل مقول ابن عيينة في مالك منقول (عن عبد الرزاق) و هو من فضلاء أصحاب الحديث روى عنه أحمد بن حنبل و يحيى بن معين وغيرهما و هو أحد المشهورين المكثرين من الرواية صاحب تأليفات كثيرة قال الطيبى و هذا مخالف لما في شرح الشيخ التوربشتى كما سياتى و ان أريد مطابقته إياه قرئ و مثله تنمى للكلام السابق و ابتداء بقوله عن عبد الرزاق تأمل اه قلت و يمكن أن يكون عنه قولان أيضا و الله أعلم (قال اسحق بن موسى و سمعت ابن عيينة أنه قال هو) أى المراد في الحديث (العمري الزاهد) و في بعض النسخ قال قيل هو العمري (و اسمه عبد العزيز بن عبد الله) قال التوربشتى ذكر الشيخ أبو محمد في كتابه عن ابن عيينة انه قال هو مالك و عن عبد الرزاق أنه قال هو العمري الزاهد و هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب قال المظهر أراد بالعمري عمر بن عبد العزيز و الصحيح ما رواه الترمذى و ذكر في المتن لان عمر ابن عبد العزيز من أهل الشام و قال صاحب الجامع عبد العزيز بن عبد الله أحد فقهاء المدينة و أعلامهم سمع ابن شهاب الزهري و محمد بن المنكدر و عبد الله بن دينار و أباحازم و حميدا الطويل و هشام ابن عروة كذا ذكره الطيبى و قال ابن الملك أراد به عمر بن عبد العزيز الخليفة قيل له العمري نسبة إلى عمر بن الخطاب لانه ابن بنته و قيل هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب قيل كان آخر العلماء الراشخين و كان يقدم على مالك بن أنس (و عنه) أى عن أبي هريرة (فيما أعلم) بضم الميم على الصحيح فقيل هو لفظ المصنف أى في علمى أو في جملة ما أعلم أن أبا هريرة روى هذا الحديث (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) لا عن غيره و قد شك بعض الناس فيه قال السيد قال زين العرب تبعاً للتوربشتى فيما أعلم مضارعا أو ماضيا هو من قول المصنف أى هذا الحديث كأننا في علمى هو عن أبي هريرة رواية أو كأننا في اعلام أبي هريرة سائر الصحابة اه أتول قوله هو من قول المصنف غير ظاهر لانه بعيد عن الفهم و قد تفحصته من أصل أبي داود فوجدته مخرجا عن أبي علقمة عن أبي هريرة فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فهذا نص في أنه ليس من قول المصنف و قال الطيبى فيما أعلم يجوز بضم الميم حكاية عن قول أبي هريرة وفتحها ماضيا من الاعلام حكاية عن فعله اه أتول أما قوله بضم الميم حكاية عن قول أبي هريرة فغير ظاهر بل الظاهر انه من قول أبي علقمة الراوى عن أبي هريرة و أبا قوله حكاية عن فعله فبضم الميم و مسامحة تأمل و مسامحة تأمل اه كلام السيد (قال ان الله عزوجل يعث لهذه الامة) أى أمة الاجابة و يحتمل أمة الدعوة (على رأس كل مائة سنة) أى انتهائه أو ابتدائه اذا قل

من يجدد لها دينها رواه أبو داود وعن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل العلم هذا من كل خلف عدوله

العلم والسنة وكثر الجهل والبدعة (من يجدد) مفعول يعث (لها) أى لهذه الامة (دينها) أى بين السنة من البدعة ويكثر العلم ويعز أهله ويقع البدعة ويكرس أهلها قال صاحب جامع الاصول وقد تكلم العلماء فى تأويله وكل واحد أشار الى العالم الذى هو فى مذهبه وحمل الحديث عليه والاولى الحمل على العموم فان لفظه من تقع على الواحد والجمع ولا يختص أيضا بالفقهاء فان انتفاع الامة بهم وان كان كثيرا فانفتاحهم بأولى الأمر وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ والزهاد أيضا كثير اذ حفظ الدين وقوانين السياسة وبث العدل وظيفه أولى الأمر وكذا القراء وأصحاب الحديث يتعمقون ب ضبط التنزيل والاحاديث التى هى أصول الشرع وأدلتها والوعاظ يتعمقون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى لكن المبعوث بشرط أن يكون مشارا اليه فى كل فن من هذه الفنون نقله السيد وأغرب ابن حجر وحمل المجددين محصورين على الفقهاء الشافعية وختمهم بشيخه الشيخ زكريا مع أنه غير معروف بتجديد فن من العلوم الشرعية و شيخ مشايخنا السيوطى هو الذى أحيا علم التفسير المأثور فى الدر المنثور و جمع جميع الاحاديث المتفرقة فى جامعه المشهور وما ترك فنا الاوله فيه متن أو شرح مسطور بل وله زيادات ومخترعات يستحق أن يكون هو المجدد فى القرن المذكور كما ادعاه وهو فى دعواه مقبول ومشكور هذا والظاهر عندي والله أعلم أن المراد بمن يجدد ليس شخصا واحدا بل المراد به جماعة يجدد كل أحد فى بلد فى فن أو فنون من العلوم الشرعية ما تيسر له من الأمور التقريرية أو التحريرية ويكون سببا لبقائه وعدم اندراره وانقضائه الى أن يأتى أمر الله ولاشك ان هذا التجديد أمر اضافى لان العلم كل سنة فى التنزل كما أن الجهل كل عام فى الترق وانما يحصل ترق علماء زماننا بسبب تنزل العلم فى أواننا والا فلما نسبنا بين المتقدمين والمتأخرين علما وعملا وحلما وفضلا وتحقيقا وتدقيقا لما يقتضى البعد عن زمنه عليه الصلاة والسلام كالبعد عن محل النور ويوجب كثرة الظلمة وقلة الظهور ويدل عليه ما فى البخارى عن أنس مرفوعا لا يأتى على أمتى زمان الا الذى بعده شرمته وما فى الكبير للطبرانى عن أبى الدرداء مرفوعا ما من عام الا وينتص الخير فيه ويزيد الشر وما فى الطبرانى عن ابن عباس قال ما من عام الا ويحدث الناس بدعة ويميتون سنة حتى تمات السن وتحي البدع وهذه النبهة اليسيرة أيضا انما هى من بركات علوهم ومدد هم فيجب علينا أن نكون معترفين بأن الفضل للمقدمين رضى الله عنهم أجمعين الى يوم الدين (رواه أبو داود) والطبرانى فى الاوسط وسنده صحيح ورجاله كلهم ثقات وكذا صححه الحاكم (وعن إبراهيم ابن عبد الرحمن العذري) بضم العين وسكون الذال المعجمة منسوب الى عذرة بن سعد أبى قبيلة من خزاعة كذا فى جامع الاصول ولم يذكره المؤلف لافى الصحابة ولا فى التابعين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل) أى يحفظ (هذا العلم) أى علم الكتاب والسنة وزاد ابن حجر الفقه وهو غير صحيح لانه مأخوذ منهما لانه مصطلح حادث لم يكن له وجود عند قوله هذا والاشارة للتنظيم يعنى يأخذه ويقوم باحيائه (من كل خلف) أى من كل قرن يخلف السلف بفتح اللام وهو الجماعة المائتية والخلف بفتح اللام الرجل الصالح الذى يأتى بعد أحد ويقوم مقامه ويستوى فيه الواحد والتثنية والجمع (عدوله) أى ثقانه يعنى من كان عدلا صاحب التقوى والديانة قال الطبيعى ومن اما تبعية مرفوعا على انه فاعل يحمل وعدوله بدل منه واما بيان على طريقة لفتى منك أسد

ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين رواه البيهقي في كتاب المدخل و سنذكر حديث جابر فانما شفاء العمى السؤال في باب التيمم ان شاء الله تعالى * (الفصل الثالث) *
عن الحسن مرسل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت و هو يطلب العلم ليحى به الاسلام
فبينه و بين النبين درجة واحدة في الجنة

جهد من الخلف الصالح و العدول الثقات و هم هم كقوله تعالى و لتكن منكم امة يدعون الى الخير
و على التقديرين فيه تفخيم لشأنهم (ينفون عنه) جملة حالية أى نافرين عنه يعنى طارذين عن هذا
العلم (تحريف الغالين) أى المبتدعة الذين يتجاوزون في كتاب الله و سنة رسوله عن المعنى المراد
فيتحرفون عن جهته من غلايقلو اذا جاوز الحد كاقوال القدرية و الجبرية و المشبهة (و انتحال المبطلين)
الانتحال ادعاء قول أو شمر و يكون قائله غيره بانتسابه الى نفسه قيل هو كناية عن الكذب و قال
الطبي في النهاية الانتحال من النحلة و هى التشبه بالباطل و قال الراغب الانتحال ادعاء الشئ بالباطل
قيل و لعل الاول أنسب لمعنى الحديث اه و المعنى أن المبطل اذا اتخذ قولاً من علمنا ليستدل به
على باطله أو اعترى اليه ما لم يكن منه نفوا عن هذا العلم قوله و نزوهه عما ينتجله (و تأويل الجاهلين)
أى معنى القرآن و الحديث الى ما ليس بصواب أو الجملة استئناف كأنه قيل لم خص هؤلاء بهذه
المثوبة العلية فاجيب بانهم يحعون الشريعة و متون الروايات من تحريف الذين يغفلون في الدين
و الاسانيد من القلب و الانتحال و المتشابه من تأويل الزائعين المبتدعين بنقل النصوص المحكمة لرد
المتشابه اليها و هذا معنى ما ورد لايزال طائفة من أمى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى
ياتيهم أمر الله و هم ظاهرون رواه البخارى و مسام عن المغيرة و قيل انه متواتر معنى (رواه) هنا
يباض و الحق البيهقي في المدخل بفتح الميم و في نسخة في كتاب المدخل من حديث بقة بن الوليد عن معان
بضم الميم ابن زقاعة بكسر الراء عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذرى و قال السيد رواه البيهقي في كتاب
المدخل الى السنن في باب تبين حال من وجد منه ما يوجب رد خبره من طريق بقة بن الوليد عن معاذ
ابن زقاعة عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذرى عن النبي صلى الله عليه وسلم يرث هذا العلم من كل خلف عدوله
و ذكره ثم قال تابعه اسمعيل بن عياش عن معاذ و رواه الوليد بن مسلم عن ابراهيم بن عبد الرحمن
عن الثقة من أشياخهم عن النبي صلى الله عليه وسلم و روى أيضا من أوجه أخر ضعيفة و معان بالذون
دمشقى قال أبو حاتم و غيره لا يحتج به كذا في التخرج (و سنذكر حديث جابر فانما شفاء العمى) بكسر
العين و تشديد الياء أى العاجز عن العلم (السؤال) أى عن العلماء (في باب التيمم) لانه أنسب به
من هذا الباب فهو اعتذار و اعتراض (ان شاء الله تعالى) متعلق بسنذكر
* (الفصل الثالث) * (عن الحسن) و هو اذا أطلق في علم الحديث فالمراد البصرى (مرسلا) لانه
تابعى حذف الصحابي اما لسجانه أو لكثرة من يرويه من الصحابة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جاءه الموت و هو يطلب العلم) الجملة الاسمية حال من المفعول في جاءه أى من أذركه الموت
في حال استمراره في طلب العلم و نشره و دعوة الناس الى الصراط المستقيم (ليحى به الاسلام) أى
لأحياء الدين عما اندرس قواعده و أحكامه بينائها لا لفرض فاسد من المال و الجاه (فبينه و بين النبين
درجة واحدة) و هى مرتبة النبوة (في الجنة) أردفها بواحدة لان الكلام قد سبق للعدد و قد سبق ان
وارث الانبياء هم العلماء الزاهدون الداعون الخلق الى الحق فيحيون الاسلام كذا قاله الطبي و توضيحه
في كلام الأبهري أكد الدرجة بواحدة لانها تدل على الجنسية و على العدد و الذى سبق له الكلام

رواه الدارمی و عنه مرسلًا قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين كانا في بني اسرائيل أحدهما كان عالما يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير و الآخر يصوم النهار و يقوم الليل أيهما أفضل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل هذا العالم الذى يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذى يصوم النهار و يقوم الليل كفضلى على أدناكم رواه الدارمی و عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الرجل الفقيه في الدين ان احتجج اليه نفع و ان استغنى عنه أغنى نفسه رواه رزين و عن عكرمة ان ابن عباس قال

هو العدد الحاصل أن العلماء العاملين المخلصين لم تغتهم الا درجة الوحي (رواه الدارمی و عنه) أي الحسن (مرسلًا) أيضا (قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين) أي عن شأنهما و حكمهما (كانا في بني اسرائيل أحدهما كان عالما) أي غلب علمه على العبادة (يصلى المكتوبة) أي يكفى بالعبادة المفروضة (ثم يجلس فيعلم الناس الخير) أي العلم و العبادة و الزهد و الرياضة و الصبر و القناعة و أمثال ذلك تدريسا أو تأليفا أو غيرهما (و الآخر يصوم النهار) أي دائما أو غالبا (و يقوم الليل) أي كله أو بعضه و قد تعلم فرض علمه (أيهما أفضل) أي أكثر ثوابا فان أفضلية العالم ظاهرة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل هذا العالم) يحتمل الشخص و الجنس (الذى يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذى يصوم النهار و يقوم الليل) أطنب في الجواب حيث لم يقل الاول أو العالم لتعظيم شأنه و تقريره في ذهن السامع (كفضلى على أدناكم) فاني عالم معلم و أدناكم من يقوم بالعبادة دون العلم و سببه ان العلم نفعه متعدد و العبادة منفعتها قاصرة و العلم اما فرض عين أو كفاية و العبادة الزائدة نافلة و ثواب الفرض أكثر من أجر النفل و الله أعلم (رواه الدارمی و عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الرجل) أي الكامل في الرجولية (الفقيه في الدين) الفقيه هو المخصوص بالمدح و الجار متعاق به أي الذى فقه في الدين و علم من العلوم الشرعية ما ينتفع به و ينفع الناس و لذا ورد من علم و عمل و علم يدعى في الملكوت عظيما و ليس المراد من الفقيه من يعلم الفروع فقط كما فهم ابن حجر و تبجح به بناء على ما وهم و نقل انه قال بعض المحققين ان غاية الصوفي الحق أن يظهر له كرامة أو كرامات فيفتخر بها هو و جماعته الدهر و الفقهاء تظهر للواحد منهم الكرامات الكثيرة يفتح أبواب تلك الأحكام العلية له و الهامه فيها ما لم يسبقه غيره اليه فيفيد منه ما لا يحصى اه و لا يخفى ان ما ذكره من غاية الصوفي صدر عن قلة التحقيق فان بدايته أن يكون متصفا بنهاية ما ثبت بالنبوة علما و عملا و تعليما على شريطة الاخلاص و أما نهايته فالذى يمكن أن يعبر عنها هو أن يصير مستغفرا في مشاهدة مولاة و فانيا عما سواه كما أشار اليه ابن الفارض بقوله

ولو خظرت لى في سواك ارادة * على خاطرى سهوا حكمت بردق

و أما الكرامة فعندهم حض الرجال فقيهاها هيات بين الهيات و قد قال الغزالي ضيعت قطعة من العمر العزيز في تأليف البسيط و الوسيط و الوجيز و لكن سبحان من أقام العباد بما أراد و كل حزب بما له إيمهم فرحون (ان احتجج) بكسر النون وضمها شرطية مستأنفة لبيان استحقاق المدح أي ان احتاج الناس (اليه) أي الى فقهه (نفع) أي غيره (و ان استغنى عنه) على البناء للمفعول (أغنى نفسه) قال الطيبي قويل نفع باغنى ليعم الفائدة أي نفع الناس و أغناهم بما يحتاجون اليه و نفع نفسه و أغناها بما يحتاج اليه من قيام الليل و تلاوة كتاب الله و غيرها من العبادات (رواه رزين و عن عكرمة) هو مولى عبد الله بن عباس و هو أحد فقهاء مكة و تابعها (أن ابن عباس) و هو عبدالله اذا أطلق (قال)

حدث الناس كل جمعة مرة فان آبيت فمرتین فان أكثرت ثلاث مرات و لاتمل الناس هذا القرآن و لا أفینک تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فنقص عليهم فنقطع عليهم حديثهم فتعلمهم و لكن أنصت فاذا أمروك فحدثهم و هم يشتمونه و انظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه لا يفعلون ذلك رواه البخارى و عن وائلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم فادركه كان له كفلان من الاجر فان لم يدركه كان له كذل من الاجر رواه الدارمی و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سما يلحق

أى لعكرمة (حدث الناس) أى بالآية و الحديث و الوعظ (كل جمعة) بضم الميم و يسكن أى في كل اسبوع (مرة) أى في يوم من أيامها (فان آبيت) أى التحديث مرة و أردت الزيادة حرصا على افادة العلم و نفع الناس (فمرتین) أى فحدث مرتین (فان أكثرت) أى أردت الاكثار (ثلاث مرات و لاتمل) بفتح اللام و يجوز كسرهما و هو بضم الفوقانية من الرباعى (الناس هذا القرآن) يقال ملته و ملت منه بالكسر ستمته قال الطيبى اشارة الى تعظيمه فرتب وصف التعظيم على الحكم للاشعار بالعلية أى لاتحقر هذا العظيم الشأن الذى جبلت القلوب على محبته و عدم الشيع منه أى و اذا كان ذلك الاكثار يوجب الملل عما هذه أوصافه فما بالك بغيره من العلوم التى جبلت النفوس على الفرة من مشاقها و متاعها (و لا أفینک) بضم الهمزة و كسر الفاء أى لا أجدنك قال الطيبى هو من باب لا أرينك أى لاتكن بحيث أفینک على هذه الحالة و هى انك (تأتى القوم) حال من المفعول (وهم في حديث من حديثهم) قال الطيبى حال من المرفوع فى تأتى و الظاهر انه حال من القوم أى و الحال انهم مشغولون عنك (فنقص عليهم) أى قصصا من وعظ أو علم (فنقطع عليهم حديثهم) أى كلامهم الذى هم فيه قال الطيبى معطوفان على تأتى و هو الظاهر لكنهما في أكثر النسخ الحاضرة منصوبان فيكون تصبيهما على جواب النهى و يتكف للسببية (فتعلمهم) منصوب بلا خلاف جوابا للنهى (ولكن أنصت) أمر من الانصات و هو السكوت (و اذا أمروك) أى طلبوا منك التحديث (فحدثهم و هم يشتمونه) حال مقيدة (و انظر السجع من الدعاء فاجتنبه) قال الطيبى فان قلت كيف نهى عن السجع و أكثر الادعية مسجعة أجب بان المراد المعهود و هو السجع المذموم الذى كان الكهان و المتشدقون يتعاطونه و يتكفونه في محاوراتهم لا الذى يقع في نصيح الكلام بلا كلفة فان القواصل التنزيلية واردة على هذا و يؤيده انكاره عليه الصلاة والسلام بقوله أسجع كسجع الكهان على من قال أدى لمن لاشرب و لا أكل و لا نطق و لا استهل و مثل ذلك يطل المعنى تأمل السجع الذى ينانى اظهار الاستكانة و التضرع فى الدعاء فاجتنبه فانه أقرب الى الاستجابة (فانى عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى عرفت و أصحابه لا يفعلون ذلك) أى تكلف السجع (رواه البخارى) قال الابهرى فى البخارى لا يفعلون الا ذلك بزيادة الا قال الشيخ لا يفعلون الا ذلك أى ترك السجع و وقع عند الاسماعيلى عن القاسم بن زكريا عن يعقوب بن مهران البخارى يسند فيه لا يفعلون ذلك باسقاط الواو واضح كذا أخرجه البزار و الطبرانى عن البراء (و عن وائلة بن الاسقع) من أهل الضفة كذا فى التهذيب (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم فادركه) أى حصله و قيل أدركه أى بلغ من حصله لان الادراك بلوغ أقصى الشئ (كان له كفلان) نصيبان (من الاجر) أجر الطلب و الادراك كالمجتهد المصيب (فان لم يدركه كان له كفل من الاجر) كالمخطئ و نظير ذلك الخبر الصحيح اذا اجتهد المجتهد فاصاب فله اجران و ان خطأ فله أجر واحد (رواه الدارمی و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سما يلحق

المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان وعن عائشة انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عزوجل أوحى الى انه من سلك مسلكا في طلب العلم سهل له طريق الجنة ومن سلبت كرميته أثبتة عليها الجنة

المؤمن) خبر ان أى كائن مما يلحقه واسمها علما وما عطف عليه ولا يجوز ان تكون تبعيضية لانه ينانى الحصر الذى في قوله عليه الصلاة والسلام ينقطع عمله الا من ثلاث (من عمله) بيان لما (وحسناته) عطف تفسير (بعد موته) ظرف يلحق (علما علمه) بالتخفيف وفي نسخة بالتشديد (ونشره) هو أعم من التعليم فانه يشمل التأليف ووقف الكتب (وولدا صالحا) أى مؤمنا (تركه) أى خلفه أى بعد موته احتراز عن الفرط (أو مصحفا) بتثليث الميم والضم أشهر (ورثه) أى تركه للورثة ولو ملكا وفي معناه كتب العلوم الشرعية فيكون له ثواب التسبب (أو مسجدا بناه) وفي معناه مدرسة العلماء ورباط الصلحاء (أوبيتا لابن السبيل) أى المسافر والغريب (بناه) حقيقة أو حكما (أونهر) بفتح الهاء ويسكن (أجراه) أى جعله جاريا لينتفع به الخلق قال الطيبى الجمل المصدرة بأو من قسم الصدقة الجارية وأوفىها للتوزيع والتفصيل وأما قوله (أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته) فداخل في الصدقة الجارية ولإرادة هذا المعنى أتبعه بقوله (تلحقه من بعد موته) وفي عطف حياته على صحته إشارة الى معنى قوله عليه الصلاة والسلام في جواب من قال أى الصدقة أعظم أجرا ان تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى الحديث اه وفيه ان هذه الإشارة مفهومة من نفس قوله وصحته لا من العطف اللهم الا ان يقال انها مفهومة من تقديم الصحة على الحياة ومعنى قوله وحياته أى ولو في مرضه فالواو بمعنى أو وقوله أخرجها أى بالوصية والله أعلم (رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان) وفي رواية سبع يجرى للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ترك ولدا يستغفر له من بعد موته أو ورث مصحفا (وعن عائشة انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول) قال الطيبى حال والاصل سمعت قوله فاخر القول وجعل حالا ليفيد الإبهام والتبيين اه وقيل سمع متعديا الى مفعولين (ان الله عزوجل) أى عزت ذاته وجلت صفاته (أوحى الى) أى وحا خفيا غير متلو وهو يحتمل ان يكون بواسطة جبريل أولا وله صلى الله عليه وسلم نقله ولو بالمعنى وبهذه الفيود فارق الحديث القدسي الكلام القرآنى (انه) الضمير للشان (من سلك) أى دخل أو ذهب ومشى (مسلكا) أى طريقا أو سلوكا والمعنى تعاطى سببا من الاسباب (في طلب العلم) أى في تحصيل العلم الشرعى (سهلت) أى يسرت (له طريق الجنة) أى طريقا موصلا الى الجنة بالمعرفة والعبادة في الدنيا أو طريقا الى باب من أبواب الجنة وسبيلا الى قصوره المختصة به في العقبى وفيه إشارة الى ان كل طريق من طرق العلم طريق من طرق الجنة وان سبيل الجنة مسدودة من غير أبواب العلوم لكن بشرط الاخلاص المؤدى الى العمل على وجه الاختصاص (ومن سلبت) أى أخذت (كرميته) أى عينيه الكرميتين عليه وكل شئ يكرم عليك فهو كرمك وكرميتك والمعنى أعميته فالأكمة بطريق الأولى (أثبتة) أى جازيته قال تعالى فأنابهم الله بما قالوا جنات وفي التاموس أنابه الله مثوبة أعطاه وفي نسخة أثبتة من الأنابات (عليهما) أى على الكرميتين يعنى على قدهما والصبر عليهما (الجنة)

وفضل في علم خير من فضل في عبادة وملاك الدين الورع رواه البيهقي في شعب الايمان و عن ابن عباس قال تدارس العلم ساعة من الليل خير من احيائها رواه الدارمي و عن عبدالله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده فقال كلاهما على خير و أحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله و يرغبون اليه فان شاء أعطاهم و ان شاء منعهم و أما هؤلاء فيتعلمون الفقه أو العلم و يعلمون الجاهل فهم أفضل و انما بعث معلما ثم جلس فيهم رواه الدارمي و عن أبي الدرداء قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حد العلم

مفعول ثان قال الطيبي منصوب بنزع الخافض و قال ابن حجر مفعول ثان لآيئته لتضمينه معنى أعطيت و كلاهما تكلف لما قدمناه (وفضل) أى زيادة (في علم خير من فضل في عبادة) قال الطيبي يناسب أن يقال التنكير فيه يعنى في فضل الاول للتقليل و في الثاني للتكثير (و ملاك الدين) أى أصله و صلاحه (الورع) كما أن فساد الدين الطمع و المراد بالورع التقوى عن المحرمات و الشبهات و الطمع يؤدى الى السمعة و الرياء في العبادات في النهاية الملاك بالكسر و الفتح قوام الشئ و نظامه و ما يعتمد عليه فيه و منه ملاك الدين و قال الطيبي الملاك بالكسر ما به احكام الشئ و تقويته و اكماله و الورع في الأصل الكف عن المجارم و التحرج ثم استعير للكف عن المباح و الحلال قلت لعل مراده المباح و الحلال الذى يؤدى الى الشبهة و الاكثر كها زيادة على قدر الضرورة لا يسمى ورعا بل يسمى زهدا و الله أعلم (رواه البيهقي في شعب الايمان و عن ابن عباس قال تدارس العلم) بين النظراء أو الشيخ و تلامذته و يلحق به كتابته و تفهمه لحصول المقصود (ساعة من الليل) الاصل أن يراد بالساعة اللغوية لا العرفية (خير من احيائها) أى من احياء الليل بالعبادة لما تقدم في شروح الحديث المتقدمة و أبعد ابن حجر فقال من احياء تلك الساعة بالصلاة التى هي حياة النفوس (رواه الدارمي و عن عبدالله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين) أى باهلها و قول ابن حجر أى حلقتين غير مفهوم من الحديث (في مسجده) صلى الله عليه وسلم (فقال كلاهما) أى كلا المجلسين يعنى أهلها أو المراد به المبالغة أو الدلالة بطريق البرهان فان شرف المكان بالمكين (على خير) أى جالسين أو ثابتين على عمل خير (و أحدهما أفضل من صاحبه) أى أكثر ثوابا (أما هؤلاء) قال الطيبي تقسم للمجلسين اما باعتبار القوم أو الجماعة بعد التفریق بينهما باعتبار النظر الى المجلسين في افراد الضمير (فيدعون الله) أى يعبدونه و يسألونه بلسان المقال أو الحال (و يرغبون اليه) أى يرغبون فيما عند الله متوسلين اليه و متوجهين و منتظرين لديه (فان شاء أعطاهم) أى فضلا و المفعول الثاني محذوف أى ما عنده من الثواب (و ان شاء منعهم) أى اياه عدلا و في تقديم الاعطاء على المنع ايماء الى سبق رحمته غضبه و في الحديث رد على المعتزلة حيث أوجبوا الثواب فاستحقوا العقاب قال الطيبي و في تقييد القسم الاول بالمشيئة و اطلاق القسم الثاني يعنى الاتى اشارة الى بون بعيد بينهما (و أما هؤلاء) أى و أمثالهم (فيتعلمون الفقه) أى أولا (أو العلم) شك من الراوى (و يعلمون الجاهل) أى ثانيا (فهم أفضل) لكونهم جامعين بين العبادتين و هما الكمال و التكميل فيستحقون الفضل على جهة التيجيل (و انما بعث معلما) أى بتعليم الله لا بالتعلم من الخلق و لذا اكتفى به (ثم جلس فيهم) اشعار بانهم منه و هو منهم و من ثم جلس فيهم كذا قاله الطيبي أو جلس فيهم لاحتياجهم الى التعليم منه عليه الصلاة والسلام كما أشار اليه بقوله بعثت معلما و الله أعلم (رواه الدارمي و عن أبي الدرداء قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل يا رسول الله ما حد العلم)

الذی اذا بلغه الرجل کان قتیبا فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم من حفظ علی أمی أربعین حدیثا فی أمر دینیها بعثه الله قتیبا و کنت له یوم القیامة شافعا و شهیدا و عن أنس بن مالک قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم هل تدرون من أجود جودا قالوا الله ورسوله أعلم قال الله تعالی أجود جودا ثم أنا أجود بنی آدم و أجود هم من بعدی

قال الراغب هو وصف الشئ المحیط بمعناه المتمیز عن غیره نقله الطیبی أقول هذا اصطلاح حادث و الاظهر أن المراد بالحد المقدر و لذا قال (اذا بلغه الرجل کان قتیبا) یعنی عالما فی الآخرة و مبعوثا فی زمرة العلماء فیها فان العبرة بها (فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم من حفظ علی أمی) ای شفقة علیهم أو لاجل انتفاعهم و قال الطیبی ضمن حفظ معنی رقب و عدی یعلی یقال احفظ علی عنان فرسی و لاتغفل عنی و فی المغرب الحفظ خلاف النسیان و یجوز أن یکون حالا من الضمیر المرفوع فی حفظ یعنی من جمع أحداث متفرقة مراقبا ایاها بحيث تبقى مسندة علی أمی اه و فیہ تکلفات و الوجه ما قدمته و قال ابن حجر فالوجه ما ذکرته فی تقریره اه و لیس فی تقریره ولا تحریره ذکر وجه حتی ینظر فی وجهه (أربعین حدیثا) و فی معناه أربعین مسألة (فی أمر دینیها) احتراز من الاحادیث الاخباریة الّتی لاتعلّق لها بالدين اعتقادا أو علما أو عملا من نوع واحد أو أنواع و لوجه لمن قیدها بكونها متفرقة (بعثه الله قتیبا) من جملة الفقهاء (و کنت له یوم القیامة شافعا) بتوع من أنواع الشفاعات الخاصة (و شهیدا) ای حاضرا لحواله و مزکیا لاعماله و مشیبا علی أقواله و مخلصا له من أهواله قال الامام النووی المراد بالحفظ هنا نقل الاحادیث الأربعین الی المسلمین و ان لم یحفظها و لاعرف معناها هذا حقیقة معناه و به یحصل انتفاع المسلمین لایحفظها ما لم ینقل الیهم ذکره ابن حجر و أقول فی قوله و لاعرف معناها نظر لانه لا یلائم المقام الذی هو حد العلم اذ الفقه هو العلم بالشئ و الفهم له و غلب علی علم الدین لشرفه و الا فالحامل غیر قتیبه كما ورد فی الحدیث و الله أعلم قال الطیبی فان قیل کیف طابق الجواب السؤال أجیب بانه من حیث المعنی كأنه قیل معرفة أربعین حدیثا باسانیدها مع تعلیمها الناس اه و الظاهر أن معرفة أسانیدها لیست بشرط. ثم قال أو نقول هو من أسلوب الحکیم ای لاتسأل عن حد الفقه فانه لاجدوی فیہ و کن قتیبا فان الفقیه من أقامه الله تعالی لشرف العلم و تعلیمه الناس ما ینفعهم فی دینهم و دنیاهم من العلم و العمل اه و تقدم ما فیہ (و عن أنس بن مالک قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم هل تدرون من أجود جودا) ای أكثر کرما قال الراغب الجود بزل المقتنیات ما لا کان أو علما و یؤیده قوله صلی الله علیه وسلم ان علما لا ینقل به ککنز لا ینفق منه و قال الطیبی قیل من الاستفهامیة مبتداً و أجود خبره و جودا تمیز قال ابن حجر أجود من الجوده ای أحسن جودا أو من الجود ای من الذی جوده أجود علی حد نهاره صائم (قالوا الله ورسوله أعلم قال الله أجود جودا) و هو لمجرد المبالغة فانه المتفضل بالایجاد و الامداد علی جمیع البلاد طبق المراد (ثم أنا أجود بنی آدم) و الظاهر انه علی الاطلاق ای أفضلهم و أکرهم و من ثم قال أنا سید وله آدم یوم القیامة و لافخر و یدی لواء الحمد و ما من نبی یومئذ آدم فمن سواه الاتحت لوائی و أنا أول من تشق عنه الارض و لافخر و أنا أول شافع و أول مشفق و لافخر رواه أحمد و الترمذی و ابن ماجه عن أبی سعید و یلزم من ذلك انه أفضل من الملائكة و غیرهم لما هو مقرر ان الجنس البشری أفضل من الجنس الملکی علی خلاف فیہ (و أجوده) ای جنس بنی آدم و قال الطیبی الضمیر لنبی آدم علی تأویل الانسان أو لاجود و قال الیهی و فی بعض النسخ أجودهم یعنی فی زمانه (من بعدی) یمتثل البعدیة بحسب المرتبة و بحسب الزمان و الاول أظهر قاله الطیبی

رجل علم علما فنشره يأتي يوم القيامة أسيرا وحده أو قال أمة واحدة، وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال منهومان لايشبعان منهوم في العلم لا يشبع منه ومنهوم في الدنيا لايشبع منها روى البيهقي الاحاديث الثلاثة في شعب الايمان وقال قال الامام أحمد في حديث أبي الدرداء هذا متن مشهور فيما بين الناس وليس له اسناد صحيح وعن عون قال قال عبدالله بن مسعود منهومان لايشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولايتويان أما صاحب العلم فيزداد رضا للرحمن وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان ثم قرأ عبدالله كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى قال وقال

(رجل علم) بالتخفيف بلاخلاف (علما) أي عظيما نافعا في الدين (فنشره) يعم التدريس والتصنيف وترغيب الناس فيه قاله الطيبي ومنه وقف الكتب واعارتها لاهلها (يأتي يوم القيامة أسيرا وحده) يعني كالجماعة التي لها أمير وأمور في العزة والعظمة ويمكن أن يكون أميرا مستقلا مع اتباعه غير تابع لغيره نحو قوله أمة واحدة في الرواية الاخرى (أو قال أمة واحدة) الشك يحتمل من أنس أو من بعده وهو نظير قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة حيث اطلق الامة على من جمع خصالا لاتوجد غالبا الا في جماعة ولذا قال الشاعر ليس من الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

ولما قال ابن مسعود في معاذ كان أمة فانتالله فقيل له ذلك ابراهيم قال الامة الذي يعلم الخير ويؤيد ما ذكره خير معاذ أمة فانتالله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون سبب ذلك ما في حديث آخر أنه أعلم الامة بالحلال والحرام (وعنه) أي عن أنس (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال منهومان) حريصان على تحصيل أقصى غايات مطلوبيهما وفي النهاية النهمة بلوغ الهمة في الشئ (لايشبعان) أي لايقنعان (منهوم في العلم لايشبع منه) لانه في طلب الزيادة دائما لقوله تعالى وقل رب زدني علما وليس له نهاية اذ فوق كل ذي علم عليم (ومنهوم في الدنيا) أي في تحصيل مالها وجاهها (لايشبع منها) فانه كالمريض المستسقى (روى البيهقي الاحاديث الثلاثة في شعب الايمان وقال) أي البيهقي (قال الامام أحمد في حديث أبي الدرداء) وهو من حفظ الخ يعني في شأنه (هذا متن مشهور فيما بين الناس) أي المحدثين وغيرهم (وليس له اسناد صحيح) قال النووي طرده كلها ضعيفة وقال الحافظ ابن حجر جمعت طرده كلها في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قاذحة قال ابن حجر المكي ولذا قال النووي واتفق الحفاظ على انه حديث ضعيف وان كثرت طرده وقد اختلف الحفاظ على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال اه وأنت خير بان قضية ما مهدوه في فن الحديث أن الحكم عليه بالضعف انما هو بالنظر لكل طريق على حدته وأما بالنظر الى مجموع طرده فحسن لغيره فترتني عن درجة الضعف الى درجة الحسن قلت وفي قوله ليس له اسناد صحيح اشارة الى ذلك (وعن عون) تابعي (قال قال عبدالله بن مسعود منهومان) أي حريصان (لايشبعان) في القاموس النهم محركة افراط الشهوة في الطعام وأن لانتلئ عين الاكل ولايشبع منهم كفرح وعنى فهو نهم ونهيم ومنهوم وهو منهوم بكذا مولع به (صاحب العلم وصاحب الدنيا ولايتويان) أي في المال والعاقبة فيما يزيدان (أما صاحب العلم فيزداد رضا للرحمن) ولعل وجه التخصيص بالرحمن انه مظهر الرحمة حيث رحم على نفسه وغيره بتحصيل العلم وتخليص الجهل (وأما صاحب الدنيا فيتمادى) أي يزداد ويتوسع (في الطغيان) ويبعد عن رحمة الرحمن (ثم قرأ عبدالله) استشهد؛ لزم الثاني على طريقة قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الاية (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه) أي لاجل أن رأى نفسه (استغنى) عن الناس لكثرة ما عنده من المال (قال) أي عون (وقال)

الآخر انما يخشى الله من عباده العلماء رواه الدارمي و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اناسا من امتي سيتفقهون في الدين و يقرؤن القرآن يقولون نأتى الامراء فنصيب من دنياهم و نعتزلهم بدنيا
ولا يكون ذلك كما لا يخفى من القناد الا الشوك كذلك لا يخفى من قربهم الا قال به من الصباح كانه
يعنى الخطايا رواه ابن ماجه و عن عبدالله بن مسعود قال لو ان اهل العلم صانوا العلم و وضعوه
عند اهلهم لسادوا به اهل زمانهم

أى ابن مسعود بعد قراءته ما سبق و هو قوله ان الانسان ليطنى (الآخر) بالرفع أى الاستشهاد الآخر
وقيل بالنصب أى و ذكر الاستشهاد الآخر (انما يخشى الله من عباده العلماء) بتصب الاول و رفع
الثانى في المتواتر و عكسه في الشواذ و تقدم توجيهه و الحاصل أن الاول موجب لزيادة الطغيان
المقتضى ترك الطاعة و العبادة و الثانى سبب لزيادة الخشية المورثة للعلم و العمل فشتان ما بينهما
(رواه الدارمي و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اناسا) يضم الهمزة أى جماعة
(من امتي سيتفقهون) أى سيدعون الفقه كذا قاله الطيبى أو يطلبون الفقه و يحصلونه (في الدين
و يقرؤن القرآن) أى بالقرآت أو بتفسير الآيات و يأتون الامراء لالحاجة ضرورية اليهم بل لظهور
الفضيلة و الطمع لما في أيديهم من المال و الجاه فاذا قيل لهم كيف تجمعون بين التفقه و التقرب اليهم
(يقولون) و في نسخة و يقولون (نأتى الامراء فنصيب) أى تأخذ (من دنياهم و نعتزلهم) أى تبعه عنهم
(بدنيا) بان لانشاركهم في المم يرتكبهون قال عليه الصلاة والسلام (ولا يكون ذلك) أى لا يصح
ولا يستقيم ما ذكر من الجمع بين الضدين ثم مثل و قال (كما لا يخفى) أى لا يؤخذ (من القناد) بفتح
القاف شجر كله شوك (الا الشوك) لانه لا يشعر الا بالجراحة و الالم فلا استثناء منقطع (كذلك لا يخفى)
أى لا يحصل (من قربهم الا) وقع كلامه عليه الصلاة والسلام بلا ذكر الاستثناء لكمال ظهوره (قال
محمد بن الصباح) أحد رواة الحديث (كأنه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (يعنى) أى يريد النبى صلى الله
عليه وسلم بالمستثنى المقدر بعد الا (الخطايا) و هى مضرة الدارين و لقد أشار الى كثير منها بعض من
كتب للزهري لما خالط السلاطين بقوله في جملة مواعظ و عظه بها و اعلم أن أيسر ما ارتكبت و أخف
ما احتملت انك آنت و حشة الظلمة و سهلت سبيل النفي يدنوك ممن لم يؤد حقا و لم يترك باطلا حين
أذناك اتخذوك قلبا تدور عليك رحي باطلهم و جسرا يعبرون عليك الى بلانهم و سلما يصعدون فيك
الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء و يقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عروا لك
في جنب ما خربوا لك و ما أكثر ما أخذوا منك فيما أسدوا عليك من دينك و روى عن محمد بن سلمة
أنه قال الذباب على العذرة أحسن من قارى على باب هؤلاء الظلمة و رحم الله والدى كان يقول لى
ما أريد أن تصير من العلماء خشية أن تقف على باب الامراء (رواه ابن ماجه و عن عبدالله بن مسعود
قال لو ان اهل العلم) أى الشرعى (صانوا العلم) أى حفظوه عن المهانة يحفظ أنفسهم عن المذلة
و ملازمة الظلمة و مصاحبة اهل الدنيا طمعا لما لهم من جاههم و مالهم و عن الحد فيما بينهم
و وضع المظهر موضع المضمير تقخيما لشأنه (و وضعوه عند اهلهم) أى اهل العلم يعنى الذين يعرفون
قدر العلم من اهل الآخرة و يلزمون العلماء فان العلم يؤتى و لا يأتى (لسادوا به) أى فاقوا بالسيادة
و فضيلة السعادة بسبب الصيانة و الوضع عند اهل الكرامة دون اهل الاهانة (اهل زمانهم) أى كملا
و شرفا لأن من شان اهل العلم أن يكون الملوك فمن دونهم تحت أقدامهم و أتالهم و طوع آرائهم
و أحكامهم قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أتوا العلم درجات قال الطيبى و ذلك لان

ولكنهم بذلوه لاهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فقالوا عليهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم آخرته كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله في أى أوديتها هلكت رواه ابن ماجه ورواه البيهقى في شعب الإيمان عن ابن عمر من قوله من جعل الهموم الى آخره وعن الاعمش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة العلم النسيان واضاعته أن تحدث به غير أهله رواه الدارمى مرسلا وعن سفيان أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب من أرباب العلم قال الذين يعملون بما يعلمون

العلم رفيع القدر يرفع قدر من يصونه عن الإبتدال قال الزهري العلم ذكر لا يجبه الا ذكؤ الرجال أى الذين يجوبون معالى الامور ويتزهون عن سفافها اه وفي كلام الزهري ايماء بطريق المفهوم والمقابلة الى أن الدنيا أنشأ لاجبها الا ناقص العتل والدين فانهم يجوبون المراتب الدنية والله أعلم (ولكنهم بذلوه لاهل الدنيا) أى بان خصوصهم به أو ترددوا اليهم به (لينالوا به من دنياهم) لالاجل الدين بالصبيحة والشفاة وغيرهما (فهانوا) أى أهل العلم ذلوا قدرا (عليهم) أى مستقلين على أهل الدنيا وفي بعض النسخ علمهم بدل عليهم وهو تصحيف لان هان لازم بمعنى ذل ولا يصلح أن يصير متعديا الا أن يقال بنزع الخائض أى في علمهم وبذله اياهم (سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم) قال الطيبي هذا الخطاب توييح للمخاطبين حيث خالفوا أمر نبيهم فخولف بين العبارتين افتنانا (يقول من جعل الهموم) أى الهموم التى تفرقة من محن الدنيا وكدرها ومرعيشها (هما واحدا) قال الطيبي هم الا مريبهم اذا عزم عليه اه أى من اقتصر على هم واحد من الهموم وترك سائر المطالب وبقية المقاصد وجعل كانه لاهم واحد (هم آخرته) بدل من هما وهو هم الدين (كفاه الله دنياه) المشتمل على الهموم يعنى كفاه هم دنياه أيضا (ومن تشعبت) وفي نسخة تشعب (به الهموم) أى تفرقت به يعنى مرة اشتغل بهذا الهم وأخرى بهم آخر وهلم جرا (أحوال الدنيا) بدل من الهموم (لم يبال الله) أى لا ينظر اليه نظر رحمة (في أى أوديتها) أى أودية الدنيا أو أودية الهموم (هلكت) يعنى لا يكفيه هم دنياه واهم أخراه فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران العبين (رواه ابن ماجه) عن ابن مسعود الحديث بكماله (و رواه البيهقى في شعب الإيمان عن ابن عمر من قوله) أى مبتدا من قوله (من جعل الهموم الخ) يعنى روى المرفوع لا الموقوف (و عن الاعمش) هو من أكابر التابعين وأحد الاعلام المشهورين بعلم الحديث والقراءة اشتراه رجل من نبي كاهل فاعقعه فاجتهد في العلم فصار اماما علما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة العلم النسيان) أى بعد حصوله والافتد قيل لكل شئ آفة وللعلم آفات أى قبل التحصيل قال ابن حجر فليحذر من أسباب النسيان كالأعراض عن استحضاره والاشتغال بما يشغف القلب من المستحسنيات الدنيوية ويذهل العقل من المظاهر الشهوية (واضاعته) أى جعل العلم ضائعا (أن تحدث) أى أنت (به غير أهله) بان لا يفهمه أو لا يعمل به من أرباب الدنيا (رواه الدارمى مرسلا) قال السيد المراد بالارسال المعنى النفى الذى هو الانقطاع لان الاعمش لم يسمع من أحد من الصحابة وان ثبت سماعه من أنس فالمرسل بالمعنى الاصطلاحى (و عن سفيان) أى الثورى وهو امام مجتهد في الفقه واليه المنتهى في علم الحديث واجتمع الناس على دينه وزهده وورعه وكونه ثقة أخذ عنه الامام مالك وغيره ذكره المؤلف في التابعين (أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب) أى كعب الاحبار ويقال له كعب الجبر وهو من أكابر التابعين وخصه بذلك السؤال لانه كان ممن علم التوراة وغيرها وأحاط بالعلم الاول (من أرباب العلم) أى من هم أصحابه عندكم أوفى كتابكم قال الطيبي أى من ملك العلم ورسخ فيه واستحق أن يسمى بهذا الاسم (قال الذين) أى هم الذين يعملون بما يعلمون

قال فما أخرج العلم من قلوب العلماء قال الطمع رواه الدارمي وعن الاحوص بن حكيم عن أبيه قال سألت رجل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشر فقال لا تسألوني عن الشر وسلوني عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء رواه الدارمي وعن أبي الدرداء قال إن من أشرف الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لا يبتغى بعلمه رواه الدارمي وعن زياد بن حدير قال قال لي عمر هل تعرف ما يهدم الإسلام قال قلت لآل قال يهدمه زلة العالم وجدال المناقق بالكتاب وحكم الائمة المضلين

قال الطيبي وهم الذين سماهم الله الحكماء في قوله تعالى ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فمن لم يعمل بعلمه فمثلته كمثل الحمار (قال) أي عمر (فما أخرج العلم) ما استهتبه أي أي شئ أخرج العلم أي نوره وثمرته وتأثيره وبركته (من قلوب العلماء) أي العاملين لما تقدم من أن غير العاملين ليسوا علماء (قال الطمع) لأنه يؤدي إلى الرياء والسمعة والعلم والعمل بدون الاخلاص لا يوصلان السالك إلى مقام الاختصاص فمفهومه أن الورع يدخل العلم في قلوب العلماء جعلنا الله منهم وقال الطيبي الفاء جزاء شرط محذوف والتعريف في العلم للعهد الخارجي وهو ما يعلم من قوله من أرباب العلم أي إذا كان أرباب العلم من جمع بين العلم والعمل فلم ترك العالم العمل وما الذي دعاه إلى ترك العمل ليعزل عن هذا الاسم قال الطمع في الدنيا والرغبة فيها والله أعلم (رواه الدارمي) أي موقوفا (وعن الاحوص بن حكيم عن أبيه) لم يذكرهما المصنف في أسانئه (قال) سألت رجل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشر (أي فقط (فقال لا تسألوني) بالتخفيف فإن لا نهاية (عن الشر) فحسب قال ابن حجر لأن رؤف رحيم نبي الرحمة فالمراد النبي عن ذلك من أيام غلبة مظاهر الجلال فيه على مظاهر الجمال والافالسؤال عن الشر ليجنب واجب كفاية أو عينا فكيف ينهي عنه (وسلوني عن الخير) أما منفردا أو منضمًا بالسؤال عن الشر (يقولها ثلاثا) قال الطيبي حال من فاعل قال والضمير المؤنث راجع إلى الجملة أعني لا تسألوني الخ وإنما نهي عن مثل هذا السؤال لأنه نهي الرحمة قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قلت الأقرب أن الضمير راجع إلى الجملة القريبة (ثم قال ألا) بالتخفيف للتببيه (إن شر الشر) أي أعظمه (شرار العلماء) وإن خير الخير خيار العلماء قال الطيبي إنما كانوا شر الشر وخير الخير لأنهم سبب لصلاح العالم وفساده والبهيم تنتمي أمور الدين والدنيا وبيهم الحل والعقد اه أولان عذاب شرارهم في العقاب وشر العقاب ومراتب خياريهم في منازل الجنة خير مآب والله أعلم بالصواب (رواه الدارمي) وعن أبي الدرداء قال إن من أشرف الناس الجوهرى هو لغة ضعيفة ومن زائدة وعالم خير إن كذا قاله الطيبي وفي القاموس لغة قليلة أو رديئة اه والصواب أنها قليلة وإن من غير زائدة بل هي تبعية والتقدير إن بعض أشراهم (عند الله منزلة) تمييز أي مرتبة (يوم القيامة عالم لا يبتغى) أي هو (بعلمه) بأن تعلم علما لا يبتغى أو تعلم علما شرعيا لكن ما عمل به فإنه شر من الجاهل وعذابه أشد من عقابه كما قيل ويل للجاهل مرة ويل للعالم سبع مرات وكما ورد أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه (رواه الدارمي) أي موقوفا (وعن زياد بن حدير) بضم الحاء وفتح الدال المهملتين بعدها تحية ساكنة بعدها راء كذا في الأسماء للمصنف قال في جامع الأصول تابعي سمع عمر وعليه (قال قال لي عمر هل تعرف ما يهدم الإسلام) أي يزيل عزته والهدم في الأصل اسقاط البناء (قلت لا) أي لا أعرف (قال يهدمه زلة العالم) أي عثرته بتقصير منه (وجدال المناقق) الذي يظهر السنة ويطن البدعة (بالكتاب) وإنما خص لأن وجدال به أتجح إذ يؤدي إلى الكفر (وحكم الائمة) بالهزمة والياء (المضلين) قال الطيبي المراد

رواه الدارمي وعن الحسن قال العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذاك حجة الله عزوجل على ابن آدم رواه الدارمي وعن أبي هريرة قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فاما أحدهما فبشئته فيكم واما الآخر فلو بشئته قطع هذا البلعوم يعني مجرى الطعام رواه البخاري

يبدم الاسلام تعطيل أركانه الخمسة في قوله عليه الصلاة والسلام بنى الاسلام على خمس الحديث وتعطيلها انا حصل من زلة العالم وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باتباع الهوى ومن جدال المتبعدة وغلوعم في اقامة البدع بالتمسك بتأويلاتهم الزائفة ومن ظهور ظلم الائمة المضلين وحكم المزورين وانا قدمت زلة العالم لانها هي السبب في الخصلتين الاخيرتين كما جاء زلة العالم زلة العالم (رواه الدارمي) أي موقوفا (وعن الحسن) أي البصري (قال العلم) أي المعرفة أو العلم الشرعي (علمان) أي نوعان (فعلم) الفاء تفصيلية أي فنوع منه (في القلب) أي حاصل وداخل فيه لا يطلع عليه غير الله (فذلك العلم النافع) اشارة الى أنه في كمال العلو والرفعة لايناله كل أحد وفي نسخة صحيحة فذلك باللام ولعل الاولى أولى ايماء الى أنه ينبغي أن يقرب المرء الى العلم النافع كما أنه أورد في القسم الثاني ذلك بلاخلاف ايماء الى أنه ينبغي أن يبعد عنه و الفاء للسببية أي فبسبب استقراره في القلب الذي هو محل حب الرب هو العلم النافع في الدارين (و علم على اللسان) أي ونوع آخر من العلم جار على اللسان ظاهر عليه فقط أو عليه أيضا ولكون ما فيه من الخطر لتعلقه بالخلق المقتضى للسمعة والرياء والمدافعة للامراء قال (فذلك) أي فبسبب ذلك هو (حجة الله عزوجل على ابن آدم) لقوله تعالى لم تقولون ما لاتفعلون وقد يحمل الاول على علم الباطن والثاني على علم الظاهر لكن فيه انه لا يتحقق شئ من علم الباطن الا بعد التحقق باصلاح الظاهر كما ان علم الظاهر لا يتم الا باصلاح الباطن ولذا قال الامام مالك من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق وقال أبو طالب المكي هما علمان أصليان لا يستغنى أحدهما عن الآخر بمنزلة الاسلام والايمان مرتبط كل منهما بالآخر كالجسم والقلب لايفك أحد عن صاحبه (رواه الدارمي) أي موقوفا عليه والمناسب لدأبه أن يقتصر ويقول روى الاحاديث الستة الدارمي (وعن أبي هريرة قال حفظت من رسول الله) أي من كلامه صلى الله عليه وسلم قال الابهرى في أكثر الروايات عن وفي رواية الكشميني من بدل عن وهذا صريح في تلقيه من النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة (وعاءين) أي نوعين كثيرين من العلم ملء طرفين متساويين (فأما أحدهما) وهو علم الظاهر من الاحكام والاخلاق (فبشئته) أي أظهرته بالنقل (فيكم) واما الآخر) وهو علم الباطن (فلو بشئته) أي نشرته و ذكرته لكم بالتفصيل (قطع هذا البلعوم) بضم الباء أي الحلقوم لان أسرار حقيقة التوحيد مما يعسر التعبير عنه على وجه المراد ولذا كل من نطق به وقع في توهيم الحول والاحاد اذ فهم العوام قاصر عن ادراك المرام ومن كلام الصوفية صدور الاحرار قبور الاسرار وقوله قطع يحتمل الاخبار مما يتوقع ويحتمل الدعاء بمالعة في اسرار الاسرار كما هو دأب الخالص من الابرار وقيل انه علم يتعلق بالمنافقين بأعيانهم أو بولادة الجور من بني أمية أو بفتن أخرى في زمنه وقال الابهرى حمل العلماء الوعاء الذي لم يشه على الاحاديث التي فيها يتبين أسامي أمراء الجور وأحوالهم و ذمهم وكان أبوهريرة يكنى عن بعضه ولايصرح به خوفا على نفسه منهم كقوله أعوذ بالله من رأس الستين وامارة الصبيان يشير الى خلافة يزيد بن معاوية لانها كانت سنة ستين من الهجرة واستجاب الله دعاء أبيهريرة فمات قبلها بسنة (يعني مجرى الطعام) تفسير من بعض رواة الحديث (رواه البخاري) لكن قال العسقلاني زاد في رواية

وعن عبدالله قال يا أيها الناس من علم شيئا قليلا به ومن لم يعلم قليلا لله أعلم فان من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين متفق عليه وعن ابن سيرين قال ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم رواه مسلم وعن حذيفة قال يامعشر القراء استمعوا

المستعلمي قال أبو عبدالله البليغ مجرى الطعام وعلى هذا لا يخفى ما في المشكاة اذ يفهم منه أن تلك العبارة من أبي هريرة أو أحد رواته ولا يفهم منه انها للبخاري والله أعلم (وعن عبدالله) اذا أطلق فهو ابن مسعود (قال يا أيها الناس) يشمل العلماء وغيرهم (من علم شيئا) من علوم الدين قبالة عنه من هو متاعل لفهم جوابه (فليقل به) أي بذلك الشئ المعلوم لوخيم عذاب ستره ولعظيم ثواب نشره (ومن لم يعلم قليلا) أي في الجواب (الله أعلم) كما قالت الملائكة لاعلمنا الاما علمتنا ولا يستحي في نفي العلم عن نفسه فان جهل الانسان أكثر من علمه قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فمعناه الله أكثر علما وقال ابن حجر أعلم بمعنى عالم لاستحالة المشاركة قلت المشاركة الاستقلالية هي المستحيلة و ذكر الزنحشري في ربيع الابرار أن عليا كرم الله وجهه سئل عن شئ وهو على العنبر فقال لا أدري فقيل كيف تقول لا أدري وأنت طلعت فوق العنبر فقال رضي الله عنه انما طلعت بقدر علمي ولو طلعت بمقدار جهلي لبلغت السماء (فان من العلم) أي من آدابه الواجب رعايتها وجوبا عينيا متأكدا على كل من نسب للعلم أو التقدير فان من جملة العلم وهو خبر ان واسمه (أن تقول لما لا تعلم) بالخطاب فهما وقيل بالغيبة أي لاجله أو عنه (الله أعلم) أي ونحوه قال الأبهري فان تمييز المعلوم من المجهول نوع من العلم وهو المناسب لما قيل لا أدري نصف العلم اه ويقال لمن ليس له هذا التمييز جهله مركب ومن ثم اشتد خوف السلف من الافتاء فكثر امتناعهم منه حتى أن مالك سئل عن أربعين مسألة فأجاب عن أربعة وقال في ست وثلاثين لا أدري ثم استدلى ابن مسعود لما ذكره من امتناع التكلف والتصنع في الجواب المؤدى الى الافتاء بالباطل بقوله (قال الله تعالى لنبيه) وهو أعلم الخلق (قل ما أسئلكم عليه) أي على التبليغ (من أجر) أي أخذه منكم (وما أنا من المتكلمين) أي من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله كذا قاله ميرك شاه ومن ثم لما سئل الصديق عن الاب في فا كهة و أبا قال أي سماء تظلني و أي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به (متفق عليه وعن ابن سيرين) وهو يحد بين سيرين مولى أنس بن مالك وهو من مشاهير التابعين وهو غير منصرف للعلمية والمزيدتين على مذهب أبي علي في اعتبار مجرد الزائدتين (قال ان هذا العلم دين اللام للعهد وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لتعليم الخلق من الكتاب والسنة وهما أصول الدين (فانظروا عمن تأخذون دينكم) المراد الاخذ من العدول والثقات وعن متعلق بتأخذون على تضمين معنى تروون ودخول الجار على الاستفهام هنا كدخوله في قوله تعالى على من تنزل الشياطين وتقديره أعمن تأخذون وضمن أنظر معنى العلم والجملة الاستفهامية سدت سد المقعولين تعليقا كذا حقه الطيبي (رواه مسلم وعن حذيفة قال يامعشر القراء) أي الذين يحفظون القرآن قاله الطيبي وقال الأبهري قال الشيخ المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة اه فكأنه نوع من التقليل أو القراء في ذلك الزمان كانوا كانوا جامعين بين القرآن والسنة ولذا ورد الاولى بالامامة الاقراء وأما قول ابن حجر أي الذين يحفظون القرآن بالاستتاهم فقط ومن ثم ورد أكثر متافق أمي قراؤها فلاوجه له تقييدا وتعليلنا (استمعوا) أي على جادة الشريعة والطريقة والحقيقة فان الاستقامة خير من ألف كرامة وهي الثبات على العقيدة الصحيحة والمداومة على العلم النافع والعمل الصالح والاخلاص الغايل والحضور

فقد سبقتم سبقاً بعيداً وإن أخذتم يمينا وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً رواه البخاري و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يارسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم يتعوذ منه جهنم كل يوم أربعاً مرة قبل يارسول الله ومن يدخلها قال القراء المراءون بأعمالهم رواه الترمذي وكذا ابن ماجه وزاد فيه وإن من أبغض القراء الى الله تعالى

مع الله والغيبة عن شهود ما سواه وقال الأبهري الاستقامة كناية عن أمر الله فعلاً وتركاً (فقد سبقتم) قبل الرواية الصحيحة بفتح السين والباء والمشهور ضم السين وكسر الباء والمعنى على الأول اسلكوا طريق الاستقامة لانكم أدرتكم أوائل الاسلام فان تمسكوا بالكتاب والسنة تسبقوا الى خير اذ من جاء بعدكم وإن عمل بعملكم لم يصل اليكم لسببكم الى الاسلام ومرتبة المتبوع فوق مرتبة التابع وعلى الثاني أى سبقكم المتصفون بتلك الاستقامة الى الله فكيف ترضون لنفسكم هذا التخلف المؤدى الى الأعراف عن سنن الاستقامة يمينا وشمالاً الموجب للهلاك الابدى (سبقاً بعيداً) أى ظاهر التفاوت (وإن أخذتم يمينا وشمالاً) أى بالاعراض عن الجادة والدخول فى طرق الضلالة (لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً) أى عن الحق بحيث يبعد رجوعكم عنه اليه كما قال تعالى وإن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال الطيبي الناس مخلوقون للعبادة ولا تتم الا بالاخلاص والمقصود منهما التقرب الى الله تعالى وكان العبد يتحرى فيهما السير الى الله عزوجل ويتوخى سلوك طريق الاستقامة ليوصله الى المقصود والطريق هو الاسلام والاستسلام فمن سلك الطريق وثبت عليها ولم يأخذ يمينا وشمالاً فقد فاز وسبق ومن ركب متن الرياء أخذ عن يمين الصراط وشماله ثم اذا ثبت المراءى على اعوجاجه ولم يرجع الى الصراط المستقيم هام فى أودية الضلال وأداء الشرك الاصغر الى الشرك الاكبر أعادنا الله منه وهو المراد من قوله ضلالاً بعيداً (رواه البخاري و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن) بضم الحاء وسكون الزاى ويفتحهما أى من بشر فيها الحزن لاغير قال الطيبي جب الحزن علم والاضافة فيه كما هى فى دارالاسلام أى دار فيها السلامة من كل حزن وآفة (قالوا يارسول الله وما جب الحزن قال واد) أى هو واد عميق من كمال عمقه يشبه البئر (فى جهنم يتعوذ) بالتذكير للفصل وقيل بالتأنيث (منه) أى من شدة عذابه (جهنم) مع اشتمالها عليه قال الطيبي التعوذ من جهنم هنا كالنطق منها فى قوله تعالى هل من مزيد وكالتميز والتغيظ تكاد تميز من الغيظ والظاهر أن يجرى ذلك على المتعارف لانه تعالى قادر على كل شئ الكشاف سؤال جهنم وجوابها من باب التخيل الذى يقصد به تصوير المعنى فى القلب وتبينه وتميزها وتغيظها تشبيه لشدة غليانها بالكفار بغيظ المغتاض وتميزه واضطرابه عند الغضب (كل يوم) يحتمل النهار والوقت (أربعاً مرة) لعل خصوص العدد باعتبار جهاتها الاربعة يعنى كل جهة مائة وهو يحتمل التحديد والتكثير ويمكن أن يقدر مضاف أى يتعوذ زبانيتهما أو أهلها (قيل يارسول الله ومن يدخلها) أى تلك البقعة المسماة يجب الحزن التى ذكر شدتها وهو عطف على محذوف أى ذلك شئ عظيم هائل فمن الذى يستحقها ومن الذى يدخل فيها (قال القراء) بضم القاف أى الرجل المتسك يقول تقرأ تنسك أى تعبد والجمع القراءون وقد يكون القراء جمع القارى كذا قاله الطيبي وفى القاموس القراء ككتان الحسن القراءة وكرمان الناسك المتعبد كالفارى والمقرى (المراءون بأعمالهم) السامعون بأقوالهم (رواه الترمذي وكذا ابن ماجه وزاد) أى ابن ماجه (فيه) أى فى حديثه أو مرويه (وإن من أبغض القراء الى الله تعالى) قيل أى من القراء المذكورين وهم المراءون قرائين مخصوصين

الذين يزورون الامراء قال المحاربي يعني الجورة و عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا يبقى من القرآن الا رسمه مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت أديم السماء من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود

وهم (الذين يزورون الامراء) أى من غير ضرورة تلجئهم بهم بل طمعا في مالهم وجاههم ولذا قيل بشس الفقير على باب الامير ونعم الامير على باب الفقير فان الاول مشعر بأنه متوجه الى الدنيا والثاني مشير بأنه متقرب الى الاخرى (قال المحاربي) أحد رواة الحديث (يعني الجورة) جمع جائر أى الظلمة لان زيارة الامير العادل عبادة (و عن علي) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك) أى يقرب (أن يأتي على الناس زمان) أى قاسد لفساد أهله قال الطيبي أتى متعد الى مفعول واحد بلا واسطة فعدى يعلى ليشعر بان الزمان عليهم حينئذ بعد ان كان لهم قال ميرك أقول الاظهر أن يقال ضمن أتى معنى الاقبال أو المرور فعدى يعلى اه قلت يؤيد كلام الطيبي ما في القاموس أتى عليه الدرر أهلكه مع ان كلام الطيبي لا ينافي التضمن ثم لاختفاء انه لا يقال يوشك أن يقبل على الناس زمان الا في مقام المدح والمروء أكثر تعديته بالبلاء (لا يبتى من الاسلام) أى شعائرة (الاسمه) أى ما يصح اطلاق اسم الاسلام عليه كلفظة الصلاة والزكاة والحج (ولا يبتى من القرآن) أى من علومه وآدابه (الارسمه) أى أثره الظاهر من قراءة لفظه وكتابة خطه بطريق الرسم والعادة لا على جهة تحصيل العلم والعبادة قال الطيبي خص القرآن بالرسم والاسلام بالاسم دلالة على مراعاة القراء لفظ القرآن من التجويد في حفظ مخارج حروفه وتحسين الالحن فيه دون التفكير في معانيه والامثال باوامره والانتباه عن نواحيه وليس كذلك الاسلام فان الاسم باق والسمى مدروس فان الزكاة التي شرعت للاشفقة على خالق الله تعالى اندرست ولم يبق منها عين ولا أثر وأكثر الناس ساهون عن الصلاة تاركوها وليس أحدهم يامرهم بالمعروف فيقيمونها وينهى عن المنكر فيتركونها اه قلت ومن مناسبة الرسم بالقرآن ان محافظة آداب كريمة كتابة كلماته من الوصل والفصل والمجور والدربوط والحذف والاثبات وغيرها مما يسمى بعلم الرسم وهو من جملة علوم القرآن التي اندرست في هذا الزمان (مساجدهم عامرة) أى بالابنية المرتفعة والجدران المنقشة والقناديل المسرجة والبسط المفروشة والائمة والمؤذنة الجهلة الموظفة من الاموال المجرمة وغيرها من الامور المنكرة (وهي) أى المساجد أو أهلها (خراب من الهدى) أى من ذى الهدى أو الهادى لانه لو وجد الهادى لوجد الهدى فاطلق الهدى وأريد الهادى على سبيل الكناية وهو يحتمل معنيين أحدهما أن خراب المساجد من أجل عدم الهادى الذي ينفع الناس بهداه في أبواب الدين ويرشدهم الى طريق الخير وثانيهما ان خرابها لوجود هداة السوء الذين يزيغون الناس ببدعتهم وضلالتهم وتسميتهم بالهداة من باب التسمك ولذا عقب هذه الجملة على سبيل الاستئناف لبيان الموجب بقوله (علماؤهم شر من تحت أديم السماء) أى وجهها وكذا أديم الارض وهو صيدها قيل ومنه اشتق آدم لان جسده من أديم الارض كذا قاله الطيبي وقال السيد أقول الظاهر ان المراد بكون مساجدهم عامرة عمارة بنائها الظاهر وبكونها خرابا من الهدى تركهم اياها عاطلة من الصلاة والجماعة واقامة الاذان فيها ووضع المصاييح والسرج فيها وغيرها وانما عبر عنها بالهدى لانها سبب هداية الشخص اه أو التقدير من آثار الهداية أو أهلها والله أعلم (من عندهم تخرج الفتنة) أى للناس لمارسان فساد العالم فساد العالم (و فيهم تعود) قال الطيبي في مثلها في قوله تعالى أو لتعودن في ملتنا وقوله تعالى

رواه البيهقي في شعب الايمان و عن زياد بن لبيد قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شياً فقال ذلك عند اوان ذهاب العلم قلت يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا و يقرئه أبناؤنا أبناءهم الى يوم القيامة فقال ثلثتك أمك زياد ان كنت لاراك من أفتة رجل بالمدينة أوليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والانجيل لا يعملون بشئ مما فيها رواه أحمد وابن ماجه و روى الترمذى عنه نحوه و كذا الدارمى عن أبي امامة و عن ابن مسعود قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم و علموه الناس تعلموا الفرائض و علموها الناس تعلموا القرآن و علموه الناس فانى امرؤ مقبوض و العلم سينقبض

والاصلينكم في جذوع النخل أى يستقر عود ضرعهم فيهم و يتمكن منهم اه و المشهور في جذوع النخل انها بمعنى على فكان الاكتفاء بالآية الاولى أولى (رواه البيهقي في شعب الايمان و عن زياد ابن لبيد) أنصارى خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و أقام بمكة ثم هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و كان يقال له مهاجرى أنصارى (قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شياً) أى هائلا (فقال ذلك) و فى نسخة ذلك أى الشئ المخوف يقع (عند اوان ذهاب العلم) أى وقت اندراره (قلت يا رسول الله وكيف يذهب العلم) الواو للعطف أى متى يقع ذلك المهور و كيف يذهب العلم (و نحن نقرأ القرآن و نقرئه أبناءنا و يقرئه أبناؤنا أبناءهم الى يوم القيامة) يعنى و الحال ان القرآن مستمر بين الناس الى يوم القيامة كما يدل عليه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون و لما أجمعوا على بقاء القرآن الى أن يرفع قرب الساعة فالمعنى مع وجوده كيف يذهب العلم (فقال ثلثتك أمك) أى فقدت و أصله الدعاء بالموت ثم يستعمل فى التعجب (زياد) أى يا زياد (ان كنت) ان مخففة من الثقيلة بدليل اللام الآتية الفارقة و اسمها ضمير الشأن محذوف أى ان الشأن كنت أنا (لاراك) بضم الهمزة أى لاظنك أو يفنحها أى لاعلمك (من أفتة رجل بالمدينة) ثانى مفعولى أراك و من زائدة فى الأثبات أى على مذهب الاخفش أو متعلقة بمحذوف أى كأننا كذا قاله الطيبي و الاظهر الثانى و لانظر لافراد رجل لان المراد به الاستفراق (أو ليس) أى أتقول هذا الكلام و ليس (هذه اليهود و النصارى يقرؤون التوراة و الانجيل) أى أبأؤهم و ابناؤهم (لا يعملون بشئ مما فيها) أى فكما لم تقدمهم قراءتهما مع عدم العلم بما فيها فكذلك أنتم و الجملة حال من يقرؤون أى يقرؤون غير عالمين نزل العالم الذى لا يعمل يعلمه منزلة الجاهل بل منزلة الحمار الذى يحمل أسفارا بل أولئك كالانعام بل هم اضل (رواه أحمد و ابن ماجه) بهذا اللفظ (و روى الترمذى عنه) أى عن زياد (نحوه) أى نحو هذا اللفظ و هو معناه (و كذا الدارمى) أى رواه بمعناه لكن (عن أبي امامة) لاعن زياد (و عن ابن مسعود قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم) و هو يحتمل انه كان وحده أو خصه بالخطاب و عم الحكم بقوله (تعلموا العلم) أو الجمع للتعظيم و المراد بالعلم علم الشريعة بأنواعها (و علموه الناس) لتكونوا كاملين مكملين (تعلموا الفرائض) أى علمها خصوصا سواء أريد بها فرائض الاسلام أو فرائض الارث (و علموه الناس) أى هذا العلم فالضمير الى المضاف المقدر و فى نسخة صحيحة و علموها الناس فان علمها أهم و ثوابها أتم (تعلموا القرآن و علموه الناس) و هو تخصيص من وجه و تعميم من وجه و على كل فتأخيره للترق فان الاهتمام بحفظه و لو بلفظه أوجب فانه معجزة مستمرة بعده عليه الصلاة والسلام (فانى امرؤ مقبوض) قال الطيبي هو كقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم أى كوفى امرأ مثلكم علة لكونى مقبوضا لا أعيش أبدا فاغتنموا فرصة حياتى (و العلم سينقبض) بعدى لان

وتظهر الفتن حتى يختلف اثنان في فريضة لا يجدان أحدا يفصل بينهما رواه الدارمي والدارقطني
وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل علم لا ينتفع به كمثل كنز لا يتفق منه في سبيل
الله رواه أحمد والدارمي
* (كتاب الطهارة) *
* (الفصل الاول) *
عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شرط الإيمان

بعد كل كمال نقصانا وزوالا وفي نسخة سينقبض أي بقبضى أو بغيره وفي نسخة سيقبض مجهول مجرد
أي يقبض أهله (وتظهر الفتن) الواو لمجرد الجمعية فيمكن أن يكون قبض العلم سبب الفتنة أو هي
سبب قبض العلم (حتى يختلف) يجوز أن يتعلق بكل من الفتلين السابقين (اثنان) أي متكلمان
أو وارثان (في فريضة) من فرائض الاسلام أو من فرائض الميراث (لا يجدان أحدا يفصل بينهما)
لقلة العلم أو لكثرة الفتنة (رواه الدارمي والدارقطني. وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل علم لا ينتفع به) أي بالعمل والتعليم ولو كان العلم في نفسه نافعا (كمثل كنز لا يتفق منه في
سبيل الله) أي لا على نفسه ولا على غيره في الجهاد وسائر وجوه الخير قال الطيبي التشبيه في عدم
النفع والانتفاع والافتقار منها لاني أمر آخر وكيف لا والعلم يزيد بالانفاق والكنز ينقص والعلم
باق والكنز فان (رواه أحمد والدارمي)

* (كتاب الطهارة) *

أي من الحدث والخبث وأصلها النظافة والنزاهة من كل عيب حسي أو معنوي ومنه قوله تعالى
انهم أناس يتطهرون ولما كانت العبادة نتيجة العلم والصلاة أفضل العبادات والطهارة من شروطها
المنتوق صحتها عليها عقب كتاب العلم بكتاب الطهارة واختصت من بين شروطها لكونها غير قابلة
للسقوط ولكثرة مسائلها المحتاج إليها قال الغزالي للطهارة مراتب من تطهير الظاهر عن الحدث
والخبث ثم تطهير الجوارح عن الجرائم ثم تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة ثم تطهير
السر عما سوى الله تعالى

* (الفصل الاول عن أبي مالك الأشعري) * قال المؤلف هو أبو مالك كعب بن عاصم الأشعري
كذا قاله البخاري في التاريخ وغيره وقال البخاري في رواية عبد الرحمن بن غنم حدثنا أبو مالك أو
أبو عاصم بالشك قال ابن المديني أبو مالك هو الصواب روى عنه جماعة ومات في خلافة عمر رضي الله عنه
(قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور) بالضم وهو الأصح والظاهر أو بالفتح قال الشيخ
محيي الدين النووي وجمهور أهل اللغة على أن الطهور والوضوء يضمنان إذا أريد بهما المصدر وينتجان
إذا أريد بهما ما يتطهر به كذا عن ابن الأثيري وذهب الخليل والأصمعي وأبو حاتم السجستاني
والأظهري وجماعة إلى أنه بالفتح في الاسم والمصدر اه وقال زين العرب الطهور بالضم ههنا وفي
غيره من الأحاديث عن جمهور الرواة وحكي سيويه أنه بالفتح لأن الفعول قد يجئ مصدرها كالألوع
والقبول فان جعلته اسما لما يتطهر به كالمعوط فهو على حذف المضاف أي استعماله ومن رواه بالضم
فلاشكال (شطر الإيمان) قال النووي أصل الشطر النصف قيل معنى شطر الإيمان ان الاجر في
الوضوء ينتهي إلى نصف أجر الإيمان قلت وفيه نظر ظاهر لان ثواب الصلاة التي من جملة شروطها
الوضوء لا يقال انه نصف ثواب الإيمان بل جميع الاعمال لا يصلح أن يكون نصفًا للإيمان الأعلى معتقد
فاسد للمعتزلة والخوارج حيث جعلوا العمل شطر الإيمان على أنه لا يلزم من كون العمل شطرا أنه
يساوي ثوابه ثواب الإيمان كيف ويتوقف صحة العمل على الإيمان دون العكس فهو أصل في الجملة

و الحمد لله تملأ الميزان

فلا يكون مساويا للفرع أبداً مع أنه كالعلاقة على تحقق الايمان وقيل ان الايمان يجب ما قبله من الخطايا وكذلك الوضوء الا أن الوضوء لا يصح الا مع الايمان فصار لتوقفه عليه في معنى الشطر قلت وهذا مبنى على أصل الشافعية انه عبادة مستقلة يحتاج الى نية وهي لا تصح الا من أهلها والافتدنا يصح الوضوء من الكافر فالظاهر أن يقال انما كان شطرا له لانه يحط الكبائر والصغائر والوضوء يختص بالصغائر ولا بد من تقييد هذا الوضوء عندنا أيضا بالنية ليصير عبادة مكفرة للسيئة والله أعلم وقال زين العرب تبعاً لغيره المراد هنا بالايمان الصلاة قال الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم الى بيت المقدس وأطلق الايمان عليها لانها أعظم آثاره وأشرف نتائجه وأنوار أسرارها وجعلت الطهارة شطرها لان صحتها باستجماع الشرائط والأركان والظاهرة أقوى الشرائط وأظهرها فجعلت كاتها لاشط سواها والشطر ما يتوقف عليه المشروط وقيل المراد بالشطر مطلق الجزء لا النصف الحقيقي قلت كقوله تعالى فويل وجهك شطر المسجد الحرام ثم اما أن يراد بالايمان الصلاة فلا اشكال أو يراد به الايمان المتعارف فالجزء محمول على اجزاء كماله ولا ينافيه ما جاء في رواية بعبارة النصف فانه قد يكون بمعنى النصف كما قيل في الحديث المشهور علم الفرائض نصف العلم وقيل المراد بالايمان حقيقته لان الايمان طهارة القلب عن الشرك والظهور طهارة الاعضاء من الحدث والخبث وحاصله ان الطهارة نصفان أي فجنسها نوعان طهارة الظاهر وطهارة الباطن وقال بعض المحققين الظهور تزكية عن العقائد الزائغة والأخلاق الذميمة وهي شطر الايمان الكامل فانه تخلية وتحلية والظاهر والله أعلم ان الايمان على حقيقته المنبثية عن نفي الاوهية لغيره تعالى وثبت الربوبية والتوحيد الذاتي له سبحانه وهذا المركب هو معنى الكلمة الطيبة التي عليها مبنى الايمان ولذا قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ولا يضرننا ايراد الحديث في كتاب الطهارة فانه بحسب فهم بعض المصنفين وبما قلنا تظهر المناسبة التامة بين الجملة السابقة واللاحقة في قوله (و الحمد لله) أي تلفظه أو تصوره (تملاً الميزان) بالتأنيث على تأويل الكلمة أو الجملة وقيل بالتذكير على ارادة اللفظ أو الكلام أو المضاف المقدر أي لو قدر ثوابه مجسماً لملأ أو محمول على أن الأقوال والاعمال والمعاني تتجسد ذواتها في العالم الثاني وقول ابن حجر أي ثوابها لو جسم أو هي لو جسمت باعتبار ثوابها غير صحيح لظهور عدم الفرق هذا وقد قال بعض المحققين فان قلت كيف توزن الاعمال وهي اعراض مستحيلة البقاء وكذا الاعراض لا توصف بالثقل والخفة فالجواب ان نصوص الشرع تظاهرت على وزن الاعمال وتقل الموازين وخفتها وثبت عن ابن عباس ان للميزان لساناً وكفتين احدهما بالشرق والاخرى بالمغرب تكتب حسناته في صحيفة وتوضع في كفة وتكتب سيئاته وتوضع في الاخرى فوجب القبول وترك الاعتراض بسبب قصور الفهم وراكعة العقل فان من أطلعه الله على الاسرار وكشف له عجائب الاقدار يرى ان المقيد بعقله ليس له مقدار على أنه ورد وزن الصحائف وقال الامام الغزالي النفس بذاتها مهيئة لان يتكشف لها حقائق الامور لكن تعلقها بالجسد مانع عن ذلك فاذا انكشف الغطاء بالموت يعرف ان أعماله مؤثرة في تقريبه من الله تعالى وابعاده ويعلم مقدار تلك الآثار وان بعضها أشد تأثيراً من البعض والله قادر على أن يجري سبباً يعرف الخلق في لحظة بمقادير الاعمال بتشكيل حقيقي أو تمثيل خيالي فعد الميزان ما يتميز به الزيادة والنقصان ومثاله في العالم الحسي مختلف كالميزان والقياس للثقال والاصطلاب لحركات الافلاك والمسطرة

و سبحان الله و الحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات و الارض و الصلاة نور و الصدقة برهان و الصبر ضياء و القرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتنقها

لمقادير الشعر فلتقريبه بافهام البليد و الجليد مثل ما أريد اه مخالفة المعتزلة فيه كتنظيره انما نشأت عن تحكيم عقولهم الفاسدة و نظروهم الى الادلة الواهية الكاسدة (و سبحان الله و الحمد لله تملآن أو تملأ) الشك من الراوى قال النووى ضبطناهما بالمتناه من فوق قال الطيبي فالاول أى تملآن ظاهر و الثانى فيها ضمير الجملة أى الجملة الشاملة لهما قلت و يمكن أن يكون الافراد بتقدير كل واحدة منهما (ما بين السموات و الارض) اما باعتبار الثواب أو لانها مملوءة من الآيات الدالة على وجود الصفات الثبوتية و نفى النعوت السلبية و الله أعلم (و الصلاة نور) أى فى القبر و ظلمة القيامة و قبل انها تمتع من الفحشاء و تهدى الى الصواب كالنور و قيل أراد بالنور الأمر الذى يهتدى به صاحبه يوم القيامة قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم و قيل لانها سبب اشراق أنواع المعارف و انشراح القلوب و مكاشفات الحقائق لفراغ القلب فيها و قيل النور السبب فى وجه المصلى و لا يبعد أن يراد بها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (و الصدقة برهان) معناه يفزع اليها كما يفزع الى البرهان فان العبد اذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقته براهين فى الجواب و قيل يوسم المتصدق بسماء يعرف بها فيكون برهانا على الفلاح و الهدى فلا يسئل عن المصرف و قيل انها حجة على إيمان صاحبها فان العناق يتمتع منها (و الصبر ضياء) بالياء المنقلبة عن الواو لكسرة ما قبلها و روى بالهمزة قبل الالف قيل الصبر هو حبس النفس عما تمنى من الشهوات و على ما يشق عليها من العبادات و فيما يصعب عليها من التائبات و قيل المراد به الصبر عن الدنيا و لذاتها الدنية و عن المعاصى و على التكاليف الشرعية و فى المصيبات و المحن الكونية فيخرج العبد عن عهدتها فتكون ضياء لأن بترك الصبر عليها يدخل فى ظلمة المعاصى و قيل المراد بالصبر هنا الصوم بقرينة ذكره مع الصلاة و الصدقة اذ المراد بها الزكاة كما قيل فى قوله تعالى و استعينوا بالصبر و الصلاة وسمى الصوم صبرا لثبات الصائم و حبسه نفسه عن الشهوات وسمى شهر رمضان شهر الصبر و قيل قوله ضياء يعنى فى ظلمة القبر لأن المؤمن اذا صبر على الطاعات و البلايا فى سعة الدنيا و عن المعاصى فيها جازاه الله تعالى بالتفريح و التوفير فى ضيق القبر و ظلمته و قال بعضهم الصبر ضياء فى قلبه لأن الصبر على المكروه فى دين الله تذلل و من تذلل فى الله سهل عليه الطاعات و مشاق العبادات و تجنب المحظورات و من كان هذا شعاره لا شك أن فى قلبه ضياء و الضياء أقوى من النور قال الله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نورا و ذلك لأن الصبر أوسع من الصلاة لأن كل واحدة من الواجبات و المحظورات تحتاج الى الصبر نعم اذا فر الصوم بالصبر فذلك لتخصيصه بالنهار كتحصيل الشمس به لا لمزية الصوم على الصلاة الاعلى قول من يقول الصوم أفضل من الصلاة لأن الصوم اسماك يشبه الصمدانية و هو من صفات الرب و الصلاة تذلل و هو من صفات العبد و لقوله عليه الصلاة والسلام الصوم لى و أنا أجرى به كذا حقه السيد (و القرآن) أى قراءته (حجة لك) ان عملت به (أو عليك) ان أعرضت عنه أو قصرت فيه بترك العمل بمعانيه (كل الناس يغدو) أى يصبح أو يسير قبل الغدو السير فى أول النهار ضد الرواح و قد غدا يغدو و غدوا مأخوذ من الغدوة ما بين الصباح و طلوع الشمس و المعنى كل أحد يسعى و يجتهد فى الدنيا و يرى أثر عمله فى العقبى قال الطيبي و هو مجمل تفصيله (فبائع نفسه) أى حظها باعطائها و أخذ عوضها و هو عمله و كسبه فان عمل خيرا فقد باعها و أخذ الخير عن ثمنها (فمعتنقها) من النار

أو موبقتها رواه مسلم وفي رواية لاله الله والله أكبر تملآن ما بين السماء والارض لم أجد هذه الرواية في الصحيحين ولا في كتاب الحميدى ولا في الجامع ولكن ذكرها الدارمى بدل سبحانه الله والحمد لله وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا

بذلك قال الطيبى الفاء للسببية وهو خبر بعد خبر ويجوز ان يكون بدل البعض من قوله فبايع نفسه (أوموبقتها) أى مهلكها بان باعها وأخذ الشر عن ثمنها وقال زين العرب تبعاً للاشرف وغيره البيع والشراء يطلق كل واحد منهما على الآخر لارتباطه به وعبر بلفظ البيع والشراء عن ترك حالة وكسب أخرى كترك البائع ما في يده أيتاراً لما في يد المشتري فمن صرف نفسه عما تنوخاه وآثر آخرته على دنياه واشترى نفسه بالآخرة فقد أعنتها عن اليم عقابه ومن آثر الدنيا على الآخرة واشترى بها فقد أوبق نفسه أى أهلكها بان جعلها عرضة لعظيم عذابه وقوله فبايع نفسه أى فبشتر نفسه من ربه بدليل قوله فمعتتها والاعتاق إنما يصح من المشتري وحاصله أن من ترك الدنيا وآثر الآخرة يكون مشترياً نفسه من ربه بالدنيا فيكون معتقها ومن ترك الآخرة وآثر الدنيا يكون مشترياً بالآخرة فيكون موبقها وقيل المعنى كل واحد منهم يسعى في الأمور فمعتهم من يبيعها من الله فبعتها ومنهم من يبيعها من الشيطان فيوبقها (رواه مسلم وفي رواية) ظاهره أنها لمسلم ولذا يجئ الاعتراض الآتى عليه (لا اله الا الله والله أكبر تملآن) بالتأنيب وقيل بالتذكير (ما بين السماء والارض) اما باعتبار الثواب واما باعتبار ظهور الوحدانية والكبرياء والعظمة الربانية قال صاحب المشكاة (لم أجد هذه الرواية) أى التى نسبها صاحب المصابيح الى مسلم (في الصحيحين) أى منتبها (ولا في كتاب الحميدى) الجامع بين الصحيحين (ولا في الجامع) أى للاصول الستة (ولكن ذكرها) أى هذه الرواية (الدارمى بدل سبحانه الله والحمد لله) وهو ليس بمخلص له لانه التزم أن يكون جميع ما ذكر في قوله من الصحاح المعبر عنه بالفصل الاول مما أخرجه الشيخان أو أحدهما وهذه الرواية ليست في أحدهما وقد يجب بان الالتزام إنما هو في أصول الاحاديث وأما هذه فانما هي زيادة افادة متفرعة على أصل الحديث الموجود في مسلم والله أعلم قال السيد جمال الدين وفي تخريج المصابيح للقاضى عبد الله السلمى الشافعى هذه الرواية لم أتف عليها في مسلم وإنما رواه النسائى في اليوم والليلة من حديث أبى مالك الأشعري فظاهره يشربان فيه الجمع لا التبديل وأما ظاهر رواية الدارمى فالتبديل اه (وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم) الهمة للاستفهام ولانافية وليس ألاتنبيه بدليل قولهم بلى فقول ابن حجر انه حرف استفتاح غفلة منه (على ما يمحوا الله به الخطايا) قال الطيبى محو الخطايا كناية عن غفرانها ويحتمل المعنى عن كتاب الحنظفة دلالة على غفرانها (ويرفع به الدرجات) أعلى المنازل في الجنات (قالوا بلى يا رسول الله) وفائدة السؤال والجواب ان يكون الكلام أوقع في النفس يحكم الانهزام والتبني (قال اسباغ الوضوء) بضم الواو وقيل بالفتح أى تكميله واتمامه باستيعاب المحل بالغسل وتطويل الغرة وتكرار الغسل ثلاثاً وقيل اسباغها ما لا يجوز الصلاة الا به كذا في زين العرب نقله السيد وهذا بعيد يابى عنه لفظ اسباغ ومعنى رفع الدرجات وأصل الوضوء من الوضأة لانه يحسن المتوضى وفي النهاية أثبت سبويه الوضوء والظهور والوقود بالفتح في المصادر وهي تقع على الاسم والمصدر (على المكاره) جمع مكروه بفتح الميم من الكره بمعنى المشقة والالم قيل منها اعواز الماء والحاجة الى طلبه أو ابتاعه بالثمن الغالى كذا ذكره الطيبى رحمه الله تعالى وقيل المراد حال ما يكره استعمال الماء كالتوضؤ بالماء البارد في الشتاء أو ألم الجسم (وكثرة الخطا)

الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط و في حديث مالك بن أنس فذلكم الرباط فذلكم الرباط ردد مرتين رواه مسلم و في رواية الترمذى ثلاثا و عن عثمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه

جمع خطوة بضم الخاء و هي ما بين القدمين و كثرتها اما لبعد الدار أو على سبيل التكرار (الى المساجد) للصلاة و غيرها من العبادات و لدلالة في الحديث على فضل الدار البعيدة عن المسجد على القرية منه كما ذكره ابن حجر فانه لا فضيلة للبعد في ذاته بل في تحمل المشقة المترتبة عليه و لذا لو كان للدار طريقان الى المسجد و يأتي من الابدع ليس له ثواب على قدر الزيادة و انما رغب في الحديث على كثرة الخطأ تسلية لمن بعد داره و أما قوله عليه الصلاة والسلام دياركم تكتب آثاركم لمن بعدت ديارهم عن مسجده فارادوا القرب منه دليل على انهم فهموا ان القرب منه أفضل لما يترتب عليه من معرفة الاوقات و عدم قوت الجمعة و الجماعات فسلامه عليه الصلاة والسلام بقوله تكتب آثاركم يعني ان فاتكم بعض الفوائد يحصل لكم بعض العوائد و الامر بلزوم الديار لما يترتب من تغيير الدار كثير من الاكدار مع انه قيل انما أمرهم بالاستمرار لئلا يخلو حول المدينة و يصير محل الإكثار و يؤيد ما قلنا هذه عليه الصلاة والسلام من شؤم الدار بعدها من المسجد (و انتظار الصلاة) أى وقتها أو جماعتها (بعد الصلاة) يعنى اذا صلى بالجماعة أو منفردا ثم ينتظر صلاة أخرى و يعلق فكره بها بان يجلس في المسجد أو في بيته ينتظرها أو يكون في شغله و قلبه معلق بها (فذلكم الرباط) بكسر الراء يقال رابطت أى لازمت الشجر و هو أيضا اسم لما يربط به و سمي مكان المرابطة رباطا قال القاضي ان هذه الاعمال هي المرابطة الحقيقية لانها تسد طرق الشيطان على النفس و تقهر الهوى و تمنعها من قبول الوسوس فيغلب بها جزب الله جنود الشيطان و ذلك هو الجهاد الاكبر (و في حديث مالك الرباط المحلى باللام الجنسية خيرا لاسم الاشارة أى هو الذى يستحق ان يسمى رباطا كقوله تعالى ذلك الكتاب كان غيره لا يستحق هذا الاسم و لزيادة التقرير و التأكيد (ردد مرتين) أى كرر فذلكم الرباط و هو اشارة الى ان ما ذكر من الطاعات و الخصال المذكورة هو الرباط المذكور في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا و الرباط الجهاد أى ثواب هذه كتب الجهاد اذ فيه مجاهدة النفس باذاتهما المكراه و الشدائد كما في الجهاد (رواه مسلم و في رواية الترمذى ثلاثا) أى كره ثلاثا لاجل زيادة الحث و قيل يريد بالاول ربط الخيل و بالثاني جهاد النفس و بالثالث طلب الحلال (و عن عثمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء) قال الطيبى الفاء بمنزلة ثم في الدلالة على تراخي الرتبة فدللت على أن الاجادة من تطويل الفترة و تكرار النسل ثلاثا و مراعاة الادب من استقبال القبلة و الدعاء المأثور عن السلف أفضل من أداء ما وجب مطلقا و فيه انه مخالف للقاعدة المقررة من أن ثواب الفرض أفضل من أجر النفل نعم يقال احسان الوضوء و هو الاتيان بالمكملات أفضل من مرتبة الاقتصار على الواجبات و الاظهر أن الفاء لمجرد العطف و الجزاء المذكور مترتب على مجموع الشرط من المعطوف و المعطوف عليه (خرجت خطاياها) تمثيل و تصوير لبراءته لكن هذا العام خص بالصغار المتعاطفة بحقوق الله تعالى لما لم يأت كبيرة و للاجماع على ما حكاه ابن عبد البر على أن الكبائر لا تغفر الا بالتوبة و ان حقوق الآدميين منوطة برضاهم كذا نقله ابن حجر و فيه انه بظاهره مخالف للنص القاطع الذى عليه مدار مذهب أهل السنة و هو قوله تعالى ان الله لا يغير

من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرج كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب

أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء و التقييد بالتوبة في الثاني مذهب المعتزلة المدفوع بأن الشرك أيضا يغفر بالتوبة (من جسده) أي جميع بدنه أو أعضائه وضوئه (حتى تخرج من تحت أظفاره) أي مثلاً (متفق عليه) قال الأبهري فيه أنه من أفراد مسلم وقال ابن حجر كذا في جامع الاصول و اقتصر شيخ الاسلام و الحفاظ ابن حجر في تخريجه على عزوه لمسلم (و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن) شك من الراوي في لفظ النبوة و الا فهما مترادفان في الشريعة و المؤمنة في حكم المؤمن (فغسل وجهه) عطف على توضأ عطف تفسير أو المراد إذا أراد الوضوء و هو الواجد و فيه ايماء الى اعتبار النية المتضمنة للوضوء (خرج من وجهه) جواب إذا (كل خطيئة نظر إليها) الى الخطيئة يعنى الى سببها اطلاقاً لاسم المسبب على السبب مبالغة (بعينه) قال الطيبي تأكيد و زاد ابن حجر للمبالغة و الا فالنظر لا يكون بغير العين اه و هو موهم انه من باب رأيت بعيني و ليس كذلك فانه قد يكون النظر بأحدى العينين و قد يكون بهما (مع الماء) أي مع انفصاله و الجملة المجرورة المحل صفة الخطيئة مجازاً و كذا أخواته (أو مع آخر قطر الماء) قيل أو لشك الراوي و قيل لاحد الاسرين و القطر اجراء الماء و انزال قطره (فاذا غسل يديه خرج من يديه) أي ذهب و محى (كل خطيئة كان بطشتها) أي أخذتها (يدها) كملامة المحرمة قال الطيبي قوله يدها للتأكيد و فيه ما سبق (مع الماء أو مع آخر قطر الماء) فإذا غسل رجليه خرج كل خطيئة مشتها) الضمير للخطيئة و نصبت بنزع الخافض أي مشت بها الى الخطيئة أو يكون مصدراً أي مشت المشية كقوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث أي اجعل الجعل (رجلاه) قال الطيبي تأكيد و فيه ما تقدم (مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب) أي ذنوب أعضاء الوضوء أو جميع الذنوب من الصغائر و قال ابن الملك أي يفرغ المتوضئ من وضوئه طاهراً من الذنوب أي التي اكتسبها بهذه الاعضاء و الحديث يدل على ان المغفور ذنوب أعضائه المغسولة فالتوفيق بينه و بين الحديث المتقدم ان غفران جميع الجسد يكون عند التوضؤ بالتسمية يشير اليه احسان الوضوء و غفران أعضاء الوضوء يكون عند عدم التسمية اه و فيه أنه ليس في الحديث المتقدم نص على غفران جميع الذنوب لان قوله من جسده يحتمل جميع بدنه أو أعضاء الوضوء يشير اليه حتى تخرج من تحت أظفاره و الله أعلم هذا و قال الطيبي فان قيل ذكر لكل عضو ما يخص به من الذنوب و ما يزيلها عن ذلك و الوجه مشتمل على العين و الانف و الاذن فلم خصت العين بالذكر أوجب بأن العين طليعة القلب ورائده فاذا ذكرت أغنت عن سائرهما و يعضده الخير الاتي فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من أشفاره عينيه اه و يمكن أن يقال ان الانف و اللسان بالضمضة و الاستنشاق و الاذن بالمسح فيتحين العين و سيأتي في الفصل الثالث ما هو كالتصريح بذلك أو يقال خصت العين للآيات و عدم خروج ذنوبها لعدم غسل داخلها و الله أعلم ثم رأيت ابن حجر ذكر ما يؤيد قولي حيث قال بعد نقل كلام الطيبي و جعل الاذن من الوجه غير صحيح عندنا بل هي ليست من الوجه و لا من الرأس و خير الاذنان من الرأس ضعيف و كون العين طليعة كما ذكر لا ينتج الجواب عن تخصيص خطيئتها بالمغفرة كما هو جلي

رواه مسلم و عن عثمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحس وضوؤها وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله

بل الذي يتجه في الجواب عن ذلك ان سبب التخصيص هو ان كلام الغم والاف والاذن له طهارة مخصوصة خارجة عن طهارة الوجه فكانت متكفلة باخراج خطاياها بخلاف العين فانه ليس لها طهارة الا في غسل الوجه فخصت خطيئتها بالخروج عند غسله دون غيرها مما ذكر قنامله اه و قوله خير الاذنان ضعيف ضعيف لهما رواه ابن ماجه باسناد صحيح عن عبدالله بن زيد والدارقطني باسناد صحيح عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الاذنان من الرأس اى حكمهما اذ لم يعث لبيان الخلقه وقد نص ابن القطان على صحته ايضا (رواه مسلم و عن عثمان) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم) من زائدة لتأكيد النص على العموم (تحضره صلاة مكتوبة) اى مفروضة اى يأتى وقتها أو يقرب دخول وقتها (فيحسن وضوؤها) بأن يأتى بفرائضه وسنته (وخشوعها) باتيان كل ركن على وجه هو أكثر تواضعا واخباتا أو خشوعها خشية القلب والزام البصر موضع السجود و جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع أن يتوق كف الثوب والالتفات والعبث والتشاؤم والتغريض ونحوها وفيه ايماء الى قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون وهو يكون في الظاهر والباطن ولذا قال عليه الصلاة والسلام لمن كان يعث في الصلاة بليغته أو ثوبه لو خشع قلبه لشجعت جوارحه (وركوعها) قال التوربشتى اكنفى بذكر الركوع عن السجود لانهما ركنان متعاقبان فاذا حث على احسان أحدهما حث على الآخر وفي تخصيصه بالذكر تبييه على أن الامر فيه أشد فافتقر الى زيادة توكيد لان الركوع يجعل نفسه في الركوع ويتجامل في السجود على الارض وقيل الاولى أن يقال انما خص الركوع بالذكر دون السجود لاستتباعه السجود اذ لا يستقل عبادة وحده بخلاف السجود فانه يستقل بعبادة كسجدة التلاوة والشكر كذا نقله السيد قال القاضي وغيره تخصيص الركوع لانه من خصائص المسلمين فاراد التحريض عليه ولعل هذا في الاغلب لقوله تعالى في شأن مريم واسجدى واركعى مع الراكعين قيل أمرت أن تركعى مع الراكعين ولانكن مع من لا يركع كذا ذكره الطيبي وقيل معناه اتقادى وصلى مع المصلين فحينئذ لا اشكال (الا كانت) اى الصلاة (كفارة) اى ساترة (لما قبلها) اى لجمع ما قبلها (من الذنوب) و اذا أتى الكبيرة لم يكن كفارة للجمع ولذا قال (ما لم يؤت) بكسر التاء معلوما من الايتاء وقيل مجهول اى ما لم يعمل (كبيرة) بالنصب لا غير كان الفاعل يعطى العمل من نفسه أو يعطيه غيره من الداعى أو المعرض عليه أو الممكن له منه فهو على حد ثم سئلوا الفتنة لا توها بالمد لاعظوها من أنفسهم وفي نسخة ما لم يأت من الايتان كما في المصاييح اى ما دام لم يعمل كبيرة قال التوربشتى اثبات يات على بناء الفاعل في كتاب المصاييح غير صحيح لان الحديث من مفاريد مسلم ولم يروه الا من الايتاء وان كان لم يأت أوضح معنى من قولهم أتى فلان منكرا لكن المعتمد من جهة الرواية الايتاء ومنهم من يروى على بناء المفعول والمعنى ما لم يعمل كبيرة ووضع الايتاء موضع العمل لان العامل يعطى العمل من نفسه ويجعل أن يكون معنى بناء المفعول ما لم يصب بكبيرة من قولهم أتى فلان في بدنه اى أصابته علة كذا ذكره الطيبي (وذلك) اى التكفير بسبب الصلاة والواو للعالم وذوالحال مستتر في خير كانت وهو كفارة قاله الطيبي والظاهر أن الواو استثنائية (الدهر) بالنصب على الظرفية ومحله الرفع على الخبرية اى حاصل في جمع الدهر (كله) تأكيد له اى لا وقت دون وقت قال الاشراف المشار اليه اما تكفير

رواه مسلم وعنه انه توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً ثم تمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يده اليمنى الى المرفق ثلاثاً ثم غسل يده اليسرى الى المرفق ثلاثاً ثم مسح برأسه ثم غسل رجله اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال من توضأ وضوئي هذا ثم يصلي ركعتين

الذنوب أى تكفير الصلاة المكتوبة الصغائر لا يخص بفرض واحد بل فرائض الدهر تكفر صغائره و اما معنى ما لم يؤت أى عدم الاتيان بالكبيرة فى الدهر كله مع الاتيان بالمكتوبة كفارة لما قبلها و اما ما قيل أى المكتوبة تكفر ما قبلها ولو كان ذلك ذنوب العمر والوجه هو الاول لما ورد الصلوات الخمس مكفرات لما بينهن ما اجتبت الكبائر وانتصب الدهر بالظرفية أى وذلك مستمر فى جميع الدهر قال الامام النووي معنى قوله كفارة لما قبلها الخ أن الذنوب كلها تغفر الا الكبائر فانها لا تغفر وليس المعنى ان الذنوب تغفر ما لم تكن كبيرة فان كانت كبيرة لا يغفر شئ من الصغائر فان كان محتملاً فلا يذهب اليه و قال العلماء ان هذا الحديث وما أشبهه صالح للتكفير فان وجد ما يكفره من الصغائر كفره وان صادف كبيرة ولم يصادف صغيرة يعنى غير مكفرة رجونا أن يخفف من الكبائر والا كتب له به حسنات ورفع به درجات كذا ذكره الطيبي وقول الاشرف أى المكتوبة تكفر ما قبلها ولو كان ذلك ذنوب العمر غير صحيح على اطلاقه فتأمله (رواه مسلم وعنه) أى عن عثمان (انه توضأ فأفرغ) من الافراغ عطف على سبيل البيان على العيين أى صب الماء (على يديه ثلاثاً) أى غسلهما الى رصغيه (ثم تمضمض) أى ردد الماء فى فمه (واستنثر) قال النووي الجمهور على ان الاستنثار هو اخراج الماء من الانف بعد الاستنشاق وهو جذب الماء بالنفس الى الاقصى ويدل عليه الرواية الاخرى استنشقوا واستنثر فجمع بينهما وهو مأخوذ من النثرة طرف الانف وقد أجمعوا على كراهة الزيادة على الثلاثة المستوعبة للعضو و اذا لم يستوعب الا برفقتين فهي واحدة ولم يذكر العدد فى مسح الرأس فالظاهر الاكتفاء بالمرة الواحدة اه وهو مذهب الجمهور ولان تكرار المسح يقضى الى الغسل (ثم غسل وجهه ثلاثاً) والظاهر أنه قيد لكل من الثلاثة (ثم غسل يده اليمنى الى المرفق) بكسر الميم وفتح الفاء وضبط بالعكس أيضاً (ثلاثاً ثم غسل يده اليسرى الى المرفق ثلاثاً) مراعاة للترتيب والتيان والى بمعنى مع عند الجمهور (ثم مسح برأسه) أى بعضه أو كله والظاهر الاخير (ثم غسل رجله اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً) وليست ثم فى هذه المواضع للتراخي المعناى للموالة بل لمجرد التعقيب (ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا) لم يقل مثله لان حقيقة مماثلة وضوئه عليه الصلاة والسلام لا يقدر عليها غيره هذا كلام النووي وأغرب ابن حجر فى تعقبه بقوله وقوله عليه الصلاة والسلام من توضأ وضوئي هذا أى مثله صريح فى رده على انه لا يلزم من المعاملة فى شئى المعاملة فى جميع أوصافه اه وهو غير صريح بل غير صحيح لان كلام النووي انه أثر عثمان رضى الله تعالى عنه لفظ نحوه على مثله لانه نص على نفي المعاملة الحقيقية بخلاف مثله فانه قد يستعمل فى الحقيقة بل فى الاغلب سيما عند المحدثين فانه اذا قيل روى مثله أى لفظاً ومعنى واذا قيل روى نحوه أى معنى لالفاظاً و أما قوله عليه الصلاة والسلام من توضأ وضوئي هذا ليس المراد الا نحوه بالاجماع فتقدير مثله منه مردود بلانزع فان عثمان مع جلالته اذا عجز عن الاتيان بمثله فيرضى كل أحد أن يأتي بنحوه فان الاحاطة بجميع سننه عليه الصلاة والسلام تعز على أكثر المتفهمة والمتصوفة فضلاً عن العوام والسوقة (ثم قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم حين فرغ من وضوئه (من توضأ نحو وضوئي هذا) أى جامعاً لقرائضه وسننه (ثم يصلي ركعتين) فيه استحباب ركعتين عقيب كل وضوء ولو صلى فريضة حصلت له هذه الفضيلة كما

لاحدث نفسه فيهما بشئ غفرله ما تقدم من ذنبه متفق عليه ولفظه للبخارى. وعن عقبه بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوؤه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا اجبت له الجنة رواه مسلم و عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله

تحصل تحية المسجد بذلك (لا يحدث نفسه) أى لا يكلمها (فيهما بشئ) من أمور الدنيا وما لا يتعلق بالصلاة ولو عرض له حديث فاعرض عنه على له ذلك وحصلت له الفضيلة لانه تعالى عفا عن هذه الأمة الخواطر التي تعرض ولا تستقر كذا قاله الطيبي وقيل أى بشئ غير ما يتعلق بما هو فيه من صلاته وان تعلق بالآخرة وقيل بشئ من أمور الدنيا لان عمر رضي الله تعالى عنه كان يجهز الجيش وهو في الصلاة يعنى يكون قلبه حاضرا وقيل معناه اخلاص الصلاة لله يعنى لا تكون صلاته للرباء والطمع (غفرله) بصيغة المجهول (ما تقدم من ذنبه) أى من الصغائر ويفهم منه أن الغفران مرتب على الوضوء مع الصلاة ومن الحديث المتقدم ترتيبه على مجرد الوضوء لمزيد فضله قال ابن الملك وفيه ان للصلاة مزية على الوضوء دون العكس كما هو ظاهر مقرر فانه وسيلة وشرط لها ويمكن أن يقال كل منهما مكفر أو الوضوء المجرد مكفر لذنوب أعضاء الوضوء ومع الصلاة مكفر لذنوب جميع الأعضاء أو الوضوء مكفر للذنوب الظاهرة ومع الصلاة مكفر للذنوب الظاهرة والباطنة والله أعلم (متفق عليه ولفظه للبخارى و عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوؤه) أغرب ابن حجر وقال أى بان يأتي بواجباته ويحتمل ومكملاته اه فان احسان الوضوء بعد التوضؤ لا يحتمل غير المكملات مع ان في لفظة الاحسان دلالة عليه و اشارة اليه (ثم يقوم) أى حقيقة أو حكما سيما اذا كان يعذر فاطلقاته جرى على الغالب لأنه قيد احترازي و ثم للترق (فيصلي ركعتين مقبل عليهما) أى على الركعتين (بقلبه) أى باطنه (ووجهه) أى ظاهره أو ذاته قال الطيبي مقبل وجد بالرفع في الاصول وفي بعض النسخ مقبلا منصوبا على الحال يعنى حال كونه متوجها وكونه مرفوعا مشكلا لانه اما صفة لمسلم على أن من زائدة ففيه فصل و اما خبر مبتدأ محذوف والجملة حال وهو أيضا بعيد لعدم الواو الا أن يجعل من قبيل فوه الى في والاولى أنه فاعل تنازع فيه الفعلان من باب التجريد مبالغة اه و الاظهر انه صفة مسلم وليس الفصل اجنبيا (الواجب له الجنة) أى انه تعالى يدخل الجنة بفضلها بحيث لا يخالف وعده البته كمن وجب عليه شئ (رواه مسلم و عن عمر بن الخطاب) رضي الله تعالى عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم) من بيانة وقيل تبعية وهو حال على ضعف (من أحد) الذي هو مبتدأ على رأى سيويه ومن زائدة (يتوضأ فيبلغ) من الابلاغ (أو فيسغ) من الاسباغ و أو للشك (الوضوء) بفتح الواو وقيل بالضم أى ماء الوضوء و أغرب ابن حجر هنا أيضا حيث قال ان يأتي بواجباته ويحتمل مكملاته اه لان عطف الابلاغ والاسباغ على التوضؤ لا يكون الابادة المكملات فان أصل الوضوء لا يتصور بدون الواجبات (ثم يقول) أى عقبه وضوؤه (أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله) قال الطيبي قول الشهادتين عقب الوضوء اشارة الى اخلاص العمل لله وطهارة القلب من الشرك والربا بعد طهارة الاعضاء من الحدث والخبث قال الامام النووي يستحب أن يقال عقب الوضوء كلمتا الشهادة وهذا متفق عليه ويتبع أن يضم اليهما ما جاء في رواية الترمذى اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين و يضم اليه ما رواه النسائي في كتاب عمل اليوم واليلة مرفوعا سبحانه اللهم ومحمدك أشهد أن لا اله الا انت أستغفرك وأتوب اليك

و فی روایة اشہدان لاله الا اللہ وحدہ لاشریک لہ و اشہدان یمہداعبدہ و رسولہ الافتحت لہ ابواب الجنۃ الثمانیۃ یدخل من ایہا شاء ہکذا رواہ مسلم فی صحیحہ و الحمیدی فی أفراد مسلم و کذا ابن الاثیر فی جامع الاصول و ذکر الشیخ محیی الدین النووی فی آخر حدیث مسلم علی ما رویناہ و زاد الترمذی اللہم اجعلنی من التوابین و اجعلنی من المتطہرین و الحدیث الذی رواہ محیی السنۃ فی الصحاح من توساً فاحسن الوضوء الی آخرہ رواہ الترمذی فی جامعہ بعینہ الا کلمۃ اشہد قبل ان یمہد و عن ابی ہریرۃ قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ان امتی یدعون یوم القیامۃ غرا محجلین

قال أصحابنا و تستحب هذه الاذکار للمغتسل أيضا اه (و فی روایة) ای لمسلم (اشہدان لاله الا اللہ وحدہ) ای واحدا بالذات منفردا بالصفات (لا شریک لہ) فی ذاته و صفاتہ (و اشہد) ولعل تکرارہ هنا لطول الفصل (ان یمہداعبدہ) الفضل (و رسولہ) الا کمل (الافتحت) بالتخفيف و التشدید (لہ ابواب الجنۃ الثمانیۃ) بالرفع (یدخل من ایہا شاء) الاظهر أنها استثنائیة لصحة قیام لیدخل مقامها قبل فیخیر اظهارا لمزید شرقہ لکنہ لایلہم الاختیار الدخول من الباب المعد لعاملی نظیر ما غلب علیہ من أعمالہ کالریان للصائمین (ہکذا رواہ مسلم فی صحیحہ و الحمیدی فی أفراد مسلم و کذا ابن الاثیر فی جامع الاصول و ذکر الشیخ محیی الدین) لاینافی ما نقل عنہ أنه قال لأجعل فی حل من یمسئ محیی الدین لان ذلك منه انما هو من باب التواضع (النووی) بواین لیس بینہما ألف و بعضهم یقولون النواوی بالالف و الاول هو القیاس لانه منسوب الی نوى قرية قریب دمشق کذا قال ابن حجر (فی آخر حدیث مسلم علی ما رویناہ) متعلق علیہ بآخر و هو معلوم و قبل مجهول ای علی وقفہ (و زاد الترمذی) هذا مذکور النووی (اللہم اجعلنی من التوابین) ای للذنوب و الراجعین عن العیوب و لبس فیہ دعاء صریحا و لایزوما باكثر وقوع الذنوب منه بل بانہ اذا وقع منه ذنب الہم التوبۃ عنہ و ان کثر و فیہ تعلیم للامة کما ورد ککمکم خطاؤن و خیر الخطائین التوابون و قال تعالی ان اللہ یحب التوابین ای الذین لم یرجعوا عن باب مولاہم ولم یقتطوا من رحمۃ اللہ (واجعلنی من المتطہرین) ای بالخلص من تبعات الذنوب السابقۃ و عن التلوث بالسیات اللاحقۃ أو من المتطہرین من الاخلاق الذمیۃ فیکون فیہ اشارۃ الی أن طہارۃ الاعضاء الظاہرۃ لما كانت یدنا طہرناھا و أما طہارۃ الاحوال الباطنۃ فانما ہی یدک فانت طہرها بفضلك و کرمک (والحدیث الذی رواہ محیی السنۃ) رحمہ اللہ تعالی (فی الصحاح من توساً فاحسن الوضوء الی آخرہ) قال ابن الملک ثم قال اشہدان لاله الا اللہ وحدہ لاشریک لہ و اشہدان یمہداعبدہ و رسولہ اللہم اجعلنی من التوابین و اجعلنی من المتطہرین فتحت لہ ثمانیۃ ابواب الجنۃ یدخل من ایہا شاء رواہ عقبۃ بن عامر کذا فی المصابیح اه (رواہ الترمذی فی جامعہ بعینہ الا کلمۃ اشہد قبل ان یمہد) و الحاصل ورود الاعتراض علی صاحب المصابیح حیث ذکر روایۃ الترمذی فی الصحاح لایہا ما أنه کله فی أحد الصحیحین أو کلہما و لیس كذلك قال فی الازہار هذا حدیث مضطرب و منقطع و الحاق الضعیف بالصحیح غیر مقبول مع تغییر العبارة لفظا و معنی (و عن ابی ہریرۃ قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ان امتی) یعنی أمة الاجابة بل الخواص منهم و ہم أهل العبادة (یدعون یوم القیامۃ) ای یسعون (غرا محجلین) و قیل ینادون ایہا الفر المحجلون ہلما الی الجنۃ و قیل یدعون علی رؤس الاشہاد أو یطلبون الی الموقف أو الی الجنۃ حال کونہم غرا محجلین قال الاشراف الفر جمع الاغر و هو الابيض الوجه و المحجل من الدواب الی قوائمہا یبيض مأخوذ من الحجل و هو القید کانہا مقیدۃ بالبیاض و أصل هذا فی الخیل و معناہ انہم اذا دعوا علی رؤس الاشہاد أو الی

من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل متفق عليه و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء رواه مسلم * (الفصل الثاني) عن ثوبان

الجنة كانوا على هذه الصفة وانتصابهما على الحال اذا كان يدعون بمعنى ينادون أو يطلبون و يحتل أن يكون غرا مفعولا ثانيا ليدعون بمعنى يسمون كما يقال فلان يدعى ليثا و المعنى أنهم يسمون بهذا الاسم لما يرى عليهم من آثار الوضوء و المعنى هو الاول و يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام يأتون يوم القيامة غرا محجلين لانها العلامة الفارقة بين هذه الامة و سائر الامم و قبل لا يعبد التسمية باعتبار الوصف الظاهر كما يسمى رجل به حمرة أحمر للمناسبة و هو أظهر لان القصد هو الشهرة و التمييز (من آثار الوضوء) بفتح الواو وهو الماء الذي وصل الى أعضاء المتوضئ و قيل بالضم قال في الازهار و يجوز فتحها لكن الفتح هو أصل السيد و هو أظهر معنى (فمن استطاع منكم أن يطيل غرته) أى و تحجيله بايصال الماء الى أكثر من محل الفرض و حذف اكفاء (فليفعل) قال المنذرى قوله فمن استطاع الخ مدرج من كلام أبي هريرة موقوف عليه ذكره غير واحد من الحفاظ و قال العسقلاني قال أبو نعيم لا أدري قوله من استطاع الخ من قول النبي صلى الله عليه وسلم أو من قول أبي هريرة ولم أر هذه الجملة في رواية أحمد بن روى هذا الحديث من الصحابة وهم عشرة ولا يمن رواه عن أبي هريرة غير رواية أبي نعيم هذه و قول ابن حجر و دعوى أن من الخ من كلام أبي هريرة فلا يسن غرة ولا تحجيل يردا أنه لم يصح ما يدل على الادراج و الاصل عدمه اذ لو كان ثمة ادراج لبينه أبو هريرة في طريق من الطرق و احتماله لا يجدى بل لا بد من تحقته كلام من ليس عنده تحقق من اصطلاح المحدثين و الاصوليين المستدلين أما أولا فلان كون قوله فمن استطاع الخ من كلام أبي هريرة لا يلزم منه أن لا يسن غرة ولا تحجيل فإن استجاباه علم من قوله عليه الصلاة والسلام يدعون غرا محجلين و يعلم اطالته من الحديث الآتى و أما ثانيا فلان حفاظ الحديث اذا قالوا في كلام انه مدرج أو موقوف و جب على الفقهاء متابعتهم بل اذا ترددوا أنه موقوف أو مرفوع فلا يصح جعله مرفوعا مجزوما به مرتبا عليه المسئلة الفقهية و أما ثالثا فلان قوله لبينه أبو هريرة غير متجه اذ الكلام أنه من قوله فكيف بين أنه قوله أو قول غيره و انما بينه من بعده و يكفى تردد من رواه عنه بغير واسطة و هو نعيم أنه من قوله موقوفا أو مرفوعا مع ما يدل عليه من شذوذه و انفراده عن روى عن أبي هريرة و عن سائر الطرق الواصلة الى حد العشرة الكاملة (متفق عليه و عنه) أى عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبلغ الحلية) أى البياض و قيل الزينة فى الجنة (من المؤمن حيث يبلغ الوضوء) بالفتح أى ماؤه و قيل بالضم قال الطيبى ضمن يبلغ معنى يتمكن و عدى بمن أى تتمكن من المؤمن الحلية مبلغا يتمكنه الوضوء منه قال النووى قد استدلوا بالحديثين على أن الوضوء من خصائص هذه الامة و قال آخرون ليس الوضوء مختصا و انما المختص الغرة و التحجيل لقوله عليه الصلاة والسلام هذا وضوئى و وضوء الانبياء من قبلى ورد بانه حديث معروف الضعف على أنه يحتل اختصاص الانبياء دون الامم لكن ورد في صحيح البخارى و غيره أن سارة و جريحا توضحا فينبغى أن تختص الغرة و التحجيل بالانبياء و بهذه الامة من بين سائر الامم و الله أعلم (رواه مسلم)

* (الفصل الثاني عن ثوبان) * مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المؤلف هو ثوبان بن جعد بضم الباء الموحدة و سكون الجيم و ضم الدال المهملة الاولى أبو عبدالله اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم و أعتقه و لم يزل معه سفرا و حضرا الى أن توفى النبي صلى الله عليه وسلم فخرج الى الشام فنزل الى الرملة ثم انتقل

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا وان تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن رواه مالك وأحمد وابن ماجه والدارمي وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات رواه الترمذى * (الفصل الثالث) *
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة ومفتاح الصلاة الطهور رواه أحمد وعن شبيب بن أبي روح

الى حمص وتوفى بها سنة أربع وخمسين روى عنه خلق كثير (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا) قال القاضى الاستقامة اتباع الحق والقيام بالعدل وملازمة المنهج المستقيم وذلك خطب جسيم ذكره الطيبى وقال بعضهم والامر بالمستطاع منه قال تعالى لا يكاف الله نفسا الا وسعها وبين بقوله (ولن تحصوا) أى لن تطيقوا أن تستقيموا حق الاستقامة لان ذلك خطب عظيم وتوفية حقها على الدوام عسر وكان القصد فيه التنبيه للمكلفين على رؤية التقصير من أنفسهم وتحريضهم على الجدل لكيلا يتكلموا على ما يأتون به ولا يفتخروا عنه ولا يأسوا من رحمته فيما يذرون عجزا لاتقصيرا وقيل لن تحصوا أى ثوابها من الاحياء وهو العدا قال الطيبى الاحياء التحصيل بالعدم مأخوذ من الحمى لاستعمالهم ذلك فيه كاعتمادنا على الاصابع اه وقيل المعنى لن تطيقوا ولكن ابدلوا جهدكم فى طاعة الله بقدر ما تطيقون وهو اعتراض بين المتعاطفين للرد على من يتوهم أنه يبذل جهده يصل الى غايتها (واعلموا أن خير أعمالكم) أى أفضلها وأتمها دلالة على الاستقامة (الصلاة) أى المكتوبة أو جنسها لان فيها من كل عبادة شيا كالقراءة والتسبيح والتكبير وترك الاكل والشرب وغير ذلك فهى أم العبادات وناحية للسياة (ولا يحافظ) قال الطيبى جملة تذييلية أى لا يواطىء (على الوضوء) حقيقة أو حكما ليشمل حالة النوم (الامؤمن) المراد الجنس والتنوين للتعظيم أى لا يداوم عليه الا مؤمن كامل فى ايمانه دائم الشهود بقلبه وبدنه فى حضرة ربه لان الحضور فى الحضرة القدسية بدون الطهارة الحسية بعيد من الآداب بل صاحبه يستحق أن يطرد من الباب (رواه مالك وأحمد وابن ماجه والدارمي) وكذا الحاكم والبيهقى عن ثوبان ورواه ابن ماجه أيضا والطبرانى عن ابن عمرو والطبرانى أيضا عن سلمة بن الأكوع ورواه ابن ماجه عن أبي أمامة والطبرانى عن عبادة ولفظهما استقيموا ونعما ان استقمتم وخير أعمالكم الصلاة الحديث (وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات) فى شرح السنة تجديد الوضوء مستحب اذا كان قد صلى بالوضوء الاول صلاة وكرهه قوم اذا لم يصل بالاول صلاة ذكره الطيبى وقال ابن الملوك وان لم يصل فلا يستحب قلت والظاهر أن فى معناها الطواف والتلاوة ولعل سبب الكراهة هو الاسراف (رواه الترمذى) وقال

استاده ضعيف ورواه أبو داود وابن ماجه
* (الفصل الثالث عن جابر) * رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة) أى مفتاح درجاتها والا فقد تقدم ان مفتاحها كلمة التوحيد (ومفتاح الصلاة الطهور) بالضم ويفتح أى مفتاحها الاعظم فانه من جملة شروطها قال الطيبى فكما لاتتأتى الصلاة بدون الوضوء كذلك لا يتسبب دخول الجنة بدون الصلاة وفيه دليل لمن يكفر تارك الصلاة وانها الفارقة بين الايمان والكفر وقال غيره هو حث عليها وانها مما لا يستغنى عنها قط فانها من أسباب دخول الجنة أولا من غير سابقة عذاب (رواه أحمد) قال ابن حجر بسند حسن وقال ميرك ورواه أبو داود وفى استاده أبو يعقوب التتات قلت ورواه البيهقى على ما فى الجامع الصغير (وعن شبيب بن أبي روح) وفى

عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الصبح قترا الروم فالتبس عليه فلما صلى قال ما بال أقوام يصلون معنا لا يحسنون الطهور و انما يلبس علينا القرآن أولئك رواه النسائي و عن رجل من بنى سليم قال عدن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يدي أوفى يده قال التسبيح نصف الميزان و الحمد لله يملاؤه و التكبير يملاؤه ما بين السماء و الارض و الصوم نصف الصبر و الطهور نصف الايمان

نسخة بدون ابن قال في جامع الاصول أبوروح شبيب بن نعيم و يقال ابن أبي روح وحاظي من أهل حمص من تابعي الشاميين روى عن أبي هريرة و هو صالح الحديث مع قلته و روح بفتح الراء و العاء المهملة و نعيم بضم النون اه و شبيب كجيب و في الترتيب شبيب بن نعيم أبوروح ثقة من الثالثة و أخطأ من عدده في الصحابة اه و العجب من المؤلف انه لم يذكره في اسمائه لافي التابعين و لافي الصحابة (عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) و كلهم عدول و لذا جهالته لا تضر روايته و قال ميرك اسمه أعر الغفاري (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الصبح قترا) أى فيها (الروم) أى سورة الروم كلها أو بعضها في ركعة أو ركعتين (فالتبس) أى القرآن أو الروم يعنى قراءته اشتبهت (عليه فلما صلى) أى فرغ من الصلاة (قال ما بال أقوام) أى ما حال جماعات (يصلون معنا لا يحسنون الطهور) بالضم و يفتح أى لا يأتون بواجباته و سنته قال الطيبي قد تقدم معنى احسان الوضوء في الفصل الاول و فيه اشارة الى أن السنن و الآداب مكملات للواجب يرجى بركتها و في فقدانها سد باب الفتوحات الغيبية و ان بركتها تسرى الى الغير كما أن التقصير فيها يتعدى الى حرمان الغير تأمل أيها الناظر اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأثر من مثل تلك الهيئة فكيف بالغير من صحبة أهل البذعة أعاذنا الله و رزقنا صحبة الصالحين (و انما يلبس) بالتشديد (علينا القرآن) أى يخلطه و يغلطه (أولئك) أى الذين لا يحسنون الطهور من المناقنين أو غيرهم (رواه النسائي) قال ابن حجر بسند حسن (و عن رجل) أى من الصحابة (من بنى سليم). مصغرا (قال عدن) أى الخصال الآتية فهو ضمير مبهم يفسره ما بعده كقوله تعالى فسواهن سبع سموات و المفسر هنا قوله التسبيح الخ (رسول الله صلى الله عليه وسلم في يدي) أى أخذ أصابع يدي و جعل يعقدها في الكف خمس مرات على عد الخصال لمزيد التفهيم و الاستحضار (أوفى يده) شك من الراوى (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم و يجوز رجعه الى الراوى تفسيراً للضمير المبهم (التسبيح) أى ثوابه أو نفسه باعتبار جسمه (نصف الميزان و الحمد لله تملأه) بالتذكير و التأنيث أى الميزان كله أو نصفه الآخر و الاول أظهر قال الطيبي جعل الحمد ضعف التسبيح لانه جامع لصفات الكمال من الثبوتية و السلبية و التسبيح من السلبية (و التكبير يملاؤه) بالتذكير و التأنيث (ما بين السماء و الارض) أى جنسيهما يعنى ثوابه ان قدر جسما يملاؤه هما و قال الطيبي التكبير أن ينفى عن الغير صفة الكبرياء و العظمة لان أفعال محمول على المبالغة و الكبرياء مختص بالله تعالى فيمثلثي العارف عند ذلك هيئة و جلالات فلا ينظر الى ما سواه اه و الاظهر انه يشاهد كبرياءه في الآفاق و الانفس (و الصوم نصف الصبر) و هو الصبر على الطاعة بقى النصف الآخر عن المعصية أو المصيبة أو الصوم صبر عن الحلق و الفرج بقى نصفه الآخر من الصبر عن سائر الاعضاء و لا يظهر وجه ما قال ابن حجر كان وجهه ان الصبر اما بالباطن و اما بالظاهر و الصوم جامع لصبر الباطن بحفظه عن تعاطي أكثر الشهوات فجعل نصفاً لذلك اه و من المعلوم أن الصبر من أحوال الباطن لا غير (و الطهور نصف الايمان) و هذا

رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن و عن عبد الله الصنابحي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضع اليد المؤمن فمضمض خرجت الخطايا من فيه و اذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه و اذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشعار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من أطراف يديه فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه

تفسير للشطر في الحديث السابق (رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن و عن عبد الله الصنابحي) بضم الصاد و تخفيف النون و بالباء الموحدة و الحاء المهملة منسوب الى صنابح بن ظاهر بطن من اد و حديثه انه هاجر من قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فوصل الى الجعفة قبل غتته و فاته عليه الصلاة والسلام و المعروف فيما ذكره البخارى فى تاريخه و مسلم فى كتاب الكنى و غيرهما فى نسبة عبد الرحمن ابن عسيلة أبو عبد الله الصنابحي و عسيلة بضم المهملة ثم فتح المهملة ثم سكون الباء كذا فى جامع الاصول و قال المصنف قيل أبو عبد الله و قال ابن عبد البر عندي ان الصنابحي أبو عبد الله التابعى لا الصنابحي قال و أبو عبد الله الصنابحي غير معروف فى الصحابة و الصنابحي قد أخرج حديثه فى المؤطا مالك ابن أنس و النسائى فى سننه اه قال و قال الترمذى هو الذى روى عن أبي بكر ليس له سماع من النبي صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الرحمن بن عسيلة و يكنى أبا عبد الله اه نتحصل ان الصحيح انه أبو عبد الله و انه تابعى فكان حق المؤلف أن يقول مرسل (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضع اليد المؤمن) أى أراد الوضوء (فمضمض) أى غسل فمه فى مختصر النهاية المضمضة الممصصة و قيل المهملة بطرف اللسان و المعجمة بالغم كاه و فى القاموس المضمضة أى بالمعجمة تحريك الماء فى الفم فزيادة النقطه لافادة النكتة فالتعبير بالمضمضة يفيد المبالغة فى التطهير (خرجت الخطايا من فيه) أى بعض الخطايا أو الخطايا المتعلقة بالغم و هو الظاهر و هى مقيدة بالصغائر كما تقدم (و اذا استنثر) أى غسل أنفه و بالغ فى الاستنشاق قال الطيبى خص الاستنثار لان القصد خروج الخطايا و هو مناسب للاستنثار لانه اخراج الماء من أقصى الأنف و قال ابن حجر و يخدمه التعبير بالمضمضة و هى لاتستأزم اخراج ماء لحصول أصل سنتها و ان ابتلعه فيستفاد منها حصول التكفير و ان لم يخرج و كذا الاستنشاق فالتعبير بالاستنثار يحتمل أنه لانه الغاية المطلوبة من الاستنشاق اذ هو اخراج الماء من أقصى الأنف المستأزم لمزيد تنظيفه من اقداره التى لا يستقصى اخراجها كلها الا به اه و أنت تعلم ان كلام الطيبى لايناق ما ذكره بل هو عينه مع زيادة النكتة المناسبة للمقام و لايلزم اطرادها مع أنه قد يقال لما كان الغالب على الناس فى المضمضة اخراج الماء من الفم اكتفى به بخلاف الاستنشاق فعبّر عنه بالاستنثار (خرجت الخطايا) كشم ما لايجوز له (من أنفه) أى مع الماء (و اذا) و فى نسخة بالفاء (غسل) وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشعار عينيه) أى أهدابها قال ابن حجر و مر أن الخطايا انما تخرج من عينيه فقط و جعل الخروج منها هنا غاية يقتضى خلاف ذلك الا أن يجاب بان ما هنا على سبيل القرص ان اكتسب بما عدا فمه و أنفه و عينه من بقية وجهه خطيئة خرجت بغسله اه و فيه انه كان يلائمه حينئذ أن يقول من ذقته (فاذا) هنا و فيما بعد بالفاء لاغير (غسل يديه) أى الى العرقين (خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أطراف يديه فاذا مسح برأسه) ظاهره الاتيعاب (خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه) بضم الذال و سكونها و فيه دليل لابي حنيفة من أن الاذنين من الرأس و انهما يسحان بمائه لابعاء جديد كما قاله الشافعى و تكاف له

فاذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من أظفار رجله ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له رواه مالك والنسائي وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقاتل السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ووددت أنا قد رأينا اخواننا قالوا أو لسا اخوانك يا رسول الله قال أنتم أصحابي و اخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله فقال رأيت لو أن رجلاه خيل غرمحجلة بين ظهري خيل

ابن حجر بما ينبوعنه السمع (فاذا غسل رجله) أى الى الكعبين (خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أظفار رجله ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته) سواء كانت فريضة أو نافلة (نافلة له) أى زائدة على تكفير السيئات وهى لرفع الدرجات قاله الطيبى أو زائدة عن تكفير سيئات أعضاء الوضوء فهى لسيئات أخران وجدت و الافتخفيف الكبائر ثم لرفع الدرجات كما ذكره النووى فيما سبق (رواه مالك والنسائي) قال ابن حجر بسند حسن (وعن أبي هريرة) رضى الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة) بضم الباء وفتحها والكسر قليل والظاهر انها مقبرة البقيع (فقال السلام عليكم) إشارة الى أنهم يعرفون الزائر ويدركون كلامه وسلامه قال القرطبي فى الحديث ان السلام على الاموات والاحياء سواء فى تقديم السلام على عليكم (دار قوم مؤمنين) نصب دار على الاختصاص أو النداء لانه مضاف والمراد بالدار على الوجهين الجماعة والأهل ويحتمل على الاول المنزل قاله الطيبى ولعل مراده أحد المجازين المذكورين فى قوله تعالى و اسأل القرية قال ابن حجر يؤخذ من الحديث تعيين التخصيص فى الدعاء لاهل مقبرة ونحوهم مما يقتضى العموم بالمسلمين منهم لفظا أو نية والله أعلم (وانا ان شاء الله بكم لاحقون) فى هذا الاستثناء مع أن الموت حق لا شك فيه للعلماء أقوال والظاهر أنه وارد على سبيل التبرك كما فى قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقال الخطابي وغيره ان ذلك من عادة من يحسن الكلام به والثالث أن الاستثناء عائد على اللاحق بالمكان المتبرك لانه مشكوك فيه قال تعالى وما تدرى نفس بأى أرض تموت (وددت) بكسر الدال أى تمنيت وأحببت (أنا) أى أنا وأصحابي (قدرأينا اخواننا) تمنى رؤيتهم فى الحياة وقيل بعد الممات (قالوا أولسنا) أى اتقول هذا ولسنا (اخوانك يا رسول الله قال أنتم أصحابي) ليس هذا نفيًا لاخوتهم لكن ذكر لهم مزية بالصحبة على الاخوة فهم اخوة وصحابة واللاحقون اخوة فحسب قال تعالى انما المؤمنون اخوة (واخواننا الذين لم يأتوا بعد) أى لم يلحقوا الى الآن أو لم يأتوا الينا قبل ولعل الظاهر أن يحمل على اللاحقين بعد موته عليه الصلاة والسلام من التابعين لكن ياباه سؤالهم الآتى الشامل لهم ولغيرهم فان قلت فأى اتصال لهذه الودادة بذكر أصحاب القيور قلت عند تصور السابقين تصور اللاحقين أو كشف له صلوات الله عليه وسلامه عالم الارواح نشاهد الارواح المجتدة السابقين منهم واللاحقين (فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله) قال الطيبى وسؤالهم ببولهم كيف تعرف أى فى المحشر مبنى على انك تمنيت رؤيتهم فى الدنيا وانا يتمنى ما لم يكن حصوله فاذن كيف تعرفهم فى الآخرة وانا حذانا على الآخرة ليطابق قوله الآتى غرمحجلة لظهورهما حينئذ (فقال) وفى نسخة بدون الفاء (أرأيت) أى أخبرنى أيها المخاطب (لو أن رجلاه خيل) أى مثلا (غرمحجلة بين ظهري خيل) قيل الظاهر منجم فى النهاية أقاموا بين ظهرانيهم أى أقاموا بينهم على سبيل الاستظهار والاستناد بهم ومعناه ان ظهرنا منهم قدماه وظهرنا وراه فهو مكتوف من جانبيه ثم كثر حتى استعمل فى الإقامة بين القوم مطلقا كذا نقله الطيبى أقول ثم استعمل فى الإقامة بين الحيوانات

دهم بهم الايعرف خيله قالوا بلى يا رسول الله قال فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء و أنا فرطهم على الحوض رواه مسلم و عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة و أنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فانظر الى ما بين يدي فأعرف أمي من بين الامم و من خلفي مثل ذلك و عن يعنى مثل ذلك و عن شمالي مثل ذلك فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف أمك من بين الامم فيما بين نوح الى أمك قال هم غر محجلون من أثر الوضوء ليس أحد كذلك غيرهم و أعرفهم انهم يؤتون كتبهم بإيمانهم

مجازا (دهم) أى سود (بهم) البهم السود و قيل الذى لا يخالط لونه لون سواه قرنه بالدهم مبالغة فى السواد (الايعرف خيله) الهمة للانكار (قالوا بلى) يعرفها (يا رسول الله قال فانهم) أى أمة الاجابة جميعا (يأتون غرا محجلين من الوضوء) بالفتح و الضم أى من أجله (و أنا فرطهم على الحوض) أى متقدمهم الى حوضى فى المحشر فان لكل نبي حوضا يقال فرط يفرط فهو فرط و فرط اذا تقدم و سبق القوم ليرتاد لهم الماء و يهتئ لهم الدلاء و الارشية (رواه مسلم و عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من يؤذن له) بالهمز و يدل (بالسجود يوم القيامة) لانه أول ما خلق الله روحه أو نوره (و أنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه) اشارة الى مقام الشفاعة كما ورد فى قوله يؤذن لى عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا الى قوله فيقول لى ارفع يدي (فانظر) الفاء فصيحة أو فارغ رأسى فانظر (الى ما بين يدي) أى قدامى (فأعرف) أى أميز ليستقيم تعلق من به (أمي) أى الذين أجابوا (من بين الامم و من خلفي) أى و انظر من ورائي (مثل ذلك) بالنصب أى فأعرف أمي و قول ابن حجر الظاهر انه جملة من مبتدأ و خبر معطوفة على مجموع الجملتين قبلها خلاف النسخ المصححة مع قطع النظر أنه خلاف الظاهر كما يظهر من تقدم رينا (و عن يعنى مثل ذلك و عن شمالي مثل ذلك) يعنى من جميع الجوانب و فيه اشارة الى كثرتهم و تفاوت مراتبهم (فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف أمك من بين الامم) أى سائرهم (فيما بين نوح) بيان للامم حال منه أى الامم كائنة فيما بين نوح و لو قيل هو ظرف لتعرف لرجع المعنى كيف تعرف أمك فيما بين نوح و لم يكن لقوله من الامم معنى و انما خص نوحا مع أن الانبياء كآدم و شيث و ادريس قد بعثوا قبله لشهرته أو لكثرة أمته الى قوله (الى أمك) للانتهاء أى مبتدئا من نوح منتهيا الى أمك قال ابن حجر وكان القياس و أمك لتعين عطف ما بعد بين بالواو فيقدر محذوف بعد نوح و قيل الى للدلالة كل من بين و الى على ذلك المحذوف و التقدير فيما بين نوح و غيره مبتدئا ذلك من أمته أو زمنه الى أمك أو زمنهم (قال هم غر محجلون من أثر الوضوء ليس أحد كذلك) و فى نسخة كذلك (غيرهم) بالرفع على البدلية و بالنصب على الاستثناء و المختار الاول و هذا صريح فى أن الغرة و التججيل من خصوصيات أمته عليه الصلاة والسلام (و أعرفهم انهم يؤتون كتبهم بإيمانهم) و لعل هذا فى وقت خاص لهم قبل ايتاء الكتب للامم السالفة أو لكتبهم نور زائد على كتب غيرهم ثم رأيت ابن حجر قال ظاهره أنه من خصوصياتهم الا أن يحمل على انهم يؤتون ذلك قبل غيرهم أو على صفة لم تكن لغيرهم اذ الذى دلّت عليه الآيات و بقية الاحاديث العموم و أن الفاسق يؤتى كتابه بيمينه أيضا و هو مادلت عليه الآيات أيضا و ما اقتضته الآيات من أن من يؤتى كتابه بيمينه لا يصلئ النار محمول على أنه لا يصلها صلوا الكافر المشار اليه بقوله تعالى لا يصلها الا الاشقى الآتية و نقل ابن عطية عن قوم ان الفاسق الذى أريد تعذيبه يعطاه بيمينه أولا قبل دخوله النار ثم خلفه و قال انما يعطاه عند خروجه منها ورد بان

و عرفهم تسمى بين أيديهم ذريتهم رواه أحمد * (باب ما يوجب الوضوء) * (الفصل الاول) *
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ متفق عليه و عن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل صلاة بغير طهور

الظاهر الاول وقد أخرج النقاش عن أنس مرفوعا ما يقتضيه اه لكن قوله دلت عليه الآيات أيضا غير
ظاهر لان الآيات القرآنية مسكوتة عن حال الفاسق في اعطاء الكتب يمينا وشمالا و في ثقل الميزان
و خفته أيضا و لعله ليكون بين الرجاء و الخوف و الله سبحانه أعلم (و عرفهم يسمى) بالتذكير
و التائيت (بين أيديهم ذريتهم) يحتمل الاختصاص و أن يكون على وجه خاص قال الطيبي لم يأت
بالوصفين هذين تفصلا و تمييزا كالاول بل أتى بهما مدحا لامتة و ابتهاجا بما أوتوا من الكرامة
و الفضيلة (رواه أحمد) قال ابن حجر و سنده حسن

* (باب ما يوجب الوضوء) *

أى أسباب وجوب الطهارة الصغرى و ما يتعلق به و الموجب هو الله تعالى
* (الفصل الاول) * (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل) أى قبول
اجابة و اثابة بخلاف المسبل و الأبق فإن صلاتهما لا تقبل أيضا لكنها لا تقبل بترك الأثابة و تقبل اجابة
فلا يرد ما قيل من أنه لا يلزم من عدم القبول عدم الجواز و الصحة مع أن الطهارة شرط الصحة (صلاة
من أحدث) أى صار ذا حدث قبل الصلاة أو فى أثناءها و المراد بالصلاة المضافة صورتها أو باعتبار ما كانت
(حتى يتوضأ) أى حقيقة أو حكما أو يتوضأ بمعنى يظهر فيشمل الغسل و الوضوء و التيمم قال المقهر
المعنى لا يقبل الله صلاة بلا وضوء الا اذا لم يجد الماء فيقوم التيمم مقامه فان لم يجد التراب أيضا
يصلى الفرض الوقتى لحرمه الوقت ثم ان مات قبل وجدان الماء و التراب لم يأثم و ان وجدها يقضى اه
و هذا عند الشافعى و أما عندنا فلا يصلى لحرمه الوقت سواء ضاق الوقت أو عدم الصعيد و هو ظاهر
الحديث و ما قيل من انه للضرورة و لقوله عليه الصلاة والسلام و اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم
مدفوع بان مضمون هذا الحديث انه لا تقبل صلاته و انه منهى عن أن يصلى بلا وضوء قيدخل تحت
قوله و اذا نهيتم عن أمر فاجتنبوه أى مطلقا و فى شرح الشمنى و المجبوس الذى لا يجد طهورا لا يصلى
عندهما و عند أبي يوسف يصلى بالأيام ثم يعيد و هو رواية عن محمد تشبها بالمصلين قضاء لحق الوقت
كما فى الصوم و لهما أنه ليس باهل للداء لمكان الحدث فلا يلزمه التشبه كالحائض و بهذه المسئلة
تبين أن الصلاة بغير الطهارة متعمدا ليس بكفر فانه لو كان كفرا لما أمر أبو يوسف به و قيل كفر
كالصلاة الى غير القبلة أو مع الثوب النجس عمدا لانه كالمستخف و الأصح انه لو صلى الى غير القبلة
أو مع الثوب النجس لا يكفر لان ذلك يجوز أداؤه بحال و لو صلى بغير طهارة متعمدا يكفر لان ذلك
يحرّم لكل حال فيكون مستخفا اه و الظاهر أنه اذا قصد به حرمة الوقت لا يكفر لان المسئلة اجتهادية
ولانه لا يصدق عليه انه مستخف بخلاف ما اذا صلى من غير طهارة عمدا لا لهذا القصد فانه يكفر
لانه مستخف بالشرع حينئذ و لو صلى بلا طهارة حياء أو رياء أو كسلا فهل يكون مستخفا أم لا محل بحث
و الأظهر فى المستحى أن لا يكون مستخفا بخلاف الآخرين و الله أعلم و أغرب ابن حجر فقال و اعادة
ضمير يتوضأ للمحدث انما هو باعتبار ما كان و لعل وجهه أن التقدير فاذا توضأ و صلى قبلت صلاته أى
صلاة المحدث باعتبار ما كان و هذا تكلف مستغنى عنه ثم حتى هنا اما غائبة أو تعليلية أو استثنائية
(متفق عليه و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل صلاة بغير طهور) هو بالضم الظاهر

ولا صدقة من غلول رواه مسلم وعن علي قال كنت رجلا مذاه فكتت أستجبي أن أسأل النبي صلى الله عليه وسلم لِمَ كان ابنته فأمرت المقداد فسأله فقال يغسل ذكره ويتوضأ متفق عليه وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توضؤا مما مست النار رواه مسلم قال الشيخ الامام الاجل محيي السنة رحمه الله هذا منسوخ بحديث ابن عباس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل كنف شاة ثم صلى ولم يتوضأ متفق عليه

وبالفتح الماء الذي يتطهر به لسختان وتقدم تحقيقهما قال ابن حجر أى لاتصح اذ نفى القبول اما بمعنى نفى الصحة كما هنا واما بمعنى نفى الثواب كما في خبر من أتى عرفا أى منجما لم تقبل صلاته أربعين صباحا (ولا صدقة) أى التي هي طهارة النفس من رذيلة البخل وقلة الرحمة (من غلول) بالضم على ما في النسخ المصححة أى مال حرام وأصل الغلول الخيانة في الغنيمة قال بعض علمائنا من تصدق بمال حرام ويرجو الثواب كفر وهم ابن حجر أو ظن أن الرواية بفتح الغين فقال أى كثير الغل أى الخيانة في الغنيمة وفيه أن البالغة غير مراد ولذا قال والمراد هنا من تصدق بما خان بان تصدق من مال حرام فلا يناب على التصديق به بل يعاقب ان علم انه حرام و ثوابه لمالكة اه و محل هذا اذا كان يعرف مالكة أو وارثه والا فهو مأثور بالتصدق به ولا يتصور أنه يؤمر بالتصدق به ولا يقبل منه (رواه مسلم) وكذا الترمذى وابن ماجه (وعن علي) رضي الله تعالى عنه (قال كنت رجلا مذاه) بالتشديد والمد أى كثير المذى بالمعجمة من أمدى وهو أرق من المني يخرج عند الملاعبة أو النظر قال ابن حجر وهو ماء رقيق أصفر يخرج عند الشهوة الضعيفة وفي حكمه الودي بالمهملة وهو ماء أبيض ثخين يخرج عقب البول أو عند حمل شئ ثقيل (فكتت أستجبي أن أسأل النبي صلى الله عليه وسلم) أى عن حكم المذى هل هو نجس موجب للغسل أم لا (لمكان ابنته) أى فاطمة رضي الله عنها لكونها تحته والمذى كثيرا ما يخرج بسبب ملاعبة الزوجة وكان في السؤال عن كثرته تعريض بشئ من أحوال بنته التي يستجبي من اظهارها لأن مثل ذلك لا يكاد يفصح به أولو الاحلام خصوصا بحضرة الاكابر العظام وعلل الحياء بذلك لئلا يرد عليه ان الاستحياء من السؤال والتعلم مذموم (فأمرت المقداد) أى التمسست منه أن يسأله عن ذلك (فسأله) أى مبهما بان قال مثلا رجل خرج من ذكره مذى ما الحكم فيه (فقال صلى الله عليه وسلم يغسل ذكره) لنجاسته قال ابن حجر أى ما مسه منه لا غير قياسا على نحو البول وقال الطيبي يتعين غسله ولا يجوز الاقتصار على الحجر لندوره وهو ظاهر الحديث وأحد قولي الشافعي اه وقال الطحاوي انما أمره بذلك ليتخلص العروق وينقطع المذى لانه لم يؤمر الانسان بغسل الذكر من البول فبالجرى ان لا يؤمر بغسله من المذى اه وقال أحمد يجب غسل جميع الذكر وقيل يجب غسل الاثنين أيضا لرواية كذا نقله ابن حجر (و يتوضأ) قيل يجتمل انهم كانوا لا يتزوهون عنه تزوههم عن البول ظنا أنه أخف منه اه وهذا لا يجدي في صرف ما اقتضاه ظاهر الخبر من وجوب غسل جميع الذكر وان لم يسه منه شئ وبه قال أحمد (متفق عليه وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توضؤا مما مست النار) أى من كل ماسته وهو الذي أثرت فيه النار كاللحم والديس وغير ذلك (رواه مسلم قال الشيخ الاجل محيي السنة رحمه الله تعالى) وفي نسخة رحمه الله عليه (هذا منسوخ) أى قول من حمل الوضوء على الشرعى الواجب وهو الظاهر المتبادر (بحديث ابن عباس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل كنف شاة ثم صلى ولم يتوضأ متفق عليه) قال بعض علمائنا الاولى ان يحمل الوضوء في الحديث المتقدم على اللغوى أو الشرعى والامر على الاستجاب قال القاضي الوضوء في أصل اللغة غسل بعض الاعضاء وتنظيفه من الوضوء بمعنى النظافة والشرع نقله الى الفعل

وعن جابر بن سمرة ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من لحوم الغنم قال ان شئت فتوضأ وان شئت فلا تتوضأ قال أنتوضأ من لحوم الابل قال نعم فتوضأ من لحوم الابل قال أصلى في مراض الغنم قال نعم قال أصلى في مبارك الابل قال لا رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد أحدكم في بطنه شيئا فاشكل عليه أخرجه منه شئى أم لا فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتا أو يجرد رجا

المخصوص وقد جاء هنا على أصله والمراد منه ومن نظائره غسل اليدين لازالة الزهومة توفيقا بينه وبين حديث ابن عباس وأمسلمة ونحوهما ومنهم من حمله على المعنى الشرعى وزعم انه منسوخ بحديث ابن عباس وانما يتقرر ذلك لوعلم تاريخهما وتقدم الاول لايقال صحبة ابن عباس متأخرة لان تأخر الصحبة لايدل على تأخر الرواية الا اذا كان صحبة المتأخر بعد وفاة المتقدم أو غيبته بخلاف ما لو اجتمعا قيل وقد صرح ابن الصلاح في كتابه بالنسخ حيث قال وما يعرف به النسخ قول الصحابي كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترك الوضوء مما مسته النار كذا ذكره الطيبى وقال ابن حجر حمل كلام الشارع على غسل اليدين بعيد وانما يحتمل على المدلولات الشرعية لانه عليه الصلاة والسلام انما بعث ليبيان الشرعيات والوجه ان النسخ انما استفيد من قول جابر كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار (وعن جابر بن سمرة) كنيته أبو عبد الله العامرى ابن أخت سعد بن أبي وقاص نزل الكوفة ومات بها سنة أربع وسبعين روى عنه جماعة (ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ) بالنون وفي نسخة بالياء مجهولا وفي نسخة صحبة أنتوضأ بالمتكلم المفرد مع الاستفهام وغيره قال الكازرونى في بعض نسخ المصاييح أيتوضأ وفي بعضها أنتوضأ والسكل غير متبع رواية مطابقة وانما الرواية أنتوضأ بهمزتين لكن حذف احدهما في بعض الروايات (من لحوم الغنم) أى من أكلها (قال ان شئت فتوضأ وان شئت فلا تتوضأ) وفي نسخة بحذف احدى التاءين (قال أنتوضأ من لحوم الابل قال نعم فتوضأ من لحوم الابل) وفيه تأكيد الوضوء من أكل لحم الابل وهو واجب عند أحمد بن حنبل قال النووي وهذا المذهب أقوى دليلا وعند غيره المراد منه غسل اليدين والفم لما في لحم الابل من رائحة كريهة ودسومة غليظة بخلاف لحم الغنم أو منسوخ بحديث جابر (قال أى الرجل (أصلى) بحذف حرف الاستفهام وفي نسخة بآياته (في مراض الغنم) جمع مراض بفتح الميم وكسر الباء وهو موضع ربوض الغنم وهو لغنم بمنزلة الاضطجاع للانسان والبروك للابل والجنوم للطير (قال نعم) فلا كراهة للصلاة فيه لانه لا نفاذ لها بحيث يشوش على المصلى الخشوع والحضور (قال أصلى في مبارك الابل) جمع مبارك بفتح الميم (قال لا) كره الصلاة في مبارك الابل لما لا يؤمن من نفاذها فيلحق المصلى ضرر من صدمة وغيرها فلا يكون له حضور قال ابن حجر والبقر كالغنم وفيه بحث ومحل الفرق حيث خلت المراض والمبارك عن النجاسة والافكرت في المراض أيضا لكن للنجاسة (رواه مسلم) ورواه ابن ماجه عن ابن عمر ولغظه توضأ من لحوم الابل ولا تتوضأ من لحوم الغنم وتوضأ من ألبان الابل ولا تتوضأ من ألبان الغنم وصلوا في مراح الغنم ولا تصلوا في معادن الابل (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد أحدكم في بطنه شيئا) أى كالفرقة بان تردد في بطنه ريج (فاشكل) أى التيس (عليه أخرج) بهمزة استفهام (منه شئى أم لا فلا يخرج من المسجد) أى للتوضأ لان المتيقن لا يظلمه الشك قيل يوهم أن حكم غير المسجد بخلاف المسجد لكن أشير به الى ان الاصل أن يصلى في المسجد لانه مكانها فعلى المؤمن ملازمة الجماعات للمسجد (حتى يسمع صوتا) أى صوت ريج يخرج منه (أو يجرد رجا)

رواه مسلم وعنه عبد الله بن عباس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب لبنا فمضمض وقال ان اء
 دسما متفق عليه وعنه بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد ومسح
 على خفيه فقال له عمر لقد صنعت اليوم شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا صنعته يا عمر

أى يجد رائحة ربح خرجت منه وهذا مجاز عن تيقن الحدث لانهما سبب العلم بذلك كذا قال بعض
 علمائنا وقال ابن حجر أى يحس بخروجه وان لم يشمه وقال في شرح السنة معناه حتى يتيقن الحدث
 لا أن سماع الصوت أو وجدان الريح شرط اذ قد يكون أصم فلا يسمع الصوت وقد يكون أخشم فلا يجد
 الريح ويتنفض طهره اذا تيقن الحدث قال الامام في الحديث دليل على ان الريح الخارجة من أحد السبيلين
 توجب الوضوء وقال أصحاب أبي حنيفة خروج الريح من القبل لا يوجب الوضوء وفيه دليل على ان
 اليقين لا يزول بالشك في شئ من أمر الشرع وهو قول عامة أهل العلم اه وتوجيه قول الحنفية انه
 نادر فلا يشمل النص كذا قيل والصحيح ما قاله ابن الهمام من ان الريح الخارج من الذكر اختلاج
 لا ربح فلا ينفض كالريح الخارجة من جراحة في البطن (رواه مسلم وعنه عبد الله بن عباس قال ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم شرب لبنا فمضمض) زاد مسلم ثم دعا بماء فمضمض أى غسل فمه ذكر الأبهري قال
 الشيخ ويستنبط منه غسل اليدين للتنظيف قال النووي اختلف العلماء في استحباب غسل اليدين قبل
 الطعام وبعده والظاهر استحبابه أولا الا ان تيقن نظافة اليدين من النجاسة والمسح واستحبابه بعد
 الفراغ الا ان لا يتي على اليد أثر الطعام بان كان يابسا أولم يمس بها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان له
 دسما) بفحنتين أى زهومة قال الطيبى جملة استثنائية لتعليل للمضمض وفيه اشعار بان التضمض
 مناسب وقيل المضمضة بالماء مستحبة عن كل ماله دسومة اذ يبقى في الفم بقية تصل الى باطنه في
 الصلاة فعلى هذا ينبغي أن يعضض من كل ما خيف منه الوصول الى الباطن طردا للعة ويؤيده
 حديث السويق اه قال ابن الملك هذا عند الشافعية وأما عندنا ففي الظهيرية لو أكل السكر أو الحلواء
 ثم شرع في الصلاة والحلاوة في فمه فدخل مع الريق لا يفسد (متفق عليه) ومناسبة هذا الحديث
 لعنوان الباب ان المضمضة المذكورة من متمات الوضوء أو مكملاته (وعنه بريدة) أى ابن أبي
 الحبيب بضم الجاء المهملة آخر من مات من الصحابة بخراسان كذا في التهذيب وقال المؤلف هو
 أسلم قبل بدر ولم يشهد بها وباع بيعة الرضوان وكان من ساكنى المدينة ثم تحول الى البصرة
 ثم خرج منها الى خراسان غازيا فمات بمرزبان يزيد بن معاوية سنة اثنتين وستين وروى عنه جماعة
 (ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات) أى الخمس المعهودة (يوم الفتح) أى يوم فتح مكة (بوضوء
 واحد ومسح) حال بتقدير قد (على خفيه) فيه دليل على ان الوضوء لكل صلاة ليس من خصوصياته
 خلافا لمن قال به مستدلا بما رواه البخارى عن عمرو بن عامر عن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم
 يتوضأ عند كل صلاة قلت كيف كنتم تصنعون قال يجزى أحدنا ما لم يحدث (فقال له عمر لقد صنعت
 اليوم شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا صنعته يا عمر) الضمير راجع الى المذكور وهو الصلوات الخمس
 بوضوء واحد والمسح على الخفين وعمدا تمييز أو حال من الفاعل فقدم اهتماما لشريعة المسئلتين
 في الدين أو اختصاصا ردا لزعم من لا يرى جواز المسح على الخفين وفيه دليل على ان من قدر أن
 يصلى صلوات كثيرة بوضوء واحد لا تكره صلاته الا أن يغلب عليه الاختيان كذا ذكره الشراح لكن
 رجح الضمير الى مجموع الجمع المذكور والمسح على الخفين يومه انه لم يكن يمسح على الخفين قبل
 الفتح والحال أنه ليس كذلك فالوجه أن يكون الضمير الى الجمع فقط تجريدا عن الحال فانه بيان

رواه مسلم و عن سويد بن النعمان انه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر حتى اذا كانوا بالصهباء وهي من أدنى خيبر صلى العصر ثم دعا بالازواد فلم يؤت الا بالسويق فأمر به فثرى فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم و أكلنا ثم قام الى المغرب فمضمض و مضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ رواه البخارى * (الفصل الثاني) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضوء الا من صوت أو ربح أو أحد و الترمذى و عن علي قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم من المذى قال من المذى الوضوء و من المعنى الغسل

للقضية الواقعة في نفس الامر و غايته انه يفيد استمرار حكم المسح الى آخر الاسلام فينتفى توهم نسخه و الله أعلم (رواه مسلم) و لعل المناسبة بين هذا الحديث و الباب انه يدل على ان كل ما أريد القيام الى الصلاة لا يجب الوضوء على ما توهم من ظاهر الآية و لذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم عدا صنعته يا عمر و قال العلماء تقدير الآية اذا أردتم القيام الى الصلاة و انتم محدثون فاعسلوا الخ و أما ما ذهب اليه ابن حجر من ان وجوب الوضوء كان لسلك فرض و ان لم يحدث ثم نسخ بهذا الحديث فيعبد من السياق و اللحاق مع انه لم يقل به أحد و يردّه أيضا حديث البخارى عن أنس على ما قدمناه (و عن سويد بصغرا (ابن النعمان) يضم النون و لم يذكر المصنف في أسماء رجاله الاسويد بن قيس و قال يكتى أبا صفوان روى عنه سماك بن حرب و عداة في الكوفيين (انه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر) أى عام غزوة خيبر و هي بلدة معروفة غير منصرف للعلمية و التأنيث كذا ذكره الأبهري (حتى اذا كانوا) أى النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه نازلين (بالصهباء) بفتح الموحدة و المد (و هي) أى الصهباء (أدنى خيبر) أى أسفلها أو أقربها و في نسخة صحيحة من أدنى خيبر أى الصهباء موضع قريب من خيبر (صلى العصر ثم دعا بالازواد) جمع الزاد (فلم يؤت الا بالسويق) و هو ما يحرس من الشعير و الحنطة و غيرها للزاد (فأمر به) أى بالسويق (فثرى) أى بل ليسهل أكله قال الطيبى أى بل من الثرى و هو التراب الندى الذى تحت التراب الظاهر يقال ثرى التراب اذا رش عليه بالماء (فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم و أكلنا ثم قام الى المغرب فمضمض و مضمضنا) فتسحب المضمضة (ثم صلى ولم يتوضأ) و ان كان مما سسته النار (رواه البخارى) قال ابن حجر و مسلم و مر ما فيه اه و قال فيما مر بعد قول المصنف رواه مسلم و عند البخارى من حديث أنس طرف منه فان كان مراده من حديث أنس ما قدمناه فليس فيه طرف منه و ان أراد بقوله و مسلم المتفق عليه من حديث ابن عباس حيث ذكر المضمضة فيه فليس هذا من اصطلاح المحدثين و ان كان غير ذلك فيحتاج الى بيان ليكون حجة على المؤلف في تقصير تتبعه * (الفصل الثاني) * (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضوء) أى واجب (الا من صوت) أى الا من سماع صوت (أو ربح) أى وجدان رائحة ربح خرج منه قال الطيبى نفى جنس أسباب التوضؤ و استثنى منه الصوت و الريح و النواقض كثيرة و لعل ذلك في صورة مخصوصة يعنى بحسب السائل فالمراد نفى جنس الشك و اثبات اليقين أى لا يتوضأ عن شك مع سبق ظن الطهارة الا يقين الصوت أو رائحة الريح (رواه أحمد و الترمذى) و قال حسن صحيح و رواه ابن ماجه أيضا نقله ميرك (و عن علي) رضى الله تعالى عنه (قال سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بواسطة المقداد كما تقدم (عن المذى) و في نسخة من المذى أى حكمه قال ميرك المذى بفتح الميم و سكون الذال و كسرهما معا هو الماء الرقيق الذى يخرج عند الملاعبة و التقبيل اه و فى القاموس المذى و المذقى كغنى و المذقى ساكنة الياء ما يخرج منك عند الملاعبة و التقبيل اه و الأصح من النسخ هو الاول و الثالث غير موجود (فقال من لمذى الوضوء) أى واجب (و من المعنى الغسل) و هذا من زيادة الافادة و نوع من جواب

رواه الترمذى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم رواه أبو داود و الترمذى و الدارمى و رواه ابن ماجه عنه و عن أبي سعيد و عن علي بن طلق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فسا أحدكم فليتوضأ و لا تأتوا النساء فى اعجازهن رواه الترمذى و أبو داود و عن معاوية بن أبي سفيان

ألسلوب الحكيم على حد أنتوضأ بماء البحر قال هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابن حجر و يجمع بين هذا وما مر أنه أمر المقداد أن يسأل له بان ذلك فى السؤال عن خصوص نفسه و كثرة امذاته و العياء من هذا الخصوص واضح فاستتاب فيه و هذا عن مطلق حكم المذى و هذا لأحياء فى السؤال و عنه قباشره بنفسه و اختلاف سياق الحديثين يدل على تعدد الواقعة اه و بعده لا يخفى (رواه الترمذى) و قال حسن صحيح و رواه ابن ماجه أيضا (و عنه) أى عن علي (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة) أى يجوز الدخول فيها (الطهور) بالضم و يفتح أى بالماء أو التراب ففانق الطهورين لا يجوز له الدخول فى حرم الصلاة على ما اقتضاه الحصر بتعريف جزأى الجملة كما هو مذهبنا و اعتذر الشافعية بان صحتها مع فقدمها للضرورة (و تحريمها التكبير) قال المظهر سمي الدخول فى الصلاة تحريما لانه يحرم الأكل و الشرب و غيرها على المصلى فلا يجوز الدخول فى الصلاة الا بالتكبير مقارنة به الآية اه و هو شرط عندنا و ركن عند الشافعى ثم المراد بالتكبير المذكور فى الحديث و فى قوله تعالى و ربك فكبر هو التعظيم و هو أعم من خصوص الله اكبر و غيره مما أفاده التعظيم و الثابت ببعض الاخبار اللفظ المخصوص فيجب العمل به حتى يكره لمن يحسن تركه كما قلنا فى القراءة مع الفاتحة و فى الركوع و السجود مع التعديل كذا فى الكافي قال ابن الهمام و هذا يفيد وجوبه ظاهرا و هو مقتضى المواظبة التى لم تقتصر بترك فينبغى أن يعول على هذا (و تحليلها التسليم) التحليل جعل الشئ المحرم حلالا و سمي التسليم به لتحليل ما كان حراما على المصلى لخروجه عن الصلاة و هو واجب قال ابن الملك و اضافة التحريم و التحليل الى الصلاة لملازمة بينهما و قال بعضهم أى سبب كون الصلاة محرمة ما ليس منها التكبير و محللة التسليم أى انها صارت بهما كذلك فهما مصدران مضافان الى الفاعل و قال الطيبى قبل شبه الشروع فى الصلاة بالدخول فى حريم الملك الكريم المحمى عن الاغيار و جعل فتح باب الحرم بالتطهير على الأذناس و جعل الالتفات الى الغير و الاشتغال به تحليلا تنبيها على التكميل بعد الكمال (رواه أبو داود و الترمذى) و قال هذا أصح شئى فى هذا الباب (و الدارمى) أى روى ثلاثتهم عن علي وحده (و رواه ابن ماجه عنه) أى عن علي (و عن أبي سعيد و عن علي بن طلق) و فى نسخة طلق بن علي و هو يفتح الطاء و سكون اللام و بالقاف ابن المنذر قال البرقي و بعض الناس يرى انه طلق بن علي كذا فى التقيح و قال المصنف هو علي بن طلق الحنفى اليمامى رواه عنه مسلم بن سلام و هو من أهل اليمامة و حديثه فيهم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فسا أحدكم) أى خرج الريح التى لاصوت له من أسفل الانسان (فليتوضأ و لا تأتوا النساء) أى لاتجامعهن (فى أعجازهن) أى أدبارهن (رواه الترمذى و أبو داود) و قال الترمذى حديث حسن و فى الباب عن عمر و ابن عباس و أبي هريرة و سمعت محمدا يقول لا أعرف لعلى بن طلق غير هذا الحديث و لا أعرف هذا من حديث طلق ابن علي السجى كانه رأى ان هذا رجل آخر من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نقله ميرك قال ابن حجر و خير فليبن على صلته ضعيف اتفاقا و فيه انه لا دخل فى هذا المقام لهذا العرام (و عن معاوية ابن أبي سفيان) و هما صحابيان و قد سبق ذكر معاوية و ترجمته و أما أبو سفيان بن صخر بن حرب

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما العيان وكاء السه فاذا نامت العين استطلق الوكاه رواه الدارمي و عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاء السه العيان فن نام فليتوضأ رواه أبو داود و قال الشيخ الامام محيي السنة رحمه الله هذا في غير القاعد لما صح عن أنس قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون و لا يتوضؤون رواه أبو داود و الترمذى الا أنه ذكر فيه ينامون بدل ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤسهم

الاموى القرشى ولد قبل الفيل بعشر سنين و كان من اشراف قريش في الجاهلية و كان اليه راية الرؤساء في قريش أسلم يوم فتح مكة و كان من المؤلفات قلوبهم و شهد حنيناً و أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائها مائة و أربعين أوقية فيمن أعطاه من المؤلفات قلوبهم و فتحت عينه يوم الطائف فلم يزل أعور الى يوم اليرموك فأصاب عينه حجر فعصيت روى عنه عبدالله بن عباس مات سنة أربع و ثلاثين بالمدينة و دفن بالبقيع (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما العيان) أى القظة فهما كناية عنها (وكاء السه) الاست أو حلقة الدبر و قيل معناه الدبر و أصله سته فحذف التاء و لذا يجع على الاستاء و يصغر على ستيهية (فاذا نامت العين) أى جنسها (استطلق الوكاه) أى انحل قال الطيبى العيان كالوكاه لسه شبه عين الانسان و جوفه و دبره بقربة لها قم مشدود بالخيط و شبه ما يطلقه بالغفلة عند النوم بحل ذلك الخيط من قم القربة و فيه تصوير لقبح صدور هذه الغفلة قال الفاضى المعنى ان الانسان اذا يقظ أسك ما في بطنه فاذا نام زال اختياره و استرخت مفاصله فلعل يخرج منه ما يتقض طهره و ذلك اشارة الى أن نقض الطهارة بالنوم و سائر ما يزيل العقل ليس لانفسها بل لانها مظنة خروج ما يتقض به الطهر و لذا خص نوم مسكن المقعد من الارض (رواه الدارمي) قال ابن حجر فيه ضعيف و قال ميرك ليس حديث معاوية هذا في المصاييح في هذا الباب و لعله أوردته في باب آخر (و عن على) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاء السه العيان فمن نام فليتوضأ رواه أبو داود) و قال ابن حجر و ابن ماجه و في سنده ضعيف و قال ميرك في اسناده الوضين بن عطاء و بقة بن الوليد و فيهما مقال (قال) و في نسخة و قال (الشيخ الامام محيي السنة رحمه الله تعالى) و في نسخة رحمه الله تعالى عليه (هذا) أى هذا الحكم (في غير القاعد) أى من النائمين يعنى هذا فيمن نام مضطجعا فأما من نام قاعدا ممكنا مقعده من الارض ثم استيقظ و مقعده ممكن كما كان فلا يبطل وضوءه و ان طال نومه (لما صح عن أنس قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء) أى صلاتها الجماعة فينامون أى جالسين كما يدل عليه قوله (حتى تخفق) بفتح التاء و كسر الفاء أى تتحرك و تضطرب (رؤسهم) من النوم قال الطيبى الخفقة النعسة الخفيفة و معنى تخفق رؤسهم تسقط أذقانهم على صدورهم و قيل هو من الخفوق و هو الاضطراب (ثم يصلون) أى بذلك الوضوء (ولا يتوضؤون) أى وضواً جديداً (رواه أبو داود و الترمذى الا أنه) أى الترمذى (ذكر فيه) أى في حديثه (ينامون) أى قاعدين (بدل ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤسهم) أى بدل مجموع قوله ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤسهم كما هو الظاهر لا بدل ينتظرون العشاء فقط كما توهمه بعض الطبابة لما في تخريج المصاييح لابي اسحق السلمى الشافعى نقلنا عن المنذرى انه أخرج مسلم عن أنس قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون و لا يتوضؤون فهذا يؤيد ان المراد ينامون بدل مجموع قوله ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤسهم و أما رواية الترمذى فهي موافقة لرواية مسلم و كان المصنف ذهل عن رواية مسلم

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الوضوء على من نام مضطجعا فانه اذا اضطجع استترخت مفاصله رواه الترمذى وأبو داود و عن بسرة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ رواه مالك وأحمد وأبو داود و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و الدارمى و عن طلق بن على قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مس الرجل ذكره بعد ما يتوضأ قال وهل هو الا بضعة منه رواه أبو داود و الترمذى و النسائى و روى ابن ماجه نحوه و قال الشيخ الامام محمى السنة هذا منسوخ لان أبا هريرة أسلم بعد قدوم طلق

حيث لم يتعرض لها كذا حقه ميرك شاه رحمه الله تعالى (و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الوضوء) أى وجوبه (على من نام مضطجعا فانه اذا اضطجع استترخت) أى قترت وضعت (مفاصله) جمع مفصل وهو رأس العظام و العروق فلا يخلو حينئذ عن خروج شئ عادة و الثابت عادة كالتيقن (رواه الترمذى و أبو داود) و قال حديث منكر و رجح الترمذى وقفه على ابن عباس ذكره ابن حجر و قال ميرك هذا حديث منكر لم يروه الا يزيد الدالانى عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس قال المنذرى و ذكر أبو داود ما يدل على ان قتادة لم يسمع هذا الحديث من أبي العالية فيكون منقطعاً و ذكر ابن حبان ان يزيد الدالانى كان كثير الخطأ فاحش الوهم مخالف الثقات (و عن بسرة) يضم الموحدة و سكون المهمله بنت صفوان صحابية كذا فى التقريب و قال المصنف هى بسرة بنت صفوان بن نوفل القرشية الاسدية و هى بنت أخى ورقة بن نوفل (قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مس أحدكم ذكره) قال ابن حجر و ذكر غيره كذكره لرواية من مس ذكرها (فليتوضأ) هذا الحديث حجة للشافعى فى انتقاص الوضوء بمس الذكر ولكنه مقيد بما اذا كان بالكف بلا حجاب قال ابن حجر أى يباطن الكف كما اقتضته رواية اذا أفضى أحدكم يده الى فرجه و الانضاء المس يباطن الكف وهو الراحة و الاصابع اه لكن الانضاء بالمعنى المذكور غير معروف فى كتب اللغة بل المشهور معناه مطلق الايصال قال تعالى و قد أفضى بعضكم الى بعض ثم حمل الطحاوى الوضوء على غسل اليد استحباباً (رواه مالك و أحمد و أبو داود و الترمذى) و قال هذا حديث حسن صحيح قال وقال يهد بن اسمعيل البخارى أصح شئ فى هذا الباب حديث بسرة ذكره ميرك (و النسائى و ابن ماجه و الدارمى و عن طلق بن على) يكنى أبا على الحنفى اليماني و يقال له أيضاً طلق بن ثمامة روى عنه ابن قيس (قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مس الرجل ذكره بعد ما يتوضأ قال وهل هو الا بضعة) بفتح الباء أى قطعة لحم (منه) أى من الرجل و فى نسخة منك أى فهو كمن بقية أعضائه فلا تنقض به نقل الطحاوى عن على قال ما أبالى انفى مسست أو أذنى أو ذكرى و عن عبد الله بن مسعود ما أبالى ذكرى مسست فى الصلاة أو أذنى أو أنفى و عن كثير من الصحابة نحوه و عن سعد لما سئل عن مس الذكر فقال ان كان شئ منك نجسا فاططعه و لا بأس به و عن الحسن انه كان يكره مس الفرج فان فعل لم يبر عليه وضواً (رواه أبو داود و الترمذى و النسائى) أى بهذا اللفظ (و روى ابن ماجه نحوه) أى بالمعنى قال ابن الهمام الحق ان كلام الحديثين لا ينزل عن درجة الحسن لكن يترجح حديث طلق بأن حديث الرجال أقوى لانهم أحفظ للعلم و أضيظ و لذا جعل شهادة امرأتين بشهادة رجل اه و أطال الطحاوى فى تضعيف حديث بسرة و أبي هريرة و الله أعلم (قال الشيخ) و فى نسخة بالواو (محمى السنة رحمه الله هذا) أى ما رواه طلق (منسوخ لان أبا هريرة أسلم بعد قدوم طلق) أى من اليمن قال الطيبى و ذلك ان طلقا قدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و هو يبنى مسجد المدينة

و قد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أنضى أحدكم يده إلى ذكره ليس بينه وبينها شئ فليتوضأ ورواه الشافعي والدارقطني ورواه النسائي عن بسرة إلا أنه لم يذكر ليس بينه وبينها شئ وعن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل بعض أزواجه ثم يصلي ولا يتوضأ ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي لا يصح عند أصحابنا بحال

و ذلك في السنة الأولى من الهجرة و أسلم أبو هريرة عام خيبر في السنة السابعة (و قد روى أبو هريرة) و في نسخة عن أبي هريرة (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أنضى) أى أوصل (أحدكم يده) أى يكفه و الباء للتعدية (الذي ذكره ليس بينه وبينها) أى بين ذكره و بين يده (شئ) أى مانع من الثياب و غيره (فليتوضأ) قال الحافظ عبد الحق هذا حديث صحيح ذكره ميرك (رواه الشافعي والدارقطني) أى بهذا اللفظ و رواه أحمد بمعناه و ابن حبان أيضاً كلهم عن أبي هريرة (و رواه النسائي عن بسرة إلا أنه) أى النسائي (لم يذكر ليس بينه وبينها شئ) اعترض الشيخ التوربشتي رحمه الله على الشيخ محيي السنة رحمه الله بأن ادعاء النسخ فيه مبنى على الاحتمال و هو خارج عن الاحتياط إلا إذا أثبت هذا القائل ان طلقاً توفي قبل اسلام أبي هريرة أو رجع إلى أرضه و لم يتبق له صفة بعد ذلك و ما يدري هذا القائل إن طلقاً سمع هذا الحديث بعد اسلام أبي هريرة و ذكر الخطابي في المعالم ان أحمد بن حنبل كان يرى الوضوء من مس الذكر و كان ابن معين يرى خلاف ذلك و في ذلك دليل ظاهر على أن لا سبيل إلى معرفة النسخ و المنسوخ لهما كذا نقله الطيبي و نقل بعض عن الخطابي أنه قال ان أحمد بن حنبل و ابن معين مع بعد شأوبهما و جلالة قدرهما في معرفة الحديث و رجالة تذاكرا و تكلموا في الأخبار التي رويت في هذا الباب و كان عاقبة أمرهما ان اتفقا على سقوط الاحتجاج بحديث طلق و بسرة أى لانهما تعارضاً فتساقطا و هذا دليل ظاهر على أن لا سبيل إلى معرفة النسخ و المنسوخ منهما اه قال الطيبي فاذن الأخذ بالأحوط أولى و تبعه ابن حجر لكن فيه انه ان كان المراد بالأخذ العمل فلا مناقشة فيه و أما ان كان المراد منه الحكم بالنقض فلانسلم انه الاحوط و قال المظهر على تقدير تعارضهما نعود إلى قول الصحابة قال علي و ابن مسعود و أبو الدرداء و حذيفة و عمار رضى الله تعالى عنهم ان المس لا يبطل و به أخذ أبو حنيفة و قال عمر و ابنه و ابن عباس و سعد بن أبي وقاص و أبو هريرة و عائشة رضى الله تعالى عنهم بالبطلان و به أخذ الشافعي قلت فتعارض أقوال الصحابة أيضاً فتساقطت و الاصل عدم النقص مع أن قول بعضهم بالبطلان قابل للعمل على الاحوط في العمل فلا يكون دليلاً مع الاحتمال و الله أعلم بحال ثم الصحيح من مذهب مالك و رواية عن أحمد انه ان مسه بشهوة انتقض و الا فلا (و عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل بعض أزواجه ثم يصلي و لا يتوضأ و رواه أبو داود و الترمذي و النسائي و ابن ماجه) قال ابن الهمام و روى البزار باسناد حسن و قال الخطابي يحتج به من يذهب إلى أن الملامسة المذكورة في الآية معناها الجماع دون المس بسائر البدن إلا أن أبا داود ضعفه و قال هو منقطع لأن إبراهيم التيمي لم يسمع من عائشة رضى الله عنها و المرسل أنواع فالمرسل المطلق هو أن يقول التابعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و منه قسم يسمى بالمنقطع و هو غير الأول و منه قسم يسمى بالمعطل و هو أن يكون بين المرسل و رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من رجل و قال المظهر اختلف العلماء في المسئلة فقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى المس لا يبطل بدليل هذا الحديث و قال الشافعي و أحمد يبطل بلمس الاجنبيات و عند مالك يبطل بالشهوة و الا فلا (و قال الترمذي لا يصح عند أصحابنا) أى من أهل الحديث أو من الشافعية (بحال) أى من أحوال

اسناد عروة عن عائشة و أيضا اسناد ابراهيم التيمي عنها و قال أبو داود هذا مرسل و ابراهيم التيمي لم يسمع عن عائشة و عن ابن عباس قال أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتفا ثم مسح يده بمسح كان تحته ثم قام فصيل رواه أبو داود و ابن ماجه و عن أم سلمة رضی الله عنها انها قالت قربت الى النبي صلى الله عليه وسلم جنباً مشوياً فاكل منه ثم قام الى الصلاة و لم يتوضأ رواه أحمد

الطريق (اسناد عروة عن عائشة) قال الطبيب اعلم أن في الصحيحين سماع عروة عن عائشة أكثر من أن يحصى فانه كان تلميذها (و أيضا) أى لا يصح (اسناد ابراهيم التيمي عنها) أى عن عائشة (و قال أبو داود هذا مرسل) أى نوع مرسل و هو المنقطع لكن المرسل حجة عندنا و عند الجمهور (و ابراهيم التيمي لم يسمع عن عائشة) و في نسخة من عائشة قال السيد جمال الدين المحدث هذا كلام لا يصح بحال لانه وقع في الصحيحين كثيراً ما يدل على صحة سماع عروة عن عائشة و سماع عروة عن عائشة مما لا مجال عند علماء أسماء الرجال للمناقشة فيه و يبعد عن الترمذى أن يقول هذا القول مع أن كتابه ملغوه مما يدل على صحة سماع عروة عن عائشة و العجب من المصنف أن يعزو هذا القول اليه فانه ليس في كتابه كذلك بعد ايراده الحديث و انما في كتابه ترك أصحابنا حديث عائشة في هذا لانه لا يصح عندهم الاسناد بحال و سمعت أبا بكر العطار البصرى يذكر عن علي بن المدينى أنه قال ضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث و سمعت يهد بن اسمعيل البخارى يضعف هذا الحديث و قال يعنى البخارى حبيب بن أبى ثابت يعنى راوى هذا الحديث عن عروة لم يسمع من عروة و قد روى عن ابراهيم التيمي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قبلها و لم يتوضأ و هذا أيضا لا يصح و لانعرف لابراهيم التيمي سماعا عن عائشة و ليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شئ اه فتوهم المصنف أن المراد من قوله لا يصح عندهم بحال الاسناد اسناد عروة عن عائشة و منشأ هذا الوهم أن الترمذى علل الطريق الثانى لهذا الحديث و هو طريق التيمي عن عائشة بعدم صحة سماعه عنها بقوله و هذا لا يصح أيضا و لانعرف لابراهيم التيمي سماعا عن عائشة ففهم المصنف منه أن تضعيف الطريق الأولى أيضا معلل بعدم سماع عروة عن عائشة و غفل عن نقله عن البخارى فانه يعلم منه أنه معلل بعدم سماع ابن أبى ثابت عن عروة لاسماع عروة عن عائشة رضی الله تعالى عنها و الله الموفق و قال نجله السعيد ميرك شاه رحمه الله تعالى و ما ادعى بعض محدثى زماننا أن عروة هذا ليس عروة بن الزبير و انما هو عروة المزنى ليس بشئ لان البيهقى صرح بانه عروة بن الزبير و يشعر به كلام البخارى أيضا اه و قال ابن حجر عروة المذكور هنا ان كان هو المزنى كما قاله بعض الحفاظ فهو لم يدرك عائشة و ان كان هو ابن الزبير و هو ابن أختها أسماء و هو ما يدل عليه كلام الترمذى فنقل الترمذى عن البخارى أنه ضعف هذا الحديث لكون حبيب بن أبى ثابت رواه عن عروة و هو لم يدركه فيكون منقطعاً (و عن ابن عباس قال أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتفا) بفتح الكاف و كسر التاء كذا ضبطه ابن الملك و في القاموس الكفف كفرح و مثل و جبل و المعنى لحم كتف شاة مشوى (ثم مسح يده بمسح) بكسر الهميم أى كساء (كان تحته) أى تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم قام فصلى) أى ولم يتوضأ قال الطبيب و فيه دليل على أن أكل ما مسته النار لا يبطل الوضوء (رواه أبو داود) قال ميرك و سكت عليه هو و البيهقى (و ابن ماجه) أى و رواه ابن ماجه أيضا و قال ابن حجر و صححه ابن حبان و أصله في الصحيح كما مر و فيه أنه لا كراهة في عدم غسل اليد من الطعام لكن بشرط أن يزال ما فيها من أثره بالمسح (و عن أم سلمة أنها قالت قربت) أى جعلت قريبا (الى النبي صلى الله عليه وسلم

* (الفصل الثالث) * عن أبي رافع قال أشهد لقد كنت أشوى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطن الشاة ثم صلى ولم يتوضأ رواه مسلم وعنه قال أهديت له شاة فجعلها في القدر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا أبا رافع فقال شاة أهديت لنا يا رسول الله فطيبختها في القدر قال ناولني الذراع يا أبا رافع فتناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع الآخر فتناولته الذراع الآخر ثم قال ناولني الذراع الآخر فقال له يا رسول الله انما للشاة ذراعان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انك لو سكت لناولتني ذراعاً فذراعاً ما سكت ثم دعا بماء فتمضمض فاه وغسل أطراف أصابعه ثم قام فصلى ثم عاد اليهم فوجد عندهم لحماً بارداً فأكل

(جنباً) أى ضلماً (مشوياً فأكل منه ثم قام الى الصلاة ولم يتوضأ) أى لاشرعياً ولانغوياً لبيان الجواز (رواه أحمد) قال ابن حجر وسنده حسن

* (الفصل الثالث) * (عن أبي رافع) مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال أشهد) أى أقسم بالله (لقد كنت أشوى) لما كان في أشهد معنى القسم دخل اللام في قد جواباً له وانما ضمن الشهادة معنى القسم لان الشهادة اخبار عن مواطاة القلب اللسان واعتقاد ثبوت المدعى وفيه دلالة على اثبات هذه الدعوى في الخلاف فيما بين الصحابة (لرسول الله) أى لآله (صلى الله عليه وسلم بطن الشاة) يعنى الكبد والطحال وما معها من القلب وغيرهما (ثم صلى) أى فأكل ثم صلى وكان القياس ثم يصلى لكن أتى به ماضياً لان قوله كنت أشوى ماض في المعنى لانه حكاية لنسورة الحال الماضية (ولم يتوضأ رواه مسلم وعنه) أى عن أبي رافع (قال أهديت له) أى لأبي رافع (شاة) يرفعها على بناء الفاعل قيل فيه التفات والظاهر أنه نقل بالمعنى (فجعلها في القدر) أى للطبخ (فدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما هذا) أى أى شئى هذا الذى في القدر (يا أبا رافع) يقرأ بالهمزة ولان كتب (فقال شاة أهديت لنا يا رسول الله فطيبختها في القدر فقال ناولني الذراع) يفتح الياء وتسكن (يا أبا رافع فتناولته الذراع) في القاموس الذراع بالكسر من طرف المرقق الى طرف الاصبع الوسطى والساعد وقد يذكر فيها (ثم قال ناولني الذراع الآخر فتناولته الذراع الآخر ثم قال ناولني الذراع الآخر) لمحبه الذراع تقوية للبدن على عبادة مولاه ولاستغراء في الغمور مع الله تعالى حيث لم يخطر بباله سواه (فقال) أى أبو رافع على سبيل الالتفات أو التقدير فقال قائل (يا رسول الله انما للشاة ذراعان) وفي رواية الترمذى وكم للشاة من ذراع والظاهر أن هذا استفهام استبعاد لا انكار لانه لا يليق بهذا المقام (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما) بالتخفيف للتنبية (انك) بالكسر (لو سكت) أى عما كنت لى وامثلت أدبى (لناولتني ذراعاً فذراعاً ما سكت) أى ما سكت أنت وطلبت أنا قال الطيبى الفاء في ذراعاً للتعاقب كما في قوله الامثل فالامثل وما في ما سكت للمدة والمعنى ناولتني ذراعاً غب ذراع الى ما لانهاية له ما دمت ساكتاً فلما نظمت انقطعت اه وفي رواية الترمذى ما دعوت أى ما طلبت من الدعوة بالفتح والمعنى مدة دوام طليه لان الله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء وكان يخلق فيها ذراعاً بعد ذراعاً معجزة وكرامة له عليه الصلاة والسلام وانما منع كلامه من ذلك قيل لانه شغل النبي صلى الله عليه وسلم عن التوجه الى ربه بالتوجه اليه أو الى جواب سؤاله والله أعلم (ثم دعا بماء فتمضمض فاه) أى حرك ماء فمه وفي نسخة فتمضمض في القاموس المضمضة تحريك الماء في الفم وتمضمض للوضوء مضمض (وغسل أطراف أصابعه) أى محل الدوسمة والتلوث على قدر الحاجة لاعلى قصد التكبير (ثم قام فصلى ثم عاد اليهم) أى الى أبي رافع وأهل بيته (فوجد عندهم لحماً بارداً فأكل) لانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب اللحم وما كان تجده دائماً ففي الترمذى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما كانت الذراع

ثم دخل المسجد فصلى ولم يمس ماء رواه أحمد ورواه الدارمي عن أبي عبيد الا أنه لم يذكر ثم دعا بماء الى آخره وعن أنس بن مالك قال كنت أنا و أبي و أبو طلحة جلوسا فاكلنا لحما و خبزاً ثم دعوت بوضوء فقالا لم يتوضأ فقلت لهذا الطعام الذي اكلنا فقالا أتوضأ من الطيبات لم يتوضأ منه من هو خير منك رواه أحمد و عن ابن عمر كان يقول قبله الرجل امرأته و جسيهايده من الملاسة و من قبل امرأته أو جسيهايده فعليه الوضوء رواه مالك و الشافعي و عن ابن مسعود قال كان يقول من قبله الرجل امرأته الوضوء رواه مالك و عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال ان القبلة من اللبس فتوضأ منها

أحب اللحم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و لكنه كان لا يجد اللحم الاغبا أى وقتنا دون وقت وكان يعجل اليها أى الذراع لانها أعجلها أى اللحوم لضججا أى طبخا (ثم دخل المسجد) أى بعد فراغ المعاش توجه الى السعي في المعاد (فصلى) أى شكر الله (ولم يمس ماء) أى للوضوء ولانفسل الفم قبل الصلاة (رواه أحمد) أى عن أبي رافع (و رواه الدارمي عن أبي عبيد) وكذا رواه الترمذى عنه و هو مولى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم و صحابي ولم يذكره المصنف في أسائه (الا أنه) أى الدارمي (لم يذكر ثم دعا بماء الى آخره و عن أنس بن مالك قال كنت أنا و أبي) أى ابن كعب (و أبو طلحة) قال المصنف هو أبو طلحة زيد بن سهل الانصاري النجاري و هو مشهور بكنيته و هو زوج أم أنس ابن مالك و كان من الرماة المذكورين قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصوت أبي طلحة في العجش خير من فئة مائة سنة احدى و ثلاثين و هو ابن سبع و سبعين سنة و أهل البصرة يرون انه ركب البحر و مات و دفن في جزيرة بعد تسعة أيام شهد العقبة مع السبعين ثم شهد بدر و ما بعدها من المشاهد روى عنه نفر من الصحابة (جلوسا) أى جالسين (فأكلنا لحما و خبزاً) الواو لمطلق الجمع (ثم دعوت بوضوء) يفتح الواو أى طلبت ماء الوضوء (فقالا) أى أبي و أبو طلحة (لم يتوضأ فقلت لهذا الطعام الذي اكلنا) يعنى اللحم و الخبز فانهما بما مستهما النار (فقالا أتوضأ من الطيبات) فيه أن نقض الوضوء انما يكون بجيبث ينافيه كالخارج من السبيلين و هو معقول المعنى و في معناه خروج الدم و القيح و التئ عتدنا و غيره الحق به و ان لم يكن معقول المعنى كالنوم و الاغماء و الجنون و السكر لانه مظنة لخروج الخبيث ولذا قلنا نقض الوضوء بالتحققة في الصلاة على خلاف القياس فيقتصر على المورد (لم يتوضأ منه) أى من مثل هذا الطعام (من هو خير منك) أى النبي صلى الله عليه وسلم و الحاصل أن الموجب متى عقلا و نقلا (رواه أحمد و عن ابن عمر) رضی الله عنه (كان يقول قبله الرجل امرأته) نصب على المفعولية (و جسيها) بالجيم و تشديد السين أى مسها (بيده من الملاسة) أى المذكورة في قوله تعالى أولاستم النساء (و من قبل امرأته أو جسيهايده) فقد لاس و من لاس (فاعليه الوضوء) قال الطبيي تقريع على ما أصله من قبل أى اذا كان التقبيل و الجس من الملاسة فيلزم أن يتوضأ من قبل أوجس و الترتيب مفوض الى ذهن السامع قال ابن حجر و بما تقر علم ان الاحق هنا الفاء للواو في ومن قبل لكنها تركت اتكالا على ذهن السامع و ادراكه الترتيب بادنى التفات اليه (رواه مالك و الشافعي و عن ابن مسعود) رضی الله عنه (كان يقول من قبله الرجل امرأته) بالنصب على أنه مفعول قبله لانها اسم مصدر (الوضوء) مبتدأ مؤخر قال الطبيي أى يجب منها الوضوء و في تقديم الخبر على المبتدأ المعرف اشعار بالخلاف ورد على من يقول ليس حكم التقبيل و الجس حكم سائر التواضف فرد و قيل ليس حكمه الا كحكمها فيكون من قصر القلب (رواه مالك و عن ابن عمر) رضی الله عنه (أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال ان القبلة من اللبس) أى المذكور في الآية (فتوضأ منها) هذه

وعن عمر بن عبدالعزيز عن تميم الدارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء من كل دم
سائل رواهما الدار قطنى

الاحاديث كلها موقوفة على بعض الصحابة بمن قال بنقض اللبس وليست في حكم العرفوع اذ للرأى فيه
مجال مع احتمال أن يحمله قوله على الاستجاب للاحتياط وللمجتهد أن يختار من أقوال الصحابة ما شاء
لاسيما وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم عدم النقص باللبس كما تقدم عن عائشة والاصل عدم
التخصيص مع أن الشافعى لا يرى تقليد المجتهد للصحابي (وعن عمر بن عبدالعزيز) هو عمر بن عبدالعزيز
ابن مروان بن الحكم يكنى أبا حفص الاموى القرشى أمه أم عاصم بنت عمر بن الخطاب واسمها ليلي
وروى عن أبي بكر بن عبدالرحمن وروى عنه الزهرى وأبو بكر بن حزم ولى الخلافة بعد سليمان
ابن عبدالملك سنة تسع وتسعين ومات سنة احدى ومائة في رجب بديرسمعان من أرض
حمص وكانت مدة ولايته سنتين وخمسة أشهر وأياما وله من العمر أربعون سنة وقيل لم يستكملها
وكان على صفة من الزهد والعبادة والتقى والعفة وحسن السيرة لاسيما أيام ولايته قيل لما أنقضت
اليه الخلافة سمع من منزله بكاء عال فسئل عن ذلك فقالوا ان عمر خير جواريه فقال نزل بي ما شغلنى
عنكم فمن أحب أن أعنته أعنته ومن أحب أن أسكته أسكته ولم يكن لى اليها شئى وسأل عقبة
ابن نافع زوجته فاطمة بنت عبدالملك فقال ألا تخبرينى عن عمر فقالت لا أعلم انه اغتسل من جنابة
ولا من احتلام منذ استخلفه الله تعالى حتى قبضه وقالت قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة
وصياما من عمر ولكن لم أر من الناس أحدا قط أشد خوفا من ربه منه كان اذا دخل البيت أتى نفسه
في مسجده فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه ثم يستيقظ ويفعل مثل ذلك ليله أجمع ومناقبه
كثيرة ظاهرة (عن تميم الدارى) نسبة الى الجد فان الدار اسم واحد من أجداده وهو أبو رقية مصغرا
تميم بن خارجه صحابي كان يختم القرآن في ركعة وربما ردد الآية الواحدة في الليل كله لزم العبادة
وسكن الشام ومات بها كذا في الانساب للسمعاني قال المصنف هو تميم بن أوس الدارى أسلم سنة
تسع قال يحد بن المنكر ان تميما الدارى نام ليلة لم يقيم يتشهد فيها فقام سنة لم ينام فيها عقوبة للذى
صنع سكن المدينة ثم انتقل منها الى الشام بعد قتل عثمان وأقام بها الى أن مات وهو أول من أخرج
السراج في المسجد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قصة الدجال والجاسسة وروى عنه أيضا جماعة
(قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء من كل دم سائل) أى الى ما يجب تطهيره كما هو مذهب
أبي حنيفة (رواهما) أى الحديثين السابقين (الدار قطنى) وروى الحديث الثانى ابن عدى في كمله عن
زيد بن ثابت كذا ذكره الشئبى يعنى من طريق أخرى وقال ابن عدى لانه لم يأت من طريق أحمد
ابن فروخ وهو ممن لا يحتج بحديثه ولكنه يكتب فان الناس مع ضعفه قد احتملوا حديثه اه لكن قال
ابن أبي حاتم في كتاب العلل قد كتبنا عنه ومحملة عندنا الصديق قال ابن الهمام وقد تظافر معه حديث
البخارى عن عائشة جاءت فاطمة بنت أبي حبيش اليه عليه الصلاة والسلام وقالت يا رسول الله انى امرأة
استحاض فلا تطهر افادع الصلاة قال لا انما ذلك عرق وليست بالحيضة فاذا أتت الحيضة فدعى
الصلاة فاذا أدبرت فاعسلى عنك الدم قال هشام بن عروة قال أبى ثم توضئى لكل صلاة حتى يمضى
ذلك الوقت أى وقت الحيض واعترض بأنه من كلام عروة ودفع بأنه خلاف الظاهر وقد رواه الترمذى
كذلك ولم يحمله على ذلك ولفظه وتوضئى لكل صلاة حتى يمضى ذلك الوقت وصححه وما
رواه الدار قطنى من أنه صلى الله عليه وسلم احتجم وصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل مجامحه فضعيف اه

وقال عمر بن عبدالعزيز لم يسمع من تميم الدارى ولا رآه ويزيد بن خالد ويزيد بن محمد مجهولان * (باب آداب الخلاء) * * (الفصل الاول) * عن أبي أيوب الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا متفق عليه قال الشيخ الامام محيى السنة رحمه الله هذا الحديث فى الصحراء

كلام المحقق ابن الهمام فى شرح الهداية والله أعلم (وقال) أى الدار قطنى (عمر بن عبدالعزيز لم يسمع) أى بلا واسطة (من تميم الدارى ولا رآه) فى شرح الهداية لخواجه عصام الدين أما كون الحديث مرسلًا فليس بطعن عندنا لانا نقبل المراسيل ذكره الابهرى وفى شرح الهداية لابن الهمام والمراسيل عندنا وعند جمهور العلماء حجة (ويزيد بن خالد ويزيد بن محمد مجهولان) قال ميرك أى الراويان عن عمر بن عبدالعزيز قال السمعاني هما ضعيفان مجهولان وقال ابن الهمام رواه الدار قطنى من طريق ضعيفة اه و تقدم أن له طريقًا آخر رواه ابن عدى فى كامله ومع ذلك اعتماد المذهب ليس على هذا الحديث بل على حديث البخارى عن عائشة كما سبق

* (باب آداب الخلاء) *

الآداب استعمال ما يحمد قولًا و فعلًا و الخلاء بالمد كل موضع يقضى الانسان فيه حاجته سمي بذلك لان الانسان يخلو فيه

* (الفصل الاول عن أبي أيوب الانصارى) * شهد العقبة وما بعدها من المشاهد ونزل عليه النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مهاجرًا وأقام عنده شهرًا توفى بالروم غازيا وقبره بالقسطنطينية كذا فى التهذيب قال المصنف هو خالد بن زيد الانصارى الخزرجى وكان مع على بن أبى طالب فى حروبه كلها ومات بالقسطنطينية سنة احدى وخمسين وكان ذلك مع يزيد بن معاوية لما غزا أبوه القسطنطينية خرج معه فمرض فلما ثقل قال لاصحابه اذا أنامت فاحملوني فاذا صادفتم العدو فادفونى تحت أقدامكم ففعلوا ودفنوه قريبا من سورها وقبره معروف الى اليوم يستشفون به فشفون روى عنه جماعة والقسطنطينية هو بضم القاف وسكون السين وضم الطاء الاولى وكسر الثانية وبعدها ياء ساكنة وقال النووى هكذا ضبطناه وهو المشهور ونقل القاضى عياض المغربى فى المشارق عن الاكثريين زيادة ياء مشددة بعد النون (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتيتم الغائط) أى جئتم وحضرتم موضع قضاء الحاجة قال الطبيى الغائط فى الاصل المطمئن من الارض ومنه قيل لموضع قضاء الحاجة لان العادة أن يقضى فى المنخفض لانه أستر له ثم اتسع حتى أطلق على النجو نفسه أى الخارج تسمية للحال باسم محله (فلا تستقبلوا القبلة) أى جهة الكعبة تعظيما لها (ولا تستدبروها) تكريما لها قال ابن حجر فكل منهما حال قضاء الحاجة والعبرة بالصدر حرام فى الصحراء والبنيان لا يستثنى من ذلك الا المحل المهيأ لقضاء الحاجة فى البنيان والصحراء فلا حرمه فيه مطلقا لحديث ابن عمر الاق لکن ان أمكنه الميل عن القبلة بلا مشقة كان الميل عنها أفضل (ولکن شرقوا أو غربوا) أى توجهوا الى جهة الشرق أو الغرب قال فى شرح السنة هذا خطاب لاهل المدينة ولمن كانت قبلته على ذلك سمت فاما من كانت قبلته الى جهة الغرب أو الشرق فانه ينحرف الى الجنوب أو الشمال (متفق عليه) وفى الجامع الصغير اذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا أو غربوا رواه أحمد والشيخان و الاربعة عن أبي أيوب (قال الشيخ الامام محيى السنة رحمه الله هذا الحديث) أى حكمه (فى الصحراء) أى عند الشافعية قال ابن حجر وكذا البنيان غير الخلاء قال الطبيى ذكر

وأما في البنيان فلا بأس لما روى عن عبد الله بن عمر قال ارتقت فوق بيت حفصة لبعض حاجتي قرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام متفق عليه وعن سلمان رضي الله عنه قال نهانا يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار

الشافعي وجماعة أن الصحراء لا تخلو من مصل من ملك أو انس أو جن فاذا قعد مستقبل القبلة أو مستدبرها ربما يقع نظر مصل على عورته وأما الابنية فليس فيها ذلك لأن الحشوش لا تحضره الا الشياطين (و أما في البنيان) قال ابن حجر يعني الخلاء ليطلق الحديث الذي استدل به (فلا بأس) قال المظهر هذا مذهب الشافعي وعند أبي حنيفة يستوى الصحراء والبنيان في حرمة الاستقبال والاستدبار قال ابن الملك لاستواء العلة فيهما وهو احترام القبلة (لما روى) وكان الاولى أن يقول لما رواه عبد الله قال الابهرى فيه مسامحة فان الحديث صحيح أى ولا يستعمل روى غالبا الا في الضعيف (عن عبد الله ابن عمر) قال ابن الملك هذا مذهب الشيخ وهو مدفوع بان عموم الحديث لا يخص بالاثراه وهو غريب اذ الاثر مرفوع (قال ارتقت) أى صعدت (فوق بيت حفصة) أى سطحه وهى أخت الراوى زوجة النبي صلى الله عليه وسلم (لبعض حاجتي) يحتل قضاء الحاجة وغيره (قرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته) أى في الخلاء كما دلت عليه رواية أخرى (مستدبر القبلة) وفيه أنه يمكن أن يكون قبل النهي أو لعذر كان هناك أو لكونه لاجرح في حقه سيما في حالة استغراقه (مستقبل الشام) أى بيت المقدس قاله ابن الملك (متفق عليه) ولفظهما مستدبر القبلة مستقبل الشام فوهم ابن حجر و قلب الكلام و كتب في الاصل مستقبل القبلة مستدبر الشام ثم فرع عليه وقال و اذا جاز استقبال القبلة حال قضاء الحاجة في الخلاء جاز الاستدبار فيه بالاولىء فالغلط صريح والتفريع غير صحيح هذا وقد قال بعض علمائنا الاستقبال بمنوع دون الاستدبار ولعل ما أخذهم هذا الحديث (وعن سلمان) قال المصنف هو سلمان الفارسي يكنى أبا عبد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصله من فارس من راهرسز ويقال بل كان أصله من أصفهان من قرية يقال لها جن سافر يطلب الدين فدان أولاديين النصرانية وقرأ الكتب وصبر في ذلك على مشقات متتالية فاخذه قوم من العرب قباعوه من اليهود ثم انه كوتب فاعانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في كتابته ويقال انه تداوله بضعة عشر سيدا حتى أنفضى الى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم لما قدم النبي الى المدينة وقال سلمان منا أهل البيت وهو أحد الذين اشتاقت اليهم الجنة فكان من المعمرين قيل عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة والاول أصح وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه مات بالمداين سنة خمس و ثلاثين روى عنه أنس و أبو هريرة وغيرهما (قال نهانا يعني) أى يريد سلمان بالناهي (رسول الله صلى الله عليه وسلم) و انما قال الراوى عن سلمان ذلك لان الصحابي لا يطلق ذلك على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكانه نفسه صرح به فقال نهانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أن نستقبل القبلة بغائط أو بول) قال علمائنا الاستقبال لهما كراهة تحريم وللاستنجاء كراهة تنزيه (أو أن نستنجي) قال ابن الملك أو فيه ونما بعده للعطف اه و في نسخة صحيحة هنا بالواو و أما فيما بعده فبأو اتفاقا وهو للتبويغ قال في الفائق الاستنجاء قطع النجاسة من نجوت الشجرة وأنبهاها واستنجائها أى قطعها من الارض (باليمين) نهى تنزيه قاله ابن الملك (أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار) قال المظهر النهى عن الاستنجاء باليمين نهى تنزيه و كراهة لالتحريم والاستنجاء بثلاثة أحجار واجب عند الشافعي

أو ان نستنجي برجع أو بعظم رواه مسلم وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء يقول اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث متفق عليه وعن ابن عباس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال لهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول

و ان حصل النقاء بأقل وعند أبي حنيفة النقاء متعين لا العمداء لقوله عليه الصلاة والسلام من استنجر فليوتر من فعل فقد أحسن ومن لا فلأخرج فالامر للاستحباب والنهي للتنزيه (أو أن نستنجي برجع) لنجاسته فعيل بمعنى المفعول والمراد الروث والعذرة لانه رجح أى رد من حال هى الطهارة الى أخرى وهى النجاسة وكل مردود رجح (أو بعظم) قال الخطابي لا يجوز الاستنجاء بعظم ميتة أو مذكاة قيل علة النهى ملامة العظم فلايزيل النجاسة وقيل علته انه يمكن مصه أو مضغه عند الحاجة وقيل قوله عليه الصلاة والسلام ان العظم زاد اخوانكم من الجن اه يعنى وانهم يحذون عليه من اللحم أو فر ما كان عليه وقيل لان العظم ربما يجرح (رواه مسلم) وزوى أبو داود والدارقطنى والبيهقى عن ابن مسعود مرفوعا نهى أن يستنجى أحد بعظم أو روثه أو حممة أى فحم (وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء) أى اذا أراد دخول الخلاء وفى شرح الابهرى قال الشيخ من يكره ذكر الله فى تلك الحالة يفصل ويقول أما فى الامكنة المعدة لذلك فيقوله قبيل دخولها وأما فى غيرها فيقوله فى أوان الشروع كشمير ثيابه مثلا وهذا مذهب الجمهور وقالوا من نسى يستعذ بقلبه لابلسانه ومن يميز مطلقا كما نقل عن مالك لا يحتاج الى التفصيل (يقول اللهم انى) بسكون الباء وفتحها (أعوذ بك من الخبث) بضم الباء وتسكن جمع الخبيث وهو المؤذى من الجن والشياطين (والخبائث) جمع الخبيثة يعنى ذكر ان الشياطين وانائمهم وخص الخلاء لان الشياطين تحضر الاخلية لانه يهجر فيها ذكر الله وقيل الخبث بسكون الباء الكفر أو الشر أو الفجور أو الشئ المكروه مطلقا والخبائث الافعال الذميمة والخصال الرديئة والعقائد الزائفة والاحوال الدنية وقال التوربشتى الخبث ساكن الباء مصدر خبث الشئ يخبث خبثا وفى ايراد الخطابي فى جملة الالفاظ التى يروها الرواة ملحونة نظر لان الخبيث اذا جمع يجوز اسكان الباء للتخفيف كما فى سيل وغيره من المجموع وهذا مستفيض فى كلامهم لا يجوز انكاره الا أن يزعم ان ترك التخفيف أولى لتلايشته بالخبث الذى هو المصدر (متفق عليه) ورواه أحمد والاربعة عنه (وعن ابن عباس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال لهما) أى صاحبي القبرين (ليعذبان) قال الابهرى أعاد الضمير الى غير مذكور لان سياق الكلام يدل عليه اه ويمكن انه نقل بالمعنى مع ان تقدير المضاف غير عزيز فى كلامهم وقال ابن حجر اللام للتأكيد ويصح على بعد أن يكون جواب قسم محذوف وخبر ان محذوف اه وهو غريب لانه لاوجه لحذف خبران مع انه لا مانع من أن تكون الجملة القسمية خبرا لان (وما يعذبان فى كبير) قال ابن الملك قوله فى كبير شاهد على ورود فى التعليل قال بعضهم معناه انهما لا يعذبان فى أمر يشق ويكبر عليهما الاحتراز عنه والالكانا معذورين كسلس البول والاستحاضة أو فيما يستعظمه الناس ولا يجترأ عليه فانه لم يشق عليهما الاستئثار عند البول وترك النيممة ولم يرد ان الامر فيهما هين غير كبير فى الدين قال فى النهاية كيف لا يكون كبيرا وهما يعذبان فيه اه وتبعه ابن حجر وفيه انه يجوز التعذيب على الصغار أيضا كما هو مقرر فى العقائد خلافا للمعتزلة فالأولى أن يستدل على كونهما كبيرتين بقوله عليه الصلاة والسلام فى رواية بلى انهما كبيران عند الله (أما أحدهما فكان لا يستتر من البول) من الاستئثار ويؤيده انه أورد هذا الحديث فى شرح السنة فى باب الاستئثار عند قضاء

وفي رواية لمسلم لا يستنزه من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنعيمه ثم أخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين ثم غرز في كل قبر واحدة قالوا يارسول الله لم صنعت هذا قال لعله أن يخفف عنها

الحاجة و في نسخة صحيحة لا يستنتر قال الأشرف في الغربيين و النهاية يستنتر بنون بين التاءين من الاستنار و هو الاجتذاب مرة بعد أخرى قال الليث النثر جذبة فيه قوة قبل هذا هو الذى يساعد عليه المعنى لا الاستار و عليه كلام الشيخ محيى الدين الآتى و في الرواية الأخرى لا يستر و هو غلط كذا ذكره الطيبى و فيه أن الاستنار و الاستبراء سنة عند المجهور و التكشف حرام عند الكل و المقام مقام التعذيب لكونه كبيرة على ما حرر فكيف هو الذى يساعده المعنى دون الاستار و أنه غلط مع أنه رواية الأكثر و قد أوردته البغوى في باب الاستار و أيضا لا يعرف أصل في الأحاديث للاجتذاب مرة بعد أخرى بل جذبه بعنف يضر بالذكر و يورث الوسواس المتعب بل المخرج عن حيز العقل و الدين ثم وهم ابن حجر و ذكره بلغز لا يستبرى من الاستبراء و جعله أصلا ولم يذكر غيره مع انه ليس أصل الشيخين و انما هو رواية ابن عساكر و في رواية أى لمسلم كما في نسخة الأصل لا يستر من البول قال الأبهري في أكثر الروايات بمشأتين من فوق الأولى مفتوحة و الثانية مكسورة و في رواية ابن عساكر لا يستبرى بموحدة ساكنة من الاستبراء (و في رواية لمسلم لا يستنزه) بنون ساكنة بعدها زاي ثم هاء قال الشيخ فعلى رواية الأكثر معنى الاستار أنه لا يجعل بينه و بين بوله ستره يعنى لا يتخفظ منه فيوافق رواية لا يستنزه لانها من التنزه و هو الابعاد اه و هو جمع حسن و مآله الى عدم التحفظ عن البول المؤدى الى بطلان الصلاة غالبا و هو من جملة الكبائر قال ميرك و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة عذاب القبر من البول استنزهوا من البول رواه البزار و الطبرانى في الكبير و الحاكم و الدارقطنى و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزهوا عن البول فان عامة عذاب القبر من البول رواه الدارقطنى و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر عذاب القبر من البول رواه أحمد و ابن ماجه و اللفظه و الحاكم و قال صحيح على شرط الشيخين و عن أبي أمامة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتقوا البول فانه أول ما يحاسب به العبد في القبر رواه الطبرانى في الكبير باسناد لا بأس به (و أما الآخر فكان يمشى بالنعيمه) أى الى كل واحد من الشخصين اللذين بينهما عداوة أو يلقى بينهما عداوة بان ينقل لكل واحد منهما ما يقول الآخر من الشتم و الاذى قال النووي النعيمه نقل كلام الغير لقصد الاضرار و هي من أقيح القبايح (ثم أخذ) أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة (جريدة رطبة) أى غصنا من النخل و في الفائقى هي الصفعة التى جردت عنها الخوص أى قشرته (فشقتها بنصفين) أى جعلها مشقوقه حال كونها ملتصبة بنصفين و الأصح أنها مفعول مطلق و الباء زائدة للتأكيد (ثم غرز في كل قبر واحدة) أى في كل من الشقتين (قالوا يارسول الله لم صنعت هذا) أى الغرز (فقال لعله) أى العذاب (أن يخفف) بالضم و فتح الفاء أى العذاب قبل أن يزال و في نسخة يكسر الفاء فالضميران لله أو للغرز مجازا و ادخال ان في خبر لعل سبى على تشبيها يعنى (عنهما) بالثنائية على الصحيح و في نسخة عنها قال المالكي الرواية يخفف عنها على التوحيد و التأنيث و هو ضمير النفس فيجوز إعادة الضميرين في لعله و عنها الى الميت باعتبار كونه انسانا و نفسا و يجوز أن يكون الأول ضمير الشأن و في عنها للنفس و جاز تفسير الشأن بان و صلتها و الرواية بثنائية الضمير في عنها لاتستدعى هذا التأويل كذا قاله الطيبى و أغرب ابن حجر حيث جعل رواية ابن مالك أصلا للصحيح مع انه ليس كذلك في الأصول المصححة ثم أغرب أيضا حيث قال و في رواية الثنية يتعين كون الضمير

مالم ييسا متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا اللاعنين قالوا وما اللاعنان
يارسول الله قال الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلمهم رواه مسلم وعن أبي قتادة

للشأن و يصح كون الضمير مبهما يفسره ما بعده كما فى ماها الاحياتنا الدنيا أصله ما الحياة ثم أبدلت
بالضمير ا كفاء بدلالة الخبر عليها اه لان التعين ممنوع كما تقدم بل يحتاج فى صحته الى تكلف أحوج
اليه الرواية بالافراد وكذا الابهام والتفسير مع ان مثل هذا لا يقال الا فى موضع لا يوجد للضمير مرجع
فليس الحديث المذكور نظيرا للآية المذكورة (مالم ييسا) بالتذكير أى ما دام لم ييس النصفان
أو القضيبان وبالتأنيث اى الشقتان أو الجريدتان قال النووي أما وضعهما على القبر فقول انه عليه الصلاة
والسلام سأل الشفاعة لهما فأجيب بالتخفيف الى أن ييسا وقد ذكر مسلم فى آخر الكتاب فى حديث
جابر ان صاحبى القبرين أجيب شفاعتى فيهما أى برفع ذلك عنهما ما دام القضيبان رطبين وقيل انه
كان يدعو لهما فى تلك المدة وقيل لانهما يسبحان ما داما رطبين قال كثير من المفسرين فى قوله تعالى
وان من شئ الا يسبح بحمده معناه ان من شئ حتى ثم قال وحياة كل شئ بحسبه فحياة الخشب ما
لم ييس والحجر ما لم يقطع والمحققون على العموم وأن التسبيح على حقيقته لان المراد الدلالة
على الصانع واستحب العلماء قراءة القرآن عند القبر لهذا الحديث اذ تلاوة القرآن أولى بالتخفيف من
تسبيح الجريد وقد ذكر البخارى ان بريدة بن الحصيب الصحابى أوصى أن يجعل فى قبره جريدتان
فكانه تبرك بفعل مثل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أنكر الخطابى ما يفعله الناس على القبور
من الاخواص ونحوها بهذا الحديث وقال لأصل له وفى الحديث اثبات عذاب القبر كما هو مذهب
أهل الحق وفيه نجاسة الابواب فيه تحريم النيمة لاسيما مع قوله كان فانه يدل على الاستمرار وفيه
أن عدم التنزه من البول يبطل الصلاة وتركها كبيرة بلاشك اه قيل وفيه تخفيف عذاب القبر بزيارته
الصالحين ووصول بركتهم وأما انكار الخطابى وقوله لأصل له فقيه بحث واضح اذ هذا الحديث يصلح
أن يكون أصلا له ثم رأيت ابن حجر صرح به وقال قوله لأصل له ممنوع بل هذا الحديث أصل أصيل
له ومن ثم أتى بعض الائمة من متأخرى أصحابنا بأن ما اعتيد من وضع الرحمان والجريد سنة لهذا الحديث اه
ولعل وجه كلام الخطابى ان هذا الحديث واقعة حال خاص لا يفيد العموم ولهذا وجه له التوجيهات
السابقة فتدبر فانه محل نظر (متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا) أى
احذروا أو اجتنبوا (اللاعنين) أى الامرئىن الجالين للعن والشتم فكانت هما لعنان من باب تسمية
الحامل فاعلا أى اللذين هما سببا للعتة غالبا وفى الازهار قيل اللاعن بمعنى الملعون (قالوا وما
اللاعنان يارسول الله قال الذى يتخلى) أى يتغوط وينجس بحذف المضاف أى أحدهما تخلى الذى يتخلى
(فى طريق الناس) أو عبر عن الفعل بفاعله (أو) للتنوع (فى ظلمهم) أى فى ستمظلمهم الذى يجلسون
فيه للتحدث وقال الطبيى المراد ما اختاروه ناديا ومقبلا قال الابهرى ومواضع الشمس فى الشتاء
كاظلل فى الصيف يعنى فى الموضع الذى يتشمسون ويتدفون به كما فى البلاد الباردة اه وشملها موارد
الماء وهى طرقة كما فى رواية تاتى والاضافة تدل على كون المحل مباحا فيكره وأما اذا كان مملوكا
فيحرم قضاء الحاجة بغير اذن مالكة (رواه مسلم) ورواه أحمد ومسلم وأبو داود عنه بلفظ اتقوا
اللاعنين الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلمهم كذا فى الجامع الصغير (وعن أبي قتادة) قال المصنف هو
أبو قتادة الحرث بن ربيع الانصارى فارس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات بالمدينة سنة أربع
وخمسين وقيل بل مات فى خلافة على بالكوفة وكان شهد معه المشاهد كلها وهو ابن سبعين سنة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الأناة و اذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره
بيمينه ولا يمسح بيمينه متفق عليه و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فليستثر
ومن استجمر فليوتر متفق عليه و عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الخلاء

و هو من غلبت عليه كنيته و ربي بكسر الراء و سكون الموحدة و كسر العين المهملة (قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شرب أحدكم فلا يتنفس) بالجزم ولا ناهية في الثلاثة و روى بالضم فيها
على ان لاناية كذا قاله الشيخ نقله الابهري والمعنى لا يخرج نفسه (في الأناة) أى في داخله قال الطيبي
ولعل علة النهى تغير ما في الأناة اه يعنى لتلايقل برودة الماء الكاسرة للعطش بحمارة النفس أو كراهة
أن يتحدر قذرة من نفسه بل اذا أراد التنفس فليرفع قفه عن الأناة فيتنفس ثم يشرب و قد ورد مصوا
الماء مصا ولا تبعوه عبا رواه البيهقي عن أنس و في النهاية العب الشرب بـلاتنفس و قال البيضاوى
الشرب بثلاث دفعات أضع للعطش و أقوى على الهضم و أقل أثرا في برد المعدة و اضعاف الاعصاب
و في السمائل للترمذى انه صلى الله عليه وسلم كان يتنفس في الأناة ثلاثا اذا شرب و يقول هو أمراً و أروى
و معنى الحديث أن يشرب ثلاث مرات في كل ذلك يبين الأناة عن قبه فيتنفس ثم يعود و لمنهى عنه
هو التنفس في الأناة بلا ايانة أو بـلاتنفس فانه يدل على الشرة و الحرص و الغفلة ولذا ورد لانتشروا
واحدا كـشرب البعير و لكن اشربوا مشئى و ثلاث و ورد بسند حسن انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان
يشرب في ثلاثة أنفاس اذا أدنى الأناة الى فيه سمى الله و اذا أخره حمد الله يفعل ذلك ثلاثا أى غالباً
اذ جاء في رواية أنه كان اذا شرب تنفس مرتين و في رواية البخارى مرة أو مرتين أو للتبويب لانه ان
روى بنفسين و اكتفى بهما و الا فثلاث (و اذا أتى الخلاء فلا يمس) بفتح السين و كسرهما و يجوز رفعه
(ذكره بيمينه ولا يمسح) بالسكون و ضمها (بيمينه) أى لا يستنجى لما في رواية البخارى اذا بال
أحدكم فلا يأخذ ذكره بيمينه ولا يستنج بيمينه ذكره الابهري فان قيل كيف يستنجى بالحجر فان
أخذ بشماله و الذكر بيمينه فقد مس ذكره بها وهو منهى عنه و كذلك العكس قلنا طريقه أن يأخذ
الذكر بشماله و يمسحه على جدار أو حجر كبير بحيث لا يستعمل يمينه في ذلك أصلاً كذا في المظهر
و الاشرقى (متفق عليه) و في الجامع الصغير رواه البخارى و الترمذى عنه و رواه ابن ماجه عن أبي هريرة
و لفظه اذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الأناة فاذا أراد أن يعود فليتح الأناة ثم ليعدان كان يريد و روى
سعید بن منصور و ابن السنى و أبو نعیم في الطب و البيهقي عن أبي حسين مرسل اذا شرب أحدكم فليمس
مصا ولا يعب عبا فان السكباد من العب و في مسند الفردوس عن علي بن عوف (و عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فليستثر) قد تقدم ان الجمهور على ان الاستنثار هو طرح الماء
الذى يستنشقه و قيل معناه فليخرج المخاط من أنفى الأنت قال ابن حجر و ظاهر الامر للوجوب لكن
منعه أنه عليه الصلاة والسلام توضأ ولم يفعله كما دل عليه سكوت الواصفين لوضوئه الدال على أنه
لم يوجد و الا لم يسكتوا عنه فلا يقال لا يلزم كما قاله الأصوليون من عدم النقل عدم الفعل اه و حاصل
كلامه أنه دل عدم فعله مطلقاً أو مع عدم المواظبة على ان الامر للاستحباب و أيضاً قد يقال ان نفس
الاستنشاق ليس بواجب في الوضوء لما تقرر في محله فكيف بالاستنثار الذى هو متمم و مكمل له (ومن
استجمر) أى من استنجى بالحجرة و هى الحجر (فليوتر) أى ثلاثاً أو خمساً أو سبعا قال الطيبي و الأيتار
أن يتحراه و ترااه و الامر للاستحباب لما ورد من فعل فقد أحسن الحديث (متفق عليه و عن أنس قال
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل الخلاء) مدوداً المتوضأ لخلو الانسان فيه قاله الطيبي و في

هذا السؤال مع الجواب مما يتعجب به فان أخذ الماء الصغير باليسار و الاستنجاء به من غير مس
الذكر باليمين سهل و معمول في بلادنا - (بالجهود المختصص ١ ص ٢١) ف -

فاحمل أنا و غلام اداوة من ماء و عنزة يستنحي بالماء متفق عليه * (الفصل الثاني) * عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء نزع خاتمه رواه أبو داود والنسائي والترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقال أبو داود هذا حديث منكر وفي روايته وضع بدل نزع و عن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد

شرح الابهرى قال الشيخ المراد بالخلاء هنا الفضاء لما في رواية أخرى كان اذا خرج لحاجته ولقرينة حمل العنزة مع الماء و أيضا الاخلية التي في البيوت كانت خدمته فيها متعلقة بأهله و قد أشار البخارى ان الغلام هو ابن مسعود (فاحمل أنا و غلام) أى ابن مسعود وقيل بلال أو أبو هريرة (اداة) أى مطهرة و هي ظرف من جلد يتوضأ منه (من ماء) أى مملوءة منه (وعنزة) بالنصب عطفًا على اداة أى أحدنا يحمل الاداة و الآخر العنزة قال الطبيي يفتح التون أطول من العصا و أقصر من الريح فيها سنان و حملها لانه عليه الصلاة والسلام كان يبعد عن الناس بحيث لا يرونه دفعا لضرب و غائلة و لينبش الارض الصلبة لللايرتد البول اليه اه و قيل لسرته في الصلاة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا استنحى توضع و اذ توضأ صلى و قيل ليركضها بجنبه لتكون اشارة الى منع من يروم المرور بقربه (يستنحى) أى ينزل النجوة و العذرة (بالماء) و يؤخذ منه و من غيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقتصر على الماء تارة و على الحجر أخرى و كثيرا ما كان يجمع بينهما (متفق عليه)

* (الفصل الثاني) * (عن أنس قال كان النبي) و في نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء) أى أراد دخوله (نزع) أى أخرج من أصبعه (خاتمه) بفتح التاء و قيل بكسرهما لان نقشه محمد رسول الله و فيه دليل على وجوب تحية المستنحي اسم الله و اسم رسوله و القرآن كذا قاله الطبيي قال الابهرى و يعم الرسل و قال ابن حجر استفيد منه انه يندب لمريد التبرز أن ينحى كل ما عليه معظم من اسم الله تعالى أو نبى أو ملك فان خالف كره اه و هو الموافق لمذهبنا (رواه أبو داود و النسائي و الترمذى و قال هذا حديث حسن صحيح غريب) تقدم دفع الاشكال (و قال أبو داود هذا حديث منكر) قال أبو داود الوهم فيه من همام ولم يروه الا همام اه و همام هو أبو عبد الله همام بن يحيى بن دينار الأزدي و قد اتفق الشيخان على الاحتجاج به و قد وثقه ابن معين و قال ثبت هو في كل المشايخ و قال ابن عدى هو صدق و أشهر من أن يذكر له حديث منكر و أحاديثه مستقيمة اه و لذا صوب المنذرى قول ابن عدى و الترمذى و قال نرده لا لوهن الحديث و انما لكونه غريبا قاله الترمذى و رواه الحاكم في المستدرک و قال على شرط الشيخين كذا حققه ميرك شاه و قال ابن حجر دل تصحيح الترمذى له على أنه ثبت عنده فاجيب ما ذكره أبو داود فيكون حجة (وفي روايته) أى أبو داود (وضع) أى من يده (بدل نزع) أى من أصبعه و لاتفوت بينهما معنى و في الجامع الصغير كان اذا دخل الخلاء وضع خاتمه رواه الاربعة و ابن حبان و الحاكم عنه (و عن جابر قال كان النبي) و في نسخة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أراد البراز) بفتح الباء و قيل بكسرهما و قيل انه تصحيف أى الفضاء أو قضاء الحاجة (انطلق) أى ذهب في الصحراء (حتى لا يراه) أى الى أن يصل الى موضع لا يراه فيه (أحد) ثم يجلس قال الطبيي البراز بفتح الباء اسم للفضاء الواسع كتوابه عن حاجة الانسان يقال تبرز اذا تغوط وهما كنياتان حستان يتعففون عما يفحش ذكره صيانة لللسنة عما تصان عنه الابصار و كسر الباء فيه غلط لان البراز بالكسر مصدر بارز في الحرب اه و في النهاية لابن الاثير قال الخطابي المحدثون يروونه بالكسر و هو خطأ لانه بالكسر مصدر من المبارزة في الحرب و قال الجوهري بخلافه و هذا لفظه البراز المبارزة في

رواه أبو داود و عن أبي موسى قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاراد أن يبول فأتى دمثا قى أصل جدار فبال ثم قال إذا أراد أحدكم أن يبول فليترد لبوله رواه أبو داود و عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض رواه الترمذى و أبو داود و الدارمى و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم

الحرب و البراز أيضا كناية عن ثفل الغذاء و هو الغائط ثم قال و البراز بالفتح الفضاء الواسع اه و الظاهر ان المراد من قوله المحدثون بعضهم و تحطت بهم غير صواب فان روايتهم أقوى من اللغويين عند انفردهما فكيف اذا توافقا و قد قال صاحب القاموس أيضا البراز ككتاب الغائط نعم المختار فتح الباء لعدم اللبس بخلاف الكسر فانه مشترك بين المعنيين و الله أعلم (رواه أبو داود) قال ابن حجر بسند حسن و قال ميرك و ابن ماجه أيضا و فى اسناده اسمعيل بن محمد الكوفى نزيل مكة شرقها الله و قد تكلم فيه غير واحد و فى الجامع الصغير كان اذا أراد الحاجة أبعده رواه ابن ماجه عن بلال بن الحرث و رواه أحمد و النسائى و ابن ماجه عن عبد الرحمن بن أبي قراد (و عن أبي موسى قال كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم) أى يوما و ذات زائدة و قيل كناية عن الساعة أى كنت يوما أو ساعة يوم معه عليه الصلاة والسلام (فاراد أن يبول فأتى دمثا) بفتح الدال و كسر الميم هو الرواية صفة لمحذوف أى مكانا ليناسهلا فى الفائق دمث المكان دمثا لان و سهل (فى أصل جدار) أى قريب منه (فبال) قال الخطائى يشبه أن يكون الجدار الذى قعد عنده عاديا غير مملوك لاحد فان البول يضر باصل البناء ويوهى اساسه يعنى لانه ماح يجعل التراب سيخا كذا قيل أى فلا يقبل ذلك فى ملك أحد بغير اذنه حقيقة أو حكما مع ان تنجيس مال الغير لا يجوز أيضا و يمكن ان يكون قعوده عليه الصلاة والسلام متراخيا عن جزم البناء أى أصله فلا يصيبه البول (ثم قال اذا أراد أحدكم أن يبول فليترد) بسكون الدال المخففة أى فيطلب مكانا مثل هذا فحذف المفعول لدلالة الحال عليه (لبوله) أى لئلا يرجع اليه من رشاش البول قال الاشراف الارتياح افتعال من الرود كالاتقاء من البغى و منه الرائد طالب المرعى (رواه أبو داود) قال ميرك و فى سنده رجل مجهول و قال النووى حديث ضعيف و قال ابن حجر فيه راو لم يسم و رواه البيهقى عنه أيضا و رواه أبو داود فى مراسيله و الحرث عن طلحة ابن أبى قتادة مرسلا قال كان صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يبول فأتى غرازا من الأرض أى مكانا يابسا أخذ عودا فنكت به فى الأرض حتى يثير من التراب ثم يبول فيه كذا فى الجامع الصغير فيقوى بكثرة الطرق ضعف الحديث (و عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد الحاجة) أى قضاء الحاجة (لم يرفع ثوبه حتى يدنو) أى يقرب (من الأرض) احترازا عن كشف العورة بغير ضرورة و هذا من أدب قضاء الحاجة قال الطيبى يستوى فيه الصحراء و البنيان لان فى رفع الثوب كشف العورة و هو لا يجوز الا عند الحاجة و لضرورة فى الرفع قبل القرب من الأرض و قال ابن حجر و فى حال الخلوه يجوز كشفه دفعة واحدة اتفاقا (رواه الترمذى) قال ابن حجر و ضعفه (و أبو داود و الدارمى) قال ابن حجر و سنده حسن و فى الجامع الصغير رواه أبو داود و الترمذى عن أنس و ابن عمر و الطبرانى فى الأوسط عن جابر (و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم مثل الوالد) أى ما أنا لكم الا مثل الوالد فى الشفقة (لولده أعلمكم) أى أمور دينكم استئناف بيان قال الخطائى هذا الكلام بسط للمخاطبين و تأنس لهم لئلا يحتشوا و لا يستحيوا عن مسئلته فيما يعرض لهم من أمر دينهم كالولده بالنسبة الى الوالد فيما يعنى له و فى هذا بيان وجوب طاعة الآباء و ان الواجب عليهم تأديب أولادهم

إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها وأمر بثلاثة أحجار ونهى عن الروث والرمة ونهى أن يستطيب الرجل يمينه رواه ابن ماجه والدارمي وعن عائشة قالت كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لظهوره وطعامه وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى رواه أبو داود وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب أحدكم الى الغائط فليذهب معه بثلاثة أحجار يستطيب بهن فأنها تجزئي عنه رواه أحمد وأبو داود والنسائي والدارمي

وتعليمهم ما يحتاجون اليه من أمور دينهم (إذا أتيتم الغائط) أي الخلاء أو أردتم قضاء الحاجة بولا أو غائطاً (فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها) أي مطلقاً كما هو مذهبنا وتقييده بالبيان مخالف لظاهره وما رواه ابن عمر واقعة حال لا تفيد العموم مع أنه لا يابزم من جواز الاستدبار في البيان جواز الاستقبال فيه (و أمر) أي هو عليه الصلاة والسلام مرید الاستنجاء أمر استحباب (بثلاثة أحجار) أي باخذها أو باستعمالها للاستنجاء (ونهى عن الروث والرمة) أي عن استعمالهما في الاستنجاء والروث السرجين قيل المراد به كل نجس والرمة بكسر الراء وتشديد الميم العظام البالية جمع رميم سمي بذلك لأن الأبل ترميها أي تأكلها والرمة بضم الراء الجبل البالي كذا في الأزهار نقله السيد وفي الفائق الرمة العظم البالي بمعنى الرميم أو جمع رميم كخليل وخلة من رم العظم إذا بلى قيل المراد به مطلق العظم وقال صاحب النهاية لأنها كانت ميتة أي نجسة أو أنها لملاستها لاتقلع النجاسة أو لأنها تجرح البدن وفي شرح السنة تخصيص النهي بما يدل على أن الاستنجاء يجوز بكل ما يقوم مقام الاحجار في الانقاء وهو كل جامد طاهر قالع للنجاسة غير محترم من مدر وخشب وخرق وخزف اه قالوا والكاغد وان كان بياضاً فهو محترم الا اذا كتب عليه نحو المنطق ولم يكن فيه ذكر الله تعالى فيجوز به الاستنجاء (ونهى ان يستطيب) أي يستنجي (الرجل يمينه) وكذا المرأة قال الطيبي سمي الاستنجاء استطابة لما فيه من ازالة النجاسة وتطهيرها (رواه ابن ماجه) قال ابن حجر وأبو داود (والدارمي) بسند حسن و روى أحمد نحوه قال ميرك شاه ورواه الشافعي وابن حبان والنسائي بألفاظ متقاربة وأخرجه مسلم أيضاً مختصراً (وعن عائشة قالت كانت) تدل على الاستمرار والعادة (يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لظهوره) بالضم أو الفتح أي كان يستعمل اليد اليمنى لوضوئه (وطعامه) أي لآكله وشربه وما كان من مكرم كالاعطاء والاحذ والبس والسواك والتنعل والتزجل (وكانت يده اليسرى لخلائه) أي لاجل الاستنجاء في الخلاء (وما كان) تامة أي ما وجد و وقع (من) بيانية (أذى) أي ماتستكرهه النفس الزكية كالمخاط والرعاف و خلع الثوب والظاهر أن ادخال الماء في الأنف باليمين والتمخط باليسار وكثيراً ما رأينا عوام طلبة العلم يأخذون الكتاب باليسار والنعال باليمين اما لجهلهم أو غفلتهم (رواه أبو داود) . و قال النووي هذا حديث صحيح نقله ميرك قال ابن حجر هو معلول لكن يعضده الحديث الاق قبيال الفصل الثاني من الوضوء (وعنها) أي عن عائشة (قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب أحدكم الى الغائط) أي الخلاء (فليذهب) أمر استحباب (معه بثلاثة أحجار) الباء للتعدية (يستطيب) بالرفع مستأنف علة للامر أو حال بمعنى عازماً على الاستطابة (بهن) الباء للآلة (فأنها) أي الاحجار (تجزئي) بضم التاء وكسر الزاي بعده همزة وفي نسخة بفتح التاء وكسر الزاي بعده ياء أي تكفي وتغني وتوب (عنه) أي عن الماء وقال ابن حجر أي عن المستنجي وهو بعيد قال الطيبي ذكره عقيب قوله يستطيب أي يزيل النجاسة استطابة للنفس بهذا الترخص (رواه أحمد وأبو داود والنسائي والدارمي) قال ميرك ورواه

و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فانها زاد اخوانكم من الجن رواه الترمذى و النسائى الا انه لم يذكر زاد اخوانكم من الجن و عن رويغ بن ثابت قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رويغ لعل الحياة ستطول بك بعدى فاخبر الناس ان من عقد لحيته أو تقلد وترا

الدارقطنى و قال اسناده صحيح (و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستنجوا بالروث) قال ابن حجر لانه نجس و هو يستحيل أن يزيل أو يخفف آخر اه و فيه أن تعضيه آخر غير مستحيل ثم الاولى انه يعلل بما علله الشارع بما ورد أن الروث لدوابهم (ولا بالعظام فانه) و في نسخة صحيحة فانها قال الطيبى الضمير في فانه راجع الى الروث و العظام باعتبار المذكور كما ورد في شرح السنة و جامع الاصول و بعض نسخ المصاييح و في بعضها و جامع الترمذى فانها فالضمير راجع الى العظام و الروث تابع لها و عليه قوله تعالى و اذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها اه و الاظهر في التنظير و استعينوا بالصبر و الصلاة و انها لكبيره الاعلى العاشعين قتال من فان في هذه الآية و الحديث مع مراعاة الاصل دون الفرع روى أقرب المذكورين أيضا و قال ابن حجر و سكت عن الروث لان كونه زادا لهم انما هو مجاز لما تقرر أنه لدوابهم اه و هذا يوضح كلام الطيبى و الاطلاق معنى لقوله و الروث تابع للعظام و الله أعلم (زاد اخوانكم من الجن) قال الطيبى فيه أن الجن مسلمون حيث سماهم اخوانا و انهم يأكلون روى الحافظ أبو نعيم في دلائل النبوة ان الجن سألوا هدية منه عليه الصلاة و السلام فاعطاهم العظم و الروث العظم لهم و الروث لدوابهم و روى الحافظ أبو عبد الله الحاكم في دلائل النبوة قال عليه الصلاة والسلام لان مسعود ليلة الجن أولئك جن نصيبين جاؤنى فسألونى المتاع و المتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل أو روثه أو بكرة قلت و ما يغنى منهم من ذلك قال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه الذى كان عليه يوم أخذ و لاروثه الا وجدوا فيها حبها الذى كان فيها يوم أكلت فلا يستنج. أحدكم بعظم أو روث اه و الحب أعم من الشعير و التبن و غيرها و ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام (رواه الترمذى) و سنده حسن (و النسائى الا أنه) أى بعد موتى (فاخبر زاد اخوانكم من الجن) أى قوله فانه زاد اخوانكم الخ و استيعاب أحاديث الباب يفضى الى الاطناب و قد أتى ابن حجر بجملة منها فراجعها (و عن رويغ) مصغر رافع (ابن ثابت) قال المصنف أنصارى عداة في المصريين و أمره معاوية على طرابلس المغرب سنة ست و أربعين و مات ببرقة و قيل بالشام روى عنه حش بن عبد الله و غيره (قال قال لى) أى خاصة (رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رويغ لعل الحياة ستطول) السين للتأكيد في الاستقبال (بك) الباء للالصاق (بعدى) أى بعد موتى (فاخبر الناس) الفاء جزء شرط محذوف و التقدير فاذا طالمت فاخبر و المعنى لعل الحياة ستمتد حال كونها ملتصقة بك حتى ترى الناس قد ارتكبوا أمورا من المعاصى يتجاهرون بها فاذا رأيت ذلك فاخبرهم و فيه اظهار للمعجزة باخبار عن الغيب من تغيير يحصل في الدين بعد القرن الاول و أن هذه الامور المذكورة مهمت بشأنها (أن من عقد لحيته) قال الاكثرون هو معالجتها حتى تتعقد و تتجمد و هذا مخالف لسنة التى هى تسريح اللحية و قيل كانوا يعقدونها في الحرب زمن الجاهلية فأمرهم عليه الصلاة والسلام بارسالها لما في عقدها من التأنيت أى التشبه بالنساء و قيل كان ذلك من داب العجم ايضا فنهوا عنه لانه تغيير خلق الله و قيل كان من عادة العرب أن من له زوجة واحدة عقد في لحيته عقدة صغيرة و من كان له زوجتان عقد عقدين كذا ذكره الابهري (أو تقلدوترا) بفتح تين أى خطا فيه تعويد أو خرزات لدفع العين و الحفظ عن الاقوات كانوا يعلنون على رقاب الولد و الفرس و قيل

أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن هذا منه برى* رواه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل فليوتر من فعل فقد أحسن ومن لا فلاحرج ومن لا فلاحرج ومن استجر فليوتر من فعل فقد أحسن ومن لا فلاحرج ومن أكل فما تغلغل فليلفظ وما لك بلسانه فليبتلع من فعل فقد أحسن ومن لا فلاحرج

انهم كانوا يعلقون عليها الاجراس والمعنى أو تقلد الفرس وتر القوس قيل النهى عن العقد والتقليد لما فيها من التشبه باهل الجاهلية لأن ذلك من صنعهم وقيل كان عادة أهل الجاهلية أنهم يجعلون في رقاب دوابهم الوتر ويزعمون دفع العين قال أبو عبيدة الأشبه انه نهى عن تقليد الخيل أوتار القسي لتلاصيحها العين مخافة اختناقها به لاسيما عند شدة الركض وروى أنه عليه الصلاة والسلام أمر بقطع الأوتار من أعناق الخيل تنبيها على أنها لاترد شيئا من قدر الله تعالى قال الطيبي يعنى واما الاختناق به فهو سبب عادى فيحترز عنه (أو استنجى برجيع دابة) أى روثها (أو عظم) مطلقا (فإن هذا منه برى*) وهذا من باب الوعيد والمبالغة في الزجر الشديد قال ابن حجر عدل اليه عن فأنى أو فأنى اهتماما بشأن تلك الامور وتأكيذا أو مبالغة في النهى عنها اه وفيه أن ما ذكر انما هو مستفاد من الجملة لامن العدول عن الضمير الى الظاهر لانه يستوى في هذا المعنى قول زيد فأنى برى* وقوله فان زيدا برى* فالظاهر أن وجه العدول أن لا يتوهم البراءة من الراوى المخبر مع الإشارة الى أن المسمى بهذا الاسم المعظم والوصف المكرم الذى حمده الاولون والآخرين منه برى* فيكون دلالة على غاية ذمه وان هذا لا يبرأ الا من مذم فانه ضده (رواه أبو داود) وكذا النسائي وسنده حسن (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل) قال ابن حجر أى من أراد الاكتحال وكذا البواق اه ولا يخفى أن المباشر للاكتحال مأمور بالابتار لامر يد المباشرة فلا يحتاج الى تقدير وكذا البواق والمعنى من شرع في الاكتحال (فليوتر) أى ثلاثا متوالية في كل عين وقيل ثلاثا في العينين واثنتين في اليسرى ليكون المجموع وترا والتثنية علم من فعله عليه الصلاة والسلام والا فالوتر صادق على مرة ففي شمائل الترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يتكحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه (من فعل) أى كذلك (فقد أحسن) أى فعل فعلا حسنا ويتاب عليه لانه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه تخلق باخلاق الله تعالى فان الله وتر يحب الوتر وهذا يدل على استحباب الابتار في الامور (ومن لا) أى لا يفعل الوتر (فلاحرج) قال الطيبي وفيه دليل على أن أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على الوجوب والا لما احتاج الى بيان سقوط وجوبه بقوله لارجح أى لا اثم (ومن استجر) أى استنجى بحجر (فليوتر) ثلاثا أو خمسا أو سبعا (من فعل فقد أحسن) أى بالغ في الحسن (ومن لا فلاحرج) اذ المقصود الانقاء وهذا يدل دلالة واضحة على جواز الاستنجاء باقل من ثلاثة أحجار وعدم شرط الابتار وهو مذهب أبي حنيفة (ومن أكل فما تغلغل) يجوز أن تكون شرطية و الجزاء (فليلفظ) بالكسر أى فليرم و لي طرح بما أخرجه بالخلال من بين أسنانه والشرطية جزاء الشرط الاول (وما لك) عطف على ماتخلل أى ما أخرجه بلسانه قيل اللوك ادارة الشئ بلسانه (فليبتلع) ويجوز أن يكون ما موصولة مبتدأ خبره فليلفظ وإفاء في خبر الموصولة لشبهه بالشرط أو لتضمنه له والجملة جزاء الشرط قال المظهر انما أمر بلفظ ماتخلل لانه ربما يخرج مع الخلال دم بخلاف ما لك (من فعل) أى ما ذكر من رمى ذلك وابتلاع هذا (فقد أحسن) أى الى نفسه بعمل الاحتياط (ومن لا فلاحرج) وانما بنى الحرج لانه لم يبتلع خروج الدم معه

و من أتى الغائط فليستتر فان لم يجد الا أن يجمع كتيبا من رمل فليستدبره فان الشيطان يلعب بقاعد بني آدم من فعل فقد أحسن و من لا فلاحرج رواه أبو داود و ابن ماجه و الدارمي و عن عبدالله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبولن أحدكم في مستحبه ثم يغتسل فيه

و ان يتقن حرم أكله (و من أتى الغائط) أي الغلاء (فليستتر) قال الخطابي أمر بالتستر ما يمكن حيث لا يكون قموده حيث يقع عليه أضرار الناظرين فيتهتك السر أو يهب عليه الريح فيصيبه البلب فتلوث ثيابه و بدنه و كل ذلك من لعب الشيطان به و قصده إياه بالفساد (فان لم يجد) أي شيئا ستره (الا أن يجمع كتيبا) أي كومة (من رمل فليستدبره) أي ليجمعه خلفه لتلايهاه أحد قال الطيبي الاستثناء متصل أي فان لم يجد ما يستتر به الأجمع كتيب من رمل فليجمعه و يستدبره لان التلب يسهل ستره بالذيل أو يجمع الفخذين (فان الشيطان) فيعال من شطن أي بعد أو فعلان من شاط اذا هلك (يلعب) أي اذا لم يستتر (بقاعد بني آدم) أي يتمكن من وسوسة الغير الى النظر الى مقعده (من فعل) أي جمع الكتيب و الستر (فقد أحسن) بساءته الى الشيطان و دفع و سوسته (و من لا فلاحرج) أي اذا لم يره أحد و أما عند الضرورة فالحرج على من نظر اليه (رواه أبو داود و ابن ماجه و الدارمي و عن عبدالله بن مغفل) بمعجزة و فاء مثقلة مفتوحة أول من دخل بلدة تسترحن فتحها المسلمون قال العسقلاني و لايه صحبة و روى عنه ابنه عبدالله و قال المصنف مرفى كان من أصحاب الشجرة سكن المدينة ثم تحول منها الى البصرة و كان أحد العشرة الذين بعثهم عمر الى البصرة يفقهون الناس و مات بالبصرة سنة ستين روى عنه جماعة من التابعين منهم الحسن البصري و قال منازل البصرة أشرف منه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبولن أحدكم) في الأضمار النهي فيه للتنزيه (في مستحبه) المستحبه الذي يغتسل فيه من الحميم و هو الماء الحار و المراد المغتسل مطلقا و في معناه المتوضأ و لذا قال فيما بعد أو يتوضأ (ثم) استيعادية يعنى يستبعد من العاقل أن يجمع بين ما قبلها و ما بعدها (يغتسل فيه) يجوز فيه الرفع أي ثم هو يغتسل و الجزم و هو ظاهر و جوز النصب في جواب النهي على أن يجعل ثم بمنزلة الواو لكنه يلزم أن يكون المعنى النهي عن الجمع كما في لا تأكل السمك و تشرب اللبن و الحال ان البول فيه منهي عنه سواء كان فيه اغتسال أو لا هذا خلاصة كلام الطيبي و قال في المعنى أجرى الكوفيون ثم مجرى الفاء و الواو في جواز نصب المضارع المقرون بها بعد فعل الشرط و استدلل لهم بقراءة الحسن و من يخرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ينصب يدركه و أجرها ابن مالك مجراها بعد الطلب فأجاز في قوله عليه الصلاة والسلام لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل منه ثلاثة أوجه الرفع بتقدير ثم هو يغتسل و به جاءت الرواية و الجزم بالعطف على فعل النهي و النصب قال باعطاء ثم حكم أو الجمع فتوهم تليذه الامام النووي ان المراد اعطاؤها حكمها في افادة معنى الجمع فقال لا يجوز النصب لانه يقتضى أن المنهي عنه الجمع بينهما دون افراد أحدهما و هذا لم يقل به أحد بل البول منهي عنه سواء أراد الاغتسال فيه أو منه أم لا اه و انما أراد ابن مالك اعطاءها حكمها في النصب لاق المعية أيضا ثم ما أورده انما جاء من قبل المفهوم لا المنطوق و قد قام دليل آخر على عدم ارادته و نظيره اجازة الزجاج و الزمخشري في ولا تلبسوا الحق بالباطل و تكتنوا الحق في الحديث الذي ذكره ابن مالك من أن النصب معناه النهي عن الجمع اه و لاشك ان قول النووي في الحديث الذي ذكره ابن مالك من أن المنهي كل واحد منهما صحيح و ان علم نهي أحدهما من حديث آخر كما نبه عليه المعنى بخلاف

أو يتوضأ فيه فإن عامة الوسواس منه رواه أبو داود و الترمذى و النسائى الا انهما لم يذكرهما ثم يقتسل فيه أو يتوضأ فيه و عن عبد الله بن سرجس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبولن أحدكم في جعر رواه أبو داود و النسائى و عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الملاعن

كلام الطبيعى هنا ان البول فيه منتهى عنه سواء كان فيه اغتسال أو لا فإنه ممنوع و الصواب أن النهى عن الجمع بدليل التعليل الاتى في نفس هذا الحديث و لانه لو بول في المستحم و لم يغتسل فيه بان جعله مهجورا من الاغتسال فيه أو اغتسل فيه ابتداء و لم يبيل فيه يجوز له ذلك (أو يتوضأ فيه) أو للتنوع لا للشك (فإن عامة الوسواس) أى أكثر وسواس الطهارة (منه) أى يحصل من البول في المستحم ثم الغسل فيه قال ابن الملك لانه يصير ذلك الموضع نجسافيق في قلبه و سوسة بانه هل أصابه منه رشاش أم لا و قال ابن حجر لان ماء الطهارة حينئذ يصيب أرضه النجسة بالبول ثم يعود اليه فكره البول فيه لذلك و من ثم لو كانت أرضه بحيث لا يعود منها رشاش أو كان له منفذ بحيث لا يبيت فيه شئ من البول لم يكره البول فيه اذ لا يجزى الى وسواس لاسمه من عود الرشاش اليه في الاول و لظهر أرضه في الثاني بأذن ماء طهور يمر عليها و هو يؤيد اعتراضنا على الطبيعى و كانه ذهل عن كلام الطبيعى أو انتقل الى كلام النووى و لذا سكنت عنه و الله أعلم (رواه أبو داود) و كذا ابن ماجه (و الترمذى و النسائى الا أنهما) أى الترمذى و النسائى كآبى ماجه (لم يذكرهما) ثم يغتسل فيه أو يتوضأ فيه) و لعل وجه الاطلاق ان المفهوم من لفظ المستحم هو أن يغتسل فيه أو يتوضأ أو بالنظر الى الاغلب الواقع (و عن عبد الله بن سرجس) بسنتين مهملتين بينهما جيم على وزن نرجس كذا في جامع الاصول و تبعه المصنف في أسانئه و في التهذيب بفتح السين و كسر الجيم و في القاموس النرجس بكسر التون و فتحها ثم في الاصل منصرف و في بعض النسخ بفتح السين على عدم الصرف و هو الظاهر و قال ابن حجر و ابن الملك سرجس غير منصرف للعلمية و العجمة قال شيخنا المرحوم مولانا عبد الله السندى ضبط كترجس و عليه غير منصرف للعلمية و العجمة اذ ليس في كلامهم فعلا بكسر اللام لان هذا الوزن مختص بالامر من الرباعى و أما نرجس فنونه زائدة و ان ضبط كجعفر فنصرف كذا ذكره السيوطى في حاشية البخارى قلت لو ضبط كجعفر لزم فتح اللام الاولى اذ الظاهر من ضبطهم بيان الحركة و السكون لا الانصراف و عدمه نعم يلزم من هذا الضبط أن يكون منصرفا فان علة العجمة و هى عدم وجدان فعلا بكسر اللام قد زالت حينئذ فيتعين كونه منصرفا لكن على هذا الفرض و التقدير فلا يعدل عما ثبت من كسر الجيم لكن يصح الانصراف على تقدير كسر السين الاولى على ما ذكره في القاموس فانه حينئذ يصير كزبرج و الله أعلم قال المصنف هو مزنى و يقال مخزومى و أظنه حليفا لهم و هو مصرى حديثه في البصريين روى عنه عاصم الاحول و غيره (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبولن أحدكم في جعر) يضم الجيم و سكون العا المهملة الخرق في الجدار و الارض للابخرج منه ما يؤذيه أو ربما يكون فيه حيوان ضعيف فيتأذى قيل و الجعر المعد للبول لا كراهة فيه قال الطبيعى وجه النهى أن الجحر ماوى الهوام المؤذية و ذات السم فلا يؤمن أن يصيبه مضرة من قبل ذلك و قد يقال ان انذى يبول في الجحر يخشى عليه من الجن و قد نقل أن سعد بن عباد الخزرجى قتله الجن لانه بال في جعر بارض حوران و روى في كتب الفقه أنه سمع من الجحر

نحن قتلنا سيد الخبز * رج سعد بن عباد و ربيته بسهم فلم نخطئى فؤاده

و الله أعلم بصحته (رواه أبو داود و النسائى و عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا) أى احتزروا (الملاعن) أى مجالب اللعن لان أصحابها يلعنهم المار لفعلمهم القبيح أو لانهم أفسدوا على

الثلاثة البرازي الموارد وقارعة الطريق والظل رواه أبو داود و ابن ماجه و عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج الرجلان يضران الغائط كاشفين عن عورتها يتحدثان فان الله يمقت على ذلك رواه أحمد و أبو داود و ابن ماجه و عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الناس متفتتهم فكان ظلما و كل ظالم ملعون و هو جمع ملعنة و هو الموضع الذى يكثر فيه اللعن كالمساعدة أو اجتنابوا الفعلات التى توجب لعن فاعلها عادة كانه مظنة اللعن كحديث الولد مسجلة مجبة و قال زين العرب جمع ملعن مصدر ميمى أو اسم مكان من لعن اذا شتم اه فعلى تقدير كونه مصدرا معناه اتقوا اللعنات أى أسبابها أو المصدر بمعنى الفاعل يعنى اجتنابوا اللعنات أى الحاملات و الباعثات على اللعن فيصير نظير اتقوا اللعنين مع زيادة واحد (الثلاثة) أى الموضع أو الافعال الثلاثة و الاول أبلغ لدلالته على المبالغة فكانه قال اتقوا الاماكن التى تفعل هذه الافعال فيها فكيف الافعال (البراز) بالنصب على البدلية و الربط بعد العطف أو على تقدير أعنى أى النفوط و البول (في الموارد) قال الطيبى هو الماء الذى يرد عليه الناس من عين أو نهرا ه فيجمل على الماء الراكد الدائم الذى لا يجرى و قيل المراد بالمورد الامكنة التى يأتيتها الناس كالاندية أى موضع ورود الناس للتحدث و قيل جمع موردة مفعلة من الورد و هى طريق الماء ولو لم يكن فيها ماء (وقارعة الطريق) أى وسطه التى يقرعها الناس بارجلهم و تدقها و تمر عليها (و الظل) أى فى ظل الشجر وغيره من مقبل الناس و مناخهم قال ابن حجر و الظل فى الصيف و مثله الشمس فى الشتاء أى فى موضع يستدفئ فيه الناس بها ثم لا يخفى أن عدم تنبيد الظل بالصيف اولى (رواه أبو داود) قال ميرك و سكت عليه (و ابن ماجه) و سنده حسن (و عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج الرجلان) أكثر الشراح على أنه مجزوم لانه نهى فيكون بكسر الجيم وصلا و قيل منى فيكون بضم الجيم وصلا و كذا المرأتان (يضران) أى يفعلان (الغائط) فهو من باب ذكر السبب و ارادة المسبب قال التوربشتى يقال ضربت الارض اذا أتيت الخلاء و ضربت فى الارض اذا سافرت و قال الابهري الضرب فى الارض الذهاب فيها و الاصل فيه أن الذهاب فى الارض يضربها برجله و قال الطيبى قبل نصب الغائط بنزع الخافض أى للغائط و فى مختصر النهاية يضرب الغائط و الخلاء و الارض اذا ذهب لقضاء الحاجة فالعنى يمشان لاجل قضاء الحاجة أو يأتيان الخلاء حال كونهما (كاشفين عن عورتها) ينظر كل الى عورة صاحبه عند الذهاب أو وقت النفوط (يتحدثان) حال ثانية و قال الطيبى يضران و يتحدثان صفتا الرجلان لان التعريف فيه للجنس أى رجلان من جنس الرجال و يجوز أن يكونا خبيرين لمبتدأ محذوف أى هما يضران و يتحدثان استئنافا و كاشفين حال مقدرة من ضمير يضران و لو جعل حالا من ضمير يتحدثان لم تكن مقدرة و على هذه التقادير النهى منصب على الجميع اه فان الجمع بمعنى المجموع و هو الموجب للوقت الذى هو أشد الغضب ولذا قال (فان الله يمقت) بضم القاف أى يغضب (على ذلك) أى على ما ذكر و هو المركب من محرم هو كشف العورة بحضرة الآخر و مكروه و هو التحدث و وقت قضاء الحاجة قال فى شرح السنة لا يذكر الله بلسانه فى قضاء الحاجة ولا فى المجامعة بل فى النفس قال أبو عمرو سلم على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد و اذا عطس فى الخلاء يمد الله فى نفسه قاله الحسن و الشعبي و النخعي (رواه أحمد و أبو داود و ابن ماجه) و سنده حسن (و عن زيد بن أرقم) صحابي مشهور كذا فى التقريب قال المصنف يكتى أبا عمرو الانصارى الخرزنجى يعد فى الكوفيين و سكنها و مات بها سنة ثمان و سبعين و هو ابن خمس و ثمانين روى عنه عطاء بن يسار و غيره (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان هذه الحشوش محتضرة فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث رواه أبو داود وابن ماجه وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم اذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول بسم الله رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب واصله ليس بقوى وعن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك رواه الترمذى وابن ماجه والدارسى

ان هذه الحشوش بضم الحاء المهملة جمع حش بفتح الحاء وضمها وهو الكنيف وأصل الحش جماعة النخل لا كئنه ثم كنى به عن الخلاء لانهم كانوا يتغوطون بين النخيل كذا ذكره الشراح وقال الطيبي جمع حش وهو بالضم موضع الغائط وبالفتح البستان لانهم قبل أن يتخذ الكنيف في البيوت كانوا كثيرا يتغوطون في البساتين (محتضرة) أى يحضره الجن والشياطين يترصدون بني آدم بالأذى والفساد لانه موضع تكشف العورة فيه ولا يذكر اسم الله فيه (فاذا أتى أحدكم الخلاء) أى قرب اليه (فليقل) الامر للندب (أعوذ بالله من الخبث) بضم الواو والموحدة ويسكن (والخبائث) وتقدم أنه يقول اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث فيتخير بين الصيغتين كذا قاله ابن حجر والاولى أن يقول هذا مرة والأخر مرة أو يجمع بينهما أو هذا مختص بأهل الغفلة والاول لازباب الحضور والمشاهدة ويدل عليه أن هذا أمر وذلك فعله (رواه أبو داود وابن ماجه) وسنده حسن (وعن علي) رضى الله تعالى عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما بين أعين الجن) بفتح السين مصدر وقيل بالكسر وهو الحجاب (وعورات بني آدم) يسكون الواو (اذا دخل أحدكم الخلاء) أى وقت دخول أحد بني آدم وفى نسخة أحدكم قال الكازرونى فى بعض نسخ المصابيح أحدكم بالخطاب وبغيران والصواب الغيبة وإيراد ان على يقول وقال الطيبي ستر مبتدأ وما بين موصولة مضاف اليها وصلتها الظرف أى الفعل الذى تعلق به وخبر المبتدأ قوله (أن يقول بسم الله) قال ابن حجر يسن أن يقدم على كل من التوذين بسم الله اه ولا بعد أن يؤخر عنهما على وفق تقدم الاستعاذة على البسملة فى التلاوة ولو اكتفى بكل منهما لحصل أصل السنة والجمع أفضل ثم الظرف قيد واقمى غالى للتكشف المحتاج الى الستر بالبسملة المتقدمة لانه احترازى فانه ينبغى أن يسلم اذا أراد كشف العورة عند خلع الثوب أو ارادة الغسل (رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب) لانعرفه الا من هذا الوجه (واصله ليس بقوى) ومع هذا يعمل به فى فضائل الأعمال سيما وقد رواه أحمد والنسائى عنه وروى الطبرانى عن أنس ولفظه ستر بين أعين الجن وبين عورات بني آدم اذا وضع أحدكم ثوبه أن يقول بسم الله وهذا الحديث يدل على أن ما زائدة فى الحديث السابق وان الحكم عام (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها (قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك) نصبه باضمار فعل مقدر قبل التقدير اغفر غفرانك وقال التوربشتى هو مصدر كالمغفرة والمعنى أسالك غفرانك وقد ذكر فى تعيينه عليه الصلاة والسلام الخروج بهذا الدعاء وجهان أحدهما أنه استغفر من الحالة التى اقتضت هجران ذكر الله فانه كان يذكر الله تعالى فى سائر حالاته الا عند الحاجة وثانيهما أن القوة البشرية قاصرة عن الوفاء بشكر ما أنعم الله عليه من تسونج الطعام والشرب وترتيب الغذاء على الوجه المناسب لمصلحة البدن الى أوان الخروج فلجأ الى الاستغفار اعترافا بالقصورهه بلوغ حق تلك النعم والافضل أن يقول بعده ما ورد فى رواية أخرى الحمد لله الذى أذهب عني الأذى وعانقني وفى بعض الآثار الحمد لله الذى أذهب عني ما يؤذيى وأبى على ما ينبغى (رواه الترمذى وابن ماجه والدارسى) وكذا أبو داود والنسائى وسنده حسن قال ابن حجر وقال الترمذى هذا حديث حسن غريب ورواه ابن حبان فى صحيحه ايضا

وعن أبي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى الخلاء أتيته بماء في تور أو ركوة فاستحى ثم مسح يده على الأرض ثم أتيته بانه آخر فتوضأ رواه أبو داود وروى الدارمي والنسائي معناه وعن الحكم ابن سفيان قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بال توضأ ونضح فرجه رواه أبو داود والنسائي وعن أميمة بنت رقيقة قالت كان للنبي صلى الله عليه وسلم قده من عيدان تحت سريره

كذا ذكره ميرك (وعن أبي هريرة قال كان النبي) وفي نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم إذا أتى الخلاء أتيته بماء في تور) بفتح المثناة وسكون الواو اثناء من صفر أو حجارة كالأجانة يتوضأ منه ويؤكل فيه (أو ركوة) بفتح الراء وسكون الكاف اثناء صغير من جلد يشرب منه قال ابن الملك أو للشك من يروي عن أبي هريرة أو للتوضيخ أي تارة وتارة (فاستحى) أي بالماء (ثم مسح يده على الأرض) عند غسلها لازالة الرائحة وهو سنة قاله ابن الملك وكذا ابن حجر (ثم أتيته بانه آخر فتوضأ) اتيانه بانه آخر ليس لعدم جواز التوضؤ بالماء الباقي من الاستنجاء بل لعدم بقاء الماء الكافي وفيه إشارة الى الاستقصاء في الاستنجاء مالم يفيض الى الوسواس في أمر الماء (رواه أبو داود) أي بهذا اللفظ وسكت عليه هو والمنذرى وروى الترمذى في معناه حديثاً عن عائشة وصححه ونقله ميرك وقال ابن حجر رواه ابن ماجه وسنده حسن (وروى الدارمي والنسائي معناه) قال ابن حجر وكان سبب تقديم الدارمي على خلاف عادته وعادة غيره ان ذلك المعنى في رواية الدارمي أظهر وأتم منه في رواية النسائي اه وفي تنقيده بالعادة إشارة الى أنه في الحقيقة يستحق التقديم اذ روى عنه مسلم وأبو داود والترمذى وغيرهم (وعن الحكم بن سفيان) أي التثني له صحبة كذا في التقریب قال المصنف ويقال له سفيان بن الحكم ويقال انه لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر وسامعه عندي صحيح وبهذا يتبين وجه قول ابن حجر أو سفيان بن الحكم والافوه موهوم للشك (قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بال توضأ ونضح فرجه) أي ورش ازاره بقليل من الماء أو سرواله به لدفع الوسوسة تملئها للامة قال في النهاية الانتضاح بالماء هو أن يأخذ قليلاً منه فيرش مذاكيره بعد الوضوء ليعني عنه الوسواس وقال ابن الملك أي رش فرجه بكف من الماء بعد الاستنجاء اما لدفع نزول البول وقطعه واما لدفع الوسوسة فان الرجل إذا لم ينضح وجد بعد ذلك بللاً ربما يظن أنه خرج منه بول بخلاف ما إذا نضح فانه اذ ذلك يعلم أن البلل منه فلا يقع في الوسوسة اه والظاهر وقوع يعلم موضع يظن وبالعكس وقال الخطابي الانتضاح والنضح هو الغسل بالماء يعني اذا غسل فرجه وتوضأ والواو لمطلق الجمع وقيل توضأ بمعنى استحى وقيل النضح هو الرش كذا ذكره الابهرى (رواه أبو داود والنسائي) قال ابن حجر وابن ماجه وسنده حسن (وعن أميمة) بضم الهمزة وسكون الياء تحتها نقطتان (بنت رقيقة) أخت خديجة بنت خويلد كذا في جامع الاصول وفي التثريب بالتصغير فيهما واسم أبيها عبدالله صحابية وذكر ابن الملك أنها عممة النبي صلى الله عليه وسلم من أمها وقال المصنف رقيقة بضم الراء وفتح القافين وسكون الياء تحتها نقطتان (قالت كان للنبي صلى الله عليه وسلم قده من عيدان) في الأزهار أي من عود من العيدان لانه مركب من عيدان كذا ذكره الابهرى وقال ميرك وقع في نسخ المصاييح والمشكاة بكسر العين المهملة وفسره الشراح بأنه جمع عود وهو الخشب قال الطيبي واما جمعه اعتباراً للاجزاء كبيرة اعشار اه والصواب الذي عليه المحققون انها عيدان بفتح العين المهملة قال الشيخ مجد الدين الفيروز ابادى في كتابه القاموس العيدان بالفتح طوال النخل واحدة عيدانة بالهاء منها كان قده بيول فيه النبي صلى الله عليه وسلم وكذا صححه صاحب تخریج المصاييح بالفتح أيضاً والله أعلم اه (تحت سريره)

یبول فيه باللیل رواه أبو داود و النسائی و عن عمر قال رأى النبی صلی الله علیه وسلم و أنا أبول قائما فقال یاعمر لاتبل قائما فما بلت قائما بعد رواه الترمذی و ابن ماجه قال الشیخ الامام محبی السنة رحمه الله قد صح عن حذیفة قال أتى النبی صلی الله علیه وسلم سباطة قوم فبال قائما متفق علیه قیل كان ذلك لعذری

ای موضوع تحته و فيه أن النوم علی السریر لاینا فی الزهد لكنه كان یکتفی علیه بأذن فرش و لقد ثنی له فرشه لیلۃ فأمر یسطه و قال منعی أو کاد یعنی لینه من القیام لوردی (یبول فيه باللیل) رقبا بنفسه أن یتعها فی القیام لذلك و تعلیما لامتة و ذلك لانهم اذا فعلوه تجنبوا به دخول الاخلیة فی اللیل فانها محل الشیاطین و ضررهم باللیل أكثر منه بالنهار (رواه أبو داود) و سکت علیه هو و المنذری قاله میرک (و النسائی) و سنده حسن قاله ابن حجر (و عن عمر رضی الله تعالی عنه قال رأى النبی صلی الله علیه وسلم و أنا أبول قائما) حالان متداخلان (فقال یاعمر لاتبل قائما) قال الخطابی نهی تنزیه و علة النهی انه تبدو العورة بحیث یراه الناس و لایأسن من رجوع البول الیه (فما بلت قائما بعد) و فی نسخة بعده بالضمیر ای بعد هذا النهی امتثالا لامره علیه الصلاة والسلام (رواه الترمذی) و قال هذا حدیث ضعیف من وجهین الاول ان هذا الحدیث انما رفعه عبدالکریم بن أبی المخارق و هو ضعیف عند أهل الحدیث ضعفه السجستانی و تکلم فيه غیره و الثاني قال ابن عمر قال عمر ما بلت قائما منذ أسلمت و هذا أصح من حدیث عبدالکریم و قال ابن سعوم ان من الجفاء أن تبول قائما رواه الترمذی کذا نقله میرک عن الازهار قلت فی الوجه الثاني نظر اذ یمكن الجمع بینهما بان مراده منذ أسلمت و نهیت عن البول قائما اذ لایعلم الحسن و لالاتیح الا من الشارع (و ابن ماجه قال الشیخ الامام محبی السنة رحمه الله تعالی قد صح عن حذیفة قال أتى النبی صلی الله علیه وسلم سباطة قوم) بضم المهمله بعدها موحدة هی المزیلة و الكناسة کذا قاله الابهری و قال بعضهم هی فی الاصل قمامة البیت ثم استعمل لمطرحها و ملقائها مجازا ثم توسع و استعمل للفناء (فبال قائما) قیل الحدیث یدل علی أن نهیه علیه الصلاة والسلام عمر عن ذلك للتنزیه للاحرمة و قیل ذلك للحرمة و فعله علیه الصلاة والسلام كان لعذری و هو اما انه لم یجد مكانا للعود أو كان یرجله ما یمنعه من القعود قال أبو اللیث رخص بعض الناس بان یبول الرجل قائما و کرهه بعض الناس الا من عذری و به نقول و قال الطیبی السباطة و الكناسة الموضع الذی یرمی فيه التراب و الاوساخ و ما یکس من المنازل و اضافتها الی القوم للتخصیص لا للتملیک لانها كانت مواتا سیخا اه قال الابهری و الا لم یفعل النبی صلی الله علیه وسلم فی ملکهم و قیل یحتمل أن یکون علم اذنتهم فی ذلك بالتصریح أو غیره و فی شرح السنة السباطة فی الاغلب تكون مرتقعة عن وجه الارض لایرتد فیها البول الی البائل و تكون سهلا و قال الابهری قیل كان ما یقابلة من السباطة عابیا و من خلفه منحدرًا لو جلس مستقبل السباطة سقط الی خلفه و لو جلس مستدبرا لها بدا عورته للناس (متفق علیه) قال الشیخ لوصح هذا الحدیث لکان فيه غنی عن جمیع ما تقدم لكن ضعفه الدار قطنی و ابیهی و الاظهر أنه فعل ذلك لیبان الجواز نقله الابهری (قیل كان ذلك لعذری) قال السید جمال الدین قیل فعل ذلك لانه لم یجد مكانا للعود لامتلاء الموضع بالنجاسة و قیل فعل ذلك لانه ان استدبر للسباطة تبدو العورة للمارة و ان استقبلها خیف أن یقع علی ظهره مع احتمال ارتداد البول الیه و قیل لالسن حیثئذ من خروج شیء من السبیل الآخر و قیل كان یرجله جرح روى أبو هریره كما أخرجه الحاكم و ابیهی أن النبی صلی الله علیه وسلم بال قائما لجرح مابضه و هی بهزمة ساكنة بعدها موحدة بعدها معجمة باطن الرکیبة اذ لم یتمکن من القعود و عن الشافعی أن العرب تستشفی لوجع الصلب

* (الفصل الثالث) عن عائشة رضی اللہ عنہا قالت من حدثکم أن النبی صلی اللہ علیہ وسلم کان یبول قائما فلا تصدقوه ما کان یبول الا قاعدا رواه أحمد و الترمذی و النسائی و عن زید بن حارثة عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم ان جبریل أتاه فی أول ما أوحی الیه فعلمه الوضوء و الصلاة فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه رواه أحمد و الدارقطنی و عن أبی هريرة قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم جاء فی جبریل فقال یا محمد اذا توضأت فانضح رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب و سمعت مجدا یعنی البخاری یقول الحسن بن علی الهاشمی الراوی

بالبول قائما فلعله کان به ذلک و الا فالتمتاد منه علیه الصلاة والسلام بوله قاعدا و هو الاختیار و فی الاحیاء أجمع أربعون طبیبا علی أن البول فی الحمی قائما دواء عن سبعین داء قاله زین العرب

* (الفصل الثالث) * (عن عائشة رضی اللہ عنہا قالت من حدثکم أن النبی صلی اللہ تعالیٰ علیہ وسلم کان یبول قائما فلا تصدقوه) قال الشیخ حدیث عائشة مستند الی علمها فیحمل علی ما وقع فی البیوت (ما کان یبول الا قاعدا) قال الطبیبی هذا یؤید ما ذکر أن بوله قائما کان لعذر یعنی لأن کان للاستمرار و العادة غالبا (رواه أحمد و الترمذی) و قال هذا حدیث حسن نقله میرک (و النسائی و عن زید بن حارثة) یکنی أبا أسامة و أمه سعده بنت ثعلبة من بنی معن خرجت به أمه تزور قومها فأغارت خیل لبني القین ابن الحره فی الجاهلیة فمروا علی آیات من بنی معن رهط أم زید فاحتلموا زیدا و هو یومئذ غلام یقال له ثمان سنین فوافوا به سوق عکاظ فعرض للبیع فأشتراه حکیم بن حزام بن خویلد لعمته خدیجة باربعائة درهم فلما تزوجها رسول اللہ صلی اللہ تعالیٰ علیہ وسلم وهبته له فقبضه ثم ان خبره اتصل باهله فعصر أبوه حارثه و عمه کعب فی فدائه فخبیره النبی صلی اللہ تعالیٰ علیہ وسلم بین نفسه و المقام عنده و بین أهله و الرجوع الیهیم فاختار النبی صلی اللہ تعالیٰ علیہ وسلم لما یرى من بره و احسانه الیهیم فحینئذ خرج به النبی صلی اللہ تعالیٰ علیہ وسلم الی الحجر فقال یا من حضر اشهدوا أن زیدا ابنی یرثنی و ارثه فصار یدعی زید ابن محمد الی أن جاء الله بالاسلام و نزل أدعوهم لا یأثمهم هو أوسط عندالله قلیل له زید بن حارثة و هو أول من أسلم من الذکور فی قول و کان النبی صلی اللہ تعالیٰ علیہ وسلم أكبر منه بعشر سنین و قبیل بعشرین سنة و زوجه رسول اللہ صلی اللہ تعالیٰ علیہ وسلم مولاته أم ایمن فولدت له أسامة ثم تزوج زینب بنت جحش و کان یقال له حب رسول اللہ صلی اللہ تعالیٰ علیہ وسلم ولم یسم الله تعالیٰ فی القرآن أحدا من الصحابة غیره فی قوله تعالیٰ فلما قضی زید منها و طرا زوجها کما روى عنه ابنه أسامة و غیره و قتل فی غزوة موتة و هو أمیر الحبش فی جمادی الاولی سنة ثمان و هو ابن خمس و خمسين سنة (عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم أن جبریل) تقدم ضبطه (أتاه فی أول ما أوحی الیه فعلمه الوضوء و الصلاة) فنزول سورة المائدة آخرها کان لتأكيد الحکم و تأییدا للامر (فلما فرغ من الوضوء) هذا صریح فی أن النضح بعد الوضوء و انه لیس المراد بالنضح غسل الفرج كما تقدم (أخذ غرفة) بالفتح و الضم (من الماء فنضح بها فرجه) حقیقة أو حذاه قال الابهری و لعله لتعلیم الامة ما یدفع الوسوسة أو لقطع البول فان النضح بالماء البارد یردع البول فلا ینزل منه شئی بعد شئی و الظاهر أن النضح مختص بمن یرتجى بغير الماء (رواه أحمد و الدارقطنی) و سنده حسن (و عن أبی هريرة قال قال رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم جاء فی جبریل فقال یا محمد) فیہ إشارة الی ان النبی عن النداء باسمه مخصوص بالانسان (اذا توضأت) أى فرغت من الوضوء (فانضح) أى فرش الماء علی الفرج أو السروال (رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب) أى تفرد به راویه (و سمعت مجدا یعنی البخاری یقول) أى محمد الحسن

منكر الحديث و عن عائشة قالت بال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر خلفه بكوز من ماء فقال ما هذا يا عمر فقال ماء تتوضأ به قال ما أمرت كما قلت أن أتوضأ و لو فعلت لكأنت سنة رواه أبو داود و ابن ماجه و عن أبي أيوب و جابر و أنس ان هذه الآية لما نزلت فيه رجال يجبون أن يتطهروا و الله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ان الله قد أتى عليكم في الطهور فما طهوركم قالوا نتوضأ للصلاة و نغتسل من الجنابة و نستنجي بالماء فقال فهو ذلك فعليكموه

ابن على الهاشمي الراوي) يسكون الباء أي راوى هذا الحديث الذي تفرد به (منكر الحديث) المنكر ما تفرد به من ليس ثقة و لا ضابطا هو الصواب قاله الطيبي و مع ذلك فهو لم يشتد ضعفه لتعدد طرقه السابقة فيكون حجة في فضائل الأعمال (و عن عائشة قالت بال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر خلفه بكوز من ماء) قياما بوظيفة الخدمة فان من خدم خدام و قد ثبت أن ابن عباس صب على يد عمر الوضوء (فقال ما هذا) أي الكوز (يا عمر فقال ماء تتوضأ به) أي تطهر به ليشمل الاستنجاء (قال ما أمرت) أي وجوبا (كما قلت) بضم الباء (أن أتوضأ) أي بان أتطهر (و لو فعلت) أي كل مرة (لكانت) أي الفعلية و في نسخة لكان أي الفعل (سنة) أي مؤكدة و الا فالاستنجاء بالماء و دوام الوضوء مستحب بلا خلاف قال الطيبي في الحديث دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام ما فعل أمرا و لا تكلم بشئ الا بأمر الله و ان سنته أيضا مأمور بها و ان لم تكن فرضا و انه كان يترك ما هو أولى به تخفيفا على الامة و ان الامر مبني على اليسر (رواه أبو داود و ابن ماجه) و سنده حسن (و عن أبي أيوب و جابر و أنس) رضي الله عنهم (ان هذه الآية) أي الآتية أطلقت على بعضها (لما نزلت فيه رجال) ضمير فيه لمسجد قباء أو مسجد المدينة و الجملة بدل من الآية (يجبون أن يتطهروا) و التطهر المبالغة في الطهارة و يحتمل التلث قاله الطيبي (و الله يحب المطهرين) أصله المتطهرين أبدلت التاء طاء و أدمت أي يرضى عنهم و يرفع ما واهم أو يعاملهم معاملة المحب مع محبوبه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ان الله قد أتى عليكم في الطهور) بالضم أو الفتح أي بسبب استعماله أو في فعله و جعل ظرفا للثناء مبالغة (فما طهوركم قالوا نتوضأ للصلاة و نغتسل من الجنابة و نستنجي بالماء قال) أي عليه الصلاة والسلام (فهو ذلك) أي ثناء الله تعالى عليكم أثر تطهركم البالغ قاله الطيبي و قول ابن حجر أي فثناء الله عليكم انما هو لما ذكرتموه حاصل المعنى لا حل اللفظ كما لا يخفى (فعليكموه) أي الزموا كمال الطهارة ما استطعتم قاله ابن حجر و الاظهر أن الإشارة الى الاستنجاء فانه أقرب مذكور و مخصوص بهم و الا فالوضوء و الاغتسال كان المهاجرون يفعلونها أيضا و الله أعلم ثم الظاهر أنهم يكتفون بالماء عن الاحجار و يحتمل أنهم كانوا يجمعون بين الحجر و الماء و قال ابن حجر الظاهر أن الذي اختصوا به و كان سببا لمحبة الله العظيم حرصهم على تكميل الاولين و ملازمة الثالث الذي هو أفضل من الاقتصار على الاحجار و في آيات تكميل الاولين لهم دون المهاجرين توقف لانه يحتاج الى نقل صريح صحيح و قد ذكر البغوي في تفسيره باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يجبون أن يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء و في الدر رواه أبو داود و الترمذى و ابن ماجه و غيرهم و أخرج الطبراني و الحاكم و غيرهما عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عويمر بن ساعدة قال ما هذا الطهور الذي أتى الله به عليكم فقالوا يا رسول الله ما خرج منا رجل و لا امرأة من الغائط الا غسل فرجه أو قال مقعده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو هذا و أخرج ابن ماجه و الحاكم و الدارقطني

رواه ابن ماجه و عن سلمان قال قال بعض المشركين و هو يستهزى انى لارى صاحبكم يعلمكم حتى الخراء قلت أجل أمرنا أن لانتقبل القبلة و لانتسجى بايماننا و لا نكتفى بدون ثلاثة أحجار ليس فيها رجيع و لاعظم

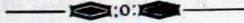
و غيرهم عن جماعة من الصحابة ان هذه الآية لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ان الله قد أتى عليكم خيرا فى الظهور فما ظهوركم هذا قالوا تنوؤا للصلاة و نغتسل من الجنابة قال فهل مع ذلك غيره قالوا لا غير ان أهدنا اذا خرج من الغائط أحب أن يستنجى بالماء قال هو ذلك فعليكموه فهذا صريح فى المقصود (رواه ابن ماجه) أى و غير واحد كما تقدم ذكرهم لكن ابن ماجه اقتصر فى روايته هذه اقتصارا مخرجا للمقصود فتدبر (و عن سلمان قال) أى سلمان (قال بعض المشركين و هو يستهزى) أى يسلمان و الجملة حال (انى لارى صاحبكم) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (يعلمكم) أى كل شئ (حتى الخراء) أى أدبها و هو بفتح الخاء المعجمة و الراء المهملة متصورا على الأكثر و قيل بمدودا و قيل بالمد مع كسر الخاء و فى شرح مسلم الخراء بفتح الخاء و تخفيف الراء و بالمد اسم لهيئة الحدث و أما نفس الحدث فيجذف التاء و بالمد مع فتح الخاء و كسرها نقله الأبهري و قال السيد جمال الدين الخراء مكسورة الخاء بمدودة التخلل و القعود عند الحاجة و أكثر الرواة يفتحون الخاء و يقصرون الراء كذا فى الطبيعى نقلنا عن الخطابي ثم قال قال الجوهري هى بالفتح مصدر و بالكسر اسم (قلت أجل) أى نعم (أمرنا) أى النبى صلى الله عليه وسلم فى آداب قضاء الحاجة (أن لانتقبل القبلة) أى تعظيما للكعبة لكونها قبلة لنا قال ابن حجر أى و لانتدبرها كما مر و لعله أثر الاول لأن الاعتناء به أكمل لعامة أنه أفحش من الاستدبار اه و تقدم ما فى كلامه و يمكن ان انتهى عن الاستقبال وقع أولا ثم وقع عن الاستدبار أيضا أو خصه لكون الاستماع عن الاستقبال أدل على تعظيم الكعبة و بهذا يظهر ان المعطّر الى أهدما ينبغى ان يختار الاستدبار و لولا مخافة مخالفة الإجماع لقلت يجوز الاستدبار فى البيان دون الاستقبال فيه عملا بظاهر الحديث ثم رايت فى شرح شرعة الاسلام عند قول الماتن و لا يستقبل القبلة ببول و لا غائط فان استقبال القبلة بالفرج حال قضاء الحاجة و حال الاستنجاء مكروه و كذا الاستدبار فى رواية لما فيه من ترك التعظيم و لا يكره فى رواية لأن فرج المستدبر لا يكون موازيا للقبلة بخلاف المستقبل و روى عن أبى حنيفة جواز الاستدبار اذا كان ذيله ساقطا لأمروعا كذا فى شرح النقاية و لعل المصنف انما لم يتعرض لنهى الاستدبار لمكان الاختلاف فيه اه ثم قال و هذا كله اذا كان ذا كرا للقبلة و أما اذا غفل فلا بأس به (و لانتسجى بايماننا) أى تكريما لها لانها آلة لا تكفى (و لانتسجى بدون ثلاثة أحجار) تنظيما بلغا قال ابن حجر فيه تصريح بمذهبنا انها تجب و ان أنقى بدونها قلت التصريح غير صريح و فى الظهور محل بحث لانه محمول على الغالب اذ الانقاء لا يحصل بدون الثلاث غالبا و لما تقدم من حديث من استجمر فليوتر من فعل فقد أسمن و من لا فالخرج (ليس فيها) أى الاحجار (رجيع) أى روث لنجاسته (و لاعظم) لملاسته أو لكونهما زاد الجن و الجملة صفة مؤكدة لاحجار مزيلة لتوهم انها مجاز أو واردة على التغليب و قول ابن حجر أى و أمرنا بالكثيرة الاحجار التى أوجبها علينا أن لا يكون فيها رجيع يوهم ان الجملة مصدرية بالواو و ليست كذلك و فيه استقصاء للإرشاد و مبالغة للرد على المشرك و قال الطبيعى جواب سلمان من باب أسلوب الحكيم لأن المشرك لما استهزأ كان من حقه أن يهدد أو يسكت عن جوابه لكنه رضى الله عنه ما التفت الى ما قال و ما فعل من الاستهزاء و أخرج الجواب مخرج المرشد الذى يلتن السائل المجد يعنى ليس هذا مكان الاستهزاء

رواه مسلم وأحمد واللفظ له وعن عبد الرحمن بن حسنة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده الدرقة فوضعها ثم جلس قال إليها فقال بعضهم انظروا إليه يبول كما تبول المرأة فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويحك أما علمت ما أصاب صاحب بنى إسرائيل كانوا إذا أصابهم البول قرضوه بالمقاريض فنهلم فمذب في قبره رواه أبو داود وابن ماجه ورواه النسائي عنه عن أبي موسى وعن مروان الأصغر قال رأيت ابن عمر أناخ راحلته مستقبل القبلة ثم جلس يبول إليها فقلت يا أبا عبد الرحمن أليس قد نهى عن هذا قال بل إنما نهى عن ذلك في الفضاء فإذا كان بينك وبين القبلة شئ يسترك فلا بأس رواه أبو داود

بل هو جود وحق فالواجب ان تترك العناد وتلزم الطريق المستقيم والمنهج القويم بتطهير باطنك وظاهره من الأرجاس والأتجاس (رواه مسلم وأحمد واللفظ له) أي لأحمد (وعن عبد الرحمن) صحابي له حديث كذا في التكريب (ابن حسنة) بفتح المهملة ثم نون هي أمه و أما اسم أبيه فعبدا لله ابن المطاع روى عنه يزيد بن وهب (قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده الدرقة) بالفتحة الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عصب (فوضها) أي جعلها حائلًا بينه وبين الناس (ثم جلس) أي للبول (فبال) أي مستقبلًا (اليها) أي الدرقة (فقال بعضهم) أي بعض المشركين أو بعض المنافقين (انظروا إليه) أي نظر تعجب (يبول) وهو رجل (كما تبول المرأة) أي في التستر أو في القعود أو فيهما قاله السيوطي (فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويحك) قال الطيبي نقلًا عن النهاية ويح كلمة قتال لمن ترحم وترفق به اه فوضع ويحك موضع ويلك أيما إلى كمال رأفته وإشارة إلى ارادة الفته فانه رحمة للعالمين وحريص على هداية الكافرين (أما علمت ما أصاب) ما الأولى نافية دخلت عليها همزة الاستفهام للانكار والثانية موصولة أو موصوفة أو مصدرية (صاحب بنى إسرائيل) أي من العذاب لتنبه عن المعروف وصاحب منصوب وقيل مرفوع قال الشيخ ولي الدين العراقي بالرفع ويجوز نصبه ذكره السيوطي في حاشية النسائي (كانوا) أي بنو إسرائيل (إذا) أصابهم البول قرضوه) أي قطعوه (بالمقاريض) جمع المقراض وهو آلة القطع (فنهلم) أي صاحبهم عن القطع (فمذب في قبره) قال الطيبي شبه نهى هذا المناق عن الأمر بما هو معروف عند المسلمين ينهى إسرائيل ما كان معروفًا عندهم في دينهم والقصد منه توبيخه وتهديده وأنه من أصحاب النار فلما عبره بالحياه وفعل النساء ويح بالوقاحة وانه ينكر ما هو معروف بين رجال الله من الامم السابقة واللاحقة (رواه أبو داود وابن ماجه) أي عنه مرسلًا ومرسل الصحابي مقبول عند الكل ولهذا قال ابن حجر وسنده حسن (ورواه النسائي عنه) أي عن عبد الرحمن بن حسنة وهو صحابي كما تقدم وذكره المصنف في الصحابة (عن أبي موسى) فيكون رواية الصحابي عن الصحابي (وعن مروان الأصغر) بالفاء وفي نسخة بالغين وهو مولى عائشة أم المؤمنين بصرى ثقة كذا بخط السيد أصيل الدين في حاشية المشكاة وأسقطه صاحب المشكاة من أسماء رجاله (قال رأيت ابن عمر أناخ راحلته مستقبل القبلة ثم جلس يبول إليها) أي إلى الراحلة (فقلت أبا عبد الرحمن) وفي نسخة يا أبا عبد الرحمن (أليس قد نهى عنه) أي استقبال القبلة عند قضاء الحاجة (قال بل) للأضراب أي لامطًا (إنما نهى عن ذلك في الفضاء) أي الصحراء قال ابن حجر والحقابه ما في معناه وهو البناء بسائر أنواعه إلا البناء المعد لقضاء الحاجة (فإذا كان بينك وبين القبلة شئ يسترك فلا بأس) تقدم هذا البحث (رواه أبو داود) مرسلًا وسكت عليه ولا يكون هذا حجة لانه استدل بما تقدم من نقله عليه الصلاة والسلام وقد احتمل احتمالات

و عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاه قال الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني رواه ابن ماجه و عن ابن مسعود قال لما قدم وفد الجن على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله انه أمتك أن يستنجوا بعظم أو روثه أو حممة فان الله جعل لنا فيها رزقا فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك رواه أبو داود

تقدم ذكرها ومع وجود الاحتمال يسقط الاستدلال (وعن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاه) أي المطهر (قال الحمد لله الذي أذهب عني الأذى) أي المؤذى (وعافاني) أي من احتباسه أو من نزول الامعاء معه كذا قاله الأبهري وفي بعض الروايات الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني فانظر الى النعمتين العظيمتين اللتين لا يخطران ببال الاكثين غالبا (رواه ابن ماجه) قال ميرك حديث حسن وقال ابن حجر وكذا النسائي عن أبي ذر وسنده حسن (وعن ابن مسعود قال لما قدم وفد الجن على النبي) وفي نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله انه) بسكون النون وفتح الهاء أمر من نهى ينهى (أمتك أن يستنجوا) من الاستنجاء (بعظم أو روثه) تقدم وجههما (أو حممة) بضم الحاء وفتح الميم أي فحم يصير نارا في شرح السنة الحميم الفحم وما احترق من الخشب أو العظام ونحوهما والاستنجاء به منهي عنه لانه جعل رزقا للجن فلا يجوز افساده كذا نقله الطيبي وقوله رزقا للجن أي انتفاعا لهم بالطبخ والدفاء والاضاعة (فان الله تعالى جعل لنا) أي ولدوا بنا (فيها رزقا فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك رواه أبو داود) وسكت عليه قاله ميرك



بحمد الله تعالى تم الجزء الاول من مرآة المفاتيح و يتلوه الجزء الثاني من باب السواك ان شاء الله تعالى

اللهم وقتنا لما تحب وترضى و اغفر لنا و اغفر لنا و المؤمنین و المؤمنات



الناشر :-

مجلس اشاعت المعارف ملتان - باهتمام فيض احمد و نور احمد الأخوين دينار و نسبا

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٣	تذكرة المحدث النسائي رحمه الله تعالى	٢	كلمة الثناء لمشكوة المصاييح
٢٥	تذكرة المحدث ابن ماجه رحمه الله تعالى	٢	ذكر شيوخ مؤلف المرقاة
٢٥	تذكرة المحدث الدارمي رحمه الله تعالى	٣	سند المؤلف الى صاحب المشكوة
٢٦	تذكرة المحدث البيهقي رحمه الله تعالى	٣	الداعي الى تأليف المرقاة
٣٠-٢٦	تذكرة الامام الاعظم ابى حنيفة رحمه الله تعالى رحمة واسعة	٣	هل يجوز كتابة البسمة في ابتداء كتب الاشعار والمنطق ام لا
٣١	شرط البخارى ومسلم الذى التزامه في صحيحيهما	٣	الابتداء بالبسمة والحمدلة والتوفيق بين الحديثين الوارد في فيهما
٣٥	تحقيق كلمة "حاشا"	٣	هل الاسم عين العسمى والتسمية اوغيرهما
٣٥	بيان "ولم آل جهدا"	٥	تحقيق كلمة الجلالة (الله)
٣٦	شرح قول الماتن "ينت وجهه غالبا"	٦	الاسم الاعظم هو كلمة الجلالة
٣٨	لم اورد حديث "انما الاعمال بالنيات" في طليعة الكتاب	٦	خواص كلمة الجلالة من حيث العربية
٣٩	بيان تلقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالفاروق	٦	بيان الرحمن والرحيم
٣٩	تحقيق كلمة "انما"	١٠	السنة بيان القرآن
٣٠	بيان "الاعمال"	١٠	فضيلة علم الحديث
٣٠	بيان "النية"	١٠	تذكرة مؤلف المصاييح رحمه الله تعالى
٣٠	النية باللسان مع غفلة الجنان غير معتبرة	١٤-١٣	تذكرة المحدث البخارى رحمه الله تعالى
٣٢-٣٠	مسئلة التللفظ بالنية	١٤	تذكرة المحدث مسلم بن الحجاج رحمه الله
٣٢	انما الاعمال بالنيات الخ ورد بالفاظ متعددة	١٩-١٨	تذكرة الامام مالك رحمه الله تعالى
٣٢	فضيلة هذا الحديث	٢١-١٩	تذكرة الامام الشافعى رحمه الله تعالى
٣٢	نية المؤمن خير من عمله	٢٣	تذكرة الامام احمد رحمه الله تعالى
٣٢-٣٢		٢٣	تذكرة المحدث الترمذى رحمه الله تعالى
		٢٣	تذكرة المحدث ابى داؤد رحمه الله تعالى

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥١	بيان معنى الاسلام لغة و شرعا	٣٣	الفرق بين "انما الاعمال بالنيات" و بين "انما لامرئى ما نوى"
٥٢	قال الغزالي للتوحيد لبان و قشران	٣٣	المباح يثاب عليه اذا كان على نية لقربة
٥٣	بيان الازكان الخمسة على طريق ارباب الباطن	٣٣	يحصل ثواب الطاعات من عمل واحد اذا نواها
٥٦	التصديق على انواع	٣٣	بيان معنى الهجرة و اقسامها
٥٦	بيان ضرورة الايمان بالملائكة و الكتب و النبيين	٣٥	بيان معنى "الدنيا"
٥٤	النبي عام من الرسول مطلقا	٣٦	بيان ما اذا اجتمع نية العبادة مع نية غيرها في عمل
٥٤	خاتم الانبياء عليه السلام له عند الله مقام مختص به	٣٦	بيان انما الاعمال بالنيات الخ بلسان العرفاء
٥٨	"مسئلة التقدير"	٣٤	هذا الحديث غريب اولاً و مشهور آخرها
٥٩	مكتوب على كرم الله وجهه في القدر	٣٤	اختلف في ان صحة احاديث الصحيحين قطعية او ظنية
٥٩	فوائد الايمان بالقدر	٣٨	هل يمكن الحكم بالتصحيح و التحسين و التضعيف في الاعصار المتأخرة ام لا
٦٠	بيان العبادة و العبودية و العبودة	٣٨	"كتاب الايمان"
٦٠	المكاشفة و المراقبة	٣٨	بيان معنى الايمان لغة و شرعا
٦١	شرح "ما المسئول عنها باعلم من السائل"	٣٨	اختلف العلماء في ان الاقرار و العمل داخلان في الايمان ام لا
٦٢	قد جرى المكاملة في علم الساعة بين عيسى عليه السلام و جبريل عليه السلام	٣٩	"الفصل الاول"
٦٢	للغيث مبادئ و لواحق فعلم المبادئ هو المختص بالله تعالى دون اللواحق	٣٩	تحقيق كلمة "بينما"
٦٢	شرح "ان تلد الامة ربنتها"	٣٩	حديث جبريل ورد في السنة العاشرة
٦٥	اختصاص علم الغيب بالله تعالى باعتبار الكليات دون جزئياتها	٥٠	يسن للعالم الجلوس بمحل مرتفع اذا احتيج اليه

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٨٤	وجوب اتمام التطوع بعد الشروع	٦٦	قول المنجم المنبئى عن امر عادى
٨٤	معنى " الفلاح "		ظنى و ليس بعلم
٨٨	توجيه الحلف بنيرالله فى كلام الشارع	٦٦	كشف البولى و الهامه ظنى
٨٨	سبب وفاة عبدالقيس	٤٠	بيان العياء الايمانى و الطبيعى
٨٨	اسلام منقذ بن حبان رضى الله عنه	٤١-٤٠	عداد شعب الايمان
٩١	الاشكالان فى حديث عبدالقيس وازالتهما	٤٣	حب الله و رسوله من الايمان و المراد
٩١	الكلام على النهى عن الحنتم و الدباء		منه الحب العقلى او الايمانى لاطبيعى
	و التقير و العزف	٤٣	و من محبة النبى صلى الله عليه وسلم
٩٣	مسئلة اللعن على احد		نصر سنته و الذب عن شريعته اه
٩٥	الفرق بين الحديث القدسى و بين	٤٣	مقام الفاروق رضى الله عنه فى محبة النبى
	القرآن الحكيم		صلى الله عليه وسلم
٩٦	اتخاذ الولد لله تعالى مستلزم محالين	٤٣	كل مؤمن لا يخلو عن محبة النبى صلى الله
٩٦	الفرق بين الاحد و الواحد		عليه وسلم قاله القرطبى
٩٤	بيان " و انا الدهر "	٤٣	الموحد دخل الجنة قطعاً على كل حال
٩٩	توجيه تبشير معاذ رضى الله عنه مع	٤٣	بيان " حلاوة الايمان "
	النهى عنه	٤٥	حكيم الجمع بين الله و رسوله بلفظ
٩٩	توجيه حرمة النار على الموحد		الضمير
٩٩	العواص كلما بشروا زادوا فى العبادة	٤٥	حقيقة المحبة ان لا تزيد بالعطاء
١٠١	معنى كون عيسى عليه السلام روحاً منه		ولا تنقص بالجناء قاله يحيى الرازى
١٠١	الجنة و النار فى كلام اهل التحقيق	٤٤	مذهب السلف و الخلف فى المتشابهات
١٠٣-١٠٢	شرح ان كل واحد من الاسلام و الهجرة	٨٠-٤٨	شرح " ثلاثة لهم اجران "
	و الحج يهدم ما كان قبله	٤٩	وجه تخصيص الثلاثة
١٠٣	" الفصل الثانى "	٨٢	حكم الزنديق
١٠٦	انواع الجهاد	٨٥-٨٣	بيان " الاستقامة "

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٩-١٢٨	سوال اليهود عن تسع آيات و الجواب عنه	١٠٤	قوائد كف اللسان
١٣٠	معنى "يقاتل آخر هذه الامة الدجال"	١٠٩	"الفصل الثالث"
١٣١	معنى "اذا زنى العبد خرج منه الايمان"	١١٢	توجيه ضرب عمر بين ثدي ابي هريرة
١٣١	"الفصل الثالث"	١١٣	قبول النبي صلى الله عليه وسلم رأى عمر مزية جليلة له رضى الله عنه
١٣٢	اطاعة الوالدين في طلاق المرأة	١١٣	جواز تصرف الانسان في ملك الغير باذنه دلالة
١٣٢	الذهاب الى محل الوباء والخروج منه	١١٤	الصلوة في المسجد الحرام تعدل مائة الف صلوة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٣٣	مصالح التسامح عن المناقنين	١١٩-١١٨	بيان "الخلق الحسن"
١٣٣	"باب في الوسوسة"	١١٩	اللغات في "اهريق"
١٣٣	"الفصل الاول"	١٢٠	عبادة الخواص تزداد بعد البشارة
١٣٥-١٣٤	الكلام على الوسوسة و ما في القلوب	١٢٠	"باب الكبائر"
١٣٦	علاج الوسواس	١٢٠	بيان الكبيرة والصغيرة
١٣٦	حكمة ترك التأمل في الوسواس و الاعراض عنها	١٢٠	"الفصل الاول"
١٣٨	بيان "ان الشيطان يجرى من الانسان مجري الدم"	١٢٣	الكلام على السحر
١٣٨	قول يحيى بن معاذ في الشيطان	١٢٣	بيان معنى "لايزنى الزانى حين يزنى و هو مؤمن"
١٣٠	بيان "ان ابليس يضع عرشه على الماء"	١٢٤-١٢٦	بيان علامات المناق و الكلام علمها
١٣١	"الفصل الثانى"	١٢٤	الكلام على اخوة يوسف عليه السلام
١٣٢	من ياكل الحرام لا يميز بين الوسوسة و الالهام	١٢٤	عصمة الانبياء عليهم السلام
١٣٢	الالهام معتبر في معرفة الوسواس دون الاحكام	١٢٨	بيان ما يتعلق بعلامات المناق
		١٢٨	"الفصل الثانى"

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٦٠	مسئله تاويل المتشابهات	١٣٣	"الفصل الثالث"
١٦١	بيان "ما من مولود الا يولد على الفطرة"	١٣٥	"باب الايمان بالقدر"
١٦٣	عالم الغيب يخالف حكمه عالم الشهادة	١٣٥	القدر سر من اسرار الله تعالى
١٦٣	نظر موسى عليه السلام الى عالم الشهادة	١٣٥	قول على كرم الله وجهه في القدر
	و الخضر عليه السلام الى عالم الغيب	١٣٥	"الفصل الاول"
١٦٣	بيان "حجابه النور"	١٣٦-١٣٥	بيان "كتب الله مقادير الخلائق"
١٦٦	حكم اطفال المشركين	١٣٦	الحكمة في كتابة اللوح المحفوظ
١٦٦	"الفصل الثاني"	١٣٦	التقدير المعلق و المبرم
١٦٦	بيان ما خلق اولاً	١٣٨	توجيه "وعصى آدم ربه فغوى"
١٦٤	شرح "وما كان وما هو كائن"	١٣٩	احتجاج آدم عليه السلام بالقدر كان لوجوه
١٦٤	بيان "اول ما خلق الله نوري"	١٥٠	الانسان جامع لصفات الحيوانات
١٦٨	بيان اخذ الميتاق في عالم الارواح	١٥٠	بيان الحكمة في تخليق الانسان تدريجياً
١٤٠-١٤٠	الفرق بين اللوح المحفوظ وام الكتاب	١٥١	بيان انواع السعادة
١٤٢	بيان ما يجوز من الرقية وما لايجوز منها	١٥١	المخلوق مظهر لصفات الخالق
١٤٣	الكلام على سند عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده	١٥٢	انما العبرة بالخواتيم فينبغي ان يكون بين الخوف و الرجاء
١٤٦	الموت ولادة ثانية	١٥٢	الثواب و العقاب كالأموال العادية
١٤٤	مسئلة تكفير اهل البدع	١٥٣	هل يكون بعض الطيور في الجنة
١٤٩	مجالسة اهل الضلالة ممنوع	١٥٣	بيان الحكم الاخرى لاطفال المسلمين و الكفار
١٨٠	الزيادة في كتاب الله كفر	١٥٨	الفرق بين القضاء و القدر
١٨١-١٨٠	حكم اطفال المشركين	١٥٨	التمثيل للقدر و القضاء و الكسب
١٨٣-١٨٢	شرح "المائدة و المؤودة في النار"	١٦٠	التوبيخ على الاختصاء
١٨٤	"الفصل الثالث"		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٨	بيكي عثمان رضى الله عنه حين يقف على قبر	١٨٤	بيان ما يتعلق بقوله تعالى و الذين آمنوا و اتبعتهم ذريتهم
٢٠٩	التبليغ عند دفن الميت	١٩١	بكاء الصحابي رضى الله عنه مع بشارة النجاة
٢٠٩	الحكمة في تسليط تسعة و تسعين تينا على الكافر	١٩١	ترك السنن قد يؤدي الى الزندقة
٢١٠	” الفصل الثالث “	١٩٢	ما يتعلق باخذ الميثاق في عالم الارواح
٢١٢	الحكمة في تمثيل الشمس عند الغروب للميت المؤمن	١٩٣	الميثاق على نوعين مقالى و حالى
٢١٣	” باب الاعتصام بالكتاب و السنة “	١٩٣	الغنى و الفقر كلاهما نعمة
٢١٥	بحث القضاء و القدر لا يتم الا بالدليل القلبي	١٩٥	مسئلة تبديل الاخلاق
٢١٥	” الفصل الاول “	١٩٦	الكمال في غلبة الفضائل لا في ازالة الرذائل
٢١٥	قول بعض العارفين	١٩٤	” باب اثبات عذاب القبر “
٢١٦	بيان معنى البدعة لغة و شرعاً	١٩٤	” الفصل الاول “
٢١٦	اقسام البدعة	١٩٤	احوال النوم تقرب احوال الميت الى الفهم
٢١٨	ادراك النفوس القدسية لا يضعف بضعف الحواس الحسية	١٩٨	الميت يعلم من يكفنه اه
٢٢٠	بيان معنى ” غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر “	١٩٨	الفرق بين القعود و الجلوس
٢٢٠	اجماع الصحابة على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم مطلقا دليل اجماعهم على عصمته عليه الصلوة والسلام	١٩٩	بيان ” ما كنت تقول في هذا الرجل “
٢٢٠	بيان بعض ما يتعلق بمسئلة العصمة	٢٠٠	كيف يكلم الملائك كثيرا من الموتي في وقت واحد
٢٢٠	من اعترض على شيخه لم يفلح ابدا	٢٠٠	الحكمة في عدم سماع الثقلين صيحة الميت
٢٢٠	قلة وظائف النبي صلى الله عليه وسلم كانت رحمة للامة	٢٠٢	ترك تدافن الموتي من سماع صيحتهم
		٢٠٣	” الفصل الثاني “
		٢٠٣	يتعلق الروح بالجزء الاصلى من الميت ليسهل فيثاب او يعذب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٣٨	دلائل الفريقين في مسألة الضيافة	٢٢١	ذم الرهبانية
٢٣٠	القرآن تبيان لكل شئ للنبي صلى الله عليه وسلم	٢٢٣	بيان المثل المشهور "انا النذير العريان"
٢٣٠	قال الشافعي رحمه الله كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن	٢٢٨	علم الوحي كالغيث والناس كقطبات الارض
٢٣٢	شرح "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين"	٢٢٨	قال الغزالي ضيقت عمرى في تصنيف البسيط والوسط والوجيز
٢٣٣	بيان "لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"	٢٢٩	بيان ما يجوز من الاختلاف وما لا يجوز منه
٢٣٥	الروح لطيف والجسد كثيف والنفس متوسطة بينهما	٢٢٩	مسئلة تاويل المتشابهة
٢٣٨	شرح "تفترق امتى على ثلث وسبعين ملة"	٢٣١-٢٣٠	البحث في صفات البارى و علم الكلام من غير ضرورة ملجئة اليه ممنوع وعند الضرورة واجب
٢٣٨	بيان الشريعة والطريقة والحقيقة	٢٣١	الف السيوطى رحمه الله رسالة في تحريم المنطق والكلام
٢٣٩	شرح "ان الله لا يجمع امتى على ضلالة"	٢٣٣	الدعوة الى الاسلام مقام رفيع
٢٣٩	شرح "اتبعوا السواد الاعظم"	٢٣٣	السلف له شرف على الخلف من حيث الدعوة ايضا
٢٣٩	يجب اتباع السواد الاعظم فى الاصول دون الفروع	٢٣٣	هل ينقطع الاثم عن الداعى الى الشر بعد تويته ام لا و الاظهر هو الاول
٢٥٠	الخلاف بين الماتريدية والاشعرية فى مسائل ترجع الى الفروع بل قال بعض المحققين الخلاف لفظى	٢٣٣	بيان "قطوبى للغرباء"
٢٥٢	بيان معنى "القرن"	٢٣٥	"الفصل الثانى"
٢٥٢	البعد عن زمان النبوة سبب قلة الصلحاء	٢٣٥	بعض خواص نوم الانبياء عليهم السلام
٢٥٢	المناظرة لمحض ترويج آراء المشايخ دون نصرة الحق ممنوع ولاظهار الحق فرض كفاية	٢٣٦	كان جبريل عليه السلام ينزل بالسنة
		٢٣٦	اجتهاده عليه الصلوة والسلام بمنزلة الوحي انتهاء
		٢٣٨	الضيافة سنة او مستحب عند الاكثر و واجب عند الامام احمد رحمه الله

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٦٣	الفرق بين الالهام والفراسة	٢٥٣	ذم الرهبانية
٢٦٣	” الفصل الاول “	٢٥٥	” الفصل الثالث “
٢٦٥	الجمع بين جواز التحديث عن نبي اسرائيل و المنع عنه	٢٥٥	اتباع جمهور العلماء لازم
٢٦٥	اللحن في قراءة عبارة الحديث عمدا داخل في وعيد	٢٥٥	المرسل قد يطلق على مرسل تبع التابعي ايضا
٢٦٦	من كذب على متعمدا الخ هذا الحديث متواتر ومن رواه العشرة المبشرة رضي الله عنهم	٢٥٦	التمسك بسنة صغيرة خير من احداث بدعة حسنة عظيمة
٢٦٤	بيان معنى الفقيه على لسان الحسن رحمه الله	٢٥٤	وجوه ترجيح السنة على البدعة الحسنة
٢٦٨	الحسد على الكافر والفاسق جائز في بعض الصور	٢٥٤	بيان توقير صاحب البدعة واهانته و توقير صاحب السنة
٢٦٩	بيان العلم المنتفع به	٢٥٩	وصية ابن مسعود رضي الله عنه باقتداء الصحابة رضي الله عنهم
٢٦٩	تنفيس كربة المؤمن محمود ولو كان فاسقا	٢٥٩	مناقب ابن مسعود رضي الله عنه
٢٤٠	على الشيخ ان ينفس كربة وساوس السالك	٢٦٠	مناقب الصحابة رضي الله عنهم من حيث بر القلوب و صحة العلم و ترك التكلف في شئون الحياة كلها
٢٤٠	علاج الوسواس	٢٦٢	بيان معنى النسخ و اقسامها
٢٤٠	ستر معايب المسلم محمود الا المعروف بالفساد فيستحب كشفه اذا لم يترتب عليه مفسدة	٢٦٣	بيان المعرفة الالهية والمجاهدة لها على لسان العارفين
٢٤١	المباجد والمدارس والربط بيوت الله	٢٦٣	بيان معنى حدود الله
٢٤١	نبذ من آداب تلاوة القرآن	٢٦٣	بيان انواع التجلي الالهي
٢٤١	بيان بيوت الله والذكر فيها بلسان الاشارة	٢٦٣	” كتاب العلم “
٢٤٢	التقرب الى الله لا يحصل بالنسب بل بالعمل الصالح	٢٦٣	بيان معنى العلم و اقسامه
		٢٦٣	بيان معنى الوحي و الالهام والفراسة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٨٩	الاخلاص نوعان اخلاص الخاصة و اخلاص العامة	٢٤٢	اكثر علماء السلف ما كان لهم نسب عال
٢٩٠	الرواية بالمعنى مختلف فيها	٢٤٣	توجيه التسليم على القوم ثلث مرات
٢٩٣-٢٩١	بيان تفسير القرآن بالرأى	٢٤٨	"الفصل الثاني"
٢٩١	ذكر بعض المبتدعة من المفسرين	٢٤٩	طلب العلم افضل من صلوة الناقله
٢٩٢	ذكر العلوم التي لا بد من تحصيلها لتفسير القرآن	٢٤٩	طرق الجنة محصورة في طرق العلم
٢٩٢	تخطئة الباطنية التي تصرف الفاظ القرآن عن ظاهرها من غير ضرورة	٢٤٩	بيان معنى "ان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم"
٢٩٢	رد بعض المتورعة الذين يمتنعون عن استنباط معاني القرآن بالاجتهاد	٢٨٠-٢٤٩	وقوع العذاب على الاستهزاء بالحديث كل موجود له مصلحة متعلقة بالعلم
٢٩٣	المجتهد ماجور على الخطأ و المتكلف ماخوذ بالصواب	٢٨٠	الحكمة في عدم توريث الانبياء عليهم السلام مالا
٢٩٣	ما الطريق للمفسر في الآيات المختلفة ظاهرا	٢٨١	توجيه ترك الانبياء عليهم السلام مالا عند وفاتهم
٢٩٣	الجمع بين الآيات المختلفة ظاهرا على لسان ابن عباس رضي الله عنه	٢٨١	بيان "الكلمة الحكمة ضالة الحكيم"
٢٩٥	بيان "انزل القرآن على سبعة احرف"	٢٨٣	بيان "طلب العلم فريضة على كل مسلم"
٢٩٥	و الراجح ان المراد بها اللغات السبعة	٢٨٣	قال على كرم الله وجهه "حدثوا الناس بما يفهمون" الخ
٢٩٦	بيان "لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع"	٢٨٥	حقيقة "الفتنة في الدين"
٢٩٤	هل المصاحف العثمانية مشتملة على الاحرف السبعة ام لا	٢٨٦	منع الكتاب عن الطالب عند الضرورة داخل في كتمان العلم
٢٩٨	الفرق بين جمع القرآن في العهد الصديقي و العهد العثماني	٢٨٤	ذم طلب الدنيا بالعلوم الدينية
٢٩٩-٢٩٨	بيان العلم النافع و غير النافع	٢٨٤	هل يجوز اخذ الدنيا للتفرغ لعمل الآخرة ام لا
		٢٨٨	حصول الدنيا من غير قصد لا ينافي الاخلاص

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٢٢	المكان البعيد من المسجد افضل ام القريب منه	٢٩٩	الحجامة و الزراعة و النساجة من فرض الكفاية
٣٢٢	مسئلة تكفير الوضوء للخطايا	٣٠٢	بيان " من يجد دلها دينها "
٣٢٣	" الاذان من الرأس " روى باسناد صحيح	٣٠٢	المراد من المجدد جماعة
٣٢٥	يرجى تخفيف الكبائر بالحسنات اذا لم تكن صفائر هناك	٣٠٢	التجديد امر اضافى
٣٢٦	بيان ما يقرأ بعد الوضوء	٣٠٢	الزمان المتقدم له فضل على المتأخر لقربه من زمان النبوة على صاحبه الفتحية
٣٢٤	و يستحب الاذكار بعد الغسل	٣٠٣	" الفصل الثالث "
٣٢٤	بيان " غرامجولين "	٣٠٣	الفرق بين مقام الفقيه و الصوفى
٣٢٨	" الفصل الثانى "	٣١٠	بيان المفاسد فى التقرب الى الامراء من غير ضرورة
٣٢٩	" الفصل الثالث "	٣١٣	بيان ما يهدم الاسلام
٣٣٠	بيان تاثير الصحبة و الرفاقة	٣١٣	الظاهر و الباطن اصلاح كل واحد منهما يتعلق باصلاح الآخر
٣٣٢	الميت يعرف الزائر ويدرك كلامه و سلامه	٣١٣	منصب الانشاء اهم و من ثم اشتد خوف السلف عنه
٣٣٣	الغرة و التججيل من خواص هذه الامة	٣١٨	" كتاب الطهارة "
٣٣٣	الآيات ساكتة عن حال الفاسق ليكون بين الرجاء و الخوف	٣١٨	بيان حقيقة الطهارة و اقسامها
٣٣٣	" باب ما يوجب الوضوء "	٣١٨	" الفصل الاول "
٣٣٣	" الفصل الاول "	٣١٨	بيان " الظهور "
٣٣٥	مسئلة فاقد الطهورين	٣١٨	بيان معنى " الظهور شطر الايمان "
٣٣٦-٣٣٥	الوضوء بما مست النار	٣١٩-٣١٨	مسئلة " وزن الاعمال "
٣٣٤	شبه الريح الخارج من الذكر اختلاج و ليس برح فلا ينتقض الوضوء	٣٢٠	بيان " الصبر ضياء "
٣٣٤	غسل الدين قبل الطعام و بعده		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٥٤	دليل عدم وجوب الايتار في الاستنجاء	٣٣٨	"الفصل الثاني"
٣٥٨	البول في المعتسل والمتوضأ ممنوع	٣٣٢-٣٣١	مسئلة التوضؤ من مس الذكر
٣٥٩	البحث عن كلمة "سرجس"	٣٣٢	حديث طلق وبسرة لاسبيل الى معرفة الناسخ والعنوخ منهما
٣٥٩	البول في المنفذ المعدله غير مكروه	٣٣٢	الدليل على ان مس المرأة لاينتقض الوضوء
٣٥٩	قتل الجن سعد بن عبادة رضى الله عنه حين بال في حجر	٣٣٣	سماع عروة عن عائشة رضى الله عنها ثابت
٣٦٠	اذا عطس في الخلاء بحمدالله في نفسه	٣٣٣	تسامح صاحب المشكوة سامعنا الله تعالى وايامهم
٣٦١	بيان معنى "الحشوش"	٣٣٣	"الفصل الثالث"
٣٦١	وجه الاستغفار بعد الخلاء	٣٣٦	للمجتهد ان يختار من اقوال الصحابة ماشاء
٣٦٣	البول قائما بلا عذر مكروه	٣٣٦	الوضوء من خروج الدم السائل
٣٦٣	توجيه "ببال قائما"	٣٣٤	"باب آداب الخلاء"
٣٦٣	"الفصل الثالث"	٣٣٤	"الفصل الاول"
٣٦٦-٣٦٥	الاحاديث الواردة في الشئ على الانصار في الطهور	٣٥٠	عدة آثار وردت في التنزه عن البول
٣٦٦	البحث عن كلمة الخزاة	٣٥١-٣٥٠	مسئلة وضع الريحان وجرائد النخل على القبر
٣٦٦	جواب سلمان رضى الله عنه للمستمزي على آداب الخلاء	٣٥٣	"الفصل الثاني"
٣٦٨	ينتفع الجن بالحمة طبخا ودفاء واضاءة	٣٥٣	المستنجي ينحى كل معظم عن نفسه
٣٦٨	تم الجزء الاول	٣٥٣	البحث عن كلمة "البراز"
		٣٥٣	رواية المحدثين اقوى من اللغويين
		٣٥٥	لايجوز الاستنجاء بشئ محترم كالكاغذ الابيض
		٣٥٦	العظم زاد للجن والروث لدوابهم
		٣٥٦	شرح "من عقد لحيته او تقلد وترا"



